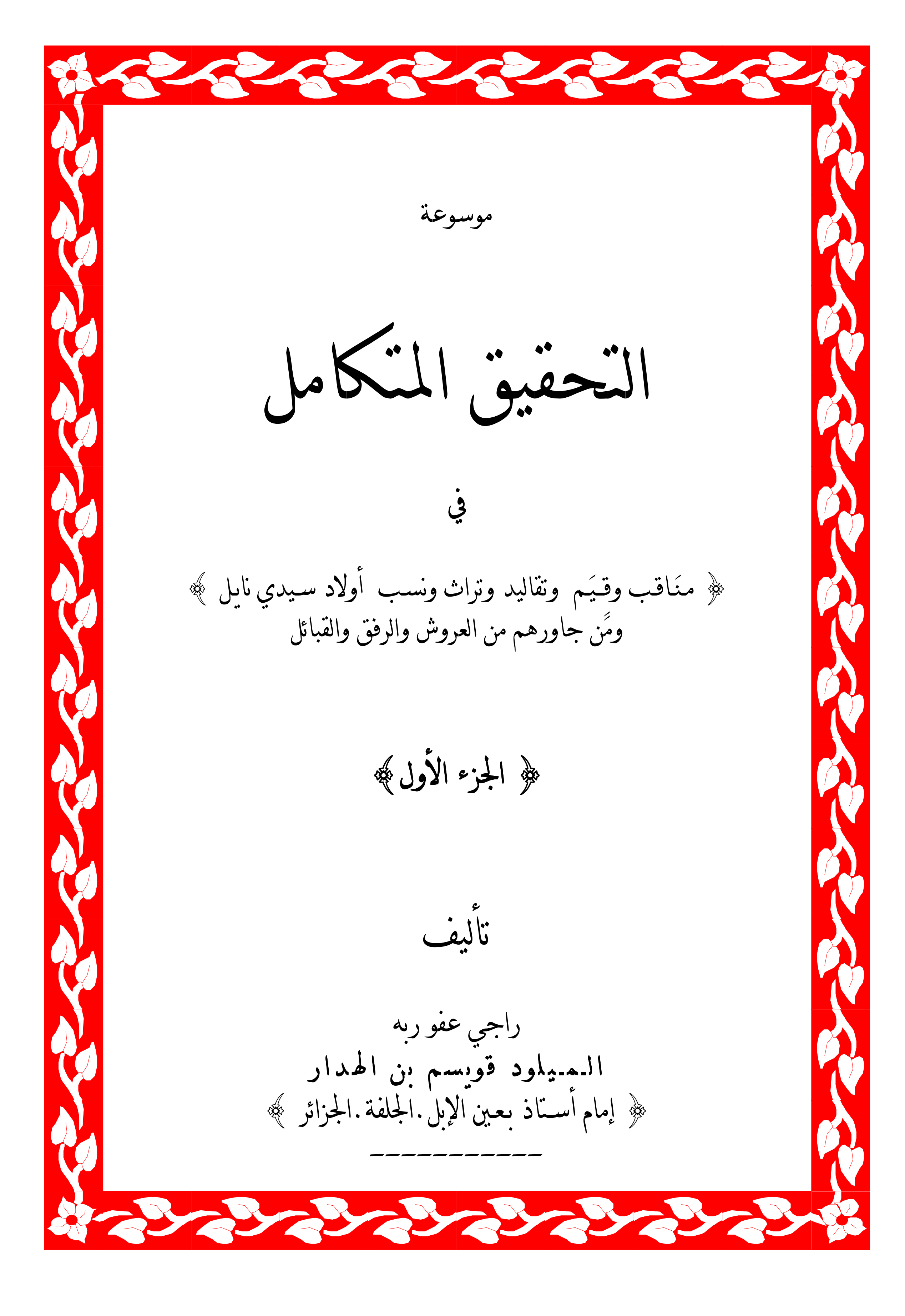


موسوعة

# التحقيق المتكامل

في

﴿ منَاقب وقيَم وتقاليد وتراث ونسب أولاد سيدي نايل ﴾
ومًن جاورهم من العروش والرفق والقبائل

## ﴿ الجزء الأول ﴾

تأليف


راجي عفو ربه
الميلود قويسم بن الهدار
﴿ إمام أستاذ بعين الإبل .الجلفة.الجزائر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وثناء

أشكر مساعي جنود الخفاء

أهل الغيرة والوفاء . والمبرة والاصطفاء .السادة الأبرار .والصفوة الأخيار

المشايخ النبلاء . العظماء الكرماء . والساسة الأوفياء

الذين ساهموا في طبع وتوزيع ومراجعة هذا الكتاب

نشرا للثقافة الهادفة.واحتسابا للأجر والمثوبة

حقق الله قصدهم وبارك سعيهم

*

﴿ ملاحظة ﴾

﴿طُبع الكتاب بأجزائه الأربعة ﴾

﴿على نفقة المحسن الكبير الحاج بلقاسم العمراوي ﴾

نقيب الأحباب القادرية والرحمانية بالجلفة

أجزل الله له المثوبة والشفاء والعافية

*

الطبعة التجريبية الأولى

1427هـ / 2006م

ملاحظة

قد تكون هناك تصحيفات مطبعية لابد من إصلاحها

-----------

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

حول المؤلف والكتاب

بقلم

الأستاذ الشيخ أبي محمد الجابري سالت

داعية إسلامي . بالجلفة

---

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد : لقدظلت أرجاء ( الجلفة ) و نواحيها – ردَحا من الدهر – ذاهلةً عن تاريخها الثقافي لأسباب قد تعود إلى خُمول النخب المؤهّلة التي رامت التلقّي العفوي – مُشافهَة – بديلا عن الاستقصاء اليقظ حول مظانّ وجود تراثها الدفين بُغية تحويله إلى مادّة خام تقوم بتصفيتها الأجيال المتلاحقة , ولا تسل عمّا ترتّب إثرَه من إهدار سافر تعرّض لـه الركاز الأدبيّ النفيس . وقد ينشأ كذلك عن الاشتغال بمتطلّبات حياة التبدّي و ما يطبَعها من أمّيّة مُستشرية وظعَن مهيمن لا ينجم عنهما إلا الزهد والاستخفاف بقيمة هذه الذخيرة الثمينة . وماإن لاحت بوادر الاستقرار وظهر الاهتمام بالتعليم وسهُلت طرق التدوين حتى سرى الحنين إلى مآثر الماضي في وجدان الفئات المتبصّرة ، فطفقت تنقّب عما يمكن تداركه من ذلك الموروث القيّم , و تصدّر طليعة الاهتمام التقصّي عن خيوط اللُحمَة النسَبيّة المنحدرة من العترة النائليّة زكيّة النّجار, وقد عَزّزت واعتزّ بها الأُثال الحسيب المتغلغل في الأوساط الصحَّراويّة والمتجذّر في البيئة السّهبيّة المشخّصة لمعالم المنطقة فأسعدْ بحظ القارئ الشغوف بالتّعرّف على أمجاد هذه الربوع , وهويقف على مُبادرَة جاهزة تروي بإسهاب وعذوبَة – مَلحمَة الدّوحة السّعدية ( النايلية) من جمع وإعداد الأستاذ الشيخ الميلود قويسم بن الهدار ( إمام ومعتمدعين الإبل ) نحَت لها هذاالعنوانَ [ التحقيق المتكامل] ليكون اسمًا على مسمًّى . هو كبيرٌ في حجمه ، خصب في مادته . ممتع في أسلوبه . ولا غَرو , إذْ كان مأتاه

من همّة متّئدة ووقورة. وما كان لي أن أبديَ هذا ( التقديم) ولا لأنبس ببنت شفَة حول موضوع لا تسَعه طاقتي - تقويما - ولا تجديه بضاعتي - نقدا - لولا التماسٌ ظَريف أحرَجني به فضيلته ، حَدا بي إلى التفوُّه بهذه المشاعر الأخويّة في سياق التوطئات التي تحفل بها الديباجة من هذا المنتوج الطارف الذي يبدو كأوّل باكورة تقطَف من جنىً مثمر سوف يؤتى أُكله كلّ حين بإذن ربه. بَيد أن المقَام يقتضي التحفّظ حيال المضمون وتركَهُ لأرباب الصنعة فهم أولى و أليق بتقرير الحكم من حيثُ استنطاق الوقائع وكيفيّة وُرود الخبرَ وصحّة المصدَر.

أمّا الانعكاس على الجمهور القارئ : تعاطيا وتأمّلا واستخلاصا للعبَر , فيتراءى لي من خلال ثلاث زوايا : "أهل المخابر " و " أهل المحابر " و " أهل المنابر ". فمن منظور الفئة الأولى هو مادّة معرفيّة قد تحالُ على محكّ التمحيص و المقارنة وربط الشاهد بالغائب استبقاءً لما يُقرّه العقل و لا ينكره الحسّ و استبعادا لما يمكن أن يذهب جُفاء. ومن منظور الفئة الثانية هو تصوير فنّي يمرح في فضائه الخيال لنسج البطولات وإنشاء المقالات. يستمدّ منه الفنان مُلح شاعريّته و جَذوة إلهامه كما يتداولهُ الناس في سَمرهم و لقياهم : مُنادمَة و تسلية و مُواساة. أمّا الفئة الثالثة فتعتبره خطابا دعويّا، تغتنم مُناسبة تناوُله للتحذير من عواقب الإطراء النسَبي و المزايدة الحَسَبيّة والحميّة الجاهليّة التي تفجّر - عَادةً - كوامن النعْرة وتؤجّج سعير التشاجُر وتعمَل على إيقاد الفتن - ما استطاعَت إلى ذلك سبيلا - تماما كما تنتهزها الفئة هذه فرصَة للترغيب في دَعم وشائج القُربى وأواصر الجوار وعَلائق الخُلّة و نُصْرة المظلوم ( وإن بعُد وغاب ] وقمعا للظالم ( ولو دنا وحضر] ترجمةً لمدلول الحديث المشهور ( انصُر أخاك ظالما أو مظلوما) فضلا عن التذكير الدائم والمألوف بأن الأصل واحدٌ وأن غرض الانتشارالعرقي هو التعارُف المُنشئ للحقوق والواجبات بين الأفراد والجماعات وأنّ مدارَ التفاضُل ومَناط التكريم هو " التقوى " - فقط - مثلما أوحى به النصُّ المعصوم.

إن الخلفيّة السلوكيّة والمعرفيّة للمؤلّف تأبى أن يجنح عن الركن الأخير : منصة الوعظ والإرشاد فقدكان سنَدُه المغفورُ له شيخنا عطيّة مسعودي [وهو الأب الروحي لأجيال الاستقلال في هذه الضواحي ] و من رُوّاد مَن خاض في هذا المضمار , كان – رحمه الله – ينعَى على من يتاجر بمنقبة [الشرف ] أو يُروج العملة العشائريّة في مختلف الاستحقاقات ، ويتحرّى الشيخ الإنصافَ في حقّ من سلف رحمهم الله دون انحياز إلى إفراط المغالي و لا ميل إلى تفريط الجافي. ولعَمري أن هذا هو أقوم منهَج ينبغي أن يعوّل عليه النسّابُ و الولِعُ بالبَحث عن مخزون الذاكرة الشعبية ليقدما عمَلا سليما لمجتمَعهم ، لا ليُحكى ويطوى ولكن للتأمّل في أسباب الانتصا .وتداعيات الانكسار .وفي سنّة التدافع التي عاقبتُها – دومًا– للأصلح . وليست للأقوى .

ولا أحسَب المؤلّفَ وهو يبذُل هذه الجهودَ المضنيَة المشكورة في كتابه ( التحقيق المتكامل ) إلاداعيا للمُقارنة بين خصال الأجْداد الذين لم يَسلُبهم شظَفُ العيش وظلم الدخيل المحتل غَيرتَهم و لا مُروءتهم ولا تمسّكهم بالقوت الحلال وبين حالنا ونحن نرفل في رغد الرّفاهَة دون مُبالاة بواجب الشكر ولا لفضيلة القناعة.كما لا إخَاله إلا راجيا من الحفَدَة أن يتذكّروا الأجداد بالدعاء والتصدّق ويحفظوا لهم عهودهم ويُكرموا أهل وُدّهم و يصلوا أرحامَهم على نحو ماجادَت به مشكاة النبوّة التي أدرجت هذه الخصال في خانة المَبرّة والوفاء واستدراك التقّصير في شأن الوالدين، ناهيك عن تجلّياتها من خلال القبور إنارة والأجور زيادةً والدرَجات رفعة.فمن أينَ للمَرء أن يؤدي واجب المحبة لآل بيت المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أو أنَ يقوم بمودة القربى : عمومة أو خؤولة أو أن يعرف معادن الناس الذين يربطهم به مصير المعاشرة والمصاهرة.في غياب مقاربات تعنىبالتركيبات الإجتمَاعية والمكونات الثقافية والمقومات الأخلاقية التي تسبك ملامح محيطه الذي يتأثر به ويؤثر فيه؟ومن ثمّ فإن هذه الدراسة تُصادف أوانَ طرحها في سبيل تحقيق ما أمكن من هذه الأغراض الإنسانيّة النبيلة التي تحتل أولَوية بارزة في سُلم مكارم الشيم.نأمل أن تعقبَها نظائر من جنسها تكمّلها وتثريها وتعفي المكلّفَ من مَيز الغثّ عن السمين.فحسب هذه ( المدوّنة ) مكانةً أن

يستفيد الآخرُ من أَثارة الأوّل في الحياة الدنيا .ويستفيدَ الأوّل من إيثارالآخر في الحياة البرزخيّة و الأَخروية .وكفى صاحبَها فخرًا أن يقترن فيه صدْق الطوّية بجديّة الفَعل ليتحقّق لمُصنَّف من هذا القبيلِ النفعُ في العاجِلة و القَبولِ في الآجلة بحول وقوّة من لا يضيع أجر المحسنين آمين .( رَبَّنَا اغفرْ لنَا وَلِإخْوَانِنَا الذينَ سَبَقُونا بالإِيمَان وَلَا تجْعَل في قلوبنا غلًا للذينَ آمَنُوا رَبَّنَا إنكَ رَؤُوفٌ رَّحيمٌ ) وصَلى الله على الرحمة المُهداة والنّعمة المُسداة.سَيدنا وحبيبنامحمّد وعلى آله وصحابته وسلم تسليما كثيرا .وسَلامٌ على المرسلين .و الحمدُ لله ربّ العَالمين.الجلفة في يوم الإثنين 07 ربيع الآخر 1426هـ / الموافق لـ 16 ماي 2005 م / وبه أبو محمد الجابري سالت .

------

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

بقلم مؤلفه الميلود قويسم بن الهدار

الحمد لله الذي جعل البشر شعوبا وقبائل ليتعارفوا .وبيّن في كتابه الجليل أن أكرمهم عنده أتقاهم وأشهد أن لاإله إلا الله سبحانه وتعالى اختار آل النبيّ واجتباهم.وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه رحمة ونورا فأرشد الخلق وهَداهم. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهُداهم.أما بعد: فيقول العبد الفقير.راجي عفو ربه القدير.الميلود قويسم بن الهدار السعداوي .وقاه اللهُ الأخطاء والمساوي.إني ومنذ زمن غير قصير.كنت ولا زلت أسمع من كبارنا السالفين.وسلفنا الصالحين.ذكر نسب الأجداد .ومن جاورهم من بقية أولاد نايل وسائرالأشراف والأحرار والأسياد.وما لكلّ في التأريخ من عطاآت وصولات وجولات. ومغازى وعادات وتراث وآثار ومأثورات .وكم كنت أود لو أن تلك المعلومات قد دونت.وتلكم السلالات والقرابات قد رسمت.ولكن وللأسف الشديد .ونظرا لزهادة العبيد لم تُدون هذيكم المذكورات. ولم ترَسم.وبقيت مهملات مبعثرات.بعضها محفوظ فى صدر ذا وبعضها محفوظ في صدر ذاك. ولما رأيت تلك الحال

المكدرة لصفو البال .عزمت على بركة الجليل القادر .في تبيين نسب الأهل والآل .من الأصول والفروع والأنجال .ومالهم في كل رحبة ومجال .من مآثر وخصال .وفضائل وخلال .معتمدا على ماذكره صفوة الأخيار .مشفعا بقبس من نورا لشريعة .ونبذة من معالم الحقيقة .مع إيراد نصوص نثرية .ومختارات شعرية .فصيحة وملحونة .حرة وموزونة .من عصارة فكري الحاضر .وموطني العامر .وقد أتيت بها ليكون المصنَّف دسما .يعيشه القراء الأخيار وتتذوقه العقول والأفكار .وكل ما أوردته فيه من مختارات .وجل ما أودعته فيه من معلومات .عدا القرآن والسنة .لا يعني إطلاقا قناعتي الشخصية بكليته .أو الاعتقاد فيه .وإنما هو مجرد إيرادات جئت بها أداء للأمانة العلمية .ونشرا للمحتويات النسبية. أما ماعدا ذلك فعلى القارئ وحده تمييزه .والتنقيب عنه وتحريره. ولذا لا أجدني في الغالب مضطرا لأن أعلّق على ما قد يرد فيه .أو يُنقل عن كل ( خَوني أو درويش أونبيه) .لما قد قلته سابقا .وما سأقوله لاحقا .وما تأليفي هذا في الحقيقة إلا جهد مُقل .إذا أصبت فيه فمن توفيق الله القادر .وإن أخطأت والخطأ من طبيعة البشر .فمن نفسي وهواها القاصر .ولما أتممته أسميته ( التحقيق المتكامل في مناقب وعادات ونسَب وتراث وآثار أجداد أولاد سيدي نايل . ومَن جاورهم من العروش والرفق والقبائل) وقد تضمّن جملة مقدمات .وعدة ملاحظات .وثمانية وعشرين كتابا .كل كتاب يتضمن عدة فصول كل فصل يحتوي عدة أبواب. تتبع ذلك خاتمة حسنة .وتقاريظ مستحسنة .وهو بكامله في أربعة أجزاء متناسقة متتابعة .وهنا أهيب بكل قارئ لهذا الكتاب أن يقتني كل الأجزاء ولا يقتصر على جزء واحد حيث أن الأجزاء مترابطة البحوث والإحالات .و هنا تجدر بي الإشارة إلى (حقائق ثمانية ) لابد من الإتيان على ذكرها وإدراك معرفتها .لخطورتها وأهميتها .و هي : ( أولا ) أن النسب كما هو معلوم يرجع إلى نسب طيني ونسب ديني .والنسب الطيني إذا لم يزكه دين فلا خير فيه. إذ الكرامة الحقة تثبُت للإنسان بانتهاج الدين. لا بعنصر الطين .قال الله جل وعلا ( إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) .(ثانيا) إن الأصل في بعض البيوتات أنها في الواقع ليست من نفس العروش التي سأذكرها بعدُ .ولكنها ونظرا لتربيتها وقِدمها وانصهارها بالخؤولة

المتتالية .واندماجها في القرابة الحميمية الثابتة .صارت تلقائيامنها .الأمر الذي جعلني أعتبرها من نفس القبيل لقناعتي الشخصية بأن القرابة كما تكون بالأبوة والعمومة تكون أيضا بالرضاعة والخؤولة والأمومة.بل وتكون بالولاء والتحالف والتربية أيضا .وذلك أمر متفق عليه لدى كثير من المؤرخين.وصفوة من الباحثين وإلا فما عسانا أن نقول في بنوة سيدنا لوط وسيدناعيسى لسيدنا إبراهيم الخليل كماهو نص الآية حيث قال رب العزة سبحانه عن ابراهيم ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَامن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّاء وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) ولوط كَمَا هو معلومَ ابن أَخيه لاَ ابنا لَه كما أن عيسى أيضا هو ابن مريم فقط وليس ابنَا لـه إذن فلا مندوحة للنقاد في أن يعيبوا علي في هذه الحيثية .( ثالثا) بماأن القاب بعض الأسر أو الافراد قد أُبدلت حديثا في الحالات المدنية لضرورة أو أخرى.وحيث أني لم أتمكن من الاطلاع عليها لشسَاعة المنطقة وتشعّب الانساب فإن الظرف الحالي لايسمح لي بإدراجها في مضانها والتنقيب عنها .لذا أرجوا من أولئك المعنيين .وجمهرة المتتبعين.أن يُلحقوا ألقابهم بالعرش الذي ينتمون إليه أو يتصلوا بي لأضيف ما امكنتني إضافته من ألقابهم لدى إعادة طبع الكتاب كما نبهت عليه في كل فصل وفي كل ملاحظة.( رابعا) بما أن أسماء بعض الأشخاص ونظرا لطول الأمد قد تنوسيت وبقيت فقط كُناهم وألقابهم مثل الأعمش وخميجة والأكحل والأطرش والأعرج والنفير والرخيص والشايب وبلكحل والأحدب وغير ذلك .وصار الناس يتخيلون فيها فقط ويتكهنون ويقولون : فلانٍ قيل اسمه كذا وقيل كذا و كذا دون أن يحددوا لذلك اسما ثابتا في حين تقول الحقيقة المسلّم بها أن كل شخص لابد أن يكون له اسم معين خاص به .به يُعرف.وإليه ينتسب.وعليه فإني جعلت لكل شخص مبهم اسما معينا اصطلاحيا اخترته من أسماء متعددة واردة ليُعرَّف به كشخص.ويُعرَفَ به نسبه وعقبه بعد ذلك كقبيل.ولست مغاليا في ذلك وإلا فما هذا الخلاف الذي جرى ويجري بين الباحثين والمترجمين في بحوثهم حيث يقولون : فلان قيل اسمه كذا .وقيل اسمه كذا .ويعددون

ذكر وجوه الخلاف إلى درجة ملفتة للانتباه مثل اختلافهم في اسم سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه وهو من هو في العَلمية والشهرة حيث اختلفوا فيه على بضع وثلاثين اسما أشهرها عبد الرحمن بن صخر.إذن فما أتيت به ليس بدعا من القول .(خامسا) أني أعرضت كلية عن كل ما ذّكر من وقائع وقعت بين أبناء القوم في سالف عهدهم.وماضي دهرهم.من غزوات وغارات.وهجاء وطيحات ونشد ودعوات.وما إلى ذلك من حالات وصفات.ومفاجع وأزمات.لعلمي بأنها وإن كانت في أغلبها واقعية .فإنها بلا شكّ أخطاء ومزالق دعا إليها الجهل والجبروت والصعلكة.أودعت إليها الغيرة والأنفة وحماية الدار والجوار.ولذا فإني لم ولن أتعرض لبعض نقاطها خصوصا منها النقاط ذات الحساسية الاجتماعية وضربت عنها صفحا لا تهاونا بشأنها .ولكن تفاديا لما قد ينجر عن إيرادها وذكرها والخوض فيها من هزات وحساسيات. ومس عواطف وتأسفات.خصوصا وأن الظرف الحالي يدعوا أمتنا إلى التآلف والمصالحة والوئام والمقاربة والتضامن والتوافق والسلام.وعلى كل فيجب أن تمحى تلك المأثورات المشينة فورا من ذاكرة التأريخ خصوصا وأن القوم قد أفضوا إلى ربهم وخالقهم. فلا داعي لتعداد مثالبهم .وإيراد هفواتهم .وفي الحديث ( اذكروا محاسن موتاكم ) وهنا لا يسعني.كما لا يسع أي عاقل إلا قول رحم الله الجميع وتقبلهم بمنه وكرمه (سادسا) أني لم أتعرض في ذكرا لانساب إلا لمن تربطهم علاقة حميمة بـ ( أولاد ساعد بن سالم ) من قريب أو من بعيد كـ ( مجاورة أو مصاهرة أو مشيخة أو زهادة أو رحلة أونضال أو تولية أو مناقضة) ليس غير.أما من عداهم من الرفق الأخرى وهي كثيرة بلا شكّ فإني لن أُعرج عليها ولا أذكر من نسبها إلا ما دعا إليه البيان.أو ذكره الأعيان.لعلمي الأكيد بأن أسماء رفقها وفروعها وأنسابها ورجالاتها وتراثها قد تكون بلا شك قد ذُكرت في مدونات علماء وشعراء وكبراء المناطق الخاصة بذلك .وعليه فليس لي أي دخل أو مصلحة في ذكرهم.أو التعرض لأنسابهم وفروعهم.إذ ذاك شيء أجهله.وجاهل الشيء يفتقده ولا يمنحه. ومن عكس علي منهم في هذه المقالة فسأقول له مسبّقا ما قاله المثل الشعبي ( بيناتكم ياحجاج ) أو ( بيناتكم يا اعبازيز)

وهذا لا يعني أني قدأغفلت ذكرهم بالمرة معاذ الله بل إني قد أشرت إلى بعض نكتهم على استحياء وعليه فمعذرة عن الإغفال يا سادة يا كمال ( سابعا ) وتبرئة لذمتى بين يدي الله الغني المتعال.وأمام التأريخ السجّال.أصرح بملء في.وبكامل قواي أن نزرا مما أوردته في هذا الكتاب .هو استنباط أو قياس أرجو إن لم يكن كله حقيقة أن يكون جله قد قارب الحقيقة.وذلك حسب ما سمعت به أو استنبطته.وعليه.وبدون مبالغة مني فستكون نسبة الصحة في هذا الكتاب كثيرة عالية ( ثامنا ) أؤكد هنا على أمر علمي عقدي تشريعي تاريخي خطير وهو أن ما أوردته في هذا المصنف من معلومات ليس بالضرورة أن أكون مقتنعا به.وإنما هو مجرد مأثورات ومنتخبات. على المطالع أن يقرأها على حذر.وليتريث في اتباعها والأخذ بها حتى يعرض مسائلها على محك التمحيص العقدي والتشريعي والاخلاقي والتاريخي.ليكون على بينة من أمره .وما هو قادم عليه.ولا يكون كحاطب ليل أو ماخضِ غثّ وسمين.هذه هي الحقائق الثمانية التي ينبغي أن تدرك لئلا نقع في متاهات وقع فيها الغَير نحن جميعا في استغناء عنها وهنا أتمثل بقول الشاعر الذي يقول :

يا سامعني كون في حكمك عادل واحسن عوني لا اتوجهليش اللوم

وقبل الوصول. إلى تفصيل موضوعات أنساب تلك الفروع والأصول .الخاصة بمنطقتنا السعداوية والدوحة الرقادية .والرقعةالنايلية .والأقاليم الجلفاوية.أذكّرُ نفسي.وكلّ قاصر مثلي بملاحظات أربع جدُّ هامة يجب أن تُراعى حقيقتها ويحتفَل بها وهي : ( أولا) أن هناك ألقاباً أي ( انكاوي ) كثيرة ومتنوعة ومتشابهة يمكن الرجوع إليها في مصالح الحالات الخاصة بها في مقرات البلديات وهي ليست من موضوع كتابي هذا لتشعبها وتفرعها كما ألمحت إلى ذلك سابقا وكماسأذكره لاحقا (ثانيا) هناك القاب أُبدلت بألقاب أخرى رسميا لظرف او آخر ليس لي بها أي علم وهي متجددة دوما حسب الرغبات والنزعات والنعرات كما يحاول جاهداشباب اليوم لايمكني متابعتها .(ثالثا) هناك مع كل رفقة أذكرها قدسجلت رفق اخرى لظروف اقتضت ذلك لاداعي للخوض في شأنهاوتقليب مواجعها .(رابعا) إطرائي ومدحي لبعض الرفق لايعني. إطلاقا .التعميم ولا خلو الساحة ممن تختلف حاله عن مسير

عرشه وشيمه وقيمه وأخلاقه وهذا في اعتباري شاذ. والشاذ كما هو معلوم لا يقاس عليه. وإنما فقط نسأل له ولنا الهداية والتوفيق. وأمره إلى الله إن شاء أخذه بعدله وإن شاءعفا عنه بفضله وكماقال أحدالحكماء[1] :

إذا غابَ أصلُ المرءِ فاستقرِ فعلَه ... فإنِ دليلَ الفرعِ ينبي عن الأصلِ

فَقد يشهدُ الفعلُ الجميلُ لربه ... كذاكَ مضاءُ الحدِ من شاهد النصلِ

لعمُركِ لا يغني الفتى طيبُ أصلهَ ... وقد خالفَ الآباءَ في القولِ والفعلِ

وللأهمية سأكرّر هذه الملاحظات في مضانها كلما أتيحت لي فرصة على رغم مافي بعض ذلك التكرار من ملل. وذلك لأسباب أربع وهي : (الأولى) لأرسّخ في حافظة القارئ فهم تلك الملاحظات ودلالة معنى هاذيكم الواردات .(الثانية) لأعفي نفسي من شر المزالق والمهالك المترتبة عن ذكر ما قد يلتبس على الفهم إدراكه .(الثالثة) لأتفادى ما قد ينتقدني به أحد ممن لا معرفة لهم بموضوعات الأنساب والمسالك .ثم أقول كما قال الأوائل:

يا من غدا ناظرا فيما كتبت ومن ... أضحى يردد فيما قلته النظرا

سألتك بالله إن عاينت لي خطأ ... فاستر عليّ فخير الناس من سترا[2]

هذا وأسألُ الله منزل الآيات البينات. ومعجز الكائنات. أن يقبلنا برحمته. ويعفو عنا بمغفرته. وأن يوفق الجميع للصواب. وان يتقبل مني ذا الكتاب. بأحسن قبول وأجزل جزاء، يوم الوفود واللقاء، إنه على مايشاء قدير. وبالإجابة جدير. وصلى الله وسلم وبارك على كامل النور. سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البدور. والحمد لله رب العالمين.

## فوائد التأليف والتصنيف

إن التأليف كما قال العلماء على سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها، وهي : إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه .أو شيء ناقص يتممه .أو شيء مغلق يشرحه .أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه .أو شيء متفرق يجمعه. أو شيء مختلط يرتبه. أو

---

1 للمزيد من البحث .راجع كتب الادب ومنها خزينة الأدب وجواهر الأدب والمستطرف

2 البيتان لأحد القدامى رحمه الله تعالى .

شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه. وينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد: استنباط شيء كان معضلا، أو جمعه إن كان مفرقا، أو شرحه إن كان غامضا، أو حسن نظم وتأليف أو إسقاط حشو وتطويل. ويشترط في التأليف إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله من غير زيادة ولا نقص وهجر اللفظ الغريب وأنواع المجاز اللهم إلا في الرمز. والاحتراز عن إدخال علم في علم آخر وعن الاحتجاج بما يتوقف بيانه على المحتج به عليه لئلا يلزم الدور. وزاد المتأخرون اشتراط حسن الترتيب ووجازة اللفظ ووضوح الدلالة وينبغي أن يكون مسوقا على حسب إدراك أهل الزمان وبمقتضى ما تدعوهم إليه الحاجة فمتى كانت الخواطر ثاقبة والإفهام للمراد من الكتب متناولة قام الاختصار لها مقام الإكثار وأغنت بالتلويح عن التصريح وإلا فلا بد من كشف وبيان وإيضاح وبرهان ينبه الذاهل، ويوقظ الغافل ( قلت ) وحظ كتابي هذا من تلك الأقسام يتمثل في ثلاثة مناطات وهي (1) اختراع موضوع بأسلوب لم يوجد له مثل في المنطقة (2 ) إتمام ما قد ألف في مناطق أخرى (3) شرح وإدراج ما به حاجة الناس في هذه النواحي. وهنا أقول لقارئ الكريم ما قاله الحكيم :

ماتمدحني حتان انجرب غيري ومن بعد العِشرا اتبان الناس[3]

## التعريف بالكتاب

قد جرت عادة المصنفين بأن يذكروا في صدر كل كتاب تراجم ثمانية لتعرب عنه سموها الرؤوس وهي ( أولا ) الغرض وهو الغاية السابقة في الوهم المتأخرة في الفعل (ثانيا) المنفعة المشوّقة للطبع (ثالثا) العنوان الدال بالإجمال على ما يأتي تفصيله وقد يكون بالتسمية وقد يكون بألفاظ وعبارات تسمى براعة استهلال (رابعا) الواضع له لمعرفة قدره (خامسا) الموضوع وهو نوع العلم لتعلم مرتبته وقد يكون الكتاب مشتملا على نوع من العلوم وقد يكون جزءا من أجزائه وقد يكون مدخلا ( سادسا) مرتبة ذلك الكتاب أي متى يجب أن يقرأ (سابعا) الترتيب وهو معرفة رتبة إيراده (ثامنا) التعليم المستعمل فيه وهو بيان الطريق المسلوك

[3]– هذا البيت تمثل به الشيخ عامر محفوظي ليلة الإثنين 22 أفريل 2006 بعد صلاة المغرب في بيت الحاج الجديد دراري بحي بن اربيح / الحلفة

في تحصيل الغاية منه.وعليه ولو أني لا أعتبر كتابي هذا مصنفا فـ ( الغرض ) من هذا الكتاب هو ذكر ( نبذة من مناقب وتراث ونسب بعض الانساب الخاصة باولاد سيدي نايل ومن هم بجوارهم فقط دون غيرهم .( والمنفعة منه ) هي تصنيفه ليكون للنشء عونا على صلة الأرحام.ومعرفة ذوي الإنعام. ( وعنوانه ) كما هو على غلافه يدل دلالة واضحة على محتواه ومبناه .( والواضع له) كتأليف هو مؤلفه الميلود قويسم بن الهدار شخصيا بعد أن جمع مادته من موارد مختلفة في مدة تفوق العشرين سنة.( وموضوعه ) الوارد فيه هو إيراد ما أمكنني ترجمته من انساب مَن حلوا بالمنطقة ومن جاوروها دون سواهم .( ومرتبة الكتاب) هي الأولي بالنسبة للمنطقة السعداوية لاغيرها وذلك من ناحية التأليف والوضع والمبادرة والاحتواء.( وترتيبه ) هو ذكر الأنساب مرتبةً بداية من الأصول الأولى وانتهاء بالفروع المعاصرة إلى زمن المؤلف ( والترتيب المستعمل فيه ) هو بلا شك سرد التراجم والأنساب أولا فأولا مشفعة بإيراد نصوص عامة لإفادة القارئ بالنَسب والتقاليدوالعادات واللهجة المحلية.وهنا أكرر الاعتذار لأهل الاحتساب.عما قد يرد في هذا الكتاب.من إغفال فيه.أو خطإٍ يعرفه النبيه.والناس مصدقون في أنسابهم.نفعني الله بهم والرجاء ممن لهم خبرة واهتمام بهذا الموضوع أن يوافوني بذكر أنسابهم التي لا عمدا أكون قد هفوت عنها .أولم اطلع على معلوماتها . لأدرجها في ( كتابي الآخر ) الذي اعزم على تاليفه اذا وفقني ربي وهو لازال فكرة تخامرني وإيحاءات تلاحقني ولو ان بداية رؤوس عناصره موجودة.والحقَّ اقول : ان العمل في كلا الكتابين شاق وشائك لا يقدر أحد على تحقيقه وتمحيصه إلا بمعونة ربانية ومصادر موثقة ومجهود جماعي. هذا وأسال الله أن يحقق المراد . ويحفظ الجميع من كل خطإ أو فساد .إنه الرب الجوَّاد .

## توزيع الكتاب

إن كتاب ( التحقيق المتكامل ) بأجزائه الأربعة. يتضمن جملة من المقدمات.وعدة ملاحظات و ثمانية وعشرين كتابا كل كتاب يتضمن عدة فصول .كل فصل يتضمن عدة أبواب. تتبع ذلك خاتمة حسنة وتقاريظ مستحسنة.وردت على المؤلف من مشايخ

علماء . وأساتذة حكماء .وإطارات نبلاء .أفادوها بها تشجيعا لـه على البحث والمتابعة والاسترسال في الكتابات الهادفة و تلك الموضوعات كلها( مقدمات وكتبا و فصولا وأبوابا وتقاريظ ) ستأتي بإذن الله مفصلة ومنظمة في الأجزاء الأربعة بأسلوب سلس. وبطريقة بديعة سهلة. تحتوي معلومات نسبية. ونصوصا تراثية معتمدة واقتباسات مرونقة . منقولة من مراجع موثقة .ومن ذاكرات حافظة لاتكل ولا تنسى .ومع ذلك فالكمال لله الواحد الأحد .وللإفادة والاستفادة بإمكان القارئ الكريم أن يتعرف على صُوَرِ بعض الشخصيات الواردة أثناء هذا الكتاب في كتابي (بُغية الوصال في معرفة صور بَعض الرجال) وهو أيضا جاهز للطبع وله نفاسة جهوية لا تقل عن هذا الكتاب ولا عن كتابي ( المنتخب الكافي )الذي سيطبع في القريب العاجل إن شاء الله تعالى.

## مصادر الكتاب

بما أن كل مؤلَّف لابد لمؤلفه من مراجع يعتمدعليها .ومصادريقتبس منها .لتكون محتوياته معتمدة ومعلوماته مستندةً .وعليه وليكون القبول المستطاب.هاهي ذي مراجع ذا الكتاب[4] أذكر منها هنا ما يسعني ذكره للتبرك.وللأمانة أقول إني ولو أدرجتها كمراجع فإني اختلف مع بعضها في معلومات معينة .إذ أني لا آخذ إلا عمن سمعت منهم من محققي منطقتنا .ومن مدونات أئمتنا وتلكم المراجع هي : تفسيرالقرآن للامام ابن كثير وتفسيرالقرآن للامام الخازن وتفسير المنار للشيخ رضا وتفسير الدر المنثور للامام السيوطي والجامع للامام القرطبي والترغيب والترهيب للامام المنذري والتمهيد للامام ابن عبدالبر وفتح الباري للامام ابن حجر وبدائع الصائغ للامام الكاساني ونيل الاوطار للامام الشوكاني والحجة البالغة للامام الدهلوي وقلائد الجمان للامام القلقشندي والمنتظم للامام ابن الجوزي والتاريخ للامام الطبري وسير اعلام النبلاء للامام الذهبي والتذكرة للامام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للامام السيوطي والبداية والنهاية للامام ابن كثير والروض الانف للامام السهيلي والسيرة النبوية للامامين ابن اسحاق وابن هشام وفقه السيرة للشيخ البوطي وفقه السيرة للشيخ الغزالي ومعالم في الطريق للأستاذ قطب

[4] أعني بالمراجع المراجع المكتوبة والمخطوطة والمسموعة والذاكرة الشعبية الشفوية.

والعقيدة للإمام الطحاوي والمستطرف للامام الابشيهي والمدهش للإمام السيوطي وتهذيب هداية الحيارى للإمام ابن القيم والإستقصا للشيخ الناصري والبحرالزخار للامام الشوكاني وصيد الكتب للاستاذ الشيهوب والفصل للامام ابن حزم والحلبية للامام الحلبي والعقد الفريدللامام ابن عبدربه والجمهرة للإمام الحموي والرسم في النسب الإدريسي للشيخ أفندي وسلسلة الاصول للقاضي حشلاف وقصص الانبياء للشيخ النجار وظهور الاسلام للشيخ بخيت وكنزالانوار للشيخ ابن الهدار والمقتطف للشيخ عبدالقادربن ابراهيم والإباضية في موكب التاريخ للاستاذ معمري والطبقات للشيخ الدّرجيني والفتاوى للشيخ الوادعي ونسخة الشجرة للبلدية والتقييد النسب للقس ديفيلاري افراسوا المدعو عبد الرحمن ومروج الذهب للامام المسعودي والتاريخ للامام ابن خلدون والمقدمة للامام بن خلدون ووصية الولدين للامام الباجي والمغني للامام المقدسي والأذكياء للإمام ابن الجوزي وقصص الانبياء للامام العاملي والمنجدللاب معلوف والمعجم الاساسي للاساتذة والرائد للأستاذ مسعود والموسوعة العربية لشركة العريس وبرنامج مفاهيم للحاسوب وتقييدالشجرة للشيخ بن عيسى الهدار وتاريخ الآداب للاستاذ زيدان والفخري للامام طباطبا و نيل الابتهاج للشيخ بابا التمبكتي و موسوعة التاريخ الإسلامي للأستاذ أحمد ونزهة المشتاق للإمام الإدريسي والمغرب للإمام البكري وموسوعة التاريخ الإسلامي للحاسوب وجواهر الادب للأستاذ الهاشمي وتعطير الأكوان للشيخ محمدالصغير والتأريخ للشيخ اليعقوبي ونفح الطيب للشيخ المقري وصيف في الصحراءللرحالة الفرنسي والمولد النبوي للشيخ البرزنجي ومنحة الحنان للشيخ الديسي وشجرة سيدي نايل للشيخ سي عطية وارشاد الانام للشيخ عبدالقادر الشطي وباقات للشيخ سي عطيه ونافذة للاستاذ يحيى مسعودي وتحفة السائل للشيخ عامر وهدية المعارف للشيخ الميلود شريط واملاء الحاج محمد بن ملاك واملاء الحاج العربي بن الهدار وإفادة السيد المصفى عموري بن المبخوت وإفادة الحاج محمد عموري بن اعمُر واملاء الحاج محمد رينوبة واملاء الشيخ بن حمزة تنوم واملاء الحاج قويدر بن عيسى وتسجيل الحاج النعوم بن الهدار واملاء الشيخ منادالفويرح واملاء الحاج احمد كريوع واملاء الحاج المصفى بن امعمر واملاء الحاج بن

ضيف الله بن ساعد واملاء الحاج عمارة بن اعبير واملاء محمدالكشه بن البشير واملاء الحاج عبدالهادي صحراء بن احمد واملاء العسكري احمد بوحمله و املاء الحاج بلقاسم بن الهدار وتقييدالشيخ احمدبن احفاف واملاء الزهدي بن حوه الصحراوي وإفادة الحاج بلعباس دلوله واملاءالسيدبن الطاهر تاوتي بن عبدالرحمن وإفادة الحاج المصفى حلفاوي وتقييد السيدبلخيرالاشهبي بن محمد واملاء الحاج البشير بن مودد واملاء الحاج سليمان بن بوعلافة وتقييد الحاج العياشي بن دراح واملاء السيدالمبخوت حلاسة وتقييدالحاج البشير اباح بن عطيه وافادة الشيخ الحاج بوبكر رينوبه وافادة الشيخ محمدطويرالقحطاني وافادة الحاج علي معيلبي بن سالم ومساهمة الاخ المسعود الداي وإفادة الشيخ السعيد بن سليمان واملاءالسيد يحى الكورديني المقني وافادة الاستاذمنصور مرسلي ومساعدة الحسن قويسم وافادة الحاج محمد بلطرش وافادة الحاج البشير بن زاهية وافادة السيداحمدالاحرش تومي وافادة الحاج علي بودربالة و افادة الاستاذ المسعود حريزي ومساعدة الاستاذ بن قرينه ثامربن عماره ومساعدة فطينة ومباركة صبرين ومساعدة الحاج عيسى طوير بن مفتاح وافادة الحاج بن احمدمحمدبن عطية وتقييد الحاج بوالارباح عريشة وإفادة الشيخ الطيب خرخاش واملاء الحاج فرحات دهاس واملاء الحاج المصفى حلاسه بن احمد واملاء الحاج السعيد مياح واملاء الامام علي بالسعود وافادة الشيخ محمد بالسعود ومساهمة الحاج عبد القادرعقوني ومساعدة الاستاذ المحمدعمار ومساعي الحاج البشير تريش وتنبيه السيد العيد جابري ومساعدة محمد أحمد قويسم ومحاولة الحاج احمدالتجاني قريشي وافادة السيد على طوير بن الجديد وترجمة الاستاذ صلاح الدين كاس بن البخيتي وافادة السيدقويدر بوعلاقة بن المحمد وافادة الشيخ السعدي سليم وافادة الشيخ سعد العقون ومساعدة السيد الطاهر الأحرش بن علي بن احمامه وافادة الحاج عبد المجيد بوزيدي بن عطاالله وإفادة الشيخ زيان ابديرينه وإفادة السيد الاخضر حساني ومساعدة أحمد قويسم وافادة الشيخ بلقاسم طالبي ومساعدة الحاج مصطفى مكوري ومساعدة السيدمحمدتريش بن احمد وإفادة الحاج البشير عرابه بن المختاروافادة الحاج ساعدعرابة بن الطالب وإفادة السيد بلقاسم افقير بن قدور ومعاونة نعيم قويسم وافادة

الاستاذعبد الباقي بلحور ومساعدة السيد ابراهيم عبد الالي بن امحمد وإفادة الشيخ الجابري سالت وافادة الحاج عبد الله مزوز بن الحران وافادة الحاج السعيدبن النعوم وإفادة الحاج قويدر بن احمد مقراني وافادة الاخ العلمي بن هوره وافادة السيد موسى بن يطو وإفادة الشيخ عيسى درماش وافادة الحاج مناد بن بريكة ومساعدة عبد الرزاق قويسم وإفادة الحاج عطية بشيري وإفادة الحاج على جعلاب وإفادة الحاج عبد القادر النوراني وإفادة الحاج سليمان النوراني وافادة الحاج عمر الاشهبي بن ابراهيم ومساعدة السيد بن الاحرش احمدبن ابراهيم وإفادة الحاج المبارك البخيتي وإفادة الشيخ امحمد شاربي بن العقون ابن علي وإفادة الشيخ المسعود بن الصالح العيفاوي وإفادة الشيخ الطيب اسعيّدوإفادة السيد محمد بن النعوم بن الهدار وإفادة الحاج بلقاسم العمراوي و إفادة الحاج الجديد دراري وإفادة السيدعيسى بن دراح وإفادة البركة عويشة بنت بلقاسم وبرنامج المحدث لجمع ابي النور وموسوعة الشعر للحاسوب والسيرة النبوية للحاسوب إلى ءاخرما ورد في مضامين وهوامش الكتاب .وهذا غيض من فيض.وأسأل الله واهب المنن كما قال شيخناسيدي محمد بن احمد بلقايد التلمساني أن يرحمنا بالمرحوم فينا .إنه على ما يشاء قدير.وبالإجابة جدير. ولا حول ولا قوة الا به سبحانه هو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت وإليه أنيب.

## كتابات مجحفة

في العقود الأخيرة من القرن العشرين الميلادي الفارط خَرجت علينا كتابات خاطئة غير تخصصية[5] أرخت لأبناء منطقة الجلفة أُجحف فيها جانب ( أولاد ساعد بن سالم ) إجحافا شديدا وشوهت انسابهم .وزيد فيها وأخر وأضيف إليها غيرهم واخرج منها من هو منهم او معهم لعدم استقصاء كتبتها الحقائق من مصادرها المعتمدة.ومواردها المستندة .واعتمادهم فقط على القال والقيل والتخمين وما نقله النُساخ غير المهرة أو الرهبان المبشرون أو كتبته الجرائد المزجاة .وهذا لا يشرف أولئك الكتبة الذين أقحموا أنفسهم في متاهات التأريخ خصوصا وأن أمانة الكتابة المنوطة بهم تأبى عليهم أن يُدرجوا تلك السفاسف على

[5] أعني بها الكتابات التي تناولت أنساب المنطقة ولم تعرج على أولاد ساعد بن سالم أو عرّجت عليهم ولم تكن مستمدة معلوماتها من تراث المنطقة الأصيل

السنتهم فضلا عن اقلامهم والتي ستبقى كتابتها شاهدة عليهم بالتاثر والتعثر ، وإلا فإن ( أولاد ساعد بن سالم ومن معهم ) لهم تاريخهم التليد الاصيل المكتوب والمسموع المحفوظ في الصدور .والمكتوب في السطور .الأمر الذي بفضله لا يضرهم غيرُه من الترهات المهلهة الواهية .وللعلم فقد جرت مناوشات كلامية بين الشيخ عبد القادر بن إبراهيم الطعبي وبين الأستاذ أحمد توفيق المدني حول تلكم الكتابات الخاطئة وقد كانت الغلبة فيها للشيخ عبد القادر بن إبراهيم ولولا تدخل أفراد من جمعية العلماء لأفضى الموضوع إلى مالا تحمد عاقبته علميا وشعبيا وقد نشرت تلكم المناوشات في الجرائد والمجلات المحلية آنذاك .كما جرت واقعة بين الشيخ عبد القادر هذا وبين القاضي حشلاف في نفس الموضوع وكان النصر فيها للشيخ عبد القادر ( أقول ) وعليه وتفاديا لأي التباس أو انعكاس وارد ممن لا علاقة لهم بموضوعنا فإني سأؤرخ لأناسي الأطهار .وجماعتي الأخيار .بفضل ذي الجود .وما تركه لنا الآباء والجدود .من علم مسموع ومكتوب .محقق وموثوق .أقول لكل متطفل على ربع بني سعد(هذا ليس بعشك فادرجي ) أقول له كما قال الشاعر الفرزدق [6]:

| | |
|---|---|
| أو لئك ءابا ئي فجئني بمثلهم | إذا جمعتنايد ( جرير)ا لجامع |

وهذا البيت كما هو معلوم من قصيدة طويلة رائعة شيقة منافحة يفاخر فيها الشاعر الفرزدق الشاعرَ جريرا وهي كما في الديوان بنصها الكامل يقول فيها :

قصيدة الفرزدق

| | |
|---|---|
| منّا الّذي اخْتيرَ الرّجالَ سَماحَةً | وَخَيرا إذا هَبّ الرّياحُ الزّعَازِعُ |
| وَمنّا الّذي أعْطى الرّسُولُ عَطيّةً | أُسارَى تَميم، وَالعُيُونُ دَوَامِعُ |
| وَمَنّا الذي يُعطي المئِينَ وَيَشتري الـ | ـغوَالِي، وَيَعْلُو فَضْلُهُ مَنْ يُدافِعُ |
| وَمَنّا خَطيبٌ لا يُعابُ، | وَحامل أغرِّإذا التَفّتْ عَليه المجَامعُ |
| وَمَنّا الّذي أحْيَا الوَئِيدَ وَغالبٌ وَعَمْروٌ | وَمَنّا حاجبٌ وَالأقارِعُ |
| وَمَنّا غداةَ الرَّوْعِ فتْيانُ غارَةٍ | إذَا مَتَعَتْ تحتَ الزّجاجِ الأشاجعُ |

6 راجع القصيدة في كتاب النقائض

وَمنّا الّذي قادَ الجيادَ عَلى الوَجَا  لنَجْرانَ حَتى صَبّحَتْها النّزائعُ
أُولَئكَ آبائي، فَجِئني بمِثلِهِمْ  إذا جَمَعَتنا يا جَريرُ المَجَامعُ
نمَوْني فأشْرَفتُ العَلايَةَ فَوقكُمْ  بُحُورٌ، وَمنّا حَامِلونَ وَدافعُ
بهِمْ أعْتَلي مَا حَمّلَتْني مُجاشعٌ  وَأصْرَعُ أقرَاني الّذينَ أُصَارِعُ
فَيا عَجَبي حَتّى كُلَيبٌ تَسُبّني  كأنّ أبَاهَا نَهْشَلٌ أوْ مُجَاشعُ
أتَفْخَرُ أنْ دَقّتْ كُلَيْبٌ بنَهْشَلٍ  وَمَا مِنْ كُلَيبٍ نَهْشَلٌ وَالرّبائعُ
وَلَكِنْ هُما عَمّايَ مِن آلِ مَالكٍ  فأقْعِ فقَدْ سُدّتْ عَلَيكَ المَطالِعُ
فإنّكَ إلاّ مَا اعتَصَمْتَ بنَهْشَلٍ  لمُسْتَضْعَفٌ يا ابنَ المَرَاغَةِ ضَائعُ
إذا أنتَ يا ابنَ الكَلْبِ ألقَتْكَ نهشلٌ  ولَمْ تكُ في حلف فما أنتَ صَانعُ
ألا تَسألُونَ النّاسَ عَنّا وَعَنكُمُ  إذا عُظّمَتْ عندَ الأمور الصّنائعُ
تعَالَوْا، فعُدّوا، يَعلَمِ النّاسُ أيّنا  لصَاحبِه في أوّلِ الدّهْرِ تَابعُ
وَأيُّ القَبيلَينِ الّذي في بُيُوتهِمْ  عظامُ المَساعي وَاللُّهَى وَالدّسائعُ
وَأينَ تُقَضّي المالكانِ أُمُورَهَا  بحَقٍّ، وَأينَ الخافقاتُ اللوَامعُ
وَأينَ الوُجُوهُ الوَاضحاتُ عَشيّةً على الباب  وَالأيدي الطِّوَالُ النّوافعُ
تَنَحَّ عَنِ البَطحاءِ، إنّ قَديمَها  لنا، وَالجبالُ البَاذخاتُ الفَوارِعُ
أخَذنا بآفاقِ السّمَاءِ عَلَيْكُمُ  لَنَا قَمَرَاهَا وَالنّجُومُ الطّوَالعُ
لَنا مُقْرَمٌ يَعْلُو القُرُومَ هَديرُهُ  بَذخٌ، كُلُّ فَحْلٍ دونَهُ مُتوَاضِعُ
هَوى الخطفى لمّا اختَطفتُ دماغَه  كما اختَطَفَ البَازي الخَشاش
أتَعْدِلُ أحْسَاباً لِئاماً أدِقّةً  المُقارِعُ بأحْسابِنا إنّي إلى الله رَاجعُ
وَكُنّا إذا الجَبّارُ صَعّرَ خَدّهُ  ضَرَبْنَاهُ حَتى تَستَقيمَ الأخادعُ
وَنَحْنُ جَعَلْنا لابنِ طَيْبَةَ حكمَهُ  منَ الرّمْحِ إذ نَقعُ السّنابك ساطعُ
وَكُلُّ فطيمٍ يَنْتَهي لفطامِه  وَكُلُّ كُلَيْبيٍّ وَإنْ شابَ رَاضعُ
تَزيدُ يَرْبُوعٌ بهِمْ في عِدادهمْ  كما زِيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكارِعُ

إذا قيــلَ: أيُّ النّــاس شَــرٌّ قَبيلَــةً أشــارَتْ كُلَيْـبٌ بـالأكُفّ الأصَـابعُ

ولم تمنَعُــوا يَــوْمَ الهُــذَيلِ بَنَــاتِكُمْ بَني الكَلب، وَالحامي الحَقيقَة مانعُ

غَداةَ أتَتْ خَيلُ الهُذَيلِ ورَاءكُمْ وَسُدّتْ عَلَــيكُمْ مــن إرَابَ المَطــالعُ

بَكَــيْنَ إلَــيْكُمْ، وَالرِّمَــاحُ كأنّهــا معَ القَوْمِ أشطانُ الجُرُورِ النّوازِعُ

دَعَـتْ بـال يَرْبُوعٍ، وَقَد حـال دونهـا صُـدُورُ العَـوَالي وَالـذُّكورُ القَوَاطعُ

فَـأيَّ لحَـاقٍ تَنْظُـرُونَ، وَقَـدْ أتَـى على أُمُلِ الدَّهْنا النّسَاءُ الرّوَاضعُ

وَهُــنّ رُدافَــى، يَلتفِــتْنَ إلَــيكُمُ لأسْـوُقها خَلْـفَ الرّجـال قَعـاقعُ

بِعَــيطٍ إذا مَالَــتْ بِهِــنّ خَميلَــةٌ مَرَى عَبَرَات الشّوْق منها المَدامعُ

تَــرَى للكُلَيْبيّــات، وَسْــطَ بُيُــوتهمْ وُجُــوهَ إمــاءٍ لم تَــصُنْها البَرَاقــعُ

أظُــنّ رجَــالَ الــدّرْهَمَينِ تَــسُوقُهُمْ إلى قَــدَرٍ، آجَــالُهُمْ وَمَــصَارِعُ

وَأحْــزَمُهُمْ مَــنْ قَــرّ في قَعْــرِ بَيْتِــه وَأيْقَــنَ أنَّ العَــزْمَ لا بُــدّ وَاقــعُ

ثم أقول لقرائي ولكل عاقل ملتزم خذوا العلم من مضانه .والحق من مواضعه .وإياكم إياكم من تلكم الكتابات.غير الموثقة فإنها قاطعة للأرحام مضللة للا نام. خصوصا وقد يطلع عليها ( قبل سبر الآراء حولها) من لادراية لهم بهذه المتاهات فيَضلون بمضمونها ويُضلون أُناسي كُثيرة وقديما قيل:

فالنــاس لم يــصنفوا في العلـــم لكــي يـصيـر وا هدفـا للـــذم

الا رجــــاء لثــــواب الاجــــــر وا لـدعــوا ت و جميــل الـذ كـر

و الله عنـد قـو ل كــل قـا ئـــل وذوا الحـجا مـن نفسه في شاغـل

واســال الله صــلاح الحــــــال لي و لـكم والـفـو ز في ا لـمــآل

( قلت ) ولماذا نرى الناس يتهافتون على كتابات الرهبان المكيدين للإسلام والمسلمين أو كتابات المخرفين التائهين.ولماذا لايراجعون كتابات علمائهم ومشايخهم وشعرائهم ومؤرخيهم من مثل الشيخ عبد القادر بن إبراهيم والشيخ عبد الرحمن بن الطاهر والشيخ السعيدبن عبد

السلام والشيخ محمدالديسي والشيخ عاشور الخنقي والشيخ محمد حشلاف والشيخ بلخير بن دهاس والشيخ محمد الراس والشيخ سي عطية مسعودي والشيخ عامر محفوظي والشيخ عبد القادر الشطي والشيخ البشير ضيف والشيخ سي بن عيسى بن الهدار وأنا( الميلود قويسم بن الهدار ) أيضامن أتباع ذلك الرعيل- و تحدثا بنعمة الله علي - أنني قد جمعت الكثير من الفوائد والدرر .لماذا لماذا أم هي الإستهانة والإستغناء.

مجدُ الأصولِ عزيزٌ ما سَهِرتَ على حفظ الأصول، فإن ضيعتم هانا
فلا تقولنَ يَـــومَ الفخرِ كان أبي حـــَتى يراكَ بَنو الدنيا كما كانَا

وهنا إنصافا للحق تجدر الإشارة إلى أمرين اثنين هامين وهما : ( الأول ) أن هذه الكتابات الأخيرة ولو كانت محلية ولو كانت من إنشاء مشايخ من المنطقة كما ذكرنا وهم ( على الراس والعين ) فلابد من تمحيصها ومتابعتها حيث أنهم هم أيضا لم يتحروا الدقة اللازمة بل اكتفوا بما قيل ( الثاني ) أن الباحث الجدّ لابد له من مطالعة جميع مدونات أبناء القوم ومقارنتها بعضها البعض ليلم بالموضوع حيث أنهم لما كتبوا كتبوا باقات موضوعية محدودة الزمان والمكان والمنوال وكأنهم أخذوا فيها فقط من كل بستان زهرة كما يقال ( قلت ) وبالمناسبة تحضرني هنا قصة قال فيها أبوبكر الهذلي لقدسايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوى الفلاة وعليه جبة حمراء وعمامة عدنية وفي يده سوط يكاد يمس الأرض فلما رآه المنصور أمرني بإحضاره فدعوته وسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه ما رأى منه فقال له المنصور أنشدني شعرا فأنشده شعر الأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله :

إن الأمور إذا أوردتها صـــــدرت إن الأمور لها ورد وإصـــــدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقروا له بهذه

الخلال فقال له والله يا أخا بني تميم لقد أحسنت إذ وصفت صاحبك ولكني أحق ببيته منه

( قلت ) وهنا أيضا تحضرني أبيات قالها شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفه[7] ونصها هو:

| | |
|---|---|
| قف حيث شعبك مهما كان موقفه | أو لا فإنـك عـضو منـه منحـسم |
| تقول أضحى شتيت الرأي منقسما | وأنـت عنـه شـتيت الـرأي منقـسم |
| فكن مع الشعب في قول وفي عمل | إن كنـت بالرجـل الـشعبي تتـسم |
| ولا يرقـك شـفيف الـذات مائعها | كالمـاء فيـه وجـوه النـاس ترتـسم |
| أعـدى عـدى القـوم مـن يُعـزى لهـم نـسبا | ويسمع القدح فيهم وهو يبـــــتسم |

هذا ما أقوله وأتأوله وأستنبطه. وهذا ما أورده وأختاره وأتخرصه. وهذا ما أدلي به وأتحينه وأعتقده ولست منافسا فيه لأي أحد ولا أبتغي من وراء ذكره إلا تقييد ما يمكن تقييده. عالما في قرارة نفسي أنه كما قال أبو العلا المعري رحمه الله تعالى[8]

| | |
|---|---|
| إذا مـا الأصـلُ أُلفـي غـيرَ زاك | فمـا تزكـو مَـدى الـدهر الفـروعُ |
| وليـــس يــوا فــقُ ابنُ أبٍ وأمٍّ | أخـاه فكيـــفَ تتفــقُ الـشروعُ |

## التحذير من السرقة والإختلاس

أُحذّر هنا من مغبة أولئك السفلة الأراذل الذين ( يسرقون ) كتابة الآخرين وينسبونها لأنفسهم غافلين عن جُرم السرقة والاختلاس والقطرسة الفكرية .ناسين حقوق المؤلف التي يضمنها له الشرع والعقل والقانون .متجاهلين أن من نسب قولا إلى غير قائله كان كمن نسب فرعا إلى غير أصله ( قلت) وقد جاء في كتاب الصناعتين قول مؤلفه : ومن أخفى أسباب السرقة أن يأخذ أحدهم معنى من نظم فيورده في نثر أو من نثر فيورده في نظم ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر فيجعله في مديح أو في مديح فينقله إلى وصف إلا أنه لا يصل لهذا إلا المحترف وقال في المثل السائر أشكل سرقات المعاني وأدقها وأغربها وأبعدها مذهبا أن يؤخذ

---
7 راجع ديوان الشيخ محمد العيد آل خليفة الجزائري

8 راجع ديوان اللزوميات للمعري وكذا الموسوعة الشعرية للحاسوب

المعنى مجردا من اللفظ .قال وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتي إلا قليلا ولا يتفطن له ويستخرجه من الأشعار إلا بعض الخواطر دون بعض فمن ذلك قول أبي تمام في المدح :

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

أخذه من قول عروة بن الورد أحد شعراء الحماسة حيث قال :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح

( قلت ) والسرقة بجميع أشكالها مادية كانت أو معنوية .جريمة لا تغتفر .وخسيسة لا تأتمن .لا يتعامل بها إلا الضعاف ذوو النيات السيئة .والطوايا الخبيثة .وكما قال المعري رحمه الله تعالى :

ما ركبَ الخائنُ في فعله أقبحَ مما ركبَ السارقُ

هذي طباعُ الناس معروفة فخالطوا العالَمَ أو فارقو

وهنا وبكل حماسة أهيب بكل غيور أن يردَّ عني كيد أولئك الأشرار الأوباش الأغرار بقوة الحجة والدليل والبيان .أو بقوة الردع والقانونٍ والسلطان .

أخلقْ بمن رضي الخيانة شيمة أن لا يُرى إلا صريعَ حوادث

ما زلت الأرزاءُ تلحقُ بؤسها أبداً يغادر ذمة أو ناكثَ

قال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة رحمه الله تعالى ورضيَ عنه ولم يخرج عما نحن فيه من التورية

إن ابن أبيك لم تزل سرقاته تأتي بكل قبيحة وقبيح

نسب المعاني في النسيم لنفسه جهلا فراح كلامه في الريح

وليعلم كلّ منا علم اليقين .الذي لاشك فيه ولا مين .أن عبد الدنيا مهما طال عمره واستمر أمده فإنه كما يقول المثل ( لا محالة زائل ) ولا يبقى منه إلا عمله الذي سيلقى الله به .ويا ويحه لو لقي الله بعمل مكذوب .وقول مسلوب .وعرض مشوب. قال الإمام الرضى رحمه الله تعالى:

المرءُ يجمعُ والدنيا مفرقةٌ والعمرُ يذهبُ والأيامُ تختلسُ

| | |
|---|---|
| ونحنُ نخبِطُ في ظلمـاءَ ليس بهـا | بدرٌ يضيءُ ولا نجمٌ ولاقَبَـــسٌ |
| فكم نرتقُ خرقاً ليـسٍ مرتــقـاً | فيها ونحْرسُ شيئاً ليس يَنْحرسُ |
| وكم نذل وفينا كـــل ذي أَنَـف | ونستكينُ وفينا العزُّ والشـوَسُ |
| وكيفَ يَرْضى لبيبٌ أن يكــونَ لهُ | ثوبٌ نقيٌ وعرضٌ دونــه دنسُ |
| أم كيفَ يطبقُ يوماً جفنُ ذي دَنَس | وخَلفهُ فاغرٌ للموت مُفْتَـــرِسُ |

## الإقتباس

وما ذكرناه في السرقة والإختلاس والتبني يخالف الإقتباس إذ الاقتباس كما قال الإمام الحموي في كتابه خزانة الأدب.هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو حديث أو غيرهما .( قال)و الاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود . فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي ونحو ذلك .والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص .والثالث على ضربين. أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقّع على مطالعة فيها شكاية من عماله ( إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم ) والآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك كقول القائل :

| | |
|---|---|
| أوحى إلى عشاقه طرفه | هيهات هيهات لما توعدون |
| وردفه ينطق من خــلفه | لمثل ذا فليعمل العامــلون |

( قال ) واعلم أن الاقتباس على نوعين . نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه كقول الحريري ( فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فأغرب ) فإن الحريري كنى به عن شدة القرب وكذلك هو في الآية الشريفة ونوع يخرج به المقتبس عن معناه كقول ابن الرومي :

| | |
|---|---|
| لئن أخطأت في مدحيك | ما أخطأت في منــــعي |
| لقد أنزلت حــاجاتي | بواد غــــير ذي زرع |

فإن الشاعر كنى به عن الرجل الذي لا يرجى نفعه والمراد به في الآية الكريمة أرض مكة شرفها الله وعظمها .ثم اعلم أنه يجوز أن يغير لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان أو تقديم أو

تأخير أو إبدال الظاهر من المضمر أو غير ذلك فالزيادة وإبدال الظاهر من المضمر كقول الشاعر :

كان الذي خفت أن يكونا إنا إلى الله راجـــعونا

فزاد الألف في راجعون على جهة الإشباع وأتى بالظاهر مكان المضمر في قوله إنا إلى الله ومراده آية التعزية في المصيبة وهي قوله تعالى ( إنا لله وإنا إليه راجعون ) والنقصان ما تقدم من قول الحريري ( فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب ) فإنه أسقط لفظة هو إذ الآية الكريمة لفظها ( كلمح البصر أو هو أقرب ) والتقديم والتأخير كقول الشاعر :

قال لي إن رقيـــــبي سيء الخلق فـــداره
قلـــت دعني وجهك الجنة حـــفت بالمكاره

( قال ) و قد تقدم أن الإجماع على جواز الاقتباس من القرآن ومنهم من عد المضمن في الكلام من الحديث النبوي اقتباسا وزاد هنا الطيبي في الاقتباس من مسائل الفقه نكتا ( قال ) ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم في الاقتباس عن كونه نفس المقتبس منه ولولا ذلك للزمهم الكفر في لفظ القرآن والنقص منه ولكنهم يأتون به على أنه لفظ القرآن ومن أمثلته الشعرية قول الحماسي .

إذا رمت عنها سلوة قال شــــافع من الحب ميعاد السلو المقابر
سيبقى لها في مضمر الحب والحشا سرائر تبقى يوم تبلى السرائر

ومن لطائف هذا الباب قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في معشوقه المسمى بالنسيم :

إن كانت العشاق من أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم يا ليـــتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

شهادة الزور

بمناسبة ذكر سرقة المعلومات والإختلاس أدرج هنا حكم الزور لنتوقاه جميعا وهو كما قال الشيخ الجزيري في كتابه الفقه على المذاهب الأربعة ( الكبيرة الثامنة ) شهادة الزور وقد

ورد في الصحيح أنها أكبر الكبائر، أما كون شهادة الزور جريمة خلقية شائنة تنافي النظام العمراني، وتفضي إلى الفوضى في كل نواحي الحياة فظاهر لا يخفى على أحد، فهي شر مستطير، يجب على الناس أن ينزهوا عنه أنفسهم تنزيهاً تاماً فقد ذكر العلماء أن شهادة الزور من أكبر الكبائر لأن الله تعالى أمرنا باجتنابها وقرنها بالشرك .والعياذ بالله تعالى .فقال عز وجل: ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور ﴾ أي ابتعدوا عن الرجس الذي هو الأوثان، وابتعدوا عن شهادة الزور، فقرن الله عبادة الأصنام بشهادة الزور كقوله تعالى﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير حق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون ﴾ ومنه شهادة الزور .وروى الإمام أحمد عن أيمن بن خريم أنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ( أيها الناس عدلت شهداة الزور إشراكاً بالله ثلاثاً) ثم قرأ ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ وقال الإمام أحمد عن خريم بن فاتك الأسدي قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال : (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عز وجل) ثم تلا هذه الآية ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاة لله غير مشركين به ﴾ وقال سفيان الثوري عن أبن مسعود أنه قال: تعدل شهادة الزور الإشراك بالله، ثم قرأ هذه الآية.وفي الصحيحين عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت) أي شفقة عليه وكراهية لما يزعجه، وهذا يدل على انقسام الكبائر في عظمها إلى كبير وأكبر، ولا يلزم من كون هذه أكبر الكبائر استواء رتبتها، فإن الإشراك أكبر الذنوب المذكورة، وجلوس النبي صلى الله عليه وسلم بعد اتكائه يشعر باهتمامه بذلك، ويفيد تأكيد تحريمه وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون شهادة الزور أسهل وقوعاً على الناس، والتهاون بها والحامل عليها كثير مثل العدواة والحقد والحسد وغير ذلك

فاحتيج إلى الاهتمام بها وفي رواية ( لاتزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار ) وفي الأثر (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ) والعياذ بالله.

قال عدنان مردم بكٍ

ليس الضـــــــــراوةُ في دم متصبـب ينهل منهـــــــــــمراً كصوب رباب
إنِ الضراوةَ في امتهــــــــــانِ كرامةٍ أو في امتهانِ شريعــــــــــةِ الآدابِ

قال الشيخً عمرو بن الوردي

إياكَ من عســــــفِ الأنامِ وظلمهمْ واحذرْ من الدعوات في الأسحارِ
وإن ابتلـيْتَ بذلة وخطيـــــئة فاندمْ وبادرْها بالاستغـــــفارِ
أطِلِ افتكارك في العواقبِ واجتنبْ أشيـــــاءَ محوجةً إلى الأعذارَ

## الكتاب الأول

## في بيان علم الأنساب وما يتبعه

ويتضمن علم الأنساب وفروعه ومتعلقاته وحيثاته ومهماته وضرورة تعلمه واستقرائه

### الفصل الأول

### في

### علم الأنساب وفروعه

----

#### النسب

النسب لغةً : هو القرابة ويختص قيل بالقرابة من جهة الآباء وقيل بجهة الأب والأم معا كما فى مقاييس اللغة. واصطلاحًا هو اتصال شخص بغيره لانتهاء أحدهما فى الولادة إلى الآخر، أو لانتهائهما إلى ثالث على الوجه الشرعى. ولقد حرص الإسلام على حفظ الأنساب عن الاختلاط وجعله من مقاصد الشرع الضرورية ولهذا حرم الزنا لما يترتب عليه من اختلاط فقال تعالى ( ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساءسبيلا )كما حرم انتساب المرء إلى غير أبيه سواء كان بالادعاء أو التبنى أو غيرهما، فقال سبحانه ( وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم

قولكم بأفواهكم ) وقال تعالى ( ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم ) وروي عن سعد بن أبي وقاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام ) وروي عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شيء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين) أو كما قال[9].

علم الانساب

علم الأنساب ، هو سبب التعارف والتواصل ، وسلم التكامل والتفاضل ، به تتعاطف الأرحام الواشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة قال الله تعالى ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير ) وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ( تعلموا من النسب ما تعرقون به أحسابكم وتصلون أرحامكم) وقال الحكماء من لم يعرف النسب لم يعرف الناس ومن لم يعرف الناس لم يعد من الناس.وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ( تعلموا النسب ولا تكونوا كنبيط السواد إذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا وكذا ) قلت وسمعت شيخنا عامر محفوظي يقول قال الإمام العراقي في ألفيته :

وضاعت الأنساب بالبلدان فنسب الأكثر للأوطان

(قلت )وقد قال الإمام السخاوي في شرح هذه البيت : وقد كانت العرب إنما ينسبون إلى الشعوب والقبائل والعمائر والعشائر والبيوت كما قال الله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وكان العجم ينسبون إلى رساتيقها وهي القرى وبلدانها . وكان بنو إسرائيل ينسبون إلى أسباطها . فلما جاء الإسلام وانتشر الناس في الأقاليم والمدن والقرى ( ضاعت) كثيرا ( الأنساب) العربية المشار إليها ( في البلدان ) المتفرقة ( فنسب الأكثر) من المتأخرين منهم كما كانت العجم تنسب ( للأوطان) والأوطان جمع وطن وهو محل الإنسان من بلدة أو ضيعة أو

[9] راجع كتاب مقاييس اللغةو وكتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

سكة وهي الزقاق أو نحوها ( قال ) وهذا وإن وقع في المتقدمين أيضاً فهو قليل، كما أنه يقع في المتأخرين أيضا النسبة إلى القبائل بقلة ( قلت )وإذا كان هذا في عصر الإمام السخاوي فهو الواقع الآن أيضا في مجتمعنا الحديث ومدننا الكبرى حيث تجد أبناء الجهة أو أبناء الحومة ينسبون إلى جهتهم أو حومتهم فمثلا نحن في الجزائر إذا سألت أحدا من أين أنت قال لك أنا ( قبلي أو ظهراوي أو شرقي ) أويقول لك أنا ( جلفاوي أو أغواطي أو بوسعادي ) أو يقول لك أنا من ( بلكور أو القبة أو اسطوالي ) أو يقول لك أنا من ( قناني أو بن جرمة أو بوتريفيس) أو يقول لك ( أنا من عين الابل أو الدزيرة أو عامرة أو الهيوهي أو تعظميت أو الدويس أو زكار أو الفيض أو الزعفران أو العقلة أو الشارف أو وسارة) إلى آخره وفعلا وبهذا قد ضاعت الأنساب كما قال الناظم والشارح والعجيب من أهل العصر أنهم يدعون أن البحث عن الانساب والانتساب أمر يرجع الى العصبية والقبلية والعروشية غافلين عن فوائد الانساب وما يتولد عنها من ألفة وتضامن وتكافل ومن حياء والتزام وإخاء ومودة ومعرفة وتشريع في نواحي المواريث والمصاهرة وما إلى ذلك.

## اعتناء الامم القديمة بالأنساب

إن للأنساب عند الأمم القديمة شانا كبيرا إذ كان لهم بها عناية عظمى في حفظ أنسابهم. إماللتناصر على الاعداء وإماللتفاخر بالآباء. وبالغ اليونان في ذلك حتى حفظوا انساب معبوداتهم ونظم بعضهم الاشعار للتفاخر بذلك قبل المسيح عليه السلام ببضعة قرون وكذلك كان الرومان وازدادت عناية العرب بالانساب رغبة في التناصر على الغرباء. بل وفي الإسلام أيضا يوجد اعتناء كبير بالنسب لكنه إعتناء خاص بالتعارف والصلة والتشريع اذ لابد من معرفته في موضوعات النكاح والرضاع والصلة والمواريث والامامة وما الى ذلك. هذاوإن كلمة النَّسَبُ محركةً. والنِّسْبَة بالكسر والضمّ تعني القرابَة إماعموما، وإما في الآباء خاصَّةً. وقولهم اسْتَنسَبَ يعني ذَكَرَ نَسَبَهُ. والنَّسيبُ هو المُناسبُ. وذو النَّسَب كالمنْسُوب (قلت ) وفي منطقتنا الجلفاوية يطلق اسم ( النسيبْ ) على الصهر [10]

[10] راجع كتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون وتاريخ ابن خلدون ولسان العر لابن منظور

لا خفاء أن معرفة الأنساب من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة .لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية، والمعارف الدينية. فقد وردت الشريعة باعتبارها في مواضع ( منها ) العلم بنسب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه النبي القرشي الهاشمي الذي نشأكان بمكة وهاجر منها إلى المدينة وتوفي ودفن بها، فإنه لا بد من معرفة ذلك ولا يعذر مسلم في الجهل به وناهيك بذلك.( ومنها) التعارف بين الناس حتى لا يعتزي أحد إلى غير أبيه، ولا ينسب إلى سوى أجداده. وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ( يأُيها الناس إنا خلقناكُم من ذِكر وأُنثى وجعلناكم شُعوباً وقبائل لتعارفوا ) ولولا معرفة الأنساب لفات إدراك ذلك وتعذر الوصول إليه ( ومنها ) اعتبار النسب في الإمامة التي هي الزعامة العظمى. فقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية الإجماع على كون الإمام قرشيا، ثم قال: ولا اعتبار بالإمام ضرار حيث جوزها في جميع الناس.فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: الأئمة من قريش. قال أصحابنا الشافعية: فإن لم يوجد قرشي اعتبر كون الإمام كنانيا من بني كنانة من خُزيمة فإن تعذر اعتبر كونه من بني إسماعيل عليه السلام، فإن تعذر اعتبر كونه من بني إسحاق عليه السلام فإن تعذر اعتبر كونه من جرهم، لشرفهم بصهارة إسماعيل عليه السلام، ( قال ) بل قد نصوا أن الهاشمي أولى بالإمامة من غيره من قريش.فلولا المعرفة بعلم النسب لفات وتعذر حكم الإمامة العظمى التي بها عموم صلاح الأمة، وحماية البيضة، وكف الفتنة، وغير ذلك من المصالح ( ومنها ) اعتبار النسب في كفاءة الزوج للزوجة عند الشافعي رضي الله عنه حتى لا يكافئ الهاشمية والمطّلبية غيرها من قريش، ولا يكافئ القرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشي، ولا يكافئ الكنانية غيرها من العرب ممن ليس بكناني ولا قرشي على الأصح.وفي اعتبار النسب في العجمي أيضا وجهان: أصحهما الاعتبار فإذا لم يعرف النسب تعذرت هذه الأحكام ( ومنها) مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة فقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( تنكح المرأة لأربع: لدينها، وحسبها ومالها، وجمالها) فراعى صلى الله عليه وسلم في المرأة الحسب وهو شرف الآباء ( ومنها) جريان الرق على العرب في

أحد قولي الشافعي رضي الله عنه وموافقيه، فإذا لم يعرف النسب تعذر ذلك، إلى غير ذلك من الأحكام الجارية هذا المجرى.

## الاختلاف في النسب العالي

التكلم في النسب العالي من عدنان الى ءادم اختلف في حكمه العلماء فمنهم من رءاه ولم يكرهه كابن اسحاق والطبري والبخاري والزبير وغيرهم. ومنهم من كرهه كمالك رحمه الله فقدسئل. كما في الكتاب الكبير - عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذالك . قيل له فإلى اسماعيل فكره ذلك أيضا وقال فمن يخبره به. وقول ما لك هذا هو نحو ما روي عن عروة بن الزبير القا ئل ما وجد نا أحدا يعرف مابين عدنان وإسماعيل ، وعن ابن عباس قال مابين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لايعرفون ( قلت ) وعلى مذهب الاولين سأذكر في الفصول التي تأتي بعدُ. النسبَ العالي والعهدة على أهل السير والتاريخ والتراجم ، مبتدئا بسيدناآدم عليه السلا م . مارا بسيدنا محمدصلى الله عليه وسلم. منتهيا بموضوع ومقصود هذا الكتاب

. ،

## أجزاء النسب

إن نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يهمنا في هذا المصنف هو على ثلاثة أجزاء جزء اتفق على صحته أهل السير والأنساب وهو منه عليه إلى عدنان. وجزء اختلفوا فيه ما بين متوقف فيه وقائل به وهو ما فوق عدنان إلى إبراهيم عليه السلام . وجزء لا نشك أن فيه أمورا غير صحيحة وهو ما فوق إبراهيم إلى آدم عليه السلام ( قلت ) وسيأتي ذلك مفصلا – طبعا – والعُهدة على أهل السير كما قلت آنفا ! ! !

## أبو بكر والفتى في استقراء النسب

حكى صاحب الريحان والريعان عن أبي سليمان الخطابي رحمه الله أنه قال كان أبو بكر رضي الله عنه نسّابة فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فوقف على قوم من ربيعة فقال: ممن القوم. قالوا: من ربيعة، قال: وأي ربيعة أنتم أمِن هامتها أم من لهازمها . قالوا: بل من هامتها العظمى قال أبو بكر: ومن أيها . قالوا من ذهل الأكبر. قال أبو بكر:

فمنكم عوف بن مُحلّم الذي يقال له : لا حُرّ بوادي عوفٍ. قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو القِرَى ومنتهى الأحياء. قالوا: لا، قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنْعُمها . قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف الحرّ صاحب العمامة الفردة.قالوا: لا. قال: فمنكم أخوال الملوك من كندة. قالوا: لا. قال: فمنكم أصهار الملوك من لخم.قالوا: لا. قال: فلستم بذهل الأكبر بل انتم ذهل الأصغر. فقام إليه غلام من شيبان يقال له دغْفل حين بَقَل وجهه فقال: إن على سائلنا أن نسأله يا هذا إنك قد سألت فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً من خبرنا، فمن الرجل.قال أنا من قريش. قال: بخٍ بخٍ أهل الشرف والرياسة، قال فمن أي القرشيين أنت. قال: من تيم بن مُرة. قال: أمكنتَ واللّه الرامي من سواء الثُّغرة فمنكم قُصي الذي جمع القبائل من فهر وكان يُدعى مُجمعاً. قال: لا. قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه. قال: لا. قال: فمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء. قال: لا. قال: فمن المفيضين بالناس أنت. قال: لا. قال: فمن أهل الندوة أنت.قال: لا. قال: فمن أهل السقاية أنت. قال: لا. قال: فمن أهل الرفادة أنت. قال: لا. قال: فمن أهل الحجابة أنت. قال: لا. واجتذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته، فقال الفتى:

صادف دَرُّ السيل درّا يدفعه　　　يَهيضه حيناً وحيناً يصدعُهْ

أما والله يا أخا قريش لو لبثت لأخبرتك أنك من رعيان قريش ولست من الذوائب. فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم. فقال عليّ رضي الله عنه: يا أبا بكر، لقد وقعت من الغلام الأعرابي على باقعه. فقال: يا أبا الحسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة .

## المشتهرون بعلم النسب

ممن اشتهر في العهد القديم بمعرفة الأنساب الجماعة الآتية أسماؤهم وهم (1) دغْفل بن حنظلة النسابة الذي يُضرب به المثل في معرفة النسب،يقال أنه قدم مرة على معاويةَ بن أبي سفيان في خلافته فاختبره فوجده رجلاً عالماً، فقال: بم نلت هذا يا دغفل. قال: بقلب عَقول، ولسان سؤول، وآفة العلم النسيان. (2) ابن الكَيّس وهو من بني عوف بن سعد بن ثعلب بن وائل وفيهما يقول مسكين ابن عامر:

فحكّم دغْفلاً وارحل إليه ولا تَدعِ المعطيَّ من الكَلال
أو ابَن الكَيّس النَّمري زيداً ولو أمسى بمُنخرق الشمالَ

(3) أبو بكر الصديق وَقد أمر الرسول الحسن بن ثابت قبل أن يهجو قريش أن يلتحق بأبي بكر ليعرفه فروع الأنساب مخافة أن يتعرض لنسب الرسول بالهجاء.

المؤلفون في علم الأنساب

صنف في علم الأنساب من المسلمين جماعة من جلة العلماء القدامى وأعيانهم ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام، والبيهقي، وابن عبد البر، وابن حزم وغيرهم وذلك دليل على شرفه ورفعة قدره.

معرفة طبقات الأنساب وما يلحق بذلك

عد أهل اللغة طبقات الأنساب ست وهي : ( الطبقة الأولى ) الشعب بفتح العين وهو النسب الأبعد كعدنان مثلاً. قال الجوهري الشعب هو أبو القبائل الذين ينسبون إليه ويجمع على شعوب. قال الماوردي في "الأحكام السلطانية": وسمي شعبا، لأن القبائل تتشعب منه. وذكر الزمخشري في كشافه نحوه ( الطبقة الثانية ) القبيلة وهي ما انقسم فيه الشعب كربيعة ومُضر. قال الماورديّ: وسميت القبيلة قبيلة لتقابل الأنساب فيها وتجمع القبيلة على قبائل وربما سميت القبائل: جماجم أيضاً، كما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال: وجماجم العرب هي القبائل التي تجمع البطون ( الطبقة الثالثة ) العمارة بكسر العين المهملة وهي ما انقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكنانة وتجمع: على عَمارات وعمائر ( الطبقة الرابعة ) البطن وهو ما انقسم فيه أقسام العمارة كبني عبد مناف وبني مخزوم ويجمع على بطون وأبطن ( الطبقة الخامسة ) الفخذ وهي ما انقسم فيه أقسام البطن كبني هاشم وبني أمية وتجمع على أفخاذ( الطبقة السادسة ) الفصيلة بالصاد المهملة. وهي ما انقسم فيه أقسام الفخذ كبني العباس هكذا رتّبها الماوردي في الأحكام السلطانية وعلى نحو ذلك جرى الزمخشري في تفسيره في الكلام على قوله تعالى ( وجعلناكم شُعوباً وقبائل ) إلا أنه مثل للشعب بخزيمة، وللقبيلة بكنانة، وللعمارة بقريش، وللبطن بقُصي، وللفخذ بهاشم، وللفصيلة

بالعباس وبالجملة فالفخذ يجمع الفصائل، والبطن يجمع الأفخاذ، والعمارة تجمع البطون، والقبيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل. قال النووي وزاد بعضهم "العشيرة" قبل "الفصيلة". قال الجوهري: وعشيرة الرجل: رهطه الأدنون.

## الطبقات النسبية المحلية

ماذُكر أعلاه يشبه إلى حد بعيد ماتعارف عليه أهل منطقتنا الجلفاوية وما زالوا يحافظون عليه في البوادي والحواضر من مثل : الاشراف فاولادنايل فالسعادات فاولادالرقاد فاولاد عبيدالله فالرفقة فالاسرة فالوالد فالمتحدث إلى آخره وقل مثل ذلك في العبازيز والصحاري وغيرهم من كل عرش.

## رسم شجرة النسب

اعلم أنّ الأنساب تتشعب دائماً،كما جاء في كتاب العبر. وذلك أنّ الرجل قد يكون له من الولد ثلاثة أو أربعة أو أكثر، ويكون لكل واحد منَهم أولاد كذلك، وكل واحد منهم فرعٌ ناشئ عن أصل أو فرع أو عن فرع فرع فصارت بمثابة الأغصان للشجرة تكون قائمة على ساق واحدة هيً أصلها والفروع عن جانبها، ولكل واحد من الفروع فروعٌ أخري إلى أنّ تنتهي إلى الغاية. فلذلك اختار الإمام ابن خلدون بعد الكلام علًى الأنساب للأمّة وشعوبها أنّ يضع ذلك على شكل شجرة يجعل أصلها وعمود نسبها باسم الأعظم من أولئك الشعوب ومن له التقدم عليهم، فيجعل عمود نسبه أصلا لها وتتفرع الشعوبِ الأخريِ عن جانبه من كل جهة كأنها فروع لتلك الشجرة حتى تتصل تلك الأنساب عموداً وفروعاً بأصلها الجامع لها ظاهرة للعيان في صفحة واحدة فترسم في الخيال دفعة، ويكون ذلك أعون على تصور الأنساب وتشعبها فإن الصور الحسيّة أقرب إلى الإرتسام في الخيال من المعاني المتعلقة ( قال ) ابن خلدون ثم لما كانت هذه الأمم كلها لها دول وسلطان اعتمدنا بالقصد الأوّل ذكر الملوك منهم في تلك الشجرات، متصلة أنسابهم إلى الجد الذي يجمعهم ،بعد أنّ ترسم على كل واحد منهم رتبته في تعاقبهم واحداً بعد واحد بحروف ( أ ب ج د هـ ) فالألف للأول والباء للثاني، والجيم للثالث، والدال للرابع والهاء للخامس، وهلم جرّا. ونهاية الأجداد لأهل تلك

الدولة في الآخر منهم ، ويكون للأول غصون وفروع في كل جهةٍ عنه فإذا نظرت في الشجرة علمت أنساب الملوك في كل دولة وترتبهم بتلك الحروف واحداً بعد واحد .

( قلت) وفي منطقتنا الجلفاوية ونواحيها ترسم شجرة الأنساب غالبا مبدوءة بسيدنا محمد عليه السلام ثم تأتي التفاريع ولايتعرض فيهاللنسب العالي اكتفاء بما ذكر في المراجع (قلت ) وفي بعض تلك الرسومات فروع لم يتوخ فيها رساموها الدقة فرسموها خطأ كما هو حال رسم أولاد نايل الموجود بالأسواق المحلية وهو على أشكال مختلفة كما هو حال رسم شجرة الأنبياء المطبوع ( قلت ) والعجيب أن بعض تلك الرسومات ينسبها البعض للشيخ فلان وبعضهم ينسبها للشيخ فلان وبعضهم ينسبها للشيخ الرايس وبعضهم ينسبها لشيخ آخر وهكذا إلى درجة لم ندر من نصدق.وعليه فلا تعتمد تلك الرسومات كمراجع حصيفة دقيقة غير أنه يستأنس بها في بعض الفروع وحدثني البركة الحاج أحمد عريشه بن سي عبد القادر بن رافع قال إني اتصلت براسم تلك الشجرة وقلت له يا الشيخ لماذا جعلت جدنا ( احبيش ) مع أولاد يحي بن سالم وهو رقادي أصالة ونشأة واعتبارا فقال له ( قالوا لي ) قال فقلت له يا شيخنا ينبغي التحقيق في هذه الكتابات ولا يكتفى فيها بمجرد القول.

توسع الفقهاء في ثبوت النسب

نظرا لاهتمام الإسلام بانتساب كل إنسان إلى من كان سببا فى وجوده ، توسع فقهاء الإسلام فى أسباب ثبوت النسب فذكروا أنه يثبت بأحد الوجوه الآتية وهي (1)ولادة الطفل على فراش الزوجية الصحيحة (2) الإقرار الشرعي بالبنوة (3) الشهادة على الإقرار بالبنوة (4) نكول المدعى عليه بالبنوة عن اليمين (5) اليمين المردودة على المدَّعى بالبنوة عند نكول المدعى عليه (6) القيافة وذلك بتتبع العلامات الموجودة فى شخصين للوصول إلى إثبات القرابة بينهما(7) القرعة بين المتنازعين على نسبة مولود لهما عند تساوى بيناتهما بنسبته ( 8) حكم القاضى إذا ثبت عنده نسبة الولد إلى رجل بعينه (9) التحكيم عند اختلاف المدعين فى هذه النسبة

(قلت )وأنظر حكم تحليل الفصيلة الدموية والخلايا وما الى ذلك مما يعرفه الطب الشرعي الأكيد المعاصر ولو ان المسالة لازالت قيد البحث ويشترط في هذا الأخير أن يكون بعلاقة زوجية شرعية لاموانع فيها وانظر حكم من أسلموا ولهم أولاد ماحكم نسبة تلك الذرية لهم وماحكم أطفال الأنابيب وماحكم الإستنساخ وما حكم التبني وما حكم الإستلحاق وماحكم كلِّ مستجد في هذا المجال.

## حكم نسب التبني في الإسلام والقانون

إن التبنى بمعنى استلحاق شخص معروف النسب أو مجهول النسب ونسبته إلى ملحقه مع التصريح من هذا الأخير بأنه يتخذه ولدا له في حال أنه ليس بولد له حقيقة ( قال المحقق ) والتبنى بهذا المعنى أمر محرم فى الإسلام ثبت تحريمه وإبطاله بقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل. ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ﴾ ( قال ) واعلم أن التبنى هذاغير الإقرار بالنسب إذ أن المقر يعترف ببنوة ولد مخلوق من مائه بنوة حقيقية كالبنوة الثابتة بفراش الزوجية ( قال ) ولكى يقع الإقرار بالنسب صحيحا يتعين توافر شروط ثلاثة وهى : 1 - أن يكون الولد (ذكرا كان أو أنثى) مجهول النسب، لا يعرف له أب، فإن كان معلوم النسب فلا يصح الإقرار به. 2- أن يكون من الممكن أن يولد مثل هذا الولد للمقر فلو كانت سن المقر ثلاثين سنة مثلا وسن المقر له بمثل هذا أو أكثر أو أقل بقدر يسير كان كذب الإقرار ظاهرا فلا يثبت به النسب. 3- أن يصدق الولد المقر فى إقراره بالنسب إذا كان مميزا يحسن التعبير عن نفسه فإذا كذبه وأنكر نسبته إليه فلا يثبت نسبه منه، وإذا كان الولد لا يحسن التعبير عن نفسه فإنه يكفى إقرار المقر لثبوت النسب مع مراعاة الشرطين السابقين.( قال ) وخلاصة ما تقدم أن التبنى محرم بنص قاطع في القرآن الكريم وهو المصدر الأول للأحكام الشرعية الإسلامية، وان الإقرار بالنسب جائز ويقع صحيحا بالشروط الموضحة وينبغى التفرقة بين التبنى وبين الإقرار بالنسب حتى لا يختلط أمرهما والفرق بينهما واضح من تحديد كل منهما على الوجه السابق بيانه.إذ أن التبنى ادعاء

نسب لا وجود له فى الواقع، أما الإقرار بالنسب فهو ادعاء نسب واقع فعلا لكنه غير ثابت بمراعاة تلك الشروط. وانظر حكم من كتب طفلا باسمه من غير أن يتبناه.

## الإستلحاق

الاستلحاق هو الإقرار بالنّسب . والتّعبير بلفظ الاستلحاق هو استعمال المالكيّة ، والشّافعيّة ، والحنابلة ، وأمّا الحنفيّة فاستعملوه في الإقرار بالنّسب على قلّة وحكمه التّكليفيّ (هو أنه قد ) جاء في حديث عمرو بن شعيب « أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قضى أنّ كل مستلحقٍ استلحق بعد أبيه الّذي يدعى له فقدً لحق بمن استلحقه »

## أحكام الإستلحاق

قال الخطّابيّ : هذه أحكامٌ وقعت في أوّل زمان الشّريعة ، وذلك أنّه كان لأهل الجاهليّة إماءٌ بغايا وكان سادتهنّ يلمّون بهنّ ، فإذا جاءت إحداهنّ بولد ربّما ادّعاه السّيّد والزّاني ، فألحقه النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالسّيّد ، لأنّ الأمة فراشٌ كالحرّة ، فإن مات السّيّد ولم يستلحقه ثمّ استلحقه ورثته بعده لحق بأبيه . وقد اتّفق الفقهاء على أنّ حكم الاستلحاق عند الصّدق واجبٌ ، ومع الكذب في ثبوته ونفيه حرامٌ ، ويعدّ من الكبائر ، لأنّه كفران النّعمة ، لما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « أيّما امرأة أدخلت على قومٍ من ليس منهم ، فليست من الله في شيء ، ولن يدخلها الله جنّته وأيّما رجلٍ جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله تعالى منه ، وفضحه على رءوس الأوّلين والآخرين يوم القيامة » .

## العدل في شرعة الإنتساب

قد جعل الشارعُ الحكيم نسب الإنسان إلى من كان سببا فى ولادته الشرعية من العدل فقال الحق سبحانه ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ أي اعدل وهو نص يدل بجلاء على أن انتساب الإنسان إلى غير أبيه من الجور.وانظر هنا حكم من قال لعم أو مربٍ أو كبير أو كفيل يا أبتاه أو ياعماه أو سيداه تقديرا واحتراما لا انتسابا .

## الانتساب

كان قدماء الرومان يجيزون للرجل الاعتراف بمن يشاء من أولاده والتنكر لمن يشاء حسب رغبته وكانوا هم والبيزنطيون والأقباط والروس ينكرون الولد وينفونه إذا لم يعجبهم أو لايشبه أفراد العائلة وكان قدماء الرومان واليونان يهدرون نسب المرأة بعد زواجها حيث تلحق بنسب عائلة زوجها ومازال هذا معمولا به فى كثير من دول الغرب حتى الآن فيقال ( مُدام فلانة) بلقب زوجها او قل خدنها أو عشيقها

( قلت ) وقد وصل هذا إلى بيئتنا فصارت المرأة تعرف بلقب زوجها .هذاوقد ساد فى الجاهلية انتساب الإنسان إلى غير آبائه وذلك بالتبنى أوالاستلحاق أو الموالاة فأبطل الإسلام ذلك كله وحرمه وحفظ النسب الذى رسمه الإسلام ليتحقق الانتماء إلى الأسرة والترابط بين أفرادها .

## بيان أمور يحتاجهاالناظر في علم الأنساب

هناك أمور عشرة يحتاجها الناظر في علم الأنساب وهي : ( أولا ) قال الماوردي : إذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبا والعمائر قبائل، يعني: وتصير البطون عمائر، والأفخاذ بطوناً والفصائل أفخاذاً .والحادث بعد ذلك فصائل ( ثانيا ) قد ذكر الجوهري أن القبيلة هي بنو أب واحد .وقال ابن حزم جميع قبائل العرب راجعة إلى أب واحد سوى ثلاث قبائل، وهي تنوخ ، والعُتق، وغسّان، فإن كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون. ثم أن القبيلة قد يكون له عدة أولاد فيحدث عن بعضهم قبيلة أو عدة قبائل، فتنسب إليه كل قبيلة تحدث عنه وتُترك النسبة إلى القبيلة الأولى، كحنظلة بن تميم فينسب إلى "حنظلة" ويترك "تميم" ويبقى بعضهم بلا ولد، بألا يولد له أو لم يشتهر ولده فينسب إلى القبيلة الأولى ( ثالثا ) إذا اشتمل النسب على طبقتين فأكثر، كهاشم وقريش ومُضر وعدنان جاز لمن في الدرجة الأخيرة من النسب أن ينتسب إلى الجميع فيجوز لبني هاشم أن يُنسبوا إلى هاشم وإلى قريش وإلى مضرو إلى عدنان فيقال في أحدهم : الهاشميّ والقرشيّ والمضريّ والعدنانيّ.كما يقال ذلك في رسول الله عليه السلام ( العدناني أو القرشي أو الهاشمي )بل قد قال الجوهري: إن النسبة إلى

الأسفل تُغني عن النسبة إلى الأعلى فإذا قلت في النسبة إلى كلب بن وبرة : الكلبي استغنيت أن تنسبه إلى شيء من أصوله وذكر غيره أنه يجوز الجمع في النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى ثم إن بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى مثل أن يقال في النسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه الأموي العثماني وبعضهم يرى تقديم السفلى على العليا فيقال : العثماني الأموي ( رابعا ) قد ينضم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف والموالاة فينسب إليهم فيقال: فلان حليف بني فلان، أو مولاهم كما يقال في البخاري: الجُعفي مولاهم ونحو ذلك ( خامسا ) إذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل قبيلة أخرى جاز أن ينسب إلى قبيلته الأولى وأن ينسب إلى قبيلته التي دخل فيها، وأن ينسب إلى القبيلتين جميعاً، مثل أن يقال: التميمي ثم الوائلي، أو الوائلي ثم التميمي، وما أشبه ذلك ( سادسا ) القبائل في الغالب تسمى باسم الأب والد القبيلة كربيعة ومضر والأوس والخزرج ونحو ذلك وقد تسمى القبيلة باسم أمها الوالدة لها كخندف وبجِيلة ونحوهما، وقد تسمى باسم حاضنة ونحوها وربما وقع اللقب على القبيلة بحدوث سبب كغسان حيث نزلوا من ماء يسمى غسان، فسموا به (سابعا ) غالب أسماء العرب منقولة عما يدور في خزانة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه إما من الوحوش كأسد ونمر وإما من النبات كنَبت وحنظلة وإما من الحشرات كحيّة وحنش وإما من أجزاء الأرض كفهر وصَخر ونحو ذلك ( ثامنا ) الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء ككلب وحَنظلة وضرار وحرب وما أشبه ذلك وتسمية عبيدهم بمحبوب الأسماء كفلاح ونجاح ونحو ذلك والمَعنى فيه ما حُكي أنه قيل لأبي الدُّقيش الكلابي لمَ تسمون أبناءكم بشرّ الأسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورَباح فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا يريد أن الأبناء مُعدَّة للأعداء في المحاربة ونحوها فاختاروا لهم شر الأسماء، والعبيد معدّة لأنفسهم فاختاروا لهم خير الأسماء ( تاسعا) إذا كان في القبيلة اسمان متوافقان كالحارث والخزرج ونحو ذلك وأحدهما من ولد الآخر أو بعده في الوجود عُبّر عن الوالد أو السابق منهما بالأكبر وعن الولد أو المتأخر منهما بالأصغر، وربما وقع ذلك فيَ الأخوين إذا كان أحدهما أكبر من الآخر ( عاشرا) حدثني

والد سي العربي درويش بسطيف قال إن الألقاب المهينة كالحمار أو الكلب أوالكسكاس أو القربة أوغيرها التي تلاحظونها شائعة في المجتمع عندنا وعندكم سببها أن الأوائل كانوا يستهزئون بالفرنسيين حيث أنهم كانوا إذا جاءوهم مع القياد في حملة التسجيل آنذاك وسألوهم عن لقب زيد أو عمر أو فلان أو علان يقولون لهم لقبه كذا فيسجلونها ويثبتونها فتبقى رسميا هكذا قال ولم ننتبه إلا بعد فوات الأوان وبقيت الألقاب المصرح بها كما هي في البطاقات والعناوين وجرايد البزرة والغرامة.

## أسماء القبائل في الإصطلاح

أسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أضرب ( أولها ) أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد وثمود ومَدين وما شاكل ذلك وبذلك ورد القرآن الكريم في عدة مواضع كقوله تعالى : وإلى عاد وقوله وإلى ثمود وقوله وإلى مَدْين. يريد: بني عاد، وبني ثمود، وبني مدين، وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب والقبائل العظام لا سيما في الأزمان المتقدمة، بخلاف البطون والأفخاذ ونحوها( وثانيها ) أن يطلق على القبيلة لفظ البُنوة فيقال: بنو فلان، وأكثر ما يكون ذلك في البطون والأفخاذ والقبائل الصغار، لا سيما في الأزمان المتأخرة (وثالثها ) أن ترد القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالطالبيين، والجعافرة ونحوهما وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين دون غيرهم (ورابعها ) أن يعبر عن القبيلة بـ ( آل فلان ) كآل ربيعة وآل فضل، وآل علي، وما أشبه ذلك وأكثر ما يكون ذلك في الأزمنة المتأخرة أيضا لا سيما في عرب الشام في زماننا، والمراد بالآل : الأهل ( وخامسها ) أن يُعبر عن القبيلة بأولاد فلان ولا يوجد ذلك إلا في المتأخرين من أفخاذ العرب على قلة ( وسادسها ) أيعبر عن القبيلة بـ : وُلد فلان وهي منتشرة بكثرة في موريتانيا

( قلت ) قد جرى عندنا في المنطقة الجلفاوية أن كلمة ( أولاد ) وكلمة ( سيدي ) لا تقال إلا للأشراف فقط حيث إذا قيل ( أولاد فلان ) أو ( أولاد سيدي فلان ) فهم أشراف من آل البيت أما إذا قيل ( فلان ) بدون أولاد وبدون اولاد سيدي فهم غير أشراف. ولتحرر ؟

## الخلاف في تهجية الأسماء

اعلم أنّ الخلاف الذي جاء في ضبط هذه الأسماء إنما عرض في مخارج الحروف فإن هذه الأسماء إنما أخذها العربٍ من أهل التوراة ومخارج الحَروف في لغتهم غير مخارجها في لغة لعرب فإذا وقع الحرف متواسطاً بين حرفين من لغة العرب فتردّه العرب تارة إلى هذا وتارة إلى هذا . وكذلك إشباع الحركات قد تحذفه العرب إذا نقلت كلامَ العجم فمن هاهنا اختلف الضبط في هذه الأسماء وأنبه هنا كما نبهت في مواضع كثيرة إلى أن هناك في موضوع النسب أيضا فرق بين اسم ( الحَسَن ) بفتح الحاء وبين اسم ( الحُسيْن )بالياء بعد السين.كما سأنبه عليه في فصل آل البيت.كذلك الفرق بين لحْسن واحسين.

## أجيال الأمم وانتسابهم

اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى كما قال الإمام ابن خلدون قد اعتمر هذا العالم بخلقه وكرّم بني آدم باستخلافهم في أرضه وبثهم في نواحيها لتمام حكمته وخالف بين أ ممهم وأجيالهم إظهارا لآياته فيتعارفون بالأنساب ويختلفون باللغات والألوان ويتمايزون بالسير والمذاهب والأخلاق ويفترقون بالنحَل والأديان والأقاليم والجهات.فمنهم العرب والفرس والروم وبنو إسرائيل والبربر، ومنهم الصقَالبة والحبش والزنج ، ومنهم أهل الهند وأهل بابل وأهل الصين وأهل اليمن وأهل مصر وأهل المغرب. ومنهم المسلمونِ والنصارى واليهود والصابئة والمجوس، ومنهم أهل الوبرَ وهم أصحاب الخيام والحلل وأهل المدَر وهم أصحاب المداشر والقرى والأطم، ومنهم البدو الظواهر والحضر الأهلون ومنهم العرب أَهل البيان والفصاحة .والعجم أهل الرطانة بالعبرانية والفارسية والإغريقية والصينية وقد خالف سبحانه بين أجناسهم وأحوالهم وألسنتهم وألوانهم ليتم أمره تعالى في اعتمار خصوصياتهم ونحلهم فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوحدانية إنّ في ذلك لآيات للعالمين.

## العصبية بالنسب أو ما في معناه

قال الإمام ابن خلدون رحمه الله تعالى : إن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه وذلك أن صلة الرحم طبيعية في البشر إلا في الأقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربى

وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريباً جداً بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها وإذا بعد النسب بعض الشيء فربما تنوسي بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه، فرارا من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبا منها .ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم ( تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ) بمعنى أن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه، إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام.فإذا كان ظاهراً واضحاً حمل النفوس على طبيعتها من النعرة كما قلناه.وإذا كان إنما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدته وصار الشغل به مجاناً ومن أعمال اللهو المنهي عنه.ومن هذا الاعتبار معنى قولهم : النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر بمعنى أن النسب إذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس، وانتفت النعرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ .

## الصريح من النسب واين يوجد

الصريح من النسب إنما يوجد للقاطنين في القفر من العرب ومن في معناهم وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن، حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الماشية من إبل وغيرها ونتاجها ورعايتها، والإبل خصوصا تدعوهم إلى التوحش في القفر لرعيها من شجره ونتاجها في رماله كما تقدم، والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم إلفا وعادة وربيت فيه أجيالهم حتى تمكنت خلقا

وجبلة، فلا ينـزع إليهم أحد من الأمم أن يساهمهم في حالهم، ولا يأنس بهم أحد من الأجيال. بل لو وجد واحد منهم السبيل إلى الفرار من حاله وأمكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم وفسادهاولا تزال بينهم محفوظة واعتبر ذلك - قديما - في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة لما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع، وبعدوا من أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب، كيف كانت أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب. وأما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لخم وجذام وغسان وطيء وقضاعة وإياد فاختلطت أنسابهم وتداخلت شعوبهم. ففي كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما تعرف. وإنما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم. وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وإنما هذا للعرب فقط. قال سيدناعمر رضي الله تعالى عنه (تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد، إذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا ) هذا إلى ما لحق هؤلاء العرب أهل الأرياف من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصيبة فكثر الاختلاط وتداخلت الأنساب. وقد كان وقع في صدر الإسلام شيء من الانتماء إلى المواطن فيقال جند قنسرين، جند دمشق .جند العواصم ،وانتقل ذلك إلى الأندلس. ولم يكن لاطراح العرب أمر النسب، وإنما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها، وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند أمرائهم. ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الأنساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت العصبية بدثورها؛ وبقي ذلك في البدو كما كان.

## الأُبوة الأُولى وفروعها

إنّ النسابين كلّهم اتفقوا على أنّ الأب الأوّل للخليقة هو آدم عليه السلام كما وقع في التنزيل إلا ما يذكره ضُعفاء الإخْبَاريين من أنّ الجنَّ والطَمَّ أُمَّتَان كانتا فيما زعموا من قبل آدم وهو ضعيف متروك وليسَ لدينا من أخبار آدم وذريته إلاّ ما وقع في المصحف الكريم وهو معروفٌ

بين الأئمّة واتفقوا على أنّ الأرض عَمُرَتْ بنسله أحقاباً وأجيالاً بعد أجيال إلى عصر نوح عليه السلام وأنه كان فيهم أنبياءٌ مثل شيثَ وإدرِيس وملوك في تلك الأجيال معدودون وطوائف مشهورون بالنحَل مثل الكلدانيين وهم الموحَدون ومثل السريانيين وهم المشركون وزعموا أنّ أُمَمَ الصابئة منهم وأنهم من وُلد صابئ بن لمك ابن أَخْنُوخ وكان نحْلتُهُم في الكواكب والقيام لها كلها واستنزال روحانيتها وأنّ من حزبهم الكلدانيين أي الموَحَدونَ وقد ألف أبو إسحق الصابي الكاتب مقالة في أنسابهم ونحلتهم وذكر أخبارَهم أيضاً دَاهِرُ مؤرّخ السريانيين والبابا الصابي الحرّاني وذكروا استيلاءَهم على العالم وجُمَلاً من نواميسهم وقد اندرسوا وانقطع أثرهم. ويقال أنّ السريانيين من أهل تلك الأجيال، وكذلك النُمْرُوذ والازدهاق وهو المسمى بالضحّاك من ملوك الفرس، وليس ذلك بصحيح عند المحققين. واتفقوا على أنّ الطوَفانَ الذي كان في زمن نوح وبدعوته ذهب بعُمْرَان الأرض أجمع بما كان من خراب المعمور ولم يبق إلا ما كان معه في السفينة ثم هُلك الذين ركبوا معه في السفينة ولم يعقبوا ومن ثم صار أهل الأرض كلهم من نسله وعاد – أي نوح – أباً ثانياً للخليقة بعد آدم. وهو نوحُ بْن لامكْ ويقال: أنّ الصابئة من ولد صابىء بن لامك وهو أخو نوح عليه السلام وقيل أنّ صابىء جده متوشلخ.[11]

## اختلاط الأنساب كيف يقع

اعلم أنه من البين أن بعضاً من أهل الأنساب يسقط إلى أهل نسب آخر بقرابة إليهم أو حلف أو ولاء أو لفرار من قومه بجناية أصابها فيدعى بنسب هؤلاء ويعد منهم في ثمراته من النعرة والقود وحمل الديات وسائر الأحوال وإذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجد لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء إلا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه وكأنه التحم بهم. ثم إنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان ويذهب أهل العلم به فيخفى على الأكثر وما زالت الأنساب تسقط من شعب إلى شعب ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والإسلام والعرب والعجم إلى اليوم. وانظر خلاف الناس قديما في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شيء من ذلك ومنه

[11] راجع تاريخ ابن خلدون ومروج الذهب والمزهر والمستطرف وغيرها من الكتب المذكورة في باب المصادر

شأن بجيلة في عرفجة بن هرثمة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الإعفاء منه وقالوا هو فينا لزيق أي دخيل ولصيق وطلبوا أن يولي عليهم جريرا فسأله عمر عن ذلك فقال عرفجة "صدقوا يا أمير المؤمنين، أنا رجل من الأزد أصبت دما في قومي ولحقت بهم" والشاهد منه هو كيف اختلط عرفجة ببجيلة ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجه ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتنوسي بالجملة وعد منهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود[12]

## حكاية الرحماني المباركي

على ذكر بجيلة وعرفجة في الباب السابق تحضرني هنا حكاية تشابهها حدثني بها الزهدي الرحماني المباركي رحمه الله قال ( إني زمن الصبا شاركت في مشادة وقعت في التل وصرعنا فيها وجرحنا بالأمواس عدة أشخاص ولما بحثت قوات أمن فرنسا عن المشاركين في تلك المشادة سجلوا اسمي ونقمتي الأصلية غير الموثقة وهي ( بلبال ) وقد كنت هربت يومها إلى عين الإبل وجئت إلى سي بن عبد الله البواشرية الغفير وحدثته بالخبر فقال لي ( يا المبيوع باصيت ) ثم صورني وذهب بي إلى ( الأصاص) وأصدر لي بطاقة تعريف بلقب ( عماري ) نسبة لأخوالي لأمتنع من المتابعة قال ولما جاءت التعليمة إلى حاكم عين الإبل حشدت العسكر جميع السكان وصاروا يبحثون عني وكنت من جملة المحتشَدين ولما جاء دوري وقد وقفت أمام القائد في الطابور أخرجت بطاقتي فلم يشعر بي وتركني أتجاوزه ومن ثم رجّع بدوره الدبيش ( وقال لاوجود للاسم الذي تبحثون عنه ) قال ومن يومها سجّل لقبي باسم أخوالي ولم أغيره إلى اليوم .

## الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبية

اعلم أن كل حى أو بطن من القبائل وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم أيضاً عصبيات أخرى لانساب خاصة هى أشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد أو إخوة بني أب واحد لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين فهؤلاء أقعد

---

[12] راجع مقدمة ابن خلدون وكتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام .والنعرة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللحمة. والرئاسة فيهم إنما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل. ولما كانت الرئاسة إنما تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب بها وتتم الرئاسة لأهلها. فإذا وجب ذلك تعين أن الرئاسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب المخصوص بأهل الغلب عليهم إذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الأخرى النازلة عن عصابتهم في الغلب لما تمت لهم الرئاسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم إلى فرع ولا تنتقل إلا إلى الأقوى من فروعه، لما قلناه من سر الغلب لأن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج في المتكون والمزاجُ في المتكون لا يصلح إذا تكافأت العناصر فلا بد من غلبة أحدها وإلا لم يتم التكوين. فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية.ومنه تعين استمرار الرئاسة في النصاب المخصوص بها كما قررناه[13].

## الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم

الرئاسة لا تكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية ولا بد في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدةً أن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم اقروا بالإذعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب إنما هو ملصق لزيق، وغاية التعصب له بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة وإذا فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسي عهده الأول من الالتصاق ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم فكيف له الرئاسة قبل هذا الالتحام أو لأحد من سلفه والرئاسة على القوم إنما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب بالعصبية ًفالأولية التي كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرئاسة حينئذ؛ فكيف تنوقلت عنه وهو على حال الإلصاق والرئاسة لا بد وأن تكون موروثة عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية وقد يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب إلى أنساب يلهجون

[13] راجع مقدمة ابن خلدون وكتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

بها أما لخصوصية فضيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم أو ذكر كيف اتفق فينزعون إلى ذلك النسب، ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه أنفسهم من القدح في رئاستهم والطعن في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد .

( قلت ) والعصبية النسبية اليوم يكاد أن يغطيها في الحواضر الكبرى الإنتماء إلى الأحزاب أو الجمعيات فتأمله.

البيت والشرف بالاصالة والحقيقة

البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لأهل العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه وذلك أن الشرف والحسب إنما هو بالخلال .ومعنى البيت أن يعد الرجل في آبائه أشرافاً مذكورين تكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجلةّ في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلّة سلفه وشرفهم بخلالهم والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم ( الناسُ معادن خيارهم في الجاهليَّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ) فمعنى الحسب راجعٌ إلى الأنساب ( قال ابن خلدون ) وقد بيَّنا أن ثمرة الأنساب وفائدتها إنما هي العصبية للنعرة والتناصر فحيث تكون العصبية مرهوبةً ومخشية والمنبت فيها زكيّ محميٌّ تكون فائدة النَّسب أوضح وثمرتها أقوى وتعديد الأشراف من الآباء زائدٌ في فائدتها فيكون الحسب والشرف أصليَّين في أهل العصبيّة لوجود ثمرة النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبيَّة لأنه سرها ولا يكون للمنفردين من أهل الأمصار بيت إلاّ بالمجاز وإن توهموه فزخرف من الدَّعاوى ( قال ) وإذا اعتبرت الحسب في أهل الأمصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعدُّ سلفاً في خلال الخير ومخالطة أهله مع الركون إلى العافيَّة ما استطاع وهذا مغاير لسر العصبيَّة التي هي ثمرة النَّسب وتعديد الآباء؛ ولكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز لعلاقة ما فيه من تعديد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسباً بالحقيقة وعلى الإطلاق وإن ثبت أنه حقيقة فيهما بالوضع اللغويّ فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف أوّل بالعصبية والخلال ثم ينسلخون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم، ويختلطون بالغمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به

أنفسهم . من أشراف البيوتات أهل العصائب وليسوا منها في شيء، لذهاب العصبيَّة جملةً.وكثير من أهل الأمصار الناشئين في بيوت العرب أو العجم لأوّل عهدهم موسوسون بذلك وأكثر ما رسخ الوسواس في ذلك لبني إسرائيل فإنه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالمنبت ( أوّلا ) لما تعدَّد في سلفهم من الأنبياء والرسل من لدُنْ إبراهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعصبيَّة ( ثانياً ) وما آتاهم الله بها من الملك الذي وعدهم به ثم انسلخوا من ذلك أجمع وضربت عليهم الذلّة والمسكنة وكتب عليهم الجلاءُ في الأرض وانفردوا بالاستعباد للكفر آلافاً من السنين وما زال هذا الوسواس مصاحباً لهم فتجدهم يقولون هذا هارونيٌّ هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبيَّة ورسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة ( قال ) وكثير من أهل الأمصار وغيرهم المنقطعين في أنسابهم عن العصبية يذهب إلى هذا الهذيان وقد غلط أبو الوليد بن رشد في هذا لمّا ذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلّم الأوّل"والحسب هو أن يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه وليت شعري ما الذي ينفعه قدم نزلهم بالمدينة إن لم تكن له عصابة يرهب بها جانبه وتحمل غيرهم على القبول منه فكأنّه أطلق الحسب على تعديد الآباء فقط مع أنّ الخطابة إنّما هي استمالة من تؤثر استمالته وهم أهل الحلّ والعقد .وأما من لا قدرة له البتّة فلا يلتفت إليه ولا يقدر على استمالة أحد ولا يستمال هو وأهل الأمصار من الحضر بهذه المثابة إلاّ أن ابن رشد ربّا في جبل وبلد لم يمارسوا العصبيَّة ولا أنسوا أحوالها فبقي في أمر البيت والحسب على الأمر المشهور من تعديد الآباء على الإطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبيّة وسرّها في الخليقة.

البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع إنما هو بمواليهم لا بأنسابهم

البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع إنما هو بمواليهم لا بأنسابهم ( قال ) وذلك أنا قدمنا أن الشرف بالأصالة والحقيقة إنما هو لأهل العصبية فإذا اصطنع أهل العصبية قوماً من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي والتحموا بهم كما قلناه ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتها كأنها عصبتهم، وحصل لهم من الانتظام

في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم (مولى القوم منهم ) وسواء كان مولى رق أو مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته بنافع له في تلك العصبية إذ هي مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الآخر وفقدانه أهل عصبيتها، فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فإذا تعددت له الآباء في هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبته في ولائهم واصطناعهم لا يتجاوزه إلى شرفهم بل يكون أدون منهم على كل حال وهذا شان الموالي في الدول والخدمة كلهم فإنهم إنما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء في ولايتها ألا ترى إلى موالي الأتراك في دولة بني العباس وإلى بني برمك من قبلهم كيف أدركوا البيت والشرف وبنوا المجد والأصالة بالرسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي من أعظم الناس بيتاً وشرفاً بالانتساب إلى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس وكذا موالي كل دولة وخدمها إنما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والأصالة في اصطناعها ويضمحل نسبه الأقدم من غير نسبها ويبقى ملغى لا عبرة به في أصالته ومجده وإنما المعتبر نسبة ولائه واصطناعه إذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقاً من شرف مواليه وبناؤه من بنائهم فلم ينفعه نسب ولادته وإنما بنى مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبه الأول في لحمة عصبيته ودولته فإذا ذهبت وصار ولاؤه واصطناعه في أخرى لم تنفعه الأولى لذهاب عصبيتها وانتفع بالثانية لوجودها وهذا حال بني برمك إذ المنقول أنهم كانوا أهل بيت في الفرس من سدنة بيوت النار عندهم ولما صاروا إلى ولاء بني العباس لم يكن بالأول اعتبار وإنما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم. وما سوى هذا فوهم توسوس به النفوس الجامحة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه و( إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) .

## نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء

اعلم أن العالم العنصريّ[14] كما قال الامام خلدون بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا من أحواله فالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات والإنسان وغيره كائنة فاسدة بالمعاينة وكذلك ما يعرض لها من الأحوال وخصوصا الإنسانية فالعلوم تنشأ ثم تدرس وكذا الصنائع وأمثالها والحسب من العوارض التي تعرض للآدميين فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد لأحد من أهل الخليقة شرف متصل في آبائه من لدن آدم إليه إلا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السر فيه .وأوائل كل شرف خارجية كما قيل وهي الخروج عن الرئاسة والشرف إلى الضعة والابتذال وعدم الحسب ومعناه أن كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه، شأن كل محدث ثم إن نهايته أربعة آباء وذلك أن باني المجد عالم بما عاناه في بنائه ومحافظ على الخلال التي هم أسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لأبيه قد سمع منه ذلك وأخذه عنه إلا أنه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاين له ثم إذا جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة، فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم إذا جاء الرابع قصر عن طريقتهم جملة وأضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم أن ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف وإنما هو أمر وجب لهم منذ أول النشأة بمجرد انتسابهم وليس بعصابة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم أنه النسب فقط فيربأ بنفسه عن أهل عصبيته ويرى الفضل له عليهم وثوقاً بما ربي فيه من استتباعهم وجهلاً بما أوجب ذلك الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم، والأخذ بمجامع قلوبهم فيحتقرهم بذلك فينغصون عليه ويحتقرونه ويديلون منه سواه من أهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب للإذعان لعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتنمو فروع هذا وتذوي فروع الأول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والأمراء وأهل العصبية أجمع ثم في بيوت أهل الأمصار إذا انحطت بيوت نشأت بيوت أخرى من ذلك النسب ( إِنْ يَشَأْ يُذهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ

[14] راجع مقدمة ابن خلدون وكتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

بعَزيز) واشتراط الأربعة في الأحساب إنما هو في الغالب وإلا فقد يندثر البيت من دون الأَربعة ويتلاشى وينهدم وقد يتصل أمرها إلى الخامس والسادس، إلا أنه في انحطاط وذهاب ( قال ) واعتبار الأربعة من قبل الأجيال الأربعة :بان ومباشر لـه ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن .وقد اعتبرت الأربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم ( إنما الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم : يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ) إشارة إلى أنه بلغ الغاية من المجد .وفي التوراة ما معناه ( أنا الله ربك طائق غيور مطالب بذنوب الآباء للبنين على الثوالث وعلى الروابع ) وهذا يدل على أن الأربعة الأعقاب غاية في الأنساب والحسب.

## هل في العرب قبيلة تشرف على الأخرى

من كتاب الأغاني في أخبار عزيف الغواني أن كسرى قال للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة. قال : نعم ؛ قال: بأي شيء؛ قال: من كان له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من قبيلته .فطلب كسرى ذلك فلم يجده إلا في آل حذيفة بن بدر الفزاري، وهم بيت قيس وآل ذي الجدين بيت شيبان وآل الأشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس ابن عاصم المنقري من بني تميم، فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم وأقعد لهم الحكام والعدول فقام حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقرابته من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس بن عاصم، وخطبوا ونثروا – كما سيأتي قريبا – فقال كسرى كلهم سيد يصلح لموضعه. ( قال ) وكانت هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعد بني هاشم، ومعهم بيت بني الذبيان من بني الحارث بن كعب اليمني ( قال ) ابن خلدون وهذا كله يدل على أن الأربعة الآباء نهاية في الحسب

( قلت ) وقد تتبعت شخصيا مسار عدة أسر في إقليمنا السعداوي الجلفاوي قد اشتهرت أوائلها بالقرآن أو بالعلم أو بالمال أو بالجاه أو بالولاية فوجدتها في الغالب كما الإمام ابن خلدون حيث أن جيلها الرابع لم يعد يُعرف ولم يعد لـه دور في الحياة غير أني وجدت أُسرا أخرى قد تجدد لها عز ببروز شخص من أحفادها أحيا لها ذكرا.

ضعف الامتياز بالنسب حاليا

أنّ الامتياز بالنسب كما قال ابن خلدون هو أضعف المميزات لهذه الأجيال والأمم الحاضرة لخفائه واندراسه بدروس الزمان وذهابه ولهذا كان الاختلاف كثيراً ما يقع في نَسَب الجيل الواحد أوّ الأمّة الواحدة، إذا اتصلت مع الأيام وتشعَّبت بطونُها على الأحقاب كما وقعَ في نسب كَثِير من اليونانيين والفرس والبربر وقحطان من العرب فإذا اختلفت الأنساب واختلفت فيها المذاهب وتباينت الدعاوى استظهر كل ناسب على صحَّة ما ادَّعاه بشواهد الأحوال والمتعارف من المقارنات في الزمان والمكان وما يرجع إلى ذلك من خصائص القبائل وسِمات الشعوب والفِرَق التي تكون فيهم منتقلة، متعاقبة في بنيهم.

أشراف العرب بين يدي كسرى

كما سبق أن أشرت قال كسرى للنعمان بن المنذر[15] يوما هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال فبأي شيء قال من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من قبيلته فيه وينسب إليه قال فطلب ذلك فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر وآل حاجب بن زرارة وآل ذي الجدين وآل الأشعث بن قيس بن كندة فجمع كسرى هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم وأقعد لهم الحكام والعدول وقال ليتكلم كل منكم بمآثر قومه وليصدق فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم وكان ألسن القوم فقال قدعلمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والأعز الأعظم ومأثرة للصنيع الأكرم فقال من حوله ولم ذاك يا أخا فزارة فقال ألسنا الدعائم التي لا ترام والعز الذي لا يضام قيل صدقت ثم قام شاعرهم فقال :

فـزارة بيـت العـز والعـز فـيهم ... فـزارة قـيس حسب قـيس نضالها

لهـا العـزة القعساء والحسب الـذي ... بنـاه لقـيس في القـديم رجالهـا

فهيهات قد أعيا القرون التي مضت ... مـآثر قـيس مجـدها وفعالهـا

وهـل أحـد إن هـز يومـا بكفـه ... إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها

فإن يصلحوا يصلـح لذاك جميعـها ... وإن يفسدوايفسدمن الناس حـالها

[15] راجع خزانة الادب وجمهرة الخطب والمستطرف

ثم قام الأشعث الكندي وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته من النعمان بن المنذر فقال قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر وزحفها الأكبر وإنا لغياث الكربات ومعدن المكرمات قالوا ولم يا أخا كندة قال لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم وتوسطنا بحبوحه الأكرم ثم قام شاعرهم فقال :

إذا قست أبيات الرجال ببيتنا — وجدت لنا فضلا على من يفاخر
فمن قال كلا أو أتانا بخطة — ينافرنا فيها فنحن نخاطر
تعالوا قفوا كي يعلم الناس أينا — له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام الشيباني فقال قد علمت العرب أنا بناة بيتها الذي لا يزول ومغرس عزها الذي لا يحول قالوا ولم يا أخا شيبان قال لأنا أدركهم للثار وأضربهم للملك الجبار وأقومهم للحكم وألدهم للخصم ثم قام شاعرهم

فقال لعمري بسطام أحق بفضلها — وأول بيت العز عز القبائل
فسائل أبيت اللعن عن عز قومها — إذا جد يوم الفخر كل مناقل
ألسنا أعز الناس قوما ونصرة — وأضربهم للكبش بين القبائل
وقائع غر كلها ربعية — تذل لها عزا رقاب المحافل
إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها — إذا نزلت بالناس إحدى الزلازل
وإنا ملوك الناس في كل بلدة — وعاذ بها من شرها كل وائل

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال قد علمت معد أنا فرع دعامتها وقادة زحفها قالوا ولم ذاك يا أخا بني تميم قال لأنا أكثر الناس عديدا وأنجبهم طرا وليدا وأنا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت أبناء خندف أننا — لنا العز قدما في الخطوب الاوائل

وأنـــا كـــرام أهـــل مجـــد وثـــروة وعـــز قـــديم لـــيس بالمتـــضائل
فكـم فـيهم مـن سـيد وابـن سـيد أغـــر نجيـــب ذي فعـــال ونائـــل
فسائل أبيـت اللعن عنافإننـــــــــا دعائم هذا الناس عــند الجلائــل

ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات دعائم وأثبتهم في النائبات مقادم قالوا ولم ذاك يا أخا بني سعد قال لأنا أدركهم للثار وأمنعهم للجار وأنا لا ننكل إذا حملنا ولا نرام إذا حللنا ثم قام شاعرهم فقال

لقـد علمـت قـيس وحنـدف أننـا وجـل تمـيم والجميـع الـذي تـرى
بأنـــا عمــــاد في الأمـــور وأننـــا لنا الشرف الضخم المركب في الندى
وأنـا ليـوث النـاس في كـل مـأزق إذا جـز بـالبيض الجمـاجم والطـلا
فمـن ذا ليـوم الفخـر يعـدل عاصـما وقيـسا إذا مـرت ألـوف إلى العـلا
فهيـهات قد أعيا الجمــــيع فعالهم وقـاموا بيـــوم الفخـــر مـسعاة مـن سـعى

فقال كسرى حينـئذ لما سمعهم ليس منهـم إلا سـيد يصلح لموضعه وأسـنى حبـاءهم وأعظم صِلاتهم .وأكرم مآبـهم[16]

المرء حيث يثبت لا حيث ينبت

هنا أقول ولو أني أبحث في علم النسب فإني أغلّب جانب الأخلاق والأدب على جانب النسب فإنه يحكي أن رجلا تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال ابن من أنت .قال ابن الأدب يا أمير المؤمنين .قال نعم النسب انتسبت إليه .ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيـــك محموده عن النسب
إن الفتى من يقـول هـــا أنـاذا ليس الـــفتى من يقول كان أبي

[16] راجع في هذا الموضوع وما يليه خزانة الأدب والمستطرف

وقال بعض الحكماء مَن كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعا وبعد صيته وإن كان خاملا وساد وإن كان غريبا وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرا قال بعض الشعراء :

لكل شيء زينة في الـــورى    وزينة المرء تمـــام الأدب
قد يشرف المرء بآدابه فيـــنا    وإن كـان وضيـــع الأدب

وقال بعض الأعاجم مفتخرا :

مالي عقلي وهمتي حســـبي    ما أنـــا مولى وما أنا عربي
إذا انتمى منتم إلى أحـــد    فـــإنني منـــتم إلى أدبي

وقيل الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت .ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا ومن عرف الأدب اكتسب به المال والجاه .وخير الخلال الأدب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضي الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم إليه وحموضة وجوههم فقال ما لكم تنظرون إلي نظر الشحيح إلى الغريم المفلس ؟؟ هكذا الأدب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الأسرة وقال جالينوس إن ابن الوضيع إذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا في منزلته وابن الشريف إذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا في سقوطه وقيل أحسن الأدب أن لا يفتخر المرء بأدبه وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال إذا فاتك الأدب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب وقال عبد الملك بن صالح :

في الناس قوم أضاعو مجد أولهم    ما في المكارم والتقـــوى لهم أرب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهـــم    وقد يزين صحيح المنصب الأدب

وقيل أربعة تسوّد العبد[17]: الأدب والعلم والصدق والأمانة .وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم إلا بخمسة لا يتم الحسب إلا بالأدب ولا يتم الجمال إلا بالحلاوة ولا يتم الغنى إلا بالجود ولا يتم البطش إلا بالجرأة ولا يتم الجهاد إلا بالتوفيق .

## عدم العصبية

في هذه المقدمات تجدر بي الإشارة إلى التحذير من العصبية المقيتة التي يدعوا إليها كثير من المستهترين الذين لا يخافون إلاًّ ولا ذمة و يريدون احتكار المحاسن وتفصيلها حسب أهوائهم في حين ينسبون النقائص لغيرهم وكتابي هذا بعيد كل البعد عن تلكم المعاني الهدامة وما تضمنته من معاني القبلية والعشائرية والعنصرية وما إلى ذلك وهو فقط يتناول الأنساب وما جرى به التعود من بعض مظاهر قد تعبر عن طيب عنصر مَّا أنا بصدد ترجمته.وهنا تجب معرفة معنى العصبية حتى يعلم الأغبياء أني على علم بما أنًا قائله وما أنا قادم عليه في هذا التصنيف .

## معنى العصبية

العَصَبِيُّ هو من يُعِينُ عصبته على الظُّلم و يغضَب لهم ويُحَامي عنهم والعَصَبَة هم الأَقَارب من جهة الأَب لأَنهم يُعَصِّبُونه ويَعْتَصِبُ بهم أَي يُحيطُون به ويَشتدّ بهم وفي الحديث ( ليس مَنَّا من دَعَا إلى عَصَبيَّة أو قَاتل عَصَبيَّة ) والمراد بها هنا المُحامَاةُ والمُدَافعَة على باطل.والعصبية الجاهلية ( النسبية أو الحزبية أو المذهبية) تؤدي غالبا إلى سفك الدماء والتحزْب والتشيَع والتفرقة واحتقار الآخرين وتنقصيهم بما فيها من محاسن الألفة والتماسك والتعاون ( أقول ) وإبائي للعصبية هذه لا يدعوني إطلاقا إلى تأييد الشعوبية التي تصغر شان العرب ولا ترَى لهم فضلاً علىغيرهم إذ العرب مهما جحد الجاحدون هم من عنصر طيب وكما قال صَيْدَحُ في قصيدة له :

إن العروبةَ جذعٌ لا تزعـــــزعُهُ عوارضُ الدفعِ في الأغصانِ والجـــَذب

وقال أميرَ الشعراء أحمدشوقي المصري:

---

[17] راجع في هذا الموضوع وما يليه خزانة الأدب والمستطرف

مجدُ الأصول عزيزٌ ما سـهَرتَ على      حفــــظ الأصول، فإن ضيعتم هانا
فلا تقولنَ يومَ الفـــــخر كان أبي      حتى يــــــراكَ بَنو الدنيا كما كانَا

حكاية في النساء والنسب

جاء في المستطرف قوله. يروى أن الشافعي رضي الله عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت الجارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول :

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة      وأخرى رمى فيها الزمان فشلـت

ثم تعود وتقول :

وما يســـتوي الثوبان ثوب به البلى      وثوب بأيدي البائـــعين جـديد

فمرت الجارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت :

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى      ما الحب إلا للحبــيـب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفــتى      وحنــــــينه أبدا لأول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء :

فإن تسألوني بالنساء فإنــــني      بــصير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل مالــه      فليــــس له في ودهن نصيـب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مؤاساة والغرائب أنجب وما ضرب رؤوس الأقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر:

لا تشتمن امرأ ممن يكــون له أم      من الـــروم أو سوداء عجماء
فإنما أمـــــهات القوم أوعية      مـــستودعات وللأنساب آباء

وقال الأصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم علي فقلت يا ابن أخي أما القصيرة النسب فالتي إذا ذكرت أبَا مَّا اكتفت به والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها فإياك أن تقع مع قوم قد

أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم .وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب إليها يعيرها ويقول :

ألا بلّــــغوا أم البنين بأننا غنيــنـــــا   واغنتنا الغـطـــارفة الــــنجــد
بعيد مناط المنـــــكبي إذا جــــرى   وبيضاء كالتمثال زينـــها العقد
فهذا لأيام العدو وهــــــذه لـــحاجة   نفسي حين ينصرف الجـــــند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته وفهمت مافيه وفحوى منطوقه ومرمى مضمونه قالت : يا غلام هات الدواة وكتبت جــوابا .تقول فيه :

ألا فاقرءْ مني السلام وقـــــل له غنينا   وأغنـــــتنا الغطــــارفة المـرد
إذا شئت أغنــــــاني غلام مرجــل   ونازعته في ماء معتصر الــــورد
وإن شاء منهم نــــــاشئ مد كفه إلى   عــكن ملساء أو كفل نهـــــدي
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم شهودا   فتقـضوها على النأى والبعــــد
فعجل إليــــــــنا بالسراح فإنه منانا   ولا نــــــدعو لك الله بالــــرد
فلا قفل الــــــجند الذي أنت فيهم   وزادك رب الناس بعدا على بعـد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شيء بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت لـه : الله في قلبي أعظم وأجل وأنت في عيني أذل وأحقر من أن أعصي الله فيك .فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف إلى الغزاة.

صفات النساء المحمودة

كتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب أن أخطب لعبد الملك بن مراون امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها مؤاتية لبعلها فكتب إليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثديها فتدفي الضجيع وتروي الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لي أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة

الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها في خالص العرب وفي خالص الفرس وقال حكيم عليكم بمن تربت في النعيم ثم أصابتها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لخاطب ابغ لي امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعني لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفي مثل هذه قال الشاعر :

هيفاء فيها إذا استقبلتها صلف     عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها     بساحة الدار لا بعل ولا جار

( قيل ) كانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا وإياك في الجنة إن شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لأني أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت والصابر والشاكر في الجنة وقال بعضهم رأيت في طريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر إليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجي قلت كيف يرضى مثلك بمثله فأنشدت:

أيا عجبا للخود يجري وشاحها     تزف إلى شيخ بأقبح تمثال
دعاني إليه أنه ذو قرابة     يعز علينا من بني العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول :

ومن لا يرد مدحي فإن مدائحي     نوافق عند الأكرمين نوامي
نوافق عندالمشتري الحمدبالندى     نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخي ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن إذا زوجهن يسوقهن ومهورهن إلى بعولتهن فقال يا ابن أخي لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن أبي الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول :

قضاعية الكعبين كندية الحشا     خزاعية الأطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف  ومنطق داود وعفـــة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن والتضمخ بالطيب وقالوا أن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر وإذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال علي بن زيد في وصفه :

حمرة خلط صفرة في بيـــاض  مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال علي بن عبد ربه :

بيضاءيحمر خداهاإذا خجلت  كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا إن الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء فقال ذو الرمة :

بيضاء صفراء قد تنازعهــا  لــونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فإذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا إن أردت أن ينجب ولدك فاغضبها ثم قع عليها قال الشاعر :

ممن حملن به وهن عـــواقــد  حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به في ليلة مزؤورة كرها  وعقد نطـــــــــاقها لم يحلل

----

المرأة السوء

في حكمة داود عليه السلام أن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضي الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لأعرابي وكان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأنها لسان حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في السماء وإست في الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد وتدفن

الحسنات وتفشي السيآت تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة إن دخل خرجت وإن خرج دخلت وإن ضحك بكت وإن بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الإرعاء تأكل لمًّا وتوسع ذمًّا ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول إذا حدثت تشير بالإصبع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة تدلى لسانها بالزور ويسيل دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور .ويقال إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها فإن علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر إلى إنسان غيره من ورائه وإن كانت محبة له لا تقلع عن النظر إليه وقال داود عليه الصلاة والسلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم.

## الجليس الصالح

قال الراغب رحمه الله تعالى يحق على الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار ومجالستهم فهي قد تجعل الشرير خيراً كما أن صحبة الأشرار قد تجعل الخير شريراً قال الحكماء: من صحب خيراً أصاب بركته فجليس أولياء اللّه لا يشقى وإن كان كلباً ككلب أهل الكهف ولهذا أوصت الحكماء الأحداث بالبعد عن مجالسة السفهاء .قال علي كرم اللّه وجهه : لا تصحب الفاجر فإنه يزين لك فعله ويود لو أنك مثله.وقالوا:إياك ومجالسة الأشرار فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري وليس إعداء الجليس جليسة بمقاله وفعاله فقط بل بالنظر إليه والنظر في الصور يورث في النفوس أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور إليه فإن من دامت رؤيته للمسرور سر أو للمحزون حزن وليس ذلك في الإنسان فقط بل في الحيوان والنبات فالحمل الصعب يصير ذلولاً بمقاربة الجمل الذلول والذلول قد ينقلب صعباً بمقارنة الصعاب والريحانة الغضة تذبل بمجاورة الذابلة ولهذا يلتقط أهل الفلاحة الرمم عن الزرع لئلا تفسدها ومن المشاهد أن الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة فما الظن بالنفوس البشرية التي موضعها لقبول صور الأشياء خيرها وشرها ؟ فقد قيل سمي الإنس لأنه يأنس بما يراه خيراً أو شراً .

( قلت ) وبمجالسة الناس وخصوصا منهم الصبيان للفضائيات وما إلى ذلك تبدّلت المفاهيم وضاعت الأخلاق والأديان.

## الكتاب الثاني

## في ذكر بحوث لها تعلق حثيث بعلم الأنساب

ويتضمن فصلين .الاول منهما في بحوث لها تعلق بعلم النسب .والفصل الثاني في بيان حُكم التفرقة العنصرية .

### الفصل الأول

### في

### بحوث لها تعلق بعلم الأنساب

بما أن هناك بحوث ذات صلة وتعلق بموضوع علم الأنساب فإني سأدرجها هنا في هذا الفصل ليكون قارئ هذا الكتاب على إلمام بها وعليه فأقول :

#### صلة الرحم

جاء في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام (صلة الرحم منهاة للولد مثراة للمال ) وقيل وجد حجر حين حفر إبراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت عليه بالعبرانية : أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أي قطعته.وقال رسول الله عليه السلام ( أعجل الخير ثوابا صلة الرحم ) وعن كعب الأحبار أنه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران إن في التوراة لمكتوبا ( يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في يسيرك وأصرف عنك عسيرك ) وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي أنه قال (صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر) وقال عمر رضي الله عنه ( تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم ) وقيل لو لم يكن من معرفة الأنساب إلا اعتزازها من صولة الأعداء وتنازع الأكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأي وأفضل الثواب ألا ترى إلى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ( ولولا رهطك لرجمناك ) فأبقوا عليه لرهطه

وقال عمر رضي الله عنه ( تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها ) وسئل عيسى عليه السلام أي الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أي هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم. وكان أبو كبشة جداً لرسول الله من قبل أمه فلما خالف رسول الله دين قريش قالوا نزعة عرق أبي كبشة حيث خالفهم في عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيري سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبي الإسلام الذي من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد : وجه عبد وكلام حر .ومن كلام علي كرم الله وجهه ( أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير فإنك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم ) وكان يقال إذا كان لك قريب فلم تمش إليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الأقارب إعظام الأصغر للأكبر وحنو الأكبر على الأصغر وقال رسول الله ( حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالدعلى ولده ) وقال بعضهم

وإذا رزقت من النوافل ثـروة فامنح عشيرتك الأداني فضلها
واعلم بأنك لم تسود فيهم حتى تـــرى دمث الخلائق سهلها

الكفاءة

يختلف تعريف الكفاءة باختلاف موطن بحثها : في القصاص , أو المبارزة , أو النكاح .

( 1 ) ففي النكاح : عرفها الحنفية بأنها مساواة مخصوصة بين الرجل والمرأة.وعرفها المالكية بأنها المماثلة والمقاربة في التدين والحال , أي السلامة من العيوب الموجبة للخيار .وعرفها الشافعية بأنها أمر يوجب عدمه عارا .وعرفها الحنابلة بأنها المماثلة والمساواة في خمسة أشياء .

(2)أما في القصاص , فقد عرفها الشافعية بأنها مساواة القاتل القتيل بأن لا يفضله بإسلام أو أمان أو حرية أو أصلية أو سيادة .

( 3) وفي المبارزة عرفها الحنابلة : بأن يعلم الشخص الذي يخرج لها من نفسه القوة والشجاعة وأنه لن يعجز عن مقاومة خصمه .

واختلف الفقهاء في الحكم التكليفي لاعتبار الكفاءة في النكاح : فذهب الحنفية والحنابلة إلى أنه يجب اعتبارها فيجب تزويج المرأة من الأكفاء ويحرم على ولي المرأة تزويجها بغير كفء وذهبوا إلى أن الكفاءة تعتبر في جانب الرجال للنساء ولا تعتبر في جانب النساء للرجال لأن النصوص وردت باعتبارها في جانب الرجال خاصة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا مكافئ له وقد تزوج من أحياء العرب وتزوج صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها وقال ( ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن تأديبها فيتزوجها فله أجران ) الحديث ولأن المعنى الذي شرعت الكفاءة من أجله يوجب اختصاص اعتبارها بجانب الرجال لأن المرأة هي التي تستنكف لا الرجل فهي المستفرشة والزوج هو المستفرش فلا تلحقه الأنفة من قبلها إذ أن الشريفة تأبى أن تكون فراشا للدنئ والزوج المستفرش لا تغيظه دناءة الفراش وكذلك فإن الولد يشرف بشرف أبيه لا بأمه. ونقل عن أبي يوسف ومحمد أن الكفاءة في جانب النساء معتبرة . قال الكمال : مقتضى الأدلة وجوب إنكاح الأكفاء وهذا الوجوب يتعلق بالأولياء حقا لها , وبها حقا لهم لكن إنما تتحقق المعصية في حقهم إذا كانت صغيرة لأنها إذا كانت كبيرة لا ينفذ عليها تزويجهم إلا برضاها فهي تاركة لحقها كما إذا رضي الولي بترك حقه حيث ينفذ وقال الحنابلة يحرم على ولي المرأة تزويجها بغير كفء بغير رضاها لأنه إضرار بها وإدخال للعار عليها ويفسق الولي بتزويجها بغير كفء دون رضاها وذلك إن تعمده . واختلف الرأي عند المالكية فقال الشيخ خليل : للمرأة وللولي تركها أي الكفاءة . وقال الشيخ الدردير : لهما معا تركها وتزويجها من فاسق سكير يؤمن عليها منه وإلا رده الإمام وإن رضيت لحق الله تعالى حفظا للنفوس وكذا تزويجها من معيب لكن السلامة من العيوب حق للمرأة فقط وليس للولي فيه كلام . وقال الامام الدسوقي : حاصل ما في المسألة أن ظاهر ما نقله الامام الحطاب وغيره واستظهره الشيخ ابن رحال منع تزويجها من الفاسق ابتداء وإن كان يؤمن عليها منه وأنه ليس لها ولا للولي

الرضا به وهو ظاهر لأن مخالطة الفاسق ممنوعة وهجره واجب شرعافكيف بخلطة النكاح وقال الشافعية : يكره التزويج من غير كفء عند الرضا إلا لمصلحة . وقال الامام العز بن عبد السلام يكره كراهة شديدة التزويج من فاسق إلا ريبة تنشأ من عدم تزويجها له كأن خيف زناه بها لو لم ينكحها أو يسلط فاجرا عليها .

( قلت) وكما سبق فقداختلف الفقهاء في حكم الكفاءة من حيث اعتبارها في النكاح أو عدم اعتبارها وهل هي في حال اعتبارها شرط في صحة النكاح أم في لزومه : فذهب الشافعية والحنفية في ظاهر الرواية , وهو المعتمد عند المالكية الذي شهره الفاكهاني , والمذهب عند أكثر متأخري الحنابلة والأصح كما قال في المقنع والشرح , إلى أن الكفاءة تعتبر للزوم النكاح لا لصحته غالبا فيصح النكاح مع فقدها لأنها حق للمرأة وللأولياء فإن رضوا بإسقاطها فلا اعتراض عليهم وهو ما روي عن عمر وابن مسعود وعمر بن عبد العزيز وعبيد بن عمير وحماد بن أبي سليمان وابن سيرين واستدلوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم زوج بناته ولا أحد يكافئه وبأنه (صلى الله عليه وسلم أمر فاطمة بنت قيس وهي قرشية أن تنكح أسامة بن زيد مولاه فنكحها بأمره ) وزوج صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية وبأن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة تبنى سالما وأنكحه ابنة أخيه الوليد بن عتبة وهو مولى لامرأة من الأنصار وبأن الكفاءة لا تخرج عن كونها حقا للمرأة والأولياء فلم يشترط وجودها .ووجه اعتبارها عندهم أن انتظام المصالح يكون عادة بين المتكافئين والنكاح شرع لانتظامها ولا تنتظم المصالح بين غير المتكافئين فالشريفة تأبى أن تكون مستفرشة للخسيس وتعير بذلك ولأن النكاح وضع لتأسيس القرابات الصهرية ليصير البعيد قريبا عضدا وساعدا يسره ما يسرك وذلك لا يكون إلا بالموافقة والتقارب ولا مقاربة للنفوس عند مباعدة الأنساب والاتصاف بالرق والحرية ونحو ذلك فعقده مع غير المكافئ قريب الشبه من عقد لا تترتب عليه مقاصده. وذهب الحنفية في رواية الحسن المختارة للفتوى عندهم واللخمي وابن بشير وابن فرحون وابن سلمون من المالكية وهو رواية عن أحمد إلى أن الكفاءة شرط في صحة النكاح .وقال أحمد إذا تزوج المولى العربية فرق

بينهما وقال في الرجل يشرب الشراب ما هو بكفء لها يفرق بينهما وقال : لو كان المتزوج حائكا فرقت بينهما لقول عمر رضي الله تعالى عنه : لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء ولقول سلمان رضي الله عنه ( ثنتان فضلتمونا بها يا معشر العرب , لا ننكح نساءكم ولا نؤمكم في الصلاة ) ولأن التزوج مع فقد الكفاءة تصرف في حق من يحدث من الأولياء بغير إذنه فلم يصح كما لو زوجها بغير إذنها .وذهب الكرخي والجصاص وهو قول سفيان الثوري والحسن البصري إلى عدم اعتبار الكفاءة وقالوا : إنها ليست بشرط في النكاح أصلا واحتجوا : بما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( يابني بياضة أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه قال : وكان حجاما ) أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزويج عند عدم الكفاءة ولو كانت معتبرة لما أمر .وبقوله صلى الله عليه وسلم ( لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ) .وبأن الكفاءة لو كانت معتبرة في الشرع لكان أولى الأبواب بالاعتبار بها باب الدماء لأنه يحتاط فيه ما لا يحتاط في سائر الأبواب ومع هذا لم تعتبر حتى يقتل الشريف بالوضيع فهاهنا أولى والدليل عليه أنها لم تعتبر في جانب المرأة فكذا في جانب الزوج .وقال الشافعية إن الكفاءة وإن كانت لا تعتبر لصحة النكاح غالبا بل لكونها حقا للولي والمرأة إلا أنها قد تعتبر للصحة كما في التزويج بالإجبار انتهى

( قلت ) وقال الشيخ الانصاري في كتابه أسنى المطالب قول المصنف ( ولا عبرة بالانتساب إلى عظماء الدنيا والظلمة ) أي المستولين على الرقاب وإن تفاخر الناس بهم ( قال في الأصل وكلام النقلة لا يساعده عليه في عظماء الدنيا كما صرح به الرافعي قال في المهمات وكيف لا يعتبر الانتساب إليهم وأقل مراتب الإمرة أي ونحوها أن تكون كالحرفة وذو الحرفة الدنيئة لا يكافئ النفيسة . قال أحدهم :

فَأَنْكَحَها، لا في كَفَاءٍ ولا غِنىً  زِيادٌ، أَضَلَّ اللّهُ سَعْيَ زِياد

الشَّرَفُ والمَجْدُ لا يكونان إلا بالآباء .يقال : رجل شريفٌ ورجل ماجدٌ إذا كان له آباءٌ متقدّمون في الشرَف.قالوا: والحَسَبُ والكَرَم يكونان وإن لم يكن له آباء لهم شَرَفٌ. وفي حديث الشعبي: قيل للأعمش: لِمَ لم تَسْتَكْثِر من الشعبي؟ قال: كان يَحْتَقِرُني كنت آتيه مع إبراهيم فيُرَحّبُ به ويقول لي: اقعُدْ ثمّ أيُّها العبدُ ثم يقول: لا نَرْفَعُ العبدَ فوقَ سُنَّته، ما دامَ فينا وبأَرْضنا شَرَفُ أي شريف. يقال: هو شَرَفُ قومه وكَرَمُهم أي شَريفُهم وكريمهم، واستعمل أَبو إسحقَ الشَّرَفَ في القرآن فقال: أَشْرَفُ آية في القرآن آيةُ الكرسي.والمَشْرُوفُ: المفضول. وفي الحديث أَن النبي صلى اللّه عليه وسلم، قال ( ما ذئبان عاديان أَصابا فريقة غَنَم بأَفْسَدَ فيها من حُبّ المرء المالَ والشَّرَفَ لدينه) يريد أَنه يَتَشَرَّفُ للمُباراة والمُفاخَرة والمُساماةً.

أَقول والأشراف في موضوعنا هذا هم آل البيت الذين سيأتي الكلام عليهم بالتفصيل.واعظم آل البيت السلالة المباركة بنواالبتول الطاهرة فاطمة الزهراء والامام المرتضى سيدنا علي رضي الله عنهماو أرضاهما .روي عن سيدنا علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة ( إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك )وأخرج الترمذي من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( علي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم )وفي الصحيحين عن المسور بن مخرمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول ( فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما رابها )وأخرج الدولابي في الذرية الطاهرة بسند جيد عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بنى علي بفاطمة ( لا تحدث شيئًا حتى تلقاني فدعا بماء فتوضأ منه ثم أفرغه عليهما وقال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما

( أقول ) وسميت فاطمة بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحَسَبا . وقيل لانقطاعها عن الدُّنيا إلى اللّه تعالى.كما سميت مريم البتول لانقطاعها عن الرجال وشهوات النفس الغريزية.قال الامام محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله .

يا آل رسول الله حبكمو فرض من الله في القرءان انزله

يكفيكم من عظيم الفخرانكمو          من لم يصـــل عليكم لا صلاة له

الحسب

الحسب [18] في الأصل الشرف بالآباء مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا عدوا آباءهم وقومهم عدوهم ويحكم لمن زاد عدده على غيره . وقيل الحسب : هو الفعال الصالحة . قال ابن السكيت : والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن لآبائه شرف , والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء , ولهذا قيل الحسب : هو المال فجعل المال بمنزلة شرف النفس أو الآباء .وقال الأزهري : الحسب الشرف الثابت للشخص.وفرق بعضهم بين الحسب والنسب فجعل النسب عدد الآباء والأمهات إلى حيث انتهى والحسب الأخلاق الحسنة مثل الشجاعة والجود وحسن الخلق والوفاء وغالب استعمال الفقهاء بالمعنى الأول وهو الآباء والأجداد أي شرف النسب. قال عبد الله بن مخارق

عليكَ بكلِّ ذي حَسَبٍ ودينٍ          فـــــإنهم همُ أهلُ الوفاء
وإن خُيِّرْتَ بينهم فألصِـــــقْ          بأهلِ العـَقلِ منه والحيـــاءَ

القومية العربية

في العصر الحديث [19] ظهر اتجاه سياسي اطلق عليه القومية العربية وهي كما جاء في الموسوعة : حركة سياسية فكرية تدعو إلى تمجيد العرب واقامة دولة موحدّة لهم على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين.وظهرت هذه الحركة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تؤلف من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية ثم في حركة علنية تتخذ مظاهر جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراً لها ثم في حركة سياسية واضحة المعالم شرحت في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة (1912 م)( قالت )ومن أهم الجمعيات : الجمعية السورية التي أســـسها نـــصارى منـــهم بطـــرس البـــستاني وناصـــيف اليـــازجي ســـنة (1847م) في دمشق.والجمعية السورية في بيروت التي أسسها نصارى منهم سليم البستاني ومنيف خوري

---

18 راجع موسوعة المفاهيم المصرية والموسوعة الفقهية الكويتية

19 هذا البحث وما يليه يراجع في كتب المعاصرين كمعالم في الطريق لمحمد قطب وغيره ممن ذكرتهم في باب مصادر الكتاب

سنة ( 1868م)والجمعية العربية السورية التي ظهرت في (1875 م) وجمعية رابطة الوطن العربي التي أسسها نجيب عازوري سنة ( 1904م ) بباريس وألَّف كتاب « يقظة العرب» والجمعية القمطانية التي ظهرت سنة (1909م ) وهي جمعية سرية من مؤسسيها خليل حمادة المصري والجمعية العربية الفتاة التي أسسها في باريس طلاب عرب سنة (1911 م)وحزب العهد وهو سري أنشأه ضباط عرب بالجيش العثماني سنة (1912 م )وظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة وفي عدد محصور من أبناء المسلمين ولم تصبح تياراً شعبياً إلا حين تبناها الرئيس المصري جمال عبدً الناصر ( قالت ) ويُعد ساطع الحصري (1968م) رائد القومية العربية وأشهر دعاتها ويأتي بعده ميشيل عفلق.(قالت ) والأفكارفيها هي : (1) إعلاء رابطة العرق على حساب رابطة الدين (2)دعوى أن الأمة العربية أمة واحدة (3) الدعوة إلى الفكر العلماني (4)تبنى شعار الدين لله والوطن للجميع (5)يقول عدد من دعاة هذه الفكرة نحن عرب قيل عيسى وموسى ومحمد(6)يقولون إن الوحدة العربية حقيقة أما الوحدة الإسلامية فهي حلم
( قالت) وغاب عنهم أن الوحدة الاسلامية تحققت مرات عدة في التاريخ ( قالت ) ويوجد اليوم كثير من الشباب العربي الذين يحملون هذا الفكر وبناء عليه نشأت عدة أحزاب قومية في شتى الأقطار
( قالت) و يلاحظ بأن الفكر القومي الآن هو في حالة تراجع وانحسار.

الشعوبية

هنا[20] لابد من ذكر بحث هام خاص بالشعوبية لئلا ينتقدني من لا عناية لهم ولا اهتمام بعناصر الشرف وعليه فأقول الشعوبية لغة كماقال الاستاذ احمد شلبي هي كلمة منسوبة للشعوب فهى بذلك لا تفرق بين شعب وآخر من حيث الرفعة أو الضعة وإنما تدعو للمساواة وهى بهذا المعنى متفقة مع الفكر الإسلامي الذى يرى أنه لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى فالمفاضلة تكون بين الأفراد حسب أعمالهم وليست بين

[20] هذا البحث وما يليه يراجع في كتب المعاصرين كمعالم في الطريق لمحمد قطب وغيره ممن ذكرتهم في باب مصادر الكتاب

الجماعات والشعوب وجرى الحال على ذلك في صدر الإسلام فبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي كانوا من خيرة الصحابة وعندما غضب أبو ذر الغفارى على عبد له وقال له يا ابن السوداء صاح به الرسول صلى الله عليه وسلم ( إنك أمرؤ فيك جاهلية ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بعمل صالح ) وبدأ الإسلام يتسع على يد العرب ويضم أقواما لهم فى التاريخ مكان مجيد وجاء العصر الأموي الذي كان يعتمد على سيوف العرب في فتوحاته وتوسعه وظهرت روح جديدة لا يقرها الإسلام وهى الفرق بين العرب والموالى وفى أيسر تعريف للموالى أنهم المسلمون من غير العرب وأحس العرب بتفوق جنسهم الذي كان منه الخلفاء والأمراء والكتاب والشعراء والفقهاء وافتخر العرب بجنسهم ولم يساووا بين العرب والموالى وبخاصة من الفرس. ومن هنا بدأ للشعوبية معنى جديد في التاريخ يرمى إلى التعصب لغير العرب واعتبارهم بتاريخهم العظيم أسمى من العرب وقاد بهود فارس هذا الاتجاه وساعد على ذلك أن الدولة العباسية قامت بسيوف فارسية وأن مفكري الفرس اهتموا بالتفوق في مجالات الأدب والشعر والتفسير والفكر وذلك ضمن لهم التفوق في المجال السياسي والفكري فأصبح الخلفاء يعترفون بفضلهم وأصبح منهم العديد من الوزراء والأدباء والسفراء والمفسرين والمؤرخين وبدءوا بحاضرهم وماضيهم يعدون أنفسهم أسمى من العرب ، وهذا هو المعنى الذي آل إليه معنى الشعوبية فأصبح للشعوبية معنى مزدوج هو الحط من الجنس العربي والنيل من الدين الإسلامي ووسيلتها لذلك التعصب لرفع شأن غير العرب وبخاصة الفرس والتفاخر بأمجادهم ورقى حضارتهم وما يتبع ذلك من تصغير شأن العرب والهجوم عليهم ووصفهم بأحقر الأوصاف. ويصور الجاحظ حركة الشعوبية وأهدافها بقوله : إن عامة من ارتاب في الإسلام كانت الشعوبية أساس ارتيابهم فلا تزال الشعوبية تنتقل بأهلها من وضع إلى وضع حتى ينسلخوا من الإسلام لأنه نزل على نبي عربي وكان العرب حمله أوائله عندما نزل. ويلاحظ أن الفرس حاولوا أن يشركوا الأجناس غير العربية في حركتهم الشعوبية فاستعانوا بأجناس وحضارات مختلفة ضد العرب وتنفيذا لذلك راحوا يمجدون حضارة الفراعنة وحضارة الفينيقيين والهند ، ولكن ذلك لم يخدع هذه الشعوب ، فإن هؤلاء رجوا

عقائديا وثقافيا وسياسيا بالإسلام فرفضوا أن ينضموا للفكر الشعوبي وتمسكوا بالفكر الإسلامي الذي يسوى بين البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم والذي يدعو إلى التعاون بين الشعوب الإسلامية لخدمة الجميع. وبقى الفرس وحدهم في هذا المضمار، وقد وضعوا بعض الأحاديث التي نسبوها للرسول صلوات الله وسلامه عليه والتي تعلى من قدرهم. واشترك بعض الشعراء الفرس في هذا المجال فنظموا القصائد التي يهاجمون فيها العرب ومن ذلك ما قاله أحدهم :

همو راضة الدنيا وسادة أهلها إذا افتخروا لإراضة الشاه والإبل

وقال آخر:

ولست تبارك إيوان كسرى لتوضح أو لحـــومل فالدخول

ووجد اليهود الفرس فرصتهم في هذا المجال ليهاجموا الإسلام ورسول الإسلام فقالوا منا العديد من الأنبياء والمرسلين وليس هناك أنبياء من العرب سوى ثلاثة هم هود وصالح ومحمد، ونسوا أن كثرة الأنبياء فيهم كانت لكثرة زيفهم وضلالهم فأرسل الله لهم العديد من الأنبياء لإصلاح شأنهم ولكن بدون جدوى، وطعن اليهود والفرس في إسماعيل الجد الأعلى للرسول صلوات الله وسلامه عليه فقالوا إنه ابن جارية وهي (هاجر)، أما إسحاق جدهم فإنه ابن حرة وهي (سارة). وهكذا اختلق اليهود والفرس هذه النفرة للتفريق بين المسلمين، مع أن الإسلام لا ينظر إلى أصول الناس أو ثرائهم أو ألوانهم وإنما ينظر إلى تقواهم وأعمالهم قال تعالى ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) والآية تذكر الناس بوحدة المنشأ وتقرر أن تقسيم الناس إلى قبائل وضع طبيعي ناتج عن تعدد الأولاد والأحفاد ولكن يهدف للتعارف لا للتفرقة كما تؤكد الآية أن التفاضل لا يتخذ أساسه أصول الناس بألوانهم وأجناسهم بل ينظر إلى عمق الإيمان وما يقدمه الناس من العمل الصالح.

لما للماسونية[21] من خطورة على العرق العربي ودين الإسلام أذكر هنا معالمها لتتوقى وعليه فقد جاء في الموسوعة العربية قولها إن الماسونية معناها في اللغة الفرنسية): البناءون الأحرار، وهي في الاصطلاح : منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد أكثر أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام مؤسسها هو ( هيرودس اكريبا ) توفي سنة 44 ميلادي، ملك الرومان بمساعدة مستشارية اليهوديين ( سيرام أبيود) نائب الرئيس ( موآب لامي) كاتم سر الأول، وقد قامت الماسونية منذ أيامها الأولى على المكر والتمويه والإرهاب حيث اختاروا رموزاً وأسماء وإشارات للإيهام والتخويف وسموا محفلهم ( هيكل أورشليم) للإيهام بأنه هيكل سليمان عليه السلام، أما تاريخ ظهورها فقد اختلف فيه لتكتمها الشديد والراجح أنها ظهرت سنة (43 م) وسميت ( القوة الخفية) وهدفها التنكيل بالنصارى واغتيالهم وتشريدهم ومنع دينهم من الانتشار، ومنذ بضعة قرون تسمت بالماسونية لتتخذ من نقابة البناءين الأحرار لافتة تعمل من خلالها ثم التصق بهم الاسم دون حقيقته، تلك هي المرحلة الأولى أما المرحلة الثانية للماسونية فتبدأ سنة ( 1770م) عن طريق ( آدم وايزهاويت) المسيحي الألماني المتوفي سنة (1830 م] الذي ألحد واستقطبته الماسونية بهدف السيطرة على العالم وانتهى المشروع سنة (1776 م) ووضع أول محفل في هذه الفترة ( المحفل النوراني) نسبة إلى الشيطان الذي يقدسونه واستطاعوا خداع ألفين من كبار الساسة والمفكرين وأسسوا بهم المحفل الرئيسي المسمى بمحفل الشرق الأوسط، وفيه تم إخضاع هؤلاء الساسة لخدمة الماسونية وأعلنوا شعارات براقة تخفي حقيقتهم فخدعوا كثيراً من المسلمين، أما عقيدتهم فهم يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات ويعملون على تقويض الأديان إلا اليهودية ويعملون على إسقاط الحكومات وتقسيم غير اليهود وبث النزاع

---

[21] هذا البحث وما يليه يراجع في الموسوعة العربية للحاسوب وفي كتب المعاصرين كمعالم في الطريق لمحمد قطب وغيره ممن ذكرتهم في باب مصادر الكتاب

والشقاق بينهم بكافة الوسائل وتسليح هذه الأطراف وتدبير حوادث لتشابكها، وتهديم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد والرذيلة والماسونية وراء عدد من الويلات التي أصابت الأمم ووراء جل الثورات التي وقعت في العالم فكانوا وراء إلغاء الخلافة الإسلامية (العثمانية) وعزل السلطان عبد الحميد كما كانوا وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية وهم يعملون على السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام وتوجيه الرأي العام كما يريدون ويجهدون للهيمنة على المنظمات الدولية. وأما الانتساب لها فهي تشترط على منٍ يلتحق بها التخلي عن كل رابطة دينية أو وطنية أو عرقية أو أخلاقية ويجعل ولاءه خالصا للماسونية ويحيطون بالشخص الذي يقع في حبائلهم بالشباك من كل جانب لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون لتنفيذ مخططاتهم وإذا تململ الشخص أو عارض في شيء تدبر له فضيحة كبرى وقد يكون مصيره الموت وكل شخص استفادوا منه ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة وهم يسعون للسيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات لتكون أعمالهم متكاملة ويتم قبول العضو الجديد في جو مرعب حيث يقاد إلى الرئيس معصوب العينين وما أن يؤدي يمين حفظ السر ويفتح عينيه حتى يفاجأ بسيوف مسلولة حول عنقه وبين يديه كتاب العهد القديم وحوله جو مظلم مخيف. وكل ذلك لبث المهابة في نفس العضو الجديد، ولهم درجات ثلاث (1)العُميُ الصغار: والمقصود بهم المبتدؤون من الماسونيين (21) الماسونية الملوكية وهذه لا ينالها إلا من تنكر كلياً لدينه ووطنه وأمته وتجرد لليهودية ومنها يقع الترشيح للدرجة الثالثة والثلاثين كتشرشل وبلفور (3) الماسونية الكونية وهي قمة الطبقات وكل أفرادها يهود وهم آحاد فوق الأباطرة والملوك والرؤساء لأنهم يتحكمون فيهم وكل زعماء الصهيونية من الماسونية الكونية ك (هرتزل) وهم الذين يخططون للعالم لصالح اليهود وللماسونية عصابات إرهابية لتنفيذ العمليات الإجرامية للتخلص من كل من يقف في طريقهم عن قصد أو عن غير قصد وأخيراً يقول الحاخام (لاكويز): الماسونية اليهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وفي إيضاحاتها هي اليهودية من البداية إلى النهاية.

# الاستشراق

الاستشراق هو تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته . ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما .ومن الصعب تحديد بداية للاستشراق إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس ، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين ، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين . الأول : حياة محمد . والثاني : حوار بين مسيحي ومسلم وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين وأيا كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية.وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام ( 1312م) وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية و لم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر فقد ظهر أولا في إنجلترا عام ( 1779م ) وفي فرنسا عام ( 1799م) كما ادرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م . ومن رجالات الاستشراق الكبار ( 1 ) ( هربر دي أورلياك ) (938-1003م) من الرهبانية البندكتية قصد الأندلس وقرأ على أساتذتها ثم انتخب بعد عودته حبرا أعظم باسم سلفستر الثاني سنوات( 999-1003م) فكان بذلك أول بابا فرنسي .( 2)( جيرار دي كريمونا 1114-1187م) إيطالي قصد طليطلة وترجم ما لا يقل عن 87 مصنفا في الفلسفة والطب والفلك وضرب الرمل. ( 3)( طرس المكرم 1094-1156م ) الفرنسي من الرهبانية البندكتية و رئيس دير كلوني قام بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة موضوعية عن الإسلام وقد كان هو ذاته وراء أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية . (4 ) الإنجليزي روبرت أوف كيتون يوحنا الإشبيلي

اليهودي المتنصر الذي ظهر في منتصف القرن الثاني عشر وعني بعلم التنجيم فنقل إلى العربية أربعة كتب لأبي معشر البخلي وقد كان ذلك بمعاونة ( إدلر أوف باث روجر بيكون الإنجليزي الذي تلقى علومه في أكسفورد وباريس حيث نال الدكتوراه في اللاهوت وقد ترجم عن العربية كتاب مرآة الكيمياء . ( 5 )( رايموند لول ) (1235– 1314م ) الذي قضى تسع سنوات ( 1266– 1275 م ) في تعلم العربية ودراسة القرآن وقصد بابا روما وطالبه بإنشاء جامعات تدرس العربية لتخريج مستشرقين قادرين على محاربة الإسلام ووافقه البابا وفي مؤتمر فينا سنة (1312م) تم إنشاء كراس للغة العربية في خمس جامعات أوربية هي : باريس و اكسفورد وبولونيا بإيطاليا وسلمنكا بأسبانيا بالإضافة إلى جامعة البابوية في روما

( قال ) وقام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية وقد اهتم عدد من المستشرقين اهتماما حقيقيا بالحضارة الإسلامية وحاول أن يتعامل معها بموضوعية وقد نجح عدد قليل منهم في هذا المجال ولكن حتى هؤلاء الذين حاولوا أن ينصفوا الإسلام وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم لم يستطيعوا أن ينفكوا من تأثير ثقافاتهم وعقائدهم فصدر منهم ما لا يقبله المسلم وهذا يعني أن أي تصنيف للمستشرقين إلى منصفين ومتعصبين هو أمر تختلف حوله الآراء فقد يصدر ممن عرف عن الاعتدال قولا أو رأيا مرفوضا وقد يحصل العكس فتكون بعض آراء المتعصبين إنصافا جميلا للإسلام ولهذا لابد من التريث والتحقق

( قال ) وهناك مستشرقون منصفون على العموم منهم ( 1 )( هادريان ريلاند المتوفي سنة 1718م ) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوترشت بهولندا له كتاب الديانة المحمدية في جزأين باللغة اللاتينية لكن الكنيسة في أوروبا وضعت كتابه في قائمة الكتب المحرم تداولها .( 2)( يوهان ج رايسكه 1716–1774م ) وهو مستشرق ألماني جدير بالذكر اتهم بالزندقة لموقفه الإيجابي من الإسلام عاش بائسا ومات مسلولا وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا .(3 ) ( سلفستر دي ساسي المتوفي سنة 1838م

)وقد اهتم بالأدب والنحو مبتعدا عن الخوض في الدراسات الإسلامية وإليه يرجع الفضل في جعل باريس مركزا للدراسات العربية وكان ممن اتصل به رفاعة الطهطاوي (4 ) ( توماس أرنولد 1864-1930م )الإنجليزي وكانت له الدعوة إلى الإسلام الذي نقل إلى التركية والأردية والعربية . ( 5 ) ( غوستاف لوبون ) المستشرق والفيلسوف المادي الذي لا يؤمن بالأديان مطلقا وجاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره . (6) ( زيجريد هونكه ) وقد اتسمت كتابتها بالإنصاف وذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب في مؤلفها الشهير شمس العرب تسطع على الغرب .

( قلت ومن المنصفين أيضا) ( جاك بيرك ) و ( أنا ماري شمل ) و (كارلايل و ( ورينيه جينو ) و( الدتور جرينيه ) و ( جوته الألماني ) و ( أ.ج. أربري ) ومن كتب هذا الأخير الإسلام اليوم وقدصدر سنة 1943م وله التصوف صدر ( 1950م ) وترجمة معاني القرآن الكريم

( قال ) و من المستشرقين المتعصبين ( جولد زيهر1850-1920م ) المجري اليهودي ومن كتبه تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي والعقيدة والشريعة ، ولقد أصبح زعيم الإسلاميات في أوروبا بلا منازع .و ( جون مابنارد الأمريكي المتعصب كان من محرري مجلة الدراسات الإسلامية . و ( ص م. زويمر المستشرق المبشر ، مؤسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية له كتاب الإسلام تحدي للعقيدة وقدصدر سنة 1908م وله كتاب الإسلام وهوعبارة عن مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة ( 1911م ) في لكهنئو بالهند .و ( غ. فون. غرونباوم الألماني اليهودي درس في جامعات أمريكا له كتاب الأعياد المحمدية طبع سنة(1915م ) ودراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية صدرسنة (1954م ) .و ( أ.ج. فينسينك كان عدوا للإسلام ، له كتاب عقيدة الإسلام طبع سنة( 1932م ) وهو ناشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في لغته الأولى .و ( كينيث كراج ) ألامريكي المتعصب ، له كتاب دعوة المئذنة طبع سنة (1956م ) و ( لوي

ماسينيون ) الفرنسي المبشر المستشاراً في وزارة المستعمرات الفرنسية لشؤون شمال أفريقيا له كتاب الحلاج الصوفي شهيد الإسلام طبع سنة( 1922م ) و ( د.ب ماكدونالد ) ألامريكي المتعصب المبشر ، له كتاب تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية وله الموقف الديني والحياة في الإسلام .و ( مايلز جرين ) سكرتير تحرير مجلة الشرق الأوسط .و ( د.س. مرجليوث 1885- 1940م ) الإنجليزي المتعصب من مدرسته طه حسين وأحمد أمين وله كتاب التطورات المبكرة في الإسلام صدرسنة (1913م) وله محمد ومطلع الإسلام صدر سنة ( 1905م )وله الجامعة الإسلامية صدرسنة 1912م) .و ( بارون كارادي فو) الفرنسي المتعصب كان من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية . و ( هـ. أ. ر. جب 1895-1965م ) الإنجليزي من كتبه المذهب المحمدي صدر سنة(1947م) والاتجاهات الحديثة في الإسلام صدر سنة( 1947م ) .و ( ر.أ. نيكولسون الإنجليزي يكان ينكر أن يكون الإسلام دينا روحيا وينعته بالمادية وعدم السمو الإنساني ، وله كتاب متصوفوا الإسلام صدر سنة ( 1910م ) وله التاريخ الأدبي للعرب صدر سنة ( 1930م ). و ( هنري لامنس ) اليسوعي 1872-1937 ) الفرنسي المتعصب له كتاب الإسلام وله كتاب الطائف كان من محرري دائرة المعارف الإسلامية . و ( دوزيف شاخت ألالماني المتعصب ضد الإسلام له كتاب أصول الفقه الإسلامي و ( بلاشير ) الذي كان يعمل في وزارة الخارجية الفرنسية كخبير في شؤون العرب والمسلمين . و ( ألفردجيوم الانجليزي المتعصب ضد الإسلام من كتبه الإسلام والأفكار والمعتقدات .

( قال ) وأهداف الاستشراق كثيرة منها ( أولا) ( الهدف الديني ) كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق وقد صاحبه خلال مراحله الطويلة وهو يتمثل في ( 1) التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى ، والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السنة بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته .(2) التشكيك في صحة القرآن

والطعن فيه حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوتهم وتنأى بهم اللهجات القومية عن الوحي باعتباره المصدر الأساسي . ( 3) التقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمدا من الفقه الروماني .(4) النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى .(5) إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلا من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر .(6) العمل على تنصير المسلمين (7) الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم ( 8) حماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية

( ثانيا ) ( الهدف التجاري ) ولقد كانت المؤسسات والشركات الكبرى والملوك كذلك يدفعون المال الوفير للباحثين من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها وقد كان ذلك جليا في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع والعشرين .

( ثالثا) ( الهدف السياسي ) وكان يهدف إلى (1) إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم .( 2) العناية باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة .( 3) توجيه موظفيهم في هذه المستعمرات إلى تعلم لغات تلك البلاد ودراسة آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسونها ويحكمونها .(4)الالتحاق بأجهزة الاستخبارات لسبر غور حالة المسلمين وتقديم النصائح لما ينبغي أن يفعلوه لمقاومة حركات البعث الإسلامي

( رابعا ) ( الهدف العلمي الخالص ) وقد اتجه فيه بعضهم إلى البحث والتمحيص لمعرفة الحقيقة خالصة وقد وصل بعض هؤلاء إلى الإسلام ودخل فيه ونذكر منهم (1) ( توماس أرنولد) الذي أنصف المسلمين في كتابه الدعوة إلى الإسلام .(2) إتين دينيه ( قلت ) وهذا الأخيرة قد أسلم وعاش في الجزائر وأسمى نفسه ناصر الدين ولما توفي بفرنسا أوصى بدفنه في ( بوسعادة ) من أرض المسيلة وله كتاب أشعة خاصة بنور الإسلام .ومحمد رسول الله

وترجم هذا الأخير الشيخ عبد الحليم محمود وقد قرأت هذا الكتاب على يد شيخنا عبد القادر الشطي في الجلفة في أوائل السبعينات.
(قالت الموسوعة ) وأهم المؤلفات الإستشراقية هي ( 1 ) تاريخ الأدب العربي لـ كارل بروكلمان المتوفي سنة 1956م ) ( 2 ) دائرة المعارف الإسلامية وقدظهرت الطبعة الأولى منها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية وقد صدرت في الفترة ( 1913-1938م ) غير أن الطبعة الجديدة قد ظهرت بالإنجليزية والفرنسية فقط من عام (1945م وحتى عام 1977م) ( قلت ) وقد أطلعت على تعليقات الشيخ عبد العزيز العلايلي على ترجمتها العربية في مكتبة ابن رستم بالجلفة . ( 3 ) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف والذي يشمل الكتب الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل وقد وضع في سبعة مجلدات نشرت ابتداء من عام ( 1936م )
( قالت ) وقد بلغ ما ألفه المستشرقون عن الشرق في قرن ونصف قرن ( منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين ) ستين ألف كتاب وراجع الباقي في المطولات.

العولمة

أثناء كتابتي هذا السّفْر درجتْ على مسامعي كلمة العولمة [22] التي لها ضجة كبيرة في عالمنا المعاصر ومن ثم لابدَ من نقل تعريف لها ليبتين القارئ مدى مغزاها ( قال ) الاستاذ محمد قطب في معرض حديثه عن ذلك : إن العولمة ليست وجها واحدا كما قد تبدو لأول وهلة و إنما هي أخطبوطية تشمل الاقتصاد والسياسة والفكر والدين والأخلاق والثقافة والتقاليد والعادات. وحتى لو فرضنا جدلا وهو غير صحيح أن الهدف الأساسي هو السيطرة الاقتصادية ، فإن هذه لا تتم بغير معاوناتها الأخرى فالقوم (كل قوم وخاصة العرب ) الذين لهم دين يعتزون به ، وأخلاق يعتزون بها ، وثقافة متميزة ومقومات ذاتية يحرصون عليها لا ينصاعون بسهولة للسيطرة الاقتصادية ولو حاصرتهم من كل جانب ، إنما اعتزازهم بقيمهم الخاصة سيجعلهم يقاومون وسيجعلهم ولو على المدى البعيد يسعون إلى التحرر من العبودية

[22] هذا البحث وما يليه يراجع في الموسوعة العربية للحاسوب وفي كتب المعاصرين كمعالم في الطريق لمحمد قطب وغيره ممن ذكرتهم في باب مصادر الكتاب

المراد فرضها عليهم وعندئذ يفشل التخطيط ، ويفشل الأخطبوط فلا بد إذن من أجل السيطرة الاقتصادية ذاتها من محو شخصية الأمم وتذويب مقوماتها النفسية والفكرية والعقدية ، ليسلس قيادها للمسيطر الأجنبي ( قال )ومسئولية الأمة الإسلامية هنا كبيرة فقد أخرج الله هذه الأمة – أمة التوحيد لتحقق أهدافا معينة : لتكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله :( كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بالله)ولتكون رائدة ومرشدة وشاهدة على كل البشرية :(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا) .ولتحمل رسالة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام إلى البشرية كافة على مدى الزمن كله من بعثه عليه الصلاة والسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولتخرج الناس من الظلمات إلى النور على هدى الكتاب المنزل من عند الله :( الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ) وكفل الله لهذه الأمة – حين تقوم برسالتها : الاستخلاف والتمكين والتأمين :( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ) وتحقق ذلك كله في واقع الأرض عدة قرون ، كانت فيها الأمة الإسلامية خير أمة على وجه الأرض في كل اتجاه : عقديا ، وأخلاقيا ، وفكريا ، وعلميا ، وسياسيا ، وحربيا ، واقتصاديا ، وحضاريا . وفي كل مجال من مجالات الحياة ، في الوقت الذي كانت فيه أوربا غارقة في ظلمات ما يطلقون عليه هم : قرونهم الوسطى المظلمة تحقق للأمة السيادة والمنعة والقوة وتحقق لها لأول مرة في التاريخ معنى " الأمة التي تجمع شعوبا مختلفة ، وأجناسا مختلفة ، ولغات مختلفة يرتبطون كلهم برباط واحد هو " الإسلام ، وإن تباعدت المسافات بينهم ، وإن اختلفت علاقات الحكام بعضهم ببعض فرباط " الإسلام الذي يوحد قلوبهم ومشاعرهم أقوى في نفوسهم من كل ما يسبب الفرقة أو الخلاف . منه يتخذون عقيدتهم ومنه يستمدون أنماط حياتهم وأخلاقياتهم وسلوكياتهم وتوجهاتهم العامة ، وإن كان لكل

شعب خصوصياته ، ولكل فرد خصوصياته .وتحقق لها الرخاء الاقتصادي الناشئ من سعي المسلمين في فجاج الأرض ، ينشرون فيها النور ، ويكشفون مجاهيلها ، ويعمرونها ، تحقيقا للتوجيه الرباني ( هُوَ الَّذي جَعَل لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا في مَنَاكبهَا وَكُلُوا منْ رزْقه وَإِلَيْه النُّشُورُ) و (هُوَ أَنْشَأَكُمْ منَ الأَرْض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيهَا ) وتحقق لها نشاط فكري وعقلي وعلمي غير مسبوق ، يزخر به إنتاج تلك القرون – قرون التمكين – في اتجاهات متباينة : في الفقه والأصول ، في التاريخ ، في الطب والفلك والرياضيات ، في الرحلات والكشوف الجغرافية ، وفي كل منحى من مناحي الحياة الموّارة الدفاقة ، التواقة إلى المعرفة ، التواقة إلى تحقيق الخلافة الراشدة في الأرض :( وَإذْ قَالَ رَبُّكَ للْمَلائكَة إنِّي جَاعلٌ في الأَرْض خَليفَةً ) وتحقق لها وجود حضاري واسع لا ينحصر في الإنتاج المادّي والحضارة المادية ، من إنشاء مدن وعمارة مبان وتوفير طرق ، وفنون إدارة إنما يحقق المعنى الجوهري للحضارة أي الارتقاء " بالإنسان " ليكون جديرا بالتكريم الرباني : الارتقاء به عقيدة ، وأخلاقا ، وسلوكا ، وفكرا ومعرفة ، ينبع منها النشاط المادي ، ولا تنحصر فيه .

كانت هذه الأمة أول أمة عرفت مجانية التعليم ، ومجانية العلاج ، وأوقفت على هذين الأمرين أوقافا طائلة لا تعتمد على سخاء الدولة أو تقتيرها ، أو عنايتها أو إهمالها ، بقدر ما تعتمد على دوافع الخير في النفوس ، ودوافع البذل والعطاء .وكانت أول أمة عرفت إنشاء بيوت لرعاية العجزة ، ودور لإيواء الحيوانات الضالة لرعايتها وإطعامها .وكانت أول أمة أو الأمة الوحيدة التي تفي بعهودها مع الآخرين وتلتزم بالمواثيق ، ولا تبرمها في وقت الحاجة لتمزقها في أول فرصة مواتية .وكانت أول أمة أو الأمة الوحيدة التي لا تضطهد المخالفين لها في العقيدة ، بل ترعاهم ، وتؤمّنهم على عقائدهم وعباداتهم وكل نشاطاتهم الاقتصادية والحياتية ما داموا غير محاربين ولا مجاهرين بالعداء .باختصار كانت هي الأمة المتحضرة في الأرض .

هنا لابد من معرفة الفرق بين ( العولمة والَعلمانية [23]) أما العولمة فقد سبق الكلام عليها وأماالعلمانية فهي بمعنى فصل الدين عن الدولة والتشريع بغير ما أنزل الله ، وهي أمر عميق الجذورَ في التربة الأوربية ، لم تعدّله حتى فترة الدين الكنسي المحرف ، فقد كان من تحريفات ذلك الدين التي ارتكبتها الكنيسة ضمن ما ارتكبته من التحريفات فصل الدين عن الدولة ، أو فصل العقيدة عن الشريعة ، وتقديم الدّين عقيدة بلا شريعة ، على أساس قول منسوب للسيد المسيح ( أدّ ما لقيصر لقيصر وما لله لله) أما العلمانية التي أبرزتها الجاهلية المعاصرة وأكدتها فهي إقصاء كل أثر للتعاليم الدينية في التشريع ، وإقامةً التشريع على مبعدة من الدين إن لم يكن على عداء صريح مع الدين ويبدو ذلك واضحاً في تحليل الربا وإباحة الفاحشة وعدم اعتبارها جريمة ما دامت برضى الطرفين ، بل التوسع في ذلك حديثاً إلى حدّ إباحة الفاحشة الشاذة وزنا المحارم إلى غير ذلك من ألوان التحدّي الصارخ لأوامر الله .ويبرز معنى الجاهلية " في هذه القضية من زاويتين اثنتين على الأقل ( الأولى ) هي التمرّد على حقّ الله في التشريع المترتب على كونه هو الخالق سبحانه ، الذي خلق البشر ، وخلق لهم طعامهم وشرابهم وكساءهم والهواء الذي يتنفسونه ، وسخّر لهم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه وهم لا يملكون شيئاً من ذلك كلّه بغير تمليك الله لهم إياه :( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ) أي أنه هو صاحب الأمر سبحانه بما أنه هو الخالق.والرزق ذاته هو من خلق الله سبحانه وتعالى ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) ( الثانية ) هي التمرّد على حكمة الله الحكيم الخبير ، الذي خلق الإنسان ويعلم دخائله ، ويعلم ما يُصلحه وما يَصلح له ، ويُحيط بالزمن كله ماضيه وحاضره ومستقبله ، ويعلم ما يمكن أن يُؤدي إليه كل تشريع من التشريعات ، لا في الحاضر وحده ، ولكن في الزمن المقبل كله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليهابينما علم الإنسان قاصر وأشد علمه قصوراً كما بيّن " الكسيس كاريل " في كتابه " الإنسان ذلك المجهول "هو علمه بنفسه

[23] هذا البحث وما يليه يراجع في الموسوعة العربية للحاسوب وفي كتب المعاصرين كمعالم في الطريق لمحمد قطب وغيره ممن ذكرتهم في باب مصادر الكتاب

وكان من نتائج التشريع بغير ما أنزل الله في الجاهلية المعاصرة ، أن انقسم الناس كما يحدث في كلّ جاهليات التاريخ إلى سادة وعبيد : سادة يملكون ويشرعون ، وعبيد يقع على كاهلهم التشريع ، كما هو الحال في كلّ من المعسكرين المتنازعين : المعسكر الرأسمالي ، الذي يملك الرأسماليون ناصية الأمر فيه ويستعبدون الكادحين على الرغم من مسرحية الديمقراطية الجميلة . والمعسكر الشيوعي الذي يملك الحزب أو اللجنة المركزية العليا للحزب أو الأعضاء البارزون في اللجنة المركزية أو الزعيم الأوحد أو الاستخبارات ناصية الأمر فيه ويقع العبء فيه على الكادحين أو طبقة البروليتاريا التي زعمت الشيوعية أنها حطمت النّظم السائدة كلّها من أجلهم .كما كان من نتائجه خلط وخبط لا تنتهي آثاره عند حدّ وقامت في أوربا أول دولة علمانية لا تجعل الدين قاعدة لحياتها وكانت خطوة إلى الأمام في تنفيذ المخطط الشرير ما كانوا ليحلموا بها باليسر الذي تمت به في حُمَّى الثورة والناس مندفعون في حماسة الانتقام لا يلوون على أحد ولا يبقون على شيء وأصبحت فرنسا من بعد نموذجاً يحتذى وكسبت اليهودية معركة من معاركها الحاسمة مع الدين .

الهُوية

الهُوِّيّة بضم الهاء اصطلاح معاصر وهي الحقيقة المطلقة في الأشياء والأحياء المشتملة على الحقائق والصفات الجوهريّة وهو آتٍ من كلمة ( هُو ) يقال هويّة النّفس الإنسانيّة وبطاقة الهويّة منسوبة إلى هُو .ويقال : إثْباتُ الهُوِيّة ، أُثْبِتَ الهُوِيّة ، عَيَّنَ الهُوِيّة ، تَعْيِينُ الهُوِيّة . بِطَاقَةُ هُوِيّة . تَذْكِرَةُ هُوِيّة .الخ .

## الفصل الثاني

## في

## بيان التفرقة العنصرية

### التفرقة العنصرية

يسأل كثير عن معنى التفرقة العنصرية وما موقف الإسلام منها وقد أجاب الشيخ عطية صقر المصري رحمه الله عن ذلك بقوله : ( إن ) الإجابة على السؤال تتناول عدة نقاط منها :

1 . مفهوم التفرقة العنصرية ويقصد بالتفرقة العنصرية فى العرف الحديث التمييز بين الأجناس في القوانين والمعاملات ، على أساس الدم و( الخلقة ) المتعلقة بتكوين الجسم البشرى وما يتبع ذلك من الحياة الفكرية ومظاهر السلوك والاجتماع. لقد صنَّف علماء العلوم الإنسانية الأجناسَ البشرية إلى جماعات تجمع بين كل منها خصائص ومميزات طبيعية متوارثة في مجموعها مجال للاختلاف البسيط بين أفرادها ، ومن أبرز هذه الخصائص لون البشرة وشكل الجمجمة وملامح الوجه وطول القامة ، وقالوا : إن هذه الطبيعية يتبعها اختلاف في المواهب العقلية والقوى النفسية وما إليها ورأى بعض هؤلاء أن تقسيم البشر إلى أجناس يرجع إلى الدم نفسه على خلاف فيما بينهم على مقدار نسبة ما يوجد من دم الآباء والأجداد في الإنسان حتى ينسب إلى هذا الجنس ، وعلى أساس هذا التقسيم العنصري قرر الباحثون أن هناك امتياز للبعض على البعض الآخر ويحق للأجناس العالية أن تكون لها قوانين وأن تعامل معاملة خاصة ، بخلاف الأجناس الأخرى التي لا ينبغي أن تدخل معها في هذه القوانين وتلك المعاملات. هذا هو مفهوم التفرقة العنصرية فى العرف الحديث ، والهدف منه ، و سيأتى بيان بطلان وزيف ما يهدفون إليه من أغراض.

2 . التفرقة في النظم القديمة : إن فكرة التمييز بوجه عام بين بنى الإنسان فكرة قديمة ، ضرورة اختلاف الناس بعضهم عن بعض في القوة الجسم العقلية والمظاهر المادية ، والتي كان من أثرها استعلاء بعضهم على بعض ، واستغلال القوى منهم للضعيف وسيطرة العالم على الجاهل ، والتى كان من أكبر مظاهرها الرق .( أ ) ففى الهند مثلا كانت كتبهم المقدسة تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم التي خلقوا منها ففي زعمهم أنه " خلق فصيلة البرهميين من فمه ، وهم أشرف المخلوقات ولهم أرقى المناصب الدينية ، وخلق فصيلة الكشتر من أ ذرعه ، وهم الذين يتولون الوظائف الحربية وخلق فصيلة الفيشائيين أو الفاشا من فخذه ، وهم الذين يقومون بالعمل، وخلق فصيلة السود والمنبوذين من قدمه ، وهؤلاء لهم وظيفة واحدة هى خدمة الطبقات السابقة. ( ب ) وكان اليونان يعتقدون أنهم شعب مختار خلقوا من عناصر تختلف عن العناصر التى خلقت منها الشعوب الأخرى التي كانوا يطلقون

عليها اسم " البربر "وقد قرر أرسطو في كتابه "السياسة " أن الآلهة خلقت فصيلتين من الأناسي ، فصيلة زودتها بالعقل والإرادة وهى اليونان وقد فطرتها على هذا التكوين الكامل لتكون خليفتها في الأرض وسيدة على سائر الخلق ، وفصيلة لم تزودها إلا بقوة الجسم وما يتصل اتصالا مباشرا به وهم البرابرة أي ما عدا اليونان من بنى آدم وقد فطروا على هذا التقويم الناقص ليكونوا عبيدا مسخرين للفصيلة المختارة المصطفاة .( قال ) وكانوا يقرون الرق الذى يقول فيه أرسطو: إن الرقيق آلة ذو روح ، أو متاع تقوم به الحياة ، فهم لا يدخلونه في عداد المخلوقات الإنسانية ( ج ) وكان الرومان يعتقدون كما يعتقد اليونان أنهم سادة العالم وان غيرهم بر ابره خدم لهم وكانت قوانينهم تقر الرق وتعامل الرقيق على أنه متاع مدعين أن استعباده رحمة به من القتل الذي تتعرض له الحيوانات وإلى جانب الاسترقاق بالحروب كانوا يسترقون الفقير إذا عجز عن أداء الدين ، ولم تكن للرقيق حقوق قانونية ولا مدنية و لا يستطيع أن يقاضى سيده أو معاملته بل كان لسيده الحق في قتله دون مجازاة ولم يخفف من حدة هذه المعاملة الدين المسيحي. ( د ) العرب فى الجاهلية كانوا يعيشون على التفاخر بالأحساب والأنساب ويعتقدون أنهم أفضل من غيرهم يطلقون عليهم اسم العجم ولعل ذلك كان أساسه اعتزاز العربي بلغته الفصيحة التي لا يوجد لها مثيل فى العالم وكانوا بناء على ذلك يكرهون أن يتلوث دمهم العربي النقي بدم غيرهم عن طريق الزواج ويأنفون أن يزوجوا بنات قبائلهم كـ ( باهلة وسلول ) إلى أعجمي حتى لو كان كسرى نفسه ، وقد خطب كسرى أبرويز بنت النعمان بن المنذ ر فأبىالنعمان مصاهرته مع أنه كان أحد ولاته وكانت حرب طاحنة بين الفرس والعرب تكتلت فيها قبائلهم من حرقة بنت النعمان أن يأخذها كسرى وانتهت المعركة بانتصار العرب في موقعة ( ذي قار ) وكان العرب يستخدمون الرقيق في الأعمال المنزلية وفى التجارة بل كان يمارس معهم الحرب أحيانا وإذا أعجبوا به أعتقوه وجعلوه مولى لهم.

( أولا ) لقد ادعى اليهود أنهم شعب الله المختار وأن الإله الذي يعبدونه لا ينبغي أن يكون معبودا لغيرهم ممن كانوا يطلقون عليهم أميين قال تعالى ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ فكان رد الله عليهم أنه لا يفضل أحد على أحد إلا بالعمل فقال تعالى ﴿قل فلمَ يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾وكانوا يعتقدون أن غيرهم من الأميين ليست لهم حقوق كحقوقهم ، كما حكى بقوله ﴿ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ وكانوا يبيحون استرقاق من عداهم عند العجز عن الوفاء بالدين وما يزال شعور التعالي والتعصب العنصري موجودًا لديهم حتى الآن و كانت قمته هي الصهيونية بمظاهرها و أساليبها المعروفة التي تتنافى مع الكرامة الإنسانية.

( ثانيا ) المسيحية أقرت الرق كما أقرته اليهودية وقد جاء في المعجم الكبير للقرن التاسع عشر (( لاروس ) الإنسان الأسود من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم فإن نواب الدين الرسميين يقرون صحته وسلمو فيه وجاء في ( قاموس الكتاب المقدس ) للدكتور جورج يوسف قوله وظل الرق معترفا به بين المسيحيين وكثر كثرة فاحشة بعد اكتشاف أمريكا وجلب الرقيق من أفريقيا للعمل بالاتجار على أشده بين الدول الاستعمارية ، يمارسه ملوكها وكبار رجالها ، مع قسوة بالغة العنف برروها بالمقدسة ، وصدرت قوانين تنص على احتقار الجنس الأسود وإهدار كرامته ، وكان مفكر وهم ينادون بذلك كما جاء في ( روح القوالين ) حيث قال مؤلفه ( مونتيسكيو ) الفرنسي في الفصل الخامس منه : إن شعوب أوروبا بعد ما أبادوا شعوب أمريكا الأصليين وهم الهنود الحمر لم تر بُدًّا من استعمار شعوب أفريقيا ، لكي تستخدمها في استغلال مصالحهافإن هذه الشعوب سود البشرة من أقدامهم إلى رءوسهم ولا يمكن أن يتصور أحد أن الله وهو ذو الحكمة البالغة خلق روحا وعلى الأخص روحا طيبة في أجسام حالكة السواد وعلى الرغم من إبطاله قانونا فإن الدول المسيحية ما زالت تمارسه بلون آخر هو الاستعمار والتفرقة العنصرية على ما سيأتي بيانه.

## العلم و التفرقة العنصرية

إن تقسيم البشر إلى أجناس على أساس الدم أو التكوين الطبيعي للجسم قد قرر العلماء المنصفون أخيرا أنه تقسيم باطل فإن مظاهر التقدم والرقى الموجودة عند بعض الجماعات لا يرجع سببها إلى ذلك وإنما يرجع إلى عوامل من البيئة الطبيعية والظروف السياسية والأوضاع الاقتصادية والأجواء الثقافية وقرروا أنه لو وضع شخصان من جنسين مختلفين في بيئة حضارية وثقافية واجتماعية واحدة ما كان هناك فرق يذكر بينهما في الفكر والسلوك ، وكم تقدم أفراد من أناس ملونة على أفراد من البيض في الجامعات وفى النشاط الاجتماعي العام ، وذلك عندما تهيأت لهم الظروف. ومن هنا لا تكون وراثة الخصائص البيولوجية مانعة من التقدم والحضارة عندما تتوافر الظروف وإن كان هناك تخلف حضاري عند سلالة من السلالات فمرده إلى العوامل الطبيعية والاقتصادية والثقافية والسياسية وقد بحث العلماء بنوع خاص في عنصرية اليهود فأكدوا أن الموجودين منهم الآن ، وهم حوالي خمسة عشر مليون كلهم ليسوا من عنصر واحد بحكم اختلاطهم بالأجناس الأخرى طوعا أو كرها ، وقد تحدث البحاثة " بيتار " عن هذا وقال إن الإسرائيليين يكونون جماعات دينية واجتماعية قوية النفوذ وثيقة التضامن غير أنها متباينة العناصر .إن الإسرائيليين الخلص الذين هم من أصل آشورى المتميز برأسه المستطيل وعددهم محدود جدا ، كما قرر ذلك أيضا ( هاتزجو ) في كتابه " أصول الأجناس فى التاريخ الأوروبى " وأكده أيضا (كوماس ) أستاذ التاريخ الطبيعى للأجناس البشرية الوطنية بمكسيكو "

## الاهتمام بالأبحاث العنصرية

إن الاهتمام بالبحث في الأجناس وخصائصها ومميزاتها لم يأخذ شكلا واضحا إلا في العصور المتأخرة حين غلبت الأمم القوية نزعة الاستعمار والاستغلال للأمم الضعيفة المتخلفة أرادت به الدعاية لجنس معيَّن ولف طريقة التحكم في الأجناس الأخرى وكثيرا ما لجأت هذه الأفكار إلى الدين تستمد منه تأييدا لها كقول صهيون ( نحن شعب الله المختار) ولقد ظهرت هذه النغمة بالذات في أوروبا في العصر الحديث فبعد أن كانت دولها لا تفرق بين مسيحي

وغير مسيحي ، وبعد أن كان يفاخر بعضها البعض الآخر بالأخلاق والآثار أصبحت تتحدث عن الأجناس وخصائصها بين جنس وآخر تبعا لهذه الخصائص ، يقول المؤرخ ( توينبى ) ويرجع ظهور هذه النغمة في أوروبا إلى أسباب منها:

( أ ) النزعة الاستعمارية التي تبرر نقاء الجنس الأبيض الأوروبي وزعامته لبقية الأجناس ، ووصايته عليها ، كما مرت موجة الاستعمار الأوربي للشعوب الأخرى.

( ب ) النزعة القومية المعتدة بجنسها والداعية إلى وحدة شعوبها التي تنتمي إلى جنس واحد .وفى ظل هذه النزعة أيضا سمعنا تمسك الشعب الألماني بفكرة نقاء أصله وسلالته الآرية وبخاصة بعد قيام الاتحاد الألماني في أعقاب الحرب السبعينية بين بروسيا وفرنسا ، وجاءت نداءات منها: ألمانيا فوق الجميع ، وقول غليون الثاني : إنه منتدب من الله لنصرة الألمان على سائر شعوب أوروبا ، وكذلك رأينا في الشرق الجنس الأصفر الياباني يعتز بنفسه أيضا وينادى : آسيا للآسيويين ، ورأينا الإنجليز أيضا ينادون بفكرة سيادة الإنجلوسكسون وتعاليهم على سكان أوروبا .

( ج ) الانقلاب الصناعي والحاجة إلى الأيدي العاملة في المصانع و سوق الآلاف من العمال لخدمة رأسمالية الأجناس الأخرى والأمم المختلفة ، وإعطائهم أجورا قليلة دون اعتراف لهم بحقوق تحفظ كرامتهم.

( د ) اكتشاف أمريكا والحاجة إلى استغلال خيراتها ، الأمر الذي خلق تجارة الرقيق وجلبهم من أفريقيا للعمل بمصانعها .

آثار النزعة العنصرية

لقد سخر المستعمرون والمستغلون علماءهم لتبرير نقاء الجنس الأبيض وإثبات خصائص للألوان و الأجناس و هي : البيض والسود والصفر والحمر وأعلاها جميعا الجنس الأبيض وقد علمت أن العلماء المنصفين أثبتو الأجناس التي لم يعد لها وجود متميز الآن ، فقد تداخلت وتلاقت بعوامل مختلفة وانتقلت خصائص بعضها إلى البعض ولم يبق من الأجناس الصافية إلا قلة ضئيلة من الهنود الحمر وفى وسط أفريقيا وحوض الأمازون وبعض جزر

أرض النار في جنوبي قارتي العالم الجديد لقد قال المستعمرون : إن السود والهنود الحمر ليسوا من نسل آدم ، فروحهم مشتقة من أصل أقل من الإنسان وفى معمعة التطور الصناعي ومعاملة الطبقات العاملة نشأت نظرية داروين في تطور النوع وبقاء الأصلح وسادت نظرية مندل في الوراثة وظهرت مؤلفات كثيرة تبحث عن فكرة عدم المساواة بين الأجناس البشرية وعن سيادة الجنس الآري ، وتكونت مدرسة لها نظرياتها تزعمها الكونت جوبينو الفرنسى وكذلك "فاجنر" الموسيقى الألماني ومثله ( ستيوارت شامبرلين ) الإنجليزي وأيضا ( لوتروب ستودارد) الأمريكي ، وهؤلاء قالوا : إن الجنس الأبيض هو وحده منشى الحضارة وهو الجنس الآري المنحدر من الشمال كما ظهرت نغمات : الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا مع هذا التزييف للحقائق العلمية والتحيز الظاهر في الأحكام على الأجناس البشرية الذي كان أثرا من آثارها و كانت هناك آثار واضحة تطبيقية لهذه النزعة ، من أهمها : ( أ ) استعمار البيض للملونين وكسبهم مزايا سياسية واقتصادية انتعشت بها أوروبا وفكت بها أزمتها ، وكثرت تبعا لذلك رءوس الأموال الأجنبية في البلاد المستعمرة ، واستنزفت ثرواتها ، كما كان من لوازم الاستعمار تخصيص محاكم ومصحات ونواد وغير ذلك للسادة المستعمرين لا يتمتع بها الملونون. ( ب ) احتقار البيض لغيرهم ، واستخدامهم المزري لهم ، كما كان يحدث في الهند ، فقد كان الإنجليزي يركب على ظهر الهندي ليستطيع أن يمتطى جواده ، وفى الصين كان يجبر على جر العربة بالسائحين كالدابة سواء بسواء ، وقد كتبت لافتات على بعض الحدائق العامة في شنغهاى مدينة الأجنبية عبارة ( محظور على الوطنيين والكلاب دخول هذا المكان ) (ج ) العزل الاجتماعي والسياسي لأهل البلاد ، وعدم تمكينهم من ممارسة نشاطهم في هذه المجالات ، كما هو الحال في جنوبي أفريقيا وروديسيا ( د ) إبقاء الوطنيين على التأخر والجهل والانحطاط ، وذلك ليمكن للأجنبي التسلط عليهم ، فإن من المقرر : تقدم الأهالى يخلق فرصة للمطالبة بالحرية والاستقلال ولا شك أن ذلك كله يهدد الأمن الداخلي للبلاد التي فيها العنصرية ، ويزعزع أركان السلام العالمي ويثير الفتن والحروب بين الدول.

على الرغم من إصدار القرارات ضد التفرقة العنصرية فى المؤتمرات الدولية المتعاقبة منذ مطلع القرن التاسع : اتفاق عصبة الأمم سنة 1926 م ، الذي وقّعته ثمان وثلاثون دولة ، وعلى الرغم من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة في العاشر من ديسمبر سنة 1948 م فإن التفرقة العنصرية ما زالت تمارس في بعض الدول الحديثة مظاهرها ما يوجد في أمريكا و جنوبي أفريقيا .

( أ ) ففي أمريكا الآن ( زمن المؤلف ) حوالي عشرين مليونا من الملونين ، يقطن أكثرهم فى الولايات الجنوبية ، وقد قامت حروب الشمال والجنوب من سنة 1860 إلى سنة1865 م بزعامة ( لنكولن ) صاحب فكرة تحرير العبيد ، وقد قتل بيد عنصر اسمه ( بوث ) فى14من أبريل سنة 1865 م .كان الجنوب يصر على الإبقاء على التفرقة العنصرية لضمان استخدام ا مزارعه ، وكان الشمال يصر على تحريره ليتمكن من الهجرة إلى الشمال ويعمل في مصانعه ، ومن هنا يعرف أن سبب هذه الحرب كان اقتصاديا استغلاليا وليس ثورة على الكرامة الإنسانية. وإذا كانت الحرب قد انتهت بتقرير المساواة فإن التفرقة ما زالت تمارس عمليا ومنصوصا عليها في قوانين دستور ولاية (مسيسبى ) في الفصل الثامن الخاص بالتربية والتعليم ( مادة 207 ) التي تقول : يراعى في هذا الحقل أن يفصل بين أطفال الزنوج ، فتكون لكل فريق مدارسه الخاصة. وفى الفصل الرابع عشر ( أحكام عامة ) منها مادة 263 التي تقول: إن زواج شخص أبيض من شخص زنجي يعد غير شرعي وباطلا ، بل جاء في قانون هذه الولاية : أن الذي يطالب بالمساواة الاجتماعية والتزاوج بين البيض والسود ، بالطبع أو النشر أو أية وسيلة ، يعتبر عمله جرما يعاقب عليه القانون. وهذه التشريعات تطبق في عدة ولايات أمريكية ، كما جاء في تقرير قدم إلى الأمم المتحدة سنة 1947 م تحت عنوان ( إلى العالم ) على أن الكنيسة نفسها شاركت في إقرار هذا الظلم ، فإن للزنوج كنائس خاصة ، ولا يصح لهم أن يعبدوا ربهم في كنائس البيض مع أن الذي خلقهم جميعا واحد وهو الله سبحانه.
وقد جاء في كتاب ( مصرع الديموقراطية في العالم الجديد) الذي نشرته دار العلم للملايين في

بيروت كثير مما تدل على تمكن النزعة العنصرية من نفوس الأمريكيين وقد تأسست في الجنوب جمعية ( كلوكلوكس كلان ) لإرهاب الملونين ، وانتشرت في جميع أنحاء الولايات المتحدة قائمة على أنقاض جمعية لإرهاب الكاثوليك ومنع هجرتهم. وما زالت حوادث التفرقة في أمريكا دليلا على أن هذا العالم الذي يدعى حماية الحريات يعيش على النفاق والخداع بعيدا عن مقررات الأمم المتحدة وعن قواعد الأخلاق والإنسانية.

( ب ) وفى جنوبي أفريقيا تفرقة عنصرية صارخة ، فقد احتل الهولنديون المسمون ( البوير ) أي الفلاحين ، هنا وأسسوا مدينة رأس الرجاء الصالح سنة 1752 م ، ثم احتلها الإنجليز سنة 1806 م ، وطاردت البوير إلى ناتال والترنسفال ، وكان البوير قد جلبوا عمالا من الملايو والهند للزراعة ، ولا يعترفون لهم بحقوق كحقوقهم على هذه البلاد .وقد مكن رجالهم لاستعمارها حتى تكوّن اتحاد جنوبي أفريقيا سنة 1910 م بعد حروب طويلة .وكان من أ هم الرجال ( سيسل رودس ) الذي حاول خلق حياة أفضل للبيض على حساب الأفريقيين. فكانت التفرقة العنصرية التي لم تحاول شيئًا للحد منها . لقد كان في جنوبي أفريقيا حسب إحصاء سنة 1952 نحو : 14 مليونا ، منهم 0 1 أفريقيون ، 3 أوربيون ، ومليون من الملونين ، ونصف مليون من الآسيويين. ومع ذلك يتحكم الأوربيون في بقية السكان ، مطبقين للتفرقة العنصرية بأشد مظاهرها ، تلك المظاهر التي تبدو في : تقييد حرية التعاقد على العمل للملونين ، وعدم زيارتهم للمدن إلا لمدة اثنتين وسبعين ساعة ووجوب الحصول على إذن فيما زاد على ذلك ، وتحديد عدد المقيمين منهم في المدن ، ومنع دخول كنائس البيض ، وعدم علاجهم في المصحات إلا عند الضرورة القصوى ، ومنع عقد اجتماع ، وتحريم امتلاكهم لعقارات البيض ، ومنع التزاوج بين الأوربيين وبينهم ، وتحديد عدد تلاميذ المدارس من الحقوق السياسية. وقد أثيرت مشكلة هذه التفرقة في هيئة الأمم سنة 1947 م غير أن إنجلترا وأمريكا ضغطتا على الأعضاء فلم يفز القرار بالأغلبية المطلوبة ، وقامت عدة ثورات تطالب بمنع هذه التفرقة ولكنها لم تجد أذنا مصغية. وفى أول أبريل سنة 1960 اصدر مجلس الأمن قرارا بدعوة جنوبي أفريقيا لنبذ سياسة التفرقة العنصرية كما

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 11 من أكتوبر سنة 1 961 قرارا بلومها ومع ذلك لم تستجب الحكومة لهذا كله وقد دعا إلى إصدار هذه القرارات توالى حوادث العنف وكان من أهمها حادث ( شارب فيل ) في 21 من مارس 1960 عندما احتج الأفريقيون على نظام تصريحات المرور فأطلق البوليس النار عليهم وقتل منهم عددا كبيرا .

الإسلام والتفرقة العنصرية

( قال ) لقد تحدثت لك طويلا عن هذه المشكلة بمفهومها ومظاهرها آثارها وتاريخها، لتكون على بينة من الأمر حين تحكم نصوص دينك ، ولتعرف بوضوح أن الإسلام دين حق جاء بأرقي التشريعات لأرقى الأمم ولأرقى العصور ، ومن المعروف أن صدق النتائج مرهون بصدق المقدمات ، وأن الحكم الصحيح يلزمه التصور الواضح للمحكوم عليه ، ولعلمي بأن الطالب المجتهديملك رصيدا ضخما من النصوص الدينية بخصوص هذه المشكلة أحببت أن أعطيه بعض الرصيد من المعرفة العامة فلخصت لـه كثيرا من الأبحاث والكتب حول هذه القضية ، ولعل ما قدمته يكون فيه غناء لـه يوفر عليه جهدا كبير ( قال ) ولهذا سيكون حديثي عن موقف الإسلام من هذه القضية يميل إلى الاختصار والتركيز معتمدا على أن مراجع الب كثيرة ، والاطلاع عليها ميسر لكثير من المهتمين بهذا الموضوع ، وحديثي سيكون فى نقطتين هامتين ، إحداهما قام عليها موقف الإسلام من رفضه للتفرقة العنصرية وثانيتهما إيراد بعض المظاهر التطبيقية لهذه النظرة الإسلامية إلى البشر على اختلاف مستوياتهم .

فلسفة الإسلام في رفضه للتفرقة العنصرية

( أولا) قرر الإسلام أن الناس جميعا مخلوقون من أصل واحد هو التراب ، قال تعالى ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴾ وقال ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ وجعل حياتنا كلها ونشاطنا في جميع المجالات مرتبطا بالأصل الذي خلقنا منه وهو الأرض ووثق صلتنا بكل ما يعيش عليها من حيوان ونبات فهي أمنا جميعا ونحن لها أبناء لم يخلق واحد منا من غير تربتها، ولم يعش واحد منا على غير خيرها ، ولم يدفن واحد منا في غير بطنها .( ثانيا) قرر الإسلام أيضا أننا مولودون من أب

واحد هو آدم ، فنسبنا جميعا واحد ، ونحن اخوة في هذه الأسرة الإنسانية الواسعة ، وإذا كان لبعض أفرادها نوع امتياز بلون أو شكل أو نشاط فذلك لا يغض من قيمته في أنه يشكل ركنا أساسيا في تالف هذه المجموعة وتضامنها في عمارة الكون وتحقيق الخلافة في الأرض ، كما يعبر بعض الكاتبين عن ذلك بقوله : الإنسانية كلها حديقة كبيرة تختلف ألوان أزهارها وما يفوح منها من عطر دون أن يكون للون أو رائحة انفصال عن الآخر في إبراز بهجة هذه الحديقة ، قال تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ وقال النبي صلى الله عليه و سلم " لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ وَقَالَ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ) أخرجه أحمد في مسنده ( ثالثا ) قرر الإسلام أن الناس جميعا مخلوقون لخالق واحد هو الله سبحانه ، فمبدؤهم منه خلقا ، ونهايتهم إليه بعثا وحسابا قال سبحانه ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون ﴾وقال ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ ﴾ فهو وحده المحيي والرازق والمميت والمعيد للنشور ، وكلنا مدينون له بهذا كله وليس له شريك فيه ، سواء أقر بذلك المؤمنون أم جحد الملحدون ، ومن هنا لا يكون لأحد منا فضل على الآخر في هذه النواحي الجامعة لمسيرة الحياة من مبدئها إلى منتهاها وما يجرى بينهما . ( رابعا ) جعل الإسلام الناس موزعين إلى مجموعات نسبية على الرغم من اتفاقهم في هذه الأصول ، وذلك ليتميز بعضهم عن بعض ، ولتعرف الحقوق وتحدد الواجبات ، ويسهل تنظيم أمر الجماعة ، فهذا الإجراء تنظيمي بحت لا يمس جوهر المساواة الحقيقية في الأصول المذكورة ، وهذا التوزيع نعمة من نعم النظام ، والنظام تستريح له النفس ويطمئن إليه القلب قال تعالى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ كما أن تقسيم الشعوب إلى ألسنة وألوان دليل وتمام إرادته واختياره في خلقه قال سبحانه﴿ ومن آياته خلق السموات و الأرض واختلاف ألسنتكم

وألوانكم ﴾ ( خامسا ) جعل الإسلام هناك تفاوتا في المعاملة بين البشر لا على الجنس أو اللون أو اللسان ، بل على أساس الكمالات النفسية والأخلاق الطيبة والعمل الصالح القائم على الإيمان بالله ، فالطبيعة البشرية واحدة ، وإن كان هناك اختلاف فهو لأمور عارضة كتأثير البيئة ، وعدم إتاحة الفرصة للبعض أن يكمل نفسه. وحارب الإسلام أن يكون هناك تفاوت في المعاملة على غير هذا الأساس كما تدل عليه آية الحجرات السابقة وحديث ( من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه ) رواه مسلم ، وحديث ( ليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية ) رواه أبو داود وحديث ( الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " رواه البخاري ومسلم. والنصوص في ذلك كثيرة تطبيقية عملية للقضاء على التفرقة العنصرية .

ومن التطبيقات العملية لجعل التفضيل بين الناس على أساس المزايا الدينية والخلقية بعيدا عن اعتبار الجنس : التوجه إليهم بالخطاب للقيام بالتكاليف الدينية .ووقوفهم متساويين في الصلاة أمام الله دون تمييز طبقي .وأداؤهم لشعائر الحج مجردين عن كل مظهر من مظاهر التفرقة التي كان الناس على أساسها يفرقون بين قبيلة وقبيلة ومن ذلك وقوفهم جميعا بعرفة بعد أن كان بعضهم في الجاهلية يقف في المشعر الحرام قال سبحانه﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ .ومنها أن أعظم المناصب الدينية في المسجد النبوي كانت بين محمد القرشي وبلال الحبشي ، فالنبى للامامة وبلال للأذان. ومنها قول النبي صلى الله عليه و سلم عن سلمان " سلمان منا أهل البيت " مع أنه فارسي ، لكن شرفه عمله وذلك لما رأى المسلمون قوته في حفر الخندق وقال المهاجرون : سلمان منا ، وقال الأنصار : سلمان منا .ولما ضرب مسلم مشركا يوم أحد وقال : خذها وأنا الغلام الفارسي نهاه النبي عن هذا القول وأرشده إلى قول مستمد من وحي الدين فقال له ( هلا قلت : وأنا الغلام الأنصاري ) رواه مسلم ومنها توليته زيد بن حارثة قيادة الجيش وكذلك تولية ابنه أسامة أيضاوفى جندهما كان خيار المسلمين من العرب ، وزيد كان رقيقا ثم أعتقه النبي وزوجه من زينب القرشية التي صارت بعد ذلك من أمهات المؤمنين. ومنها قوله عليه السلام ( اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد

حبشي كأن رأسه زبيبة ) رواه البخاري ، وتطبيقا لذلك قال عمر: والله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ما جعلتها شورى ، أي لأسندت الخلافة إليه ، وسالم هذا كان مولى لأبى حذيفة ، وأمر سيدنا عمر أن يتولى الصلاة بالناس صهيب الرومي ، وكان صهيب عبدا أسر في بلاد الروم ثم بيع في بلاد العرب. وتزوج بلال من أخت عبد الرحمن بن عوف وهى قرشية، وأعتق الحسين بن على جارية ثم تزوجها وعندما علم معاوية بذلك عاب عليه فرد عليه الحسين بقوله : قد رفع الله بالإسلام الخسيسة ووضع عنا به النقيصة فلا لوم على امرئ مسلم إلا في أمر مأثم وإنما اللوم لوم الجاهلية. وقد كان أكثر العلماء الأفذاذ الذين خدموا الإنسانية من غير العرب ومن العناصر المختلفة التي تربت في بوتقة الإسلام وأخرج منها نماذج موحدة للمسلم الكامل الذي يردد هذا ا لشعا ر :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

و روى مسلم أن عمر رضى الله عنه لما تلقاه نائب مكة أثناء الطريق في حج أو عمرة قال له : من استحلفت على أهل الوادي ؟ فقال : ابن أبزى ، قال ومن ابن أبزى هذا .قال رجل من الموالى ، قال عمر: أما إني سمعت نبيكم صلى الله عليه و سلم يقول : ( إن الله يرفع بهذ الكتاب أقواما ويضع به آخرين ) وذكر الزهري أن هشام بن عبد الملك قال له : من يسود مكة ؟ قلت : عطاء ، قال فأهل اليمن ؟ قلت : طاوس ، قال : فأهل الجزيرة؟ قلت : ميمون بن مهران. قال : فأهل خراسان .قلت الضحاك بن مزاحم ، قال : فأهل البصره . قلت. الحسن بن أبى الحسن. قال : فأهل الكوفة. قلت : إبراهيم النخعى. وذكر أنه كان يقوله له عند كل واحد : أمن العرب أم من الموالى؟ فيقول : من الموالى فلما انتهى قال : يا زهري ، والله لتسودن الموالى على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب من تحتها . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما هو أمر الله ودينه ، فمن حفظه ساد، ومن ضيعه سقط .

( قال )وأخبار المساواة في الحقوق والواجبات والمعاملة وأمام القضاء كثيرة مشهورة من أبرزها حادث المخزومية التي أراد أسامة أن يتشفع في إسقاط حد السرقة عنها فغضب النبي صلى الله عليه و سلم وقال (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ

تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّه لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّد سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا )رواه البخارى ومسلم. ومن الأحاديث الواردة في الأخوة الإسلامية الجامعة ( المسلم أخو المسلم )رواه مسلم وحديث ( المسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم )رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه. حتى إن اختلاف الدين لم يكن مانعا من تحقيق المساواة ونبذ التفرقة فهناك رابطة إنسانية عامة تعلو على كل رابطة أخرى قال سبحانه﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ .

( قال ) وقد تولى هؤلاء مناصب عدة في الدولة الإسلامية وأفاد المسلمون من علمهم وخبرتهم على ما كتب التاريخ ، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه و سلم قام لجنازة ولما قيل له إنها جنازة يهودي قال

( إذا رأيتم الجنازة فقوموا ) رواه البخاري ومسلم ، ولأجل أن يحمل الناس على نبذ العصبية المقيتة وعلى التزام العدل في المعاملة حتى العقيدة قرر أن الأنبياء إخوة من علات.ومنع تفضيله على أحد من الأنبياء ، على الرغم من أنه سيد ولد آد م .

نظرة الإسلام إلى الرق

يظهر موقف الإسلام جليا في محاربته للتفرقة العنصرية في تشريعه الحكيم لإبطال الرق وذلك يتمثل في ثلاث إجراءات رئيسية وهى : ( أولا ) تضييق باب الرق الذي كان متسعا جدا قبل الإسلام ، من حرب وخطف وشراء وغير ذلك ، وحصره في مورد واحد هو الأسر في الحروب المشروعة إذا رأى الإمام أن يضرب الرق على الأسرى ، والأسر مبدأ معمول به قديما وحديثا ، وله أثر في تبادل الأسرى ولم يكن الشراء طريقا لامتلاك الرقيق إلا في عهد معاوية كما قال المحققون. ( ثانيا ) فتح الأبواب الواسعة لتحرير الرقيق وإيجاد منافذ كثيرة للانطلاق من الرق إلى الحرية فحثت النصوص على العتق في كثير من الأحاديث ، وجعلته كفارة لكثير من الأخطاء كالقتل الخطأ والإفطار في رمضان والحنث في اليمين وفي الظهار وشجع على مكاتبة الرقيق وتيسير دفع ما يلزمه وأباح التسري بالإماء دون تحديد بعدد وليس هذا

إطلاقا للمتعة الجنسية بل للحصول على حرية الإماء إذا حملن من السادة وولدن فإنهن يعتقن بعد موتهم وكذلك ليسرى الدم العربي إلى غيره من الأجناس الأخرى التي كان منها الأسرى ( ثالثا ) الأمر بالإحسان إلى الرقيق حتى تحين الفرصة لعتقه والوصايا في ذلك كثيرة يكفى منها مراعاة شعوره فلا يقال لـه عبدي أو أمتي بل يقال فتاي وفتاتي ، أو غلامي كما جاء في صحيح مسلم وإكرامه في مطعمه وملبسه كما فى الحديث (هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم ) ولما سمع النبي أبا ذر يعير رجلا بأمه السوداء فقال لـه ( إنك امرؤ فيك جاهلية )وعن أبى مسعود الأنصاري قال كنت اضرب غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا( اعلم أبا مسعود .اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود للهُ أقدر عليك منك عليه فالتفت فإذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله قال أَمَا لو لم تفعل للفعتك النار ) رواه البيهقي.

هذا وإذا كان الإسلام يضرب أروع الأمثلة في احترامه لآدمية الإنسان عن طريق الإحسان إلى الرقيق فإنه من غير شك يراعى هذا التكريم مع من لا يملك الإنسان رقبته بل يملك رعايته وتوجيهه لا غير وذلك كحال الرعايا في البلاد الإسلامية من الأديان المختلفة ، لقد قال عمر بن الخطاب في توجيه عماله أي حكام البلاد المفتوحة توجيهات طيبة منه : إني لم أرسل إليكم عمالا ليضربوا أحدا منكم أوليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلتهم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى فو الذي نفسى بيده لأقصنه منه ، وقد اقتص للقبطي من ابن عمرو بن العاص على ملأ من الناس وقال كلمته الخالدة متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا وكل ذلك من وحي وصية الإسلام بأهل الذمة ففي الحديث ( من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئًا منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة ) رواه أبو داود وقال أيضاً ( إن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذى فرض عليهم ) .

( قال ) قد يقول قائل : إذا كان الإسلام ينبذ التفرقة العنصرية فلماذا توجد تفرقة في معاملة بعض الناس كجعل نصيب الذكر مثل نصيب الأنثيين في الميراث وجعل شهادته بشهادة امرأتين. والجواب أن هذه التفرقة في المعاملة ليست على أساس عنصري مما يتعامل على أساسه المستعمرون اليوم وإنما هي لاعتبارات قائمة على المواهب والاستعدادات .والحياة البشرية لابد أن يكون فيها تفاوت في ذلك لتترتب عليها آثار مناسبة لها وهذا هو مقتضى العدل قال تعالى ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ﴾ وقال ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرضِ أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ وقال ﴿ولكل درجات مما عملوا ﴾ وقال ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ وبخصوص المثال السابق في الميراث والشهادة بالنسبة للرجل والمرأة قال العلماء : إن الرجل هو الذي يتولى الإنفاق عليها من نصيبه وهو لا يمس نصيبها مطلقا في هذا الشأن فهو محفوظ لها تتصرف به في أمورها الخاصة كيف تشاء على أن إثبات حقها في الميراث بوجه عام هو دليل مساواتها له في مطلق الحق .أما التفاوت فيه فهو أمر يقتضيه نظام الحياة . وكون شهادتها على النصف من شهادة الرجل بين حكمته قول الله تعالى ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ ومراعاة طبيعتها البشرية أمر لا يعاب عليه ؛ كما لا يعاب به أحد .على أن شهادتها في بعض الأحيان هي المعتمدة دون الرجل كمسائل الرضاع والبكارة والعيوب الداخلية للمرأة.

( قال )وقد يقال أيضا ، إذا كان الإسلام لا يقر التفرقة العنصرية فلماذا رأينا بعض الولاة يخالفون ذلك كما حدث في الدولة الأموية التي قلدت الوظائف الهامة للعرب دون العجم ، والجواب أن عمل هؤلاء لا يُعد تشريعا يناقض التشريع المعتبر في مصادره المعروفة ، وقد تكون هناك ظروف جعلت هؤلاء الولاة يتخذون هذا الإجراء وذلك كعدم اطمئنان العرب إذ ذاك إلى العجم الداخلين في الإسلام حديثًا والذين لم يزل الكثير منهم متأثرًا بمواريثه الدينية

والسلوكية ، الأمر الذي جعل بعض الأفراد ينادى بما سمى باسم الشعوبية وجاءت على أثر هذه الصيحات الدولة العباسية بجهود الفارسيين المتشيعين للبيت الهاشمي والناقمين على البيت الأموي. ومهما يكن من شئ فإن هذه التصرفات السياسية موكولة إلى رأى القائمين بالأمر، وهى على كل حال لا تعرض النصوص الأصلية في مقاومة التفرقة العنصرية ( قال ) ومن أراد التوسعة فليرجع إلى كتابنا " دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة "[24]

## حكم التعرض لمثالب الماضين

كما سبق أن ذكرت في المقدمة أن إغفال ذكر ما وقع بين القوم من مزايدات ومشادات ومصارعات ينبغي تركه وتجنبه وحفظ اللسان منه لأنه لا يجدي غير النفرة والنعرة وإحياء الدفائن والضغائن التي ذهبت مع الذاهبين وهذا الاستدراك يجرني هنا – حتما – إلى حُكم ذكر مثالب مَن لقي الله. وبما أن الأمر هام وخطير ، فإني أدرج هنا فتوى من فتاوى الشيخ عطية صقر المصري رحمه الله يقول فيها : من المشاهد عندما يموت إنسان له شأن في الدنيا أن الناس يتحدثون عنه إما بالخير وإما بالشر والحديث بالخير إشادة بذكره وتكريم له وتعزية لأهله وأن الناس راضون عنه ، والحديث بالشر تشويه لذكره وإهانة له ، وزيادة ألم على أهله ، وقد يقصد به التشفي الذي يورث الأحقاد التي ربما تؤدى إلى نزاع يحتدم ويشتد وتكون له آثاره السيئة ، والحديث عن الميت بالثناء أو الذم لا أثر له عند الله فهو سبحانه العليم بما يستحقه الميت من تكريم أو إهانة ، وقد يكون حديث الناس عنه دليلا ولو ظنيًا على منزلته عند ربه ، لكن ذلك لا يكون إلا من أناس على طراز معين من الصلاح والتقوى وقول الحق لوجه الحق ، كالصحابة الذين جعل رسول الله صلى الله عليه و سلم شهادتهم للميت دليلا على منزلته عند الله ، فقد جاء في الصحيحين أن جنازة مرت على النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه فأثنوا فيها خيرا ، فقال " وجبت " ثم مرت جنازة أخرى فقالوا عنها شرا فقال " وجبت " ولما سألوه عن معنى ما قال ، قال صلى الله عليه و سلم " من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن قلتم عنه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في

[24] فتوى الشيخ عطية صقر كما في الفتاوى المصرية

الأرض " . ومع ذلك نهى النبي صلى الله عليه و سلم أن يذكر الأموات بالسوء إذا كان ذلك للتشفي من أهله. فذلك يغيظهم ويؤذيهم ، والإسلام ينهى عن الإيذاء لغير ذنب جناه الإنسان ، ففى حديث البخاري " لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدَّموا" وقال عليه الصلاة والسلام في قتلى بدر من المشركينٍ " لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شئ مما تقولون وتؤذون الأحياء " وعندما سب رجل أباً للعباس كان في الجاهلية كادت تقوم فتنة قال فيها الرسول عليه الصلا والسلام " لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا" رواه أحمد والترمذى والطبرانى. قال العلماء : يحرم سب الميت المسلم الذى ليس معلنا بفسقه ، أما الكافر والمعلن بفسقه من المسلمين ففيه خلاف للسلف ، وجاءت فيه نصوص متقابلة. يقول النووي في كتابه " الأذكار ص 168 " : وحاصله أنه ثبت في النهى عن سب الأموات ما ذكرناه من الأحاديث ، وجاء في الترخيص في سب الأشرار أشياء كثيرة منها ما قصه الله علينا في كتابه العزيز، وأمرنا بتلاوته وإشاعة قراءته ، ومنها أحاديث كثيرة في الصحيح ، كالحديث الذي ذكر فيه صلى الله عليه و سلم " عمرو بن لُحَىّ "وقصة أبى رغال الذي كان يسرق الحجاج بمحجنه وهي عصا معقوفة الرأس . ثم قال : وأصح الأقوال وأظهرها في الجمع بين النصوص أن أموات الكفار يجوز ذكر مساويهم ، وأما أموات المسلمين المعلنين بفسق أو بدعة أو نحوهما فيجوز ذكرهم بذلك إذا كان فيه مصلحة كحاجة إليه للتحذير من حالهم ، والتنفير من قبول ما قالوه ، والتحذير من الاقتداء بهم فيما فعلوه ، وإن لم تكن حاجة لم يجز، وعلى هذا التفصيل تنزل هذه النصوص ، وقد أجمع العلماء على جرح المجروح من الرواة. ودراسة التاريخ إن كانت لغرض الاعتبار والاقتداء بالصالحين والتحذير من سلوك غير الصالحين ، دون قصد للتشهير والتعيير الذي يظهر أثره على الأحياء ويؤدى إلى الفتنة فلا مانع منها أيضافالله سبحانه قص علينا في القرآن أخبار المكذبين كما قص أخبار المرسلين والصالحين وقال في حكمة ذلك ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴾وقال ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ومهما يكن من شئ فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، والأولى أن

نقبل على الخير حتى يكون لنا ذكر حسن على ألسنة الناس بعد أن نفارقهم فيتذكرونا بدعوة صالحة ينفع الله بها الصالحين.

## الكتاب الثالث

## في بيان بحوث التاريخ ولواحقه ومراحله

ويتضمن الفصول التالية . الفصل الأول في التاريخ وفنه ونقده وتمحيصه .الفصل الثاني في بيان لمحة تاريخية إسلامية.

---

بما أن علم الأنساب يعتمد أكثر ما يعتمد على مادة التأريخ ولواحقه فإني أعرّج هنا على نبذة من التأريخ لنلم بالموضوع من جوانبه المتعددة وعليه فأقول :

### الفصل لأول

### في

### التاريخ وفنه ونقده وتمحيصه

التأريخ بالهمز كلمة معناها تعريف الوقت ومثلها كلمة التَّوْريخ بالواو.وكلاهما من أَرَّخَ الكتابَ ليوم كذا بمعنى وَقّته والواو فيه لغة وزعم يعقوب أَن الواو بدل من الهمزة. و التاريخ كما قيل هو معاد معنوي يعيد الأعصار وقد سفلت ، وينشر أهلها وقد ذهبت آثارهم وعفت.وبه يستفيد عقول التجارب من كان غرا.ويلقى من قبله من الأمم وهلم جرا ، فهم لديه أحياء، وقد تضمنتهم بطون القبور.وعنه غيب وقد جعلتهم الأخبار في عداد الحضور.ويقال : أن التأْريخ الذي يُؤَرّخه الناس ليس بعربي محض إذ هو قديم وأن المسلمين أَخذوه عن أَهَل الكتاب .وتأْريخ المسلمين الهجري أُرّخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُقر في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه ومن يومها صار تاريخا.وللعلم أن التاريخ بالقمر كان أيضا معروفا منذ قبل وما ورد في القرءان من أسماء الشهور القمرية وربط العبادات بها دليل على ذلك وقد ذكر ذلك بالتفصيل سيدنا رسول الله في خطبة حجته حيث قال عليه السلام ( إِنّ الزّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السّمَاوَاتِ والأَرض، السّنَةُ اثْنَا عَشَرَ

شَهْراً، منْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ : ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الحِجّةِ وَالْمُحَرّمُ .وَرَجَبُ مُضَرَ الّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَان ) فليتأمل هذا .

## فن التأريخ

فَنَّ التَاريخ كما قال العلامة ابن خلدونِ هو من الفنونِ التِي تَتَداوَلُها الأَمَمُ والأَجْيالُ ، وتشَدُ إلَيْه الركائبُ والرّحالُ .وتسمو إلى مَعرفته السُّوقَةُ والاَغْفالُ ، وتتنافسُ فيه المُلوكُ والأَقْيالُ ، وَيَتَساوى في فَهْمه العُلَماءُ والجُهَالُ ، إذْ هُوَ في ظاهره لا يزيدُ على إخْبار عن الأَيام والدول، والسوابق من القَرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضَرب فيها الأَمثالَ، وتطَّرف بها الأَندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق.فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق .وجدير بأن يعد في علومها وسطروها .

## نقد التأريخ وموارده

معلومات التأريخ وضعها المؤرخون في صفحات الدفاتر وأودعوها .ولكن كما قال ابن خلدون قد خلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيه أو ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها . وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض وطويل ، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل. والحق لا يقاوم سلطانه.والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل.والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل.

قد دون الناس في الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ أمم والدول في العالم وسطروا. والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ولا حركات العوامل مثل ابن إسحاق والطبري وابن الكلبي والواقدي و الأسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير، المتميزين عن الجماهير وإن كان في كتب المسعودي و الواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الأثبات. ومشهور بين الحفظة الثقات ، إلا أن الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم واقتفاء سننهم في التصنيف واتباع آثارهم والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم .فللعمران طبائع في أحواله ترجع إليها الأخبار وتحمل عليها الروايات والآثار. ثم أن أكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك، لعموم الدولتين صدر الإسلام في الآفاق والممالك، وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والمتارك. ومن هؤلاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والأمم. والأمر العمم ، كالمسعودي ومن نحا منحاه وجاء من بعدهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد ووقف في العموم والإحاطة عن الشأو البعيد، فقيد شوارد عصره واستوعب أخبار أفقه وقطره ، واقتصر على أحاديث دولته ومصره كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها، وابن الرفيق مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان. ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد وبليد الطبع والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثال. ويذهل عما أحالته الأيام من أحوال واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال فيجلبون الأخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور الأول صورا قد تجردت عن موادها وصفاحا انتضيت من أغمادها، ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها .وإنما هي حوادث لم تعلم أصولها، وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها يكررون في موضوعاتهم الأخبار المتداولة بأعيانها، اتباعا لمن عني من المتقدمين بشأنها، ويغفلون أمر الأجيال الناشئة في ديوانها، بما أعوز عليهم من ترجمانها، فتستعجم صحفهم عن بيانها ثم إذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا محافظين على نقلها وهما أو صدقا لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من

رايتها واظهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد إلى افتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها، مفتشاً عن أسباب تزاحمها أو تعاقبها، باحثا عن المقنع في تباينها أو تناسبها .

## الإكتفاء بما قيل في الأسماء

ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار، وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار، مقطوعة عن الأنساب والأخبار موضوعة عليها أعداد أيامهم بحروف الغبار، كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل ومن اقتفي هذا الأثر من الهمل . وليس يعتبر لهؤلاء مقال، ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال، لما أذهبوا من الفوائد، وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد[25] .

## قيمة علم التأريخ ومأخذه وأهمية تمحيصه

التاريخ وإن كان .كما قال ابن خلدون[26]: فن عزيز المذهب ، جم الفوائد، شريف الغاية.فإنه يحتاجُ إلى مآخذ متعدَدَةَ ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الأخبار إذا أعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق. وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط.ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هى مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد .

25 راجع كتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون
26 راجع كتاب العِبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل بأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون. ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش. لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها . تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة. ثم أن مثل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها، وبعدها إذا اصطفت عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً أو أزيد فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفين وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد لذلك فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بني إسرائيل بكثير، يشهد لذلك ما كان من غلب بختنصر لهم والتهامه بلادهم واستيلائه على أمرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس. يقال إنه كان مرزبان المغرب من تخومها . وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والأبواب أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير. ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرون ألفا، كلهم متبوع على ما نقله "سيف " قال : وكانوا في أتباعهم اكثر من مائتي ألف. وعن عائشة والزهري: أن جموع رستم التي زحف بها لسعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفا كلهم متبوع. وأيضا فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم فإن العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها في قلتها وكثرتها حسبما( قال) والقوم لم تتسع ممالكهم إلى غير الأردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف. وأيضاً فالذي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون فإنه ( موسى ) بن ( عمران ) بن ( يصهر ) بن ( قاهث ) بن ( لاوي ) بن يعقوب وهو إسرائيل الله كذا نسبه في التوراة والمدة بينهما على مانقله المسعودي قال دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف

سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام إلى التيه سنة مائتين وعشرين تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة وبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن ( سليمان ) ومن بعده فبعيد أيضاإذ ليس بين سليمان وإسرائيل إلا أحد عشر أبا فإنه ( سليمان بن داود بن إيشا بن عوفيذ بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارس بن يهوذا بن يعقوب) ولا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم إلى المئين والآلاف فربما يكون وأما أن يتجاوز إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد .وأعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا والذي ثبت في الإسرائيليات أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفا خاصة وأن مقرباته كانت ألفا وأربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه هذا هو الصحيح من أخبارهم ولا يلتفت إلى خرافات العامة منهم وفي أيام سليمان عليه السلام وملكه كان عنفوان دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من أهلٍ العصر( عصر ابن خلدون ) إذا أفاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم أو قريبا منه وتفاوضوا في الأخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى أو اخذوا في إحصاء أموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الأغنياء الموسرين وتوغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس الإعراب فإذا استكشفت أصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستجليت عوائد المترفين في نفقاتهم لن تجد معشار ما يعدونه وما ذاع إلا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش، فترسل عنانه ويسيم في مراتع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزءا ويشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، وحسبك بها صفقة خاسرة ( قال ) ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقية والبربر من بلاد المغرب وأن إفريقش بن قيس بن صيفي من أعاظم ملوكهم الأول وكان لعهد موسى

عليه السلام او قبله بقليل غزا أفريقية واثخن في البربر، وانه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال: ما هذه البربرة فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وانه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والبيلي إلى أن صنهاجة وكتامة من حمير وتأباه نسابة البربر وهو الصحيح وذكر المسعودي أيضا أن ذا الإذعار من ملوكهم قبل إفريقش وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودوخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده، وأنه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل، فرجع وكذلك يقولون في تبع الآخر وهو اسعد أبو كرب وكان على عهد( يستاسف ) من ملوك الفرس الكيانية إنه ملك الموصل وأذربيجان ولقي الترك فهزمهم وأثخن ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وإنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس وإلى بلاد الصغد من بلاد أمم الترك وراء النهر وإلى بلاد الروم، فملك الأول البلاد إلى سمرقند وقطع المفازة إلى الصين، فوجد أخاه الثاني الذي غزا إلى سمرقند قد سبقه إليها، فاثخنا في بلاد الصين ورجعا جميعاً بالغنائم، وتركوا ببلاد الصين قبائل من حمير فهم بها إلى هذا العهد، وبلغ الثالث إلى قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع. وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة، عريقة في الوهم والغلط، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة. وذلك أن ملك التبابعة إنما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن. وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها: فبحر الهند من الجنوب، وبحر فارس الهابط منه إلى البصرة من المشرق، وبحر السويس الهابط منه إلى السويس من أعمال مصر من جهة المغرب، كما تراه في مصور الجغرافيا. فلا يجد السالكون من اليمن إلى المغرب طريقا من غير السويس. والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مرحلتين فما دونهما. ويبعد أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير أن تصير من أعماله، هذا ممتنع في العادة. وقد كان بتلك الأعمال العمالقة وكنعان بالشام والقبط بمصر، ثم ملك العمالقة مصر وملك بنو إسرائيل الشام، ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحدا من هؤلاء الأمم ولا ملكوا شيئًا من تلك الأعمال. وأيضا فالشقة من البحر إلى

المغرب بعيدة والأزودة والعلوفة للعساكر كثيرة فإذا ساروا في غير أعمالهم احتاجوا إلى إنتهاب الزرع والنعم وانتهاب البلاد فيما يمرون عليه، ولا يكفي ذلك للأزودة وللعلوفة عادة، وإن نقلوا كفايتهم من ذلك من أعمالهم فلا تفي لهم الرواحل بنقله، فلا بد وأن يمروا في طريقهم كلها بأعمال قد ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها . وإن قلنا أن تلك العساكر تمر بهؤلاء الأمم من غير أن تهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسالمة، فذلك أبعد وأشد امتناعا، فدل على أن هذه الأخبار واهية أو موضوعة ( قال )وأما وادي الرمل الذي يعجز السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة سالكيه ومن يقص طرقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكروه من الغرابة تتوافر الدواعي على نقله وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك وإن كانت طريقه أوسع من مسالك السويس، إلا أن الشقة هنا أبعد، وأمم فارس والروم معترضون فيها دون الترك. ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم، وإنما كانوا يحاربون أهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والحيرة والجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما في الأعمال، وقد وقع ذلك بين يدي الإذعار منهم وكيكاوس من ملوك الكيانية، وبين تبع الأصغر أبي كرب ويستاسف منهم أيضا، ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم، بمجاوزة أرض فارس بالغزو إلى بلاد الترك والتبت، وهو ممتنع عادة من أجل الأمم المعترضة منهم، والحاجة إلى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر فالأخبار بذلك واهية مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحا فيها فكيف وهي لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن إسحق في خبر يثرب والأوس والخزرج أن تبعا الآخر سار إلى المشرق محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم إليها بوجه لما تقرر فلا تثقن بما يلقى إليك من ذلك، وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه[27] (قلت ) ومن هذا القبيل قول من قال في منطقتنا الجلفاوية أن أولاد فلان أو علان يبلغ عددهم خمسة ملايين وهذا غلط ما وراءه غلط إذ

---

[27] راجع كتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

كيف يتصور من جد بيننا وبينه أربعة عشر جدا أن يبلغ عدد نسله هذا العدد أو نصفيفه إذن لابد من راجعة ماذُكر .

## الفصل الثاني

## في

## لمحة تاريخية إسلامية

---

بما أننا سنذكر آتيا الأنساب المحلية وبما أن موضوع الأنساب شديد الإرتباط بالتاريخ العربي والإسلامي عموما فإنه يلزمنا الإلمام بنبذة تاريخية تبين مراحل الحياة العربية والإسلامية وكيف تعاقبت عليها مراحل التاريخ وبذلك تكون لدى القارئ صورة مقرّبة لما هو قادم عليه من بحوث وتصورات وعليه فأقول :

### الجاهلية

الجاهلية لغة مأخوذة من الفعل (جهل ) والجهل معناه خلاف العلم.قال الراغب: الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: خلو النفس من العلم ، الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه ، الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل .وقد وردت مشتقات الكلمة فى القرآن الكريم بمعنى: 1- الخلو من المعرفة كقوله تعالى ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ 2 - الطيش والسفه كقوله تعالى: ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون﴾ 3- بمعناها معا كقوله تعالى ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ .وأما الجاهلية اصطلاحا كما عند المؤرخين فهي أن لفظ الجاهلية قد يكون اسما للحال ومعناها الصفات المرذولة التى كانت عليها الأمة قبل الإسلام من الجهل بالله وبرسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر ( إنك امرؤ فيك جاهلية ) أى حال أو طريقة أو عادة جاهلية أو نحو ذلك وقد يكون اسما لذى الحال أى الزمان ، ومعناها المدة التى كانت قبل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم .وقيل: زمن الكفر مطلقا ، وقيل: ما قبل الفتح ، وقيل ما كان بين مولد النبى والمبعث

وبهذا قال ابن حجر ومنه قوله تعالى ﴿يظنون بالله غيرالحق ظن الجاهلية﴾ وذلك لما كان عليه العرب من فاحش الجهالات فى العقيدة والعبادة والتشريع والمعاملات والأخلاق التى انتقلت إليهم وشاعت بينهم وتأصلت فى نفوسهم حتى صارت دينا حل محل الحنيفية السمحة وعلى هذا يقال طائفة جاهلية وشاعر جاهلى نسبة إلى الجهل لأن من لم يعلم الحق فهو جاهل فإن اعتقد خلاف التوحيد أو قال بخلاف الحق عالما به أو غيرعالم فهو جاهل كقوله تعالى ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل) أى لا يعمل بعمل الجاهلية من السفه والغضب والأنفة والحمية والمفاخرة، ومنه قول عمرو بن كلثوم فى معلقته:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى لا يسفه أحد علينا فنسفه عليه فوق سفهه أى نجازيه به جزاء يزيد عليه. وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإنما علم أنه مخالف للحق كما قال تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريبا﴾ لأن العلم الحقيقى الراسخ فى القلب يمتنع أن يصدر عنه ما يخالفه من قول أو فعل فإن صدر ما يخالفه كان جهلا وعلى ذلك كان الناس قبل البعثة النبوية فى جاهلية وكل ما يخالف ما جاء به المرسلون من أفعال اليهود والنصارى وغيرهم كان جاهلية عامة ( قال ) أما بعد البعثة فقد مضى زمانها بمجىء الإسلام وإن بقيت أحوالها وعاداتها بين الإطلاق والتقييد فالمطلقة قد تكون فى بلد دون بلدكما هى فى غير ديار الإسلام وقد تكون فى بعض الأشخاص دون بعض كالرجل قبل أن يسلم وإن كان فى دار الإسلام. والمقيدة قد تكون فى بعض ديار المسلمين وفى كثير من الأشخاص المسلمين ؛ لقول صلى الله عليه وسلم (أربع في أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالأحساب. والطعن فى الأنساب. والاستسقاء بالنجوم .والنياحة) فهذه كلها جاهلية وهى من المعاصى التى لا يكفر صاحبها وإنما يجب توقيها .

## الفترة الجاهلية

قد اختلف المؤرخون فى تحديد الفترة الزمنية للجاهلية على أقوال منها أنها بين آدم ونوح ، أو بين نوح وإدريس .أو بين موسى وعيسى، أو بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هى الفترة بين كل نبيين ، والراجح أن الفترة الزمنية للجاهلية تبدأ من عصور ما قبل التاريخ وتنتهى بالبعثة النبوية فى القرن السابع الميلادى وعلى هذا لا يصح مطلقا أن يوصف المجتمع المسلم بأنه جاهلى بخلاف الأفراد فإنه يمكن إطلاق لفظ الجاهلية على الشخص إن وقع فى فعل جاهلى كما سبق ذكره قريبا .

## عصر النبي

المراد بعصر النبي العهدُ الذي وُجد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبدأ من زمن مولده سنة ( 571 م ) وينتهي بانتقاله إلى جوار ربه بعد أن بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة كما سيأتي بيانه في موضعه.

## الخلافة

الخلافة لغة .كماقال الدكتور عبد الله محمد جمال الدين هي من خلف فلان فلانا إذا كان خليفته وجاء من بعده وهى مصدر تخلف فلان فلانا إذا تأخر عنه.والخلافة النيابة عن الغير واصطلاحا الخلافة فى الإسلام منصب سياسى يجمع صاحبه بين السلطتين الزمنية والروحية ولكن وظيفته الدينية لا تتعدى المحافظة على شرع الله ومن حقه قيادة الدولة الإسلامية ورسم سياستها وتنفيذها على المستويين: الداخلى والخارجى، وواجبه تبليغ الدعوة الإسلامية ونشرها والتصدى بالقتال إذا لزم الأمر ضد من يقف عقبة فى سبيل أدائه لمهمته وله أن يعاقب الخارجين على أوامر الشرع ويؤم الناس فى الصلوات ويساعدهم على أداء الفرائض السياسية وقد وردت هذه المادة فى آيات عديدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ أى قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن.وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾ أى استخلفناك على الملك فى الأرض لأن داود عليه السلام كان ملكا

نبيا .وقد نشأ منصب الخلافة باعتباره ضرورة فرضتها الظروف السياسية عقب وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وكان نتيجة للمناقشات الحرة التى جرت بين الصحابة رضوان الله عليهم فى سقيفة بنى ساعدة لقد كان اجتماع السقيفة هذا أشبه بجمعية تأسيسية أو وطنية مناط بها البحث فى مصير أمة بعد وفاة موجهها وقائدها وقد دارت المناقشات فيه بحرية كاملة وانبثق عنه آنئذ قيام نظام الخلافة هذا النظام الذى استمر بشكل أو بآخر فى العالم الإسلامى حتى القرن العشرين ولم يغب عن مجتمعنا إلا بعد أن قام كمال أتاتورك بإلغائه سنة (1323هـ 1924م ) عقب انهيار الخلافة العثمانية وكان اختيار لقب خليفة وإطلاقه على أول رئيس للدولة الإسلامية أبى بكر الصديق رضى الله عنه الهدف منه التمييز بين هذا النظام الذى أقامه المسلمون وبين أنظمة الحكم التى كانت سائدة فى العالم آنئذ لقد كانت هذه الأنظمة تقوم على القهر والجبروت وتستعبد الشعوب وتستغلها وتحرمها من أبسط حقوقها، بينما جاء النظام الإسلامى ليكون جديدا فى جوهره وغاياته فهو يرفض القهر والظلم ، ويقوم على قواعد الحرية والمساواة والعدل والاعتداد برأى الأمة ولهذا كان هذا اللقب تأكيدا لحقيقة مهمة هى أن حكم الرسول صلى الله عليه وسلم مستمر وباق فى أمته وأن أبا بكر إنما يخلف سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فى التنفيذ والتطبيق ورعاية مصلحة الأمة وليس فى الإضافة إلى الدين أو الانتقاص منه.نرى كل هذه الحقائق واضحة فى ذهن كل من عرض لموضوع الخلافة الذين قدموا لها تعريفات توضح جوهر النظام الإسلامى وغاياته ، ولعل من أبرزها تعريف ابن خلدون الذى عبر عن ماهيتها بقوله الخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به " .لقد كان اختيار المسلمين لخليفتهم الأول رضى الله عنه ، بناء على قاعدة الشورى، وتحددت مهمته فى قيادة المسلمين ، ورعاية مصالح الناس وتنفيذ شرع الله عز وجل ، واشترط العلماء فيمن يلى هذا المنصب شروطا منها: الكفاية والعدل وصحة البدن والعقل الخ.واستمر اختيار الخلفاء وفقا لهذه

الشروط طوال عصر الراشدين ، ثم حدث تحول ابتداء من العصر الأموى، فتركت الشورى، واعتمد نظام الغلبة والتوارث ، وبعد أن كانت الخلافة اختيارا اصبحت قهرا وإجبارا ، تقترب أو تبتعد عن قيم الإسلام ومبادئه ، وتتفق معه فى قليل أو كثير إلى أن تم إلغاؤها تماما في أول القرن العشرين الميلادي كما أسلفناه.

## الخلفاء الراشدون

بعد عصر النبوة وبعد انتقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه راضيا مرضيا أثيرت مسألة من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في تدبير أمور المسلمين وحراسة الدين بعد وفاته مباشرة .كماقال الدكتورجعفر عبد السلام حيث اجتمع الأنصار ليختاروا الخليفة ولحق بهم كبار المهاجرين مثل أبى بكر وعمر وأنهوا هذا الاجتماع الهام إلى جعل الخلافة فى قريش باعتبار سبقهم إلى الإسلام وقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد مشاورات عديدة بلغت حد الاختلاف استقر الرأى على مبايعة أبى بكر بالخلافة، وكان هذا الصحابى أول من ولى أمور المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وسلملا ونلاحظ أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعين خليفة له بشكل مباشر، ولكنه ترك الأمر شورى يتولاه المسلمون.وبمبايعة أبى بكر بالخلافة بدأت مرحلة ما يعرف بعصر الخلفاء الراشدين ، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، وهى مرحلة تختلف عن المراحل التالية فى تاريخ الإسلام فقد حكم الدولة الإسلامية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبتوا أركان الدولة، حيث واجه أبوبكر حركة الارتداد عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسم وبدأت الفتوح الإسلامية لأكبر إمبراطوريتين فى عصره وهما: إمبراطورية الروم وإمبراطورية الفرس وتفرغ عمر بن الخطاب لتأسيس الدولة الإسلامية فأنشأ الدواوين وتكملة الفتح الإسلامى لأراضى الفرس والروم وأرسى مبادى واضحة لإقامة العدل بين الناس ومحاسبة الولاة.أما عثمان ففضله عظيم فى مجال جمع القرآن وتوحيد المصاحف وتكملة الفتوح ودخل بالمسلمين مجال البحر، فتم إنشاء أسطول بحرى فى عصره انتصر على الأعداء فى موقعة ذات الصوارى.وبدأت الفتنة الكبرى فى عهد عثمان ، تلك الفتنة التى انتهت بقتله ، ولم تهدأ

آثارها فى دول الإسلام بعد ذلك فقد اشتدت الفتنة، وأدت إلى انقسام المسلمين بين مؤيد لعلى وبين معارض له بدعوى عدم قيام على بالثأر لمقتل عثمان وبدأت تتكون الفرق المعروفة فى التاريخ الإسلامى والتى فرقت جمع المسلمين : فرق الشيعة والخوارج وغيرهم. وقد واجه على بن أبى طالب هذه الفتن بقوة وصلابة وخاصة فى واقعتين هما واقعة الجمل وواقعة صفين ، ووضع فيهما قواعد لمعاملة أهل البغى تعتبر دستورا لمعاملة المنشقين على الإمام فى كل عصر ويستفيد منها القانون الدولى الإنسانى الآن فى مجال حقوق المحاربين فى النزاعات الدولية غير المسلحة. ومع ذلك فقد سير أمور الدولة ووضع قواعد لتحقيق العدالة والمساواة بين المسلمين كما تم تثبيت الفتوح الإسلامية فى عهده وقد استمر حكم الخلفاء الراشدين ثلاثين عاما من عام 11هـ إلى عام 40هـ ، وتميز بتداول السلطة بين المسلمين بسهولة، والحكم بالشورى، وإرساء دعائم الدولة الإسلامية.

(ملاحظة) ما يُذكر في سياق ترجمة سيدنا علي وما يقال من وقوع حوادث ووقائع يندى لها الجبين كموقعة الجمل وصفين وحاروراء وما إلى ذلك فإني أستبعده جملة وتفصيلا ولا أومن به وفي اعتقادي أنه تشويه للرعيل الأول من طرف الناقمين والحاسدين ولو أن ذلك قدورد في مصنفات علماء أجلاء فإنه لا يجب تصديقه ولا تصديق رواته إلا إذا صدقنا ترهات ما ورد في تلك المصنفات من قصص خرافية كقصة الغرانيق و بدأ خليقة الأرض وكونها على قرن ثور وخرافة جسد سليمان وخرافة امرأة داوود وغيرها مما شحنت به مصنفات علماء ومفسرين ومؤرخين. والطامة الكبر ما قيل من طعن في صحابة رسول الله رضوان الله عليهم أجمعين وهل يُعقل أن يقع من سيدناعلي وسيدنا معاوية وسيدنا ابن العاص وسيدنا ابي موسى وسيدنا ابن الزبير وسيدتناالصديقة ما قيل من محاورات مفبركة كما يقول أهل العصر كلا كلا وألف كلا وحاشا أن يقع ممن قال الله فيهم ( لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ) ما قيل ولا نصيفه ( وعند الله الخبرْ ) كما يقول المثل الشعبي النايلي عندنا .

## قيام الدولة الأُموية

قامت الخلافة الأموية رسميا فى شهر ربيع الأول من سنة (41هـ) بعد أن تنازل (الحسن بن على ابن أبى طالب) رضى الله عنه عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه وبايعه هو وأخوه (الحسين) وتبعهما الناس فى (الكوفة) وأصبح بذلك (معاوية) خليفة للمسلمين وحده ولُقِّب بأمير المؤمنين وكان قبل ذلك يلقَّب بالأمير فقط واستبشر المسلمون خيرًا بهذا التطور وحَمدوا الله تعالى على انتهاء الفتن والحروب وسمُّوا ذلك العام عام الجماعة حيث عادت إلى الأمة الإسلامية وحدتها واجتمع شملها على خليفة واحد بعد الفرقة والنزاع ولقى ما فعله (الحسن بن على) كل تقدير وإجلال من جمهور المسلمين وأثنى عليه كثير من العلماء ورأوا فيما أقدم عليه تحقيقاً لنبوءة جده (سيدنامحمد) حين قال ( إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

## طور نظام الخلافة فى العصر الأموى

عرفنا فيما سبق كيف قامت الخلافة الإسلامية عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف كان يتم اختيار الخليفة فى دولة الراشدين بالبيعة المباشرة من المسلمين لخليفتهم بعد أن يرشحه عدد من الصحابة أماأسلوب اختيار الخليفة الأموى فلم يكن أحد يظن أن بيعة المسلمين لمعاوية بن أبى سفيان ستكون إيذانًا بتأسيس دولة أموية وراثية وكان المسلمون قد استبشروا خيرًابهذه البيعة بعد فترة من الفتن والحروب حتى إن بعض الصحابة الذين كانوا قد توقفوا فى بيعة (على) رضى الله عنه بايعوا (معاوية) دعمًا لوحدة الأُمة ولِمّ شملها مثل (سعد بن أبى وقاص) و(عبدالله بن عمر) وربما توقَّع الناس أن (معاوية) سيحذو حذو من سبقه من الخلفاء الراشدين ويترك الأمر شورى للمسلمين يختارون للخلافة من بعده من يرونه أهلا لتولى تبعات هذا المنصب الجليل أو سيجتهد فى اختيار شخص يراه أصلح الناس لتولِّى منصب الخلافة ويكون بعيدًا عن قرابته كما فعل الخلفاء قبله لكن معاوية فاجأ الأمة الإسلامية بترشيح ابنه يزيد للخلافة من بعده وبدأ فى أخذ البيعة له فى حياته بدعم من أهل الشام ولما نجح فى ذلك لم يكن صعبًا

عليه أن ينتزع البيعة لابنه من بقية الأقطار الإسلامية بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى. ولم يعارض معاوية فى خطواته هذه سوى أهل (الحجاز) الذين رأوا فى عمله خروجًا على ما ألفه المسلمون فى اختيار خليفتهم ببيعة حرة قائمة على الشورى وتركزت المعارضة فى ثلاثة من أبناء كبار الصحابة هم (الحسين بن على بن أبى طالب) و(عبدالله بن الزبير) و(عبدالله ابن عمر) وقد تطورت معارضة الأوَّلين إلى خروج (الحسين) على (يزيد) بعدموت (معاوية) واستشهاده فى موقعة (كربلاء) المشهورة سنة (61هـ)، وإلى دعوة (عبدالله بن الزبير) بالخلافة لنفسه بعد موت (يزيد بن معاوية) سنة (64هـ) ثم دخوله فى صراع مع الأمويين انتهى بمقتله سنة (73هـ) بعد أن دامت خلافته تسع سنوات، أمَّا (عبدالله بن عمر) فقد بايع (يزيد) حفاظًا على وحدة المسلمين بعد أن رأى أن استمراره فى معارضته لن يكون فى مصلحة الأمة الإسلامية وقد دافع عن عمل (معاوية) كثير من المؤرخين ورأوا فى صنيعه عملا ضروريا للحفاظ على وحدة الأمة واجتناب العودة إلى الحروب الأهلية ويقف على رأس هذا الفريق المؤرخ الكبير (عبدالرحمن ابن خلدون) مؤيّدًا إقدام (معاوية) على هذه الخطوة بقوله (والذى دعامعاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه إنما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد حينئذمن بنى أمية إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش أى أكثرهم قوة وأهل الحل أجمع وأهل الغلب منهم، فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصًا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذى شأنه أهم عند الشارع ولا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عليه دليل على انتفاء الريب فيه، فليسوا ممن يأخذهم فى الحق هوادة، وليس معاوية ممن تأخذه العزة فى قبول الحق فإنهم كلهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعة ويدعم ابن خلدون رأيه هذا بأن ولاية العهد من الخليفة القائم إلى شخص يتولى الخلافة بعده أمر جائز لا حرج فيه فيقول قد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده إذ وقع من أبى بكر رضى الله عنه لعمر بن الخطاب

بمحضر من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر رضى الله عنه وعنهم) وما قاله (ابن خلدون) يمكن الرد عليه بأن (أبا بكر) عهد إلى (عمر) لأنه رآه أصلح الصحابة لتولى الخلافة بعده وتحمُّل تبعاتها وقد كان كذلك بالفعل ولم تكن تربطه به صلة قرابة قريبة وقد أوضح ذلك بقوله أترضون بمن أستخلف عليكم فإنى والله ما آلوت من جهد الرأى ولا وليت ذا قرابة) كما أن ( عمر) لم يصبح خليفة بترشيح ( أبى بكر الصديق) واختياره له فحسب بل برضى المسلمين وبيعتهم له ولو أن (معاوية) عهد إلى أحد غير ابنه واجتهد فى اختيار من هم أصلح للخلافة بعده ما اعترض عليه أحد ولحقَّق الغرض الذى قصده ابن خلدون من ولاية العهد، وهو سد أبواب الخلاف بين المسلمين،ومن ثم فإن الاعتراضات على تصرف (معاوية) جاءت من اختياره ابنه لولاية العهد دون سواه لا من فكرة ولاية العهد نفسها وأياً ما كان الأمر فإن الخلافة حُصرت فى الأسرة الأموية يتوارثها الأبناء والإخوة ولم يكتف الخليفة منهم بتولية العهد لواحد فقط بل درجوا على تولية أكثر من ولى للعهد وكان (مروان بن الحكم) مؤسس الفرع المروانى أول من بدأ هذا التقليد فقد عهد إلى ابنه (عبدالملك) ثم (عبدالعزيز) بولاية العهد، وقد تابعه فى هذا كل من جاء بعده حتى آخر دولتهم وقد جرَّ هذا الأمر عليهم المتاعب وأوقد نار الفتنة والصراع بين أبناء الأسرة الأموية مما كان له أكبر الأثر فى تدهور الدولة والإسراع بسقوطها فى نهاية الأمر. وعلى الرغم من استقرار الخلافة بنظام التوريث فإن الأمويين حافظواعلى نظام البيعة من حيث الشكل فكان الخليفة القائم يعهد من بعده بولاية الأمر إلى ابنه أو أخيه، ثم تؤخذ البيعة من الناس لمن صدر له كتاب العهد فى حياة الخليفة القائم ثم تجدد له بعد وفاته ومغزى هذا أنهم كانوا على يقين أن مجرد العهد ليس ملزمًا شرعًا للناس بل لابد من البيعة العامة.

وبالنسبة للفتوحات الإسلامية فى العصر الأموى فقدشهد العصر الأموى أوسع حركات الفتح الإسلامى وأكثرها نشاطاًفى التاريخ الإسلامى كله بعد فتوحات الخلفاء الراشدين التى شملت (العراق) و(بلاد فارس) كلها، و(مصر) والشام ثم توقفت الفتوحات الإسلامية، أو

كادت تتوقف بسبب الفتن والحروب الأهلية التى حدثت بين المسلمين وقد استأنف المسلمون فتوحاتهم بعد اجتماع شملهم على (معاوية بن أبى سفيان) وتوحدهم تحت رايته فى عام الجماعة سنة (41هـ) وحقق الأمويون أعظم إنجازاتهم على الإطلاق فى ذلك الميدان العظيم وامتدت فتوحاتهم إلى مناطق عديدة فى قارات العالم القديم (آسيا - إفريقيا - أوربا) ففتحوا فى عهد (الوليد بن عبدالملك) بلاد (ماوراء النهر) (آسيا الوسطى) وإقليم (السند) فى (شبه القارة الهندية) واستكملوا فتح الشمال الإفريقى كله من حدود (مصر) الغربية إلى (المحيط الأطلسى)، ثم عبروا (مضيق جبل طارق ) إلى القارة الأوربية،ليفتحوا (الأندلس) و(جنوبى فرنسا )، كما استولوا على معظم الجزر فى (شرقى البحر المتوسط) وشرقيه وجنوبيه ثم واصلوا ضغطهم على مدينة (القسطنطينية) عاصمة الدولة البيزنطية وحاصروها أكثر من مرَّة. وشغلت الدولة الأموية فى التاريخ الإسلامى إحدى وتسعين سنة (41 هـ/ 132هـ)، وامتدت حدودها من حدود (الصين) شرقًا إلى (الأندلس) غربًا ومن بحر (قزوين) شمالا إلى ( المحيط الهندى) جنوبًا وعمل خلفاؤهافى جد ومثابرة وحسن سياسة على نشر الإسلام فى تلك الرقعة الكبيرة ونمت الحضارة الإسلامية ونهضت فى عهدهم وهذه الأعمال تشهد للأمويين بدورهم البارز فى التاريخ الإسلامى وتخفف كثيرًا من النقد الذى وجه إليهم ومما يزيد المرء إعجابًاوتقديرًا لإنجازهم أنهم قاموا بتلك الأعمال الجليلة وهم يصارعون أعداء أشداء من تيارات وأحزاب سياسية ودينيةٍ، لم يتركوا فرصة للثورة عليهم إلا انتهزوها من تلك الأحزاب من تذرَّع بالدين يحارب به، ويتّهم (بنى أمية) بالخروج على الدين وقواعده وأنهم مغتصبون للسلطة كالخوارج والشيعة وهناك شخصيات أعلنت التمرد والثورة على (بنى أمية) لأهداف شخصية، ولتحقيق طموحات ذاتية، والوصول إلى الحكم بأى ثمن،مثل (المختار بن أبى عبيد الثقفى) و(عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث) و(يزيد بن المهلب)راجع التفاصيل في المطولات.

ينتسب خلفاء بنى العباس إلى جدهم العباس بن عبدالمطلب عم النبى (صلى الله عليه وسلم) الذى عاش فى مكة وأسلم بها وكانت له مكانته عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد أنجب العباس عددًا من الأبناء، أشهرهم : عبدالله بن عباس الذى أُطلق عليه ترجمان القرآن و حَبْر الأمة لسعة علمه وحدة ذكائه. وترك عبدالله هذا كثيرًا من الأبناء منهم على بن عبدالله الذى يُقال له السجَّاد لكثرة عبادته وأنجب السجاد أولادًا كثيرين ، أشهرهم محمد بن على الذى نظم الدعوة العباسية وخرج بها إلى حيز الوجود وأحاط تحركاته بجو من السرية والكتمان حتى أطلق على المرحلة التى مرت بها الدعوة العباسية فى عهده المرحلة السرية وتمتد من سنة (100هـ / 718م) إلى سنة (129هـ/ 746م)

وتحركت الدعوة فيها من ثلاثة أماكن هى: 1- الحميمة : وهى قرية صغيرة منعزلة فى جنوب الشام اتخذتهاالأسرة العباسية مقرا لها . 2 - الكوفة وتعد المركز الرئيسى لنشاط الدعاة العباسيين وتتوسط بلاد الشام و العراق و خراسان . 3 – خراسان : حيث نجح الدعاة العباسيون فى اجتذاب الآلاف إليهم وبدأت الدعوة بجماعة تُسمَّى النقباء قاموا بتكوين مجلس شورى برئاسة سليمان بن كثير الخزاعى وكان مركز الدعوة فى الكوفة يتلقى التعليمات من مقر البيت العباسى فى الحميمة ويرسلها إلى أنصار الدعوة فى كل مكان، وخاصة خراسان وعقب وفاة الإمام محمد بن على سنة (125هـ 742م) تولى ابنه إبراهيم المعروف بالإمام شئون الدعوة وقد نشطت فى عهده،واتخذت اللون الأسود شعارًا لها وقد تهيأ للدعوة العباسية أسباب النجاح منذ أن أسندت مهمة الإشراف على الدعوة فى خراسان إلى أبِى مسلم الخراسانى الذى جمع حوله الأنصار والأعوان وخاض بهم ساحات القتال محققاالعديد من الانتصارات وقام بدور مهم فى قيام الدولة العباسية وقد واجه العباسيون بزعامة أبى مسلم قوى مختلفة فى خراسان فور إعلان ثورتهم ليلة الخميس (25من رمضان سنة 129هـ / 9من يونيو سنة747م)

وتمثلت هذه القوى فى نصر بن سياد الوالى الأموى، وقبائل اليمن و ربيعة و الخوارج لكن أبا مسلم استطاع بذكائه ودهائه أن يوقع بينها مستغلا العنصرالقبلى وإثارة العصبية بين أفرادها وبعد معارك كثيرة استطاعت قوات أبى مسلم الخراسانى أن تدخل مدينة مرو عاصمة إقليم خراسان ثم استولت على همدان و نهاوند و حلوان و خانقين وغيرها حتى دخلت العراق وكان وراء ذلك النجاح الكبير الذى أحرزه العباسيون فى نشاطهم الدعائى والعسكرى أسباب كثيرة منها:1 - الدعوة الدائبة والمنظمة التى استمرت ما يقرب من ثلاثين سنة على أيدى دعاة مدربين.2 - كثرة الجيوش العباسية واندفاعها لاكتساح القوات الأموية .3 - القيادة الحكيمة التى استطاعت تنظيم أنصار الدعوة العباسية وتسليحهم وتوجيههم إلى ميادين القتال المختلفة.4 - تمزق صفوف الجيوش الأموية بسبب العصبية القبلية.5 - نجاح العباسيين فى جذب مجموعة من القادة الأكفاء الذين أداروالمعركة باقتدار ضد الأمويين، ومنهم أبو مسلم الخراسانى و أبوسلمة الخلال كبير الدعاة العباسيين بالكوفة، و ابن شبيب الطائى الذى قاد الجيوش العباسية المتجهة إلى العراق وانتقلت الأسرة العباسية من الحميمة سرا إلى الكوفة بعد إلقاءالقبض على إبراهيم الإمام وقتله فى أحد سجون دمشق وكان قد أوصى بتولية أخيه عبدالله شئون الدعوة.وفى الكوفة أقامت الأسرة العباسية عند أبى سلمة الخلال كبير الدعاة أربعين يومًا حتى تهيأت الظروف لمبايعة أول خليفة عباسى و هو عبد الله بن محمد

( قال ) وللدولة العباسية عهدان هما العصر العباسى الأول ويمتد قرنًا من الزمان من سنة (132هـ /749م) إلى سنة (232هـ / 847م) ويعد العصر الذهبى للخلافة العباسية حيث تمتع الخلفاء بسلطتهم الدينية والدنيوية وخلفاء هذا العصر تسعة، وهم :1 - أبو العباس عبدالله (132- 136هـ / 749- 753م).2 - المنصور (136 - 158هـ / 753 - 775م) 3 - المهدى (158- 169هـ / 775- 785م).4 - الهادى (169 - 170هـ / 785 - 786م).5 - الرشيد (170- 193هـ / 786 - 809م).6 - الأمين (193 - 198هـ/ 809 - 813م).7 - المأمون (198 -

218هـ / 813 – 833م) . 8 – المعتصم (218 – 227هـ / 833 – 842م) . 9 – الواثق: (227 – 232هـ/ 842 – 847م) . هذا عن خلفاء العصر الأول . أما العصر الثاني فالخليفة الأول فيه هو : أبو العباس (132–136هـ / 749– 753م) عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم ولد سنة (100هـ / 718م) تقريبًا بويع أبو العباس فى الكوفة فى شهر ربيع الأول سنة (132هـ/749م) واستمر فى الحكم أربع سنوات استطاع خلالها توطيد أركان الخلافة العباسية والقضاء على كل مقاومة ظهرت فى عهده .

موقف العباسيين من الأمويين

وبخصوص موقف العباسيين من الأمويين هو أنه مما لاشك فيه أن هناك بعض التجاوزات التى حدثت فى إقليم الشام على يد الوالى العباسى عبدالله بن على عم الخليفة أبى العباس حيث تعقّب الأمويين فى كل مكان وقتل كثيرًا منهم مما دفع بعضهم إلى الفرار إلى مناطق بعيدة كما فعل عبدالرحمن بن معاوية صقر قريش الذى فر إلى المغرب ومنها إلى الأندلس حيث أسس دولة أموية هناك سنة (138هـ / 755م) كما حاول بعضهم الآخر التخفّى وطلب العفو ومن ناحية أخرى لم يقف أنصار الأمويين وأعوانهم مكتوفى الأيدى أمام انتصارات العباسيين وما ارتكبه بعض ولاتهم من مذابح تجاه البيت الأموى، فقاموا بعدة ثورات فى أماكن متفرقة إحداها بالبلقاء و حوران سنة (132هـ / 749م) وأخرى فى قنّسرين وثالثة فى دمشق لكن قوات العباسيين استطاعت الانتصار عليها والسيطرة على الموقف

موقف الخلافة من بعض زعماء الدعوة العباسية

واجهت الدولة العباسية قبيل إعلانها وفى بداية قيامها انحراف بعض المسئولين فيها ولم تكن الظروف السياسية التى صاحبت قيام الدولة العباسية تسمح بالتخلص من هؤلاء، فلما بويع أبوالعباس بالخلافة وبدأت الدولة تأخذ طريقها إلى الاستقرار، قامت بمعاقبة هؤلاء، وكان أول من عوقب أبا سلمة الخلال بسبب عدم تحمسه كثيرًا لانتقال

أفراد البيت العباسى من الحميمة إلى الكوفة ولم يأذن لهم بدخول الكوفة إلا بعد فترة، وحاول نقل الخلافة من البيت العباسيِ إلى البيت العلوى إلا أنه فشل فى ذلك كما حاول قتل أبى العباس وفشل فى ذلك أيضا، فلما استقرت أمور الدولة استقر رأى أفراد البيت العباسى على أخذ رأى أبى مسلم الخراسانى الذى وافق على التخلص منه، فتم اغتياله وأعلنت القيادة العباسية أن جماعة من أعداء الدولة هم الذين نفذواهذه المؤامرة.كما قام أبو مسلم الخراسانى والى إقليم خراسان بالتخلص من أحد كبار الدعاة وهو سليمان بن كثير الذى كان يُعرف بنقيب النقباء عقب اتهامه بالاتصال بأحد أبناء البيت العلوى وتحريضه على الثورة ضد البيت العباسى. وقد واجهت الخلافة العباسية فى عهد أبى جعفر عدة ثورات فارسية كانت تعبيرًا عن معارضة بعض العناصر الفارسية للخلافة الإسلامية ومن هذه الثورات :

حركة سنباذ سنة (137هـ/ 754م)

حيث قاد سنباذ وهو أحد أتباع أبى مسلم حركة ثورية للثأرلمقتل أبى مسلم الخراسانى ومحاربة الإسلام وأحس الخليفة المنصور بخطر هذه الحركة فأرسل جيشًا كبيرًا استطاع القضاء على قوات سنباذ وقتله وهو فى طريقه لاجئًا إلى حاكم طبرستان .

حركة الراوندية (141هـ/ 758م)

وهم قوم من أهل خراسان سُموا بذلك نسبة إلى قرية رواند القريبة من أصفهان وكانوا من أتباع أبى مسلم الخراسانى إلا أنهم زعموا أن ربهم الذى يرزقهم ويطعمهم ويسقيهم هو المنصور وأعلنوا إيمانهم بفكرة تناسخ الأرواح واستطاعوادخول مدينة الهاشمية عاصمة الخلافة العباسية آنذاك، وهاجمواقصر الخلافة فتصدَّى لهم بعض الجنود البواسل، وعلى رأسهم معن بن زائدة الشيبانى واستطاعوا القضاء على هذه الحركة.

## حركة أستاذ سيس سنة (150هـ/ 767م)

أستاذ سيس رجل فارسى ادَّعى النبوة وقاد حركة تهدف إلى تخليص بلاد فارس من قبضة العباسيين، واستطاع بجيوشه الضخمة بسط نفوذه على مناطق سجستان و هراة و كور خراسان وغيرها فحشدت له الخلافة العباسية قوات ضخمة بقيادة خازم بن خزيمة التميمى استطاعت القضاء على هذه الحركة وانتهى الأمر بالقبض على أستاذ سيس وإعدامه

## حركات الخوارج

نظر الخوارج إلى العباسيين على أنهم مغتصبون للخلافة التى ينبغى أن يتقلدها أجدر المسلمين بها بالانتخاب بغض النظر عن نسبه ومن ثم شهد العصر العباسى الأول عددًا من حركات الخوارج بغرض القضاء على الخلافة العباسية، ومنها: 1 - ثورة ملبد بن حرملة الشيبانى سنة (137هـ/754م) بأرض الجزيرة بـ (ديار بكر) وشكلت خطرًا كبيرًا على العباسيين إلا أن قائدهم خازم بن خزيمة استطاع القضاء عليها. 2 - ثورة حسان بن مجالد الهمدانى بالموصل سنة (148هـ/ 765م) وانتهت بالفشل لتفرق أنصاره عنه

## شأن البرامكة

بالنسبة للبرامكة فقد تمتعوا فى بداية عهد الرشيد بالسلطة والجاه والنفوذ وتقلدوا مناصب الدولة المهمة حتى إذا جاء شهر صفر سنة 187هـ/ يناير سنة 803 م) أمر الرشيد بسجنهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم فيما عرف فى التاريخ بنكبة البرامكة وقد تضافرت عدة عوامل كانت سببًا فيما فعله الرشيد بالبرامكة منها: 1 - اتهامهم بالزندقة والخروج عن الإسلام باعتبارهم من أصل مجوسى. 2 - محاولتهم إبعاد العرب عن المناصب المهمة وتقديمهم الفرس لشغلها. 3 - استبدادهم بالأمور وإظهارهم ما لا تحتمله نفوس الملوك. 4 - قيام الحاسدين والحاقدين بتضخيم أخطاء البرامكة. 5 - أن الرشيد كلف جعفر بن يحيى البرمكى بقتل رجل من آل أبى طالب فلم يفعل.

## عهد القلق العباسي

عهد القلق من سنة (218هـ/833م) إلى سنة (232هـ/ 847م) ويشمل المعتصم بالله و الواثق بالله .

## ما يتميز به العصر العباسي الأول

يتميز العصر العباسى الأول بالسمات الآتية :

( أولاً ) كثرة الصراعات ومن ذلك : 1 - الصراع بين العرب ومنهم أسرة الخلافة والفرس ومنهم الوزراء والإداريون وغيرهم مثلما حدث بين الرشيد و البرامكة و المأمون و بنى سهل . 2 - الصراع بين فروع البيت الهاشمى العباسيين والعلويين مثلماحدث بين الخليفة المنصور و محمد النفس الزكية ( كما سأذكره في نسب الأدارسة فراجعه هناك ) . 3 - الصراع بين الخلافة العباسية والحركات المعادية لها من العرب وغيرهم وقد تمثل ذلك فى حركات الخوارج . 4 - الصراع بين الإسلام الدين الرسمى للدولة وبين العقائد الأخرى التى ظهرت فى بلاد فارس كالخُرَّمية وغيرها من العقائد الفاسدة

( ثانيًا ) اتساع العلاقات الخارجية فقد بسطت الخلافة العباسية سلطانها على بلاد كثيرة شرقًا وغربًا ،وتعددت علاقاتها مع الدول الأخرى وفى مقدمتها : أ - الدولة البيزنطية وكانت العدو التقليدى للدولة الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اشتد هذا العداء بعد استيلاء المسلمين على بعض المناطق التى كانت خاضعة للدولة البيزنطية كالشام و مصرو المغرب .

## ماحدث خلال العصر العباسي الأول

خلال العصر العباسى الأول حدث الاحتكاك المباشر بين القوات الإسلامية والبيزنطية على الحدود الشمالية فى منطقة الشام فقداستغلت الدولة البيزنطية انشغال الخليفة العباسى الأول أبى العباس عبدالله بن محمد بتثبيت أركان الدولة سنة (132هـ8 749م) وقامت بمهاجمة الحصون والثغور الإسلامية فأمر الخليفة أبوالعباس واليه على الشام بالإعداد لمواجهة البيزنطيين ولكن الموت عاجله، وجاء المنصور فأمر بتحصين

الثغور وإعادة بناء ماهدمه البيزنطيون وجعل لها حكمًا إدارياً مستقلاً وحشد فيها آلاف المقاتلين والمرابطين فى سبيل الله .

## قسام الثغور في العصرالعباسي الأول

كانت هذه الثغور تنقسم إلى قسمين:1 – الثغور الجزرية للدفاع عن الجزيرة الفراتية وشمال العراق وأهم حصونها ملطية و المصيصة و مرعش .2 – الثغور الشامية وتقع غرب الثغور الجزرية، وهى للدفاع عن الشام وأهم حصونها طرسوس و أدنة .وفى سنة (162هـ/779م) أرسل المهدى جيشًا ضخمًا بقيادة الحسن بن قحطبة فتوغل فى بلاد الروم ونشر الرعب بين صفوفهم وفى سنة (163هـ/ 780م) خرج المهدى بنفسه على رأس الجيش متجهًا إلى الحدود البيزنطية ووصل إلى الموصل ثم حلب حيث ترك ابنه هارون الرشيد ليتابع جهاده ضد البيزنطيين، وفى عهد«الرشيد» (170– 193هـ/ 786– 809م) أمر بجعل منطقة الثغور منطقة مستقلة باسم الثغور والعواصم وأقام خطين للدفاع عن حدودالدولة مع البيزنطيين الخط الأول هو الثغور والخط الثانى إلى الجنوب من الخط الأول ويُسمَّى العواصم كما قام الرشيد ببناء حصون جديدة، مثل عين زربة و زبطرة وغيرهما وقد حاول نقفور إمبراطور الدولة البيزنطية الامتناع عن دفع الجزية للخلافة العباسية فأرسل إليه الرشيد يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم،قد قرأت كتابك يا بن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام وخرج الرشيد بنفسه على رأس جيش ضخم ألحق الهزيمة بالقوات البيزنطية وأرغم الإمبراطور نقفور على الخضوع ودفع الجزية مرة أخرى ونظرًا لكثرة المعارك بين العباسيين والبيزنطيين فقد وقع كثير من جنود الطرفين أسرى وقد حرصت الخلافة العباسية على فداءأسرى المسلمين فى عهد الرشيد سنة (181هـ/ 797م) وقد سار المأمون (198 – 218هـ/ 813 – 833م ) على سياسة والده نفسها فى استمرار النشاط العسكرى ضد البيزنطيين وكان النصر حليف المسلمين وتعدُّ معركة عمورية سنة (223هـ / 838م) أبرز المعارك بين المسلمين والبيزنطيين فى

عهد المعتصم بالله وكان سببها اعتداءالإمبراطور البيزنطى تيوفيل بن ميخائيل» على بعض الثغوروالحصون على حدود الدولة الإسلامية وحين بلغ المعتصم ماوقع للمسلمين فى هذه المدن، وصيحة امرأة مسلمة وقعت فى أسرالروم : وامعتصماه فأجابها وهو جالس على سريره : لبيك لبيك وجهز جيشًا ضخمًا أرسله على وجه السرعة لإنقاذ المسلمين ثم خرج بنفسه على رأس جيش كبير وفتح مدينة عمورية وهى من أعظم المدن البيزنطية واستولى على ما بها من مغانم وأموال كثيرة جدا .

## الدولة الأموية بالأندلس

استطاع عبدالرحمن بن معاوية بعد فراره من العباسيين إلى الأندلس أن يؤسس الدولة الأموية بالأندلس وعاصمتها قرطبة سنة (138هـ/ 755م) .وقد حاولت الخلافة العباسية بسط نفوذها على بلاد الأندلس والقضاء على الدولة الأموية بها، فدبَّر أبو جعفر المنصور ثورة العلاء ابن مغيث الجذامى فى مدينة باجة الأندلسية سنة (146هـ/763م)، وقام المهدى بمساندة الثورات الداخلية التى كانت تقوم لحساب الدولة العباسية ولكن كل هذه المحاولات والثورات باءت بالفشل بسبب يقظة الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل وحزمه وقدلقبه أبو جعفر المنصور بصقر قريش بل إن عبدالرحمن الداخل أشاع عزمه على غزو الشام وانتزاعه من الدولة العباسية وكتب إلى أنصاره فى الشام بذلك وعهد إلى ابنه سليمان بولاية الأندلس وذلك بغرض إزعاج الدولة العباسية وإرغامهاعلى وقف محاولاتها المستمرة لاسترداد بلاد الأندلس

## الدولة الكارولونجية

وكانت إحدى القوى الناشئة فى غربى البحر المتوسط (جنوبى فرنسا حاليا) وقام بينها وبين الدولة العباسية علاقات سياسية،وجرى تبادل السفراء بين الدولتين فى عهد هارون الرشيد وقدسعى زعيم الدولة الكارولونجية شارلمان إلى كسب وده لتعزيزموقفه الداخلى والخارجى وتبادل معه الهدايا الثمينة.

## العصر العباسي الثاني

العــصر العباســى الثــانى ( 232- 656هــ /847 - 1258 م ) ويمتــد العــصر العبـاســى الثـانـى أكثر من أربعـة قرون وقد قسم المؤرخون هـذه الفترة إلى أربعة عـصور رئيسية هى:1- عصر نفوذ الأتراك.2- عصر البويهيين.3- عصر السلاجقة . 4- عصر ما بعد السلاجقة.

### عصر نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية
### (232 - 334 هـ = 847 - 945م]

كان المأمون أول من استخدم الأتراك وقربهم، ولكنهم كانوامحدودى العدد والنفوذ فـى عهده فلما تولى الخليفة المعتصم الحكم جعلهم عنصرًا أساسيا فـى جيشه وبلغ عـددهم بضعة عشرألفًا وكانوا تحت سيطرة الخليفة وبدأ نفوذ الأتراك يتزايد فـى عهد الواثق ثم ازداد حدة واتساعًافى عهد الخليفة المتوكل ويمتد عـصر نفوذ الأتراك إلى مـا يزيد قليـلاً على قرن من الزمان تعاقب خلاله على كرسى الخلافة ثلاثة عشر خليفة وهم:1- المتوكل على الله «جعفر بن المعتصم» (232 - 247هـ/847 - 861م) .2- المنتصر بالله محمد بن المتوكل (247 - 248هـ/ 861- 862م) 3- المستعين بالله أحمد بن المعتصم (248 - 252هـ/862- 866م) .4- المعتز بالله محمد أبو عبدالله ابن المتوكل (252 - 255هـ/ 866 -869م) .5- المهتدى بالله محمد بن الواثق بن المعتصم (255 - 256هـ/ 869 -870م) .6- المعتمد على الله أحمد بن المتوكل بن المعتصم (256 - 279هـ/870 - 892م) .7- المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل (279 - 289هـ/892 - 902م) .8- المكتفى بالله أبو محمد على بن المعتضد (289 - 295هـ/ 902 - 908 م ) .9- المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن محمد (295 - 320هـ/ 908 -932م) .10- القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد (320 - 322هـ/ 932 -934م ) .11- الراضى بالله أبو العباس محمد ابن المقتدر بن المعتضد (322 -329هـ/ 934-941م) .12- المتقى لله أبو إسحاق إبراهيم بن

المقتدر (329 – 333هـ/ 941 –945م) . 13- المستكفى بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفى (333- 334هـ/945 – 946م) .

## عهود الملوك

المتوكل على الله قد تولى الخلافة فى ذى الحجة سنة (232هـ847م)، وكان عهده بداية حقبة الضعف والتدهور وتفكك بنيان الخلافة العباسية ورغم أن المتوكل كان قوى الشخصية وافر الهيبة فإنه لم يستطع أن يضع حدا لاستفحال النفوذ التركى فى عهده الذى كان له دور فى توليته الخلافة بعد أن كادت البيعة تتم لمحمد بن الواثق وكان غلامًا وقد نجح المتوكل فى البداية فى التخلص من أخطر العناصرالتركية فى عهده وهو إيتاخ الذى استفحل خطره حتى إنه همَّ يومًا بقتل الخليفة المتوكل حين تبسَّط معه فى المزاح لكن الخليفة نجح فى التخلص منه سنة (235هـ 849م) كما عزم على التخلص من قادة الأتراك ووجوههم، مثل وصيف و بُغا إلا أنهم استغلوا مابينه وبين ابنه وولى عهده محمد المنتصر من خلاف وجفوة ودبروامؤامرة انتهت بقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان فى الخامس من شوال سنة (247هـ 861م)، وبايعوا ابنه المنتصر خليفة وقد استطاع المتوكل فى عهده أن يظفر بمكانة عظيمة فى قلوب جماهير المسلمين حين منع النقاش فى القضايا الجدلية التى أثارهاالمعتزلة مثل قضية خلق القرآن كما رد للإمام أحمد بن حنبل اعتباره وجعله من المقربين إليه بعد أن اضطُهد فى عهد المأمون و المعتصم و الواثق لعدم إقراره القول بخلق القرآن كما أمر المتوكل الفقهاء والمحدّثين أن يجلسوا للناس ويحدثوهم بالأحاديث التى فيها رد على المعتزلة فأثنى الناس عليه حتَى قالوا: الخلفاءثلاثة: أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، و عمربن عبدالعزيز رد مظالم بنى أمية و المتوكل محا البدع وأظهرالسنة

## حركة القرامطة

ترجع بداية هذه الحركة إلى عام (278هـ – 891م) قبل تولّى المعتضد الخلافة بعام حين قدم إلى الكوفة رجل اسمه حمدان ولقبه قَرْمَط تظاهر بالعبادة والتقشف

والدعوة إلى إمام من آل البيت فلقيت دعوته صدى كبيرًا عند أنصار آل البيت وحين خمدت سيطرته الروحية عليهم أخذ يبث فيهم أفكارًا غريبة عن الإسلام منها: الشهادة بأن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله وأن القبلة إلى بيت المقدس وأن النبيذ حرام والخمر حلال، وغير ذلك من الأفكار الشاذة وقد اشتد خطر هذه الحركة بعد ظهور زعيمها أبى سعيد الجَنَّابى فى البحرين سنة (286هـ899م)؛ حيث استطاع بسط سلطانه على البحرين و هجر وكسب أنصار كثيرين له فى المناطق التى ينتشر فيها التشيع. وقد تحولت البحرين إلى مركز رئيسىً للقرامطة خرجت منه حملاتهم الحربية فى اتجاه العراق و الحجاز و الشام لنشرأفكارهم الهدامة التى تهدف إلى هدم كيان المجتمع الإسلامى وبسط نفوذهم بواسطة خداع العامة بمبادئ وشعارات براقة،كالعدالة والمساواة والبساطة ومساعدة الآخرين ولم تدرك الخلافة العباسية مدى الخطورة التى تنطوى عليها هذه الحركة ووجهت جهودها الحربية إلى حركات أخرى تبدو أكثر منها خطورة مثل الحركة الصفارية والطولونية وغيرهما ومن هنا لم تظفر هذه الحركة من الخليفة المعتضد الذى عاصر بدايتها الأولى بما تستحقه من اهتمام.

## انتقال عاصمة الخلافة إلى بغداد

ظلت مدينة سامراء أو سر من رأى عاصمة الخلافة العباسية منذ حوالى سنة (221هـ/ 836م) فى خلافة المعتصم بالله إلى أوائل خلافة المعتضد الذى بنى القصر الحسنى ببغداد وقرر انتقال عاصمة الخلافة إليها سنة (280هـ 893م) وقد ازداد خطر القرامطة اتساعًا وعنفًا فى عهد المقتدر ووصل مداه سنة (317هـ 929م) حينما دخلوا مكة بقيادة أبى طاهرالقرمطى وقتلوا الحجاج فى المسجد الحرام واستولوا على الحجر الأسود وأخذوه إلى مركزهم الرئيسى هَجَر حتى تم رده إلى مكانه فى عهد المطيع سنة (339هـ / 950م).

## الدول القائمة في عهد العباسيين

وفيما يلى نبذة مختصرة عن أهم الدول القائمة في عهد العباسيين :

الدولة الصفارية

(254- 289هـ 868 - 902م)

أسسها يعقوب بن الليث الصفَّار في بلاد فارس و خراسان على أنقاض الدولة الطاهرية في عهد المعتز بالله (252 - 255 هـ) بعد أن أظهر كفاءة ملحوظة في محاربة الخارجين على الخلافة والتخلص من الطاهريين بإذن من الخليفة العباسي المعتزبالله واستطاع يعقوب بن الليث أن يضم إلى الدولة الصفارية كثيرًامن الأماكن التي استطاع السيطرة عليها في بلاد فارس و خراسان وأعلن ولاء دولته في البداية للخلافة العباسية وعندما تولى المعتمد على الله الخلافة، أصر أخوه الموفق على أن يكون ولاء الدولة الصفارية للخلافة ولاءً تاما لا صوريا، إلا أن يعقوب بن الليث رفض ذلك وتدهورت العلاقة بين الطرفين وهدد يعقوب بدخول عاصمة الخلافة وبسط سلطانه عليها مماأدى إلى حدوث صدام مسلح بين الدولة الصفارية والخلافة في منطقة واسط بالعراق، وكان لظهور الخليفة العباسي المعتمد على رأس جيش الخلافة أثر كبير في هزيمة يعقوب بن الليث ورغم هزيمته فقد استمر في تحدي الخلافة ورفض التفاهم معها حتى توفي في جندنيسابورسنة (265هـ879م) ثم تولى رئاسة الدولة الصفارية بعد وفاة يعقوب بن الليث أخوه عمرو بن الليث الذي كان حريصًا على كسب ود الخلافة حتى يؤكد سلطانه الروحي في بلاده فاعترف به الخليفة المعتمد واليًا على خراسان و السّند و سجستان و كرمان و فارس و أصبهان وعندماتولى المعتضد الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد أقر عَمْرًا عليها في يده.وقد نشط عمرو في توسيع حدود دولته وتطلع إلى غزو بلاد ماوراء النهر حيث الدولة السامانية وعبر نهر جيحون ولكن السامانيين تصدوا له بقيادة زعيمهم إسماعيل بن أحمد الساماني وهزموه وأخذوه أسيرًا إلى الخليفة المعتضد الذي سجنه حتى مات في سجنه سنة (287هـ/ 900م)، وقد تولى زعامة الصفاريين بعدهزيمة عمرو وأسره حفيده طاهر بن محمد ابن عمرو ولكن أحوال

الصفاريين تدهورت بشدة خلال هذه الفترة نتيجة الهجمات المتلاحقة التى شنها عليهم السامانيون وسقطت دولتهم سنة(289هـ/ 902م) .

## الدولة السامانية

## ( 261 - 389هـ/ 875 - 999م)

ظهر السامانيون على المسرح السياسى لدولة الخلافة العباسية فى عصر الخليفة المأمون (198 – 218 هـ 813 - 833م) وسموا بذلك نسبة إلى قرية سامان القريبة من سمرقند حيث كانوايتوارثون إمارتها، وسمى أميرهم سامان خداه أى كبير قرية سامان وصاحبها وقد اعتنق أحد السامانيين الإسلام أثناء خلافة الأمويين وسمى ابنه أسدًا كاسم حاكم خراسان فى عهد هشام بن عبدالملك واسمه أسد بن عبدالله القسرى وطال العمر بأسد السامانى حتى أدرك المأمون فذهب إليه فى مرو قبل انتقاله إلى بغداد (فى الفترة من سنة 193هـ 809م إلى سنة 202هـ / 817م) ومعه أبناؤه الأربعة نوح و أحمد و إلياس و يحيى فاحتفى بهم المأمون وألحقهم بخدمته وبعد انتقال المأمون إلى بغداد أمر بإسناد عمل إلى كل واحدمن أبناء أسد السامانى فتم إسناد حكم سمرقند إلى نوح وحكم فرغانة إلى أحمد وحكم الشاش إلى يحيى وحكم هراة إلى إلياس فكان هذا مقدمة لتمكن نفوذ السامانيين فى هذه المناطق المعروفة باسم بلاد ما وراء النهر (نهر جيحون) وقد برز أحمد بن أسد حاكم فرغانة على إخوته وكان له سبعة أبناء هم نصر و يحيى و يعقوب و إسماعيل و إسحاق و أسد و حميد وعند وفاته سنة (250هـ / 864م ) حل محله ابنه الأكبر نصر ودان له باقى إخوته بالطاعة والولاء وفى سنة (261هـ 875م ) حدَث التحول الحاسم فى تاريخ السامانيين حينما أسند الخليفة المعتمد على الله ولاية جميع بلاد ما وراء النهر إلى نصر بن أحمد بن أسد السامانى فأقام نصر فى سمرقند وعين أخاه إسماعيل نائبًا عنه ببخارى وعهد إلى كل أخ من إخوته الباقين بحكم إحدى الولايات مما يمكن معه اعتبار عام (261هـ/ 875م) بداية تكوُّن الدولة السامانية وعقب وفاة نصر بن أحمد فى سمرقند عام

(279هـ/ 892م) ضم أخوه إسماعيل سمرقند إلى ملكه وأصبح هو الحاكم الأعلى لكل بلاد ما وراء النهر لذلك يرى بعض المؤرخين أن إسماعيل بن أحمد بن أسد السامانى هو المؤسس الحقيقى للدولة السامانية حيث خضع له سائر الأمراء السامانيين ووسع حدود الدولة، فضم لها خراسان ومعظم البلاد التى كانت خاضعة لنفوذ الدولة الصفارية وبلغت الدولة السامانية قمة مجدها فى عهده (من 279 295هـ/892-908م) ثم فى عهد حفيده نصر بن أحمد بن إسماعيل 301 -331هـ/ 913 - 943م) وبدأت الدولة السامانية تتدهور منذ عهد نوح بن نصر (331 - 343هـ/ 943 - 954م) حتى سقطت فى يدالغزنويين سنة (389هـ/ 999م)

## دولة بنى حمدان فى الموصل وحلب
## (293 - 392هـ/ 906 - 1002م)

ينتمى الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون بن الحارث من قبيلة تغلب وقد ظهر نفوذ حمدان فى شمال العراق سنة (254هـ)أثناء خلافة المعتز بالله وتعاون مع خوارج الجزيرة فى شمال العراق واستطاع أن يسيطر على بعض المواقع الحصينة هناك، وأهمها قلعة ماردين ولكن الخليفة المعتضد بالله استطاع استردادها وقبض على حمدان وسجنه وتعهد حسين بن حمدان بالطاعة والولاء للخليفة المعتضد وساعده فى حربه ضد الخوارج حتى هزمهم فقربه الخليفة وعفا عن والده حمدان بن حمدون وفى خلافة المكتفى بالله (289 - 295هـ/ 902 - 908م ) تعاظمت مكانة حسين بن حمدان وقام بدور بارز فى الحرب ضد القرامطة وفى الحملة التى جهزها العباسيون لاسترداد مصر من يدالطولونيين فى سنة (292هـ 905م) وقد شارك حسين ابن حمدان فى المؤامرة الفاشلة التى دبرهاأنصار ابن المعتز لخلع المقتدر وهرب حتى عفا عنه المقتدر وأسند إليه ولاية بعض البلاد وأهمها ديار ربيعة بالجزيرة سنة (298هـ911م) إلا أنه حدث بينه وبين على بن عيسى وزير المقتدر نزاع انتهى بالقبض عليه وقتله فى سجنه سنة (306هـ/918م) ورغم أن حسين بن حمدان كان من أعظم الأمراء

بـأسًا وشجـاعة وكـان أول من ظهر أمره من مـلوك بنـى حمدان فـإن أخـاه أباالهيجـاء عبدالله بن حمدان كان أعمق تأثيرًا وأوسع نفوذاً فى تـاريخ الأسـرة الحمدانيـة وقـد ولاه الخليفـة المكتفـى إمـارة الموصـل وتوابعها سـنة (293هـ/ 906م) ويعـد أبـو الهيجاء عبدالله بن حمدان المؤسس الحقيقى لمملكة الحمدانيين فى الموصل التى ظل حـاكمًا لها إلى أن قتل سنة (317هـ/ 929م) عقب اشتراكه فى المؤامرة الفاشـلة لخلع الخليفـة المقتدر وقد خلفه ابنه حسن الملقب بناصر الدولة واستطاع أن يمد سـلطانه على أقاليم الجزيرة الثلاثـة ديـار ربيعـة و ديار مضر و ديار بكر بإذن من الخليفـة الراضـى حتـى أقعدته الـشيخوخة فخلفـه علـى الحكـم ابنـه فـضل الله أبـو تغلـب الغـضنفر سـنة (353هـ/ 964م)وقد دخل ناصر الدولة وابنه أبو تغلب الغضنفر فى صراع طويل مع البويهيـين أصحاب السلطة فى العراق منذ سنـة (334هـ / 945م) وانتهى هـذا الصراع بهزيمة أبى تغلب الغضنفر أمام عضد الدولة البويهى سنة (368هـ/ 979م) وانتهت بذلك مملكة الحمدانيين فى الموصل و الجزيرة .

## الحمدانية في حلب

أمـا الدولة الحمدانيـة فى حلب فقد أسسها على بن أبى الهيجـاء عبدالله بن حمدان الـملقب بسيف الدولة حيث استطاع بمعـاونة أخيه الأكبر ناصر الدولة انتزاع حلب من الإخشيديين سـنـة (333هـ 944م) ثم استطاع بعد ذلك أن يبسط سـلطانه على حمص و قنسرين و العواصم وبعض بـلاد الجزيرة سنة (336هـ/ 947م ) وقد قـام سـيف الدولة الحمدانى بمهمة جليلة أثناء حكمه الذى استمر حتـى سـنـة (356هـ / 967م ) وهى حماية حـدود دولة الخلافة من غـارات الروم (البيزنطيين) المتواصـلة بعد أن ضعفت الخلافة المركزية عن القيام بهذه المهمة المقدسة.وكـان سـيف الدولة الحمدانى أديبًا شـاعرًا فجمع حوله العلماءوالأدباء مثل أبى نصر الفارابى و ابن خالويه و أبى الطيب المتنبى و أبى فراس الحمدانى و ابن نباتة و السَّرِىّ الرَّفّاء وغيرهـم.وتوفى سـيف الدولة سـنـة (356هـ/ 967م ) وخلفه فـى الحكم ابنه أبـو المعـالى شريف المعروف بسعد الدولة

وضعفت فى عهده سلطة الحمدانيين فى الشام لكثرة الضغوط التى تعرض لها من البيزنطيين والبويهيين فى العراق والفاطميين فى مصر بغرض الاستيلاء على الشام وتوفى سعد الدولة سنة (381هـ 991م) وتولى بعده ابنه أبوالفضائل سعيد الدولة الذى تعرض لضغوط الفاطميين المتزايدة لضم الشام إلى مصر فتحالف مع البيزنطيين لصد هجمات الفاطميين عليه ثم انتهت إمارته بمقتله سنة (392هـ 1002م) على يد وزيره لؤلؤ الحاجب وانتهت بذلك الدولة الحمدانية فى الشام الذى أصبح خاضعًا لسلطان الفاطميين وقد كان الحمدانيون يميلون إلى التشيع وكانت علاقتهم بالخلافة العباسية تتأرجح بين الرضا والسخط والتوجس.

دولة بنى بويه قبل انتقالها إلى بغداد

ينتسب البويهيون إلى أبى شجاع بويه الذى نشأ فى بلاد الديلم التى تقع جنوبى غربى بحر قزوين أو بحر الخزر بين منطقتى طبرستان و الجبال وكانت هذه البلاد معقلاً لنفوذالعلويين فانتشر فيها التشيع ورغم أن أبا شجاع بويه كان فقيرًا فإنه كان يتحلى بروح المغامرة والشجاعة كما تشرب الروح الشيعية التى كانت سائدة فى بلاد الديلم وقد انضم أبو شجاع إلى العلويين فى صراعهم مع السامانيين،ومع ذلك فلم يكن هو المؤسس الحقيقى لأسرة بنى بويه وإنماكان أبناؤه الثلاثة على و حسن و أحمد هم الذين قاموابذلك فقد التحق أبناؤه بخدمة ماكان بن كاكى أحد القوادالبارزين المناصرين للداعية الشيعى الحسن بن على الملقب بالأطروش وأبرزوا تميزًا فى خدمته فارتقوا من مرتبة الجنود إلى رتبة القادة، ثم حدث صراع بين ماكان و مرداويج بن زيار أحد القادة الفرس فى منطقة الديلم وأحس أبناء بويه أن كفة مرداويج هى الراجحة فى هذا الصراع، فانضموا إليه فيما بين عامى (316و317هـ 928 و 929م) وكان ذلك بداية تمكن نفوذهم فى فارس والمناطق المحيطة بها وقد ظهر بنو بويه أو البويهيون على مسرح الأحداث فى أواخرعصر نفوذ الأتراك، فبدءوا منذ عام (321هـ 933م) يؤسسون لأنفسهم مناطق نفوذ تخضع لسيطرتهم التامة فاستولوا على فارس وشيراز و أصبهان و الرى

و همذان و الكرج و كرمان وأغراهم ذلك على التطلع إلى مد نفوذهم إلى العراق موطن الخلافة العباسية وقد ساعدهم على ذلك تضاؤل النفوذ التركى واشتداد الصراع على منصب أمير الأمراء الذى ابتدعه الخليفة الراضى بالله سنة(324هـ 936م) مما أدى إلى تمزق الكلمة وضعف الجبهة التى يمكن أن تحمى دار الخلافة فلم يجد أحمد بن بويه أى صعوبة فى دخول بغداد والسيطرة عليها بدون قتال فى ( الحادى عشر من جمادى الأولى سنة334هـ / يناير سنة 946م) وعندما دخل أحمد بن بويه بغداد فى جمادى الأولى سنة (334هـ / ديسمبر سنة 945م) كان المستكفى بالله هو الخليفة العباسى ولم يكن أمامه إلا أن يظهر الترحيب به بل إنه زاد على ذلك فخلع عليه الخُلَع ولقبه معز الدولة كما لقَّب أخاه عليا عماد الدولة وأخاه الحسن ركن الدولة وأمر بأن تُضرَبَ ألقابهم وكُناهم على الدنانير والدراهم وكان على بن بويه حاكمًا لإقليم فارس والحسن بن بويه حاكمً لعدة أقاليم أهمها الرى و الجبل و أصفهان فى حين دخل أخوهم الأصغر أحمد بغداد وقد تدهورت أحوال الخلافة العباسية واندثرت معالمها من الناحية الواقعية حينما سيطر البويهيون على بغداد فقد جردوا الخليفة من كل سلطاته وعدُّوه مجرد موظف مهمته إضفاء صفة الشرعية على سلطانهم لدى جماهير المسلمين فحددوا له راتبه،وسلبوه حقه فى تعيين الوزراء، وسمحوا له بأن يتخذ كاتبًا(سكرتيرًا) فقط يشرف على أمواله ورغم أن البويهيين كانوا شيعة فإنهم لم يسقطوا الخلافة العباسية السُنِّية فى بغداد ليحلوا محلها خلافة علوية شيعية تتفق مع مذهبهم، وسبب ذلك علمهم أن وجود خليفة من العلويين يهدد ملكهم وسلطانهم، وليس الأمر كذلك مع الخليفة السنّى الذى يستطيعون هم أن يفعلوا به ما يشاءون وقد برهن سلوك البويهيين مع الخليفة المستكفى على صدق ذلك فقبل مرور شهر على دخولهم بغداد دخل معز الدولة أحمد بن بويه على الخليفة المستكفى فوقف الناس حسب مراتبهم فتقدم اثنان من الديلم وهم قوم معز الدولة فمدّ الخليفة يده إليهما ظنامنه أنهما يريدان تقبيلها فجذباه وطرحاه أرضا وجرّاه بعمامته، ثم هجم الديلم على دار الخلافة ونهبوها وسار معز

الدولة إلى منزله وساقوا الخليفة المستكفى ماشيًا إليه ثم انتهت هذه المأساة بخلع المستكفى وسمل عينيه وإذا استبعدنا خلافة المستكفى فإننا نجد أن الخلفاء الذين شهدوا عصر نفوذ البويهيين كانوا أربعة وهم :1- المطيع لله أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد [334 - 363هـ / 945 - 974م]. 2- الطائع لله أبو بكر عبدالكريم بن المطيع [363 - 381هـ/ 974 -991م]. 3- القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر [381 - 422هـ/ 991 - 1031م]. 4- القائم بأمر الله أبو جعفر عبدالله بن القادر [422 - 467هـ 1031- 1075م]

( قال ) وقد أدى الصراع المستمر بين أبناء البيت البويهى إلى تطلع قوى أخرى من خارج البيت البويهى للاستيلاء على مقاليد الحكم فى دولةالخلافة العباسية كما شغل هذا الصراع البويهيين عن توجيه أذاهم إلى الخليفة العباسى القادر بالله الذى ظل واحدًا وأربعين عامًا على كرسى الخلافة حتى تُوفّى سنة (422هـ / 1031م) ( قال ) وعقب وفاة أبى كاليجار منهم فى (جمادَى الأولى سنة 440هـ / أكتوبر سنة 1048م) خلفه على إمارة العراق ابنه أبو نصر خسروفيروز الملقب بالملك الرحيم وكانت فترة إمارته تمثل قمة التردى فى أوضاع الدولة البويهية حيث دخل فى صراع مع إخوته حول السلطة واستعان بعضهم بالسلاجقة ضد أخيهم الملك الرحيم وأصبح البويهيون تحت سيطرة السلاجقة وتحدد مصير دولتهم على أيدى هذه القوة الناشئة.

عصر نفوذ السلاجقة

[447-590هـ / 1055-1194م]

السلاجقة أسرة تركية كبيرة كانت تقيم فى بلاد ما وراء النهر وتنسب إلى زعيمها سلجوق بن تُقاق الذى اشتهر بكفاءته الحربية، وكثرة أتباعه. وقد أسلم سلجوق وأتباعه وخلّف من الأولاد أرسلان و ميكائيل و موسى وكان أبرزهم ميكائيل الذى أنجب ( طغرل بك محمد و جغرى بك داود) اللذين قام عليهما مجد السلاجقة .هاجر السلاجقة بزعامة طغرل بك وأخيه جغرى فى الربع الأول من القرن الخامس

الهجرى إلى خراسان الخاضعة لنفوذ الغزنويين وبعد سلسلة من الصراع بين الغزنويين و السلاجقة استطاع السلاجقة السيطرة على خراسان بعد هزيمة الغزنويين بقيادة السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين سنة (431هـ / 1040م)أمام طغرل بك وأخيه جغرى وقد ساعد السلاجقة على توطيد سلطانهم انتماؤهم إلى المذهب السنى وإعلانهم الولاء والتبعية للخليفة العباسى القائم بأمر الله الذى عين طغرل بك نائبًا عنه فى خراسان وبلاد ما وراءالنهر وفى كل ما يتم فتحه من البلاد وقد استطاع السلاجقة توسيع حدود مملكتهم بسرعة هائلة،فاستولى زعيمهم طغرل بك على جرجان و طبرستان سنة (433هـ) وعلى خوارزم و الرى و همدان سنة (434هـ =1043م) وعلى أصبهان سنة (443هـ / 1051م) وعلى أذربيجان سنة (446هـ / 1054م)، وبدأ يتطلع للسيطرة على بغداد وقدهيأت له الأوضاع السائدة فى العراق تحقيق هذا الهدف دخول طغرل بك بغداد سنة (447هـ / 1055م) وسقوط دولة البويهيين كان القائد التركى المشهور أبو الحارث أرسلان المظفَّر بن عبدالله المعروف بالبساسيرى من أكابر العسكريين الأتراك فى بغداد فى أواخر العهد البويهى وكان يقوم بدور الحاكم العسكرى لمدينة بغداد ، ويعد صاحب النفوذ الأكبر فى دار الخلافة وقد كانت هناك خصومة شديدة بينه وبين أبى القاسم بن المسلمة على بن الحسن بن أحمد وزير الخليفة القائم بأمر الله فاتهمه الوزير بالخيانة واتصاله بالفاطميين فى مصر لميوله الشيعية ولما تبين ذلك للخليفة القائم بأمر الله خشى أثر موقف البساسيرى على مستقبل الخلافة العباسية فاتصل بالسلطان السلجوقى طغرل بك وطلب منه القدوم إلى بغداد للاستيلاء على السلطة فيهاووضع حد لمحاولات البساسيرى الخطيرة ولعجز البويهيين عن إدارة شئون الدولة فاستجاب السلطان السلجوقى وتقدم بجنوده نحو بغداد وأمر الخليفة بأن يُخطَب له على منابرها قبل دخولها فى (25 من رمضان سنة 447هـ / نوفمبر سنة 1055م) بثلاثة أيام وتم القبض على الملك الرحيم آخر ملوك البويهيين أصبح طغرل بك ركن الدين أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق أول سلاطين

السلاجقة فى بغداد ابتداءً من (رمضان 447هـ /نوفمبر 1055م) وقد استقبله الخليفة القائم بأمر الله بكل مظاهر الحفاوة والترحاب ولقبه ملك المشرق والمغرب ورأى السلاجقة فى الخلافة السُّنية رمزًا دينيًا يعبر عن وحدة الأمة الإسلامية وعزتها ونظروا إلى الخليفة على أنه تجسيد حى لهذاالرمز، فأحاطوه بهالة من التقدير والإكبار ونعمت الخلافة العباسية فى ظل نفوذ السلاجقة بأمرين الأول : سيادة المذهب السنى فى أرض الخلافة. والآخر: إحاطة الخلافة بما هى أهل له من إكرام وإجلال فأصبح من حق الخليفة اتخاذ وزير له ورغم أن وزير السلطان السلجوقى كان بصفة عامة أوسع نفوذا وأقوى تأثيرًا من وزير الخليفة، فإن ذلك لايقلل من حقيقة التكريم الذى أسبغه السلاجقة على منصب الخلافة؛حيث كانت السلطة الفعلية فى يد السلاجقة وكانت سلطة الخليفة روحية أكثر منها سياسية وعندما دخل طغرل بك بغداد اضطر البساسيرى إلى تركها وبدأ يجمع حوله عددًا من الأنصار الساخطين على الأوضاع فى دارالخلافة واستطاع الاستيلاء على الموصل سنة (448هـ /1056م)،وخطب فيها للخليفة المستنصر الفاطمى ثم مد نفوذه إلى الكوفة و واسط وأغرى إبراهيم ينَّال وهو أخو طغرل لأمه بالانشقاق على أخيه ليضمن انشغاله عنه بفتنة أخيه. وقد أمد المستنصر الفاطمى البساسيرى بما يدعم موقفه ويمكنه من مد نفوذه فاستطاع فى (الثامن من ذى القعدة سنة 450هـ/ السابع والعشرين من ديسمبر 1058م) أن يدخل بغداد بجيوشه، ويخطب فيها للخليفة الفاطمى وخضعت بغداد للخلافة الفاطمية بمصر واضطر الخليفة العباسى القائم بأمر الله ووزيره ابن المسلمة أن يضعا نفسيهما تحت حماية أحد أعوان البساسيرى واسمه قريش بن بدران فطلب البساسيرى من قريش تسليمه ابن المسلمة فقتله شر قتلة فى ( أواخر ذى الحجة سنة 450هـ / يناير 1059م) وقام قريش بتسليم الخليفة العباسى إلى ابن عم له بنواحى الأنبار فآواه وقام بجميع ما يحتاج إليه مدة سنة كاملة وحاول البساسيرى مد سلطانه على مدن العراق ما أمكنه ذلك،فاستولى على البصرة وأوشك الأمر أن يستتب للفاطميين بالعراق لولا أن المستنصر شك فى نيات

البساسيرى وحقيقة مخططاته، فمنع عنه عونه وتأييده مما كان له أثره السيئ على موقفه فى مواجهة طغرل بك الذى نجح فى القضاء على ثورة أخيه إبراهيم ينَّال وقبض عليه وقتله فى ( التاسع من جمادى الآخرة سنة 451هـ / يوليو سنة 1059م) وعندما اقتربت جيوش السلطان السلجوقى طغرل بك من بغداد هرب البساسيرى فى اتجاه الكوفة فى (6 من ذى القعدة سنة (451هـ / 14 من ديسمبر 1059م)، وسيطر طغرل بك على بغداد بسهولة بعد عام كامل من سيطرة البساسيرى عليها، وأعاد الخليفة القائم بأمر الله مكرَّمًا إلى دار الخلافة فى(25 من ذىالقعدة سنة 451هـ / 14من ديسمبر سنة 1059م) ونجح فرسان طغرل بك فى قتل البساسيرى فى (8 من ذى الحجة سنة451هـ / 15من ينايرسنة 1060م) وبذلك بدأ السلطان السلجوقى طغرل بك يعمل على توطيد ملك السلاجقة بالعراق وراجع تاريخ السلاجقة في المطولات.

العثمانيون

العثمانيون كماقال الدكتورمحمد حرب نسبة إلى عثمان مؤسس دولتهم التى حكمها 36 سلطانا واستمرت 624 سنة ونيفا ينتسبون إلى قايد من قبائل الغز، ثم شاعت صفة عثمانى على كل مواطن ينتمى إلى دولتهم العثمانية بصرف النظر عن دينه وثقافته وعرقه كونوا إمارة ثغر تابعة لدولة سلاجقة الروم فى الأناضول على حدودها مع الدولة البيزنطية ثم استقل أميرها عثمان عام 699هـ/1299م وأسس إمارته على العلم والفتوحات وفى عهده برز الشاعر عاشق باشا أول شعراء العثمانيين ثم توسع عثمان بالغرو والجهاد على حساب البيزنطيين ولما مات خلفه ابنه أورخان الذى اتخذ من مدينة بورصة عاصمة سياسية وثقافية واتبع أورخان سياسة أبيه فى نشر العلم وفى الفتح ووصل إلى مضيق الدردنيل. ومن أبرز شعراء عصره سليمان جلبى صاحب قصيدة المولد وتولى مراد بن أورخان الإمارة العثمانية والتى تمتد بين الأناضول والبلقان وفى عهده تأسست فرقة الإنكشارية أول جيش نظامى فى العالم ، وفتحت أدرنة من أكبر المدن البيزنطية 764هـ/1362م وظلت عاصمة للعثمانيين حتى عام 857هـ/1453م وأنجب عصره الشاعر نسيمى الذى نشأ فى العراق

العثمانى ونظم بالتركية فى لهجتها الآذرية وانتصر مراد على تحالف القوى الأوربية ضده فى معركة قوصوه (كوسوفا) إلا أنه استشهد عقبها ( قال ) وفى عهد ابنه بايزيد الصاعقة انتهى عهد الإمارة لتتحول رسميا إلى سلطنة الخليفة العباسى فى القاهرة بتنصيبه بايزيد سلطانا على الروم إلا أن هزيمته أمام تيمور لنك فى موقعة أنقرة 805هـ / 1402م تسببت فى تفرق الدولة مدة إحدى عشر عاما بعدها لم ابنه السلطان محمد الأول شمل الدولة من جديد وهو الذى اعتنى بالتوحيد السياسى وبالمعرفة وظهر فى عهده الشاعر المجدد ( شيخى ) صاحب خرنامة آما ثم جاء السلطان مراد الثانى وبعده محمد الثانى الذى لقب بالفاتح لفتحه القسطنطينية (استانبول) عام 857هـ/1453م واتخاذها عاصمة وبه انتهى رسميا وجود الدولة البيزنطية وبدأ عهد الدولة الحديثة فى أوربا وبه أيضا بدأ التاريخ الحديث واشتهرالفاتح كقائد عسكرى وشاعر وأديب وراع للفنون والأدب فبالإضافة إليه نفسه كشاعر صاحب ديوان نجد فى عهده العالم آق شمس الدين الذى عرف الميكروب وكتب عن السرطان والشاعر أحمد باشا وكذلك سنان باشا رائد النثر التركى العثمانى والشاعرتين مهرى خاتون وزينب خاتون. وإذا كان الأمير عثمان المؤسس مات عن إمارة تبلغ 800 كم2 فقد توفى الفاتح عن دولة 2.000.000كم2 أى مدى 154 سنة فقط بين الاثنين وإذا كانت الفتوحات العثمانية قد توقفت فى عهد بايزيد الثانى ابن الفاتح إلا أن سليم الأول الذى كان شاعرا فى لغته العثمانية وله ديوان بالفارسية وظهر فى عهده العالم اللغوى الفقيه المؤرخ ابن كمال ( قال ) وأعاد سليم حركة الفتوحات مرة أخرى بضمه مصر والبلاد العربية إلى الدولة و بسليم تحولت الدولة من سلطنة إلى سلطنة وخلافة استمرت حتى عام 1342هـ / 1923م تخللتها الذروة التى وصلت فيها الدولة على عهد سليمان القانونى عصرها الذهبى من حيث توسع الدولة وسيطرتها على أوربا ومن حيث الثقافة والفنون والأدب فالقانونى نفسه كان أول شعراء عصره الذى أنجب فضولى أمير الشعر التركى القديم ، ولامعى الشاعر، وخيرالدين باربروس القائد البحرى، وبيرى رئيس العالم صاحب كتاب البحرية والمعمار سنان بانى جامع السليمانية فى أدرنة قمة الفن الإسلامى المعمارى والذى استخدم قبة

الجامع التى لا تستندعلى أعمدة وإنما على أنصاف قباب ثم أرباع قباب ثم الجدار وفى ذلك توسعه لمساحة الجامع وفى عهد سليمان قضى على نشاط فرسان القديس يوحنا بعد الفتح العثمانى لجزيرة رودوس أما هو نفسه فقد قاد 13 حملة عسكرية بدات بفتح بلغراد وانتهت بحصار قلعة سيكتوار عام 974هـ/ 1566م والذى مات عن 73 سنة وهو على فرسه يحاصرها تاركا لابنه سليم الثانى دولة بلغت مساحتها 13.000.000 كم2 وبعد قرن كامل من الوصول إلى الذروة حكم خلاله عدة سلاطين أبرزهم سليم الثانى، ومراد الثالث الذى ظهر فى عهده المورخ خوجه سعد الدين صاحب كتاب تاج التواريخ وأول المؤرخين الرسميين ( قال ) وفي عهده فتح العثمانيون روسيا ووصلوا إلى مشارف موسكو لكنهم فشلوا فى حصار مدينة فيينا وعندها سقطت عنهم صفة "المنتصرون دائما" وبدأت فترة التوقف التى بدأ فيها العثمانيون فقد أراضيهم لصالح الأوربيين مثل المجر و ترانسلفانيا بموجب معاهدة كارلو فجه فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى، أما فى معاهدة كوجوك قاينارجه بعد ذلك فقد بات واضحا هزيمة العثمانيين أمام روسيا فبدات فترة الانهيار مما جعل الدولة تبدأ مرحلة التجديد لاستعادة القوة، وهى التى بدأت بعبد الحميد الأول وبرزت فى عهد سليم الثالث صاحب "النظام الجديد" نظرا لإحلاله النظم الأوربية الحديثة محل العثمانية القديمة فى الجيش والإدارة ومظاهر الحياة، مما أثار عليه جنود الإنكشارية فعزلوه وقتلوه ( قال ) ونشطت الحركة الثقافية فى عهده وترجم عاصم قاموس برهان قاطع من الفارسية .ومن علماء عصره خوجه إسحق عالم الهندسة، ومصطفى بهجت عالم الطب وجاء بعد محمود الثانى الذى هيأ الدولة لتجديد أوسع على النمط الأوربى مثلما فعل واليه على مصر محمد على باشا ،مما سهل على ابنه عبد المجيد إعلان "التنظيمات" رسميا وذلك يعنى إعادة تنظيم شئون الدولة العثمانية على أسس أوربية وجعل الفرنسية لغة الثقافة وتولى بعده مراد الخامس ثم عبد الحميد الثانى الذى تولى والدولة فى غاية ضعفها، مما أطمع فيها دول أوربا وبضغط من النخبة الحاكمة كرجال دولة والمثقفة على أسس غربية أعلن قيام النظام النيابى،"مجلس المبعوثان"، إلا أن هذه النخبة دفعت الدولة إلى الحرب العثمانية الروسية رغما عن إرادة

السلطان وبنكبة هذه الحرب ألغى السلطان العمل بالنظام النيابى واهتم بالشئون الثقافية والدينية والعلمية طوال عهده 33 عاما وقدصلت في عهده الثقافة والفنون والنظم التعليمية إلى درجة عالية وظهر فى عهده أساطين الأدب والفكر والفن منهم:نامق كمال ، أول دعاة الجامعة الإسلامية، وضيا باشا ، وعبدالحق حامد .وتوفيق فكرت لكن الجيش بقيادة حزب الاتحاد والترقى أجبر السلطان عبدالحميد على ترك العرش عام 1327هـ/ 1909م ليحل محله السلطان محمد رشاد بتوجيه الاتحادين الذين أدخلوا الدولة فى حرب البلقان وإيطاليا ثم بمغامرة عسكرية منهم دون علم السلطان والصدر الأعظم أشركوا الدولة فى الحرب العالمية الأولى التى خرجت منها منهارة وقامت على أنقاضها دولة تركيا فى 29 أكتوبر 1342هـ /1923م.بقيادة مصطفى أتاتورك والقصة معروفة ومذكورة في المطولات.وسانبه إلى تاريخ المنطقة الإسلامية في ما يأتي من فصول.

## الكتاب الرابع

## في بيان الجغرافية المبسطة

### ويتضمن ذكر عينات من الجغرافية البسيطة التي تغني موضوع هذاالكتاب

### الفصل الاول

### في

### نبذة من الجغرافية المبسطة

---

### الجغرافيا

الجغرافية أيضا لها علاقة بموضوع كتابنا هذا وهي علم يدرس توزيع كل ما هو حي على الأرض ويبين موقعه كما يدرس ملامح الأرض التى نعيش عليها فالجغرافيون يدرسون أين يعيش البشر والحيوانات وأين تنبت النباتات ويدرسون علاقة هذه الكائنات الحية ( البشر والحيوان والنبات) بالأنهار والصحاري وغيرها من الظواهر الطبيعية على أرضنا هذه ويدرس الجغرافيون أيضا موقع الظواهر الطبيعية على الأرض وكيف تحدد مواقعها وسبب

أهمية هذه المواقع وكلمة جغرافيا من اليونانية القديمة وتعنى وصف الأرض.ويسعى الجغرافيون إلى معرفة القوى التى تشكل سطح الأرض وتغيره ولذا فهم يدرسون المناخ والتغيرات الحادثة التى تسببها قوى الطبيعة كالرياح والمياه ويهتم الجغرافيون أيضا ببحث تغيير البشر للأرض ، وقد يحللون مثلا كيف يؤدى التوسع فى إحدى المدن إلى التأثير فى النهر المجاور لها وبالإضافة لهذا فإن الجغرافيين يبحثون طرائق تغير سطح الأرض على مر العصور وقد يدرسون مظاهر نمو مدينة من المدن وكيف تطورت أو كيف كان عليه حال هذا الوادى النهرى منذ مئات السنين ويستخدم الجغرافيون المعلومات التى جمعها العلماء في مجالات علمية أخرى كثيرة فهم يستخدمون معلومات قدمتها لهم علوم مثل: الجيولوجيا ، والبيولوجيا (الأحياء) والأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، والاقتصاد، والفيزياء، والاجتماع.وهم يضيفون هذا كله إلى البيانات التى حصلوا عليها من خلال بحوثهم للإجابة عن الأسئلة المتعلقة بسطح الأرض ، وغالبا ما يسجل الجغرافيون نتائج أبحاثهم على خرائط ، فالخريطة هى أكثر أدوات الجغرافى أهمية. ويعتمد الجغرافيون أيضا على وسائل أخرى كالرحلات والتصوير الفوتوغرافى والدراسات المسحية والمقابلات ، واستخدام الإحصاءات.

## تاريخ الجغرافيا

فى بواكير العصور الوسطى فى أوروبا، سجل الإغريق والرومان كثيرا من المعلومات الجغرافية لكنها فقدت ، إلا أن المسلمين فى الشرق الأوسط والشمال الأفريقى، استمروا فى دراسة الجغرافيا ومتابعة الكشوف .

## العرب وعلم الجغرافيا

الجغرافية كما سبق ذكره كلمة يونانية الأصل معربة تعنى وصف الأرض، وقد دخلت هذه الكلمة اللغة العربية إبان العصر العباسي. وكان العرب يعرّفون الجغرافيا بأنها علم بأحوال الأرض من حيث تقسيمها إلى الأقاليم والجبال والأنهار، وما يَختلف حال السكان باختلافه. و الجغرافيا بذلك تدرس الأرض بوصفها وطنًا للإنسان. ويتفق الجغرافيون على أن الجغرافيا هى علم المكان. وأقدم كتب الجغرافيا المعروفة لدينا كتاب الجغرافيا لبطليموس. والملاحظ

أن علم الجغرافيا ارتبط بالإنسان منذ القدم نظرًا إلى حاجة الإنسان إلى معرفة الأماكن والظواهر الجغرافية والفلكية المحيطة به، إلا أنه تطور على أيدى العرب نظرًا لارتباط الجغرافيا ببعض المسائل الفقهية، مثل: تحديد القبلة والحج والصيام كذلك عمليات الفتوح الإسلامية والتجارة والكسب وطلب العلم. وأشهر الجغرافيين المسلمين أبو عبد الله القزويني و أبو إسحاق الإصطخري و علي بن الحسين المسعودي و ياقوت الحموي و ابن حوقل. وقد تطورت مسيرة الجغرافيا على أيدى الأوربيين فتعمق التفسير والتحليل فيها . وتهتم الجغرافيا بالمكان والإنسان والظواهر الفلكية والمناخية، والزراعة والسكان والنواحى العسكرية والاستراتيجية.

## القارات

القارات هي إحدى الكتل الرئيسية التي تنقسم إليها اليابسة. وباستثناء آنتاركتيكا التي تعتبر في كثير من الأحيان قارة تتألف اليابسة من ست قارات هي على الترتيب من حيث المساحة بدءا بالأعلى: آسيا، وإفريقيا، وأميركا الشمالية، وأميركا الجنوبية، وأوروبا، وأستراليا .هذا وأوروبا وآسيا تشكلان في الواقع كتلة من اليابسة واحدة متصلة ومن أجل ذلك تدعيان أحيانا أوراسيا وتؤلف القارات والجزر حوالي 28% من سطح الأرض في حين يغمر الماء سائر هذا السطح ومن النظريات الشائعة في نشأة القارات نظرية تقول بأن جميع القارات كانت في وقت مّا كتلة واحدة وأن هذه الكتلة انقسمت بعد على نفسها في الدهر الوسيط .

## أكبر القارات بالترتيب

أكبر القارات مساحة هي (1) آسيا و مساحتها 44.211.000 كم مربع . ( 2 ) أمريكا و هي مقسمة لثلاثة أقسام 1 أمريكا الشمالية و مساحتها 24.386.000 كم مربع .2 وأمريكا الوسطى و مساحتها 2.750.500 كم مربع . 3 و أمريكا الجنوبية و مساحتها 17.834.000 كم مربع .والمجموع 44.970.500 كم مربع. ( 3 ) أفريقيا و مساحتها 30.319.000 كم مربع . ( 4 ) أنتركتيكا منطقة القطب الجنوبي ومساحتها

13.975.000 كم مربع. ( 5 ) أوروبا و مساحتها 10.239.000 كم مربع. ( 6 ) أوكيانيا (استراليا و ما حولها) و مساحتها 8.942.000 كم مربع.

## نشوء القارات

نشوء القارات بدا حيث كانت الأرض منذ 200 مليون سنة عبارة عن كتلة واحدة تسمى بانجيا وكانت تلك الكتلة في بداية تفتتها بداية الانجراف القاري ومنذ 135 مليون سنة تفتتت أجزاء البانجيا إلى كتلة أرضية شمالية تسمى لوراسيا وكونت الهند مساحة منفصلة والكتلة الأرضية الجنوبية عُرفت باسم جوندوانالاند ومنذ 65 مليون سنة بدأت الكتل الأرضية تشكل القارات المعروفة بأشكالها الحالية وكانت تلك القارات تتحرك في اتجاه مواقعها الحالية ولم تكن الهند قد التصقت بعد بآسيا.

## مصدر أسماء القارات

مصدر أسماء القارات كما جاء في أطلس الحاسوب هو : 1- أوروبا : أصل الاسم يوناني مؤلف من كلمتين: اوروس ومعناها واسع وأوب ومعناها الأطراف أو أوروس أوب أي واسع الأطراف . وقد اعتقد اليونان القدماء الذين عاشوا فى الطرف الجنوبي من أوروبا أنها بلاد واسعة الأطراف فأسموها هكذا ولم يكونوا بعد على علم أن أوروبا ليست أكبر القارات ويعتقد البعض أن أصل الاسم آرامي ومعناه الغرب .2- أفريقيا : اسم كنعاني ومعناه الأسود وذلك لأن الملاحين الكنعانيين الذين أبحروا إلى شواطئ أفريقيا شاهدوا سكانها وأطلقوا على القارة هذا الاسم .3- أميركا اسم أطلق على اسم ملاح إيطالي وصل إلى أميركا بعد كولومبوس ولكنه هو الذي اكتشف أن الأميركيتين هما قارتان منفردتان .4- آسيا : أصل الاسم يوناني ومعناه بلاد الفجر لأن الشمس بالنسبة لليونان أشرقت من الاتجاه الشرقي .5- استراليا : من استراليس باللاتينية ومعناه الجنوب .

## آسيا

آسيا هي كبرى قارات العالم ومهد الديانات السماوية والحضارات القديمة تبلغ مساحتها (44.043.000 مليون كم2) يطل ساحلها الجنوبى على بحر العرب والمحيط الهندى

ويطل ساحلها الشمالى على المحيط المتجمد الشمالى ويطل ساحلها الشرقى على المحيط الهادى وبحر الصين وبحر اليابان ويوجد فيها أكثر جهات الأرض انخفاضا وهو منخفض الأردن والبحر الميت وبها أكثر جهات الأرض ارتفاعًا وهى قمة إفرست فى جبال الهيملايا . ومناخها يختلف من مكان إلى آخر نظرًا لاتساع مساحتها ، وتختلف أنواع النبات أيضا باختلاف المناخ ، وأهم المحصولات الزراعية بها : الأرز وهو الغذاء الرئيسى لغالبية السكان، والقمح، والذرة، والكتان، والشاى، والبن والبنجر، والقطن، وغيرها . كما تشتهر بوجود الإبل والماعز والأغنام والخيول والحمير، وتكثر فيها الفيلة والخراتيت. وهى غنية بالمعادن ومصادر الطاقة، مثل: الذهب والفضة والرصاص والنحاس والبلاتين والفحم والجرافيت والبترول وغيرها ، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة مليارات وثلاثمائة وثمانية ملايين نسمة حسب إحصائية سنة (1992م)، منهم (752) مليون مسلم. ومن الدول الإسلامية فيها: أفغانستان، و بنجلاديش، و إندونيسيا ، و إيران، و ماليزيا ، و باكستان، و تركيا ، و العراق و الأردن، و لبنان، و السعودية، و سوريا ، و اليمن، و الكويت، و البحرين، و قطر، و الإمارات العربية، و عمان، و بروناى، و فلسطين المحتلة. ويتكلم السكان اللغات العربية، والفارسية والتركية والإندونيسية، والأوردية، والباشتو، والروسية، والصينية، واليابانية.والأراضى متنوعة فى آسيا حيث تنتمى قارة آسيا لنفس كتلة الأرض التى عليها أوروبا والحد الفاصل بين القارتين يتكون من جبال الأورال وبحر قزوين.وينتمى كل من الاتحاد السوفيتى وتركيا إلى كل من القارتين إذ أن لكل منهما جزء بأوروبا وآخر بآسيا . وتتصل قارة آسيا بقارة أفريقيا بواسطة شريط ضيق من اليابسة يسمى برزخ السويس. وسلاسل الجبال فى آسيا تقسمها الى ست مناطق رئيسية. وهي : شمال آسيا وهى المنطقة الباردة من الاتحاد السوفيتى وتسمى سيبيريا . وهى أرض مليئة بالمستنقعات والسهول الخالية من الأشجار. أما الأرض المتجمدة فى تلك المنطقة والتى تسمى برمافروست ( أو ذات الجليد الدائم ) فانها تذوب قليلا فى فصل الصيف.وآسيا الوسطى وتتكون من صحارى وسهول عالية مجدبة تتخللها الجبال وتضم هذه المنطقة التبت ومنغوليا وغربى الصين.وشرق آسيا وهى ما أصطلح على تسميته الشرق

الأقصى، وهى منطقة تلال وأودية عميقة وسهول. وهى تشمل معظم الصين وجزر اليابان وكذلك جزيرة تايوان. وجنوب شرقى آسياوهى تضم بورما وشبه جزيرة الهند الصينية وماليزيا والجزر التى تكوّن إندونيسيا والفلبين. والجزء الأساسى من هذه المنطقة يتكون من جبال ذات غابات فى الشمال وسهول الأنهار فى الجنوب. وجنوب آسيا وهو ما يسمى أحيانا شبه القارة الهندية. ويقع هذا الجزء جنوب جبال الهيمالايا، وهى أعلى سلاسل الجبال فى العالم. ويضم هذا الجزء الهند وباكستان وسرى لانكا. وجنوب غرب آسياويطلق على هذه المنطقة عادة اسم الشرق الأوسط أو الشرق الأدنى، وهى منطقة حارة يغلب عليها الطابع الصحراوى. وتضم هذه المنطقة إثنتى عشرة دولة عربية وكذلك إيران وقبرص ومعظم تركيا. ( قال ) والبحيرات والأنهار في آسيا هي بحر قزوين، وهو بحيرة ملحة يقع جزئيا فى آسيا وجزئيا فى أوروباوهو أكبر بحيرة فى العالم إذ يغطى مساحة مقدارها 440300 كيلو متر مربع. ومن البحيرات الكبيرة أيضا بحر آرال وبحيرة بايكال فى الاتحاد السوفيتى. ويوجد فى آسيا عدد كبير من الأنهار العظيمة. ففى سيبيريا يجرى كل من نهر الأوب ونهر ينيسى ونهر لينا فى إتجاه الشمال حتى تصب فى المحيط المتجمد الشمالى، وهذه الأنهار تظل متجمدة قرابة نصف العام. أما فى الشرق فإن أنهار آمور وهوانج هو ويانج تسى كيانج وتصب فى المحيط الهادى. كما يصل نهر الميكونج حتى المحيط الهادى، وهو يجرى نحو الجنوب مخترقا جنوب شرقى آسيا. والأنهار الرئيسية فى جنوبى آسيا هى البراهمابوترا والجانج والهندوس إما نهرا الفرات ودجلة فى جنوب غربى آسيا فانهما يلتقيان معا قبل أن يصبا فى الخليج العربى ( قال ) والمناخ : يتباين فى آسيا تباينا عظيما. ففى حين يكون الشمال رطبا وباردا، فان الجنوب حار ومطير. وتجلب الرياح الموسمية القادمة من المحيط الهندى الأمطارَ الصيفية إلى معظم مناطق جنوبى آسيا. والنباتات والحيوانات كثيرة و يتميز الشمال البارد بغابات التنوب والصنوبر. أما الجنوب وهو حار ومطير فانه يمتاز بالغابات الاستوائية المطيرة، وأغلب أراضى القارة بها مناطق عشبية وإن كانت بعض المساحات صحراوية. ومن الأنواع المتباينة للنباتات هناك البامبو ( الغاب ) والنخيل وأشجار المانجو وجوز الطيب. وتعيش

الدببة البنية والذئاب فى سيبيريا . أما حيوان الياك ( الثور البرى ) فيعيش فى التبت، حيث تعيش أيضا حيوانات الباندا العملاقة التى توجد كذلك فى الصين. وفى المناطق الجنوبية هناك الأفيال والنمور والفهود والقرود وكثير من الثعابين. وتستعمل بعض الحيوانات لأداء بعض الخدمات ومنها حيوان الياك والجمال والأفيال والجاموس، وهى تستخدم فى النقل وجر المحاريث والعربات. أما الأفيال فتستخدم على وجه الخصوص فى رفع الأحمال الثقيلة كالكتل الخشبية الضخمة .وشعوب آسيا كثيرة فقد ظهرت أقدم الحضارات فى العالم على أرض قارة آسيا . كما بدأت معظم الديانات العظيمة فى آسيا بما فى ذلك الهندوسية والبوذية واليهودية والمسيحية والاسلام. وقد أقام فنانو آسيا بعضا من أجمل الأشياء فى العالم.ويعيش فى آسيا ( زمن مؤلف الموسوعة ) نحو 2500 مليون نسمة. وهذا العدد يمثل أربعة أضعاف سكان أوروبا التى هى ثانى قارة من حيث ازدحام السكان. ويعيش أغلب سكان الاتحاد السوفيتى غرب جبال الأورال فى أوروبا والسكان فى آسيا موزعون بشكل غير متساو على الاطلاق، إذ أن هناك أماكن لا يكاد يسكنها أحد، مثل المساحات الشاسعة فى شمال ووسط وجنوب غربى آسيا . ومع ذلك فان مدن الهند والصين تعتبر من بين أكثر الأماكن ازدحاما فى العالم.والشعوب ذات الملامح المنغولية: تعيش فى شرقى آسيا ومناطق كثيرة من أواسط آسيا . وهى تتكون من شعوب الصين واليابان وكثيرا من شعب سيبيريا . وقد رحلت كثير من الشعوب ذات الجنس المنغولى إلى بلدان جنوب شرقى آسيا مثل ماليزيا وسنغافورة واستقرت هناك.والشعوب ذات الملامح القوقازية تنتمى الى الشعوب الأوروبية. وتعيش هذه الشعوب فى جنوب غربى آسيا وكذلك فى باكستان وشمالى الهند والشعوب ذات الملامح الزنجية : وهى التي تنتمى الى الشعوب الزنجية فى أفريقيا تعيش فى جنوب شرقى آسيا كما يعيش بعضها فى شبه جزيرة الملايو.واللغات المتواجدة في آسيا كثيرة حيث تتكلم الشعوب الآسيوية مئات اللغات المختلفة. وتنتمى معظم اللغات الآسيوية لأربع مجموعات لغوية. وتضم المجموعة الأولى لغات معظم الشعب فى إيران والاتحاد السوفيتى وباكستان والهند . وتضم المجموعة الثانية لغات الصين والتبت.وتتكلم معظم شعوب جنوب

غربى آسيا لغات تنتمى للمجموعة الثالثة، وإحدى هذه اللغات هى اللغة العربية. أما المجموعة الرابعة فتضم لغات تتحدث بها الشعوب فى أجزاء من سيبيريا وآسيا الوسطى. وطرق المعيشة متنوعة ويتزايد السكان فى آسيا بشكل سريع جدا. ويعيش الملايين من الناس على حد الكفاف أى أن ما لديهم من الطعام يكفى بالكد والتعب لابقائهم على قيد الحياة. وعندما لا يستطيع الفلاحون إلا زراعة قدر ضئيل من المحاصيل الغذائية بسبب سوء الأحوال الجوية أو الفيضانات، فان الآلاف من البشر يموتون من الجوع. والمشكلة تزداد سوء عاما بعد عام بازدياد عدد السكان و تعيش معظم شعوب آسيا على زراعة المحاصيل. وتقع أخصب الأراضى الزراعية فى جنوبى شرقى آسيا والصين والمناطق الجنوبية الغربية من سيبيريا. والمحاصيل الأساسية هى الأرز والقمح. وتزرع بعض المحاصيل بغرض بيعها للأقطار الأخرى، فسرى لانكا والهند والصين تزرع الشاى، أما ماليزيا وإندونيسيا فتزرعان المطاط. كما تقوم جزر كثيرة بزراعة التوابل. ومن المحاصيل الاقتصادية أيضا الدخان والقطن والجوت. و تمتلك مناطق جنوب غربى آسيا كثيرا من بترول العالم. أما أكثر البلاد الصناعية تقدما فهى اليابان، إذ تشتهر بالسيارات والسفن وآلات التصوير وأجهزة الراديو والتليفزيون. والاتحاد السوفيتى هو أيضا من الأقطار الصناعية الهامة. وهناك الكثير من البلاد التى لديها العديد من المصانع مثل الهند وماليزيا وسنغافورة والصين. وبالنسبة للتاريخ فإنه على مدى تاريخها الطويل كانت آسيا مسرحا لكثير من الحضارات والامبراطوريات، التى تضم الامبراطورية الفارسية والصينية والمنغولية واليابانية، وأيضا امبراطوريات الهند العديدة ولا ننسى الحضارة الإسلامية العظيمة طبعا. وقد بدأ الأوروبيون فى القرنين السادس عشر والسابع عشر فى الاستقرار فى آسيا، وبحلول القرن التاسع عشر كانوا يحكمون معظم القارة. وقد أصبحت الدول المستعمرة مستقلة بعد الحرب العالمية الثانية ( 1939-1945 ). ودول قارة آسيا ( زمن مؤلف الموسوعة ) (48 دولة) وهي أفغانستان، أرمينيا أذربيجان، البحرين، بنجلاديش، بوتان، بروناي، كمبوديا، الصين، قبرص، جورجيا، الهند أندونيسيا، إيران، العراق، إسرائيل، اليابان . الأردنّ، كازاخستان،

الكويت. قيرقيزستان لاوس ، لبنان ، ماليزيا ، جزر المالديف ، منغوليا ، ميانمار ، نيبال ، كوريا الشمالية . عُمان ، باكستان الفلبين ، قطر ، روسيا ، السعودية ، سنغافورة ، كوريا الجنوبية . سري لانكا ، سوريا ، تايوان ، طاجيكستان ، تايلاند ، تركيا ، تركمنستان ، الإمارات ، أوزبكستان ، فيتنام ، اليمن .

## أمريكا

هى أكبر كتلة من اليابسة فى النصف الغربى من الكرة الأرضية، وتتكون من الأمريكتين الشمالية والجنوبية، والامتداد الطولى لأمريكا من الجنوب إلى الشمال هو أكبر امتداد متصل لليابسة على وجه البسيطة، ويقدر أكبر طول لها من الشمال إلى الجنوب بنحو 14 ألف كيلو متر من شبه جزيرة بوثيا فى كندا، إلى رأس فراوارد فى شيلى. ويعتقد كثير من العلماء أن أمريكا كانت تتصل بالحافة الغربية لأفريقيا وأوراسليا (المنطقة المشتركة بين قارتي أوروبا وآسيا) منذ حوالى 250 مليون عام واستمر ذلك حوالى 200 مليون عام، إذ تتشابه التكوينات البركانية فى البرازيل مع التكوينات البركانية فى قارة أفريقيا ، ويبدو أن جبال "الأباش" فى شمال أمريكا كانت جزءا من جبال كاليدونيا فى أسكتلندا . ومن المعتقد أن كلمة "أمريكا" أطلقت تكريما للمكتشف الإيطالى "أمريجو فيسبوتشي"، واستخدمت فى أول الأمر للإشارة إلى أمريكا الجنوبية، ولكنها استخدمت فيما بعد لتشير إلى نصف الكرة الغربى برمته، واليوم غالبا ما تستخدم للإشارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وراجع تفاصيل معلوماتها في المطولات.

## إفريقيا

إحدى القارات الكبرى وثالثها من حيث المساحة ، تمتد ما بين خطي عرض 40 شمالا و40 جنوبا وتبلغ مساحتها 11 مليونا و 500 ألف متر مربع. وقددخل الإسلام هذه القارة في خلافة عمر ابن الخطاب باستيلاء المسلمين على مصر بقيادة عمرو بن العاص عام 18 هـ / 640 م ، ومنها سار غربا فاستولى على برقة وطرابلس الغرب ، وصالح أهلها على الجزية عام 22 هـ / 644 م ، وفي عام 25 هـ غزاها عبد الله بن سعد بن أبي السرح

، وفى السنة التالية تولى على مصر وإفريقية فأعاد فتحها وقتل الوالي الروماني ، وفى عام 79 استولى حسان بن النعمان على قرطاجنة من الرومان ، وفى عام 86 هـ وصل المد الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي ، وفي عام 92 عبر طارق بن زياد الشاطئ الإفريقي إلى الأندلس .وأطلق المسلمون لفظ " إفرِيْقيَّة " على شمال القارة وهي المنطقة التي تمتد من برقة ( في تونس ) إلى ( مراكش ) في المَغرب الأقصى وحتى عام 86 هـ كانت ولاية إفريقية تابعة للوالي على مصر ثم انفصلت واستقلت عنها ، وقامت في شمال إفريقية منذ القرن الثاني الهجري دول وإمارات إسلامية مستقلة عمل الكثير منها على الدعوة الإسلامية في غرب القارة الإفريقية ، أهم هذه الدول كما سيأتي بيانه : في تونس : دولة الأغالبة ، دولة العبيديين ، بني زيري الصنهاجيين ، دولة الموحدين ، ودولة بني حفص ، ثم دخلت تحت الولاية العثمانية .و في الجزائر : دولة بني زيري الصنهاجية ، ثم دخلت تحت حكم دولة الموحدين في المغرب ثم بني زيان حتى دخلت تحت الحماية العثمانية .و في المغرب : دولة الأدارسة دولة العبيديين ، دولة الملثمين ، دولة الموحدين ، دولة بني مرين ، بني وطّاس ، الأشراف السعديين.الأشراف السجلماسيين .وكان انتشار الإسلام في إفريقيا عن أربعة طرق رئيسية : 1– عن طريق المغرب جنوبا لا سيما بعد ظهور دولة المرابطين ، فدخلت غانا وصنغاي وجنى ومالي وكانم وبرنو في الإسلام وهي من الممالك الإفريقية القديمة كما اعتنقته قبائل الفلاني والحوصا والمندنجو ، وسارت موجته إلى قلب القارة حتى أعالي نهر النيجر وبحيرة تشاد وأسست مراكز إسلامية هامة من أشهرها تمبكتو . 2 – وعن طريق مجرى نهر النيل ، إلى النوبة والسودان ، سارت موجاته غربا إلى دارفور حيث التقت بالدعاة القادمين جنوبا من برقة وتونس عبر الصحراء .3 – وعن طريق البحر الأحمر ، إلى السودان الشرقي وأريتريا والحبشة 4 – و عن طريق المحيط الهندي ، من اليمن إلى الصومال ، ومن عمان والبحرين إلى زنجبار وكلو ومنها سارت الدعوة غربا إلى أوغندة ونياسالاند ، وعن هذا الطريق دخلت الدعوة الإسلامية جزيرة مدغشقر وجزر القمر .والدول الإسلامية الأفريقية المعاصرة ( زمن مؤلف الموسوعة ) هي : مصر وليبيا ، وتونس ، والجزائر ،

والمغرب ، وموريتانيا ، وغينيا ، ومالي ، ونيجيريا ، والسودان ، وأريتريا ، والصومال. وزنجبار عدا الدول الناشئة التي كانت تحت الحماية البريطانية والفرنسية في غرب إفريقيا ومنها السنغال وسيراليون وغير ذلك .وتمثل هذه القارة 22% من المساحة الكلية لأراضي العالم وبها توجد أكبر صحراء في العالم وهي الصحراء الكبرى Sahara ، وبها نهر النيل Nile أطول أنهار العالم على الإطلاق. وبها 54 دولة. ويحيط بها المحيطات الأطلنطي والهندي والبحر الأحمر وخليج عدن والبحر المتوسط يفصلها عن أوروبا مضيق جبل طارق وعن آسيا قناة السويس ومضيق باب المندب تؤلف مع آسيا وأوروبا العالم القديم. ومازالت الزراعة تمثل الحرفة السائدة في هذه القارة. ويعتقد أن الحياة البشرية بدأت على قارة إفريقيا منذ 5- 8 مليون سنة مضت. وتتغير الأماكن والمناظر على طول القارة من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها .والصحراء الكبرى ( أو الصحارى ): هى صحراء شاسعة فى الشمال، رملية وصخرية وتمتد عبر الشمال الأفريقى بأكمله. واسمها كما هو واضح يعنى الصحراء ( نفس الاسم باللغة الانجليزية )ولا يعمر الصحراء عدد قليل من البشر والحيوانات والنباتات ، لأنها تكاد تخلو تماما من المياه. وعندما تسقط الأمطار، فانها سرعان ما تتسرب فى الرمال أو تجف. وقد تنمو الأشجار والنباتات هنا وهناك فى الصحراء الكبرى فى أماكن تسمى واحات. والواحة بها ماء مستمد من باطن الأرض. ويوجد عند الطرف الجنوبى للصحراء منطقة عشبية وعرة تسمى السافانا، حيث يعيش الكثير من الحيوانات المتوحشة. ويعيش بعض هذه الحيوانات على الحشائش وأوراق الاشجار والشجيرات المتناثرة. وهذه الأشجار والشجيرات هى التى تظلل الحيوانات من الشمس المحرقة. وتنمو الغابات فى المناطق القريبة من خط الاستواء بشكل أخضر كثيف، وهى تسمى الغابات الاستوائية المطيرة وقد يهطل المطر فى بعض الأماكن لعدة أيام متواصلة تقريبا . وتنمو الأشجار والنباتات الأخرى قوية وسامقة وبكثافة مرتفعة، بحيث توفر الملجأ لكثير من الحيوانات وبعض الطيور الجميلة ويقع الكثير من الأراضى العشبية جنوب منطقة الغابات كما يوجد هناك الكثير من الشجيرات. وقد تمت إقامة بعض حدائق النزهة فى ذلك الجزء من إفريقيا، حيث تعيش الأسود والأفيال

والزرافات وحيوانات برية أخرى بسلام داخل هذه الحدائق لأن القانون يحرم على الانسان صيدها فى تلك الأماكن.وصحراء كلهاري وتقع هذه الصحراء فى جنوب إفريقيا وهى عبارة عن هضبة جافة ومغطاة بالشجيرات.و توجد فى جنوبى إفريقيا أراضى زراعية خصبة وخاصة فى المناطق الجنوبية ومناطق الساحل الشرقى.وتوجد فى إفريقيا جبال عالية وأنهار طويلة وبحيرات ضخمة.و أعلى جبل فى إفريقيا هو جبل كاليمانجارو فى تنزانيا ( يبلغ إرتفاعه 5895 مترا ) . وينتصب هذا الجبل بالقرب من خط الاستواء حيث الحرارة شديدة للغاية ولكن كاليمانجارو يبلغ من الارتفاع قدرا يجعل قمته باردة ومغطاة بالجليد . كما يوجد بإفريقيا أيضا جبال عالية فى الشمال الغربى تسمى جبال أطلس، وكذلك بالقرب من الساحل الجنوبى الشرقى وتسمى دراكنسبرج أو جبال التنين ويصل إرتفاعها إلى نحو 3500 مترا .ويجرى نهر النيل من الجنوب إلى الشمال لمسافة تبلغ نحو 6679 كيلو مترا بادئا من إفريقيا الوسطى إلى البحر الأبيض المتوسط وهو بهذا يخترق الصحراء الكبرى. ويبدو وادى النيل من الجو كشريط من الأشجار الخضراء الغنية والحقول الواقعة عبر صحراء جرداء قاحلة بنية اللون. ومن الأنهار الطويلة الأخرى فى إفريقيا نهر زائير ونهر النيجر ونهر زامبيزي. وأغلب أنهار إفريقيا بها مساقط للمياه أو الشلالات والجنادل ( وهى إمتدادات خطيرة ذات تيارات سريعة ) ويبلغ إرتفاع شلالات فيكتوريا على نهر الزامبيزى نحو 108 أمتار.ويبلغ طول بحيرة تنجانيقا نحو 676 كيلو مترا، وهى أطول بحيرة للماء العذب فى العالم وهى تقع فى وادى الصدع العظيم ( جريت رفت فالى )، وهو واد ضخم يمتد خلال غربى أفريقيا وقد تكون بحيرة فيكتوريا أكبر فى المساحة من بحيرة تنجانيقا ( 69485 كيلو مترا مربعا ) ولكنها ليست أطول منها، وتقع هذه البحيرة بين ذراعى الوادى المذكور.وشعوب أفريقيا متعددة وقد قامت إحدى أعرق الحضارات فى العالم وهى حضارة مصر القديمة فى أفريقيا . ثم سكنت الحياة فى أفريقيا ولم تتقدم لعدة آلاف من السنين بينما صارت القارات الأخرى قوية وغنية. واليوم يرزح كثير من الأفريقيين تحت وطأة الفقر الشديد والأمية، فهم لا يعرفون القراءة أو الكتابة. وتحاول الحكومات الأفريقية أن تقدم لشعوبها حياة أفضل فهم يعلمون

الفلاحين كيفية إنتاج كميات أكبر من المحاصيل ويبنون المصانع والمنازل والمدارس والمستشفيات والطرق. ويعيش فى أفريقيا ( زمن مؤلف الموسوعة ) نحو 458 مليونا من البشر. كما أن هناك أجزاء من القارة مثل الصحارى والغابات الاستوائية المطيرة حيث تكاد تخلو من أى سكان بها . وفى الوقت نفسه تكتظ أماكن اخرى بالسكان لأن بها أراضى خصبة صالحة للزراعة. وملامح الشعوب الأفريقية أساسا إما من النوع الزنجى أو القوقازى. والشعوب ذات الملامح الزنجية يشكل بهاالأفارقة السود أكبر مجموعة تعيش فى القارة. وتنقسم المجموعة الزنجية الى مجموعات أقل مثل الزولو والماساى واليوروبا والماتابل والبوشمان والنيجريللو. وتبدو هذه المجموعات مختلفة عن بعضها البعض ولكل منها طريقة مختلفة للمعيشة ويتحدث الأفارقة السود مئات اللغات المختلفة التى تنقسم الى (( عائلتين )) رئيسيتين من اللغات فعائلة البانتو تضم نحو 250 لغة يتحدثها الناس فى أجزاء من أفريقيا الوسطى والجنوبية. أما العائلة السودانية فتضم نحو 200 لغة يتحدث بها الناس فى أجزاء من أفريقيا الوسطى والغربية. والشعوب ذات الملامح القوقازية وفيهم العرب الأقحاح وتعيش فى الجزء الشمالى من أفريقياوأغلبهم يعيشون فى شمال الصحراء الكبرى ، بينما تعيش قلة منهم داخل الصحراء إما فى الواحات أو كبدو رحل ( متجولون بقطعان من الماشية ) ويعيش بعض هذه الشعوب فى شرقى أفريقيًا ولهم نفس الأسلاف الذين عاشوا منذ آلاف السنين وهم أيضا نفس أسلاف شعوب أوروبا وشمالى الهند . وتتكلم كل هذه الشعوب تقريبا اللغة العربية. والقوقازيون من أصل أوروبي ويعيشون أساساً في جمهورية جنوب أفريقيا . وقد انحدر كثير منهم من الشعب الهولندي، وقد استقروا في أفريقيا منذ ما يزيد على مائتي عام. وهم يتكلمون اللغة الأفريكانية ( لغة المستعمرين الهولنديين في جنوب أفريقيا )، وهي مشتقة من الهولندية. وهناك أيضاً من ينحدر إلى أصل إنجليزي ويتكلمون اللغة الإنجليزية. وتتمتع أفريقيا بمصادر طبيعية غنية تضم الفحم والحديد والنحاس والذهب والماس واليورانيوم والبترول والأخشاب الثمينة كالأبنوس والماهوجني. ويوجد فى أفريقيا أيضا أنهار سريعة يمكن استغلالها فى توليد الكهرباء بطرق هيدروكهربائية. وهذه المصادر الطبيعية يمكن إستخدامها

فى جعل الشعوب تحيا حياة أفضل. والزراعة فيهاتختلف فإن معظم الأفارقة فلاحون، فهم إما أن يزرعوا المحاصيل المختلفة أو يربوا الماشية. وكثير منهم لا يزرعون سوى ما يكفى أسرهم فقط وفى بعض الأقطار تتم زراعة المحاصيل الاقتصادية فى مزارع ضخمة. وهذه المحاصيل هى التى يمكن بيعها ومن بينها الكاكاو وزيت النخيل والبن والسيزال ( وهو نبات تستخدم أليافه فى صناعة الزكائب والحبال والسجاد ) والقطن والشاى والدخان والفواكه. والصناعة ضئيلة إذا قورنت بالصناعة فى القارات الأخرى. وأهم الدول الصناعية فى القارة هى جمهورية جنوب أفريقيا ونيجيريا وزيمبابوى، أما دول شمالى أفريقيا ومنها الدول العربية فلديها أيضا بعض الصناعات المتقدمة. ( قال ) وتاريخ المنطقة عريق فقد دامت الحياة العظيمة لقدماء المصريين نحو 3000 عام. كما كانت هناك حضارات أيضا جنوب الصحراء الكبرى، ومن بينها إمبراطوريات غانا ومالى وسونجهاى، وقد دامت منذ القرن الثامن حتى القرن السادس عشر. ومملكة يوروبا فى أويو وبنين التى دامت حتى القرن التاسع عشر وفى مطلع القرن الخامس عشر بدأ النخاسون ( تجار العبيد ) الأوروبيون فى أسر الأفارقة وإرسالهم كعبيد الى الأمريكتين. وبعد ذلك بفترة إستقر الأوروبيون أنفسهم فى أفريقيا( ولا تنس هنا فترة الفتح الإسلامي وما تمتعت به شعوب افريقيا زمنه من بهجة واعتبار ) وبحلول القرن العشرين كانت أفريقيا كلها تحت حكم الدول الأوروبية فيما عدا أثيوبيا التى كانت تسمى عندئذ أبيسينيا وكذلك ليبيريا. على أنه بعد الحرب العالمية الثانية ( 1939ـ 1945 ) صارت الدول الأفريقية مستقلة الواحدة تلو الأخرى ( على الرغم من أن جمهورية جنوب أفريقيا دولة مستقلة إلا أنها تحت حكم الرجل الأبيض الذى إنحدر من المستوطنين الأوروبيين ). ودول قارة إفريقيا ( زمن مؤلف الموسوعة ) (53 دولة) وهي : الجزائر ، أنجولا ، بنين ، بوتسوانا ، بوركينا فاسو ، بوروندي ، الكاميرون ، الرأس الأخضر ، أفريقيا الوسطى ، تشاد ، جزر القمر ، كوت ديفوار ، الكونغو الديمقراطية ، الكونغو ، جيبوتي ، مصر غينيا الاستوائية ، إريتريا ، أثيوبيا ، الجابون ، غانا ، غينيا ، غينيا بيساو ، كينيا ، ليسوتو ، ليبيريا ليبيا ، مدغشقر ، مالاوي ، مالي ، موريتانيا ، موريشيوس ، المغرب ، موزمبيق ، ناميبيا ،

النيجر نيجيريا ، رواندا ، ساوتومي وبرنسيب ، السنغال ، سيشل ، سيراليون ، الصومال ، جنوب أفريقيا السودان ، سوازيلاند ، تنزانيا ، جامبيا ، توجو ، تونس ، أوغندا ، زامبيا ، زيمبابوي .

## أوربا

تعتبر أوروبا موطن الحضارة الغربية منذ ظهور الحضارة اليونانية القديمة، فمنذ ذلك الحين وأوروبا تصدر للعالم بأسره الأفكار السياسية والاكتشافات العلمية والفنون والفلسفة والعلوم والمعتقدات الدينية . وتعتبر أوروبا من ناحية أخرى منطقة جذب للزائرين من كل أنحاء العالم ، بسبب العلاقات الثقافية التى ربطت بين دول أوروبا ودول العالم ، سواء من خلال التبادل التجاري أو إبان العهد الاستعماري والتوسع خارج أوروبا . كما تجتذب أوروبا عشاق الفن لما تتمتع به من تراث معماري يتمثل فى معابد اليونان وروما القديمة، والكاتدرائيات فى فرنسا وألمانيا وإيطاليا، والمعروضات المتحفية من اللوفر، وبقايا القلاع والقصور الملكية فى انجلترا، وجبال الألب فى سويسرا، وحقول الزنابق في هولندا، وقنوات مدينة البندقية فى إيطاليا وشواطئ الريفيرا . وتلعب أوروبا دورا مهما فى النظام الاقتصادى العالمى، وتقوم مراكز التصنيع فى المناطق القريبة من مناجم الفحم والحديد الخام ومعظم أراضى القارة خصبة تنتج الكثير من المحاصيل . ومع أن أوروبا تعتبر أصغر قارة بعد أستراليا، إلا أن ثمن سكان العالم يعيشون بها . وبينما نجد أن مناطق كبيرة من شمال أوروبا مهجورة فإن كثافة السكان فى بقية أوروبا تبلغ 68 شخصاً في الكيلومتر المربع ، فى حين لا يزيد متوسط كثافة السكان فى مناطق العالم الأخرى عن 38 شخصا لكل كيلومتر مربع ومع ذلك ، فقد أدت التنمية الزراعية والصناعية فى القارة، إلى أن أصبح مستوى معيشة المواطن الأوروبي من أعلى مستويات المعيشة فى العالم . وتوجد فى أوروبا 47 دولة أكبرها روسيا التى تمتد أراضيها فى أوروبا وآسيا، وأصغرها الفاتيكان .والمناطق اليابسة تتميز بشكل غير منتظم أكثر من أية قارة أخرى. وتنقسم إلى ثلاث مناطق. والجبال الشمالية تمتد عبر شمال الجزر البريطانية ثم تتغلغل داخل النرويج والسويد . ثم تنحنى هذه الجبال فى شرق أوروبا متجهة الى الجنوب لتكون

جبال الأورال فى الاتحاد السوفيتى وتقطع هذه الجبال عند سواحل النرويج وذلك بخلجان ضيقة عميقة وجميلة، وتتميز بجوانب صخرية منحدرة. والسهول الوسطى تكون معظم أراضى القارة وتمتد من ايرلندا فى الغرب حتى الاتحاد السوفيتى فى الشرق ولقد كانت هذه السهول مغطاه فى وقت ما بالغابات الكثيفة، أما الآن فلم يعد هناك سوى قليل من تلك الغابات فيما عدا مناطق الشمال والوسط. وتضم هذه السهول بعض أجود الأراضى الزراعية، كما أن بها معظم الدول الأوروبية والقرى. والجبال الجنوبية تضم العديد من السلاسل الجبلية العظيمة، فجبال البرانس فى الغرب تنتصب بين أسبانيا وفرنسا، أما جبال الألب فتمتد فى منحنى هائل بين الجنوب الشرقى لفرنسا مخترقة سويسرا والنمسا وشمالى إيطاليا حتى تصل إلى يوغسلافيا. أما أعلى قمم جبال الألب فهى قمة جبل مون بلان الواقع على الحدود بين إيطاليا وفرنسا، ويصل إرتفاعه إلى 4810 مترا. والمنحدرات المرتفعة لجبال الألب مغطاه دائما بالجليد. وإذا اتجهنا شرقا نحو الاتحاد السوفيتى لوجدنا جبال القوقاز التى ترتفع بين البحر الأسود وبحر قزوين. ومن بين تلك الجبال يتميز جبل مونت إلبروس، البالغ من الارتفاع 5633 مترا، بأنه أعلى جبال أوروبا. والبحيرات والأنهارلا تعدوا بحر قزوين كلونه بحيرة كبيرة، لأنه محاط باليابسة من جميع الجهات ويقع فى الجنوب الشرقى للاتحاد السوفييتى. وهو بهذا يعد أكبر بحيرة فى العالم ومياهه ملحه. وهناك أيضا آلاف البحيرات فى شمالى أوروبا. وتستغل السفن فى نقل الحمولات ( البضائع ) والمسافرين فى الأنهار العديدة فى القارة. وأطول أنهار أوروبا هو نهر الفولجا الذى يجرى من الشمال إلى الجنوب لمسافة 3742 كيلو متر مخترقا الاتحاد السوفيتى ليصب فى بحر قزوين. ومن الأنهار الهامة الأخرى، نهر الدانوب الذى يجرى من الغرب إلى الشرق خلال وسط أوروبا ليصب فى البحر الأسود، وكذلك الراين الذى يجرى نحو الشمال حتى بحر الشمال. والناس في هذه القارة يختلفون ومعظم الأوروبيين ينتمون للقبائل التى عاشت فى القارة خلال العصور القديمة وتحولت واختلطت بجماعات وقبائل أخرى. وعلى سبيل المثال، فإن الإنجليز خليط من جماعات الآنجلز والجوت (وهي قبائل جرمانية غزت بريطانيا فى القرن الخامس)، والكلتيين (أو

السلتيين)، والدانمركيين ، والسكسونيين. كما بدأت أوروبا تشهد هجرات منذ منتصف القرن العشرين ، بعد أن بدأ بعض سكان آسيا وشمال أفريقيا في النزوح إلى أوروبا الغربية، ومع ذلك فما زال المهاجرون الآسيويون والأفريقيون ، يشكلون نسبة ضئيلة من سكان هذه القارة . وينتمي سكان أوروبا لثقافات مختلفة، يحددها انتماؤهم لجماعات عرقية بعينها أو اشتراكهم فى نفس اللغة أو الدين . وهناك العديد من الجماعات العرقية فى أوروبا، وقد توجد فى الدولة الواحدة أكثر من جماعة كما هو الحال فى بلجيكا ورغم أن الجماعة العرقية تعطى الفرد الإحساس بالانتماء إلا أن تجاور هذه الجماعات كثيرا ما يؤدى إلى نشوب الصراع والحروب ، كما حدث بين الكاثوليكيين والبروتستانت فى أيرلندا، والصراع ما بين الصربيين والكرواتيين في يوغسلافيا وتعتبر المناطق الشمالية فى أوروبا أكثر تطوراً من الناحية الصناعية والحضارية من المناطق الجنوبية ويميل الريفيون فى كل مناطق أوروبا إلى اتباع الطرائق التقليدية فى الحياة، ولا يزالون يتمسكون بأهمية العائلة ويؤمنون بأهمية الطبقة الاجتماعية ويتوقعون من الحكومة أن تسهر على رفاهيتهم . والأوروبي يفتخر عادة بتراث أسلافه الفني والتعليمي والسياسي .وأكبر المدن الأوروبية هى موسكو عاصمة روسيا، وتعتبر لندن وباريس من أكبر المراكز الحضارية فى العالم ، أما لندن فبسبب أهميتها لأسواق المال العالمية، وأما باريس فبسبب اعتبارها عاصمة الموضة والفن والعلم منذ وقت طويل وتجمع كثير من المدن فى غرب أوروبا بين الكاتدرائيات التي بنيت خلال العصور الوسطى، وبين ناطحات السحاب المبنية من الصلب والزجاج . وما تزال أطلال المبانى القديمة قائمة فى بعض المدن مثل أثينا وروما . ويستعمل المزارعون فى المناطق الشمالية من غرب أوروبا (ومنها هولندا والمملكة المتحدة)، أساليب زراعية متقدمة ومعدات زراعية حديثة، بينما ما زال بعض المزارعين فى بعض مناطق الجنوب ، خاصة فى اليونان والبرتغال ، يعملون بنفس أسلوب الأجداد .وكان معظم المزارعين فى شرق أوروبا أثناء الحكم الشيوعى، يعيشون ويعملون فى مزارع كبيرة تملكها الحكومة . ولكن دول أوروبا الشرقية سمحت للمزارعين ، بعد انهيار الشيوعية فى نهاية الثمانينيات ( 1980 م ) بالملكية الفردية، وأعادت توزيع هذه المزارع على

الأفراد .ويوجد في أوروبا حوالى 50 لغة وأكثر من مائة لهجة محلية. والمسيحية هى الديانة الرئيسية في أوروبا، ومعظم المسيحيين من الكاثوليك ، أما الطائفة المسيحية الأخرى فنصفها تقريبا من الأرثوذوكس الشرقيين ، والنصف الآخر من البروتستانت . ويوجد فى أوروبا عدة ملايين من اليهود والمسلمين . ويتركز المسلمون فى دول جنوب شرقى أوروبا وفى أذربيجان وكازاخستان وتركيا ، والأخيرة بلد يوجد قسم منها فى أوروبا والقسم الأكبر منها فى آسيا . وقد حقق الأوروبيون مستويات تعليمية من أرقى المستويات فى العالم كله . والأغلبية الساحقة منهم تستطيع القراءة والكتابة . كما يوجد فى أوروبا العديد من أقدم وأكثر جامعات العالم احتراما .والفنون تميزت في الحضارة اليونانية القديمة بعطائها فى مجال العمارة والنحت والآداب . وقد اهتم الرومان بكل هذه المجالات وأضافوا إليها فن نحت التماثيل الشخصية الواقعية.وقد تمثل العطاء الفنى للحضارة الأوروبية فى فترة القرون الوسطى، فى إبداع عمارة الكنائس والتصوير الدينى والنحت. كما تأثر عصر النهضة الذى بدأ فى إيطاليا فى القرن الرابع عشر بفنون وفلسفات اليونان والرومان ، كما تطور الفن منذ عصر النهضة فابتدع شتى الأساليب الفنية، ثم ظهر شكلان جديدان من أشكال الفن هما الأوبرا والسيمفونية . وبدأ الفنانون يبتعدون عن الموضوعات الدينية ويركزون أعمالهم على منزلة الإنسان فى العالم الحديث .والمناخ تقوم فيه الرياح الغربية القادمة من المحيط الأطلسى بتدفئة الجزء الأكبر من القارة فى الشتاء كما تقوم بتلطيفه فى الصيف أما الدول الواقعة على البحر الأبيض المتوسط فى جنوب القارة، فانها تتمتع بصيف حار وجاف. وبعض المناطق الشمالية والشرقية فى القارة تتمتع هى الأخرى بصيف دافىء فى حين يكون الشتاء شديد البرودة. أما أقصى الشمال فيقع فى نطاق المنطقة القطبية الشمالية المتجمدة.والنباتات والحيوانات المتواجدة تتكون من أغلب غابات أوروبا المتبقية من أشجار صنوبرية، وإن كانت هناك أشجار أخرى متعددة. وتنمو أشجار النخيل والزيتون فى كثير من أنحاء دول البحر الأبيض المتوسط.وقد تبقى بالقارة عدد قليل من الثدييات الضخمة. وقد تقلصت الحياة الحيوانية كثيرا بسبب تدمير البيئة الطبيعية للحيوانات وبسبب الصيد . ومع هذا، فان بعض الدببة

والذئاب والخنازير البرية والغزلان لازالت موجودة فى غابات أوروبا .كما أن هناك الكثير من الثدييات الصغيرة كالسنجاب والغرير ( البادجر ) والأرنب. كما تضم مملكة الطيور أنواعا عديدة من الطيور المغردة وطيور القنص والمسابقات .وشعوب أوروباتختلف وأوروبا هى أكثر القارات ازدحاما بالسكان والمدن والقرى.و إن كثيرا من الأفكار والاكتشافات التى غيرت وجه العالم قد نبعت فى أوروباويبلغ تعداد السكان فى أوروبا ( زمن مؤلف الموسوعة ) وباستثناء الاتحاد السوفيتى. نحو 480 مليونا (ويبلغ تعداد السكان فى الاتحاد السوفيتى نحو 260 مليونا، يعيش معظمهم غرب جبال الأورال ). وتوزيع السكان فى أوروبا أكثر توازنا من القارات الأخرى. وينتمى كل الأوروبيين تقريبا إلى السلالة القوقازية وإن كانوا ينقسمون إلى عدة سلالات، وكثير من الشعوب لهم أسلاف ينحدرون من أكثر من مجموعة.والشعب الأوروبى الشمالى يتميز أفراده دائما بأنهم طوال القامة وذوو شعر أشقر، ويعيش الكثير منهم فى النرويج والسويد وشمالى ألمانيا وهولندا .وشعب البحر الأبيض المتوسط يعيش أفراده أساسا فى البلاد المطلة على البحر الأبيض المتوسط ويعيشون أساسا فى المناطق الجبلية لأواسط أوروبا وشرقها . وهم أطول قليلا من شعب البحر الأبيض المتوسط.وهناك مجموعات أخرى تضم الشعب الدينارى الذى يعيش أفراده فى شبه جزيرة البلقان فى جنوب شرقى أوروبا . أما شعب البلقان الشرقى فيعيش فى شرقى أوروبا .واللغات المستعملة التي يتكلم بهاالأوروبيون هي نحو ستين لغة مختلفة. وتنتمى معظم هذه اللغات إلى ثلاث مجموعات أساسية، وإن كان الكثير منها قد (( استعار )) كلمات من لغات أخرى.واللغات الجرمانية هى لغات شمال غرب أوروبا وجزء من وسط أوروبا وهى تضم اللغات الألمانية والدنماركية والهولندية والانجليزية والنرويجية والسويدية. وإحدى هذه اللغات وهى الانجليزية هى أوسع اللغات انتشارا فى العالم. أما أكثر اللغات إنتشارا فى أوروبا فهى الألمانية.واللغات الرومانسية قد انحدرت من اللاتينية التى كان الناس يتكلمونها أثناء الامبراطورية الرومانية منذ 2000 سنة. وهى تضم : الايطالية والفرنسية والبرتغالية والرومانية والأسبانية.واللغات السلافية يتكلمها الناس فى وسط وشرقى أوروبا وتضم البلغارية والتشيكية والبولندية

والروسية والأوكرانية. وهناك لغات أخرى تضم اليونانية والألبانية والسلتية ( نسبة إلى جنس قديم ينتمى إليه سكان بريطانيا الأولون ) التى تضم لغات أهل بريتون وويلز واسكوتلندا وبالنسبة لطرق المعيشة فانه يوجد فى بعض أجزاء أوروبا مصادر تعدين غنية تضم البترول والفحم والحديد والمعادن الأخرى والمزارع الأوروبية صغيرة، ولكن المزارع فى أوروبا الغربية تستخدم الطرق الحديثة والمعدات المتطورة. وتعد من بين أكثر المزارع كفاءة فى العالم. وتزرع أكثر من نصف المزارع الحبوب كالقمح والشعير، ومن أهم المحاصيل الأخرى البطاطس وبنجر السكر والخضروات والفواكه. ويربى كثير من الفلاحين قطعان الماشية من الأغنام وغيرها. كما أن مزارع الألبان المخصصة لانتاج اللبن ومنتجاته ذات أهمية خاصة فى عدد من البلاد و تمتلك بلدان أوروبا الغربية كثيرا من الصناعات مثل بناء الآلات والكيماويات والمنسوجات والسفن والسيارات وأنواع أخرى كثيرة من البضائع، كما أن بعض الأقطار فى أوروبا الشرقية هى الأخرى صناعية. وبالنسبة للتاريخ فإن إثنتين من أعظم حضارات العصور البائدة كانتا أوروبيتين، وهما حضارتا اليونان وروما. وفيما بعد تكونت كثر من الممالك المسيحية فى أوروبا. وقد إنقسم معظم أوروبا فى القرن السادس عشر بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية. وفى مطلع القرن الثامن عشر، وماتلا ذلك، فإن عددا من دول أوروبا أخذ فى تشييد إمبراطوريات فى آسيا والأمريكيتين وأفريقيا. أما فى القرن العشرين فإن ملايين الأوروبيين قد قتلوا ودمرت مئات المدن فى حربين عالميتين والاقتصادتعتبر فيه قيمة الإنتاج الاقتصادى لقارة أوروبا أكبر كثيرا من قيمة الإنتاج الاقتصادى لأية قارة أخرى. وتنتج أوروبا كمية هائلة من السلع الصناعية، من بينها السيارات والآلات والصلب كما تزداد أهمية الصناعات الخدمية فى أوروبا ، مثل الأعمال المصرفية والرعاية الصحية . وتنتج المساحات الشاسعة من أراضيها الخصبة القمح والكثير من السلع الزراعية الأخرى .وكما تقدم مناجم أوروبا نحو نصف فحم العالم وثلث خام الحديد والغاز الطبيعي وسدس النفط على مستوى العالم كله . وقارة أوروبا تربطها شبكة من خطوط الطيران، والقنوات، والطرق البرية، والسكك الحديدية، والأنهار، إلى جانب الأنفاق التى تمر عبر الجبال تحت بحر المانش

(القنال الإنجليزي) . وتوجد بأوروبا العديد من الموانئ المهمة، التى تنطلق منها وإليها نصف حركة الشحن البحرى الدولية. والتاريخ يقول ان أهم الحضارات الأوروبية القديمة شأت في المنطقة المحيطة بالبحر المتوسط حيث ظهرت أقدمها منذ حوالى ثلاثة آلاف عام ، أى قبل الميلاد بألف سنة، فى جزر بحر إيجه . وقد أسهمت الحضارة اليونانية التى بلغت أوج ازدهارها فيما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد فى ارتقاء الفن والعلوم والفلسفة وتطور نظام الحكومة . وقد اقتبس الرومان فى شبه الجزيرة الإيطالية الكثير من الحضارة اليونانية، وفي القرن الثالث قبل الميلاد، بدأ الرومانيون حملاتهم التوسعية ليبنوا إمبراطورية شملت مناطق كبيرة من أوروبا وأجزاء من أفريقيا وآسيا . وفى القرن الخامس الميلادى، انتهت الإمبراطورية الرومانية وبدأت العصور الوسطى التى لم تشهد نشوء أية دولة أوروبية قوية فى معظم فتراتها ، بل شهدت ازدياد نفوذ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فى مجالات السياسة والتعليم والفنون بالإضافة للدين .وقد شهدت أوائل القرن الرابع عشر بداية عصر النهضة الأوروبية، وهو العصر الذى حققت فيه أوروبا إنجازات مهمة فى الفنون والتعليم . وفى نهاية عصر النهضة فى نحو عام 1600، دخلت أوروبا عصر التقدم السريع فى المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية . وفى أوائل القرن الثامن عشر أصبحت انجلترا وفرنسا وغيرهما من الدول الأوروبية هى القوى العظمى فى العالم ، إذ أقامت مستعمرات لها فى أفريقيا وآسيا وأمريكا ، واكتسبت ثروة ضخمة من التجارة مع المستعمرات وبدأ الانقلاب الصناعى الذى كان بمثابة بداية للصناعات الحديثة، فى أوروبا فى القرن الثامن عشر .وسرعان ما أصبحت القارة مركز الصناعة فى العالم ، وأقامت الدول الأوروبية المزيد من المستعمرات الأجنبية . وكانت هذه المستعمرات تقدم المواد الخام اللازمة للصناعات الأوروبية، وتعتبر أسواقاً للبضائع الأوروبية المصنعة.وكان معظم أفريقيا ونحو ثلث آسيا خاضعاً للحكم الأوروبى الاستعمارى .

( قال ) وفى القرن العشرين ، تحولت القوة من أوروبا إلى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية وفي نفس الوقت فقدت الدول الأوروبية كل مستعمراتها تقريبا . واندلعت فى أوروبا الحرب العالمية الأولى (1914- 1918) والحرب العالمية الثانية، وأحدثتا دمارا

شاسعا . كما أحدثنا تغييرات فى شكل الحكومة فى كثير من الدول الأوروبية ونشوء دول جديدة فى القارة إذ أنشئت حكومات شيوعية فى مناطق كثيرة في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، وانقسمت أوروبا إلى الدول الشيوعية وغير الشيوعية. وكانت الدول غير الشيوعية تشكل ما يسمى بغربي أوروبا ، أما الدول الشيوعية التى كانت تشكل شرقي أوروبا، فكانت: ألبانيا، وبلغاريا، وتشيكوسلوفاكيا ، وألمانيا الشرقية، والمجر (هنغاريا)، وبولندا ، ورومانيا ، والاتحاد السوفيتى، ويوغوسلافيا .وقد أصبحت أوروبا منذ أواخر الأربعينيات حتى أوائل الستينيات ، مركزا للحرب الباردة والصراع بين القوى الشيوعية وغير الشيوعية . ولكن الأوضاع بدأت تتحسن فى أواخر الستينيات ، وتحسنت العلاقات بين شرقى أوروبا وغربى أوروبا .وفى أواخر الثمانينيات ، بدأت حركة الإصلاح فى الاتحاد السوفيتى، التى منحت الناس المزيد من الحرية وأدت فى النهاية إلى إنهاء الحكم الشيوعى من معظم دول أوروبا الشرقية، ففى عامى 1989 و 1990 تمكن غير الشيوعيين من السيطرة على معظم حكومات شرق أوروبا وكانت ألمانيا قد انقسمت فى عام 1949 إلى ألمانيا الشرقية الشيوعية وألمانيا الغربية غير الشيوعية، وفى عام 1990، توحدت الدولتان في دولة ألمانيا الموحدة وتعرض الاتحاد السوفيتى فى عام 1991 لقلاقل سياسية عارمة، وبدأت هذه القلاقل حين فشل المسؤلون الشيوعيون المحافظون فى محاولة للإطاحة بالزعيم السوفيتى ميخائيل جورباتشوف.وحظيت جمهوريات إستونيا ولاتفيا وليتوانيا التى استولى عليها الاتحاد السوفيتى فى عام 1940 بالاعتراف بها كجمهوريات مستقلة ومع نهاية عام 1991، أعلنت معظم الجمهوريات الروسية استقلالها وتم حل الاتحاد السوفيتى وإلى جانب إستونيا ولاتفيا وليتوانيا توجد جمهوريات سوفيتية سابقة فى أوروبا وهي بيلاروس ، ومولدوفا، وأوكرانيا . أما الجمهوريات السوفيتية السابقة وهى أذربيجان وجورجيا وكازاخستان وروسيا، فتقع بعض أراضيها فى أوروبا والبعض الآخر فى آسيا . كذلك فقد شهد عام 1991 إعلان ثلاث جمهوريات يوغوسلافية استقلالها، وهى كرواتيا ومقدونيا وسلوفينيا، ولم تنفصل صربيا (الصرب ) ومونتي نيجرو (الجبل الأسود)، بل أصبحتا تشكلان ما يعرف بيوغسلافيا

الصغرى.وكثير من الدول الأوروبية أعضاء فى الاتحاد الأوروبى، وهو منظمة تهدف إلى وضع سياسة أمن مشتركة فى المجالات الاقتصادية ومجال السياسة الخارجية والدولية للدول الأعضاء فيها .وهذه حقائق موجزة عن أوروبا:المساحة: 10459000 كيلومترٍ مربع .عدد السكان: 713000000 نسمة .أعلى قمة: قمة إلبروس 5633 متراً .التضاريس : أهم سلاسل الجبال هى الألب ، والأبينايِن، والبلقان، والكارباتي، والقوقاز، والبيرينيز، وسييرا نيفادا (أى هضبة نيفادا) الأنهار الرئيسية: الدانوب ، والدون ، و الإلب ، والراين ، والرون ، والسين، والتيمز. البحيرات الرئيسية : بحر قروين ، وبحر لادوجا .أهم الجزر: جزر باليار، والجرر البريطانية، وجزيرة كورسيكا، وجزيرة كريت ، وجزر فارو، وجزيرة أيسلندا ، وجزيرة مالطا، وجزيرة سردينيا ، وجزيرة صقلية وهذه تواريخ مهمة فى أوروبا: 30000 قبل الميلاد ظهور الحضارة فى كريت وباقى جزر بحر إيجه ومن 500 إلى 300 ق.م: وصول الحضارة اليونانية إلى قمة ازدهارها ومن 27 ق.م إلى 180 ميلادية الإمبراطورية الرومانية تنقسم إلى إمبراطورية غربية وإمبراطورية شرقية أو بيزنطية.وفي فى القرن الرابع الميلادى : منح الرومان حرية العقيدة الدينية إلى المسيحيين .وفي القرن الخامس الميلادى سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وبداية العصور الوسطى.وفي سنة732: هزيمة العرب فى إسبانيا .ومن سنة 768 إلى 814 شارلمان يبنى إمبراطورية فى غرب أوروبا . ومن 1540: انقسام الكنيسة المسيحية إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والكنائس الشرقية الأرثوذكسية . ومن 1096 إلى 1291: أوروبا ترسل حملاتها الصليبية إلى الشرق.ومن 1347 إلى 1352: ربع سكان أوروبا يلقون حتفهم بسبب وباء "الموت الأسود" . القرن الرابع عشر: بداية عصر النهضة فى إيطاليا القرن السادس عشر: حركة الإصلاح الدينى وظهور المذهب البروتستانتى فى أوروبا . ومن 1689 البرلمان الإنجليزى يقر لائحة الحقوق. ومن 1789-1799: قيام الثورة الفرنسية ونهاية الحكم المطلق الملكي فى فرنسا . و في 1815: هزيمة نابليون فى معركة واترلو.ومن القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشرة الثورة الصناعية تجتاح أوروبا .ومن 1914 إلى 1918: الحرب العالمية الأولى تجتاح

أوروبا .وفي سنة 1 917 قيام الثورة البلشفية والحكم الشيوعي الدكتاتوري فى روسيا .وفي العشرينيات : أصبح جوزيف ستالين الحاكم الدكتاتوري فى روسيا، وبنيتو موسيليني الحاكم الدكتاتوري فى إيطاليا وفي 1933: أصبح هتلر الحاكم الدكتاتورى فى ألمانيا .ومن 1939 إلى 1945 نشوب الحرب العالمية الثانية، وقوات الحلفاء تهزم ألمانيا وإيطاليا ودول المحور الأخرى وفي الأربعينيات الدكتاتورية الشيوعية الروسية تفرض سلطتها على حكومات دول شرق أوروبا . وفى 1949 الولايات المتحدة وكندا وعشر دول أوروبية تنشئ منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) .وخلال الخمسينيات : كونت الدول الأوروبية تحالفات اقتصادية، أدت فى النهاية إلى تكوين السوق الأوروبية المشتركة (ثم الجماعة الأوروبية وأخيرا الاتحاد الأوروبي) .وفي 1968: القوات الروسية تغزو تشيكوسلوفاكيا؛ لقمع حركة الإصلاح والتى أدت إلى إتاحة المزيد من الحريات للشعب. وفي 1975: معظم دول أوروبا توقع أول اتفاقية من اتفاقيات هلسنكي، وقد تعهدت الدول التى وقعت عليها بالعمل على زيادة التعاون وتعزيز حقوق الإنسان . ومن 1989–1990: نهاية الحكم الشيوعى فى معظم دول أوروبا الشرقية والاتجاه إلى منح المزيد من الحرية لشعوبها .وفي 1990: توحيد شطري ألمانيا .ومن 1991–1992: إعلان معظم جمهوريات الاتحاد السوفيتي استقلالها وحل الاتحاد السوفيتى وأعلنت أربع جمهوريات من جمهوريات يوغوسلافيا الست استقلالها . وفي 1993: الجماعة الأوروبية انضوت تحت لواء منظمة جديدة تسمى الاتحاد الأوروبي، وأصبح أعضاء الجماعة أعضاء فى المجموعة الجديدة . والهدف من إنشاء الاتحاد زيادة التعاون السياسى بين أعضاء المجموعة.ودول قارة أوروبا( زمن مؤلف الموسوعة ) (44 دولة) وهي : ألبانيا ، أندورا ، النمسا ، روسيا البيضاء ، بلجيكا ، البوسنة والهرسك ، بلغاريا ، كرواتيا ، التشيك ، الدانمارك ، إستونيا ، فنلندا ، مقدونيا ، فرنسا ، ألمانيا ، اليونان ، المجر ، أيسلندا ، أيرلندا ، إيطاليا ، لاتفيا ، ليشتنشتاين ، ليتوانيا ، لوكسمبورج ، مالطا ، مولدوفا ، موناكو ، هولندا ، النرويج ، بولندا ، البرتغال ، رومانيا ، روسيا ، سان

مارينو ، سلوفاكيا ، سلوفينيا ، أسبانيا ، السويد ، سويسرا ، تركيا ، أوكرانيا المملكة المتحدة ، الفاتيكان ، يوغسلافيا .

استراليا

تطلق كلمة قارة أستراليا أو أوقيانوسيا أو أسترالاسيا على معظم الجزر التي تقع في المحيط الهادي. ويقدرعددها ما بين 500 7 و000 10 جزيرة تتفاوت بين الجزر الكبيرة والجزرالصغيرة جدا وكان " فرديناند ماجلان " أول أوروبي يصل إلى هذه الجزر . فقد رست سفنه عام 1521 ميلادية في جزيرة مارياناس إحدى جزرأوقيانوسيا، التي أطلق عليها بعد ذلك جزر اللصوص وتمتد أوقيانوسيا بين جزر هاواي في الشمال إلى جزر نيوزيلندا في الجنوب، ومن نيوغينيا و أستراليا في الغرب، إلى جزر إيستر فى الشرق . وتمتد من دائرة العرض 23 . 5 شمالا ( مدار السرطان ) حتى دائرة العرض 47 جنوبا وتنقسم جزر أوقيانوسيا إلى أربع مجموعات هي :( 1 ) مجموعة جزيرة أستراليا والجزر الملحقة بها، مثل جزيرة تسمانيا .وكلمة أستراليا تعني " الأرض الجنوبية " .وتعد أستراليا أصغر قارة فى العالم، حيث تبلغ مساحتها حوالى 7 . 6 مليون كيلومتر مربع . وتتصف تضاريسها بوجود الجبال في الشرق، والسهول في الوسط ، والهضاب في الغرب ( 2 ) مجموعة جزر ميلانيزيا، أي مجموعة الجزرالسوداء . وتتضمن مجموعة الجزر التي تمتد من جزيرة نيوغينيا غربا حتى جزر فيجي شرقا، وهي جزر بركانية النشأة، تكثر بها الجبال البركانية والتربة الخصبة ( 3 ) مجموعة جزر بولينيزيا أي مجموعة الجزر الكثيرة . وتتكون من عدد كبير جدا من الجزر، وتحتل منطقة كبيرة مثلثة الشكل، رأسه في الشمال عند جزر هاواي، وقاعدته فى الجنوب، تمثل جزر إيستر طرفها الشرقي وجزر نيوزيلندا طرفها الغربي . ومن أهم جزر هذه ال أيضا جزر فينكس، وتونجا، وساموا وكوك، وتومائي، وتاهيتي وغيرها .( 4 ) مجموعة جزر ميكرونيزيا أي مجموعة الجزر الصغيرة . إذ تتكون من مجموعة جزر مرجانية صغيرة المساحة . نذكر منها ماريانا، وجوام، ومارشال وكارولين وغيرها . وهي جزر قليلة الارتفاع ويتصف مناخ معظم جزر أوقيانوسيا، باستثناء أستراليا ونيوزيلندا، بأنه مناخ مداري بحري مرتفع

الحرارة تهب عليها بصفة دائمة الرياح التجارية، وتسقط عليها الأمطار معظم أيام السنة، التي تتراوح كمياتها بين 30 و80 بوصة وتتعرض هذه الجزر – عادة – لإعصار التيفون الذي يؤدي إلى حدوث الفيضانات وتدمير الأشجار والمنشآت أما أستراليا – نظرا لكبر مساحتها – فتتنوع فيها الظروف المناخية، حيث تضم أربعة أقاليم مناخية مختلف أما نيوزيلندا فنظرا لوقوعها في العروض المعتدلة فهي تتمتع بمناخ بحري معتدل الحرارة، وتسقط عليها الأمطار معظم السنة ( من 30 إلى60بوصة ) وتتنوع النباتات الطبيعية في أوقيانوسيا، حيث تجمع بين الغابات المدارية الموسمية في معظم الجزر، وأحراج متوسط في جنوب غرب أستراليا، والغابات المعتدلة النفضية في نيوزيلندا وجنوب شرق أستراليا، والنباتات الصحراوية في غرب ووسط أستراليي وتكثر في أوقيانوسيا الطيور لسهولة انتقالها بين الجزر، ومنها طائر النورس، والبط الطائر، والقادوس البحري، وطيور الفردوس، والببغاء، وعصفور السنونو ( أي الخُطاف ) . ومن الحيوانات البرية، خاصة في أستراليا، حيوان الكانجرو والكلاب البرية والأرانب البرية. ويسكن أوقيانوسيا مجموعات سكانية متباينة، تتكون بصفة عامة من هجرات قديمة جاءت أساسا من جزر جنوب شرق آسيا، إضافة إلى الأستراليين الأصليين . كما وفد إلى أوقيانوسيا هجرات حديثة من أوروبا جاءت بعد الكشوف الجغرافية في القرنين السابع عشر والثامن .وأهم المجموعات السكانية ما يلي: ( 1 ) الأستراليون الأصليون و يعيشون في الوقت الحاضر في مناطق منعزلة فقيرة في غرب أستراليا ويتصفون بالبشرة السمراء النحاسية ، والشعرالأسود المموج . وهي جماعة تعيش في حالة بدائية حيث يمارسون حرفة جمع البذور، والثمار، وعسل النحل، وصيد الطيور وهي مجموعة مهددة بالانقراض. ( 2 ) الميلانيزيون و يعيشون في مجموعة جزر ميلانيزيا، ويتصفون بالبشرة السوداء الداكنة والشعر المموج والمفلف وهم خليط من الأستراليين الأصليين والمالاويين .( 3 ) البولينيزيون و يعيشون في مجموعة جزر بولينيزيا، وينحدرون من السلالة المالاوية في إندونيسيا .وتميل البشرة إلى اللون الأسمر، وتسود بينهم الكثير من الصفات القوقازية. ( 4 ) الميكرونيزيون و يعيشون فى مجموعة جزر ميكرونيزيا .تظهر فيهم بوضوح الصفات المغولية، فالبشرة تميل إلى اللون الأصفر والشعر

مسترسل والقامة قصيرة. ( 5 ) السلالة الأوروبية البيضاء ويتركزون في أستراليا ونيوزيلندا وجزر فيجي، كما توجد في بعض الجزر مجموعات من الصينيين .

وتعد الزراعة الحرفة الرئيسية في معظم جزر أوقيانوسيا إذا ما استثنينا أستراليا ونيوزيلندا، ومن أهم المحاصيل الغذائية نبات التارو واليام، وهي درنات نشوية تشبه البطاطا، كما يزرع الأرز خاصة في جزر فيجي، والموز وجوز الهند، وكثيراما يزرع الكاكاو وخاصة في نيوغينيا وجزيرة ساموا الغربية، وأشجار المانجو ونبات الأناناس خاصة في جزر هاواي. كما توجد بعض المزارع الواسعة المتخصصة لزراعة قصب السكر في جزر هاواي، والمطاط في جزيرة نيوكاليدونيا ونيوغينيا وسولومون .وتربى بعض الحيوانات من أجل ألبانها، خاصة في جزر هاواي وجزر فيجي. ويمارس السكان صيد الأسماك والقشريات والرخويات، التي تعد المصدر الرئيسي للبروتينات في معظم جزر أوقيانوسيا . وتستغل بعض المعادن، مثل الذهب والنيكل والكروم، إضافة إلى الفوسفات خاصة في الجزر المرجانية ويشتهر سكان اوقيانوسيا بالنحت على الأخشاب ، والرسم، وبعض الفنون التشكيلية الشعبية وتشكل جزر أوقيانوسيا المتناثرة في قلب المحيط الهادي أهمية كبيرة في النقل البحري والجوي . إذ تشكل محطات تموين وقود ومراكز صيانة رئيسية لخدمة السفن والطائرات التي تعبر المحيط الهادي، الذي تبلغ مساحته ثلث مساحة الكرة الأرض وقد أدت هذه الأهمية إلى سيطرة الدول الغربية على معظم جزرأوقيانوسيا لتأمين خطوطها الملاحية البحرية والجوية وأهم هذه الدول الغربية الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وفرنسا، وتشيلي ، إضافة إلى أستراليا ونيوزيلندا . وتعد أستراليا ونيوزيلندا الدولتين المستقلتين الوحيدتين في أوقيانوسيا، وكانتا من قبل مستعمرتين بريطانيتين وأهم المدن كانبيرا عاصمة أستراليا، ملبورن وسدني بأستراليا، وويلنجتون عاصمة نيوزلندا، وأوكلاند أهم موانيها . ومدينة هونولولو عاصمة ولاية هاواي الأمريكية . وتعد قاعدة بيرل هاربر الأمريكية أكبر القواعد البحرية في المحيط الهاددولة أوقيانوسيا .ودول القارة هي (14 دولة) وهي : أستراليا ، ميكرونيزيا ، فيجي ، جزر

الكاريباتي ، جزر مارشال ، نوارو ، نيوزيلندا ، بالاو ، بابوا غينيا الجديدة ، جزر السولمون ، تونجا ، توفالو ، فانواتو.ساموا الغربية .

## منظمة الأمم المتحدة

على ذكر القارات وما فيها من دول يتوجب علينا ذكر منظمة الأمم المتحدة وعليه فقدخرجت الأمم المتحدة إلى الوجود كما جاء في موسوعة أطلس العالم. بعد مراحل متعددة من العمل الدولي فقد أصدر الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل تصريح الأطلنطي في 14 آب أغسطس سنة 1941 وجاء فيه ذكر إنشاء هيئة عالمية لحفظ السلام وتحقيق التعاون الدولي.وإذا كانت المنظمة قد ذكرت في تصريح الأطلنطي إلا أن اسم الأمم المتحدة قد ذكر لأول مرة في تصريح الأمم المتحدة في أول كانون الأول يناير سنة 1942 . وصاحب التعبير هو الرئيس الأمريكي روزفلت. وقد صدر التصريح بعد مؤتمر اشتركت فيه 26 دولة وعقد في واشنطن بهدف تشكيل جبهة عالمية ضد دول المحور. والدول التي وقعته هي الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي والصين، واستراليا، وبلجيكا، وكندا، وكوستاريكا وكوبا وتشيكوسلوفاكيا والدومينيكان . والسلفادور، واليونان، وغواتيمالا، وهاييتي، وهندوراس، والهند، ولوكسمبورغ وهولندا، ونيوزيلندة ، ونيكاراغوا، والنرويج، وبنما، وبولندا، ويوغوسلافيا، وجنوب أفريقيا . وقد وقعت على هذا التصريح بعد ذلك 21 دولة منها: فرنسا وعدد من الدول العربية وهي العراق ومصر والسعودية وسوريا ولبنان.وتأكدت الرغبة في إنشاء الأمم المتحدة في تصريح موسكو الذي صدر في 30 تشرين الأول – أكتوبر سنة 1943 – لممثلي الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي والصين. وجاء فيه أنهم يعترفون بضرورة أن تنشأ في أقرب وقت هيئة دولية لصيانة السلام الدولي قائمة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع الدول المحبة للسلام، وعضويتها مفتوحة لكل هذه الدول. وفي هذا النص وضعت الأسس التي قامت عليها الأمم المتحدة وهي ثلاثة: المساواة، وان والمحبة للسلام، والعضوية مفتوحة.واثر تلك التصريحات المتلاحقة انتقل مشروع إنشاء الهيئة الدولية من دائرة البيانات إلى دائرة العمل

التنفيذي. ففي آب وأيلول أغسطس وسبتمبر سنة 1944 اجتمع في "دمبرتون اوكس" بواشنطن، ممثلو الولايات المتحدة وبريطانيا والصين والاتحاد السوفياتي، وكانت نتيجة ما عرف بمقترحات دمبرتون اوكس، وهي عبارة عن سرد لأسس ومبادئ الهيئة الدولية المقترحة وأهدافها حسب تصور الدول المعنية. وفي مؤتمر يالطا في الفترة من 3 إلى 11 شباط فبراير سنة 1945 الذي اشتركت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا تقرر الدعوة إلى مؤتمر سان فرانسيسكو لوضع ميثاق لهيئة دولية على أساس الخطوط الرئيسية لمقترحات دمبرتون اوكس. ودعيت فرنسا والصين للاشتراك في الدعوة للمؤتمر مع الدول الثلاث، وإن كانت فرنسا قد اعترضت واعتذرت عن أن تكون ضمن الدول الداعية. وأهم قرارات المؤتمر كان مبدأ الفيتو للدول الخمس في مجلس الأمن. وقد عقد مؤتمر سان فرانسيسكو في الفترة من 25 نيسان ابريل حتى 26 حزيران يونيو سنة 1945، ووجهت الدعوة إلى جميع الدول التي أعلنت الحرب على ألمانيا أو اليابان في موعد أقصاه أول آذار مارس سنة 1945. وهي 46 دولة وهي: استراليا، بلجيكا، بوليفيا، البرازيل، كندا، شيلي، الصين، كولومبيا، كوستاريكا، كوبا، تشيكوسلوفاكيا، الدومينكان، اكوادور، السلفادور، إثيوبيا، فرنسا، اليونان، غواتيمالا، هاييتي، هندوراس، الهند، النروج، بنما، باراغواي، بيرو، الفلبين، تركيا، الاتحاد السوفياتي، بريطانيا، الولايات المتحدة، اوراغواي، فنزويلا، يوغوسلافيا، مصر، لبنان، سوريا، العراق، السعودية، جنوب أفريقيا. ثم انضمت إليها الأرجنتين والدانمرك. هذا بالإضافة إلى أوكرانيا وبيلوروسيا (روسيا البيضاء) بعد أن وافق مؤتمر يالطا على تمثيلها كجمهوريات مستقلة. وبذلك بلغت 50 دولة. ونتيجة معارضة الولايات المتحدة وبريطانيا، لم تدع بولندا حتى يتم الاعتراف بالحكومة المؤقتة رغم توقيعها على تصريح الأمم المتحدة. ولذلك ترك لها مكان في الوثيقة. وتكون الدول الموقعة بذلك 51 دولة. وتضم الوثيقة 111 مادة في الميثاق ولغاته الرسمية خمس هي: الإنجليزية والفرنسية والروسية والصينية والأسبانية. وخرجت الأمم المتحدة إلى حيز الوجود بصفة رسمية في 24 تشرين الأول أكتوبر سنة 1945 بعد أن صدقت على الميثاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا

وفرنسا والصين وهي الدول الدائمة في مجلس الأمن وأغلبية الحكومات الأخرى الموقعة على الميثاق. ويحتفل العالم بيوم 24 تشرين الأول أكتوبر من كل عام باعتباره يوم الأمم المتحدة. ويذكر ميثاق الأمم المتحدة المادة 7 أن هيئات الأمم المتحدة الرئيسية ست هي: الجمعية العامة، ومجلس الأمن، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، ومجلس الوصاية، ومحكمة العدل الدولية، والأمانة العامة. والرأي السائد أن هذا النص تحديد للهيئات الرئيسية، وبالتالي لا يجوز إنشاء غيرها كهيئات رئيسية مثل تعديل الميثاق. فهي مذكورة على سبيل الحصر لا التمثيل وقبل التعرض لها لابد أن يسبق ذلك عرض لأهداف الأمم المتحدة حسب ما جاء في ميثاقها: وكانت أهداف المنظمة كالتالي :- حفظ السلم والأمن الدولي، وذلك باتخاذ التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم، وتقمع أعمال العدوان، وتعمل بالوسائل السلمية وفقاً لمبادئ العدل والقانون الدولي لحل المنازعات الدولية. - إنماء العلاقات الدولية بين الأمم على أساس حق تقرير المصير والمساواة بين الشعوب. تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتقرير احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية له دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين. وعضوية الأمم المتحدة متاحة لجميع الأمم المحبة للسلام التي تقبل الالتزامات التي يتضمنها ميثاق الأمم المتحدة، والتي ترى المنظمة أنها قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات وراغبة في تحملها. وتوافق الجمعية العامة بناء على توصية مجلس الأمن على عضوية الدول الجديدة. كما للجمعية العامة الحق في أن توقف عضوية أية دولة من الدول الأعضاء أو تفصلها من الأمم المتحدة بناء على توصية من مجلس الأمن، ويجوز وقف الدول الأعضاء إذا قرر مجلس الأمن استخدام القوة ضدها، كما يجوز حرمانها من العضوية إذا أخلت في تطبيق مبادئ الميثاق. ولمجلس الأمن أن يعيد إلى الدولة الموقوفة العضوية حقوقها كعضو. وقد بلغ عدد أعضاء الأمم المتحدة مع بداية الدورة الحادية والثلاثين للجمعية العامة (1976) 134 عضواً. ومسألة العضوية ما زالت واحدة من مشكلات الأمم المتحدة. فقد بقيت مسألة مساومة بين الكتلتين الشرقية والغربية إلى درجة أن عدد الدول التي قبلت خلال السنوات العشر الأول من قيام الأمم المتحدة لم تزد عن خمس

دول هي أفغانستان وبورما وأيسلندا وإندونيسيا وباكستان، بينما بقيت قائمة الدول طالبة العضوية تتزايد إلى أن توصلت الكتلتان، وعلى وجه التحديد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، إلى حل "قبول جماعي" لعدد من الدول بقدر يحافظ على التوازن داخل الأمم المتحدة كما بدأت. وشملت قائمة القبول الجماعي (14 كانون الأول ديسمبر سنة 1955) 15 دولة، هي: ألبانيا وبلغاريا والمجر ورومانيا وفنلندا والنمسا وأيسلندا وإيطاليا والأردن ولاوس وليبيا ونيبال والبرتغال وأسبانيا وسيلان. كما بقيت الصين الشعبية منذ انتصار ثورتها في تشرين الأول أكتوبر سنة 1949 حتى 25 تشرين الأول أكتوبر سنة 1971 خارج الأمم المتحدة أمام إصرار الولايات المتحدة على استخدام الفيتو ضد دخولها وبقاء فرموزا في الأمم المتحدة تشغل واحداً من المقاعد الدائمة في مجلس الأمن إلى أن استعادت الصين الشعبية هذا المقعد واعتبرت الممثل الوحيد للصين في سنة 1971. وقد بدأت تتكرر القصة نفسها مع فيتنام الموحدة وأنغولا، حيث استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضد دخولهما بدعوى أن فيتنام لم تسلم كشفاً كاملاً بمصير الأسرى الأمريكيين وأن في أنغولا قوات كوبية، مع أن ذلك ليس شرطاً من شروط العضوية في الأمم المتحدة. وأجهزة الأمم المتحدة الرئيسية هي 1- الجمعية العامة. 2- مجلس الأمن. 3- المجلس الاقتصادي والاجتماعي. 4- مجلس الوصاية. 5- محكمة العدل الدولية. 6- الأمانة العامة .وهناك غير هذه الأجهزة الرئيسية للأمم المتحدة مثل الوكالات المتخصصة وهي منظمات دولية منفصلة، ترتبط بالأمم المتحدة وفق اتفاقات خاصة وهي تعمل مع الأمم المتحدة من خلال المجلس الاقتصادي والاجتماعي. ويتبع الأمم المتحدة وكالات ومنظمات متخصصة، هي : 1. اتحاد البريد العالمي: تأسس عام 1875 م ، ومقره " برن " بسويسرا . 2. منظمة العمل الدولية: تأسست مع قيام عصبة الأمم عام ( 1919 م ) ، ومقرها " جنيف " بسويسرا . 3. الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية (اتحاد البرق والهاتف الدولي): تأسس عام 1934 م ، ومقره جنيف. 4 . منظمة الأغذية والزراعة (فاو FAO): تأسست في عام 1945 م ، ومركزها مدينة " روما " في إيطاليا . 5. صندوق النقد الدولي: تأسس عام

1945 م ، ومقره " واشنطن " بالولايات المتحدة الأمريكية. 6. البنك الدولي للإنشاء والتعمير: تأسس رسميا في 27 ديسمبر 1945 م ، ومقره واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية. 7. منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم ( اليونسكو ): تأسست عام 1946 م ، ومقرها " باريس بفرنسا. 8. منظمة الصحة العالمية: تأسست عام 1946 م ، ومقرها " جنيف " بسويسرا 9. المنظمة الدولية للطيران المدني: تأسست عام 1947 م ، ومقرها " مونتريال " بكندا 10. المنظمة الدولية للتعريفة والتجارة (منظمة الاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية والتجارة) تأسست في عام 1948 م ، ومقرها " جنيف " بسويسرا. 11. المنظمة العالمية للأرصاد الجوية تأسست عام 1951 م ومقرها " جنيف " بسويسرا. 12. هيئة التمويل الدولية تأسست عام 1956 م ، ومقرها واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، ولها ارتباط بالبنك الدولي 13. الوكالة الدولية للطاقة الذرية: تأسست عام 1957 م ، ومقرها " فيينا " في النمسا الاتحادية 14. المنظمة البحرية الاستشارية ما بين الحكومات: تأسست عام 1959م ، ومقرها " لندن " بالمملكة المتحدة. 15. منظمة التنمية الدولية: تأسست عام 1960 م ، ومقرها " واشنطن " بالولايات المتحدة الأمريكية. 16. منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية ( يونيدو ): تأسست عام 1967 م ، ومقرها " جنيف " بسويسرا. 17. المنظمة العالمية للتراث الفكري: تأسست عام 1974 م ، ومقرها جنيف بسويسرا. 18. الصندوق الدولي للتنمية الزراعية: تأسس عام 1977 م ، ومقره " روما " بإيطاليا .

( قال ) ولاحظ : أن الدول الأعضاء الخاصة بكل وكالة يختلف وليس بالضرورة أن تكون بها كل الدول المنضمة للأمم المتحدة والدول الأعضاء ( زمن مؤلف الموسوعة ) (186 دولة)وهي أفغانستان, ألبانيا , الجزائر, أندورا, أنجولا, أنتيجوا وبربودا, الأرجنتين, أرمينيا, أستراليا , النمسا , أذربيجان, البهاما , البحرين, بنجلاديش, برbادوس, روسيا البيضاء, بلجيكا , بليز, بنين, بوتان, بوليفيا , البوسنة والهرسك, بوتسوانا , البرازيل, بروناي, بلغاريا , بوركينا فاسو, بوروندي, كمبوديا , الكاميرون, كندا , الرأس الأخضر, أفريقيا الوسطى, تشاد,

شيلي, الصين, كولومبيا, جزر القمر, الكونغو الديمقراطية, الكونغو (برازافيل), كوستاريكا, كوت ديفوار, كرواتيا, كوبا, قبرص, التشيك, الدانمارك, جيبوتي, الدومينكا, الدومينكان, الإكوادور, مصر, السلفادور, غينيا الاستوائية, إريتريا, إستونيا, أثيوبيا, فيجي, فنلندا, فرنسا, الجابون, جامبيا, جورجيا, ألمانيا, غانا, اليونان, جرينادا, جواتيمالا, غينيا, غينيا بيساو, جويانا, هاييتي, هندوراس, المجر, أيسلندا, الهند, إندونيسيا, إيران, العراق, أيرلندا, فلسطين المحتلة (إسرائيل), إيطاليا, جاميكا, اليابان, المملكة الأردنية الهاشمية, كازاخستان, كينيا, الكويت, قرجيزستان, لاوس, لاتفيا, لبنان, ليسوتو, ليبيريا, ليبيا, ليشتنشتاين, ليتوانيا, لوكسمبورج, مقدونيا, مدغشقر, مالاوي, ماليزيا, جزر المالديف, مالي, مالطا, جزر مارشال, موريتانيا, موريشيوس, المكسيك, ميكرونيزيا, مولدوفا, موناكو, منغوليا, المغرب, موزمبيق, ميانمار (بورما), ناميبيا, نيبال, هولندا, نيوزيلندا, نيكاراجوا, النيجر, نيجيريا, كوريا الشمالية, النرويج, عمان, باكستان, بالاو, منظمة التحرير الفلسطينية (بدون تصويت), بنما, بابوا غينيا الجديدة, باراجواي, بيرو, الفلبين, بولندا, البرتغال, قطر, رومانيا, روسيا, رواندا, سانت كيتس ونيفس, سانت لوتشيا, سانت فينسنت والجرينادين, ساموا, سان مارينو, ساوتومي وبرنسيب, المملكة العربية السعودية, السنغال, سيشل, سيراليون, سنغافورة, سلوفاكيا, سلوفينيا, جزر السولمون, الصومال, جنوب أفريقيا, كوريا الجنوبية, أسبانيا, سري لانكا, السودان, سورينام, سوازيلاند, السويد, سوريا, طاجيكستان, تنزانيا, تايلاند, توجو, ترينداد وتوباجو, تونس, تركيا, تركمانستان, أوغندا, أوكرانيا, الإمارات العربية المتحدة, المملكة المتحدة, الولايات المتحدة الأمريكية, أورجواي, أوزبكستان, فانواتو, فنزويلا, فيتنام, اليمن, يوغسلافيا (معلقة), زامبيا, زيمبابوي . والمراقبون (2): سويسرا و الفاتيكان. راجع المطولات.

العدل

بما أن قيام المجتمعات والدول أساسه العدل فقد جاء في المستطرف قوله : اعلم أرشدك الله إن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل

تطلب الإحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ﴿ إن الله أمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي ) الآية فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوى والمحق من المبطل .واعلم أن عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الأزمنة ثوابا أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال ( لعمل الإمام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاما ) وروي عن النبي أنه قال ( عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ) وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال ( ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء ) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الاحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل فقال عمر والله ما أنا نبي وقد صدقت رسول الله وأما الإمام العادل فإني أرجو أن لا أجور وأما الشهادة فأني لي بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا .وسأل الإسكندر حكماء أهل بابل إيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا إذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل إذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو إليه من خراب مدينته ويسأله مالا يرمها به فكتب إليه عمر قد فهمت كتابك فإذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسلام .ويقال إن الحاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الأولى إلى ثلاثين ألف ألف وفي الثانية إلى ستين ألف ألف وقيل أكثر وقال إن عشت لأبلغنه إلى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنة .ومن كلام كسرى لا ملك إلا بالجند ولا جند إلا بالمال ولا مال إلا بالبلاد ولا بلاد إلا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل .ولما

مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولأمير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لأمير المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لأحد الغرماء ثم كتب للمنصور إني رأيت أمير المؤمنين كاحد الغرماء فكتب إليه المنصور ملئت الأرض بك عدلا .وكان أحمد بن طولون والي مصر متحليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم من الظالم حكى أن ولده العباس استدعي بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحي مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس إليه وأخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذي كسرت العود قال نعم قال أفعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال أفما أكرمته لي قال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول الله يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأطرق أحمد بن طالون عند ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك ووقف يهودي لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين إن بعض خاصتك ظلمني فانصفني منه وأذقنى حلاوة العدل فأعرض عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين إنا نجد في التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه إن الإمام لا يكون شريكا في ظلم أحد حتى يرفع إليه فاذا رفع إليه ذلك ولم يزله فقد شاركه في الظلم والجور.

| | |
|---|---|
| تروحُ لنا الدنيا بغــــــير الذي غَدَتْ | وتحدُثُ من بعد الأمــــــــــــور أُمورُ |
| وتجْري الليالي باجـــــتَماعٍ وفرقة | وتطــــــــــــــــلعُ فيها أنجمٌ وَتَغُورُ |
| فمن ظنَّ أن الدهرَ باقٍ ســــــــرورهُ | فقد ظنَّ عجزاً لا يــــــــدومُ سرورُ |

*

# الكتاب الخامس

## في بيان العروبة والعرب

## ويتضمن عدة بحوث في العروبة والعرب ومراحل تاريخهم وأحوالهم قبل مجيء الإسلام

*

## الفصل الأول

## في بيان ما يقع عليه اسم العرب وذكر أنواعهم

قال الجوهري في صحاحه: العرب جيل من الناس وهم أهل الأمصار، والأعراب سكان البادية والتحقيق أن اسم العرب يشمل الجميع والأعراب نوع منهم. قال الجوهري: وجاء في الشعر الفصيح الأعاريب ويقال: تعرّب العجمي، إذا تشبه بالعرب. وقد ذكر صاحب العبر أن لفظ العرب مشتق من الإعراب، وهو البيان، أخذاً من قولهم: أعرب الرجل عن حاجتَه إذا أبان، سُمُّوا بذلك لأن الغالب عليهم البيان. وقيل تسمية العرب بالعرب جاءت من استطانهم لبلدة عربة وقيل من نسبتهم ليعرب. وتصغير العرب: عُريب، والنسبة إلى العرب: عربيّ، وإلى الأعراب: أعرابيّ لأنه لا واحد له يُرد إليه، بخلاف مساجد، حيث ينسب إليها: مسجدي، نسبة إلى الواحد منها من حيث إن لها واحداً ترد إليه. ثم إن كل مَن عدا العرب فهو عجمي، سواء الفرس أو الترك أو الروم أو غيرهم، وليس كما تتوهم العامة من اختصاص العجم بالفرس، أما الأعجم فالذي لا يفصح في الكلام وإن كان عربياً، ومنه سميّ: زياد الأعجم الشاعر، وكان عربيا.

### أنواع العرب

اتفق المؤرخون على أن العرب أولاً نوعان: عاربة ومستعربة. فأماالعرب العاربة فقال الجوهري هم العرب الخلّص. قال في العبر: وهم العرب الأُوَل الذين فهّمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها فقيل لهم: عاربة، إما بمعنى الراسخة في العروبية، كما يقال: ليل لائل، وإما بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها، لمّا كانوا أول من تكلم بها. قال الجوهري: وقد يقال فيها: العرب العَرْباء. ( قال ) و أما العرب المستعربة فهم الداخلون في العروبية بعد العجمة أخذاً من

قولهم استفعل بمعنى الصيرورة .قال الجوهري : وربما قيل لهم المتعربة.ثم اختلف في العاربة والمستعربة، فذهب ابن إسحاق والطبري إلى أن العاربة هم : عاد، وثمود، وطسْم، وجَديس، وأُميم، وعَبيل، والعَمالقة، وعبد ضخم، وجُرْهم الأولى، التي كانت في زمن عاد، ومن في معناهم.والمستعربة هم : بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أُد ابن سام بن نوح عليه السلام لأن لغة عابر كانت عجمية، إما سريانية، وإما عبرانية، فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة ممن كان في زمنهم، وتعلم بنو إسماعيل العربية من جُرهم من بني قحطان حين نزلوا عليه وعلى أمه بمكة.وذهب آخرون، منهم المؤيد صاحب حماه، إلى أن بني قحطان هم العاربة، وأن المستعربة هو بنو إسماعيل فقط.والذي رجحه صاحب "العبر" القول الأول محتجاً بأنه لم يكن في بني قحطان من زمن نوح عليه السلام إلى عابر من تكلم بالعربية، وإنما تعلموها نقلاً عمن كان قبلهم من العرب، من عاد وثمود ومعاصريهم، ممن تقدم ذكرهم.

سمة العرب

إنّ العرب كما في كتاب العبر لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان، ولذلك سموا بهذا الاسم فإنه مشتق من الإبانة لقولهم : أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (الثيب تعرب عن نفسها) والبيان سمتهم بين الأمم منذ كانوا وانظر قصة كسرى لما طلب من خليفته على العرب النعمان بن المنذر أنّ يوفد عليه من كبرائهم وخطبائهم من رضي لذلك، فاختار منهم وفدا أوفده عليه وكان من خبره واستغراب ما جاؤا به من البيان ما هو معروف (قلت) وقد أشرت إلى ذلك فيما سبق من فصول فراجعها إن شئت. فهذه كلها شعائرهم وسماتهم وأغلبها عليهم اتخاذ الإبل والقيام على نتاجها وطلب الانتجاع بها وارتياد مراعيهاومفاحص توليدها بما كان معاشهم منها . فالعرب هم أهل هذه الشعار من دون الآدميين الآخرين. كما أنّ الشاوية هم أهل القيام على الشاة والبقر لما كان معاشهم فيهافلهذا لا يختصون بنسب واحد بعينه إلا بالعرض ( قال ) ولذلك كان النسب في بعضهم مجهولاً عند الأكثر وفي بعضهم خفيا على الجمهور وربما تكون هذه السمات والشعائر في أهل نسب آخر فيدعون باسم العرب إلا أنهم

في الغالب يكونون أقرب إلى الأولين من غيرهم. وهذا الانتقال لا يكون إلاّ في أزمنة متطاولة وأحقاب متداولة ولذلك يعرض في الأنساب ما يعرض من الجهل والخفاء.

*

## جيل العرب بعد الطوفان

جيل العرب بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام كما في العبر كان في عاد الأولى وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمي إليهم من العربً العاربة من أبناء سام بن نوح ثم لما انقرضت تلك العصور وذهبت تلك الأمم وقد أبادهم الله بما شاء من قدرته صار هذا الجيل في آخرين ممن قرب من نسبهم من حمْيَر وكهلان وأعقابهم من التبابعة ومن إليهم من العرب المستعربة من أبناء عابر بن شالخ بنَ أرفخشذ بن سام ثم لما تطاولت تلك العصور وتعاقبت وكان بنو فالغ بن عابر أعالم من بين ولده واختص الله بالنبوة منهم إبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ، وكان من شأنه مع نمروذ ما قصّه القرآن. ثم كان من هجرته إلى الحجاز ما هو مذكور وتخلف ابنه إسماعيل مع أمه هاجر بالحجر قرباناً لله ومرَّت بها رفقة من جرهم في تلك المفازة فخالطوها، ونشأ إسماعيل بينهم وربّي في أحيائهم، وتعلم لغتهم العربية بعد أنّ كان أبوه أعجميا ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ثم بعثه الله إلى جرهم والعمالقة الذين كانوا بالحجاز فآمن كثير منهم واتبعوه ثم عظم نسله وكثر وصار أباجيل آخر من ربيعة ومضر ومن إليهم من إياد وعك وشعوب نزار وعدنان وسائرهم من ولد إسماعيل، وهم العرب التابعة للعرب. ثم انقرض أولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام وخالطوا العجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم في آماد متطاولة وبقي خلفهم أحياء بادين في القفار والرمال والخلاء من الأرض تارة والعمران تارة وقبائل بالمشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة والحبشة وبلاد الشام والعراق والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان، أمم لا يأخذها الحصر والضبط قد كاثروا أمم الأرض لهذا العهد شرقاً

وغرباً واعتزوا عليهم فهم اليوم ( في عصر ابن خلدون ) أكثر أهل العالم وأملك لأمرهم من جميع الأمم ولما كانت لغتهم مستعجمة على اللسان المضري الذي نزل به القرآن وهو لسان سلفهم ، سميناهم لذلك العرب المستعجمة فهذه أجيال العرب منذ مبدإ الخليقة ولهذا العهد في أربع طبقات متعاقبة كان لكل طبقة منها عصور وأجيال ودول وأحياء وقعت العناية بها دون من سواهم من الأمم، لكثرة أجيالهم واتساع النطاق من ملكهم.

جغرافية بلاد العرب

بلاد العرب قديما قبل الاسلام هي شبه جزيرة تقع جنوبى غربى قارة آسيا يحدها «البحرالأحمر» من الغرب، و«الخليج العربى» من الشرق، و«بحر العرب» و«المحيط الهندى» من الجنوب وبادية «الشام» من الشمال وتبلغ مساحتها أكثر من مليونى كيلو متر مربع ويقسمها الجغرافيون إلى خمسة أقاليم رئيسية هى: (1) إقليم تهامَة وهو شريط ساحلى يطل على البحر الأحمر وسمى بتهامة لارتفاع درجة حرارته وركود هوائه.(2) إقليم الحجاز: ويقع شرقى «تهامة»، ويمتد من «الشام» شمالاً إلى «اليمن» جنوبًا وتقع عليه سلسلة جبال «السراة» وسُمّى بالحجاز لأنه يحجز بين «تهامة» فى الغرب و«نجد» فى الشرق وتقع فى هذاالإقليم «مَكة» المكرمة و«المدينة» المنورة.(3) إقليم نجد: ويقع شرقى «الحجاز» ويمتد من صحراء بادية «السماوة» شمالاً حتى قرب حدود «اليمن» جنوبًا وسُمّى «نجدًا» لارتفاع أرضه. (4) إقليم العروض: وهو الجزء الشرقى من شبه الجزيرة العربية ويَطل على «الخليج العربى».(5) إقليم اليمن : وهو الجزء الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية.وهذه المساحة الكبيرة ذات طبيعة صحراوية، لا يجرى فيها نهر واحد، ولا تسقط الأمطار إلا نادرًا، باستثناء إقليم «اليمن» الذى تسقط فيه بعض الأمطار الموسمية وبخاصة فى فصل الصيف، مما يسَّر لأهلها حياة مستقرة نتيجة اشتغالهم بالزراعة، وساعدهم على إقامة حكومات منظمة وإقامة حضارةٍ راقية ، وقد اشتهر هذا الإقليم باليمن السعيد . أما بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية فقد قلّت فيها الزراعة أو كادت تنعدم لندرة المياه عدا بعض الواحات التى بها عيون للمياه ساعدت على نمو الحشائش

التـى ترعاهـا المـاشية وزراعـة بعض المحاصيل كالشعير والقمح ( قلت ) وبعد الإسـلام توسعت رقعة العالم العربي كماهو معهود الآن ومنها الشمال الإفريقي وغيره.

## ذكر مساكن العرب القديمة

مساكن العرب في ابتداء الأمر كانت بجزيرة العرب الواقعة في أواسط المعمور وأعدل أماكنه وأفضل بقاعه حيث الكعبة الحرام وتربة أشرف الخلق نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وما حول ذلك من الأماكن وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء ممتدة الأطراف يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث البلقاء إلى أيلة ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجـودة بطريـق حجـاج مـصر إلى الحجـاز إلى أطـراف الـيمن حيـث طـيّ وزبيـد ومـا داناهما .ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم المقدم ذكره من جهة الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها .ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين، ثم إلى أطراف البصرة، ثم إلى الكوفة من بلاد العراق.ومن جهة الشمال الفرات آخذاً من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البلقاء من برية الشام حيث وقع الابتداء .ودور هذه الجزيرة فيما ذُكر في تقويم البلدان بالمشي على الأقدام : سبعة أشهر وأحد عشر يوماً تقريباً بسير الأثقال فمن البلقاء إلى الشراة ثلاثة أيام، ومن الشرا إلى أيلة نحو ثلاثة أيام، ومن أيلة إلى فرضة المدينة النبوية نحو عشرين يوماً، ومنها إلى ساحل الجُحفة إلى جُدة ثلاثة أيام ومن جدة إلى عدن نحو من شهر، ومن عدن إلى سواحل مهرة نحو من شهر، ومن مهرة إلى عمّان من البحرين نحو من شهر، ومن عمان إلى هَجر نحو من شهر، ومن هجر إلى عبادان من سواد العراق نحو خمسة عسر يوماً، ومن عبادان إلى البصرة نحو يومين، ومن البصرة إلى الكوفة نحو اثنتي عشر يوماً، ومن الكوفة إلى بالس نحو عشرين يوماً، ومن بالس إلى سَلَميّة نحو سبعة أيام، ومن سَلمية إلى مشارف غوطة دمشق نحو أربعة أيام، ومن مشارف غوطة دمشق إلى مشارف حوران ثلاثة أيام، ومن مشارف حوران إلى البلقاء نحو ثلاثة أيام.قال المدائني وجزيرة العرب هذه تشتمل على خمسة أقسام وهي : تهامة، ونجد، وحجاز وعروض .ويمن فتهامة هي

الناحية الجنوبية من الحجاز. ونجد: هي الناحية التي بين الحجاز و العراق. والحجاز: هو ما بين نجد وتهامة وهو جبل يقبل من اليمن حيث يتصل بالشام، وسمي حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة. والعروض: هي اليمامة إلى البحرين. ويدخل في هذه الجزيرة قطعة من بلاد الشام ، منها: تدمر، وتيماء، وتبُوك. واعلم أن اليمن كان هو منازل العرب العاربة من عاد، وثمود، وطَسم، وجديس، وأُميم، وجُرهم، وحضرموت، ومَن في معناهم، ثم انتقلت ثمود منهم إلى الحجْر من أرض الشام، فكانوا به حتى هلكوا، كما ورد به القرآن الكريم. وهلكت بقايا العَاربة باليمن من عاد وغيرهم، وخلفهم فيه بنو قحطان من عابر، فعرفوا بعرب اليمن إلى الآن ( زمن المؤلف ) وبقوا فيه إلى أن خرج منهم عمرو مزيقياء عند توقّع سيل العَرم وكانت أرض الحجاز منازل بني عدنان إلى أن غزاهم بُختنصر ونقل من نقل منهم إلى الأنبار من بلاد العراق.

ولم تزل العرب بعد ذلك كله في التنقل عن جزيرة العرب والانتشار في الأقطار إلى أن كان الفتح الإسلامي، فتوغلوا في البلاد حتى وصلوا إلى بلاد الترك وما داناها، ونزلت منهم طائفة بالجزيرة الفراتية وصاروا إلى أقصى المغرب وجزيرة الأندلس وبلاد السودان، وبلغوا الآفاق وعمروا الأقطار، وصار بعض عرب اليمن إلى الحجاز فأقاموا به، وربما صار بعض عرب الحجاز إلى اليمن فأقاموا به، وبقى من بقى منهم بالحجاز واليمن على ذلك إلى الآن، ومن تفرق منهم بالأقطار منتشرون في الآفاق قد ملأوا ما بين الخافقين.

## قحطان

قحطان : اسم يطلق على عرب الجنوب .وموطنهم بلاد اليمن وينتهي نسب القحطانيين الى قحطان وقحطان هذا ينتهي نسبه الىسام اذهو قحطان مهزم بن عامر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام .وعرب قحطان انشعبت بطونها وقبائلها من سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان منه بطون حمير وقضاعة والسكاسك وزيد وكهلان وهمدان وانمار وطي وكندة ومذحج ولخم وجذام والازد الذين منهم الاوس والخزرج واولاد ملوك الشام وغيرهم كما سياتي تفصيله .

## عرب عدنان

عرب عدنان : اسم يطلق على عرب الشمال وموطنهم الا صلي مكة وما جاورها من ارض الحجاز وتهامة وينتهي نسب العدنانيين الى عدنان.وعدنان هذا ينتهي نسبه الى اسماعيل بن ابراهيم عليهماالسلام اذ هوعدنان بن أد بن أُدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يشجب بن نابت بن اسماعيل كما سيأتي تفصيله.

### فائده

قال عنتر بن شداد مفتخرا بالعروبة[28]

لعمرك ان المجد والفخر والعلا ... ونيل الاماني وارتفاع المراتب

لمن يلتقي ابطالها وسراتها ... بقلب صبور عند وقع المضارب

ويبني بحد السيف مجدا مشيدا ... على فلك العلياء فوق الكواكب

ومن لم يرو رمحه من دم العدا ... اذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب

ويعطي القنا الخطي في الحرب حقه ... ويبري بحد السيف عرض المناكب

يعيش كما عاش الذليل بغصة ... وان مات لايجري دموع النوادب

فضائل عزم لاتباع لضارع ... واسرار عزم لا تذاع لعائب

برزت دهرا على كل حادث ... ولاكحل الامن غبار الكتائب

اذاكذب البرق اللموع لشائم ... فبرق حسامي صادق غير كاذب

### رجوع أصول أنساب عرب الحجاز إلى عدنان

أنساب عرب الحجاز كما سبق أن ذكرت ترجع إلى عدنان لأن عدنان على ماسبق ذكره ولد له اولاد وهم ( عك ومعد والحارث والمذهب وأبين و عدن الذي تعرف به مدينة عدن و الضحاك ) وقيل إن ( الضحاك )بن لمعد لا ابن عدنان.قالوا وتزوج عك في الأشعريين وسكن في بلادهم من اليمن فصارت لغتهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنه منهم فيقولون عك بن

[28] يراجع ديوان عنتر ابن شداد وسائر كتب الادب.

عدنان بن عبدالله بن الأزد بن يغوث ويقال عك بن عدنان بن الذيب بن عبدالله بن الأسد ويقال الريث بدل الذيب. والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان قال عباس بن مرداس :

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

فأما معد فولد له أربعة وهم ( نزار وقضاعة وقنص وإياد ) وكان قضاعة بكره وبه كان يكنى وأما( قنص ) فيقال إنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائبا لكسرى على الحيرة كان من سلالته على قول طائفة من السلف وقيل بل كان من حمير كما تقدم والله أعلم وأما ( نزار ) فولد له ( ربيعة وأنمار ومضر وإياد ) قال ابن هشام وإياد ومضر شقيقان أمهما سودة بنت عك بن عدنان. وأم ربيعة وأنمار شقيقة بنت عك بن عدنان ويقال جمعة بنت عك بن عدنان قال ابن اسحاق فأما( أنمار) فهو والد خثعم وبجيلة قبيلة جرير بن عبدالله البجلي قال وقد تيامنت فلحقت باليمن قال ابن هشام وأهل اليمن يقولون أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .قالوا وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط يوما عن بعيره فوثبت يده فجعل يقول ( وايداه وايداه ) فأعنقت الإبل لذلك. قال ابن اسحاق فولد ( مضر بن نزار) رجلين وهما( الياس وعيلان ) وولد لالياس ( مدركة وطابخة وقمعة ) وأمهم خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة قال ابن اسحاق وكان اسم مدركة عامرا واسم طابخة عمرا وذلك انهمااصطادا صيدا فبيناهما يطبخانه إذ نفرت الإبل فذهب عامر في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أبيهما ذكرا له ذلك فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة قال وأما( قمعة) فيزعم نسابو مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس قلت والأظهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حمير كما تقدم والله أعلم قال ابن اسحاق فولد ( مدركة ) ( خزيمة وهذيل ) وأمهما امرأة من قضاعة وولد( خزيمة ) ( كنانة وأسدا وأسدة والهون وزاد وعامرا والحارث والنضيروغنما وسعدا وعوفا وجرولا والحدال وغزوان ) قالوا وولد كنانة ( النضر ومالكا وعبد مناة وملكان ) وسيأتي مزيد من البيان.

## جرهم واسماعيل

اتفقت كلمة الاخباريين[29] والرواة على أن إسماعيل بعد أن هاجر به أبوه إبراهيم من أرض كنعان الى ارض مكة وبعد حادثة الفداء وبناء الكعبة أقام بمكة وساكن جرهم الذين كانوا قداستوطنوا مكة ليرتووا من ماء زمزمها الذي كان اكتشافه بسببه ( وجرهم ) هؤلاء هم من نسب ( قحطان ) المسمى مهزم بن عامر بن ارفخشد المذكوراعلاه و كانوا رحلا يتتبعون الماء والكلاء ولمامروا في احدى رحلا تهم بضواحي مكة وعلموا باستخراج ماء زمزمها استاذنوا السيدة هاجر في ان ينزلوابجوارها فاذنت لهم واستوطنوا المكان وبقوا فيه مدة قرون الى ان اخرجتهم منه قريش بعد ان دالت لها دولتها( قال المؤرخون ) ولما ساكن اسماعيل جرهم صاهرهم وكثر ولده فيهم وتناسلوا حتى كان منهم (عدنان ) المذكور سابقا وابنه ( معد ) .هذاولفظة ( جرهم ) من قولهم رجل جرْهامٌ ومُجْرَهمٌّ بمعنى جادٌّ كذا ضبط مجرهم كمقشعرّ بـ ( الأصل والمحكم ) لكن ضَبط في القامَوس كالتكملة بوزن مدحرج في أمْره وبه سمي جُرْهُمٌ. وجرْهام صفة من صفات الأَسد ( أقول )ومن اخوة ( اسماعيل ) لأبيه ( إسحاق) بن ابراهيم وابن سارة بنت توبيل عم ابراهيم .

## عرب الحجاز وجرهم والبيت العتيق

جميع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون في أنسابهم إلى ولدي سيدنا إسماعيل ( نابت وقيذر ) كما سبق أن ذكرت في الفصول السابقة.وكان الرئيس بعد اسماعيل والقائم بالأمور والحاكم في مكة والناظر في أمر البيت وزمزم ابنه ( نابت بن إسماعيل)

## تغلب جرهم على ابناء اسماعيل

تغلبت جرهم على البيت طمعا في بني أختهم فحكموا بمكة وما والاها عوضا عن بني إسماعيل مدة طويلة فكان أول من صار إليه أمر البيت بعد نابت ( مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن عيبر بن نبت بن جرهم بن قحطان ( ويقال ) جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح الجرهمي وكان مضاض نازلا بأعلى مكة بقعيقعان وكان

[29] براجع هذا البحث وما يليه في متاب العبر لابن خلدون والتاريخ للامام الطبري وسير اعلام النبلاء للامام الذهبي والتذكرة للامام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للامام السيوطي والبداية والنهاية للامام ابن كثير والروض الانف للامام السهيلي

السميدع سيد قطوراء نازلا بقومه في أسفل مكة وكل منهما يعشر من مر به مجتازا إلى مكة ثم وقع بين جرهم وقطوراء فاقتتلوا فقتل السميدع واستوثق الأمر لمضاض وهو الحاكم بمكة والبيت لا ينازعه في ذلك ولد إسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتشارهم بمكة وبغيرها وذلك لخؤولتهم له ولعظمة البيت الحرام ثم صار الملك بعده إلى ابنه الحارث ثم إلى عمرو بن الحارث ثم بغت جرهم بمكة وأكثرت فيها الفساد وألحدوا بالمسجد الحرام حتى ذكر أن رجلا منهم يقال له اساف بن بغى وامرأة يقال لها نائلة بنت وائل اجتمعا في الكعبة فكان منه إليهاالفاحشة فمسخهما الله حجرين فنصبهما الناس قريبا من البيت ليعتبروا بهما فلما طال المطال بعد ذلك بمدد عُبدا من دون الله في زمن خزاعة كما ذُكر في موضعه فكانا صنمين منصوبين يقال لهما إساف ونائلة .

## تمالؤ خزاعة على جرهم

لما أكثرت جرهم البغي بالبلد الحرام تمالأت عليهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول الحرم وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذي خرج من اليمن لأجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم وقيل إن خزاعة من بني إسماعيل فالله أعلم والمقصود أنهم اجتمعوا لحربهم وآذنوهم بالحرب واقتتلوا واعتزل بنو إسماعيل كلا الفريقين فغلبت خزاعة وهم بنو بكر بن عبد مناة وغبشان وأجلوهم عن البيت فعمد عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي وهو سيدهم إلى غزالي الكعبة وهما من ذهب وحجر الركن وهو الحجر الأسود وإلى سيوف محلاة وأشياء أخر فدفنها في زمزم وعلم زمزم وارتحل بقومه فرجعوا إلى اليمن .كما سبق أن ذكرت .

## أقسام العرب

كما سبق أن ذكرت يُقسم علماء الأنساب العرب إلى : عرب بائدة وهم الذين هلكوا ولم يبق من نسلهم أحد، مثل : عاد و ثمود و طَسُم وغيرهم .وعرب باقية وهم قسمان : أ – عرب عاربة وهم أهل اليمن الذين ينسبون إلى يعرب ابن قحطان .ب – وعرب مستعربة وهم الذين ينسبون إلى عدنان الذى يتصل نسبه بإسماعيل بن إبراهيم عليهما

السلام وسُمُّوا مستعربة لأن أباهم غير عربى وهو إسماعيل عليه السلام وأمهم عربية من جُرهُم .

## أحوال العرب

للعرب في قديم عهدهم أحوال متعددة منها الأحوال السياسية ومنها الأحوال الأخلاقية ومنها الأحوال الاقتصادية و منها الأحوال الثقافية ومنها الأحوال الدينية وما إلى ذلك وملخصهاعلى النجو التالي :

## الأحوال السياسية

الاحوال السياسية كانت متنوعة فالأقطار الثلاثة التي كانت مجاورة للأجانب كانت حالتها السياسية في تضعضع وانحطاط لا مزيد عليه. فقد كان الناس حينذاك بين سادة وعبيد، أو حكام ومحكومين فالسادة ولا سيما الأجانب لهم كل الغنم ، والعبيد عليهم كل الغرم، وبعبارة أوضح أن الرعاية كانت بمثابة مزرعة تورد المحصولات إلى الحكومات، فتستخدمها في ملذاتها وشهواتها، ورغائبها، وجورها وعدوانها .أما الناس فهم في عمايتهم يتخبطون والظلم ينحط عليهم من كلٍ جانب وما في استطاعتهم التذمرٍ والشكوى بل هم يسامون الخسف والجور والعذاب ألواناً ساكتين، فقد كان الحكم استبدادياً والحقوق ضائعة مهدورة، والقبائل المجاورة لهذه الأقطار مذبذبون تتقاذفهم الأهواء والأغراض، مرة يدخلون في أهل العراق، ومرة يدخلون في أهل الشام، وكانت أحوال القبائل داخل الجزيرة مفككة الأوصال، تغلب عليها المنازعات القبلية والاختلافات العنصرية والدينية حتى قال ناطقهم:

ما أنا إلا من غــــزية إن غــوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد

ولم يكن لهم ملك يدعم استقلالهم، أو مرجع يرجعون إليه، ويعتمدون عليه وقت الشدائد .وأما حكومة الحجاز فقد كانت تنظر إليها العرب نظرة تقدير واحترام، ويرونها قادة وسدنة المركز الديني وكانت تلك الحكومة في الحقيقة خليطاً من الصدارة الدنيوية والحكومية والزعامة الدينية، حكمت بين العرب باسم الزعامة الدينية، وحكمت في الحرم وما والاه بصفتها حكومة تشرف على مصالح الوافدين إلى البيت، وتنفذ حكم شريعة إبراهيم، وكانت

لها من الدوائر والتشكيلات ما يشابه دوائر البرلمان كما ذُكر.ولكن هذه الحكومة كانت ضعيفة لا تقدر على حمل العبء كما وضح يوم غزو الأحباش.

## الحكم والإمارة في العرب

كان حكام الجزيرة قبيل بزوغ شمس الإسلام قسمين قسم منهم ملوك متوجون، إلا أنهم في الحقيقة كانوا غير مستقلين، وقسم منهم رؤساء القبائل والعشائر لهم ما للملوك من الحكم والامتياز، ومعظم هؤلاء كانوا على تمام الاستقلال. وربما كانت لبعضهم تبعية لملك متوج، والملوك المتوجون هم ملوك اليمن، وملوك آل غسان، وملوك الحيرة، وما عدا هؤلاء من حكام الجزيرة فلم تكن لهم تيجان.

## الملك باليمن

من أقدم الشعوب التي عرفت باليمنٍ من العرب العاربة قوم سبأ، وقد عثر على ذكرهم في حفريات "أور" بخمس وعشرين قرناً قبل الميلاد. ويبدأ ازدهار حضارتهم ونفوذ سلطانهم وبسط سيطرتهم بأحد عشر قرناً قبل الميلاد.ويمكن تقسيم أدوارهم حسب التقدير الآتي – القرون التي خلت قبل سنة 650ق.م، وكان ملوكهم يلقبون في هذا الزمن بـ: : مكرب سبأ" وكانت عاصمتهم بلدة "صرواح" التي توجد أنقاضها على مسافة يوم إلى الجانب الغربي من بلدة "مأرب" وتعرف باسم خريبة وفي زمنهم بدأ بناء السد الذي عرف بسد مأرب، والذي له شأن كبير في تاريخ اليمن، ويقال إن سبأ بلغوا من بسط سلطتهم إلى أن اتخذوا المستعمرات في داخل العرب وخارجهامنذ سنة650ق.م، إلى سنة115ق.م، وفي هذا الزمن تركوا لقب "مكرب" وعرفوا بملوك سبأ، واتخذوا "مأرب" عاصمة لهم بدل "صرواح" وتوجد أنقاضها على بعد ستين ميلاً من صنعاء إلى جانبها الشرقي.منذ سنة 115ق.م. إلى سنة 300 م ، وفي هذا العهد غلبت قبيلة حمير على مملكة سبأ، واتخذت بلدة "ريدان" عاصمة لها بدل "مأرب" ثم سميت بلدة "ريدان" باسم ظفار، وتوجد أنقاضها على جبل مدور بالقرب من "يريم" وفي هذا العهد بدأ فيهم السقوط والانحطاط، فقد فشلت تجارتهم إلى حد كبير لبسط سيطرة الأنباط في شمال الحجاز أولاً، ثم لغلبة الرومان على طرق التجارة البحرية بعد نفوذ

سلطانهم على مصر وسوريا وشمالي الحجاز ثانياً، ولتنافس القبائل فيما بينها ثالثاً. وهذه العناصر هي التي سببت في تفرق آل قحطان وهجرتهم إلى البلاد الشاسعة. منذ سنة 300م إلى أن دخل الإسلام في اليمن. وفي هذا العهد توالت عليهم الاضطرابات والحوادث، وتتابعت الانقلابات والحروب الأهلية التي جعلتهم عرضة للأجانب حتى قضت على استقلالهم. ففي هذا العهد دخل الرومان في عدن وبمعونتهم احتلت الأحباش اليمن لأول مرة سنة 340م مستغلين التنافس بين قبيلتي همدان وحمير، واستمر احتلالهم إلى سنة 378م. ثم نالت اليمن استقلالها، ولكن بدأت تقع الثلمات في سد مأرب، حتى وقع السيل العظيم الذي ذكره القرآن بسيل العرم في سنة 450م أو 451م. وكانت حادثة كبرى أدت إلى خراب العمران وتشتت الشعوب. وفي سنة 523م قاد ذو نواس اليهودي حملة منكرة على المسيحيين من أهل نجران، وحاول صرفهم عن المسيحية قسراً. ولما أبوا خدّ لهم الأخدود وألقاهم في النيران، وهذا الذي أشار إليه القرآن في سورة البروج بقوله ( قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) وكان من جراء ذلك نقمة النصرانية الناشطة إلى الفتح والتوسع تحت قيادة أمبراطورة الرومان على بلاد العرب فقد حرضوا الأحباش وهيأوا لهم الأسطول البحري فنزل سبعون ألف جندي من الحبشة، واحتلوا اليمن مرة ثانية، بقيادة أرياط سنة 525م، وظل أرياط حاكماً من قبل ملك الحبشة حتى اغتاله أبرهة أحد قواد جيشه وحكم بدله بعد أن استرضى ملك الحبشة وأبرهة هذا هو الذي جند الجنود لهدم الكعبة، وعرف هو وجنوده بأصحاب الفيل. وبعد وقعة الفيل استنجد اليمانيون بالفرس، وقاموا بمقاومة الحبشة حتى أجلوهم عن البلاد، ونالوا الاستقلال في سنة 575م، بقيادة معد يكرب بن سيف ذي يزن الحميري، واتخذوه ملكاً لهم، وكان معد يكرب أبقى معه جمعاً من الحبشة يخدمونه ويمشون في ركابه، فاغتالوه ذات يوم، وبموته انقطع الملك عن بيت ذي يزن، وولى كسرى عاملاً فارسياً على صنعاء، وجعل اليمن ولاية فارسية فلم تزل الولاة من الفرس تتعاقب على اليمن حتى كان آخرهم باذان الذي اعتنق الإسلام سنة 638م. وبإسلامه انتهى نفوذ فارس على بلاد اليمن.

كانت الفرس تحكم على العراق وما جاورها منذ أن جمع شملهم قوروش الكبير557 / 529 قبل الميلاد . ولم يكن أحد يناوئهم، حتى قام الإسكندر المقدوني سنة 329 قبل الميلاد فهزم ملكهم دارا الأول، وكسر شوكتهم، حتى تجزأت بلادهم وتولاها ملوك يعرفون بملوك الطوائف، واستمروا يحكمون البلاد مجزأة إلى سنة 320م. وفي عهد هؤلاء الملوك هاجر القحطانيون، واحتلوا جزءاً من ريف العراق ثم لحقهم من هاجر من العدنانيين فزاحموهم حتى سكنوا جزءاً من الجزيرة الفراتية.وعادت القوة مرة ثانية إلى الفرس في عهد أردشير – مؤسس الدولة الساسانية منذ سنة 226 ميلادي – فإنه جمع شمل الفرس، واستولى على العرب المقيمين على تخوم ملكه، وكان هذا سبباً في رحيل قضاعة إلى الشام، ودان له أهل الحيرة والأنبار.وفي عهد أردشير كانت ولاية جذيمة الوضاح على الحيرة وسائر من بادية العراق والجزيرة من ربيعة ومضر، وكأن أردشير رأى أنه يستحيل عليه أن يحكم العرب مباشرة، ويمنعهم من الإغارة على تخوم ملكه، إلا أن يملك عليهم رجلاً منهم له عصبية تؤيده وتمنعه ومن جهة أخرى يمكنه الإستعانة بهم على ملوك الرومان، الذين كان يتخوفهم، ليكون عرب العراق أمام عرب الشام الذين اصطنعهم ملوك الرومان وكان يبقى عند ملك الحيرة كتيبة من جند الفرس، ليستعين بها على الخارجين على سلطانه من عرب البادية، وكان موت جذيمة حوالي سنة 268م.وبعد موت جذيمة ولي الحيرة عمرو بن عدي بن لفر اللخمي، أول ملوك اللخميين – في عهد كسرى سابور بن أردشير – ثم لم تزل الملوك من اللخميين تتوالى على الحيرة حتى ولى الفرس قباذ بن فيروز، وفي عهده ظهر مزدك، وقام بالدعوة إلى الإباحية، فتبعه ( قباذ) كما تبعه كثير من رعيته، ثم أرسل قباذ إلى ملك الحيرة – وهو المنذر بن ماء السماء – يدعوه إلى أن يختار هذا المذهب ويدين به، فأبى عليه ذلك حمية وأنفة، فعزله قباذ، وولى بدله الحارث بن عمرو بن حجر الكندي بعد أن أجاب دعوته إلى المذهب المزدكي.وخلف قباذ كسرى أنو شروان، وكان يكره هذا المذهب جداً، فقتل المزدك وكثيراً ممن دان بمذهبه، وأعاد المنذر إلى ولاية الحيرة، وطلب الحارث بن عمرو لكنه أفلت إلى دار كلب، فلم يزل فيهم

حتى مات. واستمر الملك بعد المنذر بن ماء السماء في عقبه حتى كان النعمان بن المنذر وهو الذي غضب عليه كسرى بسبب وشاية دبرها زيد بن عدي العبادي، وأرسل كسرى إلى النعمان يطلبه، فخرج النعمان حتى نزل سراً على هانىء بن مسعود سيد آل شيبان، فأودعه أهله وماله، ثم توجه إلى كسرى، فحبسه كسرى حتى مات وولى على الحيرة بدله إياس بن قبيصة الطائي، وأمره أن يرسل إلى هانىء بن مسعود يطلب منه تسليم ما عنده، فأبى ذلك هانىء حمية، وآذن الملك بالحرب، ولم تلبث أن جاءت مرازبة كسرى وكتائبه في موكب إياس، وكانت بين الفريقين موقعة هائلة عند ذي قار، انتصر فيها بنو شيبان، وانهزمت الفرس هزيمة منكرة. وهذا أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم، وهو بعد ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم بقليل، فإنه عليه السلام ولد لثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة على الحيرة. وولى كسرى على الحيرة بعد إياس حاكماً فارسياً، وفي سنة 632 م عاد الملك إلى آل لخم، فتولى منهم المنذر الملقب بالمعرور، ولم تزد ولايته على ثمانية أشهر حتى قدم عليه خالد بن الوليد بعساكر المسلمين.

## الملك بالشام

في العهد الذي ماجت فيه العرب بهجرات القبائل صارت بطون من قضاعة إلى مشارف الشام وسكنت بها، وكانوا من بني سليح بن حلوان الذين منهم بنو ضجعم بن سليح المعروفون باسم الضجاعمة، فاصطنعهم الرومان . ليمنعوا عرب البرية من العبث، وليكونوا عدة ضد الفرس، وولوا منهم ملكاً، ثم تعاقب الملك فيهم سنين، ومن أشهر ملوكهم زياد بن الهبولة، ويقدر زمنهم من أوائل القرن الثاني الميلادي إلى نهايته تقريباً، وانتهت ولايتهم بعد قدوم آل غسان، الذين غلبوا الضجاعمة على ما بيدهم وانتصروا عليهم، فولتهم الروم ملوكاً على عرب الشام، وكانت قاعدتهم دومة الجندل، ولم تزل تتوالى الغساسنة على الشام بصفتهم عمالاً لملوك الروم حتى كانت وقعة اليرموك سنة 13هـ، وانقاد للإسلام آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولي إسماعيل[30] عليه السلام زعامة مكة وولاية البيت طول حياته. وتوفي وله 137 سنة. ثم ولي إثنان من أبنائه نابت ثم قيدار، ويقال العكس، ثم ولي أمر مكة بعدهما (كما سبق أن ذكرت) جدّهما مضاض بن عمرو الجرهمي فانتقلت زعامة مكة إلى جد هم وظلت في أيديهم وكان لأولاد إسماعيل مركز محترم لما لأبيهم من بناء البيت ولم يكن لهم من الحكم شيء ومضت الدهور والأيام ولم يزل أمر أولاد إسماعيل عليه السلام ضئيلاً لا يذكر، حتى ضعف أمر جرهم قبيل ظهور بختنصر، وأخذ نجم عدنان السياسي يتألق في أفق سماء مكة منذ ذلك العصر، بدليلٍ ما جاء بمناسبة غزو بختنصر للعرب في ذات عرق، فإن قائد العرب في الموقعة لم يكن جرهمياً .وتفرقت بنو عدنان إلى اليمن عند غزوة بختنصر الثانية: سنة 587ق.م وذهب برمياه النبي بمعد إلى الشام، فلما انكشف ضغط بختنصر رجِع معد إلى مكة فلم يجد من جرهم إلا جرشم بن جلهمة، فتزوج بابنته معانة فولدت له نزارا .وساء أمر جرهم بمكة بعد ذلك، وضاقت أحوالهم، فظلموا الوافدين إليها، واستحلوا مال الكعبة الأمر الذي كان يغيظ العدنانيين، ويثير حفيظتهم، ولما نزلت خزاعة بمر الظهران، ورأت نفور العدنانيين من الجراهمة استغلت ذلك الوضع فقامت بمعونة من بطون عدنان وهم بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة بمحاربة جرهم حتى أجلتهم عن مكة، واستولت على حكمها، في أواسط القرن الثاني للميلاد (كما سبق أن ذكر) ولما لجأت جرهم إلى الجلاء سدوا بئر زمزم، ودرسوا موضعها، ودفنوا فيها عدة أشياء، قال ابن إسحاق فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة، وبحجر الركن الأسود فدفنهما في بئر زمزم،وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً، وفي ذلك قال عمرو

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصـــفا أنيـــس ولم يسمر بمكة سامر
نـــحن كـــنا أهلــــها فأبــادنا فصروف الليالي والجدود العوائر

[30] براجع هذا البحث وما يليه في التاريخ للامام الطبري وسير اعلام النبلاء للامام الذهبي والتذكرة للامام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للامام السيوطي والبداية والنهاية للامام ابن كثير والروض الانف للامام السهيلي

ويقدر زمن إسماعيل عليه السلام بعشرين قرناً قبل الميلاد، فتكون إقامة جرهم في مكة واحداً وعشرين قرناً تقريباً، وحكمهم على مكة زهاء عشرين قرناً. واستبدت خزاعة بأمر مكة دون بني بكر، إلا أنه كان إلى قبائل مضر ثلاث خلال ( الأولى ): الدفع بالناس من عرفة إلى المزدلفة، والإجازة بهم يوم النفر من منى وكان يلي ذلك بنو الغوث بن مرة من بطون إلياس بن مضر، وكانوا يسمون صوفة ومعنى هذه الإجازة أن الناس كانوا لا يرمون يوم النفر حتى يرمي رجل من صوفة، ثم إذا فرغ الناس من الرمي وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجانبي العقبة، فلم يجز أحد حتى يمروا، ثم يخلون سبيل الناس، فلما انقرضت صوفة ورثهم بنو سعد بن زيد مناة من تميم. ( الثانية ): الإفاضة من جمع غداة النحر إلى منى، وكان ذلك في بني عدوان. ( الثالثة ) : إنساء الأشهر الحرم. وكان ذلك إلى بني تميم بن عدي من بني كنانة. واستمرت ولاية خزاعة على مكة ثلاثمائة سنة.

## الحكم في سائر العرب

قد سبق لنا أن ذكرنا هجرات القبائل القحطانية والعدنانية[31]، وأن البلاد العربية اقتسمت فيما بينها، فما كان من هذه القبائل بالقرب من الحيرة كانت تبعاً لملك العرب بالحيرة، وما كان منها في بادية الشام كانت تبعا للغساسنة، إلا أن هذه التبعية كانت اسمية لا فعلية. وأما ما كان منها في البوادي في داخل الجزيرة فكانت حرة مطلقة. وفي الحقيقة كان لهذه القبائل رؤساء تسودهم القبيلة، وكانت القبيلة حكومة مصغرة أساس كيانها السياسي الوحدة العصبية، والمنافع المتبادلة في حماية الأرض ودفع العدوان عنها. وكانت دولة رؤساء القبائل في قومهم كدرجة الملوك، فكانت القبيلة تبعاً لرأي سيدها في السلم والحرب، لا تتأخر عنه بحال، وكان له من الحكم والاستبداد بالرأي ما يكون لدكتاتور قوي حتى كان بعضهم إذا غضب غضب له ألوف من السيوف لا تسأله فيما غضب إلا أن المنافسة في السيادة بين أبناء العم كانت تدعوهم إلى المصانعة بالناس من بذل الندى وإكرام الضيف والكرم والحلم، وإظهار الشجاعة والدفاع عن الغير حتى يكسبوا المحامد في أعين الناس، ولا سيما الشعراء الذين كانوا لسان

[31] يراجع هذا البحث وما يليه في تاريخ ابن خلدون و التاريخ للامام الطبري وسير اعلام النبلاء للامام الذهبي والتذكرة للامام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للامام السيوطي والبداية والنهاية للامام ابن كثير والروض الانف للامام السهيلي

القبيلة في ذلك الزمان، وحتى تسمو درجتهم عن مستوى المنافسين. وكان للسادة والرؤساء حقوق خاصة، فكانوا يأخذون من الغنيمة المرباع والصفي والنشيطة والفضول، يقول الشاعر:

لك المرباع فينا والصفـــــايا وحكمك والنشيطة والفضول

والمرباع ربع الغنيمة، والصفي ما يصفيه الرئيس لنفسه قبل القسمة، والنشيطة ما أصاب الرئيس في الطريق قبل أن يصل إلى بيضة القوم، والفضول ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير والفرس ونحوهما.

الحالة الاجتماعية

كانت في العرب أوساط متنوعة تختلف أحوال بعضها عن بعض، فكانت علاقة الرجل مع أهله في الأشراف على درجة كبيرة من الرقي والتقدم، وكان للمرأة من حرية الإرادة ونفاذ القول القسط الأوفر، وكانت محترمة مصونة تسل دونها السيوف، وتراق الدماء، وكان الرجل إذا أراد أن يمتدح بما له في نظر العرب المقام السامي من الكرم والشجاعة لم يكن يخاطب في أكثر أوقاته إلا المرأة، وربما كانت المرأة إذا شاءت جمعت القبائل للسلام، وإن شاءت أشعلت بينهم نار الحرب والقتال، ومع هذا كله فقد كان الرجل يعتبر بلا نزاع رئيس الأسرة، وصاحب الكلمة فيها، وكان ارتباط الرجل بالمرأة بعقد الزواج تحت إشراف أوليائها ولم يكن من حقها أن تفتات عليهم. بينما هذه حال الأشراف، كان هناك في الأوساط الأخرى أنواع من الاختلاط بين الرجل والمرأة، لا نستطيع أن نعبر عنه إلا بالدعارة والمجون والسفاح والفاحشة، روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها: أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فكان منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقولٍ لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إن أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح يسمى نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا

عندها فتقول له قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت وهو ابنك يا فلان فتسمي من أحبت منهم باسمه فيلحق به ولدها ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً لمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت فوضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون ودعي ابنُه لا يمتنع من ذلك فلما بعث الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هدم نكاح أهل الجاهلية كله إلا نكاح الإسلام اليوم وكانت عندهم اجتماعات بين الرجل والمرأة تعقدها شفار السيوف وأسنة الرماح فكان المتغلب في حروب القبائل يسبي نساء المقهور فيستحلها، ولكن الأولاد الذين تكون هذه أمهم يلحقهم العار مدة حياتهم. وكان من المعروف في أهل الجاهلية أنهم كانوا يعددون بين الزوجات من غير حد معروف ينتهي إليه، وكانوا يجمعون بين الأختين، وكانوا يتزوجون بزوجة آبائهم إذا طلقوها أو ماتوا عنها كما هو نص سورة النساء وكان الطلاق بيد الرجال لا إلى حد معين. وكانت فاحشة الزنا سائدة في جميع الأوساط لا نستطيع أن نخص منها وسطاً دون وسط أو صنفاً دون صنف إلا أفراداً من الرجال والنساء ممن كان تعاظم نفوسهم يأبى الوقوع في هذه الرذيلة وكانت الحرائر أحسن حالاً من الإماء والطامة الكبرى هي الإماء ويبدو أن الأغلبية الساحقة من أهل الجاهلية لم تكن تحس بعار في الانتساب إلى هذه الفاحشة، روى أبو داود بسنده قال: قام رجل فقال : يا رسول الله إن فلاناً ابني عاهرت بأمه في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا دعوة في الإسلام ذهب أمر الجاهلية الولد للفراش وللعاهر الحجر" وقصة اختصام سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في ابن أمة زمعة وهو عبد الرحمن بن زمعة معروفة. وكانت علاقة الرجل مع أولاده على أنواع شتى، فمنهم من يقول:

إنــــما أولادنا بينـناأفـــلاذ    أكبـــــادنا تمشي على الأرض

ومنهم من كان يئد البنات خشية العار والإنفاق، ويقتل الأولاد خشية الفقر والإملاق لكن لا يمكننا أن نعد هذا من الأخلاق المنتشرة السائدة، فقد كانوا أشد الناس احتياجاً إلى الأبناء ليتقوا بهم العدو أما معاملة الرجل مع أخيه وأبناء عمه وعشيرته فقد كانت موطدة قوية،

فقد كانوا يحيون للعصبية القبلية ويموتون لها . وكانت روح الاجتماع سائدة بين القبيلة الواحدة تزيدها العصبية، وكان أساس النظام الاجتماعي هو العصبية الجنسية والرحم، وكانوا يسيرون على المثل السائر: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوما" على المعنى الحقيقي من غير التعديل الذي جاء به الإسلام من أن نصر الظالم كفه عن ظلمه، إلا أن التنافس في الشرف والسؤدد كثيراً ما كان يفضي إلى الحروب بين القبائل التي كان يجمعها أب واحد، كما نرى ذلك بين الأوس والخزرج، وعبس وذبيان، وبكر وتغلب وغيرها .أما العلاقة بين القبائل المختلفة فقد كانت مفككة الأوصال تماماً . وكانت قواهم متفانية في الحروب، إلا أن الرهبة والوجل من بعض التقاليد والعادات المشتركة بين الدين والخرافة ربما كان يخفف من حدتها وصرامتها وفي بعض الحالات كانت الموالاة والحلف والتبعية تفضي إلى اجتماع القبائل المتغايرة ، وكانت الأشهر الحرم رحمة وعوناً لهم على حياتهم وحصول معايشهم.وقصارى الكلام أن الحالة الاجتماعية كانت في الحضيض من الضعف والعماية، فالجهل ضارب أطنابه، والخرافات لها جولة وصولة، والناس يعيشون كالأنعام، والمرأة تباع وتشترى وتعامل كالجمادات أحياناً، والعلاقة بين الأمة داهية مبتوتة وما كان من الحكومات فجل همتها امتلاء الخزائن من رعيتها أو جر الحروب على مناوئيها .

الطواعين والمساغب

الطواعين هي أوبئة نزلت قديما في المنطقة العربية ومنها طاعون عمواس أول طاعون كان في الإسلام بالشام وبعده طاعون شيرويه الملك بالعراق و طاعون الجارف كان في زمن ابن الزبير وطاعون الفتيات ويسمى طاعون الأشراف كان في أيام الحجاج وسمى بذلك لموت كثير من العذارى ومن الأشراف فيه.وطاعون غراب سمي بذلك لأن أول من مات فيه رجل اسمه غراب وكان زمن الوليد بن يزيد ( قلت وعندنا في الجلفة ) عينات من هذه الطواعين لازال الناس يؤرخون بها ومنها : طاعون عام المسغبة وكان سنة 1919م بالوسط الجزائري وعام المسيغبة وكان سنة 1920م وعام التيفيس وكان سنة 1946بالوسط الجزائري وعام موت الخيل وكان سنة 1967 بالوسط الجزائري وراجع الباقي في الذاكرة الشعبية وفي النشريات.

## طبقات الناس عند العرب في الجاهلية

طبقات الناس في الاصطلاح القديم هي : ( 1 ) الصنائع وهم خواص الملوك.( 2 ) والعباد وهم خدم الملوك وكان كل من يسكن المدر بالحيرة يسمون: العباد .( 3 ) والسوقة وهم : عوام الناس وهواسم يقع على الواحد والجماعة يقال : رجل سوقة ورجال سوقة وهو مشتق من السياقة وليست السوقة جماعة السوقي كما يتوهم كثير من الناس.( 4 ) و الردف وهو خليفة ملك الحيرة وكان له المرباع من الغنائم وكان يجلس على يمين الملك ويشرب بعده قبل الناس كلهم والردافة هي الخلافة.( 5 ) والأقيال واحدهم قيل ( 6 ) والمقاول واحدهم مقول وكانوا بمنزلة القواد باليمن وكانوا دون الذوين ( 7 ) والذوون كانوا دون التبابعة والذوون والأذواءجمع ذو وذلك أن ملوكهم كانوا يلقبون بذي المنار وذي الأعوام ونحو ذلك.( 8 ) والمخاليف كور اليمن وأحدهم مخلاف ولكل مخلاف منها اسم يعرف به.

## الحالة الاقتصادية

الحالة الاقتصادية في العرب القدامى تابعة للحالة الاجتماعية ويتضح ذلك إذا نظرنا في طرق معايش العرب فالتجارة كانت أكبر وسيلة للحصول على حوائج الحياة والجولة التجارية لا تتيسر إلا إذا ساد الأمن والسلام وكان ذلك مفقوداً في جزيرة العرب إلا في الأشهر الحرم وهذه هي الشهور التي كانت تعقد فيها أسواق العرب الشهيرة من ( عكاظ وذي المجاز ومجنة ) وغيرها وأما الصناعات فكانوا أبعد الأمم عنها ومعظم الصناعات التي كانت توجد في العرب من الحياكة والدباغة وغيرها كانت في أهل اليمن والحيرة ومشارف الشام ، نعم كانت في داخل الجزيرة الزراعة والحرث واقتناء الأنعام وكانت نساء العرب كافة يشتغلن بالغزل لكن كانت الأمتعة عرضة للحروب وكان الفقر والجوع والعري عاماً في المجتمع .

## الحالة الأخلاقية

لا ننكر أن أهل الجاهلية [32] كانت فيهم دنايا ورذائل وأمور ينكرها العقل السليم ويأباها الوجدان ولكن كانت فيهم من الأخلاق الفاضلة المحمودة ما يروع الإنسان ويفضي به إلى

[32] براجع هذا البحث وما يليه في الموسوعة العربية والمفاهيم المصرية وتاريخ ابن خلدون و التاريخ للامام الطبري وسير اعلام النبلاء للامام الذهبي والتذكرة للامام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للامام السيوطي والبداية والنهاية للامام ابن كثير والروض الانف للامام السهيلي

الدهشة والعجب فمن تلك الأخلاق : الكرم وكانوا يتبارون في ذلك ويفتخرون به وقد استنفدوا فيه نصف أشعارهم بين ممتدح به ومثن على غيره وكان الرجل يأتيه الضيف في شدة البرد والجوع وليس عنده من المال إلا ناقته التي هي حياته وحياة أسرته فتأخذه هزة الكرم فيقوم إليها ويذبحها لضيفه ومن آثار كرمهم أنهم كانوا يتحملون الديات الهائلة والحمالات المدهشة يكفون بذلك سفك الدماء وضياع الإنسان ويمتدحون بها مفتخرين على غيرهم من الرؤساء والسادات وكان من نتائج كرمهم أنهم كانوا يمتدحون بشرب الخمور لا لأنها مفخرة في ذاتها بل لأنها سبيل من سبل الكرم ومما يسهل السرف على النفس ولأجل ذلك كانوا يسمون شجر العنب بالكرم، وخمره ببنت الكرم، وإذا نظرت إلى دواوين أشعار الجاهلية تجد ذلك باباً من أبواب المديح والفخر، يقول عنترة بن شداد العبسي في معلقته :

ولقد شربت من المدامة بعد مـــا ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أســـــرة فــرنت بأزهر بالشمال مفدم
فإذا شربت فإنني مستـــــهلك مـــالي عرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصــر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

ومن نتائج كرمهم اشتغالهم بالميسر، فإنهم كانوا يرون أنه سبيل من سبل الكرم، لأنهم كانوا يطعمون المساكين ما ربحوه أو ما كان يفضل عن سهام الرابحين ولذلك ترى القرآن لا ينكر نفع الخمر والميسر وإنما يقول﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ ومن تلك الأخلاق الوفاء بالعهد فقد كان العهد عندهم ديناً يتمسكون به ويستهينون في سبيله قتل أولادهم وتخريب ديارهم وتكفي في معرفة ذلك قصة هانىء ابن مسعود الشيباني والسموأل بن عاديا وحاجب بن زرارة التميمي. ومنها عزة النفس وإباء عن قبول الخسف والضيم وكان من نتائج هذا فرط الشجاعة وشدة الغيرة وسرعة الانفعال، فكانوا لا يسمعون كلمة يشمون منها رائحة الذل والهوان إلا قاموا إلى السيف والسنان وأثاروا الحروب العوان وكانوا لا يبالون بتضحية أنفسهم في هذا السبيل. ومنها المضي في العزائم فإذا عزموا على شيء يرون فيه المجد والافتخار لا يصرفهم عنه صارف بل كانوا يخاطرون بأنفسهم في سبيله. ومنها الحلم والأناة والتؤدة كانوا

يتمدحون بها إلا أنها كانت فيهم عزيزة الوجود لفرط شجاعتهم وسرعة إقدامهم على القتال. ومنها السذاجة البدوية وعدم التلوث بلوثات الحضارة ومكائدها وكان من نتائجه الصدق والأمانة والنفور عن الخداع والغدر. نرى أن هذه الأخلاق الثمينة مع ما كان لجزيرة العرب من الموقع الجغرافي بالنسبة إلى العالم كانت سبباً في اختيارهم لحمل عبء الرسالة العامة وقيادة الأمة الإنسانية والمجتمع البشري لأن هذه الأخلاق وإن كان بعضها يفضي إلى الشر ويجلب الحوادث المؤلمة إلا أنها كانت في نفسها أخلاقاً ثمينة تدر المنافع العامة للمجتمع البشري بعد شيء من الإصلاح وهذا الذي فعله الإسلام. ولعل أغلى ما عندهم من هذه الأخلاق وأعظمها نفعا بعد الوفاء بالعهد هو عزة النفس والمضي في العزائم، إذ لا يمكن قمع الشر والفساد، وإقامة نظام العدل والخير إلا بهذه القوة القاهرة وبهذا العزم الصميم. ولهم أخلاق فاضلة أخرى دون هذه التي ذكرناها وليس قصدنا استقصاءها.

## العرب قبل البعثة المحمدية

كانت البلاد المجاورة لشبه جزيرة العرب[33] منذ وفاة اسكندر الأكبر إلى زمن الرومانيين والبزنطيين خالية من حكومة قاسرة فإن المملكة السلجوقية نهكت بالفتن الداخلية فلم تستطع أن تمنع نشأة الممالك المستقلة في الأناضول ولا أن تنقذ ملوك اليهود من إتلافات العرب المتعودين إذ ذاك العدوان على ممالك أكبر الملوك وكانوا لا يتمكنون من الإغارة على المملكة السلجوقية من جهة الفرات لقرب مدينة هؤلاء للدولة السلجوقية وأخذوا يرتقبون كل سنة اشتغال جيوش السلجوقية بالحروب في البلاد القاصية فيسيرون من جهة الشام شاهرين السيوف ثم يعودون بالغنائم الجسيمة بلا انتقام ولا قصاص وما زالوا على ذلك حتى عدمت سلطنة السلجوقية فاجتهد الرومانيون والبزنطيون في إزالة ذلك التعدي بتشييد القلاع والحصون بحدود البلاد وترتيب عساكر لملاحظة حركات هؤلاء بل استمال الرومانيون جمعا من مشايخ العرب بالعطايا وتلقيبهم بأمراء العرب فكفوهم عدوان تلك القبائل وانظم إلى البزنطيين من مشايخ العرب جمع

[33] براجع هذا البحث وما يليه في التأريخ للشيخ اليعقوبي والحلبية للامام الحلبي والعقدالفريدللامام ابن عبدربه والجمهرة للإمام الحموي والموسوعة العربية لشركة العريس وبرنامج مفاهيم للحاسوب

منهم ( أزيامنس) الذي أظهر للقائد ( كراكوس) الروماني أنه محب ومنتصر لهم حتى حول ذلك القائد جيوشه من البلاد الجبلية التي يود التمتع بها إلى سهول واسعة خالية عن الشجر والماء فحمل إذ ذاك البزنطيون بخيلهم ورجلهم وظفروا بهذا القائد كل الظفر وليس ذلك بأول وآخر دخول للعرب بين فريقين فقد فعلوا مثل ذلك فيما أنقذ من الفشل في مدينة روميا التي بين بالمدائن مع بعد المسافة بينهما وانضموا إلى الملكة الزباء المتسلطنة بعد زوجها أذينة زمن محاربتها الرومانيين من سنة ( 257 بعد الميلاد إلى سنة272) وتعدوا على سكان آسيا الصغرى وتولى منهم فيليبش القيصرية سنة (643) بعد الميلاد لابسا ملابس القيصر الأرجوانية فنسي وطنه ولم ينفعه شيء وأتى إليهم ( أوريليان) بالجيوش الرومانية سنة (271) بعد الميلاد فدمر مدينة تدمر وحل بالعرب من المصائب ما لم يقم لهم بعده جاه ولا سطوة ومن أمراء العرب الذين ملكوا الجهة الشرقية من الشام وجزء من الجزيرة ودجلة والفرات ( قالوا ) والملوك الأذينية المعاصرون لأوائل ملوك الحيرة والأنبار .زعم بعض الفرنج .أن آخرهم أذينة زوج الزباء الذي قتل سنة(257) بعد الميلاد في معركة بينه وبين جذيمة ابن الأبرش أحد ملوك الحيرة التنوخيين فخلفته الزباء في السلطنة وقتلت جذيمة الذي خلفه عمرو بن عدي أول العائلة الملوكية اللخمية أو النصرية قالوا وبُعث إلى الزباء قصير بن سعد المعروف عند الفرنج بزبير الثاني فهجم عليها في قصرها فهمت بالفرار وعبرت سردابا صنعته تحت أخدود الفرات فقتلها قوات الرومانيون سنة (272) بعد الميلاد . وكان الفرع الأصلي من بني قضاعة الذين هم ملوك الحيرة التنوخية الذين ملكوا الحيرة وأغاروا على العراق سنة (192) بعد الميلاد ثم على بلاد الأَنْبَاروكان رئيسهم سنة ( 228) بعد الميلاد جذيمة بن الأبرش المعترف بتبعيته لأزدشير بن ساسان ملك الفرس خلفه في الملك كما سبق عمرو بن عدي أول العائلة الملوكية اللخمية أو النصرية التي امتد حكمها إلى سنة (605) بعد الميلاد الذي لم يساعد عرب مدينة حضر المؤسسة بين دجلة والفرات بصحراء سنجار وقاوم أهلها القيصرين ( تراجان سنة (116) ( وسيوير) سنة(102) بعد الميلاد والملوك الساسانية سنة(221) بعد الميلاد وأخذها من ملوك الفرس سابور الأول سنة (240) بعد الميلاد . وكان بين الفرس

واليونان في حكم الفرات تنازع أدى إلى اتقاد نار الحرب بينهما كما كان بين البزنطيين والرومانيين مع عناد شديد اغتنم به ملوك الحيرة اتساع مملكتهم بسواحل الفرات وكان لجيوش الفرس طلائع تغلبوا سنة (272) بعد الميلاد على الجزيرة و دجلة والفرات وتوغلوا في التغلب حتى بلغوا مدينة انطاكية لكن تعذر عليهم إدارة الحكومة فيما فتحوه من البلاد فلزموا المقاتلة للنهب والسلب وكانوا مدبرين في الحرب يطمعون العدو بفرار يعود منه في الغالب الظفر بسبب رخاوة اليونان واستقلوا بمحاربتهم حتى حولوا جميع خزائن الأناضول تحت ملوك الحيرة فساغ لهم أن ينافسوا بالزينة والزخرفة ملوك المدائن وقياصرة القسطنطينية الذين نقموا منهم هذه الغزوات حتى انتقموا من العرب سكان شمال شبه الجزيرة المسمون عندهم بالشرقيين فقد قاتلوهم بعد الميلاد في سنة (289 و303 و463) التي أخذوا فيها الأَنبَاروهزموا سنة (421) الملك المنذر الأول هزيمة سفكت فيها دماء كثيرة لمساعدته الملك بهرام جور في عوده إلى الجلوس على سرير سلطنة الفرس وأغرقوا على ما قال المؤرخ سقراط مائة ألف من العرب في الفرات سنة(448) لكن القيصر( أنسطاس) انهزم سنة(498) وجدد العداوة والحرب مع الفرس فكادت الجزيرة ودجلة والفرات تذهب منه بأسرها سنة(502) وشارك النعمان الثالث الفرس في محاربة الرومانيين وصد عنهم من وسط بلاد العرب سنة(503)وكانت القبائل التغلبية أو البكرية مع رئيسهم الحرث بن عمرو المقصور على ملك الحيرة المتظاهرة بنصرة ديانة مزدك الالماني الذي عزل المنذر الثالث من السلطنة سنة (518) ثم قتله كسرى بعد خمس سنين وأعاد المنذر الثالث إلى سلطنته وسائر حقوقه الملكية ونقل أن هذا المنذر مكث سلطانا من سنة(513 إلى سنة562) بعد الميلاد نافذ الكلمة على العرب التابعين للفرس يشن الغارات من سائر الجهات على اليونان فلا يستطيعون رده فظهر رونق المملكة الحيرية حتى كان ذلك العصر أزهر أعصرها وما زالت كذلك حتى ملك النعمان الخامس من سنة(583 إلى سنة605) بعد الميلاد فكان آخر ملوك العائلة اللخمية وتولى سائرا نحو الملوك الساسانية ونصر القبيلة البكرية السابقة الذكر سنة(116) بعد الميلاد على

الفرس في واقعة ذوقار فاستقلت بالبحرين وولى مملكة الحيرة من حينئذ عمال من قبل ملوك الفرس وفي ذلك الزمن ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بما جاءبه من الجهاد وتأسيس الدين .

حالة ديانة الشعوب قبل الإسلام

ديانات العرب قبيل مجيء الإسلام قد أصابها الانحلال والبوار، - فالمشركون الذين كانوا يدعون أنهم على دين إبراهيم كانوا بعيدين عن أوامر ونواهي شريعة إبراهيم، مهملين ما أتت به من مكارم الأخلاق، فكثرت معاصيهم، ونشأ فيهم على توالي الزمان ما ينشأ في الوثنيين من عادات وتقاليد تجري مجرى الخرافات الدينية، وأثرت في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية تأثيراً بالغاً جداً - أما اليهودية فقد انقلبت رياء وتحكماً وصار رؤساؤها أرباباً من دون الله يتحكمون في الناس ويحاسبونهم حتى على خطرات النفس وهمسات الشفاه وجعلوا همهم الحظوة بالمال والرياسة وإن ضاع الدين وانتشر الإلحاد والكفر والتهاون بالتعاليم التي حض الله عليها وأمر كل فرد بتقديسها- وأما النصرانية فقد عادت وثنية عسرة الفهم، وأوجدت خلطاً عجيباً بين الله والإنسان، ولم يكن لها في نفوس العرب المتدينين بهذا الدين تأثير حقيقي، لبعد تعاليمها عن طراز المعيشة التي ألفوها، ولم يكونوا يستطيعون الابتعاد عنها .- وأما سائر أديان العرب فكانت أحوال أهلها كأحوال المشركين فقد تشابهت قلوبهم، وتواردت عقائدهم، وتوافقت تقاليدهم وعوائدهم.

ديانة أهل الأرض عموما قبل الإسلام

كان أهل الأرض عموما صنفين أهل كتاب وزنادقة لا كتاب لهم وكان أهل الكتاب أفضل الصنفين وهم نوعان : مغضوب عليهم وضالون.فأما المغضوب عليهم فمثل اليهود قتلة الأنبياءكانوا لا يرون لمن خالفهم في كفرهم حرمة) .وأماالضالون فمثل النصارى الذين سبوا الله الخالق وقالوا إن الله ثالث ثلاثة وأن مريم صاحبته وأن المسيح ابنه هذاحال من له كتاب ( وأما ) من لا كتاب لهم فهو بين عابد أوثان وعابد نيران وعابد شيطان وصابئ حيران يجمعهم الشرك، وتكذيب الرسل وتعطيل الشرائع وإنكار المعاد وحشر الأجساد لا يدينون للخالق بدين.ولا يعبدونه مع العابدين، ولا يوحدونه مع الموحدين. وهم ( إما) مجوس دينهم

الزمر، وطعامهم الميتة، وشرابهم الخمرومعبودهم النار ووليهم الشيطان ، فهم أخبث بني آدم نحلة وأرداهم مذهبا، وأسوأهم اعتقادا ( وأما) زنادقة وصابئة وملاحدة لا يؤمنون بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه.

## تدهور ديانات العرب

كان معظم العرب [34] قد اتبعوا دعوة إسماعيل عليه السلام حين دعاهم إلى دين أبيه إبراهيم عليه السلام فكانت تعبد الله وتوحده وتدين بدينه حتى طال عليهم الأمد ونسوا حظا مما ذكروا به إلا أنهم بقي فيهم التوحيد وعدة شعائر من دين إبراهيم حتى جاء عمرو بن لحي رئيس خزاعة وكان قد نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على أمور الدين فأحبه الناس ودانوا له ظنا منهم أنه من أكابر العلماء وأفاضل الأولياء ثم إنه سافر إلى الشام فرآهم يعبدون الأوثان فاستحسن ذلك وظنه حقا لأن الشام محل الرسل والكتب فقدم معه بهبل وجعله في جوف الكعبة ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله فأجابوه ثم لم يلبث أهل الحجاز أن تبعوا أهل مكة لأنهم ولاة البيت وأهل الحرم ومن أقدم أصنامهم مناة كانت بالمشلل على ساحل البحر الأحمر بالقرب من قديد، ثم اتخذوا اللات في الطائف، ثم اتخذوا العزى بوادي نخلة، هذه الثلاث أكبر أوثانهم، ثم كثر الشرك، وكثرت الأوثان في كل بقعة من الحجاز، ويذكر أن عمرو بن لحي كان له رئي من الجن فأخبره بأن أصنام قوم نوح ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا مدفونة بجدة فأتاها فاستثارها ثم أوردها إلى تهامة فلما جاء الحج دفعها إلى القبائل، فذهبت بها إلى أوطانها، حتى صار لكل قبيلة ثم وفي كل بيت صنم. وقد ملأوا المسجد الحرام بالأصنام. ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنما، فجعل يطعنها حتى تساقطت، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت. وهكذا كان الشرك وعبادة الأصنام أكبر مظهر من مظاهر دين أهل الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم. وكانت لهم تقاليد ومراسم في عبادة الأصنام، ابتدع أكثرها عمرو بن لحي وكانوا يظنون أن ما أحدثه عمرو بن لحي بدعة حسنة، وليس بتغيير

[34] براجع هذا البحث وما يليه في الموسوعة العربية والتاريخ للامام الطبري وسير اعلام النبلاء للامام الذهبي والتذكرة للامام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للامام السيوطي والبداية والنهاية للامام ابن كثير والروض الانف للامام السهيلي

لدين إبراهيم فكان من مراسم عبادتهم للأصنام أنهم:كانوا يعكفون عليها ويلتجئون إليها، ويهتفون بها، ويستغيثونها في الشدائد، ويدعونها لحاجاتهم معتقدين أنها تشفع عند الله، وتحقق لهم ما يريدون.وكانوا يحجون إليها ويطوفون حولها ويتذللون عندها، ويسجدون لها .وكانوا يتقربون إليها بأنواع من القرابين، فكانوا يذبحون وينحرون لها وبأسمائها .وهذان النوعان من الذبح ذكرهما الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾وفي قوله: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وكان من أنواع التقرب أنهم كانوا يخصون الأصنام بشيئ من مآكلهم ومشاربهم حسبما يبدو لهم، وكذلك كانوا يخصون لها نصيباً من حرثهم وأنعامهم. ومن الطرائف أنهم كانوا يخصون من ذلك جزءاً لله أيضاً . وكانت عندهم أسباب كثيراً ما كانوا ينقلون لأجلها إلى الأصنام ما كان لله، ولكن لم يكونوا ينقلون إلى الله ما كان لأصنامهم بحال. قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنْ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وكان من أنواع التقرب إلى الأصنام النذر في الحرث والأنعام، قال تعالى ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ) .وكانت منها البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي. قال ابن إسحاق البحيرة بنت السائبة، هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهم ذكر سيبت، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها، ثم خلى سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها . فهي البحيرة بنت السائبة[35]. والوصيلة الشاة إذا أتأمت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة، قالوا: قد وصلت فكان ما ولد بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم إلا أن يموت شيء فيشترك في أكله ذكورهم وإناثهم. والحامي الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره، فلم يركب، ولم يجز وبره، وخلى في إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك، وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿مَا جَعَل

[35] - قلت : والعجيب ، أن الناس عندنا اليوم ظهرت في أوساطهم خرافة تقول أن المرأة إذا أنجبت توائم ثلاث مرات لم تحل لزوجها وقد حاربنا هذه الفكرة الجاهلية التي قاسها البعض على ما ذكرناه من حكاية السائبة .ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ وأنزل: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾وقيل في تفسير هذه الأنعام غير ذلك وقد صرح سعيد بن المسيَّب أن هذه الأنعام كانت لطواغيتهم وفي الصحيح مرفوعا أن عمرو بن لحي أول من سيب السوائب وكانت العرب تفعل كل ذلك بأصنامهم معتقدين أنها تقربهم إلى الله وتوصلهم إليه وتشفع لديه كما في القرآن ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾وقوله ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾وكانت العرب تستقسم بالأزلام والزلم القدح الذي لا ريش عليه وكانت الأزلام ثلاثة أنواع ( نوع ) فيه نعم ولا وكانوا يستقسمون بها فيما يريدون من العمل من نحو السفر والنكاح وأمثالهمافإن خرج "نعم" عملوا به وإن خرج "لا" أخروه عامه ذلك حتى يأتوه مرة أخرى ( ونوع ) فيه المياه والدية ( ونوع ) فيه "منكم" أو "من غيركم" أو "ملصق" وكانوا إذا شكوا في نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل وبمائة جزور فأعطوها صاحب القداح فإن خرج "منكم" كان منهم وسيطاً، وإن خرج عليه "من غيركم" كان حليفاً، وإن خرج عليه "ملصق" كان على منزلته فيهم لا نسب ولا حلف.( قال ) ويقرب من هذا الميسر والقداح وهو ضرب من ضروب القمار، وكانوا يقتسمون به لحم الجزور التي يذبحونها بحسب القداح وكانوا يؤمنون بأخبار الكهنة والعرافين والمنجمين، والكاهن هو من يتعاطى الإخبار عن الكوائن في المستقبل، ويدعي معرفة الأسرار، ومن الكهنة من يزعم أن له تابعاً من الجن يلقي عليه الأخبار، ومنهم من يدعي إدراك الغيب بفهم أعطيه، ومنهم من يدعي معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا القسم يسمى عرافاً، كمن يدعي معرفة المسروق ومكان السرقة والضالة ونحوهما . والمنجّم من ينظر في النجوم أي الكواكب ويحسب سيرها ومواقيتها، ليعلم بها أحوال العالم وحوادثه التي تقع في المستقبل والتصديق بأخبار المنجمين هو في الحقيقة إيمان بالنجوم، وكان من إيمانهم بالنجوم الإيمان بالأنواء، فكانوا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا .وكانت فيهم الطيرة (بكسر ففتح) وهي التشاؤم بالشيء، وأصله أنهم كانوا يأتون الطير

أو الظبي فينفرونه، فإن أخذ ذات اليمين مضوا إلى ما قصدوا، وعدوه حسناً، وإن أخذ ذات الشمال انتهوا عن ذلك وتشاءموا، وكانوا يتشاءمون كذلك إن عرض الطير أو الحيوان في طريقهم ويقرب من هذا تعليقهم كعب الأرنب، والتشاؤم ببعض الأيام والشهور والحيوانات والدور والنساء والاعتقاد بالعدوى والهامة، فكانوا يعتقدون أن المقتول لا يسكن جأشه ما لم يؤخذ بثأره، وتصير روحه هامة أي بومة تطير في الفلوات وتقول صدى صدى أو اسقوني اسقوني، فإذا أخذ بثأره سكن واستراح.وكان أهل الجاهلية على ذلك وفيهم بقايا من دين إبراهيم ولم يتركوه كله، مثل تعظيم البيت والطواف به، والحج، والعمرة، والوقوف بعرفة، والمزدلفة وإهداء البدن، نعم ابتدعوا في ذلك بدعاً .منها أن قريشاً كانوا يقولون نحن بنو إبراهيم وأهل الأمثال الحرم، وولاة البيت وقاطنو مكة، وليس لأحد من العرب مثل حقنا ومنزلتنا وكانوا يسمون أنفسهم الحمس فلا ينبغي لنا أن نخرج من الحرم إلى الحل، فكانوا لا يقفون بعرفة، ولا يفيضون منها، وإنما كانوا يفيضون من المزدلفة وفيهم أنزل﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ ومنها أنهم قالوا: لا ينبغي للحمس أن يقطوا الأقط ولا يسلئوا السمن، وهم حرم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدم ما داموا حرماً .ومنها أنهم قالوا: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤوا به من الحل إلى الحرم إذا جاؤوا حجاجاً أو عماراً .ومنها أنهم أمروا أهل الحل أن لا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس فإن لم يجدوا شيئاً فكان الرجال يطوفون عراة، وكانت المرأة تضع ثيابها كلها إلا درعاً مفرجا ثم تطوف فيه وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وأنزل الله في ذلك: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِد ﴾ فإن تكرم أحد من الرجل والمرأة فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها بعد الطواف ولا ينتفع بها هؤلاء ولا أحد غيره.ومنها أنهم كانوا لا يأتون بيوتهم من أبوابها في حال الإحرام بل كانوا ينقبون في ظهور البيوت نقباً يدخلون ويخرجون منه وكانوا يحسبون ذلك الجفاء براً وقد منعه القرآن ( قال )

وكانت هذه الديانة ديانة الشرك وعبادة الأوثان، والاعتقاد بالوهميات والخرافيات ديانة معظم

العرب، وقد وجدت اليهودية، والمسيحية، والمجوسية والصابئية سبيلاً للدخول في ربوع العرب. ولليهود دوران على الأقل مثلوه ما في جزيرة العرب ( الدورالأول ) هجرتهم في عهد الفتوح البابلية والأشورية في فلسطين، فقد نشأ عن الضغط على اليهود، وعن تخريب بلادهم وتدمير هيكلهم على يد الملك بختنصر سنة 587ق. م وسبي أكثرهم إلى بابل أن قسماً منهم هجر البلاد الفلسطينية إلى الحجاز، وتوطن في ربوعها الشمالية ( الدور الثاني ) يبدأ من احتلال الرومان لفلسطين بقيادة (بتطس الروماني) سنة 70م فقد نشأ عن ضغط الرومان على اليهود، وعن تخريب الهيكل وتدميره أن قبائل عديدة من اليهود رحلت إلى الحجاز، واستقرت في يثرب وخيبر وتيماء، وأنشأت فيها القرى والآطام والقلاع، وانتشرت الديانة اليهودية بين قسم من العرب عن طريق هؤلاء المهاجرين، وأصبح لها شأن يذكر في الحوادث السياسية التي سبقت ظهور الإسلام، والتي حدثت في صدره. وحينما جاء الإسلام كانت القبائل اليهودية المشهورة هي خيبر والنضير والمصطلق وقريظة وقينقاع، وذكر السمهودي في وفاء الوفا أن عدد القبائل اليهودية يزيد على عشرين. ودخلت اليهودية في اليمن من قبل تبان أسعد أبي كرب، فإنه ذهب مقاتلاً إلى يثرب واعتنق هناك اليهودية وجاء بحبرين من بني قريظة إلى اليمن، فأخذت اليهودية إلى التوسع والانتشار فيها، ولما ولي اليمن بعده ابنه يوسف ذو نواس هجم على المسيحيين من أهل نجران ودعاهم إلى اعتناق اليهودية، فلما أبوا خدَّ لهم الأخدود وأحرقهم بالنار، ولم يفرق بين الرجل والمرأة والأطفال الصغار والشيوخ الكبار، ويقال إن عدد المقتولين ما بين عشرين ألف إلى أربعين ألف، وقع ذلك في أكتوبر سنة 523م وقد أورد القرآن جزءاً هذه القصة في سورة البروج. أما الديانة النصرانية فقد جاءت إلى بلاد العرب عن طريق احتلال الحبشة والرومان، وكان أول احتلال الحبشة لليمن سنة 340م واستمر إلى سنة 378م وفي ذلك الزمان دخل التبشير النصراني في ربوع اليمن، وبالقرب من هذا الزمان دخل رجل زاهد مستجاب الدعوات وصاحب كرامات – وكان يسمى فيميون – إلى نجران، ودعاهم إلى الدين المسيحي، ورأى أهل نجران من أمارات صدقه وصدق دينه ما لبوا لأجله النصرانية واعتنقوها. ولما احتلت الأحباش اليمن كرد فعل لما أتاه ذو نواس

وتمكن أبرهة من حكومتها أخذ ينشر الديانة النصرانية بأوفر نشاط وأوسع نطاقٍ، حتى بلغ من نشاطه أنه بنى كعبة باليمن، وأراد أن يصرف حج العرب إليها ويهدم بيت الله الذي بمكة، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى. وقد اعتنق النصرانية العرب الغساسنة وقبائل تغلب وطيء وغيرهما لمجاورة الرومان، بل قد اعتنقها بعض ملوك الحيرة. أما المجوسية فكان معظمها في العرب الذين كانوا بجوار الفرس، فكانت في عراق العرب وفي البحرين و الأحساء وهجر وما جاورها من منطقة سواحل الخليج العربي، ودان لها رجال من اليمن في زمن الاحتلال الفارسي. أما الصابئية فقد دلت الحفريات والتنقيبات في بلاد العراق وغيرها أنها كانت ديانة قوم إبراهيم الكلدانيين، وقد دان بها كثير من أهل الشام، وأهل اليمن في غابر الزمان، وبعد تتابع الديانات الجديدة من اليهودية والنصرانية تضعضع بنيان الصابئية وخمد نشاطها، ولكن لم يزل في الناس بقايا من أهل هذه الديانة مختلطين مع المجوس أو مجاورين لهم في عراق العرب وعلى شواطىء الخليج العربي.

## ما امتازت به منطقة العرب

العرب اكرمهم الله جل علاه بأغنى منطقة ( بحرا وجوا وبرا ومناخا ) وكيف لا وهي ارض الرسالات ولقدامتاز العرب قبل الاسلام عن شعوب الدنيا باخلاق ونعوت لم يتمتع بها غيرهم ولم يدانهم فيها سِواهم (مع ما كان فيهم من أحوال مشينة ذكرناها ) فقد كانوا ذوي فصاحة وبيان وبلاغة ولسَن مشهورين بالحرية والانفة والشجاعة والبسالة ومضرب الا مثال في الكرم والبذل وحماية الذمار والجوار والمحافظة على المقدسات المعتقدة لديهم .

ولما جاءالاسلام قوَّم ماكانواعليه و زادهم هداية ونورا وهنا تحضرني أبيات قالها الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس[36] ونصها:

| | |
|---|---|
| المجـــد لله ثـــم المجـــد للعـــرب | مـن أنجبوا لبني الإنسان خير نبي |
| ونـــشروا ملـــة في النـــاس عادلـــة | لاظلم فيها على دين ولا حسب |
| وبـــذلوا العلـــم مجانـــا لطالبـــه | فنـال رغبـاه ذو فقـر وذو نـشب |

[36] يراجع كتاب مجالس التذكير والمنتخب لحنا الفاخوري وكتاب التربية للمعهد التربوي

وحـرروا العقـل مـن جهـل ومـن وهـم    وحرروا الدين من غش ومن كذب
وحـرروا النـاس مـن رق الملـوك ومـن    رق القداسـة باسـم الـدين والكتـب
قـــومي همـــو وبنـــو الإنـــسان كلـــهم    عـشيرتي وهـدى الإسـلام مطلـبي
أدعـو إلى الله لاأدعـو إلى أحـــــــــــد    وفي رضى الله ما نرجو من الرغب

الحياة العربية الثقافية قبل الإسلام

كان العرب قبل الإسـلام أمـة أميـة، لا تعرف القراءة والكتابة إلا فى نطـاق ضيق، ولم يكن الذين يعرفونها فى «مكة» مثلاً يزيدون على عشرين شخصًا، ومع ذلك فإنهم امتلكوا قدرًا لا بأس به من المعرفة،واتصلوا بالعالم الخارجى من خلال رحلاتهم التجارية، فعرفوا الثقافة الفارسية عن طريق إمارة «الحيرة» العربية، والثقافة اليونانية عن طريق الإمارات العربية فى «الشام» . واكتسب العرب أيضًا قدرًا كبيرًا من المعارف العلمية بالخبرة والتجربة وبدافع الحاجة كالمعلومات الفلكية والجغرافية دفعهم إلى معرفتها تنقلاتهم الكثيرة، وارتحالهم من مكان إلى آخر، وحاجتهم إلى معرفة مواسم نزول الأمطار وهبوب الرياح.وتفوق العرب على غيرهم من الأمم فى مجال «علم الأنساب»، وذلك لاعتزازهم بانتسابهم إلى قبائلهم، وبلغ من شدة اهتمامهم بعلم الأنساب أن اعتنوا بأنساب الخيل غير مكتفين بأنساب البشر.أما الميدان الثقافى الذى برع فيه العرب فهو البلاغة والفصاحة فالعربى كان فصيحًا بطبعه، بليغًا بفطرته، ودليل ذلك فهمهم للقرآن الكريم، الذى نزل بلغتهم وهو ذروة البلاغة والفصاحة.وبرع العرب فى ميدان الشعر براعة واضحة، فهو ديوان حياتهم وشعراؤهم يُعدُّون بالمئات، والشعر العربى إلى جانب كونه لوناراقيًا من ألوان الأدب يُعدُّ بعد القرآن الكريم مصدرًا من مصادر معرفة الحياة العربية بكل خصائصها ومظاهرها .وكما تفوّق العرب فى الشعر تفوقوا فى الخطابة، وكانوا يقيمون الأسواق الأدبية التى تشبه مهرجانات المسابقات الأدبية فى الوقت الحاضر، ومن أشهر تلك الأسواق سوق «عكاظ»، وكانت تعقد فيهالجان للتحكيم بين الشعراء والخطباء، والقصيدة أو الخطبة التى يفوز صاحبها يتناقلها الناس ويحفظونها،

ويشيدون بقائلها، ومن القصائدالرائعة ما كان يعلق فى «الكعبة»، وهى التى عرفت باسم «المعلقات»، مثل معلقة «امرئ القيس» و«زهير بن أبى سلمى».

*

## الكتاب السادس
## في بيان نبذة من الأدب العربي
## ويتضمن تبيين معنى الأدب العربي ومراحله و إدراج نصوص منه

### الفصل الأول
### في
### نبذة من الأدب العربي

–

### الأدَب

هنا لزاما علي الإشارة إلى الأدب[37] ككل والأدب العربي على وجه الخصوص. وكلمة الأدَب اختلف مدلولها باختلاف العصور: ففي العصر الجاهليّ والإسلامي: كانت كلمة «أدب» تعني التهذيب الخُلقي كقول الرسول صلى الله عليه وسلم «أدّبني ربيّ فأحسن تأديبي» وفي العصر الأمويّ أخذت معنى إضافياً جديدا وهو: التعليم ف «المؤدّبون» في هذا العصر هم المعلمون الذين كانوا يعلّمون أولاد الخلفاء والوزراء الشعر والخطب وأخبار العرب وأيّامهم وأنسابهم وفي العصر العبّاسي كان الأدب يعني التهذيب أو التعليم أو التهذيب والتعليم معاً كما هو الحال في (الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفّع أو كل المعارف غير الدينيّة التي ترقى بالإنسان اجتماعيا وثقافياً كما هو موجود في (رسائل إخوان الصفاء) أوهوالأخذ من كل علم بطرف قال بن خلدون (الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف) أوهوأدب السلوك الذي يجب أن يُراعَى عند طبقة من الناس كما هو في: أدب الكاتب لابن قتيبة وفي العصر الحديث: أخذت لفظة الأدب مدلولين إضافيّين جديدين وهما (1) معنى عام ويشمل كل ما كتب سواء أكان علماً أم فلسفة أم أدباً خالصاً (2) معنى خاص، ويعني

[37] يراجع في هذا البحث تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان وجواهر الأدب للهاشمي وموسوعة المفاهيم للشركة المصرية والعقدالفريدللامام ابن عبدربه

الأدب الخالص الجميل الذي يراد به التأثير في عواطف القارىء والسامع معاً كما هو معروف في صناعتي الشعر والنثر الأدبي (قالوا) وأقْدَم النّصوص الّتي وَصَلَتنا من الأدَب العربيّ يَرْقى تاريخها الى المرحلة الّتي يُطلق عليها اسْم الجاهليّة الثّانية وهي مرحلة تبدأ عام 450 بعد الميلاد وتنتهي عام 610 بعد الميلاد أي عنْد ظهور الدّعْوة الاسْلاميّة وبذلك يكون الأدب العربيّ قد مضى على مولده أكْثر من خمسة عَشَر قرناً وما يزال الى الآن حَيّا ناشطاً معبّراً عن خواطر العرب وآمالهم وعواطفهم ومعارفهم وعلومهم خير تَعْبير مكوّناً في امْتداد عهْده وقابليّته للبقاء ظاهرة غريبة لا مَثيل لها في أيّ لُغة اخرى ثم انتقل الأدَب العَربيّ في أطوار كثيرة مُتأثّراً بالعوامل السّياسيّة والاجْتماعيّة والفكْريّة وصَبّتْ فيه روافد شتّى فأغْنته كما كان له فعْله البليغ في الاداب الّتي عاصَرَته أو جاورته فأخذ منها وأعطاها بسخاء وتنوّعتْ أساليبه بتنوّع رجاله وتفاوت الأعْصر والأذواق وصُنّفت فيه الكُتب على اخْتلاف مَضامينها حتّى بلغت الاثار المكتوبة بالعربيّة عشرات الالوف منها دواوينُ الشّعْر وكُتُبٌ في السّيرة والتّاريخ والجغرافية والرّواية والحكاية والرّحْلة والفلسفة والعلْم والقواعد والمَقالة والدّين وغيرها من الفنون التي تتناول معارف الانسان وخواطره.

## اللغة العربية

لغة العرب نوعان: الاولى العربية الحميرية وهي التي تكلم بها من كانوا في عهد هود عليه السلام ومن كان قبلهم وبقي بعضها متداولا الى وقت قريب من نزول الوحي. الثانية العربية المحضه التي نزل بها القرءان واول من انطق لسانه بها سيدنا اسماعيل عليه السلام قال فضيلة الشيخ عطية صقر: يقول مؤلفو كتاب " الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه: إن اللغة العربية من أغنى اللغات كلمًا وأعرقها قدمًا وأخلدها أثرا، وأعذبها منطقا، وأسلسها أسلوبا، وأغزرها مادة. ولها من عوامل النمو ودواعى البقاء والرقى ما قلما يتهيأ لغيرها، وذلك لما فيها من اختلاف طرق الوضع والدلالة، وغلبة اطراد التصريف والاشتقاق، وتنوع المجاز والكناية وتعدد المترادفات، إلى النحت والقلب والإبدال والتعريب، ولما تشرفت به من ورود القرآن الكريم والسنة النبوية بلسانها. ولقريش عظيم الأثر فيما نجم عن اجتماع العرب فى مشاعر الحج والأسواق بتهذيب لغتهم أنفسهم، لأخذهم من لغات القبائل الوافده عليهم ما خف على اللسان وحسن فى السمع، حتى تهيأت لنزول القرآن الكريم بها واللغة

العربية حية وستظل حية لا تموت لأنها لغة القرآن الكريم ولغة عبادة لله يجدها المؤمن ضرورية لفهم كلام اللّه وكلام رسوله ، ولأداء العبادة التى لا تغنى عنها ترجمة مهما كانت الدقة فيها ، ولأنها مناط الشرف عند الإبداع فى الخطابة أو الشعر . وقد شهد بعظمها كثير من المنصفين الأجانب مثل "إرنست رينان " فى كتابه "تاريخ اللغات السامية" حيث يقول : من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القوية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى ، عند أمة من الرُحَّل تلك اللغة التى فاقت أخوتها بكثره مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ، ومن يوم أن علمت ظهرت لنا فى حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى إنها لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة . وإلى جانب فضل اللغة العربية فى فهم القرآن والسنة وإتقان العبادة لها فضل كبير فى توحيد الأمة الإسلامية ، التى دخل فيها الفارسى والحبشى والرومى ونسوا لغتهم الأصلية ، وروى الحافظ ابن عساكر أن رجلا عاب على غير العرب مناصرة محمد العربى يريد أن يصرفهم عنه لاختلاف أجناسهم ولغاتهم ، فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وخطب فى المسجد "يا أيها الناس إن الرب واحد ، والأب واحد . وإن الدين واحد . وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى " ( قال ) وهناك حملات مسعورة قديما وحديثا لصرف الناس عن الإسلام بشبهات واهية من جهة العقيدة أو الشريعة أو شخص الرسول أو غير ذلك . ومن هذه الحملات تشجيع اللغات المحلية لكل جماعة بحجة سهولة التعامل بها وصعوبة فهم القرآن وصعوبة تلاوته وقراءته ، وللمحافظة على التاريخ والتراث لكل بلد أو جماعة . والهدف الحقيقى من وراء كل ذلك هو هجر اللغة العربية ، وبالتالى الجهل بتعاليم الدين ، ثم ضعف الشعور الجماعى ووحدة المسلمين ، ثم تفرقهم وتباعدهم ، ثم ضعفهم التام ، وسهولة السيطرة عليهم . ونسى هؤلاء المغرضون ومن ينخدعون بهم أن الحكماء يسعون الآن لجمع الناس على لغة واحدة لتيسير التفاهم وتبادل المنافع مثل "الإسبرانتو" التى اقترحها الطبيب البولونى "لودفيج زامنهوف " والإسلام جاء بلغة واحدة لكل المسلمين ، ولو كانت للمسلمين قوة فى تاريخهم الطويل لسادت اللغة العربية فى كل مكان يوجد فيه إسلام لأنها أحسن اللغات ، والبقاء دائما للاصلح ( فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ) إن اللغة العربية بمقوماتها وبقبولها

للتطعيم بألفاظ من اللغات الأخرى يمكن أن تساير كل عصر وتتمشى مع كل حضارة ، فهى البحر الذى يكمن فى أحشائه الدر كما يقول شاعر النيل . لقد تصدى لهذه الدعوة للعامية والمحليات بعض الغيورين على الدين وعلى العروبة . وبينوا ما فى كتب المحدثين من سموم حين يعالجون مستقبل الثقافة ويضعون مناهج للتعليم والتأليف الذى لا يلتزم قواعد اللغة العربية ، ووجدت برامج تدرس فى بعض الكليات والمعاهد بعناوين مثل : دراسات لغوية حديثة ، والتطور اللغوى العربى فى العصر الحديث ، واللهجات العربية الحديثة ، والأدب الشعبى ، والمذاهب الكبرى فى الآداب الأوروبية ، ومدارس القصة ، وتطور الفكر الإسلامى فى العصر الحديث . وناقش الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية سنة 1958 م على صفحات مجلة الأزهر هذه الأفكار بموضوعية ودقة وبيَن ما فيها من أثر على اللغة العربية والعروبة والدين وذكر حملة صاحب ( مستقبل الثقافة فى مصر ) على الأزهر وعلماء الدين ، لاهتمامهم البالغ باللغة العربية ودعوته إلى حرية تعلمها وتعليمها والتصرف فيها دون رقابة أو تحكم وذم الدكتور دعوة أحد المناهضين للعربية فى المؤتمر الأول لمجامع اللغة العربية بدمشق إلى تأليف معاجم محلية لا يثبت فيها إلا ما بقى من اللهجات العربية حيًّا فى عامية كل إقليم ، ودعا اخر إلى إعادة النظر فى تبويب النحو وتدوينه من جديد . وذكر الدكتور من تزعّم الدعوه من رجال التعليم إلى تأليف كتب القراءة الجديدة " شرجلا " وما جاء فيها من ألفاظ سوقية عامية من المجلة المذكورة وأن نتيجة ذلك عدم استقامة اللسان باللغة العربية أو صعوبة التزام القواعد النحوية وشيوع الكلمات السوقية ، وتعدى ذلك إلى عدم الالتزام بالأوزان الشعرية ذات الوقع الموسيقى المؤثر على العواطف والأذواق . إن مما يؤسف له أن بعض من يسمون أنفسهم عصريين متمدينين يحاولون أن يظهروا عصريتهم بتطعيم كلامهم بكلمات أجنبية ، كدليل على معايشتهم للعصر وتفاعلهم مع الظروف وانفتاحهم على العالم كله " مرسى ، برافو ، شور ، داكور ، اكسيلانس ، مستر " أو يكتبون عناوين محلاتهم بلغة أجنبية مثل : سوبر ماركت ، رستوران وكل ذلك غزو للغة العربية من أبنائها الذين كان المفروض فيهم أن يتعصبوا للغتهم الشرقية الدينية . إن من سياسة الاستعمار فرض نظامه وثقافته ولغته على المستعمرات ، ونتيجة لذلك رأينا بعض البلاد الإسلامية التى كانت تروج فيها اللغة العربية أصبحت اللغة الأجنبية هى الرسمية أو الشائعة فى التخاطب والمراسلات

والتأليف ، وما زال لها أثر واضح حتى بعد زوال الاستعمار شكلا وحكما وفى ذلك تذويب للشخصية العربية والإسلامية . ويجرنا ذلك إلى الحديث عن تعريب العلوم أو دراستها باللغة العربية كالطب والهندسة ، وهناك نداءات تميل إلى ذلك ، حفاظا على اللغة ، وقامت بعض الدول العربية بالاستجابة لهذا النداء ، وإن كانت فيه صعوبة فى الدراسة والترجمة . ولا مانع فى هذا المجال من استعمال الأسلوب الأجنبى مع الأسلوب العربى ، وليست هذه دعوة إلى هجر اللغات الأجنبية ، فإن تعلمها لازم وبخاصة فى هذه الأيام التى تشابكت فيها المصالح وسهلت المواصلات . وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة يهود ليعرف ما فى كتبهم التى يرسلونها إليه . فتعلم اللغات مشروع ، ولكن مع المحافظة على اللغة العربية لغة القرآن والدين ومن المؤكد أن حفظ القرآن الكريم – فى الصغر بالذات – أكبر مساعد على رسوخ اللغة العربية وتعودها واستقامة اللسان بها . هذا ، وتعلم اللغة العربية واجب على كل مسلم بالإجماع ، كما قرره الإمام الشافعى فى رسالته ، وهو الذى جرى عليه العمل ، حتى كثر الأعاجم وقل العلم وغلب الجهل ، فصاروا يكتفون من لغة الدين بما فرضه الله فى العباده والذكر . أما حكم تعلم اللغات الأجنبية فهو الجواز، وقد يصل إلى حد الوجوب عند الحاجة إليه ، وهو داخل فى عموم الأمر بطلب العلم ومدح العلماء ، والنصوص الكثيرة الواردة لم تحدد نوعا معينا من العلم ، بل وسّعت ميدانه ومما يدل على ذلك قوله تعالى فى سورة فاطر ( إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ) بعد ذكر نزول الماء من السماء ونمو النباتات واختلاف طبقات الأرض ومكونات الجبال واختلاف المخلوقات الحية من الإنسان والحيوان ، مما يدعو إلى الإيمان بالله وحسن استخدام كنوز الأرض شكرًا لله وتحقيقاً للخلافة ، حتى العلم الذى يظن أنه شر لا بأس بتعلمه لاتقاء شره كما قيل .

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وتعلم اللغات الأجنبية فيه خير لا شك فى ذلك ، فمن تعلم لغة قوم أمن من مكرهم ، حيث تتمكن من الاطلاع على ما كتبوا لنفيد من خيره ونتقى شره ونرد عليه واليهود كانوا يسبون الرسول صلى الله عليه وسلم بعبارة يدل ظاهرها على أنها خير مثل "راعنا" فهى فى لغتهم تعنى الرعونة، كانوا ينادون بها الرسول ، والمسلمون يقلدونهم فيها دون علم بما يقصدون منها ، ظانين أنها كما فى لغة العرب تدل

على الرعاية. قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا ) وكان ابن عباس رضى الله عنهما يترجم بين يدى الرسول عند قدوم الوفود بلهجاتهم المختلفة ويقال : إن الذين حملوا كتب النبى صلى الله عليه وسلم بدعوة الملوك كانوا يعرفون لغاتهم . وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم لغة يهود ، لأن كتبًا تأتى منهم تحتاج إلى من يترجمها له كما سبقت الإشارة إليه روى البخارى تعليقا والبغوى وأبو يعلى موصولا عن زيد بن ثابت الأنصارى قال : أتى بى إلى النبى صلى الله عليه وسلم مقدمه فقيل : هذا غلام من بنى النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة فقرأت عليه فأعجبه ذلك فقال "تعلم كتاب يهود ، فإنى لا آمنهم على كتابى" فتعلمت ، فما مضى لى نصف شهر حتى حذقته ، فكنت أكتب له إليهم ، وإذا كتبوا إليه قرأت له . فتعلم اللغات الاجنبية مشروع ويجب أن يكون فى الوطن من يتقنونها كلها ، حتى لا يعيش المجتمع فى عزلة عن العالم . ( اقول ) وللعلم أن اللغة العربية كما هو معلوم هي احدى اللغات السامية الحية وهي التي قال بلسان حالها شاعر النيل حافظ ابراهيم[38] :

| | |
|---|---|
| رجعت لنفسي فاتهمت حَصاتي | وناديت قومي فاحتسبت حياتي |
| رموني بعقم في الشباب وليتني | عقمت فلم اجزع لقول عداتي |
| ولدت ولما لم أجد لعرائسي | رجالا واكفاء وأدت بناتي |
| وسعت كتاب الله لفظا وغاية | وما ضقت عن آي به وعظاتي |
| فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة | وتنسيق اسماء لمخترعات |
| انا البحر في احشائه الدر كامن | فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي |
| فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني | ومنكم وان عز الدواء إساتي |
| فلا تكلوني للزمان فإنني | أخاف عليكم أن تحين وفاتي |
| أرى لرجال الغرب عزا ومنعة | وكم عز أقوام بعز لغات |
| اتوا اهلهم بالمعجزات تفننا | فياليتكم تأتون بالكلمات |
| ايطربكم من جانب الغرب ناعب | ينادي بوأدي في ربيع حياتي |

[38] يراجع ديوان حافظ إبراهيم المصري

ولو تزجرون الطير يوما علمتم | بما تحته من عثرة وشتات
سقى الله في بطن الجزيرة اعظما | يعز عليها ان تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته | لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت اهل الغرب والشرق مطرق | حياءً بتلك الاعظم النخرات
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا | من القبر يدنيني بغير أناة
وأسمعُ للكُتّاب في مصر ضجّةً | فأعلمُ أنّ الصّائحين نُعاتي
أيهجرني قومي عفا الله عنهمو | الى لغة لم تتصل برواتي
سَرَتْ لُوثَةُ الافرنج فيها كما سَرَى | لعابُ الأفاعي في مَسيل فُرات
فجاءَتْ كثوب ضَمَّ سَبعين رُقعَةً | مُشَكَّلَةَ الألوان مُختَلِفَاتِ
إلى مَعشَر الكُتّاب والجَمعُ حافلٌ | بَسَطتُ رَجائي بعدَ بَسطَ شَكاتي
فإمّا حَياةٌ تبعَثُ المَيتَ في البِلَى | وتُنبِتُ في تلك الرُّمُوس رُفاتي
وإمّا مَماتٌ لا قيامَةَ بَعدَهُ | مَماتٌ لَعَمري لم يُقَسْ بمَماتِ

## اصل اللغات

اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتُها وقصورُها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات،وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة. والملكاتُ لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال: أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة. فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك

يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم .
وهنا أهيب بكل قارئ لكتابي هذا ان يخرج الى بادية مناطق الجلفة والأغواط وغيرهما للسماع من ذويها وتعلم الفصاحة والتعبير والارتجال منهم كما كان عرب قريش يفعلون .

## اللسانية

اللسانية[39] اصطلاح معاصر وهو علم اللغة . التي هي صفة للأحرف التي تُنطق بواسطة طرف اللسان واللغة أي اللّسان langage language هي «ظاهرة بسيكولوجيّة اجتماعيّة، ثقافيّة، مكتَسبَة، لا صفة بيولوجيّة ملازمة للفرد ، تتألّف من مجموعة رموز صوتيّة لغويّة، اكتَسَبت عن طريق الاختبار معاني مقرّرة في الذهن، وبهذا النظام الرمزّي الصوتيّ، تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل واللسان هو أحد أعضاء النطق الأساسيّة . يعتمد علماء اللسانيّة في تصنيف الأصوات الكلامية على تدخله في عملية اللفظ بكامله أو بجزء منه فقط .

## لسان العرب

لسان العرب وكلامهم على فنين : ( 1 ) فن الشعر وهو الكلام الموزون المقفى، ومعناه : الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد ، وهو القافية . ( 2 ) وفن النثر وهو الكلام غير الموزون . وكل واحد من الفنين: يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام . فأما الشعر : فمنه المدح والهجاء ، والرثاء . وأما النثر فمنه : السجع : الذي يؤتى به قطعا ، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة . ومنه : المرسل : وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا ، ولا يقطّع أجزاء ، بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في : الخطب ، والدعاء ، وترغيب الجمهور ، وترهيبهم .

## تقسيم عصور الأدب

أصْطَلح الباحثون في الأدب العَرَبي على قِسْمَة مَرْحلة نشَاط الأدب الى أعْصر زَمنيّة هي : الأدب الجاهليّ وأدَب صَدْر الاسْلام والأدب الاَمويّ والأدَب العَبّاسيّ والأدَب الأنْدلسيّ وأدَب عَصْر

[39] يراجع معجم الرائد لمسعود

الانْحطاط وأَدَب النّهْضة بما فيه الأدبُ الحديث ومَيّزوا كلّ واحد منها بخصائص تَفَرّد بها عمّا سَبَقه أو لَحق به وبمَنْ شُهِرَ من رجاله وبالتّيّارات النّاشطة فيه .

( قالوا ) وهناك مناهج للآدب خاصة منها : أدب الرحلة وهو نوع أدبيّ يقوم على وصف الأديب لما شاهده في رحلاته من عمران وأحداث وأشخاص وعادات وتقاليد وغيرها . وأدب الرواية :وهو الذي يروي الآثار الأدبيّة العربيّة نظماً ونثراً ومنه كتاب «الكامل» للمبرّد . والأدب السياسيّ المثاليّ وهو الأدب الذي يتناول السياسة بهدف وضع نظام سياسيّ مثاليّ للمجتمع نحو كتاب «الجمهوريّة» لأفلاطون وكتاب «المدينة الفاضلة» للفارابي والأدب العام وهو مصطلح ابتدعه الأستاذ الفرنسي للأدب المقارن ليميّز به دراسة تيّارات الفكر والذوق المشتركة بين عدة شعوب في زمن واحد أو أزمنة مختلفة من دراسة العلاقات الثنائية بين أديبين أو أدبين في بلدين مختلفين كما هو معروف في الأدب المقارن . والأدب العمّالي وهو نوع من الأدب ظهر في أوروبا في العقد الثاني من هذا القرن أهم مميّزاته محاولته التعبير عن مشاكل الطبقة العاملة نتيجة الصراع المستمر بين العمل ورأس المال من جهة وبين الإنسان والالة من جهة أخرى وثورته على مدرستي الواقعيّة والطبيعيّة المنتشرتين انذاك . والأدب القصَصيّ وهو أدب الروايات والحكايات والقصص المختلفة المكتوبة نثراً سواءً أكانت حقيقيّة أم خياليّة . وأدب المجانين وهو نوع من الأدب أزدهر في أوروبا بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر يصف مغامرات أبطال بُله أو مجانين وغايته التسلية والوعظ من أهم نماذجه «سفينة المجانين» للكاتب الألماني سبستيان براندً (1457 . 1521م) والأدب المقارن وهو «دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخيّة بغيره من الاداب وكيف اتصل هذا الأدب بذاك الأدب وكيف أثّر كل منهما في الاخر وماذا أخذ هذا الأدب وماذا أعطى » وأدب الهُروب وهو نوع من الأدب غايته نقل القارىء من العالم الواقعيّ إلى عالم خياليّ كي ينسى هموم حياته .

( قالوا ) والأدب الذي ينتشر اليوم في العالم الواسع هو غير متوقّف عند حدود اللغات فهو جزء من تراث الإنسانيّة ومنه أدب هوميروس الشاعر اليوناني ودانتي الشاعر الإيطالي وجبران خليل جبران الأديب اللبناني وشكسبير الشاعر الإنكليزي

( فائدة ) قال الامام القنوجي في كتابه أبجد العلوم مانصه : أما علم الأدب فعلم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً ، أو كتابة، وههنا بحثان . الأول : أن كلام العرب بظاهره لا يتناول القرآن وبعلم الأدب يحترز عن خلله أيضاً إلا أن يقال المراد بكلام العرب بتكلم العرب على أسلوبه . الثاني : أن السيد رحمه الله تعالى قال : لعلم الأدب أصول وفروع . أما الأصول فالبحث فيها إما عن المفردات من حيث جواهرها وموادها وهيئاتها فعلم اللغة ، أو من حيث صورها وهيئاتها فقط كعلم الصرف ، ومن حيث انتساب بعضها ببعض الأصالة والفرعية كعلم الاشتقاق، وأما عن المركبات على الإطلاق . فأما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية كعلم النحو . وأما باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى كعلم المعاني . وأما باعتبار كيفية تلك الإفادة في مراتب الوضوح كعلم البيان، وعلم البديع ذيل لعلمي المعاني والبيان داخل تحتهما ، وليس علماً برأسه، وأما عن المركبات الموزونة فأما من حيث وزنها كعلم العروض . أو من حيث أواخرها كعلم القوافي . وأما الفروع : فالبحث فيها إما أن يتعلق بنقوش الكتابة كعلم الخط ، أو يختص بالمنظوم كالعلم المسمى بقرض الشعر ، أو بالنثر كعلم الإنشاء من الرسائل، أو من الخطب ولا يختص بشيء كعلم المحاضرات، ومنه التواريخ . قال الحفيد : هذا منظور فيه وأورد النظر بثمانية أوجه حاصلها أنه يدخل بعض العلوم في المقسم دون الأقسام ويخرج بعضها منه مع أنه مذكور فيه، وإن جعل التاريخ واللغة علماً مدوناً لمشكل إذ ليسا بمسائل كلية، وجواب الأخير مذكور فيه ويمكن الجواب عن الجميع أيضاً بعد التأمل الصادق . وفي ((إرشاد القاصد)) للشيخ شمس الدين الأكفاني السخاوي: الأدب وهو علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة وموضوعه: اللفظ والخط من جهة دلالتها على المعاني . ومنفعته : إظهار ما في نفس الإنسان من المقاصد وإيصاله إلى شخص آخر من النوع الإنساني حاضراً كان أو غائباً ، وهو حلية اللسان والبنان، وبه تميز ظاهر الإنسان على سائر أنواع الحيوان ( قالوا ) وتنحصر مقاصد الأدب العربي في عشرة علوم وهي: علم اللغة، وعلم التصريف، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم العروض وعلم القوافي، وعلم النحو، وعلم قوانين الكتابة وعلم قوانين القراءة ، وذلك لأن نظره إما في اللفظ أو الخط . والأول: فإما في اللفظ المفرد أو المركب أو ما يعمهما . وما نظره في المفرد: فاعتماده إما على السماع وهو اللغة، أو على الحجة وهو

التصريف. وما نظره في المركب: فإما مطلقاً أو مختصاً بوزن. والأول: إن تعلق بخواص تراكيب الكلام وأحكامه الإسنادية فعلم المعاني، وإلا فعلم البيان. والمختص بالوزن: فنظره إما في الصورة، أو في المادة. الثاني: علم البديع. والأول: إن كان بمجرد الوزن فهو علم العروض، وإلا فعلم القوافي، وما يعم المفرد والمركب فهو علم النحو. والثاني: فإن تعلق بصور الحروف فهو علم قوانين الكتابة. وإن تعلق بالعلامات فعلم قوانين القراءة، (قال) وهذه العلوم لا تختص بالعربية بل توجد في سائر لغات الأمم الفاضلة من اليونان وغيرهم. واعلم أن هذه العلوم في العربية لم تؤخذ عن العرب قاطبة بل عن الفصحاء البلغاء منهم، وهم الذين لم يخالطوا غيرهم، كهذيل، وكنانة . وتميم، وقيس، وغيلان، ومن يضاهيهم من عرب الحجاز، وأوساط نجد فأما الذين أصابوا العجم في الأطراف فلم تعتبر لغاتهم وأحوالها في أصول هذه العلوم، وهؤلاء كحمير، وهمدان، وخولان، والأزد، لمقاربتهم الحبشة والزنج وطي، وغسان، لمخالطتهم الروم، والشام، وعبد القيس، لمجاورتهم أهل الجزيرة، وفارس، ثم أتى ذوو العقول السليمة والأذهان المستقيمة ورتبوا أصولها، وهذبوا فصولها، حتى تقررت على غاية لا يمكن المزيد عليها قال ابن جني: المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ. قال ابن رشيق: ما ذكره صحيح لأن المعاني اتسعت باتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض، فإنهم حضروا الحواضر، وتفننوا في المطاعم والملابس، وعرفوا بالعيان ما دلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه وغيره .

## الأدب الإسلامى

الأدب الإسلامى قسم من الأدب العربى ، ويقابله الأدب الجاهلى . ويبدأ الأدب الجاهلى باستقلال عرب الشمال (العدنانيين) عن عرب الجنوب (اليمنيين) فى منتصف القرن الخامس الميلادى وينتهى بظهور الإسلام سنة 622 م. ويبدأ الأدب الإسلامى بظهور الإسلام إلى الآن ، وقد قسّمه علماء تاريخ الأدب بحسب الزمن ، وأطلقوا على كل حقبة زمانية عصرًا على الوجه الأتى كما سبق أن ذكرت ف :(أولا) عصر صدر الإسلام ويشمل:عصر النبوة والخلفاء الراشدين ودولة بنى أمية حتى سقوطها عام 132هـ. (ثانيا) العصر العباسى ، ويبدأ بقيام دولتهم عام 132هـ إلى سقوط بغداد على أيدى التتار عام 656هـ. ( ثالثا ) العصر المملوكى ، ويبدأ من سقوط بغداد ثم ينتهى

بظهور النهضة الحديثة سنة 1230هـ . ( رابعا ) العصر الحديث ، ويبدأ بحكم محمد على لمصر ، وما يزال إلى الآن .

( قال ) وثمة ضوابط أخرى تميز بين الأدب الإسلامى قد تأثر فى صورته ومعناه بمبادئ الإسلام وقيمه وتحرر من الأعراف والتقاليد والموضوعات والأغراض التى خضع لها الأدب الجاهلى شعرا ونثرًا فعفّت ألفاظه وسمت معانيه ، واستهدف نصرة الحق الذى جاء به الإسلام ودعا إلى الفضائل والأخلاق الكريمة وسار مع الدعوة الإسلامية حيث سارت . وقد بدأ هذا التحول على أيدى شعراء الدعوة الإسلامية فى المدينة المنورة بعد الهجرة الكبرى إليها ، أمثال: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن زهير . ومع قيام الصحوة الاسلامية المعاصرة برز معنى جديد لمصطلح الأدب الاسلامى وهو حصر مفهومه فى كل نتاج فنى ، التزم بتوجيهات الإسلام شكلا ومضمونا وناصر قضاياه ، فخمريات أبى نواس وغزله بالمذكر تعد من الأدب الإسلامى حسب التقسيم الزمنى أما فى ظل المفهوم الجديد فخارجة عنه ، كما تخرج بعض أعمال الأدباء المعاصرين أمثال: نازك الملائكة فى بعض قصائدها ، وعبد الرحمن البياتى وأودونيس ، وبعض كتابات نجيب محفوظ ، وإحسان عبد القدوس وغيرهم . بيد أن هذا المفهوم لم يستقر حتى الآن(خامسا ) رغم اهتمامات بعض الجامعات الإسلامية بهذا النوع من الأدب الإسلامى . والأدب الإسلامى فى المفهوم العام المعاصر لا يمنع من عدّ الأعمال الأدبية التى تعالج مشكلات الخير والشر أدبا إسلاميا شريطة أن تكون النهاية هى انتصار الخير ، وألا يهتم فيها بالمغالاة فى وصف الشر بالبطولة أو الامتداد الزمنى داخل العمل الأدبى نفسه ، لئلا يترك تأثيرا قويا فى طباع المتلقى وبخاصة النشء .

## تقسيم أدبي لا إسلامي

هذا التقسيم الوارد في الأدب ونصوصه خاص بالأدب كتراث أما الإسلام فلا ينبغي ولا يجوز أن يقسم هذا التقسيم ولا غيره مما يدعيه الغربيون ومن حذا حذوهم . إذ الإسلام مجموعة واحدة صالحة لكل زمان ومكان كما أنه ليس تراثا بل هو دين منزل . وسيأتي بيان بعض مضموناته ومحتوياته في الفصول الآتية بعدُ .

بالإضافة إلى ما ورد وما سيرد في هذا الكتاب فإني هنا وبمناسبة ذكر الأدب العربي سأُورد عشرة أعمال من الأدب العربي لها تعلق بموضوع هذا الكتاب وهي خطبة وقصتان ومقامة وتقريظ وحكايات ثلاث وقصيدتان . الخطبة لقُس بن ساعدة الإيادي الجاهلي . والقصتان قصة البردين وقصة مارية . والمقامة المقامة السمرقندية التي لايوجد فيها حرف منقوط . والتقريظ تقريظ الحموي والحكايات الثلاث هي حكاية الأعمش وحكاية الجارية والمأمون وحكاية هند والحجاج والقصيدتان هما قصيدة زهير بن أبي سُلمى وهي من العصر الجاهلي وقصيدة الأستاذ أحمد الهاشمي المصري وهي من العصر الحديث وقد كنا نسمع ذلك كثيرا في مجالس أدبائنا ومشايخنا بالجلفة :

## خطبة قُس بن ساعدة

خطب قس بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ فقال : أيها الناس اسمعوا . وعوا . من عاش مات . ومن مات فات . وكل ما هو آت آت . ليل داج . ونهار ساج . وسماء ذات أبراج . ونجوم تزهر . وبحار تزخر . وجبال مرساة . وأرض مدحاة . وأنهار مجراة . إن في السماء لخبرا . وإن في الأرض لعبرا . ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون . أرضوا فأقاموا . أم تركوا فناموا . يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه . إن لله دينا هو أرضى له . وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه . إنكم لتأتون من الأمر منكرا .
ويروى أن قسا أنشأ بعد ذلك يقول :

في الذاهبين الأولين من القــــرون لنا بصــائر لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر .

## قصة البردين

يحكي أن الوفود اجتمعت عند محرق فأخرج من لباسه بردين وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فائتزر بواحدة وارتدى بالأخرى فقال له محرق أنت أعز العرب قبيلة فقال نعم لأن العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب فمن

أنكر ذلك فليناظرني فسكت الناس فقيل له هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك فقال أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها أنا في نفسي وشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الأرض وقال من أزالها من مكانها فله مائة من الإبل فلم يقم إليه أحد فخرج بالبردين وضرب المثل بعزه وببرديه .

قصة مارية

مارية ابنة ظالم بن وهب الكندي زوج الحرث الأكبر الغساني ملك العرب بالشام وهي أم الحرث الأصغر وأمها هند الهنود وكان في قرطيها درتان عجيبتان كبيضتي الحمام ولم ير مثلهما توارثتهما الملوك إلى أن وصلتا إلى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها بعمر بن عبد العزيز فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة قال لها إن أحببت المقام عندي فضعي القرطين والحلي في بيت مال المسلمين فأجابته إلى سؤاله فلما مات وولي يزيد بن عبد الملك أرسل إليها يقول لها خذي القرطين والحلى فقالت لا والله ما أوافقه في حال حياته وأخالفه بعد وفاته .

المقامة السمرقندية التي لايوجد فيها حرف معجَم عدا حرف التاء

الحمد لله الممدوح الأسماء . المحمود الآلاء . الواسع العطاء . المدعو لحسم اللأواء . مالك الأمم ومصور الرمم . وأهل السماح والكرم . ومهلك عاد وإرم . أدرك كل سر علمه . ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله . وهد كل مارد حوله . أحمده حمد موحد مسلم . وأدعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا إله إلا هو الواحد الصمد . لا والد له ولا ولد . أرسل محمدا للإسلام ممهدا . وللملة موطدا ولأدلة الرسل مؤكدا . وللأسود والأحمر مسددا . وصل الأرحام . وعلم الأحكام . ووسم الحلال والحرام . ورسم الإحلال والإحرام . كرم الله محله . وكمل الصلاة والسلام له . ورحم آله الكرماء وأهله الرحماء . ما همر ركام . وهدر حمام . وسرح سوام . وسطا حسام . اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء . واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء . واردعوا أهواءكم ردع الأعداء . وأعدوا للرحلة إعداد السعداء . وادرعوا حلل الورع . وداووا علل الطمع . وسووا أود العمل . وعاصوا وساوس الأمل . وصوروا لأوهامكم حؤول الأحوال . وحلول الأهوال . ومساورة الأعمال . ومصارمة المال والآل . وادكروا الحمام وسرعة مصرعه . والرمس وهول مطلعه . واللحد ووحدة مودعه . والملك

وروعة سؤاله ومطلعه . والحوا الدهر ولؤم كرهه . وسوء محاله ومكره . كم طمس معلما . وأمر مطعما . وطحطح عرمرما . ودمر ملكا مكرما . همه سك المسامع . وسح المدامع . وإكداء المطامع وإرداء المسمع والسامع . عم حكمه الملوك والرعاع . والمسود والمطاع . والمحسود والحساد والأساود والآساد . ما مول الآمال . وعكس الآمال . وكلم الأوصال . ألهمكم الله أحمد الإلهام ورداكم رداء الإكرام . وأحلكم دار السلام . وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام . وهو أسمح الكرام . والسلام (قلت) رحم الله أبا القاسم الحريري أتى في عاطل هذه الخطبة بالسهل الممتنع ولكن ألجأته ضرورة العاطل في مواضع إلى الإتيان بألفاظ تفتقر إلى الحل

## تقريظ الامام الحموي الذي لايوجد فيه حرف معجم عدا حرف التاء

قال الامام الحموي أوقفني رجل من طلبة العلم بحلب المحروسة يقال له الشيخ بدر الدين بن محمد بن الضعيف سنة أربع عشرة وثمانمائة على رسالة مشتملة على حكم ومواعظ على طريق الفقهاء لا على طريق الأدباء وسألني الكتابة عليها فامتنعت من ذلك فتوصل إلى أن رسم لي مولانا المقر الأشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية روح الله روحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه أن أكتب له على رسالته العاطلة تقريظا عاطلا من النقط فقلت هذا النوع من المستحيلات فإن الخطب والوعظيات ثمرات ألفاظها دانية القطوف وأما التقريظ فالتوصل إلى تحصيل ألفاظه العاطلة غير ممكن لأن كف المتناول من ذلك صفر والطريق مخوف فلم يحصل عن المرسوم رجوع وعلمت أن الصرف إلى غير الامتثال ممنوع فكتبت هذا التقريظ الذي ما سبقني ناثر إليه ولا حام طائر فكره عليه وهو (طالع المملوك رسالة محمد وسلم . وأحكم السمع والطاعة لكلامها المحكم . والله ما سمعها عالم إلا وهام ولا ردع سحرها الحلال مسلما إلا كره الحرام . وعاد عاملا وأعد للصلاح حواصله . وصار له مع الله معامله . ما أحلى ما كرر عاطلها المحلى . وأهلا لسهولة مسلكها وسهلا . ما لولد ساعة سعد أحكامها . ولا أهل العصر سكر إلا ما أدار كأس مدامها . ولا لعمارة عامر صرحها ورهطه . ولا للصر در كلؤلؤها وسمطه . ولا لولد مطروح مع طرحها المحرر مطارحه . ولا صار لولادة رسالة مسموعة ولا لسرحها آرام سارحه . ولا مسارح الماء الحلو لملحها إلا كالآل . وما عامر ما أسه المعمار

إلا أطلال . وما المطاعم الحلوة معها إلا مالحه . وما صوادح الكلام الصادح إلا حول دوحها صادحه وما لطعم الراح مع حلاوة وردها راحه . ولا لسلسل الورد معها طلاوة ولو كلل الطل أدواحه . ولا لسلوك الدر در سلوكها . ولا للمسوك العاطرة عطر مسوكها . ولم لا ومحكمها حرسه الله صار ملكا ولحكمه أحكام . وكلام الملوك ملوك الكلام . لا إله إلا الله ما أسرار ولد آدم إلا حكمه . وما كلام الحكماء وما أحكموه إلا حرمه . وما أمة رسول الملك العلام إلا سادة الأمم . وما سماه صدورهم إلا مطالع أهل الحكم . أطال الله عمره وما ملها سامع . وأطلع هلال دالها وسعد السعود لها طالع وحصل للعالم لما هل هلالها سرور . وأكرموا محلها وأحلوها الصدور . أحكامها عمدة لأمة محمد . وما أعادها السامع إلا صار العود أحمد . سلسلوا دورها . لسمع كساه درها . وهو عاطل كل حله لا سماع إلا لها . لا كلام لسواها . كرره كرره الله . وع ما حكاه ولد همام . أو رواه واسمع مسامرة همام . صعد طور الحكم . وساعده الله وحسم . كل كلامه مادة العواطل . وسلسل لطروسه وسطوره سلاسل . الدور ودور السلاسل . ولو سمعها ملك العواطل . أمال رؤوس رماحه . وكل حد سلاحه . وسع معالم العلم ومعاهده صدره . وأدر لأهل الموارد الحلوة ولله دره . ما للكمال أصول سطوره الكاملة . ولا ورد مع رسول كرسالة محمد مراسله . رحم الله امرأ أطاع أوامر حكمها وسمع مرسوم رسمها . ودارس ما أحكمه . ممهدها وأملاه أمد الله عمره . والحمد لله .

## حكاية الإمام الأعمش

عن اسماعيل بن زياد قال نشزت على الأعمش امرأته وكان يأتيه رجل يقال له أبو البلاد فصيح يتكلم بالعربية يطلب منه الحديث فقال له يا أبا البلاد إن امرأتي قد نشزت علي وغمتني فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم فدخل إليها وقال إن أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن إبطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الأعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه .

## الجارية والمأمون

يحكى عن ابي عبد الله النميري أنه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر إذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل

فأشرف على نهرماء من الفرات فإذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كانها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا ابت أدرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أي العرب أنت قالت أنا من بني كلاب قال وما الذي حملك أن تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وإنما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أي الناس أنت فقال أو عندك علم بالأنساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أي مضر قال من اكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا وممن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كناية قالت فمن أي كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أي قريش قال من أجملها ذكرا وأعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت أنت والله من بني هاشم قال أنا من بني هاشم قالت من أي هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه فعند ذلك قبلت الأرض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لأتزوجن بهذه الجارية لأنها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وانفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسرورا وهي والدة ولده العباس والله أعلم .

## هند والحجاج

حكي أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فأنفذ إليها يخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه إلى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم إن الحجاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة وتقول :

وما هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحللها بغل

فإن ولدت فحلا فلله درها ... وإن ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ إليها عبد الله ابن طاهر وأنفذ لها معه مائتي الف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر أنّا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل إليها يخطبها فأرسلت إليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الإناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب إليها يقول إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن بالتراب فاغسلي الإناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت إليه بعد الثناء عليه يا امير المؤمنين والله لا أحل العقد إلا بشرط فإن قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملي من المعرة إلى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وانفذ إلى الحجاج (قلت) قال أحد الحكماء :

عَجِبْتُ لتطويح النوى من نُحِبُّهُ      وتَدْنو بمن لا يُستَلَذّ له قُرْب

----

قصيدة زهير بن أبي سُلمى

وهي من المعلقات يقول فيها :

أمِنْ أُمّ أوْفَى دِمْنَةٌ لمْ تَكَلّمِ      بحَوْمانَةِ الدّرّاجِ فالمُتَثَلّمِ
وَدارٌ لها بالرّقْمَتَين كأنّهَا      مَرَاجيعُ وَشْمٍ في نَوَاشِرِ مِعصَمِ
بها العِينُ والأرْآمُ يَمشِينَ خِلْفَةً      وَأطلاؤها يَنهَضْنَ مِن كلّ مَجْثَمِ
وَقَفْتُ بها مِنْ بَعدِ عِشرينَ حِجّةً      فلأيًا عَرَفْتُ الدّارَ بَعدَ تَوَهّمِ
أثافِيَّ سُفْعًا في مُعَرَّسِ مِرْجَلِ      وَنُؤْيًا كَجِذْمِ الحَوْضِ لمْ يَتَثَلّمِ
فلمّا عرَفتُ الدّارَ قُلتُ لرَبْعِهَا      ألا انعَمْ صَبَاحًا أيّها الرّبْعُ واسلَمِ
تَبَصّرْ خَليلي ! هل تَرَى من ظَعائِنٍ      تَحَمّلْنَ بالعَلياءِ مِن فَوْقِ جُرْثُمِ

جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وحَزْنَهُ ... وكَمْ بالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ ومُحْرِمِ

عَلَوْنَ بأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وكِلَّةٍ ... وِرَادٍ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةِ الدَّمِ

وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُونَ مَتْنَهُ ... عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ المُتَنَعِّمِ

بَكَرْنَ بُكُورًا واسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ ... فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَاليَدِ لِلفَمِ

وفِيهِنَّ مَلْهًى لِلَّطِيفِ ومَنْظَرٌ ... أَنِيقٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ

كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ... نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ

فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقًا جِمَامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ

ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ ... عَلَى كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيبٍ ومُفْأَمِ

فأَقْسَمْتُ بِالبَيْتِ الذِي طَافَ حَوْلَهُ ... رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ

يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ ومُبْرَمِ

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانُوا ودَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ

وقَدْ قُلْتُمَا: إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعًا ... بِمَالٍ ومَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ

فأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ ومَأْثَمِ

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيتُمَا ومَنْ ... يَسْتَبِحْ كَنْزًا مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ

تُعَفَّى الكُلُومُ بِالمِئِينَ فأَصْبَحَتْ ... يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً ... ولَمْ يُهَرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْءَ مِحْجَمِ

فأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمُ مِنْ تِلادِكُمْ ... مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمِ

أَلا أَبْلِغِ الأَحْلافَ عَنِّي رِسَالَةً ... وذُبْيَانَ: هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ

فَلا تَكْتُمُنَّ اللَّهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ لِيَخْفَى ... ومَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ ... لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

ومَا الحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وذُقْتُمُ ... ومَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... وتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا ... كِشَافًا ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

وتَلْقَحْ فَتُنْتِجْ لكم غلمانَ أشأمَ كلُّهُمْ ... كأحمرِ عادٍ ثمّ تُرْضِعْ فتَفْطِمِ

فتُغْلِلْ لكمْ ما لا تُغِلّ لأهْلها ... قُرًى بالعراقِ منْ قفيزٍ ودرْهَمِ

لَعَمْري لَنِعْمَ الحَيِّ جَرَّ عَلَيهمُ ... بما لا يُؤاتيهمْ حُصَيْنُ بنُ ضَمْضَمِ

وكانَ طَوَى كَشْحاً على مُسْتَكِنّةٍ ... فلا هُوَ أبْداها ولَمْ يَتَقَدَّمِ

وقالَ: سأقْضي حاجَتي ثمّ أتّقي ... عَدُوّي بألفٍ من ورائيَ مُلْجَمِ

فَشَدّ فلَمْ يُفْزِعْ بُيوتاً كثيرةً ... لدى حيثُ ألقَتْ رَحلَها أمُّ قَشْعَمِ

لدى أسَدٍ شاكي السّلاحِ مُقَذَّفٍ ... لهُ لِبَدٌ أظفارُهُ لم تُقَلَّمِ

جَريءٍ متى يُظْلَمْ يُعاقِبْ بظُلمِهِ ... سَريعاً وإلاّ يُبْدَ بالظُّلمِ يَظْلِمِ

رَعَوْا ظِمْأَهُمْ حتى إذا تَمّ أوْرَدوا ... غِماراً تَفَرَّى بالسّلاحِ وبالدّمِ

فقَضَّوْا مَنَايا بَيْنَهُمْ ثمّ أصْدَرُوا ... إلى كَلإٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ

لَعَمْرُكَ ما جَرّتْ عَلَيهِمْ رِماحُهُمْ ... دَمَ ابنِ نَهيكٍ أوْ قَتيلِ المُثَلَّمِ

وَلا شارَكَتْ في المَوْتِ في دَمِ نَوْفَلٍ ... وَلا وَهَبٍ منها وَلا ابنِ المُخَزَّمِ

فكُلاًّ أراهُمْ أصبَحُوا يَعقِلونَهُ ... صَحيحاتِ مالٍ طالِعاتٍ بمَخْرِمِ

لحَيٍّ حِلالٍ يَعصِمُ النّاسَ أمرُهُمْ ... إذا طَرَقَتْ إحْدَى اللّيالي بمُعْظَمِ

كِرامٍ فلا ذو الضِّغنِ يُدرِكُ تَبْلَهُ ... وَلا الجارِمُ الجاني عَلَيهِمْ بمُسْلَمِ

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحَياةِ، ومَن يعِشْ ... ثَمانينَ حَوْلاً لا أبا لكَ يَسْأَمِ

وأعْلَمُ ما في اليَوْمِ والأمْسِ قبْلَهُ ... ولكنّني عَن عِلمِ ما في غَدٍ عَمِ

رأيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِبْ ... تُمِتْهُ ومَن تُخطِئْ يُعمَّرْ فيَهرَمِ

ومَنْ لم يُصانِعْ في أمورٍ كثيرةٍ ... يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويُوطَأْ بمَنْسِمِ

ومَن يجعلِ المعروفَ من دونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ ومَن لا يَتّقِ الشّتمَ يُشْتَمِ

ومَن يَكُ ذا فضلٍ فيَبْخَلْ بفَضْلِهِ ... على قَوْمِهِ يُستَغنَ عنهُ ويُذمَمِ

ومَن يُوفِ لا يُذْمَمْ ومَن يُهْدَ قلبُهُ ... إلى مُطمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ

ومَنْ هابَ أسبابَ المَنايا يَنَلْنَهُ ... وإنْ يَرْقَ أسْبابَ السّماءِ بسُلّمِ

وَمَـنْ يجعَـلِ المَعـرُوفَ في غـيرِ أهلـه | يكُـنْ حَمـدُهُ ذمّـاً عليـه ويَنْـدَمِ
ومَـنْ يَعـصِ أطـرَافَ الزّجـاجِ فإنّـهُ | يُطيـعُ العَـوالي رُكّبَـتْ كـلَّ لهـذمِ
ومَـنْ لمْ يَـذُدْ عَـنْ حَوْضِـه بسلاحه | يُهـدَّمْ ومَـنْ لا يَظلـمِ النّـاسَ يُظلَـمِ
ومَـنْ يَغـتَربْ يحْـسبْ عَـدُوّاً صَـديقَهُ | ومَـنْ لمْ يُكـرّمْ نَفـسَهُ لمْ يُكـرَّمِ
ومَهمـا تكُـنْ عنـدَ امـرِئٍ مـن خليقـة | وإنْ خالَهـا تخفـى علـى النّـاس تُعلَـمِ
وكـائِنْ تـرَى مـن صـامت لَـكَ مُعجِـبٍ | زِيادَتُـهُ أوْ نَقـصُهُ في الـتّكلّمِ
لِـسانُ الفتـى نِـصْفٌ ونِـصْفٌ فُـؤادُهُ | فلَـمْ يَبـقَ إلاّ صُـورَةُ اللّحـمِ والـدّمِ
وإنّ سَـفاهَ الـشّيخِ لا حِلـمَ بَعـدَهُ | وإنّ الفتـى بَعـدَ الـسّفاهة يَحْلُـمِ
سـألنا فـأعطَيتُمْ وعُـدْنا فعُـدْتُمُ | وَمَنْ أكثرَ التّسآلَ يَوْماً سَيُحرَمِ

## قصيدة الأستاذ أحمد الهاشمي المصري

وهي قصيدة طويلة عارض بها لامية الإمام الطغرائي

عليك بالصبر والاخلاص في العمل | ولازم الخير في حل ومرتحل
وجانب الشر واعلم أن صاحبه | لابد يجزاه في سهل وفي جبل
واثبت ثبات الرواسي الشامخات ولا | تركن الى فشل في ساعة الوهل
وكن كرضوى لما يعروك من نوب | ولاتكن جازعا في الحادث الجلل
واصبر على مضض الايام محتملا | ففيه قرع لباب النجح والامل
تان متئدا فيما تروم ولا | تعجل وان خلق الانسان من عجل
لاتطلب العز في دار ولدت بها | فالعز عند رسيم الاينق الذلل
شمر وجد لامر انت طالبه | اذ لاتنال المعالي قط بالكسل
واحذر مساوئ اخلاق تشان بها | واسوا السوء سوء الخلق والبخل
واخفض جناحك للمولى وجد ونل | ما اقبح الكبر والامساك بالرجل
لا تسال النذل واقصد ماجدا حدبا | في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

ولاتجادل جهولا ليس يفهم ما    تقول فالشر كل الشر في الجدل

ولاتكن لنزول الخطب مضطربا    في حادث الدهر ما يغني عن الحيل

الجود احسن ما اوليت من خلق    والعفو انقى لذا الظن وذي الدخل

والحلم ملح فسادَ الامر يصلحه    والبذل خير فعال الماجد البطل

لاتقتحم غمرات البحر مرتكبا    وانت يكفيك منه مصة الوشل

ولاتعاشر سوى حزم أخا ثقة    واربا بنفسك ان ترعى مع الهمل

لاتنخدع لصديق يدعي ملقا    بل حاذر الناس واصحبهم على دخل

لاتامنن احدا واحذر مكائدهم    وظن شرا وكن منهم على وجل

ولا تغرنك الدنيا بزهرتها    فهل سمعت بظل غير منتقل

ان الغنى غني النفس في كرم    بالطبع لا باقتناء الشاء والابل

ان الصنيعة للانذال تفسدهم    كما تضر رياح الورد بالجعل

مرارة النصح تحلو لي مضاضتها    وربما صحت الاجسام بالعلل

دع التكلف لا يجديك منفعة    ليس التكحل في العينين كالكحل

ارى الرعاء رعاء الشاء في ترف    في ارفع العيش بين الخيل والخول

وسادة العصر قد القوا مقالدهم    الى الطغام شرار الناس والسفل

تحكموا في قضايا الناس واحتكموا    وحكموا كل ذي جهل اخي خبل

من كل غر جهول لا يرى رشدا    كباقل مثلا في العي والخطل

تعسا لشر زمان ظل طوع يد اللئام    يسقيهم علا على نهل

القبض والبسط في ايدي ذوي شطط    من كل سكران من خمر الهوى ثمل

تسطو الكلاب على اسد الشرى سفها    والباز الاشهب يخشى صولة الحمل

والقرد يضحك من نمر على هزؤ    والكلب يوعد ليث الغيل بالغيل

نال المرام علوج لا خلاق لهم    فوق المؤمل من شب ومكتهل

املى لهم دهرهم فاستمهلوا ابدا    مرخى لهم من مروع العيش والطول

شر العصور زمان يستمد به ... خب لئيم غدا في الشر كالثمل

لا يعلم الرشد من غي وليس له ... سوى الشرارة في قول وفي عمل

يشكو الطوى كل ذي فضل وذي ارب ... وسوقه الناس في رغد وفي جذل

مالي وللبلدة الحمقاء اسكنها ... مساكنا لذوي اولى حيل

وليس لي ناقة فيها ولا جمل ... وليس لي ثم من ثور ولا حمل

لا يستقيم وفاق لي بمثلهم ... وهل يطابق معوج بمعتدل

قد ذقت وبلوت الحال عندهم ... فما حصلت على صاب ولا عسل

لايفعلون اذا قالوا فقد بعدت ... مسافة الخلف بين القول والعمل

اضحت مواعيد عرقوب لهم مثلا ... وما مواعيدهم الاعلى دخل

اشكو الزمان واهليهم وامقتهم ... اذ سوا افعالهم اوفى على القلل

ساءت سيرتهم حالت طريقتهم ... زاغت بصيرتهم عن اقوم السبل

علم بلا عمل حكم بلا حكم ... ظلم على عجل وعد على مهل

الافك والزور والبهتان عندهم ... والسعي في الارض بالافساد والخلل

الكذب مستحسن والصدق عندهم ... مستهجن من صفات العاجز الوكل

اهنى الطعام لحوم الناس عندهم ... والنم فيما لديهم شربة العسل

نكث العهود سجاياهم ودابهم ... خلف الوعود وذا من اسوا الثقل

يا دهر مالك والاحرار تقهرهم ... تذل على كريم الاصل مقتبل

حتى متى يا زمان السوء تفعل ما ... تشيب فيه النواصي غير محتمل

تؤخر الفاعل المرفوع تخفظه ... مقدما لمفاعيل على البدل

وساقة الجيش قد اضحت مقدمة ... مثل التليل غدا في مؤخر الكفل

فلست احفظ في ذي الدهر من اسف ... اطال ايام عمري ام دنا اجلي

واها لقلبي يوم البين اذ ظعنوا ... فالعين في لجج والقلب في شعل

كيف التصبر من ناري نوى وجوى ... وفي الحشا منك جرح غير مندمل

فقد فقدت الالى ببهجتهم ... نور النواظر في الاحداق والمقل

لم اكتحل بقرار بعد ما ارتحلوا ... ولا ابتغيت لهم في الناس من بدل

لم يبق لي الدهر بعد البين من جلد ... ما استطيع به توديع مرتحل

ولا من الغمض ما اقرى الخيال به ... ولا من الدمع ما ابكي على طلل

قلبي على لهب والجسم في نصب ... والروح في وصب واللب في ذهل

حسبي الغرام حليف والجوى ابدا ... منادما , وسمير غير منفصل

خذها محبرة غيداء غانية ... اتت على عجل كالقابس العجل

جاءت من الهاشمي لا تبتغي مهرا ... من خاطب لبنات النظم في عطل

قلت وعلى ذكر لامية العجم للإمام الطغرائي أذكر أن والدي قد اشترى هذه القصيدة قديما وعليها شرح قيم ولما أدركت وجدتها في خزانته فحفظت منها شطرا كبيرا قلت والقصيدة بنصها الكامل هي :

## لامية العجم

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الخَطَلِ ... وحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى العَطَلِ

مَجْدِي أَخِيرًا ومَجْدِي أَوَّلاً شَرَعٌ ... والشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كالشَّمْسِ في الطَّفَلِ

فِيمَ الإِقَامَةُ بِالزَّوْرَاءِ لا سَكَنِي ... بِهَا وَلا نَاقَتِي فِيهَا ولا جَمَلِي

نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ صِفْرُ الكَفِّ مُنْفَرِدٌ ... كَالنَّصْلِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ عَنِ الخَلَلِ

فَلاَ صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكَى حَزَنِي ... وَلا أَنِيسٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي

طَالَ اغْتِرَابِيَ حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي ... ورَحْلُهَا وقَرَا العَسَّالَةِ الذُّبُلِ

وضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي وعَجَّ لِمَا يَلْقَاهُ ... قَلْبِي وَلَجَّ الرَّكْبُ فِي عَذَلِي

أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا ... عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ لِلْعُلَى قِبَلِي

والدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي ويُقْنِعُنِي ... مِنَ الغَنِيمَةِ بَعْدَ الكَدِّ بالقَفَلِ

وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمْحِ مُعْتَقِلٍ ... بِمِثْلِهِ غَيْرِ هَيَّابٍ وَلا وَكِلِ

حُلْوِ الفُكَاهَةِ مُرِّ الجِدِّ قَدْ مُزِجَتْ ... بِقَسْوَةِ البَأْسِ مِنْهُ رِقَّةُ الغَزَلِ

طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عَنْ وِرْدِ مُقْلَتِهِ ... وَاللَّيْلُ أُغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالمُقَلِ

وَالرَّكْبُ مِيلٌ عَلَى الأَكْوَارِ مِنْ طَرَبٍ ... صَاحٍ وَآخَرَ مِنْ خَمْرِ الكَرَى ثَمِلِ

فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلجُلَّى لِتَنْصُرَنِي ... وَأَنْتَ تَخْذُلُنِي فِي الحَادِثِ الجَلَلِ

تَنَامُ عَيْنِي وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ ... وَتَسْتَحِيلُ وَصِبْغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلِ

فَهَلْ تُعِينُ عَلَى غَيٍّ هَمَمْتُ بِهِ ... وَالغَيُّ يَزْجُرُ أَحْيَانًا عَنِ الفَشَلِ

إِنِّي أُرِيدُ طُرُوقَ الحَيِّ مِنْ إِضَمٍ ... وَقَدْ حَمَتْهُ رُمَاةٌ مِنْ بَنِي ثُعَلِ

يَحْمُونَ بِالبِيضِ وَالسُّمْرِ اللِّدَانِ بِهِ ... سُودَ الغَدَائِرِ حُمْرَ الحَلْيِ وَالحُلَلِ

فَسِرْ بِنَا فِي ذِمَامِ اللَّيْلِ مُهْتَدِيًا ... بِنَفْحَةِ الطِّيبِ تَهْدِينَا إِلَى الحِلَلِ

فَالحِبُّ حَيْثُ العِدَى وَالأُسْدُ رَابِضَةٌ ... حَوْلَ الكِنَاسِ لَهَا غَابٌ مِنَ الأَسَلِ

نَؤُمُّ نَاشِئَةً بِالجِزْعِ قَدْ سُقِيَتْ ... نِصَالُهَا بِمِيَاهِ الغُنْجِ وَالكَحَلِ

قَدْ زَادَ طِيبَ أَحَادِيثِ الكِرَامِ بِهَا ... مَا بِالكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بَخَلِ

تَبِيتُ نَارُ الهَوَى مِنْهُنَّ فِي كَبِدٍ ... حَرَّى وَنَارُ القِرَى مِنْهُمْ عَلَى القُلَلِ

يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبٍّ لَا حَرَاكَ بِهِمْ ... وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الخَيْلِ وَالإِبِلِ

يُشْفَى لَدِيغُ العَوَالِي فِي بُيُوتِهِمُ ... بِنَهْلَةٍ مِنْ غَدِيرِ الخَمْرِ وَالعَسَلِ

لَعَلَّ إِلْمَامَةً بِالجِزْعِ ثَانِيَةً ... يَدِبُّ مِنْهَا نَسِيمُ البُرْءِ فِي عِلَلِي

لَا أَكْرَهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ قَدْ شُفِعَتْ ... بِرَشْفَةٍ مِنْ زُلَالِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ

وَلَا أَهَابُ الصِّفَاحَ البِيضَ تُسْعِدُنِي ... بِاللَّمْحِ مِنْ خَلَلِ الأَسْتَارِ فِي الكِلَلِ

وَلَا أُخِلُّ بِغِزْلَانٍ أُغَازِلُهَا ... وَلَوْ دَهَتْنِي أُسُودُ الغَابِ بِالغِيَلِ

حُبُّ السَّلَامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ عَنِ المَعَالِي ... وَيُغْرِي المَرْءَ بِالكَسَلِ

فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا ... فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الجَوِّ فَاعْتَزِلِ

وَدَعْ غِمَارَ العُلَى لِلمُقْدِمِينَ عَلَى رُكُوبِهَا ... وَاقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بِالبَلَلِ

يَرْضَى الذَّلِيلُ بِخَفْضِ العَيْشِ يَخْفِضُهُ ... وَالعِزُّ عِنْدَ رَسِيمِ الأَيْنُقِ الذُّلُلِ

فَادْرَأْ بِهَا فِي نُحُورِ البِيدِ جَافِلَةً ... مُعَارِضَاتٍ مَثَانِيَ اللُّجْمِ بِالجُدُلِ

إنَّ العُلَى حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَةٌ — فيما تُحَدِّثُ أَنَّ العِزَّ فِي النُّقَلِ
لو أَنَّ في شَرَفِ المأْوَى بُلُوغَ مُنًى — لم تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دارة الحَمَلِ
أَهَبْتُ بالحظِّ لو نادَيْتُ مُستمعا — والحظُّ عَنِّيَ بالجُهَّالِ في شُغُلِ
لَعَلَّهُ إنْ بَدَا فَضْلِي ونَقْصُهُمُ — لِعَيْنِهِ نامَ عنهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لي
أُعَلِّلُ النَّفْسَ بالآمالِ أَرْقُبُها — ما أَضْيَقَ العَيْشَ لولا فُسْحَةُ الأَمَلِ
لم أَرْضَ بالعَيْشِ والأيَّامُ مُقبلةٌ — فكَيْفَ أَرْضى وقد وَلَّتْ على عَجَلِ ؟ !
غالى بنفسي عِرْفاني بقيمتها — فصُنْتُها عن رَخِيصِ القَدْرِ مُبْتَذَلِ
وعادةُ النَّصْلِ أَنْ يَزْهُو بجَوْهَرِه — وليس يَعْمَلُ إلاّ في يَدَيْ بَطَلِ
ما كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بي زَمَنِي — حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الأَوْغادِ والسّفَلِ
تَقَدَّمَتْنِي أُناسٌ كانَ شَوْطُهُمُ — وراءَ خَطْوِيَ إذْ أَمْشي على مَهَلِ
هذا جَزاءُ امرئٍ أَقْرانُهُ دَرَجُوا — من قبلِه فتَمَنَّى فُسحَةَ الأَجَلِ
وإنْ عَلانِيَ مَنْ دُونِي فلا عَجَبٌ — لي أُسْوَةٌ بانْحِطاطِ الشَّمْسِ عن زُحَلِ
فاصبِرْ لها غَيْرَ مُحتالٍ ولا ضَجِرٍ — في حادثِ الدَّهْرِ ما يُغْني عَنِ الحِيَلِ
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بهِ — فحاذِرِ النّاسَ واصْحَبْهُمْ على دَخَلِ
فإنَّما رَجُلُ الدُّنيا وواحِدُها — مَنْ لا يُعَوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ
وحُسْنُ ظَنِّكَ بالأيَّامِ مَعْجِزَةٌ — فظُنَّ شَرًّا وكُنْ منها على وَجَلِ
غاضَ الوَفاءُ وفاضَ الغَدْرُ وانفَرَجَتْ — مَسافةُ الخُلْفِ بَيْنَ القَوْلِ والعَمَلِ
وشانَ صِدْقَكَ بَيْنَ النّاسِ كِذْبُهُمُ — وهَلْ يُطابِقُ مُعْوَجٌّ بمُعْتَدِلِ
إنْ كانَ يَنْجَعُ شَيْءٌ في ثَباتِهِمُ — على العُهُودِ فسَبْقُ السَّيْفِ لِلْعَذَلِ
يا وارِدًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ — أَنْفَقْتَ صَفْوَكَ في أيّامِكَ الأُوَلِ
فيمَ اقْتِحامُكَ لُجَّ البَحْرِ تَرْكَبُهُ — وأَنْتَ تَكْفيكَ منهُ مَصَّةُ الوَشَلِ
مُلْكُ القَناعةِ لا يُخْشَى عليهِ ولا — يُحتاجُ فيهِ إلى الأنصارِ والخَوَلِ
تَرْجُو البَقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ لها — فهَلْ سَمِعْتَ بظِلٍّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ

وَيا خَبيراً على الأسرارِ مُطَّلعاً أُصمُتْ فَفي الصَّمْتِ مَنْجاةٌ مِنَ الزَّلَلِ
قَد رَشَّحوكَ لأَمرٍ إنْ فَطِنْتَ لَهُ فارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرْعَى مَعَ الهَمَلِ

استراحة في السيادة والشّيم

جاء في كتب الأدب قولهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَن رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف أذاه فذلك السيد ) وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم أحدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ما شاتمت رجلا مذ كنت رجلا لأني لم أشاتم الا أحد رجلين إما كريم فأنا أحق أن أجله وإما لئيم فأنا أولى أن أرفع نفسي عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الأحنف بن قيس فقال الحاجب إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم منكم أحد إلا لنفسه فلما وصلوا إليه قال الأحنف لولا عزم أمير المؤمنين لأخبرته أن رادفه ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت الكل بهم حاجة إلى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب وقال رجل للأحنف بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وما ذاك قال تركي من أمرك مالا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك وقيل السيد من يكون للأولياء كالغيث الغادي وعلى الأعداء كالليث العادي وكان سبب ارتفاع عرابة الأوسي وسؤدده أنه قدم من سفر فجمعه والشماخ بن ضرار المزني الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة يا شماخ قال قدمتها لأمتار منها فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشد يقول :

رأيت عــــرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القريــن
إذا مـــا رايــة رفعت بمجــد تلقاها عــــرابة باليميــن

وحكي أن رجلا تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال ابن من أنت قال ابن الأدب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت إليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النســب

إن الفتى من يقـــــول ها أنا ذا     ليس الفتى من يقول كان أبي

## الإستشارة

أختم هذه الفصل بكلمات الإستشارة التي لها تعلق بموضوع كتابنا هذا وهي كما جاء في المستطرف قال : قال أفلاطون إذا استشارك عدوك فجرد لـه النصيحة لأنه بالاستشارة قد خرج عن عداوتك إلى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن بذر في سبخة وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الأحنف لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الأسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد .ولما أراد نوح ابن مريم قاضي مروان أن يزوج ابنته استشار جارا لـه مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنك تستفتيني قال لا بد أن تشير علي قال إن رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدي وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل إذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه وأجهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضي الله تعالى في امره ما يحب وقال بعضهم:خمير الرأي خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره .وقالت الحكماء : لا تشاور معلما .ولا راعي غنم .ولا كثير القعود مع النساء .ولا صاحب حاجة يريد قضاءها .ولا خائفا .ولا حاقنا .وقيل سبعة لا ينبغي لصاحب أن يشاورهم : جاهل .وعدو .وحسود . ومراء .وجبان .وبخيل .وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائي واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي لـه في غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته والله أعلم.

## أرجوزة نظم الأجرومية

بما أن النحو هو المفتاح السحري للقراءة السليمة.والمطالعة القويمة هاهي ذي أرجوزة نظم الآجرُّومية للشيخ ابن ناجي غويني بن المسعود الجلفاوي يقول فيها :

حمدًا لربـــي علَّم الإنسانــا

نحوَ الكلام حـــازه تبـــيانا

الكلام

شرط كُلام النحو لفظٌ رُكبــا

يفيد للسامع معنـــىً معربــا

أقسام الكلام

أقسام ذا ( اسم ثم فعل حــرف

جاء لمعنى )و(للاســم) وصفُ

بالخفض والتنوين أل وحروف الــجر

كمثل: من إلــى وعن وقّــيت الضـــــر

على و في ورب كاف مع لامْ

الواوُ باَ والتاءُ لحلف في الكلامْ

و(الفعل) يُعرب بقد و السـيـنْ

وسوف تا التأنيثَ بالتـــسكينْ

و( الحرف ) لا يفيد ما لم يتصل

بالاسم أو فعل وترَك ما يــدل

## باب الإعراب وعلاماته

للعامل الجديد فزتَ بالسلام … (الإعرابُ) تغيير أواخر الكلام

كجاء زيدُ الفتى بشيري … يكون باللفظِ وبالتقدير

(رفع ونصب ثم خفضه مجزوم ) … أقسامُه أربعة وذا معلوم

ك (خفض) الاسم (جزم ) فعلٍ وقعا … (رفع ونصب ) الاسم والفعل معَا

## باب معرفة علامات الإعراب

(ضم. واو. ألف .النون ) أثبت … للرفع أربع من الادله

( جمع المؤنث ) ( المضارع )النظير … ف (الضم ) في (المفرد)جمع للتكسير

وفي ( أسامي خمسة ) أيا تميم … و (الواو) في ( الجمع المذكر السليم[42])

(فوك ) و(ذو) العلوم أنّت و(حموك) … تقول جاء (أبوك) برّه ( أخوك)

(مضارع بالنون ) أيضا فاعرف … (الاسم المثنى )رفعه بالألف

و( حذف نون ) في الفعال الخمسة[40] … و ( انصب )بفتح ألف .يا .كسرة

(فعل مضارع )مجرد الأخير … ف (الفتح ) في اسم مفرد جمع التكسير

(جمع المؤنث )كذا بـ (الكسرة) … ( ألف ) في نصب ( الاسما الخمسة)

بـ (كسرة ) القرآنُ أخبرا … ( جمع المؤنث السليم ) اشتهرا

مع السلامَة) أيا ذا السمع … و( الياءُ) في نصب (المثنى.الجمع )

و( الياءُ والفتحة) نلت الخبرهْ … (يخفض الاسم بثلاث ) (الكسرهْ

( جمعُ المذكر الكسير[41]) ينصرفْ … ف (الكسر ) في ( اسم مفرد ومنصرفْ

(جمعُ المذكر ) بـ (يا) يا غانم … كذاك (جمعُ للتأنيثً السالم)

و(خفضُ ما لم ينصرف بالفتحةِ) … وفي (المثنى .والاسماء الخمسة)

---

40 – يقصد بقوله ( الفعال الخمسة ) الأفعال الخمسة

41 – يقصد بقوله ( جمع المذكر الكسير ) جمع التكسير.

42 – يقصد بقوله ( الجمع المذكر السليم ) جمع المذكر السالم.ويقصد بقوله ( أسامي خمسة) الاسماء الخمسة.

( يـسكّن الفعـل الـصحيحُ حرفُـه) علامتـا الجـزم (سـكونُ حذفـهُ)
هــذا نظــام مــا مــضى فــصَّلته (معتــل الأفعــالِ أزل علتــهُ)

## باب المُـعْرَبات

فــ (مُعــربُ الكــلام) جــاء عَــدُّهُ ومــاأتى إجمــالا فــاسمع حكمَــهُ
و ( أربــعٌ ) فبــالحروف تكتــبُ فــ (أربــعٌ ) بالحركــات تُعــرب
وجمــعُ تأنيــث .المــضارع )فــادر فـ ( الاسمُ) ( مـفرد . وجمعُ الكسر
و ( النصبُ بالفتح ) و (جرُّ الكسرةَ) فكلّهــا (مرفوعــةٌ بالــضمةَ
فــ (تحـذفُ المعلـولُ ) فـزتَ بالأمـل و ( الجزمُ )بـ( السكون)غيرُ (ما أُعلْ )
بـ (الكسر )فاحفَظه وثقْ بـلا كذبْ و( جمـعُ تأنيـث الـسلامة) نُـصبْ
و( أربــعٌ أُخــرى ) فــشكلهاحرَفْ و ( الفتحُ )في (جر الذي لاَ ينصرفْ )
و( النصبُ) و ( الجرُّ) بـ ( يا) تعربها ( تثنيــةٌ ) بــ ( ألــف) ترفعهــا
و( انصبْ ) و( جُرْ) بـ ( يائه ) تعرفهُ بـ ( الواو )( جمعُه الصحيحُ ) ارفعْهُ
و( النـصبُ بـالإلف ) (جـرُّ اليـاء) و( ارفع ) بـ ( الواو) خمسة الأسماء
( تُحذفُ نصبا) . ( جازما) لاتثبتَ و ( النونُ ) رفعا لـ (الأفعال الخمسةِ)

## باب الأفعال والنواصب والجوازم

( ماض ) ( مضارعٌ ) و ( أمرٌ) فاعتنِ ( ثلاثـة الأفعـال )حـسب الـزمن
مجـزومٌّ.( المـضارع ) ارفـعْ يـستقرَ ( ماضيه ) مفتوح الأخير .و( الأمرْ)
( نواصــبٌ عــشرةٌ ) يافــاهمْ إلى دخــول ناصــب أو جــازمْ
و ( لام كـي ) عنـد النحـاة قاطبـه أولُهـا ( أن لـن إذن كـي ) ناصـبه
جواب ( فا .و.الواو) يُنصبُ ( وأو) ( لام الجحود ) مع ( حتى ) قد رووا
وهــي : ( لم .لمــا . ألم ) .كـن فاهمـه ( ثمــانَ عــشرةً ) أداةً جازمــه

( لامِ الـدعا) و ( لا ) لنـهي الغـير — حـرفُ ( ألمـا ) مـع ( لام الأمـر)
تجـــزمُ فعلـــين كـــذا البقيــــةْ — ( لا) في الدعاوحرفُ ( إن ) شرطيه
( أيُّ. مَتـى. أيـان .أيـن ) لازمـه — و ( ما . ومن. مهم. وإذما) جازمه
في شـعر مـا يُـنظم فـاعتن بـذا — ( أنى . و.حيثما .و.كيفما) ( إذا)

## باب مرفوعات الا سماء

(فاعـلُ .فعلـه .و.نائـب لـه ) — بـابٌ أتـى فيمـا يحـق رفعـه
و ( اسـم لكَـان ) الأخـوات دان — و ( المبتـدا .الخـبرُ.) مرفوعـان
و( تـابعُ المرفـوع ) جـا فاسمعـه — خـبرُ ( إنَّ ) الاخـوات ارفعْـهُ
وذا بإجمـال ومـا يـأتي فـصلُ — وهو: ( نعتُ .العطفُ .توكيدٌ. البدل

## باب الفاعل

وفعلـه مقـدم ملـتزم — ( الفاعـلُ ) الرفـع لـه محتـم
كقـام زيـد للـصلاة باكـرا — وهـو يـأتي ( مـضمرا وظـاهرا)
يقـوم زيـدان وفـازا في امتحـان — يقـوم زيـد ثـم قـام الرجـلان
تقـوم عمـال الـبلاد بالفعـال — يقـوم زيـدون كقامـت الرجـال
وقـام هنـدان بـصالح الأولاد — قامـت سـعاد وتقـوم لـسعـاد
تقـوم أيـضا النـسـاء بالجـهود — تقـوم هنـدات وقامـت الهـنود
قـام غلامـي ويقـوم قـل أبـوك — قـام أخـوك ويقـوم لي أخـوك

## باب نائب الفاعل

والفاعـل المرفـوع محـذوف مقـطوع — و ( مـا ينـوب عـن الفاعـل ) مرفـوع
و ( اكسر) قبيـل آخـر تحـصـّله — ففعلـه الماضـي ( يُـضـم أولـه )

ثم ( افتح العين ) بذلك يقبل (مضارع )بـ ( ضم حرف الأول)
ضرب زيدٌ يُضربُ أي زيد أَقَرْ ( تقسيمه ) لظاهر أو منضمر)
( ضميره عشر كذا اثنان) أُكرمَ عمروٌ .يُكرَمُ العَمْرانِ
و ( خمسة ) المخاطبين يا إمام ( اثنان ) تعبير لصاحب الكلام
فهكذا تحديدُهُم للنائب و ( خمسة ) ضمائر لغائب

## باب المبتدأ والخبر

والخبر أرفع مسندا يا سائل ( مبتدأ) يرفع لا بالعامل
زيدان قائمان يا ذا الطالب تقول زيد قائم بالواجب
رجالنا قيامهم بالمستطاع زيدون قائمون هم بالارتفاع
و ( مضمر) تمثيله يأتي بحق ( مبتدأ قسمان )( ظاهر ) سبق
تمام الاثني عشرة فلتعلما ( أنا ونحن وأنت وأنتما )
و( خبر قسمان ) أنتم سامعون نحو أنا القائم نحن القائمون
و ( غير مفرد) له مراسم فـ ( مفرد الخبر) زيد قائم
و ( الظرف زيدٌعندكم بالاستقرار ماجر بالحرف كزيدٌ في ذي الدار)
و( مبتدأ وخبر )قد أعربوه ( فعل وفاعل) كـ ( زيدٌ قام أبوه)
فهذه أخبارهم محصورةُ ( محمد علومه كثيرةُ)

## باب النواسخ

( ثلاثة )جاءت لنا في الخبر نواسخ للمبتدأ والخبر
ونصبها الخبر خذ ما قيدا ( أولها ) (كان ) لرفع المبتدأ
أضحى وظل ) ثم (بات ) فرحا ( من أخوات كان ) ( أمسى أصبحا
فتئ ما برح ما دام) السما ( ليس و مازال وما انفك وما

كـان يكـون كـن عــلى افــضـال | ومـا تــصرف مــن الأمثـــال
الــربّ تــربح الثــوابَ المرتــضى | أصـبح يـصبح وأصـبح في أرضـا
عمـروٌ ومـسافرٌ وشــبّه يـا سـخي | فكـان زيـد قائــما ولـيس أخـي
و رفعهـا الأخبـار نــلت العلمـا | و ( إن ) تنسخ بنـصـب الاسمـا
( لكـنَ لــيت ولـعل) و (كـأنا) | ( أحرفها) ســتة ( إن. أنّـا )[43]
عمـرًا مـسافـرُ ) ومـا أشـبه البيـت | تقـول ( إن زيـدًا الــقائمُ )( ليت
لكـن شبــه بكــأن لمـسعـاك | أكـد بـإن مـع أن , الاســتدراك
كذلك ( ظن ) تـنسخ أيضا العمل | وللمثنــى ليــت للرجـــا لعــل
( ظننتُ ) مع حـسبت خلـتم ) ذين | فـ ( تنـصب الإسـمين مفـعولين )
( وجدت. اتخـذت ) زد (جــعلت) | ( زعمت ) قل رأيـت مع (علمت)
وخلـتُ عمـرا شاخـصا مـستبقا | ظننــت زيــدا مــسرعا منطــلقا

باب النعت

منــصوبا أو مخفوضـا أو مرفوعــا | ( النعـت ) تـابع أخـــي ( المتبوعـا)
منعوتــه كمــا يقــولِ الواضــع | تعريفـــه تــنكيره يتــــابع
( رأيـت زيـدًا المفـــضل ) الأجـل | كـ ( جـاء زيـدٌ المفـــضلُ) فقـل
المعرفة | والنكرة
يحـدد التـــعريف كالمـستقبل | قـل ( اسـتمع لزيــد المفـضل )
( اسم الجـــلالة ) وبعدها ( الضمير) | معرفــة الأسمــاء خمـسة أمـور
زيـد ومكـــة فحــج واغتــنم | أنـا و أنـت ثـم بــعده ( العلـم)
ما فيه (أل) ( مـضاف ) هذه النقول | ( إشـارة ) هـذا الــذي بـه نقـول
كرجــلِ طفــلِ وجــنِ إنـــسِ | ( نكـرةٌ ) عمّـت جميـع الجــنسِ

[43] – يقصد بقوله ( أنّا ) أنَ – ويقصد بقوله ( كأنا ) كأنَ.

## باب العطف

والعطف من حروفه ( الواو والفاء     وثم أو أم ) حرف ( إما ) بالوفا

و ( بل ولا لكنْ )كذلك حتى     في البعض والحالات فيها شتى

فشكل ما بعد حروف العطف     يتبع ما سبق في ذا الوصف

زيد وعمرو آنفا كل حضر     واستفسرنْ زيدا وعمرا الخبر

عجبت من زيد وعمرو يا فتى     وزيد لم يقم ويقعدْ إن أتى

## باب التوكيد

( توكيدهم ) قد[44] يتبع المؤكدا     في ( رفعه و النصب و الخفض) بدا

كذلك في ( تعريفه) معتمدا     و ( لفظُه )(نفس وعين) أكدا

(كل وأجمع ) توابعُ اجمعا     ( اكتعْ ابتعْ وأبصعْ ) دعا

ك ( قام زيد نفسُه وقد رأيت     القوم كلهم مؤكدا أديت

مررت بالأقوام كل قرا     ثم أجمعين وهلم جرا

## باب البدل

الاسم إن أبدلته من اسم أو     فعل من الفعل فأتبع ما رووا

أعربه مثله وذا ( أربعة )     أي ( بدل الشيء من الشي ) يثبت

كقام أحمد أخوكَ و ( بدل     البعض من كل ) كما يأتي المثل

أكلت ذا الرغيف ثلثه كذا     ( بدل الاشتمال ) يأتي قل بذا

نفعني زيد علومُه ( بدل     خطا ) رأيت زيدا الحصانَ كل

---

[44] قوله ( قد يتبع المؤكدا) أقول قد هنا للتحقيق واليقين وليست للشك كما قد يُتوهم من ظاهر العبارة.إذ لاخلاف أن التأكيد يتبع المؤكد كما يتبع العطف المعطوف عليه.

## باب منصوبات الأسماء

فالأول ( المفعولُ به ) (مصـدرٌ) قـر — وانصب من الأسماء ( خمسة عشر)
( تمييز) ( مستثنى )كما في الاستعمال — ( ظرفُ الزمان و المكان مع الحال)
من أجله )(المفعول معـــه) ذا منقول — واسم ل لا)( الاسم النادى و المفعول
و ( اسـم لأن )الأخــــوات بعـدها — (خـبر كـان ) الأخـــــوات مثلـها
(توكيـد)( البدل )ثـــم (الوصـف) — و(تابع )المنـصوبِ (نعت)( عطف)

## باب المفعول به

وانـصب بفــعل قبلـه فـاعتن بـه — والنـصب واقـع علـى المفعـول بـه
الفــرس.( الـضمائـر) الآن تلـوت — فـ(ظاهر )ضـربتُ زيـدا قـل علـوت
ضـــربني ضربــــا واستفـــسرا — (متـصل الـضمـــائر) اثنـا عـشرا
ضـــربكما ضربهـــــــما غلبـــه — ضـربك أيـضا وقـل أنـت ضـربه
( ضـمائر المنفــصل ) اثنـا عـشرا — ضـــربهم ضـــربهن أمـــــرا
إيــاك قـــــل إياكمـــا اسـتعلما — إيـــاي إيانـــا إيـــاك أكـــــرما
إيــاه إيــــــاها إيــــاهما نعـا — ايــاكمو كــذا إياكـــن دعـــــا
والآن نــأتي بتـــعريف المــصدر — ايــاهمو أيــضـا إيـــاهن اخــبر

## باب المصدر

في صـــرف الأفعـال هنـا ياحـارث — ( المـصدر المنـصوب) فهـو الثالـث
وهو ( لفظي ) أو( معنوي )اخصصا — ضـــربه يـــضربه ضــــربا بالعـــصا
قتلتــه قـــتلا جــــزاء المــــثل — فـ (اللفظي ) ما فيـه حـروف الفعل
وفيـــه معنــــــاه بــــغير شــكله — و( معنـوي ) بـــدون حرفـه فعلـه
فـافهم تـصل واحـرص علـى مـا ثبتـا — كقولـه قمـت وقـــوفا يـا فتـى

## باب ظرف الزمان و المكان

قـدّرْ لـفي الظـــرفية هنـا تُعَـانْ ظـرف الزمـان و المكـان ينـصبان
وسَحَـــرا غـدا لكـَـم ذي خـبره كـاليوم لـــــيلة وغـدوه بكـره
أبــدا الأمـــد حينـــــا واســتمر عتمـة صـباحا المـســا حـضر
قدامـــــه وراء فـــوق تحتــه ( ظـرف المكـان ) كأمــــام خلفـه
هنــا وثـــــم و التـشبيه جــاء وعنـد مـع إزاء خـــذا تلقـاء

## باب الحال

مفــسرا كجــــــاء زيــدٌ راكبــا الحــال نــصـــبه يكـون واجبـا
صـــاحبه معرفــة بـــــلا مــلام (نكـرةً بعــد تمـام للـــــكلام

## باب التمييز

كانـصبّ زيـد عرقـا ذا رشـحات وينـصب التمييـز فـسِّرَ الـذوات
وزيــد أَكـرمُ أبـا بــــلا جـدال ملكـت ذي التـسعين نعجـةً حـلال
وخاتمـــا للجملـــــة) المقـــررة وشـاع في التميــيز ( لفـظ النكـره

## باب الإستثناء وأدواته

( إلا وغـــير وســـوى ) تبــيانيه حـروف الاســـتثناء هـي ( ثمانيـهْ)
واستـــثن نـاصبـــا بــإلا مابــدا ( سـوى سـواء وخـــلا حاشـا عدا)
رووه إلا واحــــدا يـــا ســامي في حالــة الإيجـــاب والتمـام
كـ (مــا أتـى آت إلا الـســلامي) وجهــان في النــــفي مـع التمـامِ
مــا قــــام إلا واحــد يـا كـامل ونـاقص الكـلام حـــسب العامـل

مـا كنـت إلا فــي المكـان يـا عمـر          ومــا أرى إلا سعيــــــدا ينتظــر
ســوى ســواء) فعلـى الجـر احتـوى          وكـل مـستثنى بــ (غــــير وســوى
حاشــا) بنــصــب أو بجـر باقتـدا          ومـا يـؤدى بــ (خــــلا كذا عـدا

## باب لا

فتنــصب الاســــم وترفـع الخـبر          اعلـم بـــأن(لا) فحكمهـا اشـتهر
(لا)علـمَ لي .و( الفصل ) رفعـه مـبين          تباشــر التنــكير مــن غــير تنــوين
(لا) في المكـــان رجـــل ولا صـــبي          وإن تــشأ الرفـع فــــلا ترُتِّــبْ

## باب المنادى

( مــفرد الأعــلام) و(تـنكيرٌ قـصد)          اســم المنــادى خمــسة في المعتمــد
( شـبه المـضاف ) آخـر بـلا خـلاف          ( نكرة من غير قـصد) ( المضاف)
بـــلا تـــنوين الـــضمة الموجــوده          فـــالعلم نـــــكرة المقـــصوده
قـل:( ربنــا اغفـر لي ) ( أعالـما بيـا)          ومــا بـــقي بنـصبه يـــا داعيــا

## باب المفعول لأجله

فاعرفــه واعــــلم حكمــه لتعربــه          كـذلك مفــعول مــن أجلــه انـصبه
وعلــة لفعلــه بــــــلا عجــب          بنـصب الاسـم مع تبيـان الـسبب
و (جئــتك ابتغـاء عرفـك ) اشـتهر          كـ (قـام زيــــد احترامـا لعمـر)

## باب المفعول معه

فتنــصب اســـمه وذهنـك اجمعَـه          وهـــاك إعــــرابا لمفعــول معــه
وذا نهايـــة لنــــــصب الاسمـــا          بــيِّن مَــن أتــــى بفعـل أسمــى

المــاء وأخــشابا لبــئر المرتــوى كجاءنــا الأمــير والجــيش اســتوى
أسمــاء إن والتــوابع احتــذا تقــدمت أخبــار كــان وكــذا

باب مخفوضات الأسماء

( مخفوض مذ منذ و أحرف مضت) مخفـوض الاسـم هـو أقـسام أتـت
مخـالف النـحو كلامـه مرفـوض وبـ ( الإضـافة) و ( تابـع المخفوض)
نحـو غـلام زيـد انـصح الإسـلام ( خفـض المـضاف ) إن تقـدره بـاللام
وذا أتتـها المقـصود إن تـسعَ تفـز و( مـا يقـدر بمـن )كـثوب خـز

الخاتمة

نثـر ابـن آجـروم سـامي الـذكر وقــد ختــمت هــذا النثـر
وأربـع مئـات ألـف مـشتـهر تـاريخ ذا في عامنـا الثـامن عـشر
مـن هجـرة لأحمـد المبـشر مبـدا ذا تـاريخنا الـمقرر
والطـف بنـا ربّ إلى الختـام صـلى عليـه الله بـالدوام
ومائـة ختـامها دَعـاء آمـين أبياتهـا تـسع تـضاف للـسبعين

الكتاب السابع
في بيان الفتواحات الإسلامية والمغرب العربي

ويتضمن ذكر مراحل الفتح الإسلامي للغرب العربي وذكر بعض الدول المتعاقبة على المنطقة

# الفصل الأول

# في

# الفتح الإسلامي والدول القائمة في المغرب العربي

--

## الفتوحات الإسلامية

عندما انتهت حروب الردة كان لا بد من العودة لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في نشر الدعوة الإسلامية وتكملة ما بدأ فيه فبعدما أرسل جيش أسامة بن زيد لحرب الروم تابع الخليفة الأول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ما كان قد بدأ به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وأرسل الجيوش الإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية ومحاربة الدولتين القويتين آنذاك الفرس على الجبهة الشرقية والروم على الجبهة الغربية وتابع هذا الأمر من بعده خليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي توسعت رقعة الفتح في عهده بعد الانتصارات التي حققها المسلمون في كبريات المعارك والتي شكلت المفصل الأساسي لبدء سقوط هاتين الدولتين كمعركة اليرموك وفتح القدس على جبهة الروم ومعركة القادسية وفتح نهاوند على جبهة الفرس وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يتوقف الفتح بل أخذ طابع بسط السلطة الإسلامية في البلاد المفتوحة وإخضاع بعض الذين حاولوا الخروج عن الاتفاقات المعقودة مع المسلمين إضافة إلى بعض الفتوحات على الجبهتين. وفي آخر سنتين من خلافة عثمان وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما توقف الفتح وانشغل الناس بالفتنة التي اندلعت إلى أن استلم الحكم بنو أمية. وعلى ذلك يمكننا تقسيم جبهات الفتح على الشكل التالي:

## فتح الشرق

(قال) أما (فتح بلاد الشام) فبعد أن أنهى الخليفة أبو بكر الصديق حروب الردة بالقضاء عليهم سير جيشاً كبيراً بإتجاه بلاد الشام وكان قد قسمه إلى خمسة أقسام ووضع على رأس كل قسم قائد وهم: 1- يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق. 2- عمرو بن العاص إلى فلسطين. 3- شرحبيل بن حسنة إلى الأردن. 4- أبو عبيدة بن الجراح إلى حمص. 5- عكرمة بن أبي جهل كان مساعدا للجميع. وقد

اجتمعت فرق الجيش الإسلامي تحت إمرة خالد بن الوليد عندما أمره الخليفة أبو بكر بترك العراق والتوجه إلى بلاد الشام ليقود الجيش الإسلامي ضد الروم، فقاده خالد في معركة اليرموك وانتصر على الروم انتصاراً كبيراً وكان ذلك في عام 13 هـ. وبعد وفاة الخليفة أبو بكر وتسلم عمر بن الخطاب كلف أبا عبيدة بن الجراح أمارة الجيش الإسلامي وتابع الجيش الإسلامي زحفه نحو الشمال ففتح دمشق في رجب عام 14 هـ. ثم بعث أبا عبيدة شرحبيل بن حسنة لفتح الأردن وعمرو بن العاص إلى فلسطين وانتقل أبو عبيدة إلى فتح حمص وساعده في ذلك خالد بن الوليد الذي فتح البقاع وبعلبك وساهم في فتح مدينة حمص، ثم انتقل خالد إلى فتح قنسرين وكان يزيد بن أبي سفيان قد أرسل أخاه معاوية بن أبي سفيان لفتح ساحل الشام ففتحها كلها بإذن الله. وسير الخليفة عمر عياض بن غنم من العراق لفتح الجزيرة شمال سوريا ففتحها وأما عمرو بن العاص فكان يحارب الأرطبون في أجنادين بفلسطين وانتصر عليهم ثم انتقل إلى القدس ليحاصرها ولقيه هناك أبو عبيدة بن الجراح، وفتح القدس الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن صالح أهلها وأخرجوا الروم من داخلها وأما فتح العراق وبلاد فارس: فكان الفرس يسيطرون على مناطق واسعة من البلاد العربية المتاضمة لشبه الجزيرة العربية وكانت طيء على رأس القبائل العربية التي دخلت الإسلام وكان على رأسها المثنى بن حارثة الشيباني. فطلب من أبي بكر أن يؤمره على القبائل العربية وأن يناوش الفرس الذين يدعمون بعض القبائل الأخرى فيقومون بالاعتداءات المتكررة على القبائل المسلمة إلى أن تجمع الفرس في جيش كبير وجمعوا معهم بعض القبائل العربية غير المسلمة. فطلب الحارثة من الخليفة أبو بكر المدد، فأرسل له خالد بن الوليد الذي خرج من حروب الردة منتصراً فسيره الخليفة إلى العراق لدعم المثنى وكان ذلك مطلع عام 12 هـ، وكان أول ما فتح في طريقه الحيرة وكان عليها من قبل الفرس «هانيء بن قبيصة الطائي» بعد ذلك التقى خالد بالمثنى فوحد الجيش وانتصر على قائد الفرس «هرمز» وقتله في معركة كبيرة عرفت باسم «ذات السلاسل» لأن بعض صفوف الفرس ربطوا بعضهم بالسلاسل. بعد هذه الهزيمة التي لحقت بالفرس أرسل أردشير جيشاً بقيادة قريانس لمواجهة المسلمين وكانت معركة المذار التي تكبد فيها الفرس خسائر فادحة. كذلك أعاد الفرس جمع فلولهم بقيادة «الأندرزغر» فسار إليهم خالد وهزمهم في معركة الدلجة. ثم في معركة «أليِّسر» ثم انتقل خالد إلى شمال العراق وترك على الحيرة

القعقاع بن عمر، خرج يريد دعم عياض بن غنم ثم تتالت المدن على الإستسلام فكانت الفلوجة وكربلاء ثم نزل الأنبار ثم أخذ دومة الجندل بعدما اختلف أهلها فيما بينهم. ثم جمع جيشه بالحيرة مجدداً وتركها وعليها عياض بن غنم وسار إلى أعداءه في معركة كبيرة وهي معركة الفراض والتي راح ضحيتها مائة ألف مقاتل من الفرس. بعدها رجع خالد إلى الحيرة ومنها إلى الحج وبعد عودته جاء قرار نقله من العراق إلى بلاد الشام لقيادة جيش الإسلام هناك بعدما أظهر عن قدرة باهرة في قيادة الجيش الإسلامي بالعراق وحقق الكثير من الانتصارات للمسلمين. وقد استخلف مكانه المثنى بن حارثة. عند ذلك شعر الفرس بقلة من بقي من جيش المسلمين بالعراق فأرادوا النيل منهم وطردهم من العراق، فأرسل شهريار ملك الفرس جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل فواجههم المثنى مع جيشه وانتصر عليهم انتصاراً باهراً. بعد هذا الانتصار خاف المثنى من الفرس إذ علم أنهم يحشدون للمسلمين لقتالهم. فطلب المدد من مركز القيادة في المدينة، إلا أن المدد قد تأخر، فقد كان المسلمون منشغلون بفتح الشام الأمر الذي جعل المثنى يسير بنفسه إلى المدينة خشية أن يسبقه الفرس. فلما وصل المدينة المنورة وجد أبا بكر في آخر حياته وقد استخلف عمراً من بعده. فلما رأى أبو بكر المثنى قال لعمر: «إذا أنا مت فلا تمسيَّن حتى تندب الناس لحرب أهل العراق مع المثنى، وإذا فتح الله على أمرائنا الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أعلم بحربه». وهذا ما حصل فقد عيَّن عمر على رأس المجاهدين إلى العراق أبا عبيد بن مسعود الثقفي الذي كان أول من لبَّى نداء الجهاد وطلب منه أن يستشر الصحابة الذين معه. وكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح قائد الجيش الإسلامي في الشام عقب اليرموك أن يعيد إلى العراق من كان به من أصحاب خالد فسيَّرهم أبو عبيدة بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص. ثم أرسل عمر مدداً آخر بقيادة جرير بن عبد الله البجلي الذي سار متجهاً نحو الكوفة ففتحها (قلت) وهكذا إلى آخره وراجع التفاصيل والبقية في المطولات.

## فتح الشمال الإفريقي

بما أني أذكر نسبنا الموجود في المغرب العربي وبما أن وطننا الغالي: الجزائر هو جزء لايتجزا من المغرب العربي فلا بد من إشارة إلى فتح هذه المناطق المغاربية وما نشأ فيها قديما من دويلات لنعرف مجرى التاريخ وعليه فأقول جاء في موسوعة التاريخ الإسلامي قولها:

إن المغرب الإسلامي يمثل الجناح الغربى لأقاليم الدولة الإسلامية وقد أسهم منذ اعتناق أبنائه الإسلام فى بناء صرح الحضارة الإسلامية، ويمتد من برقة شرقًا حتى المحيط الأطلسى غربًا ويطل على البحر المتوسط شمالا . وقد استخدم بعض المؤرخين لفظة المغرب بمعناها العام على المنطقة الواقعة غرب مصر والممتدة من برقة حتى المحيط الأطلسى بينما أطلق آخرون لفظة المغرب على أقاليم بعينها ، ولذا قسموا المغرب إلى ثلاثة أقاليم متميزة هى: 1 - المغرب الأدنى ويسمى إفريقية وهو تونس وكانت قاعدته فى صدر الإسلام مدينة القيروان وقد اشتمل هذا الإقليم قديما على عدة مدن منها : «باجة» و«بونة» و«بنزرت» و«قسطيلة» و«صفاقس» و«قفصة» و«تونس» و«سوسة»، وغيرها من المدن . 2- المغرب الأوسط وهو الجزائر ويمتد من «بجاية» إلى «وادى ملوية»، وقاعدته مدينة «تلمسان»، ويشتمل قديما على عدة مدن منها : "مزقنه " و«تنس» و«جيجل» و«القلعة» و«المسيلة» و«طبنة» و«مليلة»، وغيرها من المدن 3 - المغرب الأقصى ويمتد من «وادى ملوية» و«جبال تازا» حتى «المحيط الأطلسى» وقاعدته مدينة «فاس» ثم «مراكش»، ويشتمل قديما على عدة مدن منها : «فاس» و«مكناسة» و«سلا» و«درعة»

(قال ) وكان لمظاهر السطح المغاربي فى طول بلاد المغرب العربي دورٌ ذاأثر فى التاريخ السياسى للمنطقة بما اشتمل عليه من سهول ساحلية، وأودية وجبال وصحراء ممتدة وقد ظهر تأثير هذا فى عملية الفتح الإسلامى للمغرب . إذ استغرق نحو سبعين سنة وينقسم سطح المغرب العربي إلى ثلاث مناطق متميزة وهى:

1 - المنطقة الساحلية: وهى المنطقة المطلة على «البحر المتوسط» و«المحيط الأطلسى» ويفصلها عن الداخل سلسلة «جبال أطلس» التى تمتد من أقصى الغرب متجهة إلى الشرق . وتختلف المنطقة الساحلية ضيقًا واتساعًا تبعًا لاقتراب الجبال من البحر أو بعدها عنه، فقامت تجمعات سكانية فى المناطق الساحلية الواسعة، وساعدتها الظروف الطبيعة والأرض الخصبة والمناخ المعتدل على إقامة زراعة ناجحة، نتج عنها نمو اقتصادى، فأصبحت هذه المناطق

مطمعًا للمستعمرين من «الرومان» و«الوندال» و«البيزنطيين»؛ حيث أقاموا فى هذه المناطق وأسسوا بها المدن والقواعد العسكرية إلى جانب السهل الساحلى توجد منطقة سهول داخلية، تكونت حول مجارى الأنهار التى أسهمت إسهامًا بارزًا فى مدّ السكان بما يلزمهم من المياه، وربطت إقليم الساحل بالمناطق الداخلية؛ ولعل أبرز هذه السهول: سهل «شادية» و«دكالة» بالمغرب الأقصى، وسهل «وادى شلف» بالجزائر، وسهل «وادى مجردة» بتونس.

2 - منطقة الجبال: مثلت منطقة الجبال حاجزًا طبيعيا بين منطقة السهول ومنطقة الصحراء، وقد وصفها «ابن خلدون» بقوله: «بقاصية المغرب من أعظم جبال المعمورة بما أعرق فى الثرى أصلها وذهبت فى السماء فروعها، ومدت فى الجو هياكلها. ومثلت سياجًا على ريف المغرب سطورها. وتبتدئ من ساحل البحر المحيط عند آسفى وما يليها، وتذهب فى المشرق إلى غير نهاية». وتبرز أهمية هذه الجبال فى الدور الذى لعبته فى تاريخ هذه البلاد؛ حيث وقفت سدا منيعًا فى وجه الطامعين من «الفينيقيين» و«الرومان» و«الوندال» وغيرهم. وقد حصرت جبال «أطلس التل» و«الأطلس الصحراوى» هضبة امتلأت بالمراعى، فاستغلها السكان فى تنمية ثرواتهم الحيوانية بالمغرب الأوسط، ويُطلق عليها: «منطقة الشطوط». 3 - منطقة الصحراء: وتنقسم إلى عدة أجزاء، أولها: منطقة «الواحات»، وهى المنطقة التى تلى منطقة الجبال، وتمتد من «مصر» شرقا حتى «وادى درعة» فى جنوب «المغرب الأقصى». وتعود أهمية هذه المنطقة إلى كونها حلقة الاتصال بين الأقاليم المختلفة بالمغرب، كما كانت طريق القوافل والحجاج، لتوفر آبار المياه بها، وتمتعها بالأمن الذى وفرته القبائل المقيمة بهذه المنطقة نظير بعض المال، وقِصَر المسافة التى تقطعها القوافل إذا قيست بطريق الساحل المحفوف بالمخاطر.

وتلى منطقة «القُبلات» منطقة «الواحات» من الناحية الجنوبية وهى آخر العمران فى الصحراء، وتضم: «فزان» فى «ليبيا»، و«بسكرة» فى «الجزائر» و«سجلماسة» فى «المغرب الأقصى» وتمتعت «القبلات» بمركز تجارى بارز حيث كانت ملتقى قوافل التجارة الآتية من الشمال أو من جنوب الصحراء الكبرى. ثم تلت "منطقةُ رمال الصحراء" المعروفة بالعرق منطقة «القبلات» وهى بداية الصحراء الكبرى التى تنعدم فيها الحياة وتتخللها الهضاب المرتفعة

المعروفة باسم: «الحمارات» وقد أُطلق على هذه المنطقة اسم «مناطق الموت» نظرًا إلى انعدام مظاهر الحياة بها .

## سكان المغرب قبل الفتح الإسلامي

عاش بالمغرب قبل الفتح الإسلامى ثلاثة أنماط من السكان، لكل منها سماته ومميزاته وهى

( 1 ) الروم : وهم الطبقة الحاكمة للشريط الساحلى للمغرب إذ لم تمكنهم طبيعة البلاد وصعوبة الحياة بها من التوغل إلى داخلها فضلاعن بغض القبائل لسلطة المستعمرين واستقر بعض هؤلاء الروم هناك واشتغلوا بالتجارة وزرعوا الأرض، إلى جانب عملهم بالإدارة الحكومية .

(2 ) الأفارقة وهم خليط من بقايا الأمم التى احتلت بلاد المغرب من الرومان والوندال وغيرهم وهم ليسوا من البربر ولكنهم انصهروا فى حياتهم الجديدة بمدن المغرب واستقروا بها واختلطوا بالمتحضرين من البربر، ولم تكن تجمعهم بأهالى البلاد إلا الحياة المشتركة، المرتبطة بأسباب المعيشة .

(3 ) البربر: وهم الغالبية العظمى من سكان بلاد المغرب وأصحاب البلاد الأصليون، وقد تصدوا للفتح الإسلامى فى أول الأمر ثم لم يلبثوا أن ساندوه بعد أن اختلطوا بالمسلمين وعرفوا الدعوة الإسلامية ومبادئها السامية، فأقبلوا على الإسلام وآمنوا به وحملوا رايته إلى «الأندلس» مبشرين به ومدافعين عنه .

## حالة المغرب قبل الفتح الإسلامى

تعرض إقليم المغرب قبل الفتح الإسلامى لموجات من الغزو الرومانى والوندالى والبيزنطى، وعاشت المنطقة فى ظل سلطة أجنبية حاولت صبغها بحضارتها وأسلوبها فى الحياة على النحو الآتى:

(1) الحكم الرومانى للمغرب : بدأ أول اتصال بين المغرب والرومان حين استولى الرومان على «إفريقية» فى سنة (146 ق .م)، ثم على «نوميديا» فى سنة (46 ق .م)، واتجه الرومان منذ وطئت أقدامهم هذه البلاد إلى بناء المدن على السواحل وفى الداخل؛ لاتخاذها مراكز وقواعد لإقامة الحاميات الرومانية وحكام الولايات، وقد تضمنت هذه المدن بين جنباتها كثيرًا من المنشآت والمعابد والساحات والملاعب وغيرها ، ويتضح ذلك فى مدينة وليلى التى بناها الرومان على رأس

جبل، وجعلوا لها أبوابًا عالية واسعة، ويبلغ طول سورها نحو ستة أميال، وقد حوت هذه المدينة آثارًا وأنقاضًا كثيرة، ترسم صورة لمعالم الحضارة الرومانية التى كانت قائمة فى تلك المنطقة، وقد حاول الرومان نشر حضارتهم ولغتهم ودياناتهم بين أهل المدن من البربر، وبخاصة الذين كانوا يعملون بمزارعهم وضياعهم، لكنهم لم يجدوا استجابة لمحاولاتهم، ولم تتمكن الحضارة الرومانية من فرض نفسها بصورة واضحة على البربر، خاصة فى الداخل، حيث تضعف السيطرة الرومانية.

(2) الحكم الوندالى للمغرب: خلف الوندال الرومانَ فى احتلال بلاد المغرب سنة (429هـ) ولم يكونوا أهل حضارة بل كانوا شعبًا همجيا، عُرف بوحشيته وقسوته، فاهتم حكامه بفرض الضرائب التى أثقلت كاهل المغربيين وجمعها، فضلا عن ذلك فقد خرَّب القائد الوندالى «جنعديك» القلاع والحصون فى المدن المغربية باستثناء «قرطاجنة» العاصمة، حتى لا يتحصن بها البربر ويشقوا عصا الطاعة على الوندال، ومن ثم لم يُخلف الوندال آثارًا حضارية بالمغرب، وكان حكمهم بمثابة سحابة سوداء جثمت قرنًا من الزمان على أرض المغرب.

(3) الحكم البيزنطى للمغرب حيث قامت الإمبراطورية البيزنطية على أنقاض الإمبراطورية الرومانية فاستعاد البيزنطيون الحكم فى بلاد المغرب فى سنة (533م)، واهتموا بالعمارة وأنشئوا القصور والكنائس والحصون، ذات الطابع البيزنطى، التى تأثر بها المسلمون فى إنشاء مساجدهم، واستخدموا ما تبقى من آثارهم فى تشييد أبنيتهم، ومع ذلك لم تختلف سياسة البيزنطيين عن سابقيهم، ففرضوا الضرائب، وتعسفوا فى جمعها، وانصرفت جهود حكامهم إلى جمع الأموال بكل السبل، فأدى ذلك إلى تخلى المزارعين عن أراضيهم، واضطر التجار إلى إغلاق متاجرهم، واتجه كثير من الناس إلى السلب والنهب، مما أدى إلى قيام العديد من الثورات ضد هذا الظلم. ولقد تركت هذه الأمم بصماتها على حياة البربر، وخاصة فى المدن والمناطق الساحلية، كما تأثر الشعب المغربى بحضاراتهم على مراحل متعاقبة من الزمن. ومما سبق نلمس تركز الإدارة الأجنبية بقواتها فى منطقة الساحل، وحرص هذه الإدارة على الاستفادة بقدر ما تستطيع من خبرات البلاد، ولعل هذا يفسر مدى مقاومة المغاربة للعرب، الذين مكثوا سبعين

سنة فى محاولات دائبة ومستمرة لفتحها، إذ عدُّوهم أجانب مثل غيرهم من الرومان والوندال فقاوموهم كل هذه الفترة مقاومة شديدة.

## مراحل الفتح الإسلامي للمغرب العربي

بعد أن فتحت مصر على يد القائد «عمرو بن العاص» سنة (21هـ/642م)، كان من الطبيعى أن يمتد هذا الفتح تجاه المغرب فى «برقة» و«طرابلس» باعتبارهما الامتداد الجغرافى الطبيعى للمنطقة، وإلى رغبة المسلمين فى تخليص هذه الشعوب من قبضة المستعمرين، وإتاحة الفرصة أمامها لتعرُّف الدين الإسلامى للدخول فيه والإيمان به. وقد مرَّ الفتح الإسلامى لهذه البلاد بعدة مراحل هى:

### المرحلة الأولى مرحلة عمرو بن العاص

المرحلة الأولى وهى مرحلة الاستطلاع وتبدأ من سنة (21هـ/ 642م) إلى سنة (49هـ/ 669م) وتشمل هذه المرحلة جهود ثلاثة من قادة الفتح الإسلامى وهم:

(1) عمرو بن العاص وهو القائد العسكرى الخبير الذى أعلن إسلامه فى العام الثامن الهجرى، وشارك بدور بارز فى النشاط العسكرى للمسلمين فى عهد النبى (صلى الله عليه وسلم)، وعهد «أبى بكر الصديق»، فلما تولى «عمر بن الخطاب» أمور الخلافة أسند إليه بعض المهام العسكرية، ومنها فتح «مصر»، فلما فرغ من ذلك توجه بقواته إلى مدينة «برقة» فاستسلمت للقائد المسلم دون قتال، ووافقت على شروطه ودخل بعض أبنائها فى الإسلام وارتضى بعضها الآخر دفع الجزية مقابل الاحتفاظ بعقيدته وكان أغلب سكان هذه المدينة من قبيلة «لواته» البترية. فلما اطمأن «عمرو» إلى استقرار الأوضاع ببرقة قسّم قواته إلى جزئين، وخرج على رأس أحدهما نحو «طرابلس»، وبعث بالجزء الثانى إلى «زويلة» و«الواحات الداخلية»، حتى لا يكون الفتح مقصورًا على الشريط الساحلى فحسب ولكى يأمن الهجوم عليه من الخلف وقد دل عمرو بن العاص بذلك على براعة عسكرية وخبرة بفنون القيادة ومعرفة بأحوال المنطقة وطبيعتها. كانت «طرابلس» مدينة حصينة ذات أسوار عالية فحاصرها فترة ثم تمكن من فتحها بعد صدام لم يطل مع القوة البيزنطية الموجودة بالمدينة، ولم يمكث «عمرو» طويلا بعد أن تم له فتح

«طرابلس»، وسارع بإرسال جزء من جيشه إلى مدينة «سبرت» لمفاجأتها قبل أن تستعد لملاقاته، وفوجئ أهلها بالمسلمين على أبواب مدينتهم، فسقطت دون عناء. وكان يمكن لعمرو بن العاص أن يمضى فى مسيرته ليفتح إفريقيا، لكنه لم يكن ليفعل ذلك دون استئذان الخليفة «عمر بن الخطاب» ومشاورته فبعث إليه برسالة جاء فيها: «إن الله قد فتح علينا طرابلس، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها، ويفتحها الله على يديه فعل».
ولكن الخليفة رفض رغبة «عمرو بن العاص» فى استمرار الفتح، لحرصه على حياة الجنود، وعدم الزَّجِّ بهم فى ميادين بعيدة عن مقر الخلافة، خاصة وأن الخليفة «عمر بن الخطاب» كان على علم ودراية بأحوال إفريقيا، ولديه انطباع بأنها تمثل خطورة شديدة على الجيش الفاتح لكثرة ثوراتها واشتعال الفتن والقلاقل بها من حين إلى آخر، ولذا توقف الفتح ورجع «عمرو بن العاص» إلى «مصر» قبل منتصف سنة (23هـ / 644م)، بعد أن مهَّد الطريق لمن سيأتى بعده.
(2)عبدالله بن سعد بن أبى السرح أحد صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسلم قبل الفتح الإسلامى بمكة، وتولى إمارة «مصر» فى سنة (25هـ / 646م) خلفًا لعمرو بن العاص فأخذ يصرف أمورها ويدبر شئونها، ويبعث بالسرايا للإغارة على أطراف إفريقية، ولكنه شعر أن هذه السرايا لم تعد كافية لتأمين الحدود الغربية لمصر، فبعث إلى الخليفة «عثمان بن عفان» يستأذنه فى الخروج على رأس حملة عسكرية تجاه إفريقية لتأمين «مصر» والمسلمين من الخطر البيزنطى المسيطر على إفريقية، فتشاور الخليفة مع مَن حوله، ووافق على مطلب «ابن أبى السرح» وأمده بجيش كبير، ضم نخبة من الصحابة والتابعين بقيادة «الحرث بن الحكم»، فلما وصل «مصر» انضم إلى قوات عبدالله بن أبى السرح فصارت نحو عشرين ألفًا، وانطلق بها إلى إفريقية التى كانت تحت حكم القائد البيزنطى «جريجوريوس» المعروف باسم «جرجير» فى المصادر العربية. استعد هذا القائد استعدادًا جيدًا لملاقاة المسلمين، وتحصن فى مدينة «سبيطلة» وعسكر المسلمون فى بلدة «قمونية» التى تبعد بضعة أميال عن مدينة «سبيطلة»، ثم بدأت المفاوضات بين الطرفين، وعرض المسلمون شروطهم كما أمر الإسلام، وهى: الإسلام، أو الجزية أو القتال، ولكن المفاوضات فشلت، وفشل معها الحل السلمى، وبدأت المناوشات

العسكرية بين الطرفين، وشعر المسلمون بقوة البيزنطيين؛ لقوة تحصيناتهم وكثرة عدد جنودهم وحين ظنوا أن النصر لن يحالفهم أقبل عليهم «عبدالله بن الزبير» بمدد من «المدينة» كان له أثر في تحقيق النصر للمسلمين، ففتحوا مدينة «سبيطلة» وقتلوا القائد البيزنطى «جُرجير»، وتمكنوا من الاستيلاء على المعاقل والحصون، وجمعوا مغانم كثيرة، حتى إن سهم الفارس بلغ ثلاثة آلاف دينار (للفرس ألفا دينار، ولفارسه ألف) وللراجل ألف وكان من المتوقع بعد هذا النصر العظيم أن يواصل المسلمون زحفهم صوب «المغرب الأوسط أي الجزائر»، إلا أن «عبدالله بن أبى السرح» قرر فجأة العودة بجنده إلى «مصر»، ولعل الذى دعاه إلى ذلك ما علمه من تأهب البيزنطيين واستعدادهم لخوض معركة شرسة ضد المسلمين انتقامًا لمقتل «جرجير» وسقوط «سبيطلة»، فآثر عدم المخاطرة بجنوده، واكتفى بما حقق، خاصة أن المسلمين لم تكن لهم قاعدة عسكرية قريبة يلجأون إليها عند الحاجة، ولذا عاد بجيشه إلى «مصر» . ثم توقف النشاط العسكرى فى إفريقية بعد ذلك لتوالى الأحداث وتلاحقها فى المشرق، حيث ثار بعض الخارجين على الخليفة «عثمان بن عفانٍ»، وانتهى الأمر باستشهاده، فخلفه الإمام «على بن أبى طالب»، ولم يلبث أن استشهد هو أيضًا، فتولى «معاوية بن أبى سفيان» خلافة المسلمين.

(3) معاوية بن حديج: أدرك «معاوية بن أبى سفيان» أهمية إفريقية من الناحية الاقتصادية ودورها المؤثر فى البحر المتوسط، فضلا عن موقعها المجاور لمصر الإسلامية، فأرسل «معاوية بن حديج» على رأس جيش لمتابعة الجهاد فى إفريقية، فخرج إليها سنة (45هـ /665م)، والتقى بالبيزنطيين عند «قمونية»، ودار قتال مرير بينهما أسفر عن انتصار كبير للمسلمين، وقتل كثير من البيزنطيين، ثم مضى المسلمون نحو «جلولاء» واستولوا عليها بعد قتال شديد . وإلى هنا تنتهى المرحلة الأولى من مراحل الفتح التى أُطلق عليها: «مرحلة الاستطلاع»، وترجع أهميتها إلى أنها مكنت المسلمين من الاحتكاك بالبربر على أرض «المغرب»، ومعرفة أحوال هذه البلاد، مما كان له أثر فى إقبال بعض سكان المنطقة من البربر وبخاصة فى «برقة» على الإسلام.

## المرحلة الثانية مرحلة عقبة بن نافع

المرحلة الثانية وهى مرحلة الارتكاز والانتشار، وتمتد من سنة (50هـ/670م) إلى سنة (64هـ/684م)، وتتضمن ولايتى: «عقبة بن نافع» الأولى والثانية، وولاية: «أبى المهاجر دينار»

(1) فأما عقبة بن نافع: فقد تولى إمرة الجيش فى سنة (50هـ/670م) وتوجه إلى إفريقية، ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يتوجه فيها إلى إفريقية؛ إذ إنه اشترك من قبل فى حملة «عمرو بن العاص» على «برقة»، وتولى فتح المناطق الداخلية بها، وأقام فيها فترة، ونشر الإسلام بين سكانها، فأكسبه ذلك خبرة ومعرفة بأوضاع البلاد وحالة سكانها. انطلق «عقبة» على رأس قواته التى بلغت عشرة آلاف مقاتل إلى إفريقية، متخذًا الطريق الداخلى، ومبتعدًا عن الطريق الساحلى لكثرة القلاع والحصون البيزنطية على الساحل، ولرغبته فى استخدام عنصر المفاجأة مع سكان الواحات، لتحقيق نصر سريع فتحقق له ما أراد، واستولى على كثير من المدن والقلاع والحصون مثل: «ودن»،و«جرمة» و«قصور فزان»، و«خادار»، و«غدامس»، كما استولى على مدينتى «قنصة» و«قصطيلية». ثم رأى «عقبة» أن أفضل طريقة لتثبيت الفتح الإسلامى فى هذه المنطقة هو بناء مدينة يسكنها الناس تصبح قاعدة عسكرية، وتكون مركزًا لأعمال الفتح القادمة، فوقع اختياره على مكان مدينة «القيروان»، وكان واديًا كثير الشجر، تأوى إليه السباع والوحوش والهوام، فأعده هو ومَن معه من المسلمين وبنى به مسجدًا ودارًا للإمارة، ثم بنى الناس دورهم حول المسجد، وظلت عمليات البناء هذه حتى سنة (55هـ/675م). وتجلت عبقرية «عقبة» فى حسن اختياره لمكان المدينة إذ توافر فيه البعد الكافى عن شواطئ البحر المتوسط ليأمن المسلمون غارات الأسطول البيزنطى المتكررة، والقرب من قبائل البربر ووسط معاقلهم، وهى خطوة عملية فى سبيل اجتذابهم إلى الدين الإسلامى، واندماجهم مع العرب الفاتحين، يضاف إلى ذلك أن موقع «القيروان» كان على الطرق الموصلة إلى «مصر»، وبذلك ضمن «عقبة» سلامة خطوط إمداده من «مصر»، ولكنه لم يستمر ليجنى ثمرة جهوده، إذ تم عزله، وتولى «أبو المهاجر دينار» إمارة الجيوش وولاية المغرب بدلا منه. وقد أقبل «أبو المهاجر» على «القيروان»، وكره المقام فيها، فاختط لجنوده معسكرًا يبعد عنها نحو ميلين، ثم أقام به، وأخذ

يوجه نشاطه الدينى والعسكرى منه، ويروى أنه خرج على رأس حملة كبيرة وصلت إلى مدينة «تلمسان»، كما فتح «جزيرة شريك»، وعامل البربر بمودة وعرفهم بحقيقة الدين الإسلامى وعمل على نشره بينهم، ولم يستمر «أبو المهاجر» طويلا؛ إذ تم عزله، وعوض بـ «عقبة بن نافع» مرة ثانية وعاد «عقبة» إلى المغرب ثانية فى سنة (62هـ /682م)، بقرار من الخليفة «يزيد بن معاوية بن أبى سفيان»، وقد اختلفت ولايته الثانية عن سابقتها؛ إذ بينما تميزت ولايته الأولى ببعض الأعمال العسكرية الداخلية فى «إقليم الواحات»، وقضاء الشطر الأكبر منها فى تأسيس مدينة «القيروان» وتعميرها، نراه فى ولايته الثانية يقوم بغزوة كبرى، يصل فيها إلى شواطئ «المحيط الأطلسى»، وقد انطلق عبر الطريق الداخلى بعيدًا عن الساحل، ودخل فى معارك عنيفة مع الروم حتى أجبرهم على الفرار، وتمكن من فتح أمنع حصونهم مثل: «لميس»، و«باغاية»، ثم فتح «أذنة» قاعدة «الزاب»، واستولى على مغانم كثيرة منها، بعد معارك ضارية مع أهلها، ثم اتخذ طريق الساحل ليطرق أبواب «المغرب الأقصى»، وتم له ذلك، فكان أول فاتح عربى تطأ قدماه هذا الإقليم، فبادر «بطنجة» أهم مدن الإقليم، فأسرع حاكمها «يليان»، وقدم فروض الطاعة لعقبة مع كثير من الهدايا والتحف، فانطلق «عقبة» عقب ذلك إلى مدينة «وليلى» ومنها إلى بلاد «درعة» و«السوس» والتقى هناك مع جموع البربر فى معركة حامية، وتمكن من هزيمتهم، وواصل مسيرته حتى بلغ المحيط . ولم ينس خلال كل هذه الأحداث الهدف الأسمى الذى خرج من أجل تحقيقه، فبنى مسجدًا بالسوس وآخر بدرعة وجعل بهما بعض فقهاء المسلمين ودعاتهم، لتعليم سكان هذه البلاد قواعد الدين الجديد، ثم أذن «عقبة» لجزء كبير من قواته بالعودة إلى «القيروان» لطمأنة أهاليهم، بعد غياب استمر ما يقرب من عام، وبقى «عقبة» مع الجزء المتبقى من الجيش، وكان عدده نحو خمسة آلاف مقاتل واستعان يومها «كسيلة» زعيم البربر بالروم على العرب الفاتحين، وأعد كل منهما عدته وجنوده لملاقاتهم، ثم قطعوا خط الرجعة على «عقبة» ومَن معه عند «سهل تهودة»، فاقتتل الفريقان قتالا شديدًا، واستشهد «عقبة» وعدد كبير ممن كانوا معه ودخل «كسيلة» زعيم البربر مدينة «القيروان»، فانتهت بذلك المرحلة الثانية من مراحل الفتح

المرحلة الثالثة: وهى مرحلة إتمام الفتح، وتمتد من سنة (69هـ/688م) إلى سنة (90هـ/709م) وتشمل جهود ثلاثة من القادة الفاتحين، وهم: «زهير بن قيس»، و«حسان بن النعمان»، و«موسى بن نصير».

## زهير بن قيس

أحدث استشهاد القائد «عقبة بن نافع» ومن معه من أبطال المسلمين أثرًا سيئًا فى نفوس المسلمين المقيمين بالقيروان، وضاعت جهودهم فى الإقامة بالمنطقة؛ حيث زحف «كسيلة» وجنوده على «القيروان»، وبذل «زهير بن قيس» - الذى خلف «عقبة» فى إدارة شئون البلاد - كل جهوده فى بث الحماسة والحمية فى نفوس المقيمين بها، وحثهم على الثبات بقوله: «يا معشر المسلمين، إن أصحابكم قد دخلوا الجنة، وقد منَّ الله عليهم بالشهادة، فاسلكوا سبيلهم، ويفتح الله لكم دون ذلك». ولكن الخوف كان قد سيطر على نفوس الناس، فآثروا الرحيل على الإقامة، وذهبت كل جهود «زهير» سدىً، واضطر إلى التخلى عن «القيروان»، وتوجه إلى «برقة» مع من استطاع الرحيل من المسلمين، وظل بعض المسلمين ذوى الظروف الخاصة بالقيروان، وطلبوا الأمان من «كسيلة» فمنحهم إياه، وأعلن نفسه أميرًا على المدينة. و توقف النشاط العسكرى بالمغرب مدة خمس سنوات تقريبًا، بسبب الأحداث التى واجهتها الخلافة الأموية فى دمشق، حيث توفى الخليفة «يزيد بن معاوية» فاضطرب البيت الأموى نتيجة لذلك، ثم تولى «مروان بن الحكم» الخلافة، وقامت ثورة «عبدالله بن الزبير» بمكة، فاستنزفت هذه الثورة وقت وجهد «مروان ابن الحكم» وابنه «عبدالملك» من بعده. ثم تولى «عبدالملك بن مروان» الخلافة بدمشق فى سنة (65هـ/ 685م)، فواجهته المشاكل والثورات العديدة، ولكن ذلك لم يمنعه من التفكير فى أوضاع إفريقية، وضرورة استعادة نفوذ المسلمين بها، واستشار من حوله فى ذلك، واستقر الرأى على ضرورة تجهيز حملة جديدة، يكون على رأسها «زهير بن قيس»؛ لمعرفته بطبيعة المنطقة وأحوال الناس هناك، فضلا عن شجاعته وحبه للجهاد، فأرسل الخليفة بذلك إلى «زهير» ببرقة، وأمده بما تحتاج إليه هذه الحملة، وحشد إليه وجوه العرب، ووفر له المال اللازم ولما جاء أمر

الملك عبد الملك رتب «زهير» أموره، وخرج للقاء «كسيلة» وجموع البربر والروم، فعلم «كسيلة» بتحركات «زهير» وفضل الخروج لملاقاته خارج «القيروان» . خشية أن ينضم المسلمون المقيمون بها إلى جيش «زهير»، واختار منطقة «ممس» التى تبعد مسافة يوم عن «القيروان»، لتكون معسكرًا لجنوده، لوفرة المياه بها وقربها من الجبال، التى يمكن الاحتماء بها، أو الهروب إليها إذا ما حلّت الهزيمة بجنوده. ووصل «زهير» على رأس قواته إلى «القيروان»، واستراح خارجها عدة أيام عبأ فيها قواته، وتجهز للمعركة، ثم انطلق للقاء «كسيلة» وجموعه من البربر والروم عند «ممس»، ودارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس، وكثر عدد القتلى من الفريقين، ولكن المسلمين صمدوا، وتمكنوا من قتل «كسيلة»، فدبَّ الضعف والوهن فى جموع البربر والروم، وتكاثر عليهم المسلمون من كل مكان، وقتلوا منهم عددًا كبيرًا، وتتبعوهم حتى فروا من أرض المعركة يجرون وراءهم أذيال الهزيمة المنكرة. وانتهز الروم فرصة رحيل الجيش الإسلامى من «برقة» إلى «القيروان»، وقرروا مباغتة مدينة «برقة»، مستعينين ببعض قطع أسطولهم الراسية على شواطئ «صقلية»، وانطلقوا بها صوب «برقة»، فلم تستطع المدينة مقاومتهم وسقطت بين أيديهم، فألحقوا بها الدمار واستولوا على ما فيها من أموال، فضلا عن السبايا والأسرى، ولما بلغت هذه الأنباء المؤلمة مسامع «زهير» أسرع بمن معه من الجنود وكانوا قلة لنجدة المدينة، ولكن الروم كانوا كثرة، فخرجوا عليه وعلى جنوده من كل مكان، وأسفر ذلك عن هزيمة المسلمين واستشهاد «زهير» .

## حسان بن النعمان

لم يستطع الخليفة «عبد الملك بن مروان» اتخاذ موقف حاسم إزاء الكارثة التى حلت بالمسلمين بإفريقية، نظرًا لانشغاله بثورة «عبد الله بن الزبير»، فلما قضى عليها، عاوده التفكير ثانية فى إفريقية، وكيفية معالجة أوضاعها، وبدأ فى البحث عن قائد جديد يتولى مهمة قيادة حملة جديدة على إفريقية ووقع اختياره على القائد «حسان بن النعمان» الذى كانت له مكانة مرموقة لدى بنى أمية، وحرصت الخلافة على أن تهيىء له عوامل النصر، فحشدت له أعدادًا غفيرة من الجنود، ووفرت له العدة والعتاد اللازمين ولما جاءت المدود انطلق «حسان» إلى إفريقية

على رأس جيش تعداده أربعون ألف مقاتل، وعزم على القضاء على قوة الروم، وخطورتهم على التواجد الإسلامى بهذه البلاد، وما إن وصل بجيشه إلى «القيروان» على أرجح الآراء في سنة (74هـ / 693م) حتى أخذ يستفسر ويسأل عن أماكن تجمعات الروم، وعدد جنودهم، وأنواع معداتهم، فعلم أن «قرطاجنة» هى مركز تجمعات الروم وعاصمتهم بإفريقية، فانطلق بقواته نحوها، ثم حاصرها . وقد كانت مدينة حصينة وتضم أعدادًا كبيرة من الروم، وكتب الله له شرف اقتحامها وفتحها بعد مشقة وجهد كبيرين، ثم مضى نحو «صطفورة» وقضى على من بها من جنود الروم والبربر، ثم توجه إلى «بنزرت» وفتحها؛ وقضى على معاقل الروم بها، ثم عاد إلى «القيروان» لكى يرتاح الجند، ويستعدوا للمواجهة القادمة. وبعث «حسان» بالعيون لمعرفة إمكانات «البربر» وأماكن تجمعاتهم، وأخذ يسأل من حوله عنهم وعن زعمائهم، فعرف أن هناك كاهنة تدعى «داهيا» من قبيلة «جرادة» البربرية، تمكنت بادعاءاتها وكهانتها من السيطرة على معظم قبائل البربر، وبسطت نفوذها عليهم منذ ما يقرب من خمسة وثلاثين عامًا، وهى تقيم فوق جبل «أوراس»، وقد اتخذته هى وأعوانها معقلاً وحصنًا . وانطلق «حسان» بجنوده صوب معقل الكاهنة وجموعها من البربر،والتقى الفريقان فى وادى «مسكيانة»، ودارت بينهما معركة طاحنة، انتهت بهزيمة المسلمين، وانسحاب «حسان» بمن معه منها ،وعادوا إلى «برقة»، ثم بعث «حسان» بما حدث إلى الخليفة «عبدالملك»، موضحًا له عوامل الهزيمة، ومدى قوة الكاهنة بمن معها من حشود البربر، فبعث إليه الخليفة بأن يقيم بجنوده فى مكانه حتى تعدّ الخلافة الإمدادات اللازمة لجولة أخرى، وامتثل «حسان» لقرار الخليفة، وشيد هو ومَن معه مساكن للإقامة بها . وكانت الكاهنة قد أسرت جماعة من المسلمين، وأبقت على حياتهم لتعرف منهم أخبار المسلمين وإمكاناتهم وقد استأثرت بخالد ابن يزيد أحد الأسرى ومنحته عطفها وجعلته فى منزلة ابنها، فاستغل هذه الفرصة وأمدَّ قائده سرًّا بالمعلومات عن أوضاع الكاهنة وأخبار معاونيها، ومن معها من البربر، فى الوقت نفسه ظنت الكاهنة أن المسلمين مثلهم مثل بقية الغزاة الذين جاءوا إلى هذه البلاد بغية الاستيلاء على أموالها وثرواتها وخيراتها، ولذا أمرت أعوانها بتخريب البلاد وهدم حصونها ونهب أموالها، راجية من وراء ذلك أن يرحل المسلمون عن

هذه المنطقة لانعدام السبب الذى جاءوا من أجله. ولاشك أن هذا تصور خاطئ، وظن ليس فى محله، لأن هدف المسلمين الأوحد هو إتاحة الفرصة للشعوب لتعرُّف الإسلام، ونشر العدل والمساواة بين الناس، وقد جاءت خطوة التخريب التى قام بها أعوان الكاهنة بعكس ما كان متوقعًا، فضلا عن تدهور اقتصاد البلاد، وسارع سكان هذه المدن باللجوء إلى المسلمين والاحتماء بهم مطالبين بإنقاذهم مما حل بهم على أيدى الكاهنة وأعوانها، فكان لذلك أثره فى دعم قوة المسلمين. خاصة وأن أهل «قابس» و«قفصة» وغيرهم، أمدوهم بالمال وأعلنوا لهم الطاعة وانطلق «حسان» بقواته لملاقاة الكاهنة، ودارت بينهما معركة عنيفة أسفرت عن مقتل أعداد كثيرة من أتباع الكاهنة، ثم مقتل الكاهنة نفسها عند بئر، عرف فيما بعد باسم: «بئر الكاهنة». وهكذا استطاع «حسان» أن يقضى على مقاومة البربر مثلما قضى من قبل على جحافل الروم وعمد إلى تثبيت أقدام المسلمين فى «تونس» و«الجزائر»، وقام ببعض الأعمال المهمة التى من شأنها تثبيت عملية الفتح فى المنطقة، فعمَّر مدينة «ترشيش»، وهى تبعد نحو (12) ميلا عن شرقى «قرطاجنة»، لتكون ميناء عربيا إسلاميا، بدلا من «قرطاجنة» البيزنطية التى تم هدمها فى المعارك، ثم أنشأ بها دارًا لصناعة السفن، ليكفل حماية شواطئ المغرب الإسلامية من تطلعات البيزنطيين وغاراتهم، واتبع «حسان» سياسة جديدة فى إدارة شئون هذه البلاد، ووضع الأسس التى تجعل من «المغرب» ولاية عربية تعتمد على مواردها، دون الاعتماد على غيرها فى شىء، ومن هذه الأسس: أولاً: أنشأ إدارة حكومية، واعتبر أرض المغرب مفتوحة صلحًا لا عنوة مع الذين أسلموا من أهلها، ومعنى ذلك أن يؤدوا عنها ضريبة العشر، أما الأراضى التى كانت ملكًا للبيزنطيين ومَن قاوم الفتح من الأفارقة وغيرهم، فقد اعتبرها «حسان» مفتوحة عنوة، ولذا اعتبرها من أملاك المسلمين، واعتبر مَن وجدهم عليها موالى لهم، فكان لهذه الناحية الاقتصادية المهمة أثر بالغ فى نفوس البربر. ثانيًا: عمد إلى إشراك البربر بجيشه، ورغبهم بالغنائم، وعاملهم معاملة الجند العرب فى الحقوق والواجبات، وأدى ذلك إلى مزيد من الاحتكاك بين المسلمين والبربر، مما دفع الكثيرين منهم إلى الدخول فى الإسلام. ثالثًا: وزع مسئولية الحكم على القبائل المختلفة، واختص كل قبيلة بناحية معينة تمشيا مع طبيعة البلاد. ولهذه

السياسة التى رسمها «حسَّان بن النعمان» وأرسى قواعدها أعظم الأثر فى نفسية البربر، وفى علاقتهم بالعرب الفاتحين،وازدادت معرفتهم بالدين الجديد الوافد عليهم، ودخله الكثيرون منهم،ودخل «المغرب» فى طور جديد من التنظيم السياسى، ثم عُزل «حسان»، وعُيِّن «موسى بن نصير» مكانه موسى بن نصير:

## موسى بن نصير

وصل الوالى الجديد «موسى بن نصير» إلى «القيروان» سنة (86هـ/705م)، فألقى على الناس فور وصوله خطبة، أعلن لهم فيها سياسته التى سينتهجها لفتح بقية أقاليم المغرب، ثم انطلق موسى على رأس قواته إلى قلعة «زغوان» التى على مسيرة يوم من «القيروان»، واستولى عليها، فى الوقت الذى أرسل فيه أبناءه على رأس مجموعات من الجند لإخضاع المناطق المحيطة بالقيروان، وقد نجحوا فى تحقيق ما خرجوا من أجله، وكان هدف «موسى» من ذلك تأمين خطوطه الخلفية إذا ما خرج للجهاد بالمغربين الأوسط (أي الجزائر) والأقصى (أي المغرب)، فلما تحقق له ما أراد، انطلق إلى جانب« الجزائر» وأخضع قبائله، وفتح قلاعه وحصونه، ثم انطلق إلى «المغرب الأقصى» متبِّعًا سياسته التى سار عليها فى جميع حملاته العسكرية، وتتمثل فى توزيع نشاطه العسكرى فى شتى الاتجاهات فى آن واحد، لبث الرعب فى قلوب الأعداء، فأُجبر البربر على الفرار إلى المناطق البعيدة، ونجح فى بسط نفوذ المسلمين على «المغرب الأقصى» حتى بلاد «درعة»، ثم استولى بعد ذلك على «طنجة»، وكان أول مَن نزلها، واختط فيها للمسلمين، وجعل عليها مولاه «طارق بن زياد». وقد اتبع «موسى بن نصير» سياسة من سبقه من الولاة فى نشر الدين الإسلامى بين صفوف «البربر»، وترك الدعاة يحفظون الناس القرآن الكريم، ويعلمونهم تعاليم الدين، وكذلك بنى المساجد،وأشرك البربر مثلما فعل «حسان» من قبل فى حكم البلاد. ويتضح ذلك فى توليته «طارق بن زياد» -الذى يرجع نسبه إلى البربر- شئون «طنجة» عاصمة «المغرب الأقصى» وأهم مدنه -آنذاك- وقد قاد طارق فيما بعد جيشًا كبيرًا من البربر لفتح بلاد «الأندلس». ثم صدرت الأوامر من قبل الخلافة باستدعاء «موسى»، فأسرع بتنفيذ الأمر، وترك ابنه «عبدالله» بالقيروان، خلفًا له فى إدارة «المغرب»، وانطلق صوب المشرق فى

سنة (96هـ / 715م)، فانتهت بعودته إلى المشرق أعمال الفتح المختلفة وبدأ بالمغرب عصر جديد؛ هو عصر الولاة.

أسباب صعوبة فتح المغرب العربي

لقد استمرت أعمال فتح «بلاد المغرب» نحو سبعين سنة، وأخذ ذلك جهدًا كبيرًا؛ بذلت فيه الخلافة الإسلامية كثيرًا من الرجال والأموال، وهذا يغاير بصورة واضحة أعمال الفتح الأخرى التى قام بها المسلمون فيٍ الأقاليم الأخرى، مثل: «الشام» و«مصر»، وكان لذلك أسبابه، مما أَخَّرَ عملية الفتح.( أولاً ) – طبيعة المكان: لعل من أبرز أسباب تأخر فتح «بلاد المغرب» هو بُعْد هذه المنطقة عن مقر الخلافة الإسلامية، فضلاً عن طبيعة منطقة القتال، وهى ساحل ضيق، تركزت فيه مقاومة البيزنطيين، وتجاورها جبال شاهقة، لجأت إليها جموع البربر واعتصمت بها، يضاف إلى ذلك وجود صحراء واسعة يشق على المحارب اجتيازها .( ثانيًا )– البيزنطيون:وهم الذين استعمروا هذه المنطقة منذ زمن بعيد، ولذلك عرفواأهميتها، ومقدار خيراتها وثرواتها، فدافعوا عنها بكل ما يملكون رغبة منهم فى إبقاء هذا المورد الثرّ، الذى يدعمون بما يحصلون عليه منه اقتصاد بلادهم وبقاء حضارتهم، وقد عمد البيزنطيون إلى محاربة المسلمين، فضلا عن تأليب جموع البربر عليهم، كما حدث فى علاقة «كسيلة» معهم.( ثالثًا)– سكان البلاد (البربر):بات «البربر» لا يرحبون بأى قادم نحوهم، دفاعًا عن حريتهم وأرضهم، وذلك ناتج عن القهر والذل والهوان الذى سيطر عليهم أعوامًا طويلة على يد الاستعمار الأجنبى لبلادهم، وكانت المقاومة أشد وأعنف من قبل هؤلاء الذين نالوا حظا من الحضارة، حيث كانواملاصقين للبيزنطيين، ومتأثرين بدعايتهم.( رابعًا )– المسلمون الفاتحون:لعل الأحداث السياسية التى كان يمر بها المشرق الإسلامى، فضلا عن الفتن والثورات التى انشغلت بها الخلافة الإسلامية آنذاك.

عصر الولاة فى المغرب الإسلامى

تعد فترة تبعية المغرب للخلافة (عصر الولاة) والتى تمتد من سنة (96هـ / 715م) إلى سنة (184هـ /800م) من أهم الفترات وأخطرها فى تاريخ المغرب الإسلامى، وقد اختلفت هذه الفترة عن سابقاتها،لأن فترة الفتح كان يغلب عليها النشاط العسكرى، واتسمت بالامتداد والانحسار، والخوف والاضطراب، ولم يعرف المسلمون شيئًا من الاستقرار بالمغرب إلا بعد تأسيس مدينة «القيروان» على يد «عقبة بن نافع»، ثم تَّم لهم الاستقرار بفضل جهود: «زهير بن قيس» ، و«حسان بن النعمان»، و«موسى بن نصير» .وقد اتسم عصر الولاة بسمات وصفات معينة.فهو عصر الاستقرارالعربى على أرض «المغرب»، ووضح فيه موقف الخلافة من المنطقة وما ترتب على ذلك من علاقة بين الخلافة والولاة فضلا عن علاقة الولاة بسكان هذه البلاد، يضاف إلى ذلك الأوضاع السياسية المختلفة التى ترتبت على هذه العلاقات حيث ثار «المغرب الأقصى» وانفصل عن «الخلافة الأموية»، ثم انتقلت عدوى الثورة إلى الجزائر وتونس، وبذلت «الخلافة العباسية» جهودًا كبيرة، وأموالا طائلة،ورجالا كثيرين، فى سبيل الحفاظ على هذه الأقاليم، ولكن الأمورأسفرت عن مجرد سلطة اسمية للخلافة العباسية على «تونس» مُمثَّلة فى قيام «دولة الأغالبة»، وقامت دويلات مستقلة بالجزائر والمغرب الأقصى.وسوف نعرض هنا تاريخ هذا العصر، ونستعرض تاريخ ولاته، وهم :

محمد بن يزيد

استشار الخليفة «سليمان بن عبدالملك» فيمن يصلح لولاية إقليم المغرب، فأشار عليه المحيطون به بمحمد بن يزيد مولى قريش، لمايتمتع به من صفات الفضل والحزم، فوقع عليه اختيار الخليفة «سليمان بن عبد الملك»، ومنحه ولاية «المغرب» وأوصاه بقوله: «يامحمد بن يزيد اتق الله وحده لاشريك له، وقم فيمن وليتك بالحق والعدل. اللهم اشهد عليه»، فعمل «محمد» بهذه الوصية منذ تولى مقاليد البلاد، واستقر بالقيروان، فأقام سياسة العدل بين سكان هذه البلاد، وسار فيهم بأحسن سيرة، ثم عمد إلى تجديد النشاط العسكرى، وأرسل السرايا والبعوث إلى أماكن متفرقة من أرض المغرب فحققت

نجاحًا ملحوظًا فيما ذهبت من أجله وعادت بالمغانم الكثيرة والنصر المظفر. وظل «محمد بن يزيد» واليًا على «المغرب» حتى وفاة «سليمان بن عبدالملك»، فعزل من ولايته بعد أن قضى بها سنتين وعدة أشهر.

## إسماعيل بن عبدالله

## (100- 101هـ/ 718 - 719م)

اختاره الخليفة «عمر بن عبدالعزيز» لصفاته الحسنة وسمعته الطيبة، لتولى هذا المنصب فى سنة (100هـ /718م)، وبعث معه مجموعة من التابعين، منهم: «سعد بن مسعود التجيبى»، لمعاونته فى نشر الإسلام، وتعليم الناس قواعده، وقد أثمرت سياسة «إسماعيل» الطيبة بين الرعية، فى إقبال البربر على اعتناق الدين الإسلامى، وأسلم جميع البربر فى أيامه كما ذكر «ابن خلدون» ولاشك أن سياسة الدولة الإسلامية عامة، التى انتهجها الخليفة العادل «عمر بن عبدالعزيز»، كان لها أثرها الواضح على كل أقاليم الدولة، خاصة وأن الخليفة قد حرص على اختيار ولاة أكفاء؛ يتخلقون بأخلاق الإسلام، لذا أشار كثير من المؤرخين إلى الدور الإيجابى الذى قام به «إسماعيل بن عبدالله» فى تعليم «البربر» القرآن، وقواعد الحلال والحرام، وقد عُزل «إسماعيل» من منصبه عقب وفاة الخليفة «عمر بن عبدالعزيز» فى سنة (101هـ/ 720م) فتولى «يزيد بن أبى مسلم» ولاية «المغرب» خلفًا له.

## يزيد بن أبى مسلم

لم يُقر الخليفة «يزيد بن عبدالملك» الذى تولى الخلافة خلفًا لعمر بن عبدالعزيز فى سنة (101هـ 720م) سياسة اللين والتسامح التى انتهجها الخليفة السابق «عمر»، واستوجب ذلك تغييرًا عاما فى سياسة الدولة، فعزل جميع الولاة، وعين آخرون مكانهم. وكان «يزيد بن أبى مسلم» من بين الولاة الجدد. أقبل «يزيد» إلى «القيروان» فى سنة (101هـ/720م)، وتولى مقاليد الأمور فيها، واتبع سياسة الشدة والحزم تجاه أهل «المغرب» مثلما اتبعها مع أهل «العراق» من قبل، وفرض الجزية على مَن أسلم من أهل الذمة ليزداد الدخل المالى فى خزينة الدولة، كما أنه خصَّ طائفة من قبيلة «البتر» البربرية بحراسته دون غيرها، وأساء إلى آل «موسى بن نصير» وبعض

الشخصيات العربية المقيمة بالقيروان،فأثار عليه ذلك حفيظة بعض حرسه من غير «البتر» وقتلوه.

## بشر بن صفوان

تحرك «بشر» تجاه «المغرب» فى أواخر سنة (102هـ/721م)، وقد بدأأعماله بالتحقيق فى مقتل «ابن أبى مسلم»، واكتشف أن هناك بعض المحرضين للجند على فعل ذلك لإشعال الفتنة، فأمر بإعدامهم كما أمر بعزل «الحسن بن عبد الرحمن» والى «الأندلس» من منصبه،وولى مكانه «عبد الله بن سحيم الكلبى»، ثم قام فى سنة (109هـ/727م) بحملة بحرية على «جزيرة صقلية»، وعاد منتصرًا ومحملا بكثير من المغانم والأسلاب، ثم مرض عقب عودته من هذه الغزوة، ومات فى العام نفسه.

## عبيدة بن عبدالرحمن السلمى

وصل القيروان فى سنة (110هـ/728م)، فأرسل «المستنير بن الحبحاب الحرشى» أحد القادة العسكريين على رأس حملة بحرية إلى «صقلية»، ولكن هذه الحملة لم تحقق نجاحًا، وغرقت معظم سفنها وقد عين «عبيدة» بعض الولاة من قبله على «الأندلس» فى سنة (114هـ/732م)، ثم توجه إلى مقر الخلافة بدمشق، وطَلب إعفاءه من منصبه، فأُجيب إلى مطلبه. -

## عبيدالله بن الحبحاب

وصل «عبيدالله» إلى «المغرب» فى سنة (116هـ/734م)، وبدأ ولايته بتجهيز حملة بقيادة «حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع»، وبعث بها لفتح بعض المناطق؛ لتأمين الأقاليم الإسلامية بالمغرب، فتوغلت هذه الحملة حتى وصلت إلى «السوس الأقصى»، وأرض «السودان» وحققت الأهداف التى خرجت من أجلها. وقد انتهج «عبيدالله» سياسة مغايرة لسابقيه، فأسرف فى جمع الأموال مستخدمًا القسوة والقوة وشرع فى تخميس البربر، أى اعتبر من أسلم منهم ومن لم يسلم فيئًا للمسلمين، بخلاف ما اعتاد عليه هؤلاء البربر حيث منح الولاة من أسلم منهم نفس الحقوق والواجبات الخاصة بالمسلمين كما أنه أذكى نار العصبيات القبلية، حيث حابى أبناء قبيلته من

القيسية وأساء معاملة اليمنية وغيرهم، فكانت النتيجة أن قامت الثورات المدمرة فى أقاليم «المغرب» ودخل البربر فى صراع مسلح مع ولاتهم من العرب، وترتب على ذلك انفصال «المغرب الأقصى» عن سلطة الخلافة بدمشق.

## كلثوم بن عياض القشيرى

وقع اختيار الخلافة عليه لتولى مقاليد الأمور بالمغرب، ومواجهة الأحداث الخطيرة التى نشبت على أرضه، وتوجه على رأس جيش كبير تعداده سبعون ألف مقاتل إلى هذه البلاد، ودعمته الخلافة بكل ما يحتاج إليه ووصل على رأس جيشه إلى «بقدورة» بالمغرب الأقصى، ودخل فى معركة شرسة مع جحافل البربر، وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة جيش العرب، فضلا عن مقتل «كلثوم» نفسه ومعه كثير من زعماء الجيش، وفرّ الباقى إلى «طنجة» ومنها إلى «الأندلس».

## حنظلة بن صفوان الكلبى

كان «حنظلة» واليًا على «مصر»، وكان ذا كفاءة عالية وخبرة كبيرة، فضلا عن إلمامه بأخبار «المغرب» وأوضاعه بحكم الجوار بين «مصر» و«المغرب»، فوقع عليه اختيار الخليفة «هشام بن عبدالملك» لتولى شئون «المغرب»، وأمره بالتوجه إليها فى سنة (124هـ/742م)، فخرج على رأس جيش بلغ تعداده ثلاثين ألف مقاتل، قاصدًا «القيروان»؛ لمواجهة أحداث المغرب. ووصلت الأخبار إلى «حنظلة» بمسير البربر إليه فى جيشين كبيرين، أحدهما بقيادة «عكاشة الصفرى الخارجى»، والآخر بقيادة «عبدالواحد بن يزيد الهوارى»، وقد سار الجيشان فى طريقين مختلفين، فاضطر «حنظلة» إلى لقاء كل جيش على حدة، وبدأ بمحاربة جيش «عكاشة» وأنزل به هزيمة كبيرة أعادت الثقة إلى نفوس جيشه، ثم كان اللقاء الثانى بجيش «عبدالواحد» عند «باجة»، ودارت بين الفريقين معركة عنيفة، انتهت بهزيمة جيش الخلافة، وعودة ما تبقى منه إلى «القيروان» استعدادًا لمحاولة ثانية. ثم حشد «حنظلة» كل ما استطاع من قوة، وخرج للقاء البربر، ودارت بينهما معركة، أثبت جيش «حنظلة» فيها كفاءة عالية وصبرًا على القتال، فانتصر جيش الخلافة وقُتل «عبدالواحد» قائد البربر، فضلا عن مقتل عدد كبير من جنوده، فمكن هذا النصر للأمويين فى البلاد، ودعم وجودهم فيها، وعمد «حنظلة»

إلى إقرار الأمن والطمأنينة فى النفوس، ثم بعث بأخبار هذا النصر إلى مركز الخلافة «بدمشق» فى شعبان سنة (125هـ/ يونيو 743م)، فتوافق هذا الوقت مع وفاة الخليفة «هشام بن عبدالملك»، وتولى «الوليد الثانى بن يزيد» خلفًا له. وواجه «حنظلة» مشكلة كبيرة، تمثلت فى نزول «عبدالرحمن بن حبيب» أحد زعماء العرب على شواطئ «تونس» قادمًا من «الأندلس»،وقد استغل هذا الرجل اضطراب الأوضاع فى «دمشق»، وضعف والى «القيروان» بسبب الحروب الكثيرة التى خاضها مع البربر، وسعى إلى جمع عناصر من العرب والأفارقة والبربر حوله، ثم نزل بهم منطقة «سمنجة» فى سنة (127هـ/745م) استعدادًا للاستيلاء على «القيروان» وعلى مركز السلطة فيها. وحاول «حنظلة» معالجة الأمور بطريقة ودية، فاختار خمسين من فقهاء «القيروان» وزعمائها، وأرسلهم إلى «عبدالرحمن» للتفاوض معه، فألقى القبض عليهم وهدَّد بقتلهم إن لم يتخلَّ «حنظلة» عن الإمارة، ويترك «القيروان» خلال ثلاثة أيام، وألا يأخذ من بيت المال إلا ما يكفيه مئونة السفر، فوافق «حنظلة» على مطالب «عبدالرحمن» حفاظًا على أرواح مَن بعث بهم إليه، وترك «القيروان» فى جمادى الآخرة سنة (127هـ/ مارس 745م) فدخلها «عبدالرحمن». ثم وافقت الخلافة على تعيينه واليًا على بلاد «المغرب».

## الولاة فى العصر العباسى

استقر «عبدالرحمن بن حبيب» بالقيروان فى سنة (127هـ)، وعمل على الاستقلال بالمغرب، فواجه العديد من ثورات البربر، ولكنه تمكن من التغلب عليها، وهاجم معاقلهم، وقضى على تجمعاتهم، ثم أرسل حملتين عسكريتين فى سنة (135هـ/ 752م) إلى جزيرتى «صقلية» و«سردانية»، فحققت الحملتان أهدافهما، وعادتا منتصرتين. فلما قامت الدولة العباسية، أسرع «عبدالرحمن بن حبيب» بالخطبة للعباسيين على المنابر، وأرسل لهم مبايعته وطاعته، فرحب به الخليفة العباسى «أبو العباس السفاح» وأقرَّه على ولايته، ولكن الأمور تغيرت فى عهد «أبى جعفر المنصور»، الذى تولى الخلافة فى ذى الحجة سنة (136هـ /مايو 754م)، حيث أقر «عبدالرحمن» على «المغرب» فى البداية، ثم توترت بينهما العلاقات، فخلع «عبدالرحمن» طاعة العباسيين واستقل بحكم إقليم «المغرب الأدنى». ولقد حاول «عبدالرحمن بن حبيب» نقل

ولاية العهد من أخيه «إلياس» إلى ابنه «حبيب»، فدبر له «إلياس» مؤامرة انتهت بقتله في سنة (137هـ/754م) بعد أن قضى نحو عشر سنوات بالحكم، أمضاها في معارك متصلة ضد الثائرين والخارجين، ومن ثَم ثارت جموع البربر، وعادت الاضطرابات إلى المنطقة ثانية، وتمكن «إلياس» من إحكام سيطرته على «القيروان»، إلا أن «حبيب بن عبدالرحمن» دخل في صراع طويل معه، وانتهى الأمر بمقتل إلياس في سنة (138هـ/ 755م)، وتولى «حبيب» مقاليد الحكم بالقيروان، ولجأ عدد من أفراد أسرته إلى قبيلة «درفجومة» البربرية، وكان زعيمها «عاصم بن جميل كاهنًا» يدعى النبوة، فدخل «حبيب» في حروب مع هذه القبيلة، ولكنهم هزموه، فاضطر إلى الفرار، ودخل «عاصم» «القيروان» واستحل حرماتها وخرَّب مساجدها وقضى على مظاهر حضارتها . وهكذا سقطت «القيروان» في قبضة هذه القبيلة التي أساءت معاملة الناس، فاضطر بعضهم إلى اللجوء والاستنجاد بالخلافة العباسية، ولجأ آخرون إلى «أبي الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري» وكان أحد وجوه العرب، ويعتنق المذهب الإباضي، فهبَّ لنجدتهم، وجمع مَن حوله من البربر المعتنقين لآراء الخوارج وأثار فيهم الحمية، ثم خرج بهم لملاقاة قبيلة «درفجومة»، فاستولى على «طرابلس»، ثم قصد «القيروان» في سنة (141هـ/ 758م)، وتمكن من قتل «عاصم بن جميل» وعدد كبير من أتباعه، ودخل مدينة «القيروان» . وحين علم الخليفة العباسي «أبو جعفر المنصور» بما حدث ببلاد المغرب، عين «محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي» على ولاية «مصر»، وأمره بمعالجة الأمور بالمغرب، فاضطر «ابن الأشعث» بعد فترة إلى الخروج بنفسه على رأس الجيش إلى «المغرب» للقضاء على نفوذ الإباضية فيها، وقد تمكن من ذلك بعد عدة حروب، وقتل «أبا الخطاب» وأتباعه، ثم دخل مدينة «القيروان» في سنة (144هـ/ 761م)، وتولى مقاليد الأمور بها، وبنى حولها سورًا كبيرًا لحمايتها، ثم هاجم معاقل البربر، وقضى على تجمعاتهم، ولكنه أساء معاملة جنده، فثاروا عليه، وأجبروه على التخلي عن الولاية، والعودة إلى المشرق في ربيع الأول سنة (148هـ/إبريل 765م) .

## الأغلب بن سالم

الأغلب بن سالم التميمى: وقع اختيار الخلافة عليه لتولى إفريقية، لحزمه وشجاعته وسداد رأيه فدخل «القيروان» فى جمادى الآخرة سنة (148هـ/ يوليو 765م)، وبلغه احتشاد البربر بقيادة «أبى قرة بن دوناس» الخارجى فى «تلمسان» للتوجه إلى «القيروان»، فخرج «الأغلب» بجنوده لملاقاتهم، ولكنهم انسحبوا إلى «المغرب الأقصى» دون قتال، فانتهز «الحسن بن حرب الكندى» فرصة خروج الجيش من «القيروان» واحتلها، فلما علم «الأغلب» بذلك دخل مدينة «قابس» استعدادًا لطرد هذا المحتل، ثم دخل معه فى معركة حامية، واستشهد «الأغلب» وصمد جيشه، وتمكن من قتل «الحسن بن حرب» وهزيمة جيشه.

## عمر بن حفص

وقع عليه اختيار الخلافة لتولى مهام إقليم «المغرب» عقب استشهاد «الأغلب بن سالم التميمى» وكان «عمر» رجلاً شجاعًا، ذا شخصية قوية، فدخل مدينة «القيروان» فى سنة (151هـ 768م) وانتهج سياسة جديدة تجاه أهلها وعاملهم بالحسنى، وتودد إلى زعمائها وأنزلهم منازلهم، فاستقرت له الأوضاع، وهدأت الأمور، ثم خرج إلى مدينة «طبنة» لإصلاح أحوالها، وبناء سورها، ففاجأته جموع البربر، وحاصرت مدينة «القيروان»، كما حاصرته مع جنوده بمدينة «طبنة»، فلجأ إلى استعمال الحيلة، وأغدق بالأموال على الجيش المحاصر لطبنة، فانصرف عدد كبير من جنود البربر عن المدينة، وتمكن «عمر» من هزيمة الجزء المتبقى منهم، ثم دخل «القيروان» بالحيلة والتمويه، وتولى مهمة الدفاع عنها، ولكن «إباضية» «طرابلس» بزعامة «أبى حاتم» كانوا قد أحكموا حصارهم وسيطرتهم على «القيروان»، وظلوا كذلك ثمانية أشهر، فساءت الأوضاع داخل المدينة، واضطر الناس إلى أكل دوابهم وخيولهم، وفشلت كل محاولات «ابن حفص» لفك الحصار عن المدينة، فخرج على رأس قواته، ودخل فى معركة شديدة مع المحاصرين، فاستشهد هو وكثير من رجاله فى سنة (154هـ / 771م) ودخل «الإباضية» بقيادة «أبى حاتم» المدينة.

## يزيد بن حاتم

تولى «يزيد بن حاتم» إمرة «مصر» فى عهد الخليفة «أبى جعفر المنصور» فى سنة (144هـ 761م)، وأثبت فيها كفاءة عالية، فوقع عليه اختيار الخلافة ليكون واليًا على «المغرب»، وجهز له الخليفة جيشًا كبيرًا، ضم تسعين ألف مقاتل، وتم تجهيزه بثلاثة ملايين درهم،وخرج «يزيد» على رأس الجيش قاصدًا إفريقية، ووصلها فى سنة (154هـ/ 771م)، فانضمت إليه فلول الجند المنهزمة أمام «أبى حاتم»،وتم اللقاء بين الجيش العباسى وجيش الخوارج بقيادة «أبى حاتم»فى شهر ربيع الأول سنة (155هـ/فبراير 772م)، فكانت المعركة حاسمة، وهُزم جيش الخوارج وقتل قائده «أبو حاتم»، وبعث «يزيد»بجنوده لاستئصال شأفة الخوارج ثم دخل «القيروان» رافعًا أعلام العباسيين، وبث الطمأنينة فى نفوس أهلها، ومات «يزيد بن حاتم»بالقيروان فى سنة (170هـ/ 786م) فخلفه ابنه «داود» فى الولاية.

## داود بن يزيد بن حاتم

تولى «داود» مقاليد الأمور خلال فترة مرض والده كمعاون له فلما مات والده، تولى إدارة البلاد ريثما تتخذ الخلافة قرارها، وواجه ثورة الإباضية بحزم، وحافظ على ما حققه والده من انتصارات ومكاسب،ولم يستمر فى الحكم سوى تسعة أشهر، ثم سلم مقاليد الأمور إلى عمه «روح بن حاتم»، وعاد إلى المشرق.

## روح بن حاتم

روح بن حاتم اختاره الخليفة «هارون الرشيد» خلفًا لأخيه «يزيد» فقدم إلى إفريقية فى سنة (170هـ/787م)، وتولى مقاليد أمورها، وأحدث تغييرات فى إدارتها، وقضى على ثورات ما تبقى من البربر بها، فهدأت أوضاعها، واستقر أمنها ثم مات «روح» فى رمضان سنة (174هـ/يناير 791م).

## نصر بن حبيب

اقتفى «نصر» سياسة الوالى السابق، وعدل بين الناس وحسنت سيرته بينهم، ولكنه لم يستمر طويلا فى الولاية، حيث تم عزله بعد سنتين وثلاثة أشهر قضاها فى الحكم.

## الفضل بن روح بن حاتم

الفضل بن حاتم اختاره «الرشيد» بدلا من «نصر ابن حبيب»، فوصل إلى مدينة «القيروان» فى سنة (177هـ/ 793م)، وجعل ابن أخيه «المغيرة ابن بشير بن روح» على مدينة «تونس»، وكان «المغيرة» غرا تنقصه التجارب والكياسة، فأساء معاملة الجند، وفرق بينهم فى المعاملة،فثاروا عليه بقيادة «ابن الجارود» المعروف بابن عبدويه، وعزلوه عن «تونس»، وأجبروه على تركها، فأدرك «الفضل بن روح» خطورة الموقف، وأرسل «عبدالله بن يزيد» واليًا جديدًا على «تونس»لتهدئة الموقف، ولكن الثوار قتلوه على أبواب المدينة، وشرعوا فى استمالة قادة الجيش بالقيروان وزعماء الجند إليهم للتخلص من «الفضل»، وقد نجحوا فى ذلك وحاصروا مدينة «القيروان»، ثم دخلوها، وأرغموا «الفضل» على تركها مع بعض أفراد أسرته ولكن «ابن الجارود» أرسل خلفه مَن يأت به إلى «القيروان» ثانية، وأودعه السجن فترة، ثم قتله فى شعبان سنة (178هـ/ نوفمبر 794م)، فلما بلغ «الرشيد» ذلك بعث بيحيى بن موسى إلى «تونس» برسالة ليُهدّئ النفوس، ويدعو «ابن الجارود» إلى «بغداد»، فامتثل «ابن الجارود» للأمر، وهدأت الثورة، وعين الخليفة «الرشيد» «هرثمة بن أعين» على إفريقية.

## هرثمة بن أعين

تسلم «هرثمة» مهام منصبه بالقيروان فى ربيع الآخر سنة (179هـ/ يونيو 795م)، فنهج سياسة حسنة فى رعاياه، وأعاد إليهم استقرارهم وأمنهم، ثم شرع فى العمران والبناء، فأنشأ سورًا حول «طرابلس»، وبنى القصر الكبير بالمنستير، ولم تحدث فى عهده ثورات ذات أهمية، سوى ثورة «عياض بن وهب الهوارى»، إلا أن «هرثمة» استطاع القضاء عليها فى مهدها . ظل «هرثمة» بإفريقية نحو سنتين ونصف السنة، ثم ألح على الخلافة فى أن تعفيه من منصبه، فأجابه الخليفة إلى طلبه، وعاد «هرثمة» إلى المشرق.

## محمد بن مقاتل العكى

اختاره «الرشيد» لتولى إمرة بلاد «المغرب الأدنى»، فوصلها فى رمضان سنة (181هـ أكتوبر 797م)، ويبدو أنه لم يكن على دراية بأوضاعها، وظروف الجند بها، فوقع فى عدة أخطاء، وقطع

أرزاق الجند، وأساء معاملة وجوه القوم وزعمائهم،فثاروا عليه بقيادة «تمام بن تميم التميمى» ثم توجه بها إلى «القيروان» وحاصرها، ثم دخل مع «العكى» فى معركة وهزمه فيها، ولكن «إبراهيم بن الأغلب» والى «الزاب» من قبل «العكى» كانت له طموحات فى هذه المنطقة، فأسرع إلى نجدته بقواته، وقضى على جموع الثائرين.

## إبراهيم بن الأغلب

عمد «إبراهيم بن الأغلب» إلى التقرب إلى أهالى «القيروان»لتحقيق أهدافه ومطامعه بالمنطقة، وظهر بمظهر المدافع عن سلطة الخلافة وممتلكاتها، وقد ساعدته كراهية الناس لابن مقاتل العكى فى تحقيق مبتغاه، وطلب منه وجهاء القوم مراسلة «الرشيد» وإعلامه بمسلك «العكى» العدائى تجاه السكان، ومطالبة الرعية بعزله،فاستجاب لمطلبهم، وبعث إلى «الرشيد» برسالة وضح له فيها هذه الأمور، فعينه «الرشيد» على هذه الولاية، ودخل «المغرب الأدنى» فى مرحلة سياسية جديدة عقب تولية «إبراهيم بن الأغلب» عليه،الذى سعى إلى تحقيق أهدافه، والاستقلال بحكم المنطقة عن الخلافة، وباتت السلطة الحقيقية فى يده، وأورثها من بعده أبناءه،ولم تعد المنطقة مرتبطة بالخلافة سوى بالدعاء للخليفة على المنابر. وهكذا انتهى عصر الولاة بالمغرب الأدنى وبدأ عصر الاستقلال الذاتى وظل الحكم إرثًا فى «بنى الأغلب» بالمنطقة طيلة قرن من الزمان حتى سقطت هذه الأسرة على أيدى الفاطميين فى سنة (296هـ/909م) كما سيذكر بعد.

## عصر الدول الإقليمية

## [184-296هـ/800-909م]

قامت أربع دول إقليمية ببلاد المغرب العربي فى الفترة من سنة (140هـ/ 757م) إلى سنة (296هـ/909م) ومن تلك الدول (1) دولة الأغالبة التى تأسست بالمغرب الأدنى (ليبيا وتونس) فى سنة (184هـ/ 800م). (2) الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط (الجزائر) فى سنة (161هـ/778م). (3) دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى والغرب الجزائري فى سنة (172هـ/

788م) (4) دولة بنى مدرار فى سجلماسة بجنوب «المغرب الأقصى» فى سنة (140هـ 757م) وكان لكلّ واحدة من هذه تاريخ طويل يراجع في المطولات . وإليك ملخصها :

## دولة الأغالبة

## (184هـ/ 800م)

ينسب الأغالبة إلى «الأغلب بن سالم التميمى»، وهو عربى من قبيلة «تميم»، التى شاركت فى القضاء على «الأمويين»، وإقامة «الدولة العباسية»، وقد تولى «الأغلب» إفريقية فى سنة (148هـ/ 765م)، ثم استشهد بها فى حربه ضد الطامعين بقيادة «الحسن بن حرب الكندى» وتلقى إبراهيم بن الأغلب [184هـ/800م] فى نشأته الأولى دروسه الدينية بمسجد الفسطاط على يد الإمام «الليث بن سعد»، فلما بلغ مبلغ الشباب التحق بالجندية، ثم جاء إلى «المغرب» وشارك فى أحداثها، ثم ظهر على مسرح الأحداث فى إفريقية - كما سبقت الإشارة إليه - فى عهد «محمد بن مقاتل العكى» استقل «إبراهيم» بحكم «المغرب الأدنى» عن الخلافة وعمد إلى إقرار الأمن والاستقرار بهذا الإقليم، فضلاً عن تعريبه، واستكمال نظامه الإدارى وتنمية اقتصاده، فباتت «القيروان» مركزًا من مراكز العلم والحضارة بالدولة الإسلامية، وظهرت أهمية المدن التابعة لها . مثل: «تونس» و«سوسة»، و«قابس»، و«قفصة» و«توزر»، و«نفطة»، و«طبنة»، و«المسيلة»، و«بجاية»، وغيرها . ولكن ذلك لم يمنع من وقوع بعض الثورات بالمنطقة، مثل ثورة «عمران بن مجالد الربيعى» الذى جمع حوله أهل «القيروان» فى محاولة للقضاء على حكم «الأغالبة»، ولكن محاولتهم باءت بالفشل، حيث تصدى لهم «إبراهيم بن الأغلب» بحزم وشدة، واستمر فى منصبه حتى وافته منيته فى شوال سنة (196هـ/ يونيو 812م)، فذكره المؤرخون بأنه كان أحسن الولاة سيرة، وأفضلهم سياسة، وأوفاهم بالعهد، وأرعاهم للحرمة، وأرفقهم بالرعية، وأخلصهم لأداءٍ واجبه . ثم تولى بعده أبو العباس عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب [196هـ/812م] «المغرب» خلفًا لوالده فاستقامت له الأمور واستقرت، ولكنه انتهج سياسة ضريبية سيئة، أسفرت عن سخط الناس عليه، وظل «أبو العباس» بالحكم مدة خمس سنوات ثم مات من جرّاء قرحة أصابته تحت أذنه . بعده تولى زيادة

الله بن إبراهيم بن الأغلب [201هـ/816م]: مقـاليد الحكم بالمغرب خلفًا لأخيه «أبى العباس» واستمر فى هذه الإمارة حتى سنة (223ه/ 838م) فتمتعت البلاد فى عهده بالرخاء والازدهار، فضلا عن التشييد والعمران بالمدن المغربية، مثل: «القيروان»، و«العباسية» و«تونس»، و«سوسة»وقد وجه «زيادة» قدراته العسكرية للقضاء على الثورات التى قامت بالمنطقة ومنها: ثورة «زياد بن سهل» المعروف بابن الصقلبية فى سنة (207هـ)وثورة «عمرو بن معاوية العيشى» فى سنة (208هـ/823م)، وثورة «منصور الطنبذى» فى سنة (209ه/824م) وكذلك وجه «زيادة» كفاءته الحربية فى العناية بالأسطول الإسلامى، ثم توجيهه لغزو بعض الجزر القريبة من «تونس»، وإليه يرجع الفضل فى إعداد حملة بحرية كبيرة بقيادة «أسد بن الفرات» لغزو الجزر القريبة من«تونس»، ثم تُوفى فى سنة (223ه/838م) .

وجاء بعده أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب [223ه/838م]:وتولى الإمارة خلفًا لأخيه «زيادة» فى سنة (223ه/838م)، ومكث بها ما يقرب من ثلاث سنوات؛ نعمت البلاد خلالها بالهدوء والاستقرار وحرَّم «أبو عقال» صنع الخمور بالقيروان، وعاقب على بيعها وشربها، فكان لذلك صداه الطيب فى نفوس الناس عامة، فضلا عن الفقهاء والعلماء، ومات «أبو عقال» بالقيروان فى سنة (226ه/841م) وتولى بعده أبو العباس محمد بن الأغلب [226ه/841م] الإمارة خلفًا لأبيه «الأغلب»، وظل بها أكثر من خمسة عشر عامًا، اتسمت بالخلافات بين أبناء «الأسرة الأغلبية»، فضلا عن محاولة أخيه «أحمد» الفاشلة للإطاحة به والوصول إلى الحكم، يضاف إلى ذلك انتفاضات الجند التى لم يكتب لها النجاح بمنطقتى «الزاب»،و«تونس»، وقد تُوفى «أبو العباس» فى سنة (242هـ) بالقيروان. ثم تولى أبو إبراهيم أحمد بن محمد [242ه/856م]: الإمارة خلفًا لأبيه عقب وفاته فى سنة (242هـ)، وتميزت فترة حكمه بالهدوء والاستقرار، وقد غلب الطابع الدينى على سلوكه، فكان يخرج فى شهرى شعبان ورمضان من مقر إقامته ليوزع الأموال على الفقراء والمساكين بالقيروان، واهتم «أبو إبراهيم» بالبناء والتعمير وزاد فى «مسجد القيروان» وجدد «المسجد الجامع» بتونس، وحصَّن مدينة «سوسة» وبنى سورها، كما اهتم بإمداد سكان المدن بمياه الشرب، وقد تُوفى فى سنة

(249هـ/863م) . ثم تولى أبو محمد زيادة الله الثانى [249هـ/863م] الإمارة خلفًا لأخيه «أبى إبراهيم أحمد»، ولم يستمر فى منصبه سوى عام واحد، ثم توفى فى سنة (250هـ/864م) . ثم تولاها أبو عبد الله محمد بن أحمد [250هـ/864م]:خلف عمه «أبا محمد زيادة» فى الإمارة فى سنة (250هـ/864م) وقد اشتهر «أبو عبدالله» بأبى الغرانيق؛ لولعه بصيد «الغرانيق»، وبنى لذلك قصرًا كبيرًا، أنفق عليه أموالاً كثيرةً، كما شاد الحصون والمحارس الكثيرة على سواحل البحر المتوسط وتوفى «أبوالغرانيق» فى سنة (261هـ) . ثم تولى إبراهيم بن أحمد [261هـ/875م]: ى أمور الحكم عقب وفاة أخيه «أبى الغرانيق» فى سنة (261هـ/875م)، وامتد عهده أكثر من ثمانية وعشرين عامًا؛ ظهر خلالها «أبو عبدالله الشيعى»، الذى استقطب إلى دعوته الشيعية عددًا من القبائل، وقد اختلف المؤرخون فى تقييم شخصية «إبراهيم بن أحمد»، فذكر بعضهم أن عهده كان عهد استقرار وهدوء، وإقرار للعدل، وتأمين للسبل، فضلا عن قيامه بإتمام بناء المسجد بتونس،وبناء الحصون والمحارس على سواحل البحر، يضاف إلى ذلك تأسيسه مدينة «رقادة»، وبناؤه جامعًا بها، فى حين يصفه «ابن خلدون» بقوله: «وذكر أنه كان جائرًا، ظلومًا ويُؤخذ أنه أسرف فى معاقبة المعارضين له بالقتل والتدمير، لكنه حاول فى أخريات أيامه إصلاح ما أفسده، وبخاصة بعد ظهور داعية الشيعة «أبى عبدالله» وانضمام كثير من الناس إلى دعوته، فأسقط المغارم، ورفع المظالم عن طبقات الشعب الكادحة، كما تجاوز عن ضريبة سنة بالنسبة إلى أهل الضياع، ووزع الأموال على الفقراء والمحتاجين، وختم حياته بالجهاد فى «صقلية»، حيث مرض أثناء حصاره لإحدى المدن، ومات ليُحمل ويدفن فى مدينة «بلرم» فى سنة (289هـ/902م) وذكر «ابن الأثير» أنه حُمل فى تابوت ودفن بالقيروان. ثم تولى أبو العباس عبدالله بن إبراهيم [289هـ/902م]:الإمارة فى سنة (289هـ/ 902م)، ولم يستمر بها سوى عام ونصف العام، حيث قُتل على يد ابنه «زيادة الله»، وكانت فترة حكمه امتدادًا لسياسة والده «إبراهيم بن أحمد» فى الحكم، فبدأت عوامل الضعف والوهن تدب فى أوصال دولة الأغالبة. ثم جاء زيادة الله بن أبى العباس عبدالله [290هـ/903م] وتولى الحكم عقب مقتل أبيه، وانتهج سياسة أبيه وجده،وتتبع أفراد أسرته بالقتل، فى الوقت

الذى نشط فيه «أبو عبدالله الشيعى» وأحرز الانتصارات تلو الأخرى، واستولى على كثير من المدن الأغلبية، ولم تفلح جيوش «زيادة» فى صده أو إيقاف زحفه، فوجد «زيادة» نفسه عاجزًا عن الحفاظ على ملك آبائه وأجداده،فآثر الهرب إلى «مصر»، وحمل معه كل ما استطاع حمله من مال وعتاد، ورحل من «رقادة» فى (26من جمادى الآخرة عام 296ه/مارس 909م)، فباتت المدينة سهلة المنال «لأبى عبدالله الشيعى»،فبعث «عروبة بن يوسف» أحد قادته للاستيلاء عليها، فدخلها دون قتال، وطويت بذلك صفحة «الأغالبة».

الدولة الرستمية

[161-296هـ / 778 - 909م]

عبدالرحمن بن رستم [162ه/779م]: بويع « ليكون أول إمام للدولة الإباضية الناشئة فى ربوع «المغرب الأوسط»، وقد كان أحد طلاب العلم، ودرس على يد «أبى عبيدة مسلم ابن أبى كريمة»، فلما أتم تعليمه عمل على نشر «المذهب الإباضى» ودعمه، ثم عينه «أبو الخطاب» نائبًا له على «مدينة القيروان»، فاكتسب الخبرة الإدارية، وعرف طبائع الناس وظروفهم، ولم يدخر جهدًا فى محاربة الولاة العباسيين، وجَمْع شمل «الإباضية»، خاصة بعد مقتل «أبى الخطاب». كان «عبدالرحمن» رجلاً زاهدًا، وذا صبر على الشدائد، وملتزمًا بكتاب الله وسنة نبيه، واشترط على الناس حين وقع اختيارهم عليه للإمامة أن يسمعوا له ويطيعوا ما لم يحد عن الحق، ثم اختط مدينة «تهيرت» (أي تيارت) ودخل فى طاعته العديد من القبائل مثل: «لماية»، و«سدرانة»،و«مزاتة»، و«لواتة»، و«مكناسة»، و«غمارة»، و«أزداجة»،و«هوارة»، و«نفوسة»، وقد افترشت هذه القبائل مساحات واسعة،امتدت من «تلمسان» غربًا حتى «طرابلس» شرقًا. ومضى «عبدالرحمن» فى حكم البلاد بالعدل، منتهجًا سياسة شرعية فى إدارتها، مما أشاع الاستقرار والأمن بين الناس، فلما شعر بدنو أجله اختار مجلسًا للشورى، لِيُختار من بين أفراده مَن يصلح للإمامة من بعده، واختار ابنه «عبدالوهاب» ضمن أفراد هذا المجلس، ثم مات فى سنة (168ه/ 784م)فتولاها عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم [168ه/784م] اختاره مجلس الشورى ليكون خلفًا لأبيه فى الإمامة، واتسم عهده ببعض الاضطرابات

والقلاقل، وواجه العديد من الثورات التى اتخذ بعضها طابعًا مذهبيا، وبعضها الآخر طابعًا قبليا، فأثّرت إلى حد بعيد على «الدولة الرستمية»، وعلى رمزها الدينى المتمثل فى الإمام. ومات «عبد الوهاب» فى سنة (198ه/814م). فجاء أفلح بن عبد الوهاب [198ه/ 814م] وبويع خلفًا لأبيه وكان ذا صفات طيبة، وجاءت مبايعته على عكس ما نهجه الخوارج فى تعيين الإمام، إذ اختاره أبوه للإمامة قبل وفاته، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة الظروف التى ألمت بالبلاد، حيث أحاط الأعداء بمدينة «تهيرت»، وكان لابد من اختيار رجل شجاع يتمكن من مواجهة الأعداء. وقد اتسم عهد «أفلح» بالهدوء والاستقرار، وبلغت الدولة فى عهده أوج ازدهارها، ونشطت التجارة، وأقبل الناس من كل مكان قاصدين العاصمة «تهيرت»، وتُوفى الإمام «أفلح» فى سنة (240هـ)، إثرحزنه الشديد على وقوع ابنه «أبى اليقظان» فى أيدى العباسيين. وجاء أبو بكر بن أفلح بن عبد الوهاب [240ه/854م] وكان «أبو اليقظان» مرشحًا لمنصب الإمامة، ولكن وقوعه فى أيدى العباسيين حال دون ذلك، وتولاها أخوه «أبو بكر» الذى لم يكن فى شدة آبائه وأجداده وحزمهم، فضلا عن انغماسه فى الترف والنعيم وميله إلى الراحة، وقد تفرغ لراحته وملذاته حين خرج أخوه «أبو اليقظان» من سجن العباسيين وشاركه الحكم، ولكن «أبا بكر» دبر مقتل «محمد بن عرفة» وهو من الشخصيات البارزة بالعاصمة، ليتخلص من نفوذه فكان ذلك سببًا فى نشوب الصراع بين طوائف الدولة الرستمية وحاولت كل طائفة تحقيق أهدافها من خلال المعارك الطاحنة، التى أسفرت عن هزيمة حكام البيت الرستمى، واعتزال «أبى بكر» منصب الإمامة. ثم جاء أبو اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الوهاب [268ه/ 881م]: وقد شهدت العاصمة «تهيرت» فترة من القلاقل والاضطرابات، ثم نجح «أبو اليقظان» فى تهدئة الأوضاع ودخول العاصمة «تهيرت» فى سنة (268ه/881م)، فتولى منصب الإمامة، وتجنب سياسة التعصب وتفضيل قبيلة بعينها على غيرها، وجلس لبحث شكاوى رعاياه والبت فيها بنفسه، واستعان بمجلس الشورى الذى ضم إليه شيوخ القبائل ووجهاءها، فاستقرت الأوضاع، وهدأت النفوس، وظل «أبو اليقظان» يدير دفة الأمور فى دولته حتى وفاته فى سنة (281ه/894م). ثم جاء أبو حاتم يوسف بن محمد [281ه/894م]: وتولى

الإمامة عقب وفاة والده «أبى اليقظان»، لأن أخاه الأكبر «يقظان» كان غائبًا فى موسم الحج، وقد لعب العامة بزعامة «محمد بن رباح» و«محمد بن حماد» المعروفين بالشجاعة والنجدة دورًا بارزا فى المطالبة ببيعة «أبى حاتم» بالإمامة لسخائه وكرمه، ولكن هذا الدور الذى لعبه العامة أطمعهم فى التدخل فى شئون الحكم وتحقيق المكاسب، فرفض «أبو حاتم» ذلك وضرب على أيديهم وطردهم من المدينة، فعمدوا إلى تأليب القبائل ضده، ونجحوا فى طرده من العاصمة «تهيرت» وبايعوا عمه «يعقوب بن أفلح» بالإمامة، فصار هناك إمامان من بيت واحد، يقفان وجهًا لوجه فى صراع دام على السلطة، ولكن أحدهما لم يحقق نجاحًا ملموسًا على الآخر، فاحتكما وعقدا هدنةً، وعاد «أبو حاتم» إلى العاصمة إمامًا على البلاد، وانسحب عمه «يعقوب» بعد أن حكم العاصمة «أربع سنوات». وقد حاول «أبو حاتم» إصلاح ما أفسدته الحروب داخل العاصمة «تهيرت»، وكوَّن مجلسًا استشاريًا من زعماء القبائل ومشايخها للاستعانة بهم فى إدارة البلاد، ولكن محاولاته الإصلاحية كانت بمثابة صحوة الموت للبيت الرستمى، خاصة بعد أن ضعفت قوتهم العسكرية فى محاولة لإنهاء الصراع الذى وقع حول مدينة «طرابلس». وقد تآمر أفراد البيت الرستمى أنفسهم على حياة إمامهم «أبى حاتم»، وقتلوه فى سنة (294هـ/907م) ثم جاء اليقظان بن أبى اليقظان [294هـ/907م] وبويع له بالإمامة عقب مقتل أخيه فى سنة (294هـ/907م)، واتسم عهده بالفتن والقلاقل، وتطلع مختلف القبائل والطوائف إلى الاستئثار بالحكم، كما دبرت المؤامرات من داخل البيت الرستمى على يد «دوسر» ابنة «أبى حاتم»، وتكاتفت فرق ضد الخوارج مثل: «المالكية» و«الواصلية» و«الشيعة» لإحباك الفتن والمؤامرات للإطاحة بالإمام، وقد نجح «اليقظان» إلى حد بعيد فى كبح جماح هذه الطوائف والحد من نشاطها، فهربت «بنته دوسر»، ولجأت إلى «أبى عبدالله الشيعى» الذى نجح فى بسط نفوذه على مساحات كبيرة من أرض «المغرب»، واستنجدت به للثأر لأبيها، فاستجاب لها، واتجه إلى «تهيرت»، فخرجت لمقابلته وجوه أهل «تهيرت» ورحبوا بمقدمه، واستسلم «اليقظان» لمصيره، وخرج مع بنيه إلى «أبى عبدالله»، فأمر بقتلهم ودخل

العاصمة فى سنة (297هـ/ 910م)، واستولى على ما بها من أموال ومغانم، وبذلك طويت صفحة «الدولة الرستمية».

## دولة الأدارسة

## [172-300هـ / 788 - 913م]

اضطهد العباسيون منذ اللحظة الأولى لقيام دولتهم أبناء عمومتهم من العلويين، وأسرف بعض الخلفاء العباسيين فى ذلك، فأسفر الأمر عن قيام عدة ثورات، كانت آخرها ثورة «الحسين بن على ابن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب» على والى «المدينة» فى سنة (169هـ/785م)، ولكن العباسيين استطاعوا قمعها، وقتلوا زعيمها ومجموعة من أهل بيته. وكان « إدريس بن عبدالله (172هـ/ 788م): » ومولاه «راشد» ممن فرّ من أرض المعركة، واتجها إلى «مصر»، ومنها إلى «المغرب الأقصى»، ونزلا مدينة «وليلى» عاصمة هذا الإقليم، ثم توجها إلى أميرها وزعيمها «إسحاق بن محمد بن عبدالحميد الأوربى»، زعيم قبيلة «أوربة» التى فرضت نفوذها وسيطرتها على مدينة «وليلى» وما حولها، وعرفه «إدريس» بنفسه، وأعلمه بسبب فراره من موطنه «الحجاز»، ولجوئه إلى بلاده، فرحب به «إسحاق» وآمن بدعوته، وبايعه بالإمامة، وكذلك بايعته قبيلته «أوربة»، ومعها بقية القبائل فى رمضان سنة(172هـ/788م) ومن ثم نجح «إدريس» فى تأسيس دولة حملت اسمه بالمغرب الأقصى. لكن ذلك أقلق الخلافة العباسية خاصة بعد أن مدّ «إدريس» نفوذه إلى مدينة «تلمسان» بالمغرب الأوسط. وعمد الخليفة العباسى «الرشيد» إلى الحيلة للقضاء على نفوذ «الأدارسة»، فقيل إنه بعث برجل يدعى «الشماخ» إلى «إدريس»، فتظاهر بحبه لآل البيت، وفراره من بطش العباسيين، ولازم «إدريس» فترة ثم اغتاله حين سنحت له الفرصة، وهكذا نجحت الخلافة العباسية فى التخلص من «إدريس» أبرز المناوئين لها، وفقدت «دولة الأدارسة» مؤسسها فى سنة (175هـ/791م) بعد ثلاث سنوات ونصف فقط من قيامها. وبات مقعد الإمامة شاغرًا عقب اغتيال «إدريس»، والتف البربر حول مولاه «راشد»، وانتظروا مولود «كنزة» زوجة «إدريس بن عبدالله»، فلما وضعت حملها أسموه « إدريس

الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل [175 - 213هـ / 791 - 828م] تبركًا باسم والده، وتعهده «راشد» بالتربية والرعاية، ونشّأه تنشأة دينية، حتى إذا بلغ الحادية عشرة من عمره أقبلت القبائل على مبايعته بالإمامة، فدعا ذلك الخلافة العباسية إلى التحرك ثانية للقضاء على هذه الدولة، وأوكلت هذه المهمة إلى والى «المغرب الأدنى» «إبراهيم بن الأغلب» الذى نجح فى استمالة مجموعة من البربر بأمواله وهداياه، ثم أوكل إليهم مهمة قتل «راشد»، فقاموا بتنفيذها فى سنة (186هـ/ 802م)، لكن «الدولة الإدريسية» واصلت مسيرتها، وانتقلت كفالة «إدريس» والوصاية عليه إلى «أبى خالد بن يزيد بن إلياس العبدى»، وجُدّدت له البيعة فى سنة (188هـ/804م)، حين بلغ الثالثة عشرة من عمره، وأصبح فى سن تؤهله لخلع الوصاية وإدارة البلاد، وعزز مركزه إقبال الوفود العربية من «القيروان» و«الأندلس» للعيش فى كنف دولته فرارًا من بطش الحكام، فدعم بهم نفوذه، واتخذ منهم الوزراء والكتاب والقضاة، وجعلهم بطانته وحاشيته، وقد شجعه هؤلاء على بناء عاصمة جديدة لدولته، فبنى مدينة «فاس»، ثم استقر بها. وفى سنة (197هـ/ 813م) خرج «إدريس الثانى» على رأس قواته لإخضاع «قبائل المصامدة» التى هددت أمن بلاده، ونجح فى ذلك نجاحًا كبيرًا، وامتد نشاطه حتى منطقة «السوس الأقصى»، ودخل مدينة «نفيس» ثم عاد إلى عاصمته «فاس»، وخرج فى العام التالى صوب الشرق لتأمين حدود دولته، ودخل مدينة «تلمسان»، وأقام بها ثلاث سنوات، يرتب أمورها، ويرمم مسجدها، ثم عاد إلى «فاس» فى سنة (201هـ) وظل فى الحكم حتى وافته المنية فى سنة (213هـ/828م). فتولى «محمد بن إدريس بن إدريس (213 - 234هـ/ 828 - 848م)» أكبر أبناء «إدريس الثانى» الإمامة فى سنة (213هـ/828م)، فنفذ وصية جدته «كنزة» بتقسيم أقاليم الدولة بين إخوته، فكان لذلك أثره السيئ على وحدة دولة «الأدارسة»، ولم يمض على قيامها أربعون سنة بعد، وطمع كل أخٍ فى الاستقلال بإقليمه، وشقَّ عصا الطاعة على السلطة المركزية. ولكن «محمد بن إدريس» تصدى لإخوته وضم ممتلكات أخويه «عيسى» و«القاسم» بعد هزيمتهما إلى أخيه «عمر». ولم تشهد البلاد بعد هذا التقسيم استقرارًا إلا فى بعض فترات مثل فترة: عهد «يحيى بن محمد» الذى تولى الإمامة فى سنة

(234ه/848م) ،فازدهرت فى عهده مدينة «فاس» وشهدت تطورًا ملحوظًا فى أنشطتها، ثم عهد «يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس» عام (292ه/905م)، الذى وصفه المؤرخون بأنه كان أعظم ملوك «الأدارسة» قوة وسلطانًا وصلاحًا وورعًا وفقهًا ودينًا، وقد ظل بالحكم حتى سنة (305هـ / 917م) حتى طرق «مصالة بن حيوس» أبواب مدن «المغرب الأقصى»، فأطاعه «يحيى بن إدريس»، وبايع «أبا عبيد الله المهدى»، فدخلت دولة «الأدارسة» منذ ذلك الحين فى طور التبعية للفاطميين تارة، وللحكم الأموى بالأندلس تارة أخرى. وسيأتي التفصيل أكثر في فصل الأدارسة. فراجعه هناك.

## دولة بنى مدرار
## [122 – 354 هـ / 740 - 965م]

ساهمت الظروف السياسية التى مر بها إقليم «المغرب» عقب نجاح الثورة التى قادها «ميسرة المضفرى الصفرى» ضد الدولة الأموية فى سنة (122ه/740م) فى استقلال « المغرب الأقصى » وانفصاله عن الحكم الأموى، فأسهم ذلك -إلى جانب اضطراب الأوضاع فى إقليمى «المغرب الأوسط" أي الجزائر » و« المغرب الأدنى أي تونس وليبيا »- فى قيام تجمع مذهبى فى جنوب «المغرب الأقصى» هو تجمع «الصفريين» الذين وجدوا بمنطقة «سجلماسة» المجال المناسب لإقامتهم، ثم أسسوا مدينة تحمل اسم المنطقة، لتكون نواة لدولة صفرية، وبايعوا «عيسى بن يزيد بن الأسود» إمامًا لهم، وسانده «أبو القاسم سمكو» زعيم قبيلة «مكناسة» بمبايعة قبيلته له، ولكن جماعة «الصفرية» - بعد خمس عشرة سنة- أخذوا عليه بعض المآخذ، وأنكروا عليه بعض الأمور ،وقتلوه فى سنة (155ه/ 772م)، وقد تولى «أبو القاسم ابن سمنون بن واسول المكناسى بن مدرار» الحكم خلفًا لعيسى، وجعل الحكم متوارثًا فى أفراد «الأسرة المدرارية» حتى سقوط المدينة فى أيدى الفاطميين، وقد توالى الأئمة بعد وفاة «مدرار»، حتى جاءت سنة (174ه/ 790م) فتولى «اليسع بن أبى القاسم» الملقب بأبى منصور شئون الحكم، وظل فى مقعد الإمامة حتى سنة (208ه/823م) ،وشهدت المدينة فى عهده ازدهارًا اقتصاديا، ونفوذًا سياسيا كبيرًا ،لذا يعد «اليسع» المؤسس الحقيقى لدولة

«بنـى واسـول» المعروفـة بـدولة «بنـى مـدرار»، وامـتـد نجـاح «اليسع» إلى تعمير العاصمـة «سجلماسـة»، فـشهدت فـي عهـده تطـورًا واتـساعًا، ومـات «اليـسع» فـى سـنة (208هـ/ 823م) . وتولى «مـدرار» خـلفًا لوالده فـى سنة (208هـ/ 823م)، ولقب نفسه بالمنتصر، وظل بالحكم حتى سنة (223هـ/838م)، ونشب النزاع- خلال هـذه الفترة - بين أبنـاء «مـدرار»، مما أضعف نفوذهـم، وفكَّكَ وحدة بيتهم. وخلفه «محمد بن ميمون بن مدرار»، ووافاه أجله فى سـنـة (270هـ/883م)، فتولى من بعده عـمه «اليـسع بـن مـدرار»، ودخـل «عبيد الله المهدى» وابنه «القاسم» إلى «سجلماسة» فى عهده، فلما اكتشف حقيقـة أمرهمـا، قبض عليهما، وأودعهما السجن، فظلا به حتى أقبل «أبو عبد الله الشيعى» عـلى رأس قواته وخلصهما، ثم استولى على المدينـة فـى سنـة (296هـ/909م)، وحـاول بعض أفـراد البيت المـدرارى اسـترداد مدينتـهم واستعـادة حكمهـم مـن قبـضـة الفـاطميين، وقـد حققوا نجـاحًا نسبيا فـى ذلك، ولكن «جـوهر الصقلى» تمكن من القضاء على مُلكهم فـى سـنـة (347هـ/958م)، وقبض عـلى «الشـاكر بـالله» آخر أمرائهم، وأودعـه سـجن مدينـة «رقـادة»، فمـات بـه فـى سنة (354هـ/ 965م) . وطويت صفحـة التـاريخ السياسـى لمدينة «سجـلماسـة» فى القرن الثالث الهجرى.

## الدولة الفاطمية بالمغرب

## [296-362هـ / 908 - 973م]

قـامت «الدولـة الفـاطمية» ببلاد «المغـرب» وفـق خطـة مرسـومة من قبل دعـاة الشيعـة - عـلى أكتاف قبيلة «كتامة»، التى تنتمى إلى بربر «البرانـس»، وتميـزت عـن غيرهـا مـن القبـائل بكثرة عددهـا، ومنعـة منطقـة سـكنـاهـا بجبـالِ «الأوراس» بين مـدينـتـى «بجـايـة» و«قسنطينة»، فضلا عن عدم خضوعها لسلطة الولاة اعتزازًا بمنعتها وقوة بأسها. وقد وقف زعمـاء الشيعة على ما اتصفت به هذه القبيلة، واختار «ابن حوشب» رئيس مركز الدعوة الشيعية باليمن «أبا عبد الله الحسين بن أحمد الشيعى» للاتصال بوفد «كتامة» بموسم الحج، لنشر الدعوة الشيعية بالمغرب، وإقامة الدولة المرتقبة هناك. وقد تم لقاء «أبى عبد الله» بوفد «كتامة» بمكة، وجعله هـذا الشيعى يبدو كأنه جاء مصادفة، وبدأ يتعرَّف أحوالهم وميولهم المذهبية، ولم يفصح عما أضمره وما جاء من

أجله، ونجح فى استمالتهم والسيطرة على قلوبهم بمكره ودهائه وعلمه وجدله، ثم تظاهر بعد انقضاء موسم الحج برغبته فى السفر معهم إلى «مصر»، للتدريس لأبنائها ،فاصطحبوه معهم، فلما وصلوها ، ألحوا عليه بمصاحبتهم إلى بلادهم،فوافقهم، وذهب معهم إلى المغرب فى سنة (289هـ/ 902م)، واتخذ من «إيكجان» مستقرا له لأنها نقطة التقاء حجاج «الأندلس» و«المغرب الأقصى»، والمتوجهين لأداء فريضة الحج. وبدأ «أبو عبدالله» فى تنفيذ خطته، وتظاهر بتعليم الصبية، وإلقاء دروسه عليهم، فزاده ذلك مكانة ومنزلة بين أبناء «كتامة»، وذاع صيته بين القبائل، وقصده البربر من أماكن متفرقة، لينهلوا من علمه،ويستفيدوا من نصائحه، ثم عمد «أبو عبدالله» إلى مصارحة بعضهم بعد أن اطمأن إليهم بحقيقة أمره، ورغبته فى إقامة دولة لآل البيت تقوم على أكتاف قبيلة «كتامة»، لأن الروايات كما ادَّعى لهم جاءت بذلك، وأخبرت عما ينتظرهم من عز الدنيا وثواب الآخرة. وأخذ «أبو عبدالله» على عاتقه تنظيم صفوف أبناء «كتامة» وبعض أبناء القبائل الأخرى، وقسَّمهم إلى سبعة أقسام، وجعل على رأس كل قسم منها داعية يطمئن إليه، فاستطاع بهذا الأسلوب العملى إقامة مجتمع يدين بفكرة واحدة هى إقامة الدولة المثالية التى يحكمها إمام من آل البيت. وقد اتخذ «أبو عبدالله الشيعى» من أبناء «كتامة» جندًا يدافعون عن الدعوة ويهاجمون القوى السياسية الموجودة بالمنطقة، وهى «الأغالبة» بالمغرب الأدنى و«الرستميون» بالمغرب الأوسط، و«بنو مدرار» بسجلماسة بجنوب «المغرب الأقصى» وبقايا «الأدارسة» بمدن «المغرب الأقصى»، وترتب على ذلك دخول «أبى عبدالله الشيعى» فى عدة معارك مع هذه القوى، كانت أشهرها معركة «كنيونة»،التى انتصر فيها على «الأغالبة» فى سنة (293هـ/ 906م) ثم توالت انتصاراته بعد ذلك، ودخل مدينة «رقادة» وقضى على نفوذ«الأغالبة» ثم دعا «المهدى الفاطمى» إلى «المغرب» لتسلم مقاليد الأمور فلبى الدعوة، وتخفَّى فى زى التجار حتى لا يقع فى قبضة العباسيين، ودخل مدينة «رقادة» فى سنة (297هـ/ 909م)، ثم بويع بالإمامة.

## الخلفاء الفاطميون بالمغرب

حكم أربعة خلفاء فاطميين بلاد المغرب فى الفترة من سنة (297ه/909م) إلى سنة (365ه/975م) وكان المعز لدين الله الفاطمى هو آخر هؤلاء الخلفاء حيث انتقل بالخلافة إلى القاهرة التى اتخذها عاصمة جديدة للفاطميين، بعد أن تم له فتح مصر على يد قائده جوهر الصقلى فى سنة (358ه/ 969م)، والخلفاء الأربعة هم: 1 - المهدى: عبيد الله أبو محمد [297 - 322ه/ 909-934م]. 2 - القائم: محمد أبو القاسم [ 322 - 334 هـ / 934- 945م]. 3 - المنصور: إسماعيل أبو طاهر [334 - 341ه/945 - 952م]. 4 - المعز: معدّ أبو تميم [ 341 - 365 هـ / 952 - 975م]. وقد وُلد «المهدى» أول الخلفاء بالعراق فى سنة (266هـ / 880م) وتوفى بالمهدية فى سنة (322هـ / 934م)، ثم تلاه ابنه «محمد» الذى ولد «بسَلَمْيه» فى المحرم سنة (278هـ / أبريل 891م)، ورحل مع أبيه إلى «المغرب»، وتولى الإمامة من بعده، ومات فى سنة (334ه/ 945م)، فجاء من بعده ابنه «إسماعيل» الذى وُلد «بالمهدية» فى الليلة الأولى من جمادى الآخرة فى سنة (303ه/ ديسمبر 915م) وبويع له فى شوال سنة (334ه/ 945م) وتوفى يوم الأحد فى الثالث والعشرين من شوال سنة (341ه/ فبراير 953م)، وكان فصيحًا بليغا، خطيبًا حاد الذهن حاضر الجواب ثم جاء المعز آخر الخلفاء الفاطميين فتولى الأمر بعد أبيه فى شوال من العام نفسه، وكان عمره أربعة وعشرين عامًا، وقد وُلد بالمحمدية فى يوم الاثنين 10 من رمضان سنة (319هـ)، وكان أول الخلفاء الفاطميين الذين دخلوا «مصر» وانتقلوا بالخلافة إليها، ومكث بها عامين وتسعة أشهر.

### بعض المشكلات الداخلية

حين قدم المهدى إلى بلاد المغرب وجد أن داعيته «أبا عبد الله الشيعى» قد استحوذ على قلوب الناس فيها، وأصبح ذا نفوذ وسلطة كبيرين بالمنطقة، فأراد «المهدى» أن يحد من سلطاته ونفوذه فانقلب عليه أبو عبد الله وتآمر ضده، وجمع زعماء كتامة وأخبرهم بتشككه فى شخص المهدى وأنه ربما يكون شخصًا آخر غير الذى دعا إليه، فبلغ هذا الأمر المهدى فتخلص منه بالقتل، فسخط الكتاميون وثاروا، وأتوا بطفل صغير وقالوا: إنه «المهدى»، فحاربهم «المهدى

الفاطمى» وقتل هذا الطفل. ثم تعرضت «المغرب» فى عهد «القائم بالله» وابنه «أبى العباس» من بعده لثورة «أبى يزيد مخلد بن كيداد اليغرنى»، الذى ينتمى إلى قبيلة «يغرن» الزناتية، وقد ولد بالسودان، ونشأ بتوروز وتعلم بها، ثم اتصل بالإباضية، ومن ثم هاجم ما استحدثه المذهب الشيعى على المجتمع المغربى واجتمع الناس حوله ورحل إلى جبل الأوراس عقب وفاة المهدى فانضمت إليه جموع القبائل، فقام بثورته واستولى على العديد من المدن، واستغرقت ثورته نحو أربعة عشر عامًا، فشملت عهد القائم بالله كله، وعامين من عهد أبى العباس الذى تصدى لها وتمكن من القضاء عليها وعلى زعيمها أبى يزيد وسجل انتصاره هذا بإنشاء مدينة المنصورية فى سنة (337هـ).

## العلاقات الخارجية للفاطميين

قام الفاطميون بحملات متكررة على مصر للاستيلاء عليها، ففشلت جميعها، إلا حملة جوهر الصقلى الذى نجح فى دخول مصر فى سنة (358هـ/969م) ثم أسس بها مدينة القاهرة لتصبح عاصمة الفاطميين، فانتقلت إليها الأسرة الفاطمية وباتت القاهرة عاصمتهم حتى سقوط دولتهم. وقد سعى الفاطميون إلى بسط نفوذهم على بلاد الأندلس بالدعوة تارة وبالحروب أخرى، ولكن جهودهم ضاعت هباءً، ولم تجد دعوتهم صدى فى نفوس الأندلسيين من أهل السنة فضلا عن أن حكام الأندلس وقفوا لهم بالمرصاد وحصنوا بلادهم، وعززو أسطولهم فتراجع الفاطميون عن ذلك واتجهوا إلى مصر. واستهدف الفاطميون من اتخاذ مصر قاعدة لحكمهم تحقيق الأمن والاستقرار لوجودهم خاصة بعد أن اشتعلت فى وجوههم الثورات الخطيرة التى كادت تودى بكيانهم على أرض المغرب فضلا عن أملهم فى تحقيق أهداف سياسية واقتصادية فى مصر إذ إنها بموقعها وثرواتها وإمكاناتها تحقق لهم ما يريدون من مال وثروات وازدهار اقتصادى كما أن الاستيلاء عليها يعد ضربة قاصمة للعباسيين الذين قتلوا كثيرًا من أبناء البيت العلوى ولذا أرادوا الانتقام منهم والثأر لأنفسهم.

## النشاط المذهبى للفاطميين ببلاد المغرب

شهدت المنطقة طوال عهود الخلفاء الفاطميين فى المغرب صراعًا مذهبيا بين المالكية غالبية أهل السنة – وبين الشيعة الذين استخدموا كل الوسائل الممكنة، لنشر مذهبهم وطمس معالم المذاهب الأخرى وجعلوا الوظائف قاصرة على الشيعة واستبدلوا قواعد مذهبهم بأحكام المذهب السنى وعقدوا المجالس والمناظرات لإقناع أهل البلاد بصحة مبادئهم ثم لجئوا إلى العنف والرعب والاضطهاد حين فشلت وسائلهم فى إدخال سكان البلاد فى مذهبهم، ففشلت هذه الوسائل أيضًا حتى عاد المذهب السنى مذهبًا رسميًا للبلاد فى عهد المعز ابن باديس .

## بنو زيرى بالمغرب ودخول الهلاليين

يرجع نسب «بنى زيرى» إلى قبيلة «صنهاجة» البربرية التى تنتمى إلى فرع من « البرانس»، ولم تكن «صنهاجة» مجرد قبيلة بل كانت شعبًا عظيمًا، لا يكاد يخلو قطر من أقطار «المغرب» من بطونه وأفراده مما دفع «ابن خلدون» إلى القول بأنهم يمثلون ثلث البربر . وقد سكنت «صنهاجة» فى مساحات شاسعة امتدت من «نول لمطة»فى جنوب «المغرب الأقصى» إلى «القيروان» بتونس وهى منطقة صحراوية، آثروا السكنة فيها على غيرها من المدن الآهلة، لأنها – كما قال ابن خلدون تتوافق مع طباعهم، ورغبتهم فى الابتعاد عن الاختلاط بالناس، والفرار من الغلبة والقهر . وظهرت أسرة «بنى زيرى» فى أول أمرها فى طاعة الفاطميين وتعاونت معهم فى صد الأخطار التى تعرضت لها دولتهم بالمغرب وكان أول اتصال بينهما فى عهد «المنصور الفاطمى»، حين قدم «زيرى بن مناد» وأهل بيته وقبيلته لمحاربة «أبى يزيد الخارجى»فى سنة (335هـ/946م)، فخلع عليه «المنصور»، ووصله، وعقد له على أهل بيته وأتباعه وقبيلته، فعظم شأنه، وصار «بنو زيرى»أعوانًا وأتباعًا للفاطميين، ومن ثَم نشب الصراع بين الصنهاجيين،وقبائل «زناتة»، لأن «زناتة» كانت دائمة الإغارة على ممتلكات «الدولة الفاطمية» . وحين عزم «المعز» على الرحيل إلى «مصر» فى سنة (361هـ 972م)للانتقال إليها بخلافته، وقع اختياره على «يوسف بُلكِّين ابن زيرى بن مناد الصنهاجى» ليتولى الإمارة بالمغرب خلفًا للفاطميين .

(1) يوسف بُلكّين بن زيرى بن مناد الصنهاجى [362-373هـ/ 973 - 983م] هذا عينه «المعز» على ولاَية «المغرب»، واستثنى من ذلك «طرابلس المغرب»، و«أجدابية» و«سرت»، وعين معه «زيادة الله ابن القديم» على جباية الأموال، وجعل «عبدالجبار الخراسانى» و«حسين بن خلف» على الخراج، وأمرهما بالانقياد ليوسف بن زيرى. وواجه «يوسف» هذا عدة ثورات واضطرابات بالمغرب، كان منها عصيان أهل «تهيرت»، ثم سيطرة قبيلة «زناتة» على مدينة «تلمسان»، وقد توجه إلى «تهيرت» بجنوده وأعادها إلى طاعته، كما توجه إلى «تلمسان» وأعادها إلى حكمه فى سنة (365هـ/ 976م) وفى سنة (373هـ/984م) خرج الأمير «يوسف» على رأس جيوشه لاستعادة «سجلماسة» من أيدى بعض الثوار الذين استولوا عليها، ولكنه أصيب بمرض أودى بحياته فى شهر ذى الحجة سنة (373هـ/ مايو 984م).

2 - المنصور بن يوسف بُلكّين بن زيرى [373 - 386هـ/ 984- 996م] أوصى الأمير «يوسف بلكين» قبل وفاته بالإمارة من بعده لابنه «المنصور» الذى كان بمدينة «أشير» حين بلغه خبر وفاة والده، وأقبل عليه أهل «القيروان» وغيرها من المدن، لتعزيته، وتهنئته بالولاية، فأحسن إليهم وقال لهم «إن أبى يوسف وجدى زيرى، كانا يأخذان الناس بالسيف، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان، ولست ممن يُولّى بكتاب، ويُعزل بكتاب»، وقصد «المنصور» من ذلك أن الخليفة الفاطمى بمصر لا يقدر على عزله بكتاب. وقد واجهت «المنصور» عدة مشاكل، كانت منها غارات قبائل «زناتة» المستمرة على المدن المغربية فى سنة (374هـ/ 985م)، واستيلاء «زيرى بن عطية الزناتى» على مدينتى «فاس» و«سجلماسة»، مما دفع «المنصور» إلى إرسال أخيه «يطوفت» على رأس جيش كبير لمواجهة هذه القبائل، ودارت معركة كبيرة بين جموع الفريقين، أسفرت عن هزيمة الصنهاجيين، وعودتهم إلى «أشير». ثم تصدى الأمير «المنصور» فى سنة (376هـ/ 986م) لعمه «أبى البهار» الذى نهب مدينة «تهيرت»، ففر «أبو البهار» أمامه ودخل «المنصور» المدينة، وأعاد إلى أهلها الأمن والهدوء. ثم تُوفى فى يوم الخميس (3 من ربيع الأول سنة 386هـ/ مارس 996م)، ودُفن بقصره.

3 - باديس بن المنصور [386- 406هـ/ 996-1015م]:وُلد «باديس» فى سنة (374هـ/985م) وتكنى بأبى مناد، وخلف أباه على «المغرب» فى سنة (386هـ/996م)، وأتته الخلع والعهد بالولاية من «الحاكم بأمر الله الفاطمى» من «مصر»، وبايع للحاكم، وأعلن تبعية بلاده لخلافته، ثم أقطع عمه «حماد بن يوسف» مدينة «أشير»،وولاه عليها، وأعطاه خيلا وسلاحًا، وجندًا كثيرًا فكانت هذه هى نقطة البداية لانقسام «بنى زيرى» إلى أسرتين:تحكم إحداهما بالمغرب الأدنى فى «ليبيا» و«تونس»، وتحكم الأخرى - أسرة «بنى حماد» - فى «الجزائر»، متخذة من قلعة «بنى حماد» مقرا للحكم. وانفرد «بنو حماد» بإقليم «الجزائر»، نظرًا لضعف قبضة الأمير «باديس» على البلاد. وقد واصل «باديس» مطاردة «زناتة، وأُخبر فى سنة (387هـ/ 997م) بأن «زيرى بن عطية الزناتى» قد اعتدى على مدينة «أشير»، فبعث إليه بجيشه لمواجهته، ولكن الجيش هُزم على أيدى الزناتيين،فاضطر الأمير «باديس» إلى الخروج بنفسه لمواجهتهم فى «أشير»،فلما علم الزناتيون بذلك انطلقوا إلى الصحراء، وتركوا المدينة،فدخلها «باديس»، وأقر الأمور بها، ثم مات فى سنة (406هـ/ 1015م).

4 - المعز بن باديس [406 - 453هـ/ 1015 - 1061م] أُخذت البيعة للمعز بمدينة «المحمدية» وتولى الأمر يوم وفاة أبيه وفرح الناس بتوليته لما رأوا فيه من كرم ورجاحة عقل، فضلا عن تواضعه ورقة قلبه، وكثير عطائه على الرغم من حداثة سنه. وقد حدثت فى عهده بعض التطورات، حيث ألغى المذهب الشيعى،وخلع طاعة الفاطميِين، ودعا على منابره للعباسيين، وتصالح مع أبناء عمومته الحماديين سنة (408هـ/ 1017م) وواصل مطاردة «قبائل زناتة» جهة «طرابلس»، فى أبناء «حماد». ثم أُصيب «المعز بن باديس» بمرض فى كبده أودى بحياته فى سنة (453هـ/ 1061م)، بعد حكم دام سبعًا وأربعين سنة.

5 - تميم بن المعز بن باديس [ 453-501 هـ / 1061 - 1108م]:وُلد بالمنصورية فى منتصف رجب سنة (422هـ/يونيو 1031م)، ثم تولى إمرة «المهدية» فى عهد والده «المعز» فى سنة (445هـ/1053م)، ثم خلف والده فى الإمارة فى سنة (453هـ/ 1061م) فواجه عددًا من الاضطرابات والقلاقل، حيث سيطر العرب الهلاليون على كثير من مناطق

«إفريقية»، وثار عليه أهل «تونس» وخرجوا عن طاعته، فأرسل إلى «تونس» جيشًا، حاصرها سنة وشهرين فلما اشتد الحصار على الناس، طلبوا الصلح، وعاد جيش «تميم» إلى «المهدية»، ثم ثارت عليه مدينة «سوسة» فحاصرها وفتحها عنوة،وأمن أهلها على حياتهم . وقد تعرضت «المهدية» فى عهده لهجمات الهلالية، لكنه تمكن من صدهم، ثم حاصر «قابس» و«صفاقس»، واستولى عليهما من أيدى الهلالية الذين كانوا يحتلونهما . وعمد إلى مهادنة أبناء عمومته فى «الجزائر»، وزوج ابنته للناصر بن علناس أمير «الجزائر»، وأرسلها إليه فى موكب عظيم، محملة بالأموال والهدايا . ثم تُوفى فى سنة (501هـ/1107م) .

6 - يحيى بن تميم بن المعز بن باديس [501 - 509هـ/ 1107- 1115م] ولد بالمهدية فى (26 من ذى الحجة سنة 457هـ) ، وولى الإمارة وعمره ثلاث وأربعون سنة وستة أشهر وعشرون يومًا ، فوزّع أموالاً كثيرة، وأحسن السيرة فى الرعية، ثم فتح قلعة «أقليبية» التى استعصى على أبيه من قبل فتحها ، كما جهز أسطولاً كبيرًا ، كان دائم الإغارة على الجزر التابعة لدولة الروم فى البحر المتوسط، ومات فجأة فى يوم عيد الأضحى سنة (509هـ - 1115م) .

7 - على بن يحيى بن تميم [ 509 - 515 هـ / 1115 - 1121م]:لم يكن الأمير «على» حاضرًا بالمهدية التى وُلد بها حين وفاة والده، فلما وصل إليه الخبر، حضر مسرعًا ، ودفن والده، وتولى الإمارة خلفًا له ثم جهز أسطولاً كبيرًا لمهاجمة جزيرة «جَرْبَة»، لأن أهلها قطعوا الطريق على التجار وتمكن الأسطول من إخضاع الجزيرة، وأمَّن الأمير أهلها وعفا عنهم، ثم قضى على عصيان «رافع» عامله على «قابس»، الذى سعى إلى شق عصا الطاعة وحشد الجموع لمهاجمة «المهدية» وقد تُوفى الأمير «على» فى العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة (515هـ/يونيو 1121م) .

8 - الحسن بن على بن يحيى [515 - 543هـ/ 1121 - 1148م]:ولى الإمارة عقب وفاة والده الأمير «على»، وكان عمره آنذاك اثنتى عشرة سنة، فقام «صندل الخصىّ» بإدارة شئون الحكم، إلا أنه تُوفى بعد فترة قصيرة، فتولى القائد «أبو عزيز موفق» الإشراف على أمور البلاد، وتمكن من صد الأسطول الرومى الذى هاجم بعض حصون الزيريين فى سنة (517هـ/ 1123م)،

وكذلك ألحق الأمير «الحسن» الهزيمة بجيش «يحيى بن عبد العزيز بن حماد» أمير «بجاية» الذى جاء لمهاجمة «المهدية» والاستيلاء عليها فى سنة (529هـ/ 1135م) وفى سنة (537 – 543هـ/ 1142 – 1148م) حل القحط بإفريقية واستغل ملك «صقلية» ذلك وجهز أسطولاً كبيرًا، وتوجه به قاصدًا «المهدية»، ولم يستطع «الحسن» الدفاع عنها، وهرب بأهله ومتاعه إلى أبناء عمومته من «بنى حماد»، فوضعوه وأهله تحت الحراسة، ومنعوه من التصرف فى شىء من أمواله، ودخل الروم مدينة «المهدية» دون قتال أو ممانعة، فسقط حكم «بنى زيرى»، وسقطت إمارتهم، وكان «الحسن بن على» آخر أمراء «الدولة الزيرية».

العلاقات الزيرية الفاطمية

شكلت العلاقات الزيرية الفاطمية حجر الزاوية فى وضع «بنى زيرى» بالمغرب إذ أسفرت هذه العلاقات عن هجوم القبائل الهلالية على أقاليم «الدولة الزيرية»، بمساعدة الفاطميين فى «مصر» وتوجيههم، وكان ذلك سببًا رئيسيا فى سقوط «بنى زيرى» وانتهاء دولتهم، كما اتخذ «المعز بن باديس» خطوات جريئة فى سبيل الاستقلال بإمارته عن الخلافة الفاطمية، حين قاطع أهل «إفريقية» صلاة الجمعة بالمساجد لأنها تمثل المذهب الشيعى، فضلا عن نبذ الرعية للمذهب الشيعى وتمسكهم بالمذهب المالكى، وبدأ «المعز» فى السعى إلى الاستقلال عن الفاطميين وراسل الخلافة العباسية فى سنة (435هـ/ 1044م)، وبعث رسولاً من قبله إلى «بغداد» ليأتيه بالعهد واللواء، ورحب «العباسيون» بذلك، للانتقام من الفاطميين، واسترجاع بعض مظاهر سيادتهم على هذه المناطق التى انفصلت عنهم منذ زمن بعيد، وبعثوا بالعهد واللواء مع «غالب الشيرازى» أحد رجالهم، ولكن «غالب» وقع فى قبضة الروم، وأرسلوه إلى أصدقائهم الفاطميين بمصر، فأحرق الفاطميون العهد واللواء، وطافوا بالرجل فى شوارع «القاهرة»، فقطع «بنو زيرى» علاقتهم بالفاطميين، وعادوهم ولعنوهم على المنابر، ودعوا للعباسيين، ثم دعموا استقلالهم وارتباطهم بالعباسيين، وهدموا دار الإسماعيلية مركز نشر الدعوة الفاطمية بالبلاد وغيَّروا العملة، واتخذوا اللون الأسود شعار العباسيين رمزًا لهم. وقد حاولت الخلافة الفاطمية إرجاع العلاقات إلى ما كانت عليه بالترغيب والترهيب حتى وصل

«اليازورى» إلى منصب الوزارة وقبض على مقاليد الأمور بالخلافة، فعمد إلى تشجيع القبائل الهلالية على التوجه إلى «القيروان» وأطلق لها العنان في التدمير والتخريب،وامتلاك كل ما يقع تحت سيطرتها . ويرجع تشجيع الوزير الفاطمى لهذه القبائل لعدة أمور، منها: رغبته في الانتقام من «المعز بن باديس»، وتوفير الأموال الطائلة التى ستنفقها الجيوش إذا ما خرجت إلى المغرب لمحاربة «بنى زيرى» فضلاً عن أمله فى التخلص من القبائل الهلالية ذاتها؛ لأنها تشكل مصدر إزعاج وقلق للسلطة الحاكمة بالقاهرة . وقد فرض الوزير الفاطمى «اليازورى» دينارًا وبعيرًا لكل رجل من «الهلالية»، فخرجت هذه القبائل قاصدة «القيروان» واستولت على مدينة «برقة» دون مقاومة، وتقاسمت فيما بينها المناطق الشرقية،واستأثرت بعض قبائل «بنى هلال» بالمناطق الغربية، واتجهت جموع «دياب» و«عُرف» و«زغب» . وبقية البطون الهلالية إلى «إفريقية»،واستولوا على «سرت» و«أجدابية» ودمروها، كما دمَّروا بقية المدن والقرى فى طريقهم إلى «القيروان» . وخرج «المعز بن باديس» بجيشه وجموع «زناتة» و«صنهاجة»و«عبيدة» لملاقاة الهلاليين، ولكنهم تغلبوا عليه وهزموه على الرغم من أن عددهم كان لا يتجاوز ثلاثة آلاف فارس، فى حين بلغ تعداد جيش «المعز» ثلاثين ألف مقاتل، وأسرع المعز إلى «القيروان» وأقام حولها سورًا لحمايتها فى سنة (446هـ1054م)، ثم أمر السكان من النساء والأطفال والشيوخ بالانتقال إلى مدينة «المهدية» الحصينة للاحتماء بها فلما يئس من حماية القيروان انتقل برجال دولته وحاشيته إلى «المهدية»، فدخلها الهلاليون فى سنة (449ه/ 1057م) . ولم يمكث «المعز» طويلا بعد سقوط «القيروان» والكثير من مدن دولته، وتوفى بالمهدية فى سنة (453ه/ 1061م)،

ومن ثَم انهار الحكم الزيرى بالمنطقة، وتحكمت فيها القبائل الهلالية، وامتد تأثيرهم السياسى حتى وصل إلى «المغرب الأوسط»، وهادنهم «بنوحماد»، وأعطوهم نصف غلات بلادهم اتقاء لشرهم، ودفعًا لأذاهم وخطرهم

(قال) وللدولة الزيرية الفضل في اختلاط الهلاليين بسكان «المغرب» مما له أثره الكبير فى تعريب جزء من هؤلاء السكان، حيث امتزج المغاربة بالعرب الهلاليين على مر الأيام، وتزاوجا، فاختلطت

الدماء، وتعلم سكان البلاد الأصليون لغة الوافدين العرب، فانتشرت اللغة العربية في مناطق كثيرة من المغرب، ومن ثم انتشرت الثقافة العربية بهذه البلاد .

## قيام دولة المرابطين

قامت «دولة المرابطين» على أساس دعوة دينية، نمت وازدهرت في «ديار الملثمين» بجنوب «المغرب الأقصى» بفضل جهود الفقيه المالكي «عبدالله بن ياسين»، الذي تمتع إلى جانب علمه وفقهه ببعد النظر ونفاذ البصيرة، وتوجه إلى قبيلة «جدالة» بصحبة زعيمها «يحيى بن إبراهيم»، ففرحت بمقدمه، ثم ما لبث هذا الفرح طويلا حتى تحول إلى جفوة وإعراض حين بدأ «ابن ياسين» في تغيير ما ألفوه من عادات وملذات تخالف أحكام الدين، وحسبه الزعماء والنبلاء ينتقص من حقوقهم، وسُوِّى بينهم وبين مواليهم، وساءت العلاقة بينهم وبين «ابن ياسين» ونهبوا داره وهدموها ، واضطر هذا الفقيه إلى الرحيل بمن تبعه إلى جزيرة منعزلة بالسنغال . وبدأ «ابن ياسين» في هذه الجزيرة بإعداد التلاميذ ونشر الدعوة،فذاع صيته، وكثر عدد أتباعه، فأطلق عليهم لقب: «المرابطين»،ومضوا في تنفيذ ما أمر به . وقد بدأ المرابطون نشر دعوتهم بين قبيلة «جدالة» التي تمردت على «ابن ياسين» من قبل، فقصدوا قبيلتي «لمتونة» و«سوقة» ونجحوا في نشر دعوتهم بينهما ، فكان ذلك مدعاة لانضواء بقية القبائل تحت لوائهم ولما تُوفِّى الأمير «يحيى بن إبراهيم الجدالي» في سنة (447هـ/ 1055م) فاختار «ابن ياسين» «يحيى بن محلاكاكين اللمتوني» قائدًا لجند المرابطين، فنقل بذلك السلطة العسكرية من «جدالة» إلى «لمتونة»التي كانت تتمتع بمكانة مرموقة بين بقية «قبائل الملثمين»، فضلا عن سيطرتها على طرق التجارة الساحلية، وهكذا ظهرت قبيلة «لمتونة» على مسرح الأحداث، وتتابع أبناؤها في السلطة حتى نهاية حكم المرابطين . وفي سنة (447هـ/ 1055م) استغاث فقهاء «درعة» و«سجلماسة»بعبدالله بن ياسين لإنقاذ بلادهم من الفساد والظلم، فاستجاب لهذه الدعوة وخرج بجيشه متوجهًا إلى «درعة» و«سجلماسة»، وتمكن من القضاء على أمراء «مغرادة» وولى المرابطون عمالا تابعين لهم على هذه البلاد . ولم يستمر الهدوء طويلاً بمدينة «سجلماسة» وقامت بها ثورة اضطرت المرابطين بقيادة «يحيى بن محلاكاكين» إلى العودة إليها ،ونجحوا في إخماد

ثورتها، إلا أن قائدهم «يحيى اللمتونى» استشهد فى المعركة، فوقع اختيار «ابن ياسين» على الأمير «أبى بكر بن عمر» فى سنة (448هـ/ 1056م) لقيادة الجيوش، فانتقل «أبو بكر» بالدعوة من مرحلة تلبية نداء المعونة لسجلماسة و«درعة» إلى مرحلة الغزو المسلح للمغرب الأقصى، ودخل مع قبائل «برغواطة» التى اعتنقت المجوسية فى عدة معارك، فأصيب الداعية «ابن ياسين» فى إحداها بإصابات قاتلة أودت بحياته فى سنة (451هـ/ 1059م). وواصل «أبو بكر» جهاده وفرّق جموع «برغواطة»، واستأصل شأفتهم، ثم رجع إلى مدينة «أغمات» التى اتخذها عاصمة له. وقد شاركه فى نشاطه المسلح ابن عمه «يوسف بن تاشفين الصنهاجى اللمتونى»، الذى أثبت كفاءة عالية، ومقدرة فائقة، وحقق نجاحًا بارزًا غير أن أحداثًا ما وقعت بالصحراء جعلت «أبا بكر» يتوجه إلى الجنوب تاركًا قيادة بقية المرابطين لابن عمه « يوسف بن تاشفين ويعد «ابن تاشفين» المؤسس الحقيقى لدولة المرابطين بالمغرب الأقصى، وقد تجمعت فيه صفات الزعامة والشجاعة والقيادة والحزم،والتفت حوله قلوب المرابطين، وشرع فى بناء مدينة «مراكش» عاصمته الجديدة فى سنة (454هـ/ 1062م) ونجح فى بسط نفوذه على «المغرب الأقصى» فى سنة (467هـ/ 1074م). وقد نجح ابن «تاشفين» إلى جانب توحيد «المغرب الأقصى» فى وقف الزحف النصرانى على «الأندلس»، وضمَّها إلى «دولة المرابطين»التى اتسعت أطرافها وزادت خيراتها، وتمتعت بالازدهار والرقى فى مختلف المجالات، ثم مرض «يوسف» فى سنة (498هـ/ 1104م)، وتوفى سنة (500هـ/ 1106م) ودفن بمدينة «مراكش». وتولى بعده على بن يوسف بن تاشفين الحكم واقتفى سياسة والده، وسار بين الناس بالحكمة والعدل واستعان بالفقهاء والعلماء فى حكم البلاد، فتبوأ مكانة طيبة فى نفوس رعيته. ومضى «على بن يوسف» فى استكمال الجهود الحربية التى بدأها والده بالأندلس، وعبر إليها بنفسه أربع مرات لتثبيت سلطان المرابطين، ومواجهة الهجمات المتكررة للمسيحيين، فأحرز انتصارات كبيرة ونال رضا الخلافة العباسية. ثم بعده تولى ابنُه «تاشفين» الحكم من بعده، فدخل فى صراع مع دولة «الموحدين»،ولم تفلح جهوده فى صد موجاتهم المتتابعة، وانتهى به الأمر إلى«وهران»؛ حيث قُتل فى سنة (539هـ/ 1144م)، فَفَتَّ ذلك فى عضد الدولة، وسقطت أجزاء كثيرة منها فى

أيدى الموحدين. حاول المرابطون الاحتفاظ بكيانهم المتداعى، وأمَّروا عليهم «إبراهيم بن تاشفين» إلا أنه لم ينعم بالسلطة طويلا، حيث نازعه عليها عمه «إسحاق بن على ابن تاشفين»، وتولى مكانه ولكنه لم يستطع أن يدفع حصار الموحدين بقيادة «عبدالمؤمن» خليفة «ابن تومرت» حول العاصمة «مراكش» فى سنة (541هـ/ 1146م)، فسقطت «مراكش» فى يد «عبدالمؤمن» الذى أعمل فيها السيف وقضى على كثير من أهلها، وترتب على ذلك سقوط «دولة المرابطين». وقيام «دولة الموحدين».

## قيام دولة الموحدين

لم تنعم «دولة المرابطين» بالهدوء والاستقرار منذ ظهور الداعية «محمد ابن تومرت» على مسرح الأحداث، وقد نشأ «ابن تومرت» نشأة دينية بقبيلة «هرنمة» إحدى قبائل المصامدة، ولكن ما تلقاه من علوم فى وطنه لم يَرْوِ ظمأه، فسافر إلى المراكز الثقافية المشهورة بالعالم الإسلامى وبدأ رحلاته إلى «الأندلس» فى مطلع القرن السادس الهجرى، ثم إلى المشرق مارًّا بالإسكندرية ومنها إلى «مكة» ثم إلى بغداد حيث التقى هناك بأكابر العلماء أمثال «أبى بكر الطرطوشى» واستغرقت رحلته فى طلب العلم نحو خمسة عشر عامًا مكنته من التزود بقدر كبير من الثقافة والمعرفة، وتعرُّف أحوال العالم الإسلامى، ومدى انقسام المسلمين وفرقتهم بالمشرق. وبعد أن عاد إلى «المغرب» بدأ دعوته بمدن المغرب محاولاً إصلاح الأوضاع الفاسدة وتغييرها. فوجدت دعوته قبولاً وترحيبًا من الجماهير، ورفضًا شديدًا من الحكام؛ إذ رأوها خطرًا يهدد مصالحهم ومراكزهم. والتقى «ابن تومرت» خلال هذه الرحلة بعبد المؤمن بن على الذى أصبح من أخلص تلاميذه، وصاحبه فى كل مكان يذهب إليه، ثم دخل «ابن تومرت» العاصمة «مراكش» فى منتصف ربيع الأول سنة (515هـ/1121م)، وقام بدوره فى الوعظ والإرشاد، واعترض على سياسة الدولة فى بعض الأمور، ووصل خبره إلى الأمير «على بن يوسف» الذى استدعاه، وجمع كبار العلماء والفقهاء لمناظرته. وانتهى الأمر بطرده من العاصمة خشية التأثير على العامة وإضعاف مراكز الفقهاء. وكانت الحصافة السياسية تقتضى سجن هذا الداعية أو التحفظ عليه لخطورته على الدولة، وهو ما تحقق عقب مغادرة «ابن تومرت» «مراكش»، إذ أعلن عن نياته فى

مواجهة السلطة الحاكمة، وخلعه الأمير «على بن يوسف»، وبايعه مَن حوله إمامًا للدعوة الجديدة فى سنة (515ه/ 1121م)، واتخذ من مدينة «تينملل» مقرا له، ومركزًا لدعوته، وشرع فى تحقيق أهدافه السياسية والدينية لإقامة خلافة إسلامية بالمغرب، ولم يدخر فى ذلك وُسعًا ولا وسيلة إلا استغلها، وعمد إلى نشر دعوته بين السذج، وألَّف لهم فى التوحيد والعقيدة بلغتهم البربرية حتى يسهل عليهم التعلم، ويسهل عليه السيطرة عليهم، ومن ثم باتت له الكلمة العليا فى كل شئونهم. وشارك «ابن تومرت» فى الكفاح المسلح ضد «دولة المرابطين»، وتذكر المراجع أنه اشترك فى تسع غزوات، وكانت معركة «البحيرة» التى أصيب فيها الموحدون بالهزيمة هى السبب الرئيسى فى خيبة أمل «ابن تومرت» ومرضه؛ حيث قتل فيها عدد كبير من أتباعه، ولكن بقاء تلميذه ومساعده «عبد المؤمن بن على» على قيد الحياة كان سببًا فى تخفيف هذه الصدمة، ومع ذلك لزم «ابن تومرت» داره، واشتد عليه مرضه، وفارق الحياة فى سنة (524ه/ 1130م)، وخلَّف وراءه حربًا مشتعلة على أرض «المغرب الأقصى». بعده تولى عبد المؤمن بن على وحمل أعباء الدعوة عقب وفاة أستاذه، وشُغل بتنظيم شئون الموحدين، مدة عام ونصف العام، ثم شرع فى الكفاح ضد المرابطين فى منطقة «الأطلس» جنوبى «مراكش» فى «وادى درعة» و«بلاد السوس» و«بلاد جاحة» القريبة من «تينملل»، ثم استولى الموحدون على «مراكش» عاصمة المرابطين فى سنة (541هـ/ 1146م)، بعد كفاح دام أكثر من عشر سنوات كان النصر فيها حليفًا للموحدين. وقد نجح «عبد المؤمن» فى إحكام قبضته وسيطرته على «المغرب الأقصى» بعد سقوط دولة المرابطين بسقوط عاصمتهم «مراكش»، ثم وجه اهتمامه إلى الشرق وبعث بحملاته المتتابعة التى وصلت حتى «طرابلس» بإفريقية، فساعد هذا النصر على تحقيق الوحدة السياسية للمغرب الإسلامى، وتلقب «عبد المؤمن» بلقب خليفة واتخذ من «مراكش» عاصمة للخلافة ثم شرع فى تجهيز حملة كبيرة لدفع النصارى عن مدن «الأندلس» فى سنة (556ه/ 1161م) إلا أن مرضه حال دون إتمام هذه الحملة، ومات فى سنة (558ه/ 1163م) ثم جاء يوسف بن عبد المؤمن وبويع فى سنة (558ه/ 1163م)، ليكون خلفًا لوالده. وما إن استقر فى العاصمة حتى واجهته ثورة «مرزدغ الصنهاجى» بجبال «غمارة» فنجح

فى القضاء عليها وتفريق أعوانها ثم أمر بقتل «مرزدغ» وحمل رأسه إلى العاصمة «مراكش» ووجه «ابن عبد المؤمن» جُل جهوده إلى دعم سلطة الموحدين بالأندلس، وبعث بالحملات المتتابعة إليها وخرج على رأس إحداها فى سنة (566هـ / 1170م)، لتأمين ثغور «الأندلس» وضبطها وإصلاحها ثم خرج فى سنة (579ه/ 1183م) على رأس حملة كبيرة إلى «الأندلس» لغزوها إلا أنه أصيب بسهم عند أسوار «شنترين»، فأسرع الجند بحمله والعودة به مصابًا إلى «مراكش»، فقضى نحبه فى سنة (580ه/ 1184م) . وتولى «يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن» خلفا لوالده فى سنة (580ه/ 1184م)، ولقب نفسه بالمنصور، وتوزعت جهوده العسكرية فى أكثر من ميدان حيث قامت ثورة بزعامة «الجزيرى» الذى أخذ يدعو لنفسه بين القبائل فى سنة (585ه/ 1189م) فقضى عليها «المنصور» وقتل زعيمها ثم قامت ثورة أخرى ببلاد «الزاب» بزعامة رجل يدعى «الأشلّ» فى سنة (589هـ / 1193م)، فكان مصيرها الفشل مثل سابقتها . أما ثورة «بنى غانية» التى استهدفت إحياء «دولة المرابطين» والدعاء للخلافة العباسية على المنابر بإفريقية فكانت الخطر الحقيقى الذى هدد «دولة الموحدين»، فوجّه «المنصور» إليها كل جهوده للقضاء عليها، وعلى الرغم من تكرار المحاولة فإنه لم ينجح فى القضاء عليها نهائيًا وقد أولى «المنصور» «الأندلس» اهتمامه وعنايته ودخل فى عدة معارك مع الإفرنج كانت أبرزها معركة «الأرك» فى سنة (591ه/1195م) تلك التى أوقفت زحف النصارى وزادت من هيبة الموحدين ومكانتهم بالشمال الإفريقى ثم أصيب المنصور بوعكة صحية أدت إلى وفاته فى سنة (595هـ / 1199م) وتولى «الناصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب» خلفًا لوالده «المنصور»، فحدثت فى عهده بعض التطورات السياسية والعسكرية التى انتقلت بدولة الموحدين من مرحلة القوة والسيادة إلى مرحلة الانهيار والسقوط حيث تمكن فى بداية حكمه من القضاء على ثورة « بنى غانية» بإفريقية التى دخلها فى سنة (598ه/ 1202م) وعاد منها فى سنة (604ه/ 1207م) بعد أن ولى على «إفريقية» «أبا محمد عبد الواحد بن أبى حفص» أحد أشياخ الموحدين، فعكف «ابن أبى حفص» على معالجة شئون «إفريقية»، ودعم سلطان الموحدين بها إلا أن ولاية «أبى حفص» كانت البداية لقيام «دولة الحفصيين»

بتونس حيث استقل أبناؤه بعد ذلك بها وأسسوا ملكًا مستقلاً. وقد فُجع الموحدون بهزيمة قاسية بالأندلس في معركة «العقاب» التي راح ضحيتها عدد كبير من الجند، مما أضعف «دولة الموحدين» وأفقدهم هيبتهم، وأُصيب «الناصر» بالمرض، وتوفي في سنة (610هـ/ 1213م) وقد عرف الانهيار والضعف طريقهما إلى «دولة الموحدين» عقب وفاة «الناصر»، ودخلت الدولة مرحلة من الفوضى، والصراع بين أفراد البيت الموحدي، فضلاً عن اندلاع الثورات والقلاقل في أماكن متعددة وظل هذا حالها حتى سنة (668هـ/ 1269م) التي قتل فيها «أبو دبوس» آخر خلفاء الموحدين أمام أسوار العاصمة «مراكش» التي دخلها «المرينيون» وقضوا على «دولة الموحدين». وقد تولى عقب وفاة «الناصر» عدد من الخلفاء الضعاف، وهم:
1 - أبو يعقوب يوسف الثاني المستنصر بالله [611 - 620هـ]. و2 - أبو محمد عبدالواحد المخلوع [620 - 621هـ/ 1223 - 1224م]. و3 - أبو محمد عبدالله العادل [ 621 - 624هـ 1224 - 1227م ]. و4 - المأمون أبو العلاء إدريس ابن يعقوب المنصور [624 - 630هـ 1227 - 1233م]. و5 - أبو محمد عبدالواحد الرشيد [630 - 640هـ/ 1233 - 1242م]. و6 - أبو الحسن على السعيد المقتدر بالله [640 - 646هـ/ 1242 - 1248م]. و7 - أبو حفص عمر المرتضى [ 646 - 665هـ 1248/1267م ]. و8 - أبو العلاء إدريس الثاني (المعروف بأبي دبوس) [665 - 668هـ/1267/ 1269م]
وقد تمتع العرب الهلالية بما يتمتع به جند الموحدين، وأقطعهم ولاة الأمر بعض الأراضي، وأنفقوا عليهم النفقات الكبيرة، وأغدقوا عليهم بالعطايا حتى يوفروا لهم الاستقرار ويبعدوهم عن الفتن وإثارة القلاقل والاضطرابات.

## الدول المغربية بعد سقوط الموحدين

كانت هزيمة الموحدين في معركة العقاب بالأندلس في سنة (609هـ 1212م) إيذانًا باضمحلال دولتهم حيث تسببت هذه المعركة في سريان الضعف في كيانات الدولة، بالإضافة إلى اعتلاء عرشها مجموعة من الخلفاء الضعاف وقيام عدد من الثورات وحركات الانفصال التي حدثت بالدولة. وقد استغلت القبائل المغربية ضعف الموحدين، وعدم قدرتهم على

التصدى لمحاولات الانفصال، فتأسست مجموعة من الدول على أرض «المغرب» وبسطت نفوذها وسلطانها على المنطقة، وهذه الدول هى : - (1) دولة «بنى مرين» بالمغرب الأقصى [668 - 869هـ 1269 - 1465م]. - (2) دولة «بنى وطاس» التى قامت على أنقاض دولة «بنى مرين» بالمغرب الأقصى [869 - 962هـ 1465 - 1555م]. - (3) دولة «بنى زيان» بالمغرب الأوسط (الجزائر وتلمسان) [637 - 962هـ/ 1239 - 1555م] - (4) «الدولة الحفصية» بإفريقية (تونس) [625 - 981هـ 1519 - 1573م]. وهكذا فقد المغرب وحدته، وصارت تحكمه تجمعات قبلية فى أنحاء متفرقة.

## دولة بنى مرين بالمغرب الأقصى
## [668 - 869 هـ 1269 - 1465م]

ينتمى المرينيون إلى قبائل «زناتة»، وهم على أرجح الآراء من فرع بربر البتر، الذين كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر سعيًا وراء الماء والكلأ، وبدأ ظهورهم على مسرح الأحداث خلال عهد المرابطين حيث شاركوا فى مجريات الأحداث بزعامة «المخضب بن عسكر» أحد أبناء «بنى مرين»، وكان زعيمًا قويا مرهوب الجانب، ونجح فى السيطرة على جميع «بلاد زناتة» و«بلاد الزاب»، فحاول المرابطون مصانعته، وأرسلوا إليه الهدايا والأموال. ثم انتقل ولاء المرينيين إلى الموحدين وساعدوهم فى إقامة دولتهم،وتثبيت أقدامهم وشاركوهم فى معاركهم بالميدان الأندلسى. ولقد كان ضعف الموحدين سببًا رئيسيا فى انتقال «بنى مرين» من المغربين الأدنى والأوسط إلى «المغرب الأقصى» حيث الخصب والرخاء. ومراحل قيام دولة بنى مرين: كالتالي :

(1) مرحلة تثبيت أقدامهم فى مناطق التلول والأرياف (592- 614هـ/ 1191- 1217م). واتصاف الأمير عبدالحق زعيم قبائل بنى مرين بالتقوى والصلاح والشجاعة والعدل والعطف على الفقراء كان له أثره على جموع المرينيين الذين التفوا حوله، وجذبوا إليهم عددًا من القبائل المغربية التى انضمت إليهم، وعمدوا إلى التوسع وفرض النفوذ على حساب الموحدين، ودخلوا فى عدة معارك كانت أشهرها معركة «وادى نكور» التى خسرها الموحدون. وقد حمل «عثمان بن عبدالحق» (614-637هـ/1217-1239م) راية المرينيين عقب

مقتل والده الأمير «عبدالحق»، فواصل حملاته العسكرية، وفرض نفوذه على مساحات واسعة من أرض «المغرب»، ثم دعا شيوخ القبائل واتفق معهم على خلع طاعة الموحدين، والقيام بأمر الدنيا والدين، والنظر فى صلاح المسلمين، فعملوا على تحقيق ذلك حتى عام (625هـ/ 1228م)، فقوى شأنهم، وخضعت لهم جميع قبائل «المغرب»، وسيطروا على جميع موانى «المغرب» التى امتدت من «وادى ملوية» إلى «رباط الفتح» .

(2) مرحلة الاستيلاء على المدن الكبرى: وحمل أعباء هذه المرحلة فارس «زناتة» الأمير «أبو يحيى أبو بكر ابن عبدالحق»، الذى كان بطلا شجاعًا، قوى الإرادة، حازم الرأى، فقام بتأمين الجبهة الداخلية للمرينيين وأخضعها لإشراف مالى وإدارى دقيق، ثم واصل مهاجمة المدن المغربية الكبرى واستولى على «مكناسة» و«فاس» و«سلا» و«رباط الفتح» و«سجلماسة» و«درعة» .

(3) المرحلة الأخيرة للاستيلاء على العاصمة مراكش وهيأ الله لبنى مرين فى هذه المرحلة أن يقوم بقيادتهم الأمير «أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق» (656- 685هـ / 1258 - 1286م)، الذى اعتبرته المصادر سيد «بنى مرين» على الإطلاق، وبدأ عهده بمواجهة بعض المشاكل التى واجهت المرينيين فى هذه الفترة ودخل فى عدة معارك مع الموحدين تمهيدًا لدخول العاصمة «مراكش» وقد أعد «أبو يوسف» حملة كبيرة ثم خرج بها من «فاس» فى شعبان سنة (666هـ/إبريل 1268م) وعبر بها النهر المجاور لمدينة «فاس»، ثم هاجم كل القوى والقبائل المعاونة للموحدين ونجح فى إخضاعها والسيطرة عليها، ثم كانت المعركة الأخيرة بين الموحدين والمرينيين فى شهر المحرم سنة (688هـ/ يناير 1289م) عند «وادى غفو»، ودارت بين الفريقين معركة قوية أسفرت عن هزيمة الموحدين ومقتل «أبى دبوس» خليفتهم ثم دخل الأمير «أبو يوسف يعقوب» العاصمة «مراكش» معلنًا سقوط «دولة الموحدين»، وقيام «دولة بنى مرين» . وظلت «دولة بنى مرين» فى اتساعها ودعم استقرارها مدة خمس وسبعين سنة، فى الفترة من سنة (685هـ/ 1286م) إلى سنة (759هـ/1359م)، وحكمها خلال هذه الفترة مجموعة من السلاطين الأقوياء هم: 1- أبو يعقوب يوسف بن يعقوب [685 - 706هـ/ 1286-

1306م]. 2 - أبو ثابت عامر بن أبى عامر [706 - 708ه/ 1306 - 1308م]. 3 - أبو الربيع سليمان بن أبى عامر [708 - 710ه/ 1308 - 1310م]. 4 - أبو سعيد عثمان (الثانى) بن يعقوب [710 - 732ه/ 1310-1332م]. 5 - أبو الحسن على بن عثمان [732 - 749هـ / 1332 -1348م]. 6 - أبو عنان فارس المتوكل بن على [749 - 759ه/ 1348 - 1358م].

وقد اتسمت هذه الفترة بتوسع نفوذ «بنى مرين» بالمغرب و«الأندلس»، على الرغم من الثورات الكثيرة والقلاقل المتابعة التى واجهتهم. وسبب ضعف بنى مرين وسقوط دولتهم سنة [759 - 869ه/ 1358 - 1465م] أن مقتل السلطان «أبى عنان فارس المتوكل بن على» فى سنة(759ه/ 1358م) كان إيذانًا بدخول «دولة بنى مرين» فى مرحلة الضعف والانهيار؛ حيث انتقلت السلطة من أيدى «بنى مرين» إلى أيدى الوزراء، فضلا عن فقدان الدولة لنفوذها وانكماشها داخلِ حدودها بالمغرب الأقصى، وتعرضها للأزمات الاقتصادية، والأوبئة والكوارث الطبيعة التى حلّت بالمغرب الأقصى، مما عجّل بسقوط الدولة، فى عهد السلطان «عبدالحق بن أبى سعيد»، الذى تمكن الثوار من القبض عليه وقتله فى صبيحة يوم الجمعة (27من رمضان سنة 869ه/ 23 مايو 1465م).

## بنو وطاس بالمغرب الأقصى

## [869 -962ه/ 1465 -1555م]

«بنو وطاس» فخذ من قبيلة «بنى مرين»، ولكنهم ليسوا من فرع الأسرة المرينية الحاكمة، وقد قامت علاقة حذرة بين أسرتى «بنى وطاس» و«بنى مرين»، ثم تعدى «بنو وطاس» هذا الحذر واتخذوا موقفًا عدائيا من دولة «بنى مرين» منذ قيامها، وساندوا الموحدين فى صراعهم معهم ومن ثم عمد المرينيون بعد قيام دولتهم واستقرار الأوضاع لهم إلى إحكام قبضتهم على حصن «تازوطا» الذى كان مقر «بنى وطاس» فى ذلك العهد، ولكن الوطاسيين قاموا بثورة فى سنة (691ه/ 1292م) للاحتفاظ بنفوذهم فى هذا الحصن، وامتدت ثورتهم فشملت منطقة الريف ثم طردوا الوالى المرينى وحاشيته، وسيطروا على الحصن، مما دفع السلطان «يوسف

بن يعقوب المرينى» إلى تجهيز جيش كبير، وجعل عليه «عمر بن المسعود بن خرباش» أحد قادته المخلصين وأمره بالتوجه إلى حصن «تازوطا» ثم خرج السلطان بنفسه على رأس جيش آخر وحاصر الجيشان الحصن مدة عشرة أشهر، وتمكن «عمر» و«عامر» ابنا «يحيى بن الوزير الوطاسى» زعيما الوطاسيين من الفرار بأموالهما إلى «تلمسان»،ودخل السلطان الحصن وأنزل العقاب بالوطاسيين ثم عاد إلى عاصمته «فاس» فى آخر جمادى الأولى سنة (692هـ/ أبريل 1693م) وقد تآمر «زيان بن عمر الوطاسى» مع الأمير «أبى عبدالرحمن المرينى» ضد والده السلطان «أبى الحسن»، فى محاولة للاستيلاء على السلطة، ولكن محاولتهما باءت بالفشل وسُجن الأمير، وفر «الوطاسى» إلى «تونس». وعلى الرغم من كل ما سبق فإن الوطاسيين نالوا حظا وافرًا من المراكز العامة بالدولة المرينية، وتغلغل نفوذهم داخل مراكز الحكم المدنى، وكذا العسكرى، ووصل بعضهم إلى منصب الوزارة مثل: «رحو بن يعقوب الوطاسى» الذى ولى الوزارة فى عهد السلطان «عامر بن عبدالله المرينى»، واستمر إلى عهد «سليمان بن عبدالله»،وتولى «عمر بن على الوطاسى» الإمارة فى مدينة «بجاية» فى عهد «أبى عنان المرينى» فى سنة (759هـ/ 1358م) ودخل «محمد الشيخ الوطاسى» سلطان الوطاسيين فى مواجهة مستمرة منذ أسس دولته مع الفتن والقلاقل والثورات التى قامت بالدولة على أيدى العرب الذين أغاروا على «فاس» و«مكناسة»ودمروهما، ثم واجه ثورة «على بن راشد» فى «شفادن» وهى مدينة قريبة من «البحر المتوسط» و«المحيط الأطلسى»، و«مضيق جبل طارق»، ثم حاول «محمد ا بن أحمد المرينى» الاستقلال بمدينة «دبرو»التى تقع شمال شرق «المغرب»، ونجح فى ذلك، وبسط نفوذه على المناطق الغربية منها فأدرك «محمد الشيخ» خطورته، وخرج لمواجهته مرتين، كانت الأولى فى سنة (895هـ/ 1490م)، وهُزم فيها الوطاسيون، وكانت الثانية فى سنة (904هـ/ 1498م) وانتصر فيها «بنو وطاس»، وعقد سلطانهم الصلح مع «محمد بن أحمد المرينى» وزوج السلطان ابنتيه لولدىّ الأمير «محمد»، فحل بينهما السلام. وقد واجهت هذه الدولة ثورة بالمنطقة الجنوبية قادها «عمرو بن سليمان الشيظمى» الشهير بالسياف فى سنة (870هـ/ 1465م)، ولم تهدأ هذه الثورة إلا بعد أن اُغتيل

«الشيظمى» على يد زوجته فى سنة (890هـ/ 1485م) والواقع أن «بنى وطاس» لم يتمكنوا من فرض سلطانهم ونفوذهم على كل «المغرب الأقصى» بل يمكن القول بأن نفوذهم لم يتجاوز العاصمة «فاس»، واقتسمت القبائل والأشراف والزعامات المحلية ومشايخ الصوفية باقى البلاد فأدى هذا إلى نشوب الاضطرابات والقلاقل بالبلاد، وتزايد الانقسامات بها، واستغلال البرتغال والإسبان لهذه الأوضاع للتوسع وفرض النفوذ ونشر المسيحية. ثم بدأت مرحلة أخرى من الصراع بين الوطاسيين والسعديين الذين حشدوا الناس إلى جانبهم بحجة الدفاع عن البلاد من خطر الإسبان والبرتغال، وكانوا فى حقيقة الأمر يسعون لإسقاط «دولة الوطاسيين»، ونجحوا فى السيطرة على بعض المدن المغربية، ثم دخلوا «مراكش»، وفشل «بنو وطاس» فى صدهم، وتدخل العلماء للصلح بينهما، ونجحت محاولتهم، واتفق الفريقان على اقتسام «بلاد المغرب الأقصى»، ولكنهما دخلا فى صراع ثانية، وتوسع السعديون على حساب أملاك الوطاسيين، ثم دخلوا مدينة «فاس»، وقتلوا السلطان الوطاسى «أبا حسون على بن محمد بن أبى ذكرى» فى يوم السبت (24 من شوال سنة 961هـ/22 من سبتمبر 1554م) وبدأ السعديون بقيادة «محمد الشيخ السعدى» فى فرض نفوذهم على بقية المناطق التابعة للوطاسيين، وهكذا سقطت دولة «بنى وطاس».

## دولة بنى زيان
## [633- 962هـ / 1235- 1555م]

ترجع تسمية هذه الدولة بهذا الاسم إلى «زيان بن ثابت»، والد «يغمراس» مؤسسها، كما أنها تسمى بدولة بنى عبدالواد (العبد الوادية) نسبة إلى قبيلة «عبد الواد» التى ينتمى إليها «بنو زيان». وقد قامت هذه الدولة بالمغرب الأوسط (الجزائر حاليا) وكان يحدها غربًا «نهر ملوية» ومدينة «قسنطينة» من الجانب الشرقى، وكانت هذه المنطقة آنئذ تضم عدة مدن منها: «بجاية» و«الجزائر»، و«وهران»،و«قسنطينة» و«مليانة»، و«تلمسان».

### قيام دولة بنى زيان

شجع ضعف «دولة الموحدين» عقب هزيمتهم فى معركة «العقاب» فى سنة (609هـ/ 1212م) بعض القوى على الاستقلال، فشجع ذلك بدوره «بنى عبد الواد» على الاستقلال بالمغرب الأوسط (أي الجزائر) فاستولوا على «تلمسان» فى سنة (627هـ 1230م). ويعد «يغمراس بن زيان» الذى تولى الإمارة بعد أخيه فى سنة (633هـ/ 1235م) هو المؤسس الحقيقى لهذه الدولة حيث سالم جيرانه من الموحدين كى لا يعرض دولته الناشئة لمعارك جانبية، تصرفه عن تأسيس الدولة، وبنى سياسته فى هذه المرحلة على عاملين مهمين هما:

العامل العسكرى حيث جاور «الحفصيون» «بنى زيان» من جهة الشرق، وجاورهم «بنومرين» من الغرب، وهاجم «بنو حفص» مدينة «تلمسان» فى سنة (640هـ/1242م) فهادنهم «بنو زيان» وبايعوهم، ودعوا على منابرهم للحفصيين، وفى الوقت نفسه بعثوا بجنودهم إلى الجبال واتخذوا من الإغارة على القوات الحفصية وسيلة لطردهم من «تلمسان» و«المغرب الأوسط»، فاضطر الحفصيون إلى عقد الصلح معهم وأعادوا «يغمراس» إلى مقر حكمه بتلمسان ثانية وكذلك فعل «بنو زيان» مع الموحدين فى سنة (646هـ/ 1248م) ثم قاموا بغارات كثيرة على القبائل الموجودة داخل «المغرب الأوسط» مثل قبائل «توُين» و«مغرادة».

العامل السلمى حيث لم يكتف «يغمراس» بالمعارك والغارات وعمد إلى تحصين بلاده شرقًا وغربًا وجاء بقبيلة «بنى عامر» وأقطعها نواحى «وهران» و«تلمسان» لتكون حائط الصد لأعدائه، ثم دعم كيان دولته بمصاهرة الحفصيين حيث زوج إحدى بناته لعثمان ابن الأمير الحفصى «أبى إسحاق» فأمن بذلك شرهم، وهجماتهم على الحدود الشرقية لدولته. وكانت القبيلة من أهم العوامل التى أثرت فى سياسة دولة «بنى زيان» وكيانها حيث دخلت هذه الدولة فى صراع طويل مع قبائل: «بنى توُين» و«مغرادة» من البربر، و«بنى عامر سويد» من العرب، لرفض هذه القبائل الخضوع لغيرها، ولتعصبها لبنى جلدتها وقبيلتها، وشقت عصا الطاعة، ثم زادت حدة موقفها بعد وفاة «يغمراس» فى سنة (681هـ/ 1282م)، واضطر الأمير «عثمان» الذى خلف والده «يغمراس» إلى مواجهتهم، فاستولى على «مازونة» من «مغرادة» فى سنة (686هـ/

1287م) ثم احتل مدينة «تنّس»، ودخل «إنشريش» ولكن هذا الاتساع عاد إلى الانكماش ثانية نتيجة احتلال «بنى مرين» للمغرب الأوسط، وحصارهم «تلمسان» فى سنة (698هـ /1299م) وعادت القبائل مرة أخرى إلى التمرد والعصيان عقب وفاة الأمير «عثمان»، فخرج إليهم الأمير «أبو زيان محمد الأول» (703 - 707هـ/1303 - 1307م) ثم خضعت هذه الدولة أكثر من مرة لدولة بنى مرين مثلما حدث فى سنة (670 - 680هـ/ 1271 - 1281م) وسنة (689هـ/ 1290م) وسنة (737 - 749هـ/ 1336 - 1348م) ولكن بنى زيان كانوا يرفضون هذا الخضوع وينتهزون الفرصة للعودة إلى حكم بلادهم. وقد عاشت هذه الدولة فى حروب واضطرابات دائمة، ونشبت الخلافات بين أفراد البيت الزيانى، وأدى التهافت على السلطة بينهم إلى أن يشهر الولد السيف فى وجه أبيه بل يتعدى ذلك ويقتل أباه مثلما حدث مع «أبى تاشفين (الثانى) عبد الرحمن» (791 - 795هـ/1389 - 1393م) ووالده السلطان «أبى حمو موسى (الثانى) بن يوسف»، حين خلع «تاشفين» أباه من السلطة، واستولى على الحكم، ثم اعتقل أباه وإخوته فى سنة (788هـ/ 1386م) فقامت حروب بين أفراد هذه الأسرة، وعاد «أبو حمو» إلى عرشه، واستعان «ابنه تاشفين» ببنى مرين عليه، وحاربه، ثم قتله وعاد «تاشفين» إلى الحكم فى ظل التبعية لبنى مرين. وتفشت ظاهرة قتل السلاطين بدولة بنى زيان، وزاد التناحر بين أفراد البيت الزيانى وتكررت هجمات الاسبان على الشواطئ المغربية،واستولوا على «مرسى وهران» فى سنة (911هـ/ 1505م) ثم استولوا سنة (912هـ/ 1506م) على «وهران» و«بجاية» و«تدلس»وهى موانى تابعة «لبنى زيان»، وارتضى «أبو حمو الثالث» (909 - 923هـ/ 1503 - 1517م) دفع ضريبة سنوية للإسبان لكى يبقى فى مقعد الحكم فاستنجد الناس بالأتراك العثمانيين لتخليصهم من هذا الاحتلال فأسرع لنجدتهم الأخوان «عروج» و«خير الدين» ابنا «يعقوب التركى» اللذان كانا يحملان المتطوعين فى السفن لإنقاذ مهاجرى الأندلس ونقلهم إلى أرض «المغرب» ودارت معركة بين الطرفين، وأرسلت إسبانيا بالإمدادات لتعزيز قواتها وحليفها «أبى حمو» الذى فر إلى «وهران» للاحتماء بالقوة الإسبانية هناك، وحاصر الإسبان مدينة «تلمسان» واستشهد «عروج» فى سنة (924هـ/

1518م)، ومات «أبو حمو الثالث» فى السنة نفسها وتوالت الاضطرابات وزاد التنافس على العرش، وأقبل السعديون من «المغرب الأقصى» واستولوا على «تلمسان» فى سنة (957هـ/1550م) وانقسم البيت الزيانى إلى طوائف ثلاث: إحداها تضامنت مع الأتراك، والأخرى استعانت بالأسبان، والأخيرة تحالفت مع السعديين، وتحرك الأتراك ودخلوا فى معركة مع السعديين وهزموهم فعادوا إلى «المغرب الأقصى»، ودخل الأتراك العاصمة «تلمسان» وكان آخر حكام «بنى زيان» هو «الحسن بن عبدالله» (957 - 962هـ/1550 - 1555م) الذى ثار عليه الناس لميله إلى الإسبان فخلعه الأتراك وضموا «تلمسان» إلى حكومة «الجزائر» التركية فى سنة (962هـ/ 1555م).

الدولة الحفصية

[625 - 893 هـ / 1228 - 1488م]

ينتسب الحفصيون إلى «أبى حفص عمر بن يحيى» الذى ينتمى إلى «قبيلة هنتانة»، وهى من قبائل المصامدة التى عاشت بالمغرب الأقصى واتخذت المعاقل والحصون، وشيدت المبانى والقصور وامتهنوا الفلاحة وزراعة الأرض وقد طمع الحفصيون فى الاستقلال بإفريقية بعد هزيمة الموحدين فى معركة «العقاب» بالأندلس فى سنة (609هـ/ 1212م)، وعملوا على تحقيق ذلك حتى سنة (625هـ/1228م)، فوصل «أبو زكريا بن عبدالواحد الحفصى» إلى مقعد الإمارة بتونس ومهد لقيام «دولة الحفصيين» حتى سنة (627هـ/1230م) فبايعه الحفصيون واستقل عن طاعة الموحدين وضم إليه «الجزائر» و«تلمسان». وقد واجهت الدولة الحفصية عدة ثورات إلا أنها تمكنت من القضاء عليها فى عهد قوتها فلما حل الضعف بخلفاء الأمير «أبى زكريا الحفصى» زادت الخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة، وقامت الثورات فى أماكن كثيرة، ولم يتمكن أمراء الحفصيين من مواجهة هذه الاضطرابات، فحل الضعف بدولتهم حتى سقطت على أيدى العثمانيين سنة (893هـ/1488م). وراجع التفصيلات في المطولات.

## الفصل الثاني

## في

## الطرق التى سلكها الإسلام إلى قارة أفريقيا

الطرق التى سلكها الإسلام إلى قارة إفريقيا (جنوب الصحراء) كثيرة ومتعددة، منها: طرق القوافل التجارية التى تربط بين شمالى القارة وبلاد السودان الغربى والأوسط (غرب إفريقيا)، ومنها الطريق الذى يبدأ من جنوبى «تونس» ويتجه إلى بلاد الكانم والبرنو» فى حوض بحيرة «تشاد»، والطريق الذى يبدأ من جنوبى «الجزائر» ويتجه إلى «بلاد الهوسا "فى شمال «نيجيريا»، والطريق الذى يبدأ من جنوبى «مراكش» ويصل إلى مصب «نهر السنغال» ومنحنى «نهر النيجر» و«نيجيريا» و«تشاد». وطريق بحرى يسير عبر مياه «البحر الأحمر» و«خليج عدن» و«المحيط الهندى» ويربط هذا الطريق بين «شبه الجزيرة العربية» وشرق إفريقيا، ومنه دخل الإسلام إلى شرق القارة وخاصة إلى «إريتريا» و«الصومال» و«الحبشة» و«زنجبار» وساحل شرقى إفريقيا حتى مدينة «سوفالة» جنوب «نهر الزمبيزى» فى «موزمبيق». وطريق وادى النيل وطريق درب الأربعين اللذان تدفق منهما الإسلام إلى «بلاد البجة» و«بلاد النوبة» وإلى «دار فور» وبقية «بلاد السودان الشرقى»، وهو «سودان وادى النيل» الذى يعرف الآن بجمهورية السودان ويلاحظ أن معظم هذه الطرق طرق تجارية ولم تستخدم كمعابر للجيوش إلا فى القليل النادر، مما يؤكد سمة الطابع السلمى لانتشار الإسلام فى قارة إفريقيا. ومما يؤكد ذلك أيضاً أن أهل القارة أنفسهم سواء أكانوا من البربر أم من الزنج والسودان هم الذين قاموا بنشر الإسلام بعد أن وصلت الدعوة إلى بلدانهم وإلى ما وراءها من بلدان ولم تكن حركات الفتح والجهاد التى حفل بها تاريخ الإسلام فى القارة خلال بعض الفترات لاسيما فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين من بعدهم ذات أثر كبير فى نشر الإسلام إذ لم يكن هدفها نشر هذا الدين بقوة السلاح كما يدعى كثير من المستشرقين وأعداء الإسلام وإنما كان هدفها هو إزاحة العقبة التى كانت تحول دون وصول الإسلام بالحكمة والموعظة إلى أهل إفريقيا، وكانت هذه العقبة تتمثل فى جيوش الاحتلال البيزنطى، التى كانت تحتل «مصر» والساحل الشمالى لإفريقيا كله

قبل فتح الإسلام لهذه البلاد وبعد أن أنقذ المسلمون أهالى القارة من هذا الاحتلال البغيض،أصبح الطريق مفتوحًا أمام الدعوة ومن ثم تلقفها الأفارقة بشغف وحب شديدين واتخذت الدعوة إلى هؤلاء الأفارقة أشكالا متعددة وعلى يد أناس مختلفى الصفات والاتجاهات منهم الدعاة الذين وهبوا حياتهم لهذا العمل العظيم ومنهم التجار الذين جمعوا بين الدعوة والتجارة ومنهم الحجاج الذين تأثروا بمظاهر الأخوة الإسلامية فى موسم الحج وأثّروا فى إخوانهم وأهاليهم بعد أن عادوا من الحج مشحونين بشحنة دينية عميقة ومنهم المهاجرون الذين أتوا فى هجرات عديدة شملت العرب وغيرهم وحملوا معهم الإسلام والثقافة الإسلامية ومنهم الصوفية الذين اخترقوا أعماق القارة ووصلوا إلى النجوع والكفور والقرى والغابات، وسوف نفصل الحديث عن هذه الوسائل التى انتشر الإسلام بها فى لقارة الإفريقية (جنوب الصحراء ومن ذلك

-1:( الدعاة: ويقصد بالدعاة الأفراد المسلمون الذين تلقوا قدرًا من العلوم الدينية،وعلى رأسهم الفقهاء والعلماء والمشايخ والقراء والقضاة، وكان هؤلاء يسمون فى مختلف أنحاء القارة بأسماء مختلفة، مثل المرابط ، والمعلم ، والفقيه، والشيخ، وسيدنا ، ومولانا . وكانوا يحظون بنصيب كبير من الاحترام والتقدير ، وكانت كل قرية فى إفريقيا تقيم دارًا لاستقبالهم واستضافتهم، وكان الحكام والملوك الأفارقة سواء أكانوا مسلمين أم وثنيين يعاملونهم باحترام كبير، وكانوا يتخذون منهم مستشارين ووزراء يصرّفون لهم أمور الدولة، مثلما كان الحال فى دولة «غانة» الوثنية، كما يقول «البكرى» الذى عاش فى القرن العاشر الميلادى . وكان هؤلاء الدعاة ينشئون الكتاتيب لتعليم الأطفال الوثنيين القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى، ومن ثم يصبح هؤلاء الأطفال بذرة إسلامية داخل الأسر الوثنية، وكذلك كان الدعاة ينشئون المدارس التى كانت تعد مركزًا مهما لنشر الإسلام وثقافته،وكذلك المساجد والزوايا والأربطة والخلاوى التى كان يلتقى فيها الأفارقة بالدعاة ويتلقون عنهم العلوم الدينية؛ حيث يخرجون دعاة للإسلام بين أهليهم وأقاربهم من الوثنيين. ولذلك انتشر الإسلام بين الأفارقة، خاصة بعد أن اعتنقه بعض ملوكهم الذين كانوا يتحولون تلقائيا إلى دعاة للإسلام فى بلادهم . ومن هؤلاء ملك «مالى» وملك «التكرور» وملك «سلى»، فقد نشر هؤلاء الإسلام بين شعوبهم من التكرور والسوننك والماندنجو وغيرهم من شعوب غرب

القارة. وخرج من هذه الشعوب دعاة تخصصوا فى الدعوة إلى الإسلام حتى أصبحت كلمة تكرورى أوسوننكى تعنى داعية للإسلام عند شعوب هذه المنطقة. (قال) ومن أهم الدعاة الذين نشروا الإسلام بين البربر فى «الصحراء الكبرى» والتكرور فى «السنغال» والسوننك فى «غانة» الشيخ «عبدالله بن ياسين الجزولى» المتوفى عام (451هـ / 1059م)، والذى قامت على يديه «دولة المرابطين» الكبرى قبل ذلك ببضع سنين. وهناك داعية آخر قام بنشاط كبير فى حوض «نهر #النيجر# الأعلى» هو «أبو القاسم على بن يخلف»، الذى أسلم على يديه ملك مالى الذى اتخذ لقب المسلمانى (أى الذى أسلم)، بعد إسلامه فى القرن الحادى عشر للميلاد، وفى بلاد «الهوسا» نجد داعية إسلاميا كبيرًا هو الشيخ «محمد عبدالكريم المغيلى» المتوفى عام (909هـ /1503م) الذى نشر الإسلام فى بلاد «الهوسا»، ثم أتى بعده بعدة قرون داعية كبير من شعب الفولانى هو الشيخ عثمان بن فودى» الذى أتم حركة نشر الإسلام فى هذه البلاد، وخاصة «نيجيريا» و«الكاميرون». وإذا اتجهنا شرقًا ووصلنا إلى بلاد حوض «بحيرة تشاد» حيث «دولة الكانم والبرنو» نجد داعية إسلاميا عظيمًا هو الشيخ «محمد بن مانى» الذى أسلم على يديه ملوك هذه البلاد فى القرن الحادى عشر للميلادوكذلك دخل الإسلام كثير من النوبيين وأهالى «السودان النيلى» و«دارفور» على يد دعاة وفدوا من «مصر» و«اليمن» و«الحجاز» من أمثال «غلام الله بن عائذ اليمنى»، و«حمد أبى دنانة» من «الحجاز»، والشيخ «محمد القناوى الأزهرى» من «مصر»، وتلقف الدعوة وأذاعها سودانيون من أمثال الشيخ «محمود العركى» والشيخ «صغيرون محمد بن سرحان العدوى» وغيرهم ووفد على منطقة القرن الإفريقى وساحل شرقى إفريقيا عدد كبير من الدعاة، من أمثال «ود بن هشام المخزومى» الذى أقبل إلى بلاد «الحبشة» فى عهد «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - وأنشأ أحفاده دولة إسلامية فى «إقليم شوا» وسط هضبة الحبشة كذلك وفد دعاة من «بنى عبدالدار» أو من «بنى عقيل بن أبى طالب» إلى بلاد «الزيلع» و«الصومال» و«إريتريا» وأنشأ أحفادهم سلطنة إسلامية أخرى فى هذه البلاد تسمى «سلطنة أوفات الإسلامية». وهكذا كان للدعاة فضل كبير

فى نشر الإسلام وثقافته، وفى إقامة سلطنات إسلامية فى كثير من نواحى القارة، كما سنرى ذلك فى حينه بالتفصيل فى هذا الجزء من السلسلة

2 - التجار: كان للتجار الدور الأول فى نشر الإسلام فى القارة بعد الدعاة ويظهر ذلك من قول السير «توماس أرنولد» فى كتابه «الدعوة إلى الإسلام» إن التجارة والدعوة إلى الإسلام مرتبطان كل الارتباط وقد تدفق الإسلام عبر الطرق التجارية الموصلة بين مختلف أنحاء القارة، والتى أشرنا إليها من قبل، إلى حوض نهرى «السنغال» و«النيجر» ومنطقة حوض «بحيرة تشاد»، وكذلك إلى «الصومال» و«بلاد النوبة» و«السودان» و«الحبشة»، و«ساحل شرق إفريقيا». وقد قام العرب والبربر بدور كبير فى هذا النشاط التجارى، وأصبحت مدن الشمال الإفريقى مراكز للتجارة بجانب كونها مراكز للعلم والثقافة، ووصلت إليها السلع الإفريقية، واتجه تجار العرب والبربر واخترقوا الصحراء الكبرى ووصلوا إلى بلدان إفريقيا جنوب الصحراء وكان لذلك أثره الكبير فى نشر الإسلام الذى أقبل مع قوافل التجار، وازداد انتشاره بعد أن انتقل معظم النشاط التجارى إلى أيدى السودان والزنوج أنفسهم من تجار «الفولانى» و«التكرور» و«الهوسا» و«الكانمية» والصوماليين وغيرهم من الأفارقة الذين اتخذوا التجارة حرفة رئيسية، وصار هؤلاء التجار الأفارقة دعاة للإسلام، وقلدوا المغاربة فى إقامة بعض الأسواق فى مدن معينة فى أيام معلومة. وكان هؤلاء التجار سواء كانوا من العرب أو البربر أو السودان ينزلون فى هذه الأسواق أو فى المراكز التجارية ويحتكون بالزنوج ويؤثرون فيهم بنظافتهم وأمانتهم وسلوكهم الشخصى القائم على قيم الإسلام وتقاليده السامية، وغالبًا ما ينتهى هذا الاحتكاك بدخول كثير من هؤلاء الزنوج فى الإسلام الذى كان يتركز أولا فى المدن التى ينشط فيها التجار بوجه خاص، وكانوا إذا ما استقر بهم المقام فى إحدى هذه المدن ينشئون كتاتيب أو مدارس لتعليم الإسلام وتحفيظ القرآن الكريم ويبنون المساجد التى كانت مقرا للدعوة إلى الإسلام، وقاموا فى الوقت نفسه بمزاولة نشاطهم التجارى، وكانوا أثناء الليل يحولون دكاكينهم إلى مكان يتلقى فيه الأطفال الوثنيون مبادئ القراءة والكتابة على ضوء النيران، مما حببهم إلى الأهالى الذين وثقوا بهم، مما فتح الباب أمام الإسلام كى ينتشر بينهم. وكذلك وثق بهم رجال الطبقة الأرستقراطية من الملوك والأمراء ومشايخ القبائل؛

حيث كان التجار المسلمون يُستقبلون فى بلاط هؤلاء الملوك الوثنيين بترحاب شديد ؛ لسمو أخلاقهم وكريم خصالهم وخبرتهم بالسياسة وشئون الإدارة والمال، ونظرًا لأنهم كانوا يجلبون لهذه الطبقة ما كانت تحتاج إليه من سلع فاخرة، ومن ثم أضفى هؤلاء الملوك حمايتهم على هؤلاء التجار، فنعموا بالأمان والاستقرار وازداد نشاطهم بين أفراد هذه الطبقة، التى سرعان ما تحولت إلى الإسلام فى عدد كبير من البلدان. ومن أهم المراكز التجارية التى أنشأها العرب أو أهالى البلاد المحليون واتخذوا منها مراكز للتجارة والدعوة: مدينة «أودغشت» فى «موريتانيا» الحالية، ومدينة «تمبكت» التى بناها المرابطون من المغاربة على ضفة نهر «النيجر» أواخر القرن الخامس الهجرى، كذلك كانت مدن: «كانو»، و«مالى»، و«جاد»، و«نجيمى» فى غرب القارة مراكز للدعوة والتجارة. وكانت مدينة «عيذاب» التى تقع على ساحل «البحر الأحمر»، ومدينة «قوص» التى تقع على «نهر النيل» فى صعيد «مصر» مراكز انطلق منها تجار الكارم إلى «الحبشة» وشرق إفريقيا، كما انطلقوا من موانى: «سواكن» و«باضع» (مصوع) و«زيلع» و«بربرة» و«مقديشيو» و«ممبسة» و«مالندى» و«كلوة» و«سوفالة»، وكلها موانئ تقع على الساحل الغربى للبحر الأحمر وعلى الساحل الشرقى لإفريقيا، ونشط التجار فى هذه المراكز التجارية كلها ووصل نشاطهم إلى أعماق القارة فى بلاد «أوغندا» و«الكونغو»، وأسلم على أيديهم أعداد كبيرة من الأفارقة. وكانت قوافل الجمال التى تحمل تجارة القارة لا تستطيع العودة من هذه المناطق الداخلية إلى المناطق الساحلية فى موسم الأمطار، فكان التجار ينتظرون الشهر أو الشهور يتاجرون ويحتكون بالأهالى؛ مما كان يؤدى إلى إسلام الكثير منهم، ثم يعودون من حيث أتوا حينما تتحسن الأحوال الجوية، هذا فى الوقت الذى أصبح التجار المحليون المقيمون دائمًا فى بلدان القارة عُمُدًا للدعوة الإسلامية

3.- الحجاج: نتيجة للنشاط التجارى الواسع الذى أشرنا إليه والذى ساد شمال القارة، ووسطها وغربها وشرقها وما نتج عنه من انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية؛ نشطت قوافل الحج التى كانت فى الوقت نفسه قوافل للتجارة التى كان يمارسها الحجاج على طول طريقهم إلى الأراضى المقدسة، وقوافل لتحصيل العلم عن طريق الالتقاء بعلماء البلدان التى يمرون بها، فكانت تخرج من

غرب القارة قوافل عديدة على رأسها ملوك هذه البلدان، الذين كانوا يحرصون على أداء هذه الفريضة رغم ما كانوا يتكبدونه من مشاق ومتاعب، نظرًا لطول الطريق ومخاطره ووعورته، لكنهم كانوا يخرجون فى رحلة قد تستغرق عامًا أو عامين ويلتقون فى موسم الحج بإخوانهم المسلمين على اختلاف بلادهم وألسنتهم وألوانهم، فيشعرون جميعًا بالأخوة الإسلامية، ويشعر الإفريقى بانتمائه إلى عالم إسلامى واسع، وبأخوته لمسلمى ذلك العالم، فتتحطم الحواجز العرقية والقبلية واللغوية والاجتماعية، ويصبح الجميع شعبًا واحدًا يتكلمون بعبارات واحدة، ويتجهون إلى قبلة واحدة، ومن ثم أصبح خروج المسلمين من غرب إفريقيا ووسطها وشرقها جماعات وفرادى إلى الحج، واتصالهم بالشعوب الإسلامية المختلفة فى بلاد الحجاز أو أثناء رحلة الذهاب والعودة تأكيدًا لروح الأخوة الإسلامية التى فرضها الإسلام، فيعود هؤلاء الأفارقة ممتلئين بالحماسة لنشر هذا الدين، ووَقَف جهودهم على إعلاء شأنه فى بلادهم وما جاورهم من البلاد الوثنية، خاصة أن هؤلاء الحجاج كانوا يعودون محملين بالكتب الدينية التى تزيد من علم الأفارقة وثقافتهم كما كانوا يعودون أحيانًا مصحوبين ببعض الدعاة والفقهاء والتجار من غير الأفارقة، مما كان له أثره فى نشر الإسلام، لاسيما وأنهم كانوا يقومون بإنشاء المدارس لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم ونشر الإسلام بين الوثنيين، ونشر عقائده الصحيحة بين المسلمين الأفارقة. وكان المسلمون الجدد من هؤلاء الأفارقة يرون ارتفاع المكانة الاجتماعية لإخوانهم وأقربائهم من الذين أدوا هذه الفريضة، فيقدمون هم الآخرون عليها، ولذلك تعددت قوافل الحج التى كانت تخرج من هذه البلدان، والتى كانت تضم آلافًا مؤلفة وعلى رأسها الملوك والحكام فى أحيان كثيرة. ومن أشهر الملوك الذين أدوا هذه الفريضة من حكام إفريقيا «منسا موسى» سلطان «مالى الإسلامية»، الذى خرج إلى الحج من هذا المكان النائى فى غرب القارة على رأس موكب كبير تحدث عنه المؤرخون، وذلك فى عام (723هـ / 1323م) إذ كان موكبه يضم أكثر من عشرة آلاف حاج، وكان يحمل معه كميات كبيرة من الذهب الخام، أهدى منه إلى سلطان «مصر» وأمرائها وموظفيها، كما أفاض منه على فقراء «مكة» و«المدينة»، ومَنَحَ عن سعة حتى قيل إن قيمة الذهب انخفضت فى «مصر» انخفاضًا ملحوظًا لكثرة ما أنفقه فيها. كذلك تحدثنا المصادر بأن ملوك «سلطنة صنغى

الإسـلامية» التى خـلفت سلطنـة «مـالى» فـى غـرب إفريقيـا قـاموا بـأداء هـذه الفريـضة، ومـن أشـهرهـم السـلطان «أسكيا محمد الأول» فى عـام (495هـ/ 1101م)، وقـد أدى بعض سـلاطين «الكانم» و«البرنو» الذين كانت دولتهم تقوم حول «بحيرة تشاد» الحج ثلاث مرات، وبعضهم تُوفِّى أثنـاء الذهـاب أو العودة ودفن فـى «مـصر» وكـان حكام بلاد «السودان النيلى»، و«الصومال» و«الحبشـة» وشرق إفريقيا بصفة عامـة يـؤدون هـذه الفريـضة فـى سـهولة ويسر، نظرًا لقربهم من بلاد «الحجاز»، وكانوا يحرصون على ذكر لقب الحاج قبل أسمائهم مثلما كـان يفعـل إخوانهم فـى شمال إفريقيا وغربها، حتى السـلاطين أنفسهم؛ مما يدل على أهميـة هـذه الشعيرة لديهم، وعلى أن تأثيرها فى نفوسهم كان قويا، ولذلك كانوا يعودون من هذه الرحلة ممتلئين حمـاسـة للإسـلام ولنشره بين من لم يعتنقه من الوثنيين فى بلادهم وقراهم

4 - الهجرات: كان لتحركات القبائل وهجراتها سواء أكانت عربية أم بربرية أم سودانيـة وزنجيـة دور كبير فـى نشر الإسـلام وثقافتـه، واللغة العربيـة وثقافتها فى القـارة الإفريقيـة. ومـن أهـم هـذه الهجرات هجرات العرب إلى بلدان القارة المختلفة، وكانت «مصر» هـى القاعدة والمنطلق الذى انطلقت منه هـذه الهجـرات العربيـة غربًا إلى شمـال إفريقيـا، وبـلاد «النوبة» و«السودان»، فقد هـاجرت جماعـات عربيـة من «ربيعة» و«جهينة» و«بلى» إلى «أرض البجـة» منذ منتصف القـرن السـابع للميلاد، ونجحوا فى نشر الإسـلام بين الأهـالى، ودفعت شهرة «وادى العلاقى» الذى يقع فى الصحراء الشرقيـة بين «أسوان» و«البحر الأحمر» بالذهب والزمرد إلى جذب جماعـات كبيرة من «ربيعـة» و«جهينة» منذ عـام (238هـ / 852م) إلى هـذه المنطقـة، حيث اسـتقر العرب هنـاك وتزاوجوا مع «البجة» وأقاموا إمارة عربيـة مدت نفوذها إلى «أسوان» وشمال «بلاد النوبة»؛ حيث صاهروا حكام مملكة «مَقُرة» النوبية المسيحية، ونتج عن ذلك انتقال الحكم إلى هـؤلاء العرب من الذين عرفوا باسم «بنى كنز» نسبة إلى لقب كان قد أطلقه أحد الخلفـاء الفـاطميين فـى «مصر» على أحد أمرائهم نظير مساعدته لهذا الخليفة فـى القضاء على أحد الثائرين والخـارجـين عـلى دولتـه فى صعيد «مصر». وتطورت أحوال «بنـى كنز» هـؤلاء حتـى استطـاعوا أن يقيموا دولة «بنـى كنـز» العربيـة فـى «بـلاد النوبـة» واتخـذوا «دنقلـة» عاصـمة لهـم منـذ عـام (723هـ /

1323م). وبقيام هذه الدولة انفتح باب الهجرة العربية على مصراعيه، فهاجرت قبائل عربية كثيرة إلى وسط «السودان»، وأقاموا بين نهرى «النيل الأبيض» و«الأزرق»، وتحالفوا مع قبائل سودانية تسمى «الفونج»، واستطاعوا أن ينشئوا معًا دولة إسلامية أخرى هى دولة «الفونج» التى كانت عاصمتها «سنار»، وذلك عام (911هـ / 1505م). كذلك هاجرت قبائل عربية كثيرة من «مصر» إلى مملكة «دارفور» الوثنية منذ القرن الحادى عشر للميلاد، ووفدت إلى هذه المملكة هجرات عربية أخرى من «تونس» و«شمال إفريقيا»، واختلط هؤلاء المهاجرون بالأهالى وصاهروا ملوك «دارفور»، ونتج عن هذه المصاهرة انتقال الحكم إليهم، فأصبحت «دارفور» سلطنة عربية إسلامية منذ عام (849هـ / 1445م). كذلك تواصلت الهجرات العربية إلى بلاد «الزيلع» و«الحبشة»، وهى المنطقة التى تعرف الآن باسم منطقة القرن الإفريقى. ومنها هجرة «ود بن هشام المخزومى» فى عصر «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - وقد تبع ذلك هجرات عربية استقرت على طول ساحل هذه المنطقة، وأقامت فى المدن الساحلية التجارية، مثل «سواكن» و«باضع» (مصوع) و«زيلع» و«بربرة» وانطلقت إلى الداخل وسكنت مع الأهالى واشتغلت بالتجارة والزراعة والرعى، وازداد عددها حينًا بعد حين حتى تمكنت من إقامة سلطنات إسلامية، مثل «سلطنة شوا» و«سلطنة أوفات» و«سلطنة عدل» الإسلامية. وقد ازدادت هجرات العرب على ساحل شرق إفريقيا وأنشئوا مراكز تجارية بطول هذا الساحل، حتى قال بعض المؤرخين إنهم أنشئوا ستا وثلاثين مدينة، بدءًا من «مقديشيو» فى «الصومال» وحتى «سوفالة» جنوب نهر «الزمبيزى» فى «موزمبيق». ومن أشهر هذه الهجرات هجرة «سليمان» و«سعيد» ابنى «عباد بن عبد بن الجلندى»، وكانا ملكين فى «عُمان»، واضطرتهما ظروف القتال مع «الحجاج بن يوسف الثقفى»، الذى أراد أن يفرض نفوذه على «عمان» بالقوة المسلحة، إلى ترك وطنهما والاتجاه فى سفن إلى ساحل شرق إفريقيا؛ حيث وصلا ومن معهما من رجال وجند وأهالى إلى جزر «أرخبيل لامو» التى تقع فى دولة «كينيا» الآن، وذلك فى الفترة (75 - 85هـ = 694 - 704م)، واستقروا هناك وأنشئوا إمارة صغيرة كان لها أثرها فى نشر الإسلام بين الأهالى الموجودين فى تلك المنطقة. كذلك هاجر بعض الشيعة

الزيدية ثم مقتل إمامهم «زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب» رضى الله عنهم أجمعين – فى عام (122هـ/ 741م) على يد الخليفة الأموى «هشام بن عبد الملك»، فاضطر أتباعه بعد مقتله إلى الهجرة خوفًا من اضطهاد الحكام لهم، فوصلوا إلى ساحل «بنادر» بالصومال، وأقاموا هناك نحو مائتى عام أرسوا فيها قواعد الإسلام والثقافة الإسلامية بين الصوماليين. ولم تلبث أن وفدت هجرة أخرى إلى هذا المكان نفسه تعرف باسم هجرة الإخوة السبعة، جاءت من «الأحساء» فى عام (292هـ / 904م) ووصلت إلى ساحل «بنادر» بالصومال، بعد أن ضاق بهم المقام فى منطقة الخليج؛ نتيجة لصراعات سياسية ومذهبية، وكان هؤلاء الإخوة من قبيلة «الحارث» العربية، ولما وصلوا إلى هذا الساحل استطاعوا أن يطردوا الزيدية إلى الداخل. وأن ينشئوا مدينة «مقديشيو» فى عام (295هـ/ 907م) ويتخذوها عاصمة لدولتهم التى أقاموها هناك، والتى كانت تعرف باسم «سلطنة مقديشيو الإسلامية». وبذلك ظهر إلى الوجود مركز إسلامى كبير كان له أثره القوى فى نشر الإسلام لا بين الصوماليين فحسب، بل بين كثير من سكان شرق إفريقيا كله. وقد أعقب تلك الهجرة هجرة شيرازية فارسية أتت من «شيراز» بإيران، كان على رأسها أمير يدعى «على بن حسن بن على الشيرازى»، وذلك فى عام (365هـ / 975م) نتيجة خلافات وقعت بينه وبين إخوته فى «شيراز»، اضطرته إلى الهجرة هو وأتباعه ورجاله فى سبع سفن ضخمة إلى شرق إفريقيا؛ حيث استقر بهم المقام فى جزيرة «كلوة» التى تتبع دولة «تنزانيا» الآن، واستطاع أن يؤسس سلطنة إسلامية تسمى «كلوة»، ظل يحكمها هو وأحفاده نحو قرنين من الزمان حتى أتت هجرة عربية أخرى من «اليمن» من «بنى الحسن بن طالوت المهدلى»، وحكمت هذه السلطنة، ومن ثم تغلبت الصبغة العربية فيها على الصبغة الشيرازية الفارسية واستمرت هذه السلطنة قائمة حتى جاء البرتغاليون وتغلبوا عليها فى عام (911هـ/ 1505م). ونتيجة لهذه الهجرات العربية المتتابعة انتشر الإسلام واللغة العربية بين السكان المحليين فى منطقة «القرن الإفريقى»، وفى منطقة الساحل الشرقى لإفريقيا، وكذلك فى الجزر المواجهة لهذا الساحل،مثل «جزيرة زنجبار»، و«جزر القمر»، و«جزيرة مدغشقر» (مالاجاش الآن) وغيرها من الجزر، وتكوّن عالم إسلامى واضح المعالم والقسمات، نشأت فيه دول

وسلطنات إسلامية ظلت موجودة حتى اصطدمت بالبرتغاليين والأحباش، ثم بالاستعمار الأوروبى فى العصر الحديث. كذلك خرجت هجرات عربية من «مصر» فى اتجاه الغرب إلى بلاد المغرب العربى منذ عصر الفتوحات الإسلامية فى القرن الأول للهجرة، وظلت هذه الهجرات تتابع حتى القرن الخامس للهجرة؛ حيث نزح من «مصر» إلى هناك «بنو هلال» و«بنو سليم»، ولاشك أن الحكم العربى الإسلامى لهذه البلاد بالإضافة إلى هذه الهجرات قد أديا فى النهاية إلى تعريبٍ أهل البلاد الأصليين، فانتشرت بينهم اللغة العربية وأصبحت لسانهم، وغدت هذه البلاد بلدانا عربية إسلامية، وقد انطلقت من هذه البلاد هجرات عربية لكنها كانت قليلة العدد قليلة الأفراد، اتجهت جنوبًا إلى الصحراء الكبرى ومنها إلى حوض «نهر السنغال» و«النيجر»، وحوض «بحيرة تشاد» مثل «بنى جذام» و«بنى حسان» و«بنى معقل» و«أولاد سليمان» و«جهينة» وغيرهم، واستقرت هذه القبائل هناك ولاتزال توجد إلى الآن بعض هذه القبائل التى تحتفظ بأصولها العربية، ولكن نظرًا لقلة هذه الهجرات وقلة عدد أفرادها فإنها لم تؤدّ إلى انتشار اللغة العربية بين الأهالى هناك، وكانت لغة العلم والتعليم والتجارة والوثائق الرسمية للدَولة فقط. ولما جاء الاستعمار الأوروبى إلى هذه البلاد حارب هذه اللغة وحارب الإسلام بكل ما يستطيع من قوة، ولايزال يحاربه رغم الاستقلال. وإذا كان العرب قد هاجروا إلى البلدان الإفريقية فى مختلف أنحاء القارة، وكان لهم أثرهم الكبير فى نشرِ الإسلام ولغته وثقافته، وكذلك فى إقامة سلطنات إسلامية، فقد كان لهجرات البربر أثر كبير أيضا فى هذه الميادين، وخاصة «بربر صنهاجة»، الذين كانوا يسكنون الصحراء الكبرى، واستطاعوا نتيجة لجهود داعية عظيم أشرنا إليه وهو الشيخ «عبدالله بن ياسين الجزولى» أن يقيموا «دولة المرابطين» منذ عام (448هـ = 1056م)، وأن يضموا إليها «بلادالمغرب الأقصى» و«بلاد الأندلس»، ثم «مملكة غانة» الوثنية، وانطلق دعاتهم بين أهالى «غانة» و«السودان الغربى» ينشرون الإسلام، كذلك وفد كثير من قبائل البربر الأخرى إلى هذه البلاد مهاجرين إليها، واستقروا فيها وأنشئوا المدن والمراكز التجارية مثل مدينة «أودغشت» ومدينة «تمبكت» وغيرهما. كما هاجرت قبائل من البربر منذ ما قبل الإسلام إلى حوض «بحيرة تشاد» وأقامت دولة تسمى «دولة الكانم والبرنو»، ولم يلبث ملوك هذه الدولة أن

اعتنقوا الإسلام فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد، وظلوا يحكمون هذه البلاد وينشرون الإسلام فيها حتى القرن التاسع عشر. كذلك كان لهجرات النوبيين والصوماليين والجلا والأعفار والزنوج أثر كبير فى نشر الإسلام فى منطقة «القرن الإفريقى»، وفى «ساحل شرق إفريقيا»، وكانت هذه الهجرات وراء توسع السلطنات الإسلامية التى قامت فى هذه المنطقة، وساعدتها فى رد عدوان الأحباش على المسلمين فى منطقة «القرن الإفريقى» وخاصة فى القرن السادس عشر الميلادى.

5- الطرق الصوفية: ارتبط نشاط الدعوة إلى الإسلام لاسيما فى غرب إفريقيا وشرقها بانتشار الطرق الصوفية، وخاصة بين المشتغلين بالتجارة، وكانت هذه الطرق قد بزغ نجمها فى الأفق منذ أن تعرض العالم الإسلامى لخطر الإستعمار الأوروبى الحديث بدءًا من القرن السادس عشر الميلادى، واستطاعت الطرق الصوفية أن تُسهم إسهامًا كبيرًا فى الدعوة إلى مقاومة الاستعمار، وكذلك فى الدعوة إلى الوحدة الدينية، وفى نشر الإسلام بين من لم يعتنقه، ونتيجة لذلك جذبت هذه الطرق إليها كثيرًا من الشباب الأفارقة. ففى شرق إفريقيا وبلاد «سودان وادى النيل» ظهرت «الطريقة الميرغنية» فى القرن التاسع عشر للميلاد والتى كان لها تأثيرها الكبير على الناس هناك، وكانت قد ظهرت قبلها بعدة قرون «الطريقة القادرية والشاذلية والرفاعية»، وانتشر أتباع هذه الطرق على طول الساحل الشرقى لإفريقيا، وفى الجزر المواجهة له وكذلك فى المناطق الداخلية. وفى سنة (1253هـ / 1837م) ظهرت فى شمال إفريقيا الطريقة السنوسية على يد الفقيه الجزائرى «محمد بن على السنوسى»، الذى استطاع أن يقيم دولة دينية فى الأراضى الليبية، دون أن يريق قطرة دم واحدة، وتمكنت هذه الطريقة من خلال أتباعها وزواياها التى انتشرت فى إفريقيا جنوب الصحراء أن تنشر الإسلام بين العديد من القبائل الإفريقية الوثنية، مثل قبيلة «بيلى» التى كانت تسكن منطقة «إنيدى» شرق «بوركو» فى شمال «نيجيريا»، وعمّقت الإسلام بين جماعات «التّدَا» فى شمال «بحيرة تشاد». وكان للسنوسيين فضل كبير فى نشر الإسلام فى «واداى»، التى تقَع شرق «بحيرة تشاد»، وبين قبائل «الجلا» فى «الحبشة»؛ حيث كانوا يشترون العبيد أو الأطفال ثم يحررونهم ويرسلونهم إلى مركز الطريقة الرئيسى فى «واحة جغبوب» فى الصحراء الكبرى بين «مصر» و«ليبيا»، فيتعلمون ثم يعودون إلى

بلادهم دعاة للإسلام. كذلك كان لأتباع «الطريقة القادرية» التى انتشرت فى شمال إفريقيا وغربها أثر كبير فى نشر الإسلام فى هذه البلاد، فقد اتخذ أتباعها من مدينة «ولاتة» بموريتانيا أول مركز لهم فى تلك البلاد منذ القرن الخامس عشر الميلادى ثم لجئوا إلى «تمبكت»، وانتشر أتباعهم ودعاتهم فى أنحاء «السودان الغربى»، وكذلك فى منطقة «القرن الإفريقى» وساحل «شرق إفريقيا»، ووصل أتباعها فى الداخل حتى «الكونغو»، وكان أتباع هذه الطريقة يقومون بتأسيس المدارس لتعليم الدين ونشر الإسلام، ويرسلون نوابغ الطلاب إلى مدارس «القيروان» و«تونس» و«فاس» و«الأزهر»، وغيرها، فإذا ما أتموا دراستهم عادوا إلى أوطانهم دعاة للإسلام. ومن الطرق الأخرى التى انتشرت فى القارة «الطريقة التيجانية» التى أنشأها «أبو العباس أحمد بن محمد المختار بن سالم التيجانى» المتوفى عام (1231هـ / 1815م)، وقد قام أتباعه بنشر هذه الطريقة بين رجال القوافل والتجار، فانتشرت تعاليمها فى حوض «السنغال» وفى «تمبكت» وفى سائر أنحاء غرب إفريقيا، وظهرت هذه الطريقة أيضًا فى «السودان النيلى» وشرق إفريقيا على يد بعض التيجانية القادمين من غرب إفريقيا . وقد انخرط فى سلك هذه الطريقة علية القوم فى «الحبشة»، مثل سلطان «جمة» «أبى جفار»، و«الرأس على» نائب الإمبراطور الحبشى، وعمل هذان الرجلان على نشر الإسلام بين الوثنيين من الأحباش، ونجحا فى ذلك نجاحًا عظيمًا فتحول معظم سكان الولايات الوسطى والشمالية فى «الحبشة» إلى الإسلام. 6 طبيعة الإسلام: ذلك أن الإسلام لم يُفرض كما رأينا على الشعوب الوثنية الإفريقية فرضًا، إنما حمله قوم من أهل إفريقيا نفسها، اتخذوا صفة التجار أو المعلمين أو الدعاة أو الصوفية فليس غريبًا أن يلقى قبولا منهم، فهو فى نظرهم دين إفريقى غير دخيل، والدعوة إليه تتم بالطرق السلمية وليس بالغزو المسلح كما فعل الاستعمار الأوربى فى العصر الحديث. كما أن الإسلام لم يستعبد هذه الشعوب، إنما أشعرها بالعزة والكرامة، فخلق منها دولا كبرى وقوى فيها النزعة إلى الحرية والاستقلال، ولم يقض على نظمها المحلية بل تواءم معها وخلق منها ومن تقاليده تقاليد إسلامية الطابع إفريقية الروح. ومن ثَم تقبَّله الأفارقة، خاصة أن الإسلام لم يكن دينًا أخرويا فحسب، وإنما كان دينًا وحضارة تقوم على أساس تعمير الدنيا والفوز بالآخرة، ومن ثم لزم أن يَنشر الإسلام نور العلم والثقافة بين

أتباعه ومعتنقيه، فارتبط الإسلام بالعلم والتعليم منذ البداية، وكان الإفريقى لا يكاد يسلم حتى يتعلم القراءة والكتابة ويرتفع قدره اجتماعيا كلما زادت ثقافته، ولذلك سمعنا عن عدد كبير من العلماء الأفارقة الذين ظهروا فى مختلف ميادين العلم والثقافة، ولم يكونوا فى ذلك أقل من إخوانهم علماء المغاربة أو المشارقة، زد على ذلك أن الإسلام لم يعترف بالتفرقة العنصرية، فهو لا يعرف حواجز الطبقات أو العرق أو اللون، ولا يميز بين إنسان وآخر على أساس اللون أو الثروة، لأن معيار التفاضل فى الإسلام هو التقوى والعمل الصالح، ولذلك أقبل الأفارقة على اعتناقه، فوحَّد بينهم وقضى على عناصر الفرقة والتشرذم، كما وحد بينهم لغويا؛ إذ انتشرت اللغة العربية بين كثير من شعوب القارة، وصارت هى أداة الفكر والعلم والمخاطبة، أما الشعوب التى احتفظت بلغاتها، فقد كانت العربية هى وسيلة العلم والتعامل كما كانت اللغة الرسمية، لأن اللغات الإفريقية لم تكن لغات مكتوبة. وكما وحَّد الإسلام بينهم دينيا وحد بينهم سياسيا وقضى على التشرذم القبلى والنزاعات القبلية، وأنشأ دولا كبرى، بل إمبراطوريات عظمى مثل «إمبراطورية مالى»، التى ضمت معظم منطقة غرب إفريقيا بالكامل، وكانت مساحتها تفوق مساحة دول غرب أوربا مجتمعة، ليس هذا فحسب بل إن الإسلام جعل الإفريقى يشعر بانتمائه ليس إلى بلاده فقط بل إلى عالم إسلامى واسع، يستطيع أن ينتقل بين أرجائه سواء كان تاجرًا أو حاجا أو طالب علم، وفى كل مكان يجد هذا الإفريقى القوت والمأوى والمساعدة والاستقبال الودود، على أساس من أخوة الإسلام التى جمعت بين أفراد هذا العالم الإسلامى الواسع، الذى يمتد من الصين شرقًا حتى المحيط الأطلسى غربًا، ومن هنا اعتبر الأفارقة الإسلام دينًا إفريقيا قام بنشره بينهم قوم منهم، اتخذوا الدعوة أو التجارة أو التصوف وسيلة إلى ذلك، وطبقوا مبادئ الإسلام السمحة وأخلاقه الحميدة وقيمه السامية من إخاء ومساواة وتكافل وتعاون، ومن ثم انتشر الإسلام فى هذه البقاع الواسعة فى القارة، حتى إنه يمكن القول بأن قارة إفريقيا هى القارة المسلمة الوحيدة فى عالم اليوم، على اعتبار أن غالبية سكانها يعتنقون الإسلام. ويتبين ذلك بوضوح من خلال حديثنا عن السلطنات والممالك الإسلامية التى قامت بالقارة جنوب الصحراء فى العصور الوسطى.

## الكتاب الثامن

## في بيات كيفية تكون المجتمع الإسلامي وأسسه وأسباب تفوقه وعوامل تفرقه وانكماشه

*

## الفصل الاول

## في

## تكون المجتمع المسلم

----

### نَشأَة المُجتَمع المُسْلم وَخَصَائصُه

في هذا المجال وبعد سرد عينات من الفتوحات الإسلامية ينبغي لي أن أذكر هنا نشأة المجتمع المسلم الذي نحن جزء منه حتى نعرف مدى تمسكنا بمنهجه نحن كأتباع وكأحفاد وعليه فأقول إن إن الدعوة الإسلامية على يد سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما ذكر الاستاذ محمد قطب تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الدعوة الطويلة إلى الإسلام بقيادة موكب الرسل الكرام. وهذه الدعوة على مدار التاريخ البشري كانت تستهدف أمرا واحدا : هو تعريف الناس بإلههم الواحد وربهم الحق وتعبيدهم لربهم وحده ونبذ ربوبية الخلق. ولم يكن الناس فيما عدا أفرادا معدودة في فترات قصيرة ينكرون مبدأ الألوهية ويجحدون وجود الله البتة، إنما هم كانوا يخطئون معرفة حقيقة ربهم الحق، أو يشركون مع الله آلهة أخرى : إما في صورة الاعتقاد والعبادة، وإما في صورة الحاكمية والاتباع وكلاهما شرك كالآخر يخرج به الناس من دين الله، الذي كانوا يعرفونه على يد كل رسول، ثم ينكرونه إذا طال عليهم الأمد، ويرتدّون إلى الجاهلية التي أخرجهم منها. ويعودون إلى الشرك بالله مرة أخرى. إما في الاعتقاد والعبادة، وإما في الاتباع والحاكمية. وإما فيها جميعا. هذه طبيعة الدعوة إلى الله على مدار التاريخ البشري. إنها تستهدف "الإسلام" إسلام العباد لرب العباد، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، بإخراجهم من سلطان العباد في حاكميتهم وشرائعهم وقيمهم وتقاليدهم، إلى سلطان الله وحاكميته وشريعته وحده في كل شأن من شؤون الحياة. وفي هذا جاء الإسلام على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما جاء على أيدي الرسل الكرام قبله. جاء ليرد الناس إلى

حاكمية الله كشأن الكون كله الذي يحتوي الناس ، فيجب أن تكون السلطة التي تنظم حياتهم هي السلطة التي تنظم وجوده ، فلا يشذوا هم بمنهج وسلطان وتدبير غير المنهج والسلطان والتدبير الذي يصرف الكون كله . بل الذي يصرف وجودهم هم أنفسهم في غير الجانب الإرادي من حياتهم فالناس محكومون بقوانين فطرية من صنع الله في نشأتهم ونموهم ، وصحتهم ومرضهم ، وحياتهم وموتهم ، كما هم محكومون بهذه القوانين في اجتماعهم وعواقب ما يحل بهم نتيجة لحركتهم الاختيارية ذاتها ، وهم لا يملكون تغيير سنة الله في القوانين الكونية التي تحكم هذا الكون وتصرفه . ومن ثم ينبغي أن يثوبوا إلى الإسلام في الجانب الإرادي من حياتهم ، فيجعلوا شريعة الله هي الحاكمة في كل شأن من شؤون هذه الحياة ، تنسيقاً بين الجانب الإرادي في حياتهم والجانب الفطري ، وتنسيقا بين وجودهم كله بشطريه هذين وبين الوجود الكوني . ولكن الجاهلية التي تقوم على حاكمية البشر للبشر والشذوذ بهذا عن الوجود الكوني ، والتصادم بين منهج الجانب الإرادي في حياة الإنسان والجانب الفطري . هذه الجاهلية التي واجهها كل رسول بالدعوة إلى الإسلام لله وحده ، والتي واجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته . هذه الجاهلية لم تكن متمثلة في "نظرية" مجردة بل ربما أحياناً لم تكن لها "نظرية" على الإطلاق ! إنما كانت متمثلة دائماً في تجمع حركي . متمثلة في مجتمع ، خاضع لقيادة هذا المجتمع ، وخاضع لتصوراته وقيمه ومفاهيمه ومشاعره وتقاليده وعاداته . وهو مجتمع عضوي بين أفراده ذلك التفاعل والتكامل والتناسق والولاء والتعاون العضوي ، الذي يجعل هذا المجتمع يتحرك بإرادة واعية أو غير واعية للمحافظة على وجوده ، والدفاع عن كيانه والقضاء على عناصر الخطر التي تهدد ذلك الوجود وهذا الكيان في أية صورة من صور التهديد . ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في "نظرية" مجردة ، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية ، ورد الناس إلى الله مرة أخرى ، لا يجوز ولا يجدي شيئاً . أن تتمثل في "نظرية مجردة فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي ، فضلاً على أن تكون متفوقة عليها كما هو المطلوب في حالة محاولة إلغاء وجود قائم بالفعل لإقامة وجود آخر يخالفه مخالفة أساسية في طبيعته وفي منهجه وفي كلياته وجزئياته . بل لا بد لهذه المحاولة الجديدة أن تتمثل في تجمع عضوي حركي أقوى في قواعده النظرية والتنظيمية ، وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك المجتمع الجاهلي

القائم فعلاً . والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام على مدار التاريخ البشري هي قاعدة " شهادة أن لا إله إلا الله " أي إفراد الله – سبحانه – بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية . إفراده بها اعتقادًا في الضمير، وعبادة في الشعائر، وشريعة في واقع الحياة فشهادة أن لا إله إلا الله، لا توجد فعلاً، ولا تعتبر موجودة شرعا إلا في هذه الصورة المتكاملة التي تعطيها وجودا جديا حقيقيا يقوم عليه اعتبار قائلها مسلما أو غير مسلم . ومعنى تقرير هذه القاعدة من الناحية النظرية . أن تعود حياة البشر بجملتها إلى الله، لا يقضون هم في أي شأن من شؤونها ، ولا في أي جانب من جوانبها ، من عند أنفسهم، بل لا بد لهم أن يرجعوا إلى حكم الله فيها ليتبعوه . وحكم الله هذا يجب أن يعرفوه من مصدر واحد يبلغهم إياه، وهو رسول الله . وهذا يتمثل في شطر الشهادة الثاني من ركن الإسلام الأول: " شهادة أن محمدا رسول الله "هذه هي القاعدة النظرية التي يتمثل فيها الإسلام ويقوم عليها وهي تنشئ منهجا كاملاً للحياة حين تطبق في شؤون الحياة كلها يواجه به المسلم كل فرع من فروع الحياة الفردية والجماعية في داخل دار الإسلام وخارجها ، في علاقاته بالمجتمع المسلم وفي علاقات المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى . ولكن الإسلام – كما قلنا لم يكن يملك أن يتمثل في " نظرية " مجردة يعتنقها من يعتنقها اعتقادا ويزاولها عبادة، ثم يبقى معتنقوها على هذا النحو أفرادا ضمن الكيان العضوي للتجمع الحركي الجاهلي القائم فعلاً . فإن وجودهم على هذا النحو – مهما كثر عددهم – لا يمكن أن يؤدي إلى " وجود فعلي " للإسلام، لأن الأفراد المسلمين نظريا " الداخلين في التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي سيظلون مضطرين حتما للاستجابة لمطالب هذا المجتمع العضوية سيتحركون طوعا أو كرها ، بوعي أو بغير وعي لقضاء الحاجات الأساسية لحياة هذا المجتمع الضرورية لوجوده، وسيدافعون عن كيانه، وسيدفعون العوامل التي تهدد وجوده وكيانه لأن الكائن العضوي يقوم بهذه الوظائف بكل أعضائه سواء أرادوا أم لم يريدوا أي أن الأفراد " المسلمين نظريا " سيظلون يقومون " فعلاً " بتقوية المجتمع الجاهلي الذي يعملون " نظريا " لإزالته، وسيظلون خلايا حية في كيانه تمده بعناصر البقاء والامتداد وسيعطونه كفاياتهم وخبراتهم ونشاطهم ليحيا بها ويقوى وذلك بدلاً من أن تكون حركتهم في اتجاه تقويض هذا المجتمع الجاهلي لإقامة المجتمع الإسلامي . ومن ثم لم يكن بد أن تتمثل القاعدة النظرية للإسلام ( أي العقيدة ) في تجمع عضوي . حركي منذ اللحظة

الأولى . لم يكن بد أن ينشأ تجمع عضوي حركي آخر غير التجمع الجاهلي ، منفصل ومستقل عن التجمع العضوي الحركي الجاهلي الذي يستهدف الإسلام إلغاءه ، وأن يكون محور التجمع الجديد هو القيادة الجديدة المتمثلة في رسول الله – صلى الله عليه وسلم . ومن بعده في كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده وربوبيته وقوامته وحاكميته وسلطانه وشريعته . وأن يخلع كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولاءه من التجمع الحركي الجاهلي – أي التجمع الذي جاء منه – ومن قيادة ذلك التجمع – في أية صورة كانت ، سواء كانت في صورة قيادة دينية من الكهنة والسدنة والسحرة والعرافين ومن إليهم، أو في صورة قيادة سياسية واجتماعية واقتصادية كالتي كانت لقريش – وأن يحصر ولاءه في التجمع العضوي الحركي الإسلاميا الجديد ، وفي قيادته المسلمة . ولم يكن بد أن يتحقق هذا منذ اللحظة الأولى لدخول المسلم في الإسلام ، ولنطقه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لأن وجود المجتمع المسلم لا يتحقق إلا بهذا لا يتحقق بمجرد قيام القاعدة النظرية في قلوب أفراد مهما تبلغ كثرتهم ، لا يتمثلون في تجمع عضوي متناسق متعاون ، له وجود ذاتي مستقل ، يعمل أعضاؤه عملاً عضوياً – كأعضاء الكائن الحي على تأصيل وجوده وتعميقه وتوسيعه ، وفي الدفاع عن كيانه ضد العوامل التي تهاجم وجوده وكيانه ، ويعملون هذا تحت قيادة مستقلة عن قيادة المجتمع الجاهلي ، تنظم حركتهم وتنسقها ، وتوجههم لتأصيل وتعميق وتوسيع وجودهم الاسلامي ولمكافحة ومقاومة وإزالة الوجود الآخر الجاهلي . وهكذا وجد الإسلام . هكذا وجد متمثلاً في قاعدة نظرية مجملة – ولكنها شاملة – يقوم عليها في نفس اللحظة تجمع عضوي حركي ، مستقل منفصل عن المجتمع الجاهلي ومواجه لهذا المجتمع . ولم يوجد قط في صورة " نظرية " مجردة عن هذا الوجود الفعلي . وهكذا يمكن أن يوجد الإسلام مرة أخرى ، ولا سبيل لإعادة إنشائه في المجتمع الجاهلي في أي زمان وفي أي مكان بغير الفقه الضروري لطبيعة نشأته العضوية الحركية وبعد فإن الإسلام – وهو يبني الأمة المسلمة على هذه القاعدة وفق هذا المنهج ، ويقيم وجودها على أساس التجمع العضوي الحركي ، ويجعل آصرة هذا التجمع هي العقيدة – إنما كان يستهدف إبراز " إنسانية الإنسان " وتقويتها وتمكينها وإعلاءها على جميع الجوانب الأخرى في الكائن الإنساني وكان يمضي في هذا على منهجه المطرد في كل قواعده وتعليماته وشرائعه وأحكامه . إن الكائن

الإنساني يشترك مع الكائنات الحيوانية - بل الكائنات المادية - في صفات توهم أصحاب " الجهالة العلمية . مرة بأنه حيوان كسائر الحيوان ، ومرة بأنه مادة كسائر المواد ! ولكن الإنسان مع اشتراكه في هذه " الصفات " مع الحيوان ومع المادة له " خصائص " تميزه وتفرده ، وتجعل منه كائناً فريداً ، كما اضطر أصحاب " الجهالة العلمية ! " أخيراً أن يعترفوا والحقائق الواقعية تلوي أعناقهم ليّا فيضطرون لهذا الاعتراف في غير إخلاص ولا صراحة ولقد كان من النتائج الواقعية الباهرة للمنهج الإسلامي في هذه القضية ، ولإقامة التجمع الإسلامي على آصرة العقيدة وحدها ، دون أواصر الجنس والأرض واللون واللغة والمصالح الأرضية القريبة الحدود الإقليمية السخيفة ! ولإبراز " خصائص الإنسان " في هذا التجمع وتنميتها وإعلائها ، دون الصفات المشتركة بينه وبين الحيوان . كان من النتائج الواقعية الباهرة لهذا المنهج أن أصبح المجتمع المسلم مجتمعاً مفتوحاً لجميع الأجناس والأقوام والألوان واللغات ، بلا عائق من هذه العوائق الحيوانية السخيفة ! وإن صبّت في بوتقة المجتمع الإسلامي خصائص الأجناس البشرية وكفاياتها وانصهرت في هذه البوتقة وتمازجت وأنشأت مركباً عضوياً فائقاً في فترة تعد نسبياً قصيرة ، وصنعت هذه الكتلة العجيبة المتجانسة المتناسقة حضارة رائعة ضخمة تحوي خلاصة الطاقة البشرية في زمانها مجتمعة ، على بعد المسافات وبطء طرق الاتصال في ذلك الزمان لقد اجتمع في المجتمع الإسلامي المتفوق : العربي والفارسي والشامي والمصري والمغاربي والتركي والصيني والهندي والروماني والإغريقي والأندونيسي والأفريقي . إلى آخر الأقوام والأجناس وتجمعت خصائصهم كلها لتعمل متمازجة متعاونة متناسقة في بناء المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية . ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يوماً ما " عربية " إنما كانت دائماً إسلامية " ولم تكن يوماً " قومية " إنما كانت دائماً " عقيدية " ولقد اجتمعوا كلهم على قدم المساواة وبآصرة الحب ، وبشعور التطلع إلى وجهة واحدة . فبذلوا جميعهم أقصى كفاياتهم ، وأبرزوا أعمق خصائص أجناسهم ، وصبوا خلاصة تجاربهم الشخصية والقومية والتاريخية في بناء هذا المجتمع الواحد الذي ينتسبون إليه جميعاً على قدم المساواة ، وتجمع فيه بينهم آصرة تتعلق بربهم الواحد ، وتبرز فيها إنسانيتهم وحدها بلا عائق ، وهذا لم يجتمع قط لأي تجمع آخر على مدار التاريخ . لقد كان أشهر تجمع بشري في التاريخ القديم هو تجمع الإمبراطورية الرومانية مثلاً . فقد جمعت بالفعل أجناساً

متعددة ، ولغات متعددة ، وألواناً متعددة ، وأمزجة متعددة ولكن هذا كله لم يقم على " آصرة إنسانية " ولم يتمثل في قيمة عليا كالعقيدة ، لقد كان هناك تجمع طبقي على أساس طبقة الأشراف وطبقة العبيد في الإمبراطورية كلها من ناحية ، وتجمع عنصري على أساس سيادة الجنس الروماني بصفة عامة – وعبودية سائر الأجناس الأخرى من ناحية أخرى . ومن ثم لم يرتفع قط إلى أفق التجمع الإسلامي ولم يؤت الثمار التي آتاها التجمع الإسلامي . كذلك قامت في التاريخ الحديث تجمعات أخرى . تجمع الإمبراطورية البريطانية مثلاً . ولكنه كان كالتجمع الروماني الذي هو وريثه ! تجمعاً قوميا استغلاليا ، يقوم على أساس سيادة القومية الإنجليزية ، واستغلال المستعمرات التي تضمها الإمبراطورية ومثله الإمبراطوريات الأوربية كلها : الإمبراطورية الأسبانية والبرتغالية في وقت ما ، والإمبراطورية الفرنسية . كلها في ذلك المستوى الهابط البشع المقيت ! وأرادت الشيوعية أن تقيم تجمعاً من نوع آخر يتخطى حواجز الجنس والقوم والأرض واللغة واللون ، ولكنها لم تقمه على قاعدة " إنسانية " عامة ، إنما أقامته على القاعدة " الطبقية . فكان هذا التجمع هو الوجه الآخر للتجمع الروماني القديم هذا تجمع على قاعدة طبقة " الأشراف وذلك تجمع على قاعدة طبقة " الصعاليك " ( البروليتريا ) والعاطفة التي تسوده هي عاطفة الحقد الأسود على سائر الطبقات الأخرى ! وما كان لمثل هذا التجمع الصغير البغيض أن يثمر إلا أسوأ ما في الكائن الإنساني . فهو ابتداء قائم على أساس إبراز الصفات الحيوانية وحدها وتنميتها وتمكينها باعتبار أن " المطالب الأساسية " للإنسان هي " الطعام والمسكن والجنس " وهي مطالب الحيوان الأولية . وباعتبار أن تاريخ الإنسان هو تاريخ البحث عن الطعام . لقد تفرد الإسلام بمنهجه الرباني في إبراز أخص خصائص الإنسان وتنميتها وإعلائها في بناء المجتمع الإنساني . وما يزال متفرداً بذلك والذين يعدلون عنه إلى أي منهج آخر ، يقوم على أية قاعدة أخرى من القوم أو الجنس أو الأرض أو الطبقة إلى آخر هذا النتن السخيف هم أعداء الإنسان حقاً ! هم الذين لا يريدون لهذا الإنسان أن يتفرد في هذا الكون بخصائصه العليا كما فطره الله ولا يريدون لمجتمعه أن ينتفع بأقصى كفايات أجناسه وخصائصها وتجاربها في امتزاج وتناسق . وهم الذين يقول الله سبحانه في أمثالهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ، ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً ﴾ وصدق الله العظيم .

## عالمية الرسالة الإسلامية

الإسلام هو الرسالة الخاتمة لرسالات الله تعالى إلى البشرية كلها ،فليس بعد القرآن الكريم كتاب سماوى، وليس بعد سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) رسول لقوله تعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ ولقول النبى (صلى الله عليه وسلم): «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة،فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» . والإسلام هو دين الحق؛ لقوله تعالى: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وهو الدين الذى دعا إليه الأنبياء جميعًا؛ فقال تعالى على لسان «نوح» عليه السلام: ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ وقال على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾ وأوصى نبى الله «يعقوب» بنيه بقوله: ﴿ يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ وقال «موسى» لقومه: ﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ وكل واحد من هؤلاء الرسل الكرام كان مُرسلا إلى قومه فقط،فرسالاتهم كانت محدودة الزمان والمكان والبيئة البشرية بنص القرآن الكريم أما رسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فعامة لكل الجنس البشرى،قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرا ﴾ وقال تعالى: ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا ﴾ وليس معنى عالمية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان أن يفرض على الناس بالقوة إذ لا إكراه فى الدين، ولأن الأسلوب الذى أمر الله تعالى به فى الدعوة إلى دينه هو: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ والمعنى الحقيقى لعالمية الإسلام أنه رسالة مفتوحة للبشر كلهم،دون تمايز أو تفرقة، ودون قيود أو عوائق، فهو ليس ديانة مقصورة على فئة بعينها ، كما يدعى اليهود – مثلا – أن ديانتهم خاصة بهم وحدهم، اختصهم الله بها دون غيرهم من البشر، بل الناس جميعًا فى الإسلام سواء، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى، فهم من أب واحد وأم واحدة، وأكرمهم عند الله أتقاهم . وكان من بين الصحابة مسلمون من غير العرب، مثل «سلمان

الفارسى»، و«صهيب الرومى»، و«بلال الحبشى»، وكانت منزلتهم عند رسول الله تفوق منزلة كثير من الصحابة، كما كان الصحابة أنفسهم يعاملونهم أكرم معاملة، حتى إن «عمر بن الخطاب» يقول عن «بلال بن رباح الحبشى»: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا»، يقصد بلالا .

## كيف انحسر مفهوم الإسلام في نفوسنا إلى مجرد شكليات

قال أحد علماء العصر (كيف) انحسر الإسلام من مفهوم شامل للحياة البشرية في جميع اتجاهاتها بل مفهوم شامل في الحقيقة للكون والحياة والإنسان .لكي يصبح مجرد عبادات تؤدى على نحو من الأنحاء بل لا تؤدى أحياناً إلا بالنية بل لا تؤدى أحياناً على الإطلاق، لا بالنية ولا بغير النية ثم يظل يدور في أخلادنا مع ذلك أننا مسلمون صادقو الإسلام (إلا من رحم ربك) (كيف) انحسر من دستور شامل يحكم الحياة البشرية كلها وينظمها يحكم اقتصادياتها واجتماعياتها ومادياتها وروحانياتها وسياستها وأفكارها ومشاعرها وسلوكها العملي في واقع الحياة لكي يصبح مجرد مشاعر هائمة لا رصيد لها من الواقع .مشاعر تدور في نفس صاحبها -إن دارت- وهو يعيش في مجتمع لا يلتزم بمنهج الإسلام ولا يستنكر الحياة فيه ولا يحاول تغييره وتدور في نفسه إن دارت وهو ذاته لا يسلك سلوك المسلمين في حياته الخاصة ولا العامة فتقاليده غير إسلامية وأفكاره غير إسلامية وتصوراته غير إسلامية وسلوكه اليومي لا يمت بصلة إلى الإسلام سواء في علاقة الفرد بالفرد أو الفرد بالجماعة أو العكس (كيف) انحسر من حياة كاملة قائمة على مبادئ الإسلام وأفكاره ومثله وسلوكه الواقعي تشمل الدنيا والآخرة والأرض والسماء والحاكم والمحكوم والرجل والمرأة والأسرة والمجتمع لكي يصبح جزئيات مبعثرة لا رابط بينها ولا دلالة فيها كالرقعة الشائهة في نسيج غير متناسق الأجزاء (كيف) نبتت تلك الأفكار العجيبة التي تقسم الإسلام مشاعر من ناحية وسلوكا عمليا من ناحية أخرى ثم تفصل بين هذه وتلك وتتصور أن المشاعر وحدها يمكن أن تكون إسلاما بمعزل عن السلوك (كيف) دار في أخلاد المسلمين أنهم يستطيعون أن يستوردوا اقتصادياتهم من أي نظام على وجه الأرض غير إسلامي ويستوردوا أصول مجتمعهم وقواعده من أية فكرة على وجه الأرض غير إسلامية ويستوردوا تقاليدهم من أي مجتمع على وجه الأرض غير مسلم ثم يظلوا مع ذلك على ادعائهم (كيف) أمكن أن يتصور المسلم أنه يستطيع أن يخالف تعاليم ربه في كل شيء ويخون أماناته

كلها فيغش ويكذب ويخون ويخدع ويتجاوز المتاع المباح إلى المتعة المحرمة ويقبل الذل والمهانة حرصاً على هذا المتاع ويخلي نفسه من تبعة إقامة المجتمع المسلم سواء بسلوكه الذاتي أو بالدعوة إلى ذلك المجتمع ويشارك بذلك كله في إقامة مجتمع غير مسلم قائم على الظلم والانحراف والمعصية ثم يتصور بعد ذلك أن بضع ركعات في النهار مخلصة أو غير مخلصة يمكن أن تسقط عنه تبعاته أمام الله وتسلكه في عداد المسلمين (كيف ) أمكن أن تتصور المسلمة أنها تستطيع أن تخالف تعاليم ربها وتخون أماناته فتغش وتكذب وتحقد وتغتاب وتخرج عارية تعرض فتنتها في الطريق لكل عين نهمة وجسد شهوان وتخلي نفسها من تبعة إقامة المجتمع المسلم سواء بالسلوك المستقيم في ذات نفسها أو بتربية أبنائها عليه أو بالدعوة إلى ذلك المجتمع وتشارك بذلك كله في إقامة مجتمع غير مسلم قائم على الظلم والانحراف والمعصية ثم يدور في خلدها بعد ذلك أن النية الطيبة في داخل قلبها يمكن أن تسقط عنها تبعاتها أمام الله وتسلكها في عداد المسلمات من أين أتت تلك الأفكار الغريبة التي تقول ما للدين ونظام المجتمع ما للدين والاقتصاد ما للدين وعلاقات الفرد بالمجتمع وبالدولة ما للدين والسلوك العملي في واقع الحياة ماللدين والتقاليد ماللدين والملبس وخاصة ملابس المرأة ماللدين والفن ما للدين والصحافة والإذاعة والسينما والتلفزيون وباختصار ما للدين والحياة ما للدين والواقع الذي يعيشه البشر على الأرض لا شك أن هناك أسبابا كثيرة لهذا الانحسار الذي يعانيه الإسلام في نفوس المسلمين فلم يكن كذلك المجتمع المسلم حين كان يمارس حقيقة الإسلام بل لم يكن كذلك المجتمع المسلم إلى عهد قريب مع كل ما أصابه من فساد خلال القرون إلى ما قبل الحملة الفرنسية على وجه التحديد لقد بدأت الفرقة بين مثل الدين والسلوك الواقعي مبكرة في تاريخ الإسلام من عهد الأمويين مثلا ولكنها كانت فرقة لا تخل بقواعد المجتمع المسلم في مجموعه كانت الحكومة في العاصمة هي التي تفسد فساداً جزئيا في سياسة الحكم والمال ولكن المجتمع في غير العاصمة ظل إلى حد كبير يمارس أصول الإسلام وقواعده وتحكم حياته المفاهيم الإسلامية في الكليات والجزئيات والأهم من ذلك كله أن نظام المجتمع كان يقوم على الإسلام ابتداء ويستمد قوانينه كلها من شريعة الإسلام ولا يستمدها من أي مصدر سواه ثم اتسعت هذه الفرقة حين حكم الأتراك ومع ذلك فقد ظل كثير من أمور المجتمع ومفاهيمه إسلامية خالصة وكذلك سلوكه العملي وأخلاقه ومعاملاته وتصوراته وأفكاره حتى كان الغزو الصليبي الأخير في القرنين الثامن

عشر والتاسع عشر وامتداده في القرن العشرين وعند ذلك حدث اختلاف كبير في المجتمع المسلم واختلال كبير

(قلت) وبعد هذه التساؤلات علينا أن نتبع الخط الذي أدى إلى انحسار المفهوم الإسلامي الضخم الشامل لكي يصبح جزئيات مبعثرة لا رابط لها ولا دلالة فيها ولكي يصبح مجرد عبادات مخلصة أو غير مخلصة يحسب أصحابها أنها الإسلام كله وأنهم ملاقو ربهم بها وقد رضي عنهم ورضوا عنه حتى وهو يقول لهم في كتابه العزيز إن ذلك ليس هو الإسلام كما أراده الله فإذا عرفنا (كيف) نبع هذا الانحراف و(كيف) امتد إلينا صحونا إلى ما يدور حولنا من كيد وأبنا إلى الله وإلى أنفسنا . ونعود حيئذ مسلمين والله الموفق إلى ما يريد

(وللبشارة) إن أمتنا الإسلامية اليوم ونحن في الجزائر منها قد عادت رويدا رويدا إلى دين ربها وإلى سالف مجدها وما المدارس والجامعات والمعاهد والمساجد والزوايا وما تقنين الدساتير وما ورد فيها من مواد : الإسلام دين الدولة وما تقنين قوانين الأسرة وما المسابقات القرآنية والفكرة والملتقيات والندوات والمجامع الفقهية والمؤتمرات التي تقام هنا وهناك إلا ظاهرة إنابة تدل بقوة على حسن التوجه لأنظمتنا الرشيدة التي تدفع بالمجتمع إلى الرقي والحضارة

(أقول) وليحذر المجتمع من مظاهر الشطط والانحراف والتهور الخالي من كل دليل فإن في ذلك ابتلاءا عظيما وخطرا جسيما عانت منه مجتمعاتنا أمدا طويلا ولازالت تعاني لولا فسحة الوئام والمصالحة والسلام المرغوبة التي سؤتي أكلها بعد حين إذا وَفقت قدرة الغني الوهاب .

أسباب اختلاف الامة بعده عليه السلام

نظرا لأهمية ما جرى من اختلاف بين الأمة بعد أن تركها رسولها الكريم على المحجة البيضاء يجدر بنا قبل ذكر آل البيت موضوع كتابنا هذا أن نذكر أسباب ذلك الاختلاف لما لها من أهمية بالموضوع ولنحذرَ منها وعليه فأقول جاء في الموسوعة العربية قولهم : ترك رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين على كلمة جامعة ووحدة محكمة فلم تمض غير سنين معدودة حتى نشأت روح الخلاف تدب في المسلمين لا من الوجهة السياسية فإن الخلاف فيها يفيد ما لم يكن زمن حرب أو ضعف، بل حدث الخلاف من الوجهة الدينية في أصول العقائد وفي فروع المسائل واستحال الخلاف إلى شهوة

عقلية فافترق الناس إلى فرق كثيرة متنوعة وقد أجاد كتابة هذا الموجز العلامة البغدادي المتوفى سنة (429) هـ في كتابه (الفرق بين الفرق) حيث قال رحمه الله : «كان المسلمون عند وفاة رسول الله عليه السلام على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا . وأول خلاف وقع منهم اختلافهم في موت النبي صلى الله عليه وسلم فزعم قوم منهم أنه لم يمت وإنما أراد الله تعالى رفعه إليه كما رفع عيسى ابن مريم إليه وزال هذا الخلاف وأقر الجميع بموته حين تلا عليهم أبو بكر الصديق قول الله لرسوله عليه السلام ( إنك ميت وإنهم ميتون ) وقال لهم من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت . ثم اختلفوا بعد ذلك في موضع دفن النبي عليه السلام فأراد أهل مكة رده إلى مكة لأنها مولده ومبعثه وقبلته وموضع نسله وبها قبر جده إسماعيل عليه السلام وأراد أهل المدينة دفنه بها لأنها دار هجرته ودار أنصاره . وقال آخرون بنقله إلى أرض القدس ودفنه ببيت المقدس عند قبر جده إبراهيم الخليل عليه السلام وزال هذا الخلاف بأن روى لهم أبو بكر الصديق عن النبي ( إن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون ) فدفنوه في حجرته بالمدينة . ثم اختلفوا بعد ذلك في الإمامة وأذعنت الأنصار إلى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجي . وقالت قريش إن الإمامة لا تكون إلا في قريش ثم أذعنت الأنصار لقريش لما روى لهم قول النبي عليه السلام : الأئمة من قريش وهذا الخلاف باق إلى اليوم لأن ضرارا أو الخوارج قالوا بجواز الإمامة في غير قريش . ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن فدك وفي توريث التركات عن الأنبياء عليهم السلام . ثم نفذ في ذلك قضاء أبي بكر بروايته عن النبي عليه السلام (إن الأنبياء لا يورثون) ثم اختلفوا بعد ذلك في مانعي الزكاة ثم اتفقوا على رأي أبي بكر في وجوب قتالهم ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال ( المرتد طليحة ) حين تنبأ وارتد حتى انهزم إلى الشام ثم رجع في أيام عمر إلى الإسلام وشهد مع سعد بن أبي وقاص حرب القادسية وشهد بعد ذلك حرب نهاوند وقتل بها شهيدا . اشتغلوا بعد ذلك بقتال مسيلمة الكذاب إلى أن كفى الله تعالى أمره وأمر ( المتنبئة سجاح ) وأمر ( الأسود بن زيد العنسي ) ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال سائر المرتدين إلى أن كفى الله تعالى أمرهم ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال الروم والعجم وفتح الله تعالى لهم الفتوح وهم في أثناء ذلك كله على كلمة واحدة في أبواب العدل والتوحيد والوعد والوعيد وفي سائر أصول الدين وإنما كانوا يختلفون في فروع الفقه كميراث الجد مع الإخوة والأخوات مع الأب والأم أو مع الأب

وكمسائل العدل والكلالة والرد وتعصيب الأخوات من الأب والأم أو من الأب مع البنت أو بنت الابن وكاختلافهم في مسألة الحرام ونحوها مما لم يورث اختلافهم فيه تضليلا وتفسيقا . وكانوا على هذه الحالة في أيام أبي بكر وعمر وست سنين من خلافة عثمان . ثم اختلفوا بعد ذلك في أمر عثمان لأشياء نقموها منه حتى أقدم لأجلها ظالموه على قتله ثم اختلفوا بعد قتله في قاتليه وخاذليه اختلافا باقيا إلى يومنا هذا ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن علي وأصحاب الجمل وفي شأن معاوية وأهل صفين وفي حكم الحكمين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص اختلافا باقيا إلى اليوم ثم حدث في زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد اللّه بن عمر وجابر بن عبد اللّه وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبد اللّه بن أبي أوفى وعقبة بن عامر الجهني وأقرانهم وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية ولا يصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم ثم اختلفت الخوارج بعد ذلك فيما بينها فصارت مقدار عشرين فرقة كل واحدة تكفر سائرها ثم حدث في أيام الحسن البصري خلاف واصل بن عطاء الغزال في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين وانضم إليه عمرو بن عبيد بن باب في بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه فاعتزلا عند سارية من سواري مسجد البصرة فقيل لهما ولأتباعهما معتزلة لاعتزالهم قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر . وأما الروافض فإن السبابية منهم أظهروا بدعتهم في زمان علي رضي اللّه عنه فقال بعضهم لعلي أنت اللّه فأحرق علي قوما منهم ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن . وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام لتسميتهم عليا إلها . ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي رضي اللّه عنه أربعة أصناف زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة وافترقت الزيدية فرقا والإمامية فرقا والغلاة فرقا كل فرقة منها تختلف عن (غيرها) فأما فرق الزيدية وفرق الإمامية فمعدودون في فرق الأمة . وافترقت البخارية بناحية الري بعد الزعفراني فرقا (ينكر بعضها بعضا) وظهر خلاف البكرية من بكر بن أخت عبد الواحد بن زياد وخلاف الضرارية من ضرار بن عمرو وخلاف الجهمية من جهم بن صفوان وكان ظهر جهم وبكر وضرار في أيام ظهور واصل بن عطاء في ضلالته وظهرت دعوة الباطنية في أيام المأمون من حمران قرمط ومن عبد اللّه بن ميمون القداح . وليست الباطنية من فرق ملة الإسلام بل هي من فرق المجوس

على (ما بُين) . وظهر في أيام محمد بن طاهر بن عبد اللّه بن طاهر بخراسان خلاف الكرامية المجسمة . فأما الزيدية من الرافضة فمعظمها ثلاث فرق وهي الجارودية والسليمانية . وقد يقال الحريرية أيضا والبترية وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه وكان ذلك في زمان هشام بن عبد الملك والكيسانية منهم فرق كثيرة ترجع عن المتحصل إلى فرقتين إحداهما تزعم أن محمد بن الحنفية حي لم يمت وهم على انتظاره ويزعمون أنه المهدي المنتظر . والفرقة الثانية منهم مقرون بإمامته في وقته وبموته وينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره ويختلفون بعد ذلك في المنقول إليه . راجع المطولات ولو أن الومضوع لم تعد له اليوم أي جدوى .

الفرق بين الخلاف والإختلاف

هنا يتبادر إلى الذهن ذكر الفرق بين الخلاف والإختلاف . حيث أن الخلاف قد تدعوا إليه الطائفية والتعصب للرأي ومخالفة الند ولو بالباطل . أما الإختلاف فأغلب ما يكون منشؤه الإجتهاد ومن هذا القبيل كانت مذاهب الأئمة المجتهدين وغيرهم ممن يبحثون عن الحقيقة .

الإختلاف الفقهي

بما أني ذكرت سابقا الإختلاف السياسي والفكري فإني أذكر هنا الإختلاف الفقهي وما نشأ عنه من مذاهب فقهية اجتهادية وذلك لإزالة اللبس المتوقع حول المذاهب وعليه فالمذاهب جمع مذهب وهو لغة من قولهم ذهب مذهب فلان أي قصد قصده وطريقته ، وذهب فى الدين مذهبا : أى رأى فيه رأيا . واصطلاحا : لا يخرج المعنى الاصطلاحى عن ذلك المعنى اللغوى . وحكم الاجتهاد فى الإسلام مشروع ، فقد اجتهد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما لم يجدوا فيه نصا ، وكذلك اجتهد التابعون ومن بعدهم فى الحوادث التى عرضت لهم مما لم يجدوا فيه نصا من الكتاب أو السنة فنشأ عن هذا الاجتهاد اختلاف فى الرأى، ثم زاد هذا الاختلاف بعد الفتنة التى أدت إلى مقتل سيدنا عثمان ثم الإمام على رضى الله عنهما ، فكان أن انقسم المسلمون إلى طوائف ثلاثة: شيعة، وخوارج . وأهل السنة . وكان السبب الرئيسى لاختلافهم هو الخلافة والأحق بها ، وما صاحبها من التحكيم فى النزاع بين الإمام على ومعاوية فكان لكل طائفة رأى يخالف رأى غيرها وحاولت كل فرقة أن تعمل لنصرة مبادئها ، فتولد عن ذلك اختلاف آخر فى بعض الأحكام العملية مما

أدى إلى وجود فقه للخوارج وآخر للشيعة، وثالث لأهل السنة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى وجود اختلاف بين كل طائفة، فتعددت المذاهب الفقهية. والمذاهب الفقهية كثيرة ومتعددة منها ما اشتهر وكتب له البقاء ومنها ما لم تدون فيه مراجع خاصة به كمذهب الإمام الليث ابن سعد والإمام ابن جرير الطبرى، والإمام الأوزاعى وغيرهم، أما المذاهب المشهورة والتى لها ذيوع وانتشار فهى ثمانية مذاهب وهى: المذهب الإمامى والمذهب الزيدى وهما لطائفة الشيعة والمذهب الإباضى وهو لطائفة الخوارج، والمذهب الظاهرى و والمذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي وهى لأهل السنة والجماعة. فأما المذهب الشيعى الإمامى فهو لبعض الشيعة، وهم الذين يعتقدون أن الرسول أوصى بالخلافة لعلى بالذات ثم من بعده لولده، وأن الأئمة معصومون من الخطأ الى آخره، فهم يختلفون مع أهل السنة فى كثير من الفروع والأحكام، فضلا عن إنكارهم القياس وينتشر هذا المذهب فى إيران والعراق والهند وأما المذهب الشيعى الزيدى فهو لطائفة ينتسبون إلى زيد بن على زين العابدين بن الحسين ومن مبادئهم أن الإمامة لا تكون بالنص عليها كما يقول الإمامية وإنما تكون لكل فاطمى عالم زاهد شجاع فى الحق والزيدية أعدل فرق الشيعة فى تعاليمها ومع ذلك فقد خالفوا فقه أهل السنة فى كثير من الفروع والأحكام ولهم كتب كثيرة منها المجموع المنسوب للإمام زيد وشرحه الروض النضير وأتباع هذا المذهب موجودون الآن فى بلاد اليمن وقد تشعب هذا المذهب إلى شعب منها: القاسمية والناصرية والهادويه وأما المذهب الإباضى فهو مذهب طائفة معتدلة من الخوارج وهو منسوب إلى عبد الله بن إباضى الذى توفى سنة 80هـ وهم يرون أن الخلافة تكون بالاختيار الحر من المسلمين وهذا المذهب يتفق فى كثير من الفروع مع أهل السنة وإن خالفوهم فى بعض الأحكام ومن أهم كتب هذا المذهب كتاب شرح النيل وشفاء العليل للشيخ محمد بن يوسف بن أطفيش الجزائري وينتشر هذا المذهب فى بعض بلاد المغرب العربى وكذلك سلطنة عمان وأما المذهب الظاهرى فمؤسسه أبو سليمان داود بن على الأصفهانى وهذا المذهب يعتمد على ظواهر النصوص من القرآن والسنة ويترك كل أنواع الرأى والقياس ومن علماء هذا المذهب أبو على محمد بن حزم الذى له كتاب "المحلى" فى الفقه، وكتاب "الإحكام فى أصول الأحكام" فى أصول الفقه. وأما المذهب الحنفى فهو من مذاهب أهل السنة

أسسه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة 150هـ ويعتمد هذا المذهب على الكتاب والسنة والإجماع وقول الصحابى فيما ليس للاجتهاد فيه مجال ثم القياس والاستحسان وهذا المذهب له كتب كثيرة مشهورة ومعروفة، وينتشر هذا المذهب فى العراق وسوريا وباكستان وأفغانستان وتركيا ومصر وأما المذهب المالكى فمؤسسه إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحى المتوفى سنة 179هـ ويعتمد هذا المذهب أيضا على الكتاب والسنة والإجماع والقياس وعمل أهل المدينة والعمل بالمصالح المرسلة وهذا المذهب أيضا له كتب كثيرة ومشهورة منها الموطأ والمدونة والذخيرة وشراح خليل والرسالة وينتشر فى صعيد مصر والسودان والكويت وقطر والبحرين وبلاد المغرب العربى كلها . وأما المذهب الشافعى فمؤسسه الإمام محمد بن إدريس الشافعى المتوفى سنة 204هـ ويعتمد هذا المذهب على الكتاب والسنة والإجماع قول الصحابى و القياس وللإمام الشافعى كتاب فى الفقه وهو "الأم" وكتاب آخر فى الأصول وهو "الرسالة" ويعد به الشافعى أول من دون فى علم الأصول وينتشر بالوجه البحرى بمصر وفلسطين وحضرموت وأندونيسيا وأما المذهب الحنبلى فمؤسسه الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى المتوفى سنة 241هـ ويعتمد هذا المذهب على الكتاب والسنة وفتاوى الصحابة المتفق منها والمختلف فالحديث المرسل فالقياس ولهذا المذهب كتب كثيرة مشهورة منها مسند الإمام أحمد وينتشر هذا المذهب فى السعودية .

## الإصلاح

بما أن في المنطقة الجفاوية وخصوصا منها المنطقة السعداوية يتواجد من اشربت انفسهم بفكرة الاصلاح واستقوا من جمعياتها وهيئاتها الاصلاحية والتي كانت اصولها الرياديه من عهد جمعية العلماء ومن قبلهم من الدعاة . تحاول ترشيد ماارتأته في ضرورة الى التعديل والترشيد والتقويم بل وتدعوالى التفتح على الفضاءات الواسعة لاقتباس واخذ ما فيها من محاسن معارفية وحضاريه وهذا في ميدان الفكر السليم والحضارة القويمة امر ضروري يدعوا اليه الاساس الشرعي لاصلاح الكيان البشري شريطة ان لايضر بكيان الهرم الكبير المبني على القيم والاصالة والوطنية ولعبت في ذلك المدرسة العصرية دورا كبيرا لما لمناهجها من اسس وعناصر زيادة على ما تنميه الشاشات ووسائل المعلومات الكثيرة التى لاتحصى عداً وعليه فلا بد من إدراج كلمة حول الإصلاح ولذا

فالإصلاح لغة هو ضد الإفساد وهو من الصلاح المقابل للفساد وللسيئة وفى القرآن الكريم ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخرسيئا ﴾ ﴿ ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ﴾ فالإصلاح هو التغيير إلى الأفضل فالحركات الإصلاحية هى الدعوات التى تحرك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد فى الميادين الاجتماعية المختلفة ، انتقالا بالحياة إلى درجة أرقى فى سلم التطور الإنسانى . والإصلاح اصطلاحا : لا يفرق بينه وبين مصطلح الثورة فى مستوى التغيير وشموله ، وإنما من حيث الأسلوب فى التغيير وزمن التغيير فكلاهما إسلاميا – يعنى التغيير الشامل والعميق ، لكن الثورة تسلك سبل العنف غالبا والسرعة فى التغيير ، بينما تتم التغييرات الإصلاحية بالتدريج وكثيرا ما تعطى الثورة الأولية لتغيير الواقع ، بينما تبدأ مناهج الإصلاح عادة بتغيير الإنسان: وإعادة صياغة نفسه وفق الدعوة الإصلاحية ، وبعد ذلك ينهض هذا الإنسان بتغيير الواقع وإقامة النموذج الإصلاحى الجديد . ولذلك وصفت رسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام بأنها دعوات إصلاح فيقول رسول الله شعيب عليه السلام: ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ﴾ والناظر فى تاريخ المجتمعات الإنسانية يرى سلسلة من التدافع بين دعوات الإصلاح وحركاته وبين الفساد والإفساد فى تلك المجتمعات ، وعلى سبيل المثال ، نجد الحركة الإصلاحية التى قادها جمال الدين الأفغانى منذ النصف الثانى للقرن التاسع عشر ، بدءا من مصر وشمولا لكل العالم الإسلامى تمثل إحياء وتجديدا للفكر الإسلامى بالعودة إلى منابعه الجوهرية "القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة" ومناهج السلف الصالح . وقد عبر الإمام محمد عبده عن أهداف هذ الحركة فقال: (إنها ثلاثة) :الأول: تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لتتم حكمة الله فى حفظ نظام العالم الإسلامى . الثانى: هو إصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير . الثالث: هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة وهكذا مثلت هذه الحركة الإصلاحية منهاجًا وسطًا بين أهل الجمود والتقليد وبين المتغربين المنبهرين بالنموذج الحضارى الغربى ، وكانت دعوتها الإصلاحية شاملة لميادين الفكر الدينى ، واللغة العربية وعلومها وآدابها ، وعلاقات الحاكمين بالمحكومين . ولقد تحولت فكرية هذه الدعوة الإصلاحية إلى

روح سارية فى الكثير من الدعوات والحركات والمشاريع الفكرية للعديد من العلماء والمفكرين على امتداد العقود التى تلت ، وعلى امتداد أقاليم عالم الاسلام . راجع التفاصيل والتواريخ في مضانها .

الصحوة

قد يتبادل للذهن أن هناك ترابطا بين الإصلاح والصحوة وعليه فسأدرج هنا كلمة حول موضوع الصحوة . الصحوة لغة من الصحو وهو ذهاب الغيم وارتفاع النهار، وذهاب السكر، وترك الباطل . (كما فى اللسان) . واصطلاحا هي اليقظة تصيب الفرد أو الأمة بعد سنة وغفلة وتخلف وتراجع . ويشيع إطلاقها فى واقعنا المعاصر على نزوع أمتنا إلى النهضة الإسلامية بعد عصر التراجع الحضارى الذى امتد تحت حكم العسكر المماليك والسلطنة العثمانية وهى صحوة تجاهد على صعيدين ، وفى جبهتين :

1- صعيد وجبهة التخلف الذاتى الموروث عن حقبة التراجع الحضارى .

2-وصعيد وجبهة التحديات الغربية، التى تريد تهميش دور الأمة الإسلامية وإلحاقها بالتبعية للغرب ، ليتأبد استغلال الغرب وهيمنته على عالم الإسلام .

3-ووصف هذه الصحوة بالإسلامية، إنما يأتى تمييزا لها عن مشاريع النهوض التى اختار أصحابها المذاهب والفلسفات الغربية مرجعية لدعوات النهوض ، ونماذج التحديث التى يبشرون بها ليبرالية أو اشتراكية أو قومية . فالصحوة الإسلامية : هى ذلك التيار العريض المتعدد الفصائل والمستويات الذى يسعى إلى تجديد الدين الإسلامى لتتجدد به دنيا المسلمين . ولما كانت سنة الله سبحانه وتعالى فى مسارات الأمم والحضارات ، هى سنة الدورات التى تتداول فيها الأمم والحضارات فترات وحقب التقدم والتراجع ، والصعود والهبوط ، والنهوض والركود ، والحياة والموت ، وهى السنة التى أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ وقوله ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ وقوله ﴿ ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ والتى بينها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى قال فيه (لا يلبث الجور بعدى إلا قليلا حتى يطلع ، فكلما طلع من الجور شىء ذهب من العدل مثله ،حتى يولد فى الجور من لم يعرف غيره ، ثم يأتى الله تبارك وتعالى بالعدل فكلما

جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله ، حتى يولد فى العدل من لا يعرف غيره) (رواه أحمد ) فإذا كانت سنة الدورات هى التى تحكم مسارات الأمم والحضارات ، فإن هذه السنة تقتضى الصحوة، واليقظة، والتجديد ، خروجا من مراحل ودورات الغفلة، والتراجع ،والجمود، فصحوة التجديد هى الأخرى سنة من سنن الله فى الاجتماع الإنسانى وفى مسارات الحضارات ، وعن هذه الحقيقة ينبىء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى قال فيه (يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ) (رواه أبو داود ) . وإذا كانت الحضارات الإنسانية هى مواضعات بشرية وإبداعات مدنية، لا توصف بالخلود ولا بالإطلاق ، ومن ثم يجوز عليها الموت وإخلاء الطريق لحضارات أخرى وارثة لأممها وشعوبها وتاريخها ، بمعنى أن سنة الصحوة والتجديد قد تأتى فى صورة تداول الحضارات لا بعثها وتجددها ، فإن الحضارة الإسلامية –وأيضا اللغة العربية– مع أنهما مواضعات بشرية وإبداعات إنسانية، هما استثناء من مصير موت وفناء الحضارات واللغات ، وذلك لارتباطهما بالمطلق الدينى، وهو الإسلام الخالد والخاتم والقرآن الكريم الذى تعهد الله بحفظه بلسان عربى مبين . ولذلك ، كانت الصحوة وكان التجديد سنة مطردة وقانونا لازما فى مسار الحضارة الإسلامية، يقودها إلى النهوض بعد كل ركود ، وهذا هو الذى جعل حضارتنا الإسلامية ومعها اللغة العربية أطول الحضارات المعاصرة عمرا ، وأرسخها قدما على درب النهوض من العثرات ، وأكثرها استعصاء على فقدان الهوية والخصوصية، لارتباط ذلك فيها بالمطلق الدينى والخالد الإلهى، فهى إبداع مدنى بشرى، حفز إليه وصبغه وحدد معاييره الوضع الإلهى المتمثل فى وحى الله ونبأ السماء العظيم وتلك خصوصية لحضارتنا الإسلامية تفردت بها دون كل الحضارات . وإذا كانت الحقبة المملوكية العثمانية، قد مثلت مرحلة التراجع فى مسيرة حضارتنا الإسلامية، فإن بواكير الصحوة الإسلامية قد بدأت فى بلادنا منذ أكثر من قرنين من الزمان ، وفى استطاعة المؤرخ لهذه الصحوة أن يتخذ من نداء الشيخ حسن العطار (1180–1250هـ/1711–1835م) أواخر القرن الثامن عشر الميلادى علامة على مرحلة التبلور لبواكير هذه الصحوة، ذلك النداء الذى قال فيه هذا الشيخ الرائد : إن بلادنا لابد أن تتغير ويتجدد بها من العلوم والمعارف ما ليس فيها . ولقد كان تلاميذ الشيخ حسن العطار وفى طليعتهم الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى (1216–1290هـ/1801–

1873م) الذين سعوا إلى تجديد "الذات الإسلامية" بالاحياء، وإلى الاستفادة من علوم المدنية الغربية –علوم الواقع والتمدن المدنى– بالتفاعل، وليس بالمحاكاة والتقليد هم طلائع وجذور الصحوة الإسلامية الحديثة والمعاصرة. فلما حدث وعاجل المد الاستعمارى الغربى مشروع النهضة الذى قاده محمد على باشا الكبير (1184–1265هـ/1770–1846م). والذى جسد إلى حد كبير فكر هذه الصحوة تسلم ريادة هذه الصحوة تيار الجامعة الإسلامية، الذى تبلور شعبيا عبر العالم الإسلامى حول جمال الدين الأفغانى (1254–1265هـ/1770–1849م) والذى كان الإمام محمد عبده المهندس الأول لمشروعه الفكرى النهوضى، والذى حملته إلى العالم الإسلامى على امتداد أربعين عاما مجلة (المنار) التى رأس تحريرها الإمام محمد رشيد رضا (1282–1354هـ/1865–1935م)، ثم أسلم أمانة هذه الصحوة إلى الحركات والتنظيمات الإسلامية الحديثة سواء منها تنظيمات الصفوة أو التنظيمات الجماهيرية تلك التى نشأت عقب عموم بلوى الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى إبان الحرب الاستعمارية العالمية الأولى (1332–1336هـ/1914–1918م) وبعد إسقاط الخلافة الإسلامية (1342هـ)، ولأن هذه الصحوة كانت تواجه جناحى المأزق الحضارى: التخلف الموروث والزحف الاستعمارى الغربى، ولأنها قد سعت إلى الإحياء والتجديد الدينى، لبلورة معالم المشروع النهضوى العصرى، فى مواجهة الجمود والتقليد اللذين أوجدا "الفراغ الفكرى" فى بلادنا، وهو الفراغ الذى سعى الاستعمار الغربى إلى ملئه بنموذجه الحضارى الوضعى العلمانى، فلقد كان تركيز. هذه الصحوة على تجديد دين الإسلام لتتجدد به وليس بالنموذج الغربى دنيا المسلمين. وهذه الحقيقة هى التى جعلت رفاعة الطهطاوى يدعو إلى إحياء الشريعة الإسلامية بالاجتهاد الجديد وإلى تقنين فقه معاملاتها، ليحكم بدلا من القانون الوضعى الفرنسى حركة الاجتماع والاقتصاد والسياسة فى بلادنا لأن بحر هذه الشريعة الغراء، على تفرع مشارعه، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها بالسقى والرى، ولقد انطلق الأفغانى من ذات الموقف إسلامية الصحوة فرفض أن نبدأ صحوتنا من حيث انتهى المشروع الغربى العلمانى، قائلا: "إنه لا ملجئ للشرقى فى بدايته أن يقف موقف الغربى فى نهايته" فالتمدن الغربى هو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشأ فيها على نظام الطبيعة

وسير الاجتماع الإنساني، والإسلام هو السبب المفرد لسعادة الإنسان، ومن طلب إصلاح الأمة بوسيلة سوى هذه ،فقد ركب بها شططا ،ولا يزيدها إلا نحسا ،ولا يكسبها إلا تعسا . وعلى هذا الدرب في إسلامية الصحوة سار الإمام محمد عبده، الذي قال: "إن الإسلام دين وشرع، وهو لم يدع ما لقيصر لقيصر وإنما كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله، ويأخذ على يديه في عمله" فهو كمال للشخص . ولم تتكف هذه الصحوة عند حدود الفكر والدعوة وإنما سلكت سبيل التنظيم لإبلاغ الرسالة، واستمرارية الدعوة، فعرفت مسيرتها تنظيمات: عديدة.

(قال المؤلف) وليس صحيحا ما يظنه البعض من أن الصحوة الإسلامية قد تمثلت فقط في الحركات والتنظيمات الإسلامية، فأوسع وأعرض فصائل الصحوة الإسلامية هو التيار الشعبي المستمسك بالهوية الإسلامية، وفي مقدمة مؤسسات الصحوة الإسلامية الأزهر الشريف، الذي ظل يرعى علوم الشريعة والعربية ويحرس الوجدان الإسلامي للأمة عبر تاريخها الطويل . فلقد سعى على هذا الطريق العديد من أعلام الفقه والقانون، وكان الدكتور عبد الرازق السنهوري باشا (1313-1391هـ/1895-1971م) واحدا منهم، جعل هذه المهمة مشروع حياته، تأليفا وتطبيقا، مؤكدا أن دول الشرق لا يمكن أن تجتمع على شيء واحد غير الإسلام، فالإسلام بالشرق والشرق بالإسلام . وإذا كانت العقود الأخيرة قد شهدت تعاظم الصحوات الدينية، في مختلف الديانات، بعد أن فشلت مشاريع النهوض والتحديث اللادينية، فإن تعاظم الصحوة الإسلامية يستند إلى خصيصة إسلامية، ينفرد بها الإسلام عن غيره من الديانات ،هي منهاجه الشامل الذي يجعله بديلا حضاريا، وليس مجرد عقائد وعبادات . وهكذا ارتبطت الصحوة الإسلامية بحلم الأمة في النهوض والانعتاق من أسر التخلف الموروث، ومن الهيمنة الاستعمارية والحضارية الغربية، منذ فجر هذه الصحوة وحتى الآن.

(قلت) وهنا أقول إنه لابد من أن تكون قيادة الصحوات على يد علماء البلد العارفين بمجرياته كما هو حال جمعية العلماء الجزائريين الذين لم يتطرفوا ولم ينتهكوا للأمة حرمة وبقوا فقط في التنوير والتوعية.

(قلت) ومن رجال الصحوة البارزين عندنا في الجزائر الإمام عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي ومحمد العيد آل خليفة والشيخ الطيب العقبي والشيخ مبارك الميلي والشيخ العربي التبسي وغيرهم ممن ضمتهم جمعية العلماء من علماء وأساتذة الجزائر المبرزين وكان من بينهم في ناحيتنا الجلفاوية :الشيخ عبد القادر بن إبراهيم الطعبي السعداوي والشيخ الأخضر الأبقع بن الغويني الأبلولي السعداوي والشيخ محمد بن عبد الرحمن الرايس المسعدي والشيخ محمد بن الأخضر حساني والشيخ محمد بوعبدلي وغيرهم كثير .

## ضوابط الصحوة

في العصر الحاضر[45] جرى اصطلاح ذكر الصحوة . وكما هو معلوم هذه الصحوة إذا لم تضبطها ضوابط أهلكت الحرث والنسلة ولذا نجد الشيخ القرضاوي يذكر هذه الصحوة ويقول في مقدمتها فلا يزعجني أن يكون للصحوة الإسلامية المعاصرة أعداء من خارجها يتربصون بها ، ويكيدون لها ، فهذا أمر منطقي اقتضته سنة التدافع بين الحق والباطل، والصراع بين الخير والشر، والتي أقام الله عليها هذا الكون الذي نعيش فيه : {كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين} . وقد قال تعالى في شأن أعداء الملة والأمة : {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} . إنما الذي يزعجني ويؤرقني ويذيب قلبي حسرات أن تعادي الصحوة نفسها وأن يكون عدوها من داخلها ، كأن يضرب بعضها بعضا ، ويكيد بعضها لبعض، وأن يكون بأسها بينها . لا يزعجني أن يكون في الصحوة مدارس أو فصائل أو جماعات لكل منها منهجه في خدمة الإسلام، والعمل على التمكين له في الأرض، وفقا لتحديد الأهداف وترتيبها ، وتحديد الوسائل ومراحلها ، والثقة بالقائمين على تنفيذها من حيث القوة والأمانة، أو الكفاية والإخلاص . ومن السذاجة بحيث أدعو إلى جماعة أو حركة واحدة، تضم جميع العاملين للإسلام في نظام واحد ، وتحت قيادة واحدة، فهذا تقف دونه حوائل شتى، وهو طمع في غير مطمع . وقد ذكرت في أكثر من بحث لي أنه لا مانع أن تتعدد الفصائل والجماعات العاملة لنصرة الإسلام (والوطن) إذا كان تعدد تنوع وتخصص، لا تعدد تعارض وتناقض على أن يتم بين الجميع قدر من التعاون والتنسيق، حتى يكمل بعضهم بعضا ويشد بعضهم أزر بعض، وأن يقفوا في القضايا المصيرية

---

[45] راجع الصحوة الاسلامية بين الاختلاف . .والتفرق . .للشيخ القرضاوي

والهموم المشتركة، صفا واحدا كأنهم بنيان مرصوص. ولكن الذي يدمي القلب حقا أن يوجد بين الدعاة والعاملين من لا يقدر هذا الأمر حق قدره، وأن يبذر بذور الفرقة أينما حل، وأن يبحث عن كل ما يوقد نيران الخلاف، ويورث العداوة والبغضاء، وتركيزه دائما على مواضع الاختلاف، لا نقاط الاتفاق، وهو دائما معجب برأيه، مزك لنفسه وجماعته، متهم لغيره. والحق أن الاختلاف في ذاته ليس خطرا، وخصوصا في مسائل الفروع، وبعض الأصول غير الأساسية، إنما الخطر في التفرق والتعادي الذي حذر الله ورسوله منه. لهذا كانت الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية بمختلف اتجاهاتها ومدارسها في حاجة إلى وعي عميق بما نسميه (فقه الاختلاف). وهو أحد أنواع خمسة من الفقه ينبغي التركيز عليها، لأننا أحوج ما نكون إليها، وهي:

1. فقه المقاصد: الذي لا يقف عند جزئيات الشريعة ومفرداتها وحدها، بل ينفذ منها إلى كلياتها وأهدافها في كل جوانب الحياة واستكمال الشوط الذي قام به الإمام الشاطبي في (موافقاته) وإبراز العناية بالمقاصد الاجتماعية خاصة.

2. فقه الأولويات ومراتب الأعمال: وكنت نبهت عليه في كتابي "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف" ولا زال يحتاج إلى مزيد من التعميق والتأصيل والتفصيل والتطبيق على الواقع.

3. فقه السنن: أعني القوانين الكونية والاجتماعية التي أقام الله عليها عالمنا هذا، وقضى بأنها لا تتبدل ولا تتحول مثل سنن: التغيير والنصر والتدرج. وغيرها.

4. فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد: وهو مبني على فقه الواقع ودراسته دراسة علمية مبنية على ما يسره لنا عصرنا من معلومات وإمكانات، لم يكن يحلم بها بشر سواء واقعنا وواقع الآخرين، بعيدا عن التهوين والتهويل.

5. وأخيرا (فقه الاختلاف): الذي عرفه خير قرون الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، فلم يضرهم الاختلاف العلمي شيئا، وجهلناه فأصبحنا يعادي بعضنا بعضا، بسبب مسائل يسيرة، أو بغير سبب إلى آخره.

بما ان هناك غلو في بعض الحالات الملاحظة في وسطنا ومنطقتنا سواء من طرف الكبار او من طرف الصغار فلا بد من اشارة خاطفة حول الغلو والوسطية ليعرف النشء ما لـه وما عليه نحو ربه ونحو مجتمعه ووطنه ولنبتعد عن هذه الدوامة التي كادت ان تقضي على وحدة الامة وعليه فقد قال الدكتور: الغلو[46] لغة هو مجاوزة حد الاعتدال ،وفى مقابل طرفه هذا طرف آخر هو التفريط أوالتسيب ، وكلا طرفى قصد الأمور ذميم . واصطلاحا : نجد النصوص الشرعية تقرن بين "الغلو" و "التشدد" و "التنطع" وكأنها جميعا مجاوزة حد الاعتدال المطلوب من المسلم أن يلتزم به . والغلو قديم قدم انحراف الفكر والسلوك حين يتجاوزان حد الاعتدال لسبب أو لآخر . وفى القرآن الكريم نهى لأهل الكتاب عن الغلو لأنه انحراف عن الحق فى الدين ، وقد جاء هذا فى آيتين هما :قوله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ،ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا ﴾ وقوله ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ وتدل الآيتان على أن الغلو والانحراف كان فى باب العقيدة، فيما يخص الذات الإلهية وصفاتها ، وفيما يخص اعتقاد النصارى فى المسيح بما يخرجه عن حقيقته غلوا وتجاوزا . لذا كانت الوسطية إحدى الخصائص العامة للإسلام ، وهى إحدى المعالم الأساسية التى ميز الله بها أمته صلى الله عليه وسلم عن غيرها ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ فهى أمة العدل والاعتدال التى تشهد فى الدنيا والآخرة على كل انحراف يمينا أو شمالا عن خط الوسط المستقيم . وفى السنة تحذير واضح من الغلو والتنطع والتشدد لمخالفتها وسطية الإسلام واعتداله . وفى الوقت ذاته تحفل السنة القولية والعملية بالأمر بالتيسير والرفق والتسامح . وحسبنا أن نشير إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ربط بين الغلو والهلاك وكذا التنطع والتشدد حيث قال ( إياكم والغلو فى الدين ، فإنما هلك من قبلكم بالغلو فى الدين) وقال (هلك

---

[46] راجع كتب الشيخ القرضاوي والموسوعة الفقهية الكويتية وتفسير المنار .

المتنطعون) وقال (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم ،فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات) (رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) . أما التيسير والأمر به فأشهر من أن لا يعلم ، فقد عاتب الرسول صلى الله عليه وسلم معاذا حين شكا أحد الناس أن معاذا يطيل فى الصلاة فقال له وللمسلمين جميعا (يسروا ولا تعسروا ، بشروا ولا تنفروا) . وقد وقعت فى تاريخ المسلمين مظاهر غلو بعث عليها فهم معين ، أو مبالغة مرذولة، فكان موقف الأمة بيان خطأ أصحاب هذه المظاهر حتى ولو كانت اجتهادا بشكل أو بآخر .

ففى باب العبادات لم يقبل النبى صلى الله عليه وسلم موقف النفر الذى قال أحدهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أصلى ولا أنام ، وقال الثالث: أنا أعتزل النساء بل بين الرسول الكريم خطأهم وقال: (أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ) .

وفى بابا الحكم على الآخرين حين كفر الخوارج مرتكب الكبيرة، ورتب بعضهم على هذا جواز قتله واعتبر بعضهم ديار مخالفيه ديار كفر، وقفت الأمة منهم علماء وحكاما موقف المحاور لهم ، ثم رفض هذه الآراء .

وفى باب الغلو فى المعتقدات ، حين ألهت السبئية عليا رضى الله عنه ، وحين قالت بعض فرق الشيعة بتناسخ الأرواح ، والرجعة ونحو هذا ، عدهم مؤرخو الفرق من الغلاة الذين حادوا عن العقيدة الحقة وكذلك حين غالى بعض الصوفية فى فهم التوحيد وقالوا بوحدة الوجود ، أو الاتحاد ، أو الحلول أو وحدة الأديان ، هوجموا من الصوفية المعتدلين وقيل إنهم غلطوا فى كذا وكذا .

وفى باب الممارسات الحياتية، حين انعزل بعض الزهاد عن الحياة، وسكنوا الكهوف ووقعوا فى رهبانية لا يقبلها الإسلام ، نظر إليهم على أنهم سقام الفهم للزهد والتوكل مضطربو السلوك .

( قال ) وأما خطر الغلو فيكمن فى ضرره بالدعوة ووجه الإسلام . فهو من جهة ينفر عامة الناس حيث لا يطيقه الناس ، فينصرفون عن الارتباط . بالجماعة أو الاستمرار فى العبادة، وهو من جهة أخرى أصعب من أن يستمر صاحبه عليه ، فيفتر فيفقد مصداقيته أمام من عرفوه . وهو من جهة ثالثة يضر بالتوازن المطلوب فى شخصية المسلم ، أعنى أنه يضيع بعض الحقوق ، ولعل هذا هو الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الله بن عمرو حين بلغه صوم النهار وقيام الليل باستمرار : (لا تفعل

صم وأفطر وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا )الحديث فإذا أضفنا إلى ما سبق تعصب صاحب الغلو لرأيه وجموده عليه ، وعدم اعترافه بالرأى الآخر ، والتسرع فى الحكم على الآخرين فى عقائدهم . أقول: إذا علمنا هذه المظاهر أدركنا خطر الغلو فى الدين بكل مناحيه ومجالاته ، وهو خطر يكتوى به صاحبه قبل الآخرين .

( قال ) وأما أسباب الغلو فكثيرة ، وحسبنا أن نشير إلى أن هناك أسبابا تتصل بذات الشخص وأسبابا تتصل بالجو العام . وعلى رأس ما يتصل به قلة العلم ، وما يتفرع عنه من جهل بأدب الحوار ، وضوابط الاختلاف وعدم التمكن من روافد الفهم الصحيح للإسلام ، وأخذ الإسلام من كتب معينة دون غيرها وتتصل به كذلك الظروف النفسية التى تكون عليها وتأثر بها جمودا ، أو زعامة، أو حبا للشهرة ونحو هذا . وهذا ما نبه إليه الشاطبى حين ذكر أن أسباب الابتداع وأخطرها أن يعتقد إنسان فى نفسه أو يعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد فى الدين ، وهو لم يبلغ تلك الدرجة . أما ما يتصل بالجو العام ، فانتشار الفساد ، وغياب العدالة، والتضييق فى الحريات ، وعدم الاهتمام بالتربية الحوارية، فكل هذا يحدث رد فعل يتسم بالغلو .

( قال ) ولاشك أن علاج هذه الظاهرة الخطرة لابد أن تقوم به كل أجهزة التربية والتثقيف من تعليم وإعلام وثقافة ومؤسسة دينية، وكلها على التوازى مع البيت والأسرة .

المعاصرة

في السنوات الأخيرة ما قبل الحالية ظهرت موجة تدعوا إلى نبذ الماضي بما فيه من ثوابت وأصول من ناحية القيم ومن العادات ومن اللباس بل ومن ناحية الثقافة والتفقه في الدين ونظرا لاهمية الموضوع فلا أدع الفرصة تمر دون أن نناقش قضية المعاصرة وعليه كما جاء في موسوعة مفاهيم الحاسوبية أن المعاصرة[47] لغة هي على وزن مفاعلة من العصر ، وللعصر عدة معان أهمها وقت وجوب صلاة العصر وهو الوقت فى آخر النهار إلى احمرار الشمس . وعاصر فلانا لجأ إليه ولاذ به وعاش معه فى عصر واحد (كما فى المعجم الوسيط) . واصطلاحا : ورد لفظ العصر فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا

---

[47] راجع موسوعة الفتاوى المصرية وكذا موسوعة المفاهيم

بالصبر ﴾ يقول البيضاوى فى تفسير الآية الأولى من هذه السورة "أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها ، أو بعصر النبوة، أو بالدهر لاشتماله على الأعاجيب" والمعاصرة حسب هذا التعريف هى المعايشة بالوجدان والسلوك للحاضر والإفادة من كل منجزاته العلمية والفكرية وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقيه . وتستخدم المعاصرة فى مقابل الأصالة، فيقال مثلا "الإسلام بين الأصالة والمعاصرة" بمعنى كيفية تمكن الإسلام من مسايرة العصر والوفاء بمتطلباته والتعامل مع مقتضياته المتغيرة بثوابته الأصلية . والمعروف أن الإسلام يتضمن إلى جانب ثوابته الأصلية التى تتعلق بأصوله ، مناهج تفتح كل الأبواب للتعامل مع كل المستجدات . فبجانب ثوابت العقيدة التى تصلح بطبيعتها لكل زمان ومكان لأنها متأسسة على الرسالة الخاتمة ومستمدة من فطرة الله التى فطر الناس عليها ،

وهناك مناهج للتشريع تعتمد فى تطبيقاتها على الاجتهاد بإعمال العقل السليم فيما يجلب المصلحة العامة ويدرأ المفسدة ويسد الذرائع ، فهى توجد ، كما يقول الشاطبى "حيث يكون العمل فى الأصل مشروعا لكن ينتهى عندما يؤول إليه من المفسدة" وقد عمل به الإمام مالك فى أكثر أبواب الفقه . ويعتبر الإمام محمد أبو زهرة ذلك توثيقا لمبدأ المصلحة التشريع الإسلامى .

( قال ) وينبغى أن نفرق بين المعاصرة التى لا تتناقض من وجهة النظر الإسلامية مع الأصالة وبين العصرانية (العلمانية) التى تعتبر العصر وحده مصدرا للتشريع فى الحياة الاجتماعية العامة، وهذا الاتجاه الفكرى يحاول إبعاد الدين عن الحياة العامة واعتباره مجرد مسألة خاصة بكل إنسان ، ويعتبره فى أحسن الأحوال مصدرا للمبادىء الخلقية والمعاملات الشخصية . أما السياسة وكل ما يتصل بالحياة العامة للإنسان لا للدين بها ، أى علاقة وهذا مما يتناقض مع مبادىء التصور الإسلامى الصحيح .

## اقوال العلماء في التعصب المذهبي

ولو أن المرجعية ضرورية لتوحيد كيان الأمة وعدم تفرق الكلمة خصوصا الكلمة الدينية فإن التعصب هو داء يسري في النفوس يحمل صاحبها على مخالفة الدليل من أجل مذهب درج عليه، فتراه ينافح عن قول إمامه ومذهبه وإن علم أن الحق بخلافه والأئمة الأربعة رحمهم الله، نصوا على الأخذ بالدليل وإن كان مخالفا لقولهم . وهذا من تعظيمهم رحمهم الله للأثر ، وصرف أتباعهم إلى الأخذ

بالدليل وأن يكونوا مع الدليل والحق حيثما دار . قال الإمام أبو حنيفة: (إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس ) وقال الإمام مالك (ما من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر– وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم) . وقال الإمام الشافعي (كل ما قلت وكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني ) وقال الإمام أحمد : (لا تكتبوا عني شيئا ، ولا تقلدوني، ولا تقلدوا فلانا وفلانا –وفي رواية: مالكا ، والشافعي والأوزاعي ولا الثوري وخذوا من حيث أخذوا )ومع أن الأئمة نصوا على عدم تقليدهم والأخذ بالدليل وإن كان مخالفا لأقوالهم، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود طائفة تعصبت لأقوال أئمتهم، وغلوا في ذلك غلوا كبيرا ، فمن أقوال بعض المتعصبة قال الحصفكي في أبيات يمدح بها الإمام أبا حنيفة منها :

فلعنة ربنا أعداد رمل ... على من رد قول أبي حنيفة

ابيات الامام منذر

وأنشد منذر بن سعيد عدة أبيات تصور حالة تشبث المالكية بقول الإمام بدون دليل فقال:

عذيري من قوم يقولون كلما ... طلبت دليلا: هكذا قال مالك
فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب ... وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فإن زدت قالوا : قال سحنون مثله ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فإن قلت: قال الله، ضجوا وأكثروا ... وقالوا جميعا : أنت قرن مماحك
وإن قلت : قد قال الرسول، فقولهم ... أتت مالكا في ترك ذاك المسالك

وقال إمام الحرمين الجويني الشافعي نحن ندعي أنه يجب على كافة العاقلين وعامة المسلمين شرقا وغربا ، بعدا وقربا انتحال مذهب الشافعي . ويجب على العوام الطغام والجهال الأنذال أيضا انتحال مذهبه بحيث لا يبغون عنه حولا ، ولا يريدون به بدلا) وقال أحد الحنابلة :

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت ... فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

قلت والحق هو اتباع الدليل والأخذ به ممن قاله، ولا يقدح ذلك فيمن ترك مذهبه في مسألة، ولا يعتبر مخالفا لإمامه، بل هو متبع له كما نصوا على ذلك قال أبو مزاحم الخاقاني في شعر له :

أبيات الخاقاني

| | |
|---|---|
| أقول الآن في الفقهاء قولا | على الإنصاف جد به اهتمامي |
| أرى بعد الصحابة تابعيهم | لذي فتياهم بهم ائتمامي |
| علمت إذا عزمت على اقتدائي | بهم أني مصيب في اعتزامي |
| وبعد التابعين أئمة لي | سأذكر بعضهم عند انتظام |
| فسفيان العراق ومالك في | حجازهم وأوزاعي شام |
| ألاوابن المبارك قدوة لي | نعم والشافعي أخو الكرام |
| ممن أرتضي فأبو عبيد | وأرضى بابن حنبل الإمام |
| فآخذ من مقالهم اختياري | وما أنا بالمباهي والمسامي |
| وأخذي باختلافهم مباح | لتوسيع الإله على الأنام |
| ولست مخالفا إن صح لي عن | رسول الله قول بالكلام |
| إذا خالفت قول رسول ربي | خشيت عقاب رب ذي انتقام |
| وما قال الرسول فلا خلاف | له يارب أبلغه سلامي |

صورة من صور التعصب: قال الطوفي: رأيت بعض العامة، وهو يضرب يدا على يد ، ويشير إلى رجل، ويقول: ما هذا إلا زنديق، ليتني قدرت عليه، فأفعل به، وأفعل، فقلت: ما رأيت منه؟ فقال: رأيته وهو يجهر بالبسملة في الصلاة .

## أمر خطير في تكفير الأمة

هناك في الساحة الإسلامية . اليومَ. أمر خطير أدّى بالأمة إلى مزالق كثيرة لابد من الإشارة إليه ألا وهو مسائل التكفير والتبديع (قال) وهو مسألة من المسائل الشائكة التي تحتاج إلى نظر وتأمل في حال المعين وهناك شروط لابد من توفرها ، وموانع لابد من انتفائها ، إلى أشياء كثيرة جدا يطول ذكرها .

ولكن هناك من جرد لسانه وقلمه، وأطلق لهما العنان في الناس تكفيرا وتبديعا وتفسيقا، وكأنه قد تعبد بذلك. فإلى أولئك وغيرهم هذا الأصل العظيم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإذا رأيت إماما قد غلظ على قائل مقالته أو كفره فيها، فلا يعتبر هذا حكما عاما في كل من قالها، إلا إذا حصل فيه الشرط الذي يستحق به التغليظ عليه، والتكفير له فإن من جحد شيئا من الشرائع الظاهرة وكان حديث العهد بالإسلام أو ناشئا ببلد جهل، لا يكفر حتى تبلغه الحجة النبوية. وكذلك العكس إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمام قديم فاغتفرت لعدم بلوغ الحجة له، فلا يغتفر لمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول، فلهذا يبدع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك، ولا تبدع عائشة ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم، فهذا أصل عظيم فتدبره فإنه نافع)

## الحث على التمسك بالسنة والنهي عن البدعة

استفاض النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحب والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين في الحث على التمسك بالسنة، والنهي والتحذير من البدعة، فقال إمام المتقين صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أي مردود على صاحبه. والصحب رضوان الله عليهم والسلف الصالح من بعدهم كانت لهم جهود مشكورة في حفظ السنة (قال) ولو سقنا أخبارهم في هذا لطال بنا المقام، ولكن حسبنا قول ابن مسعود رضي الله عنه من الصحب الكرام وقول الفضيل بن عياض من السلف الأعلام: قال ابن مسعود أو أبي بن كعب رضي الله عنهما (عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا فاقشعر جلده من مخافة الله إلا تحاتت عنه خطاياه كما يتحات الورق اليابس عن الشجر، وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا فدمعت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبدا، وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة. فاحرصوا أن تكون أعمالكم إن كانت اجتهادا أو اقتصادا على منهاج الأنبياء وسنتهم) وقال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ قال: أخلصه وأصوبه. قيل له: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة (وكان يقول) من وقر صاحب بدعة

فقد أعان على هدم الإسلام ومن زوج كريمته لصاحب بدعة فقد قطع رحمها ، ومن انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا .

## الكتاب التاسع
## في بيان تقلب العجم على العرب في الاقاليم الإسلامية

----

### الفصل الأول
### في
### تقلب العجم على العرب في شتى الأقاليم الإسلامية قديما

لما استقلّت مُضر وفرسانها وأنصارها من اليمن بالدولة الإسلامية، فيمن تبع دينهم من إخوانهم ربيعة ومن وافقهم من الأحياء اليمنيّة . كما قال العلامة بن خلدون في كتابه العبر : وغلبوا الملل والأمم على أمورهم ، وانتزعوا الأمصار من أيديهم وانقلبت أحوالهم من خشونة البداوة وسذاجة الخلافة إلى عزّ الملك وترف الحضارة، ففارقوا الحلل وافترقوا على الثغور البعيدة والأقطار البائنة عن ممالك الإسلام فنزلوا بها حامية ومرابطين عُصَباً وفُرادى . وتناقل الملك من عنصر إلى عنصر ومن بيت إلى بيت، واستفحل ملكهم في دولة بني أُميّة وبني العبّاس من بعدهم بالعراق، ثم دولة بني أُميّة الأخرى بالأندلس، وبلغوا من الترف والبذخ ما لم تبلغه دولة من دول العرب والعجم من قبلهم . فانقمسوا في الدنيا ونبتت أجيالهم في ماء النعيم، واستأثروا مهاد الدعَة واستطابوا خفض العيش، وطال نومهم في ظلّ الغرف والسلم، حتى ألفوا الحضارة ونسوا عهد البَاديَة وانفلتت من أيديهم المَلَكَة التي نالوا بها الملك، وغلبوا الأمم من خشونة الدين، وبداوة الأخلاق، ومضاء المضرب . فاستوت الحامية والرعية لولا الثقافة، وتشابه الجند والحضر إلا في الشارة . وأنف السلطان من المساهمة في المجد والمشاركة في النسب فجدعوا أنوف المتطاولين إليه من أعياصهم وعشائرهم ووجوه قبائلهم، وغضّوا من عنان

طموحهم، واتخذوا البطانة مقرّهم من موالي الأعجام وصنائع الدولة، حتى كثروا بهم قبيلتهم من العرب الذين أقاموا الدولة، ونصروا الملّة، ودعموا الخلافة، وأذاقوهم وبال الخلابة من القهر، وساموهم خطة الخسف والذلّ، فأنسوهم ذكر المجد وحلاوة العز، وسلبوهم نصرة العصبية حتى صاروا أُجراء على الحامية، وخُولاً لمن استعبدهم من الخاصة وأوزاعا متفرقين بين الأمة، وصيروا لغيرهم الحل والعقد والإبرام والنقض، من الموالي والصنائع فداخلتهم أريحية العز، وحدثوا أنفسهم بالملك فجحدوا الخلفاء ولعبوا بدست الأمر والنهي. (قال) واندرج العرب أهل الحماية في القهر، واختلطوا بالهَمَج ولم يراجعوا أحوال البداوة لبعدها، ولا تذكّروا عهد الأنساب لدروسها. فدثروا وتلاشوا شأن من قبلهم وبعدهم. سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.

## كيف أنفقت الدولة الإسلامية العرب

كانت قبائل من العرب موفورة العدد، عزيزة الأحياء. فنصروا الإيمان والملة، ووطدوا أكناف الخلافة، وفتحوا الأمصار والأقاليم، وغلبوا عليها الأمم والدول (أما) من مُضر: فقريش وكنانة وخزاعة وبنو أسد وهذيل وتميم وغطفان وسليم وهوازن، وبطونها من ثقيف وسعد بن بكر ومن إليهم من الشعوب والبطون والأفخاذ والعشائر والخلفاء والموالي. (وأما) من ربيعة فبنو تغلب بن وائل وبنو بكر بن وائل وكافة شعوبهم من بني شكر وبني حنيفة وبني عجل وبني ذهل وبني شيبان وتيم الله ثم بنو النمر من قاسط ثم عبد القيس ومن إليهم (وأما) من اليمنية فكهلان بن سبأ وأنصار الله الخزرج والأوس أبناء قيلة من شعوب غسان وسائر قبائل الازد وهمدان وخثعم وبجيلة ومذحج وكافة بطونها من عبس ومراد وزبيد والنّخع والاشعريّين وبني الحرث بن كعب ولحى وبطونها ولخم وبطونها وكندة وملوكها (وأمّا) حميرين سبأ فقضاعة وجميع بطونها ومن إلى هذه القبائل والأفخاذ والعشائر والأحلاف. هؤلاء كلهم أنفقتهم الدولة الإسلامية العربية فنبأت بهم الثغور القصية، وأكلتهم الأقطار المتباعدة، واستلحمتهم الوقائع المذكورة، فلم يبق منهم حي يطرق ولا حلة تنتجع ولا عشير يعرف، ولا قليل يذكر ولا عاقلة تحمل جناية، ولا عصابة لصريخ إلا سمع من ذكر أسمائهم، في أنساب أعقاب متفرقين في الأمصار ألتى الخموها بجملتهم، فتقطعوا في البلاد؟ ودخلوا بين الناس فامتهنوا واستهينوا وأصبحوا خولاً للأمراء، ربياً للذائد وعالة على الحرف. وقام بالإسلام والملة غيرهم، وصار الملك

والأمر في أيدي سواهم، وجلبت بضائع العلوم والصنائع إلى غير سوقهم، فغلب أعاجم المشرق من الديلم والسلجوقية والأكراد والغز والترك على ملكه ودولته، فلم يزلٍ مناقلة فيهم إلى هذا العهد (عهد ابن خلدون) وغلب أعاجم المغرب من زناتة والبربر على أمره أيضاً، فلم تزل الدول تتناقل فيهم على ماذُكر في مواضعه.

## انحياز العرب إلى الآفاق بعد مجدهم

بعد تلك الفتوحات انقرض أكثر الشعوب الذين كان لهم الملك من هؤلاء العرب ولم يبق لهم ذكر وانتبذ بقية هذه الشعوب من هذه الطبقة بالقفار وأقاموا أحياء بادين لم يفارقوا الحلل ولا تركوا البداوة والخشونة فلم يتورطوا في مهلكة الترف ولا غرقوا في بحر النعيم، ولا فقدوا في غيابات الأمصار والحضارة (قال وأقامت) هذه الأحياء في صحارى الجنوب من الغرب والمشرق بأفريقية ومصر والشام والحجاز والعراق وكرمان كما كان سلفهم من ربيعة ومضر وكهلان في الجاهلية، وعتوا وكثروا وانقرض الملك العربي الإسلامي. وطرق الدول الهرم الذي هو شأنها، واعتز بعض أهل هذا الجيل غرباً وشرقاً فاستعملتهم الدول وولوهم الإمارة على أحيائهم وأقطعوهم في الضاحية والأمصار والتلول وأصبحوا جيلاً في العالم ناشئاً، كثروا سائر أهله من العجم. ولهم في تلك الإمارة دول فاستحقوا أن تذكر أخبارهم، وتلحق بالأجيال من العرب سلفهم. ثم إن اللسان المضري الذي وقع به الإعجاز ونزل به القرآن ثوى فيهم وتبدل أعرابه فمالوا إلى العجمة وإن كانت الأوضاع في أصلها صحيحة واستحقوا أن يوصفوا بالعجمة من أجل الأعراب فلذلك قيل فيهم أنهم العرب المستعجمة.

## العرب والمغرب ومواطنهم

العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطن وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الثانية جمع من الادارسة وفي أواسط المائة الخامسة دخلت أفاريق من بني هلال وسليم اختلطوا في الدول هنالك فكانت أخبارهم من أخبارها وأما آخر مواطن العرب فكانت برقة، وكان فيها بنو قرة ابن هلال بن عامر وكان لهم في دول العبيديّين أخبار، وحكايتهم في الثورة أيام الحاكم والبيعة لأبي ركوة من بني أُميّة في الأندلس معروفة ولما أجاز بنو هلال وسليم إلى المغرب خالطوهم في تلك المواطن، ثم ارتحلوا معهم إلى المغرب.

كما سبق أن ذكرت قال ابن خلدون لما جاءت الملة الإسلامية وظهر العرب على سائر الأمم بظهور الدين فسارت عساكرهم في كل صوب ومنها المغرب وافتتحوا سائر أمصاره ومدنه وعانوا من حروب البربر شدة وقد تقدم لنا ما ذكره ابن أبي زيد من أنهم ارتدّوا إثنتي عشر مرة. ثم رسخ فيهم الإسلام ولم يسكنوا بأجيالهم في الخيام ولا نزلوا أحياء لأن الملك الذي حصل لهم يمنعهم من سكنى الضاحية، ويعدل بهم إلى المدن الأمصار . فلهذا قلنا إن العرب لم يوطنوا بلاد المغرب عدا سيدنا إدريس الأكبر كما سيأتي ذكره ثم أنهم دخلوا إليه في منتصف المائة الخامسة، وأوطنوه وافترقوا بأحيائهم وحللهم في جهاته (قلت) وتجدر الإشارة هنا إلى أن من حل بالمغرب من الفاتحين أيام الخلفاء الراشدين ومن بعدهم إنما دخلوا فاتحين لامستوطنين غير أنه ينبغي معرفة شأن الإمام إدريس الأكبر وسبب دخوله إلى المغرب وسيأتي تفصيل ذلك .

## البربر

البربر هم السكان الأصليون لشمال إفريقيا من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلنطى وهم ليسوا سلالة نقية على حدة ولكنهم أخلاط سلالية وحضارية متعددة على مر التاريخ ويسكنون الآن مناطق منفصلة متباعدة فى الصحراء الكبرى من واحة سيوة إلى موريتانيا وجبال الأطلس فى المغرب والجزائر . ويعود مصطلح البربر فى الأغلب إلى الأصل اللاتينى برباري أي: الشعوب الأجنبية بالنسبة إلى الرومان، وقد كانت القبائل البربرية تقاوم كل أجنبى يغزو بلادها ، فقاوموا القرطاجنيين والرومان والوندال والقوط والروم البيزنطيين، كما قاوموا الفتح الإسلامى لبلادهم مقاومة شديدة كانت سببًا فى إطالة مدته التى استمرت أكثر من نصف قرن تقريبًا ، وأشهر المعارك التى دارت بين المسلمين والبربر موقعة تهودة سنة (62هـ) التى استشهد فيها عقبة بن نافع الفهرى، ومعارك حسان بن النعمان مع كاهنة البربر التى انتهت بهزيمتها سنة (83هـ) كما سبق أن ذكرنا . وشارك البربر بعد إسلامهم فى الفتوح الإسلامية فى الأندلس ونبغ القائد البربرى طارق بن زياد فى هذا الفتح وقام البربر بعدة ثورات ضد العرب فى المغرب و الأندلس وانضموا إلى صفوف الخارجين على دولة بنى العباس

وساعدوا على إقامة دول مستقلة مثل الأدارسة والرستمية كذلك ظهرت للبربر كيانات مستقلة، مثل دول ( بنى زيرى و بنى يفرن و الحمارية و المرابطين و بنى مرين و بنى وطاس ) واشتهر من البربر عدد من الأعلام منهم : طارق بن زياد فاتح الأندلس، ويوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين، و المهدى بن تومرت مؤسس دولة الموحدين . وقد فشل الفرنسيون فى القرن العشرين فى إذكاء روح الفرقة بين العرب والبربر .

## تعريب الإسلام الأمة الإسلامية وما يتعامل معها من أمم

إن بلاد العرب كانت تطلق على الجزيرة العربية فقط، وعندما امتد نور الإسلام في الأرض وافتتح جند الله عزوجل من المسلمين العرب نصف الأرض في نصف قرن، كان لا بد للشعوب التي دخلت في الإسلام أن تتعلم العربية حتى تؤدي شعائر عبادتها ، فلا بد من تعلم القرآن الكريم لأن صلاتهم لا تجوز إلا بتلاوة القرآن باللسان العربي المبين، ولا بد من حفظ الأذكار والأدعية بالعربية ولا بد من معرفة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فأصبحت العربية جزء أساسيا من حياة الشعوب الإسلامية فأخذت تتعرب تدريجيا ، فكل مسلم : عربي بلغة قرآنه، وعربي: بنبيه صلى الله عليه وسلم العربي، وقبلته التي يتوجه إليها كل يوم خمس مرات واقعة في بلاد العرب، وحجه الذي يسعى إليه من استطاع سبيلا في جزير العرب . وبعد أن عربت الدواوين في زمن عبد الملك بن مروان (56 – 68 هـ) ونقلت إلى أيدي المسلمين بعد أن كانت باللغة الفهلوية (الفارسية القديمة في العراق) وبالرومية في الشام وبالقبطية ( المصرية القديمة في العصر المسيحي) . فأصبحت العربية لغة الدولة والشعوب وبازدياد الإختلاط والإمتزاج بين الفاتحين العرب والشعوب المفتوحة ازداد التعريب وتسابق المسلمون إلى تعلم العربية خاصة الموالي الذين كانوا يعيشون في بلاد العرب، ونبغ هؤلاء وفاقوا العرب الأصليين باللغة فاستلموا القضاء ونقلوا الحديث والتفسير، وحسبك من هذه الأسماء : طاووس ومكحول وعكرمة ومجاهد من تلاميذ ابن عباس الذين نقلوا لنا دين الله . وقد سأل عمر بن الخطاب والي مكة من أنبت بعدك على مكة فقال ابن ابزي رجل من موالينا فقال: أمرت عليهم مولى ؟ فقال: إنه أعلمنا فقال عمر رضي الله عنه: (لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ( إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين ) وعليه فأبو حنيفة وسيبويه من النحاة والبخاري وابن اسحق وابن

سينا والفرابي وابن حبان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والرازي والسرخسي وهؤلاء كلهم ليسوا من العرب أصلا، ولكن عربهم الإسلام. ثم حافظ الإسلام والقرآن على العرب والعربية من الإندثار رغم المحاولات المستميتة لمحو العربية، وتوسعت الرقعة العربية فأصبحت تطلق على كل الشعوب التي عرب الإسلام لسانها وأفصح القرآن بيانها فصارت مصر والشام (بأكملها) والعراق والشمال الإفريقي من العرب. وكان الأعاجم ينظرون إلى العرب نظرة إجلال واحترام لأنهم قادتهم وأساتذتهم ومعلموهم ومنقذوهم كيف حصل الإنفصام النكد بين الإسلام والعرب في القرن الأخير؟

## الأمة العربية والاسلامية ومخاطبة الرصافي

يخاطب الشاعر الكبير العراقي معروف الرصافي الأمة العربية بقصيدة معبرة ذات تأثير كبير ويذكرها بسالف عهدها وسابق مجدها ويؤنبها على حاضر الأليم فيقول:

هو الليل يغريه الأسى فيطول ... ويُرخى وما غيرُ الهموم سُدُول

أبيتُ به لا الغارباتُ طوالع ... علي ولا للطالعات أفول

وينشر فيه الصمت لبدا مضاعفا ... فتطويه مني رنة وعويل

ولي فيه دمع يلذع الخدّ حرُّه ... وحزن كما امتد الظلامُ طويل

بكيت على كل ابن أروع ماجد ... له نسب في الأكرمين جليل

يُليح من الضيم المذل بغرة ... لها البدر ترب والنجوم قبيل

من العرب: أما عرضه فموفر ... مصون، وأما جسمه فهزيل

له سلف عزوا فبزوا نباهة ... ولم تعتورهم فترة وخمول

وساروا بنهج المكرُمات تقلهم ... قلائص من سعي لهم وخلول

وكانوا إذا ما أظلم الدهر أشرقت ... به غرَر من مجدهم وحجول

أولئك قوم قد ذوى روض مجدهم ... ولم تسر فيه نسمة وقبول

وقد أعطشته السحب حتى لقد علت ... على الزهر منهُ صفرة وذبول

رعى الله من أهل الفصاحة معشرا ... لهم كان فوق الفرقدين مقيل

ترامى بهم ريب الزمان كأنما ... له عندهم دون الأنام ذحول

فأمست من العمران خلوا بلادهم | فهن حُزون قفرة وسهول
وعادت مغاني العلم فيها دوارسا | تجر بها للرامسات ذيول
وقوضت الأيام بنيان مجدها | فربع المعالي بينهن مَحول
نظرت إلى عرض البلاد وطوها | فما راقني عرض هناك وطول
ولم تبد لي فيها معاهد عزها | ولكن رسوم رثة وطلول
نظرت إليها من خلال ذوارف | من الدمع طرفي بينهن كليل
فكنت كراء من وراء زجاجة | بعينيه كيما يستبين ضئيل
ولم أتبين ما هنالك من عُلًى | لكثرة ما قد دب فيه نحول
هناك حنيت الظهر كالقوس رابطا | بكفي على قلب يكاد يزول
وأوسعت صدري للكآبة فاغتدت | بأرجائه تحت الضلوع تجول
وأرسلت دمع العين فانهل جاريا | له بين أطلال الديار مسيل
أأمنع عيني أن تجودَ بدمعها | على وطني، إني إذن لبخيل
فإن تعجبوا أن سال دمعي لأجله | فإن دمي من أجله سيسيل
وما عشتُ أني قد تناسيت عهده | ولكن صبري في الخطوب جميل
وإن امرءًا قد أثل الهم قلبه | كقلبي ولم يلق الردى لحمول
أفي الحق أن أنسى بلادي سلوة | وما ليَ عنها في البلاد بديل
أقول لقومي قول حيران جازع | تهيج به أشجانه فيقول
متى ينجلي يا قوم بالصبح ليلكم | فتذهبَ عنكم غفلة وذهول
وينطق بالمجد المؤثل سعيكم | فيسكتَ عنكم لائم وعذول
تريدون للعليا سبيلا وهل لكم | إليها وأنتم جاهلون سبيل
أناشدكم أين المدارس إنها | على الكون فيكم والحياة دليل
وأيَن الغني المرتجى في بلادكم | يجود على تشييدها ويطول
بلاد بها جهل وفقر كلاهما | أكول شروب للحياة قتول

| | |
|---|---|
| أجـل إنكـم أنـتم كـثير عديـد كم | ولكـن كـثير الجـاهلين قليـل |
| ولـو أن فـيكم وحـدة عـصبية | لهـا ن علـيكم للمَـرام وصـول |
| ولكـن إذا مـستنهض قـام بيـنكم | تلقـاه مـنكم بالعنـاد جهـول |
| وأي فريـق قـام للحـق صـده | فريـق طلـوب للمحَـال خـذول |
| وإن كـان فـيكم مـصلحون فواحـد | فعـول وألـف في مَـداه قئـول |
| علـى أن لي فـيكم رجـاء وإن أكـن | إلى اليـأس أحيانـاً أكـاد أميـل |
| ألـستم مـن القـوم الألى كـان علمهـم | بـه كـل جهـل في الأنـام قتيـل |
| لهـم همـم لـيس الظبـاةُ تفلـها | وإن كـان منـها في الظبـاة فلـول |
| ألا نهـضة علميـة عربيـة | فتـنعش أرواح بهـا وعقـول |
| ويـشجعَ رعديـد ويعتـز صـاغر | وينـشط للمـسعى الحثيـث كـسول |
| فـإن لم تقـم بعـد الأنـاة عـزائم | فعـتبي علـيكم والمـلام فـضول |

## الكتاب العاشر

## في بيان الاستعمار الغربي ومدته وكيفية مقاومته وكيف تم استقلال البلدان والشعوب

---

### الفصل الاول

### في

### الإستعمار الأوروبى حتى الحرب العالمية الأولى وما يتبعه من استقلال

الاستعمار: هو السيطرة التى تفرضها دولة قوية على أخرى ضعيفة، وهذه السيطرة قد تأخذ أشكالا مختلفة، مثل السيطرة العسكرية على البلاد أو السيطرة الفكرية والاقتصادية على الأمم المقهورة. وقد ادعت الدول الأوربية كذبًا أنها قامت بحركة التوسع الاستعمارى بهدف تحضير وتطوير العالم الثالث، وأن ذلك رسالة الرجل الأبيض تجاه شعوب العالم الثالث، وليس أبلغ فى الدلالة على كذب هذه الدعوى من رفض الكتاب والمفكرين الغربيين لها .

## العثمانيون والإستعمار

كانت الدولة العثمانية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر قوة عظمى تسيطر على غرب ووسط «آسيا» وشمال «إفريقيا»، وجنوب شرق «أوربا»، ثم أخذت الدولة العثمانية فى الضعف وطمعت دول «أوربا» فى ممتلكاتها .

## الاستعمار البريطاني

الإستعمار البريطاني احتل :

( أولا ) : الجنوب العربي : فقد تعرض الجنوب العربى وبخاصة «عدن» لسيطرة الاستعمار المبكرة ففى سنة (1214ه/1799م) احتلت «بريطانيا» «بريم» وعين أول مندوب بريطانى فى اليمن سنة (1216ه/1801م) ثم أنشأ الإنجليز مستودعًا للفحم سنة (1245هـ/ 1829م) وأرادت «إنجلترا» أن تشترى مرفأ «عدن» من السلطان العثمانى ولكنه رفض واستولت عليه بالقوة فى (1255ه/1839م) وبعد افتتاح «قناة السويس» سنة (1286ه/1869م) امتد نفوذ «بريطانيا» إلى «حضرموت»، واخترعت نوعًا جديدًا للسيطرة الاستعمارية وهو فرض الحماية على كل زعماء ومشايخ المنطقة كل على حدة .

( ثانيًا ) : وادى النيل : حيث أراد «إسماعيل باشا» والى «مصر» أن يتشبه بالمدنية الأوربية، وأن يجعل «مصر» قطعة من «أوربا»، وعمل على أن تكون له إمبراطورية إفريقية امتدت جنوبًا إلى خط الاستواء حيث ضمت «دارفور» ومنابع «نهر النيل»، كما ضمت «إريتريا» و«هرر» و«الصومال» فى شرق «إفريقيا»، ولكنه مع ذلك أغرق نفسه فى الديون التى شجعته عليها دول «أوربا» حتى وقع فى أزمة مالية ، فانتهزت «إنجلترا» الفرصة للتدخل فى شئون «مصر» ماليا ، فجاءت البعثات الغربية للمحافظة على أموال الدائنين، ثم أنشئ صندوق الدَّين للحد من حرية تصرف الدولة المصرية فى الإدارة والحكم، وكان هذا التدخل السياسى تمهيدًا للتدخل العسكرى من جانب «إنجلترا» فى عهد الخديو «توفيق»، الذى تولى بعد عزل الخديو «إسماعيل» . ولما قامت الثورة العرابية بقيادة «أحمد عرابى» مطالبة بحق المصريين فى قيادة الجيش ومناصب الدولة العليا ، أذعن الخديو لبعض مطالبها ثم تشكلت وزارة برئاسة «محمود

سامى البارودى» تولى «عرابى» فيها نظارة الحربية، ولكن «إنجلترا» و«فرنسا» أخذتا فى تصعيد الأزمة بين الخديو ووزارة «البارودى»، ثم تطور الأمر فأرسلت «إنجلترا» و«فرنسا» أساطيلها إلى مياه «الإسكندرية» وطالبتا فى مذكرة مشتركة الحكومة المصرية بإبعاد زعماء الحركة العرابية عن «مصر» وإقالة حكومة «البارودى»، فرفض الوزراء والشعب هذه المذكرة، ولكن الخديو قبلها، وكان من الصعب تشكيل وزارة بدون «عرابى»، الذى أصبح ينال تأييد كل من الجيش والشعب، ولكن «إنجلترا» التى كانت مصممة على احتلال «مصر» بدأت أساطيلها فى ضرب «الإسكندرية» يوم (11 من يوليو 1882م) واضطر الجيش المصرى إلى إخلاء المدينة، ثم تقدمت القوات الإنجليزية حتى احتلت «القاهرة»، بعد أن هزمت العرابيين فى معركة «التل الكبير» فى (ذى القعدة 1300هـ/ سبتمبر 1882م) .

( ثالثا ) الحركة المهدية ونشأت الحركة المهدية فى «السودان» على يد السيد «محمد أحمد المهدى» الذى نشأ بالقرب من «دنقلة»،وحفظ القرآن الكريم وتعلم الفقه والحديث والتوحيد . نادى «المهدى» بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه، وهاجم الاختلاف فى الشروح والمسائل الفقهية الفرعية . وكان من أسباب قيام الحركة المهدية إرهاق حكومة «السودان» المواطنين بالضرائب، واحتكارها للمحاصيل والسلع التجارية المهمة،وإهمال السودان وعدم إرسال الإمدادات إليه أثناء انشغال «مصر» بالحركة الوهابية فاستغل أنصار «المهدى» انشغال العرابيين بالاحتلال الإنجليزى فاستولوا على «كردفان»، فقاد «هكس باشا» حملة مصرية للقضاء على المهديين، ولكن الحملة فشلت وقضى المهديون عليها، فطلب الإنجليز من الحكومة المصرية سحب قواتها من «السودان»، ولكن «شريف باشا» رئيس الوزارة رفض وقدم استقالته احتجاجًا على السياسة البريطانية، وخلفه «نوبار باشا» الذى استجاب وسحب الجيش المصرى من «السودان» . ثم عهد الإنجليز إلى «غوردون باشا» بأمر الانسحاب فاستهان بأمر «المهدى» وحركته، فزحف «المهدى» إليه وحاصره فى «الخرطوم» وقتلوا «غوردون باشا»، مما كان له أثر كبير فى انتشار المهدية فى ربوع «السودان» . ثم توفى «المهدى» فى سنة (1303هـ/ 1885م) وخلفه «عبد الله التعايشى» الذى لم يكن على مستوى «المهدى» ونفوذه،

فحاول غزو «مصر» ولكنه فشل ثم أرسل الإنجليز حملة كبيرة بقيادة «كتشنر» تمكنت من هزيمة المهدية والقضاء على حركتهم واحتلال «السودان» .

## الاحتلال الفرنسى للمغرب العربى

الإحتلال الفرنسي في المغرب العربي خطير وأليم وطويل الأمد وقاست من ويلاته وانتهاكاته وآلامه الشعوب الأمرّين وهو مختلف من قطر إلى قطر على النحو التالي :

## احتلال الجزائر

الإستعمار الفرنسي احتل أولاً الجزائر لأن الحكومة الفرنسية أرادت فى عهد الملك شارل العاشر أن تصرف شعب فرنسا عن الثورة وأن تشغله عن المشاكل الداخلية بالدخول فى مغامرات خارجية تحقق بها أمجادًا وانتصارات ترضيه بها وكانت الجزائر فى ذلك الوقت دولة لها ديون على فرنسا والتى اتخذت من قصة المذبّة المشهورة ذريعة لاحتلال «الجزائر» فى يوليو سنة (1246هـ/ 1830م) ولكن «الجزائر» لم تهدأ فقاومت بحروب شرسة بقيادة زعماء وعظماء ومن بينهم الأمير عبد القادر الجزائرى الذى أعلن قيام إمارة مستقلة فى جنوب الجزائر ونادى بدعوة الجهاد ولبى الشعب الأبي الدعوة وانضم في صفوف المقاومة وبعد سنوات من النضال وقد حشدت فرنسا عدتها وعددها وأساطلها ثم وبعد مكابدات ومجاهدات اضطر الأمير عبد القادر إلى أن يعقد معها معاهدة تحدد حقوق الأمة ولكن فرنسا بعد عقدها تلك المعاهدة مع الأمير نقضت بنودها ، وتشددت فى قتاله حتى استولت على أغلب مدن الجزائر فالتجأ الأمير عبد القادر إلى مراكش ولكن فرنسا أنذرت سلطان مراكش بعدم قبول الالتجاء ، فسلم عبد القادر نفسه إليهم، حيث نفى إلى دمشق ليقضى بقية حياته بالشام ودفن هناك وبقيى ضريحه مشهورا بأرض سورية إلى أن أعادت الدولة الجزائرية الحرة المستقلة رفاته إلى أرض الوطن في حفل مهيب

## نبذة من تاريخ الجزائر الأبية

ليلا تفوتني فرصة ذكر الجزائر الحبيبة هاهي ذي نبذة من تاريخها أذكرها هنا مختصرة وهي كما جاء في أطلس الحاسوب على النحو التالي :الجزائر Algeria : تحتل المرتبة الثانية بين دول أفريقيا من حيث المساحة بعد السودان. ويمتد شمال الجزائر بطول البحر المتوسط. والمنطقة الضيقة

الواقعة على البحر المتوسط ذات مناخ دافئ وبها أراض زراعية خصبة. ويتركز السكان كلهم تقريبا في تلك المنطقة وتقع مدينة الجزائر العاصمة وأكبر مدنها على شاطئ البحر المتوسط أما في الجنوب ، فإن الصحراء المترامية الأطراف بشمسها المحرقة تغطى أكثر من أربعة أخماس الجزائر. والجزائر جمهورية ذات نظام رئاسي، ومن حيث الحكم المحلى فالجزائر مقسمة إلى 48 ولاية. والاسم الرسمي : جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية والعاصمة: مدينة الجزائر Algiers والقارة : أفريقيا .وكود الدولة: AG . وتعداد السكان : 32,818,500 نسمة (يوليو 2003)، 32,277,942 نسمة (يوليو 2002), 31,736,053 نسمة (يوليو 2001) والمساحة: 2381740 كيلومتر مربع .والموقع : دولة عربية أفريقية ، ويحدها من الشمال البحر المتوسط ، ومن الشرق تونس و ليبيا ، ومن الجنوب النيجر و موريتانيا ، ومن الغرب المغرب وأرض الصحراء. ومعدل النمو السكاني: 1.65% (يوليو 2003)، 1.68% (يوليو 2002), 1.71 (يوليو 2001) وكثافة السكان : 13.78 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2003)، 13.32 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2001) ووفيات الأطفال لكل 1000 نسمة: 37.74 وفاة (يوليو 2003)، 39.15 وفاة (يوليو 2002), 40.56 وفاة (يوليو 2001) ومعدل المواليد لكل 1000 نسمة: 21.94 مولود (يوليو 2003)، 22.34 مولود (يوليو 2002), 22.76 مولود (يوليو 2001) ومعدل الوفيات لكل 1000 نسمة: 5.09 وفاة (يوليو 2003)، 5.15 وفاة (يوليو 2002), 5.22 وفاة (يوليو 2001) ومتوسط عمر الفرد: 70.54 سنة (يوليو 2003)، 70.24 سنة (يوليو 2002), 69.95 سنة (يوليو 2001) ونسبة الحضر: 55.8 (1999) وإجمالي الناتج المحلي: 167 بليون دولار أمريكي (يوليو 2002)، 140.2 بليون دولار (1998) والعملة: واحد دينار جزائري يساوي 100 سنتيم .نوع الحكومة : جمهورية والدستور: أقر في 19 نوفمبر 1976 .وحقوق التصويت : عمومي في سن 18 .والتقسيم الإداري: 31 إقليماً .والاستقلال عن فرنسا تم في 5 يوليو 1962 .و بالنسبة للشعب وأسلوب الحياة فمعظم شعب الجزائر ينحدر من العرب والبربر. وقد عاش البربر هناك حوالي خمسة آلاف

عام على الأقل . وبدأ وصول العرب من شبه الجزيرة العربية خلال القرن السابع الميلادي. وهكذا تزاوج الكثيرون من العرب والبربر من بعضهم البعض ، بحيث أصبح من الصعب اليوم فصل المجموعتين على أساس السلالة . غير أن الكثيرين من البربر في البلاد احتفظوا بلغتهم وثقافتهم أما ذوو الأصل الأوروبي فيشكلون أقل من 1 % من الشعب ومنذ أن حصلت الجزائر على استقلالها من فرنسا في عام 1962، عملت الحكومة على التخلص من نفوذ الثقافة الفرنسية، وحلت اللغة العربية محل اللغة الفرنسية في تعليم تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية. وقد نادى الكثيرون من الجزائريين بالالتزام الدقيق بتعاليم الإسلام في الحياة اليومية . ويعيش أهل الجزائر الريفيون عادة في عائلات كبيرة تضم عدة أجيال. ومعظم المنازل مبنية من الطين والقش أو من الحجارة ولها أسطح مستوية. واليوم الدولة قائمة على قدم وساق في إنشاء سكنات ريفية تليق بأهل الريف. ومعظم أهل الريف الجزائريين يربون الحيوانات أو يزرعون رقعا صغيرة من الأرض والعمارة في المدن الكبيرة بالجزائر تعكس التأثير الإسلامي، كما تعكس التأثير الأوروبي . فالمساجد والأسواق المقامة في الهواء الطلق شائعة هناك والأحياء القديمة في المدن تسمى قصبة. أما الأحياء الجديدة فتتميز بشوارع فسيحة ومبان مرتفعة للمكاتب والشقق السكنية وفى المدن الجزائرية يعمل الكثيرون في المصانع والمكاتب والأسرة المنزلية التقليدية تتألف من أب وأم وأولادهما فحسب .وكرة القدم هي أكثر الألعاب الرياضية شعبية في الجزائر. وأكثر من 90 % من الأطفال يدرسون في مدارس ابتدائية، ولكن لا يلتحق بالمدرسة الثانوية إلا من نجح في المسابقات الأولى. وجامعات الجزائر منتشرة بالبلاد ويدرس بها مآت آلاف الطلاب . والكثير من الأعمال الفنية في الجزائر تعكس التأثير الإسلامي . إذ توجد المساجد ذات القباب الجميلة في طول البلاد وعرضها . وقد اشتهر الجزائريون أيضا بصناعة المجوهرات ، والفخار، والسجاجيد، وصناعات يدوية أخرى. وبالنسبة للتاريخ فالجزائر نحها العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي ووقعت تحت الحكم العثماني منذ عام 1518م إلى عام 1830م عندما تم احتلالها من قبل فرنسا وقد هاجر إليها العديد من الجنسيات الأوروبية وانتقلت إليها الثقافة الفرنسية ولكن لم تمح الثقافة

العربية والإسلامية منها .ونالت استقلالها عام 1962م بعد كفاح طويل ومرير كما سبق أن ذكرت.ومظاهر السطح الجزائر ي تتكون من أربعة مناطق طبيعية رئيسية تمتد من الشرق إلى الغرب بشكلٍ متواز : في الشمال بطول ساحل البحر المتوسط وعلى امتداد 80 إلى 190 كم داخلياً (50 – 118 ميل) ، كما توجد منطقة "التل" وهي تتكون من سهل ساحلي ضيق ومتقطع تخلفه منطقة جبال أطلس التل.وتوجد معظم الأراضي الصالحة للزراعة داخل منطقة الوديان الوفيرة الموجودة في هذه المنطقة ، والمنطقة الثانية تقع بين الجنوب والجنوب الغربي وهي منطقة "الهضبة العليا" ، وهي عبارة عن أرض مرتفعة ، و تتعدد الأحواض التي تتجمع فيها المياه خلال فترات المطر مشكلة بحيرات ضحلة تتحول بمجرد جفافها إلى مسطحات للملح يطلق عليها "الشطوط" ، وتقع المنطقة الثالثة إلى الجنوب من الهضبة العليا حيث توجد سلسلة جبال أطلس الصحراء ، أما المنطقة الرابعة فتشكل أكثر من 90 % من المساحة الاجمالية للدولة وهي الصحراء الجزائرية الممتدة.و يغطي الحصى معظم الأرض وإن كان "العرق الشرقي الكبير" و"العرق الغربي الكبير" يشكلان مناطق واسعة من الكثبان الرملية وفي الجنوب توجد مرتفعات الأحجار التي تبلغ أعلى قممها في جبل الطاحات .والنهر الرئيسي في الدولة هو نهر "الشلف" الذي يبلغ طوله 725 كم (450 ميل) والذي ينبع من أطلس التل متدفقاً نحو البحر المتوسط ، ولا توجد أنهار دائمة جنوب منطقة التل.وبالنسبة للمناخ فإنه يسود منطقة التل في الشمال مناخ بحر متوسط نموذجي دفيء جاف صيفا معتدل ممطر شتاءاً وتعتبر هذه المنطقة من أكثر مناطق الجزائر رطوبة حيث يبلغ معدل سقوط الأمطار ما بين 400 إلى 1000مم (16 إلى 39 بوصة) ، و تتراوح درجة الحرارة بين 25 درجة مئوية في الصيف (77 فهرنهايت) و11.1 درجة مئوية في الشتاء (52 فهرنهايت) ، و خلال الصيف تهب الرياح الممتدة الحارة والجافة المسماه بـ (السيروكو) والتي تعرف محليا باسم (الشهيلي) شمالاً من الصحراء و كلما توغلنا جنوباً يزداد المناخ جفافاً ، ويبلغ معدل سقوط الأمطار في الهضبة العليا وصحراء أطلس نحو 200 إلى 400 مم (حوالي 8 إلى 16 بوصة) ، وتعتبر منطقة الصحراء من المناطق المتطرفة في درجات الحرارة اليومية فضلاً عن الرياح والجفاف

الشديد ، و عموما لا يزيد معدل سقوط الأمطار سنوياً عن 102 مم (4 بوصة) .وبالنسبة للبيئة فإنه يعتبر تآكل التربة بسبب فقر أساليب الزراعة والتصحر فضلاً عن تلوث الأنهار والمياه الساحلية وبخاصة مياه البحر المتوسط من الأمور ذات الأهمية الشديدة التي تحاول جاهدة الدولة للتخفيف منها، كما أن المياه النقية نادرة في الجزائر ، ويحصل الأغلبية سواء في الريف أو الحضر على المياه الصالحة للشرب بصعوبة وقد حاولت الدولة لاستخراج الأمياه الجوفية وتصفية المياه بطرق عصرية، والمناطق المحمية تشكل 5 % من مساحة الجزائر (1992م ) كما أقرت العديد من الاتفاقات حول الحياة البرية والبيئية ، و النمو السكاني أقل من معدله وهو في انخفاض مستمر ، و خلال العقد الماضي أدخلت تحسينات على الخدمات التي لها علاقة بمتوسط العمر ، ومعدلات الوفيات بين الأطفال.والمنتجات الرئيسية كثيرة ومتنوعة منها الزراعية : القمح ، الشعير، البطاطس ، الموالح ، الكروم ، البلح ، والزيتون الحيوانية : اللبن ، اللحم ، وبالنسبة للتصنيع فالغاز الطبيعي السائل ،ومنتجات البترول المكرر و الحديد والصلب وسيارات النقل ومواد البناءوالمنسوجات والفلين الخ.وبالنسبة للتعدين فالذهب والغاز الطبيعى والبترول وخام الحديدوالفوسفور والزئبق والزنك والرصاص.

والجزائر عضو في المنظمات الدولية التالية : البنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا, بنك التنمية الأفريقي, الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية, الجامعة العربية, صندوق النقد العربي, اتحاد المغرب العربي, رابطة الدول الأفريقية المنتجة للبترول, مجلس التعاون الجمركي, منظمة الأغذية والزراعة, مجموعة ال 15, مجموعة ال 19, مجموعة ال 24, مجموعة ال 77, الوكالة الدولية للطاقة النووية, البنك الدولي للإنشاء والتعمير, المنظمة الدولية للطيران المدني, الحركة الدولية للهلال والصليب الأحمر, بنك التنمية الإسلامي, الصندوق الدولي للتنمية الزراعية, الاتحاد الدولي لمنظمات الهلال والصليب الأحمر, منظمة العمل الدولية صندوق النقد الدولي .المنظمة الدولية للملاحة البحرية, المنظمة الدولية للملاحة عبر الأقمار الصناعية, المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية, المنظمة الدولية للبوليس الجنائي, اللجنة الاوليمبية الدولية, المنظمة الدولية للتوحيد القياسي, اتحاد الاتصالات العالمي, حركة

عدم الانحياز, منظمة الدول العربية المصدرة للبترول, منظمة الدول الأمريكية (مراقب), منظمة الوحدة الأفريقية, منظمة المؤتمر الإسلامي, منظمة الدول المصدرة للبترول, الأمم المتحدة, مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية, منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة, مكتب المفوض العام للأمم المتحدة للاجئين, منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية, اتحاد البريد العالمي, اتحاد العمال العالمي, منظمة الصحة العالمية, منظمة حماية حقوق التأليف العالمية, المنظمة العالمية للأرصاد الجوية, منظمة السياحة العالمية.

والجزائر Algiers; Alger : هي عاصمة جمهورية الجزائر Algeria وأهم موانئها، وكانت على دوام حقب التاريخ جيدة التحصين لأنها مدينة تجارية هامة. ولقد أسس العرب مدينة الجزائر عام 325هـ/935م وأسموها مدينة الفضة بسبب البريق الذي كان يشع من مبانيها التي كانت تبدو من بعيدٍ وكأنها خارجة من مياه البحر المتوسط مظهرة مظهرا رائعا خلابا. ولقد عاشت قروناً، وهي مقر حكم (الباي) الذي كان يسيطر على تجارة البحر المتوسط، ولقد هاجمها اللورد أكسموس مما أدى لتدمير الميناء والأسطول الجزائري ومنذ ذلك الوقت خضعت للفرنسيين الذين أخذوا يسيطرون على أنشطة المدينة، وبنوا فيها أحياء للأجانب وخاصة البريطانيين، وأقاموا فيها قاعدة بحرية لأسطولهم. وموقع مدينة الجزائر القديم كان يسمى إيكوسيم Ikosim، وهو تسمية فينيقية قديمة، وفي العصر الإسلامي شهدت ازدهارا واسعا في عهد دولة آل زيري، ثم شهدت توسعاً عمرانياً كبيرا في عهد الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وكان يسكنها حوالي مائة ألف نسمة، ولكنها تدهورت بعد الاحتلال الفرنسي لها عام 1244هـ/1830م، وهجرها أهلها فلم يبق منهم سوى 30 ألف نسمة فقط. وقد قاومت المدينة الاحتلال حتى نالت استقلالها عام 1381هـ/ والمدينة فيها ميناء تجاري هام يصدر منه الكثير من المنتجات الجزائرية، مثل: الزيتون والفاكهة والحبوب والحديد، وهي أكبر مركز تجاري في البلاد، وفيها مقر الحكومة والجامعة والمحطة المركزية للسكك الحديدية علاوة على مصانع للنسيج. ويبلغ عدد سكان الجزائر العاصمة حاليا حوالي ثلاثة ملايين نسمة يعملون في عدد كبير من الأنشطة الاقتصادية.

وجرت عند ميناء الجزائر معركة كبيرة بين خير الدين بربروس حاكم البلاد والحملة الإسبانية التي أرسلها شارل الخامس بقيادة نائب الملك (أوغودي مونكادا) لاحتلال المدينة. وكان قوام الحملة ثمانية آلاف جندي فتصدى لهم خير الدين بجيش قوامه خمسة آلاف مقاتل من أبناء البلاد. واتخذوا لهم مواقع- حصينة في المدينة. واستغل خير الدين عاصفة هوجاء حطمت السفن الإسبانية في الميناء وحرمت الحملة من الدم البحري فحمل عليهم حملة رجل واحد. واشتد القتال بين الطرفين وكان انتصار خير الدين ساحقا. ومات نحو أربعة آلاف إسباني بين قتيل وغريق ووقع الباقي في الأسر. وشهدت مدينة الجزائر آخر حملة إسبانية كبيرة كان على رأسها الإمبراطور الإسباني شارل الخامس وتضم الحملة 12 ألف بحار و24 ألف جندي من جنسيات مختلفة (من إسبانيا وإيطاليا وألمانيا). وعندما لاحت رايات وأشرعة الحملة بالأفق استعد حسن آغا الذي كان يحكم الجزائر نيابة عن خير الدين بربروس فدعم التحصينات وقطع أشجار الغابات في ضواحي العاصمة، وحشد كل قادر على حمل السلاح فبلغت قواته أحد عشر ألفا يدعمهم عدد كبير من المتطوعين. وأثار رجال الدين حماس المقاتلين واعتبروا الاشتراك في هذه المعركة واجبا مقدسا للدفاع عن البلاد. وعندما حاول البدو التصدي للقوات الغازية عند نزولها إلى البر تمكنت المدفعية الإسبانية من تشتيتهم. ورغم الانتصارات الأولية للإسبان لكن قوات الجزائر تشبثت في مواقعها واستفادت من العواصف التي حطمت السفن والأمطار الغزيرة التي حولت التربة إلى وحل، مع تدني الحرارة بشكل عرقل حركة الجنود، فبدأ المدافعون الجزائريون يستدرجون الغزاة إلى معارك صغيرة جانبية بينما كانت مدفعية القلعة تصليهم نارا حامية. وفي نوبة من اليأس قرر الإسبان الانقضاض على مدينة الجزائر في 27 تشرين الأول، دون إعداد مسبق، ولكن مدفعية الأبراج وسهام الرماة وسيوف الفرسان الجزائريين حصدت الجنود المهاجمين وأرغمت معظمهم على الفرار. واندفع حسن آغا يتقصى أثر فلولهم، بينما كانت الأمطار تعيق سرعة فرارهم. وبعد أن هدأت العاصفة كان شارل الخامس قد خسر على أسوار مدينة الجزائر قرابة 150 سفينة واثني عشر ألف

جندي. واحتفلت الجزائر بالنصر، وكانت هذه آخر محاولة جدية للإسبان للسيطرة على الجزائر.

## مراحل تاريخ الجزائر المستقلة

الجزائر بشعبها الأبي وثوارها الأحرار وزعمائها الأبطال وشهدائها البواسل أعادت استقلالها عام 1962م بعد كفاح طويل ومرير ضد الاحتلال الذي غزا الوطن وبقي محتلاله لأكثر من 130 عاماً وبعد ثورة شعبية راح ضحيتها مليون ونصف مليون شهيداً أعلن مرغما ومكرها ( الجنرال الفرنسي شارل ديغول انسحاب قواته من الجزائر ونالت الجزائر استقلالها بيد أحرارها وتشكلت أول حكومة وطنية مؤقتة برئاسة فرحات عباس وفي سبتمبر (أيلول) من عام 1962 انتخب فرحات عباس رئيساً للجمهورية وأحمد بن بله رئيساً للوزراء، وفي 13 سبتمبر أيلول 1963 انتخب أحمد بن بله رئيساً جديداً لمدة خمس سنوات وجمع بين رئاسته للحكومة والدولة ومنصب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وفي 19 يونيو (حزيران) 1965 تزعم قائد جيش التحرير الزعيم هواري بومدين القيادة وشكل مجلساً للرئاسة أطلق عليه مجلس قيادة الثورة برئاسته وعضوية عشرين عضواً وكان من الأسماء اللامعة في ذلك المجلس المجاهد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية آنذاك، وفي عام 1967 أعلنت الجزائر نفسها دولة اشتراكية وظل الرئيس هواري بومدين يحكم الجزائر حتى وفاته في السابع والعشرين من ديسمبر( ديسمبر) 1978 فخلفه المجاهد رابح بيطاط رئيس "الهيئة البرلمانية" كرئيس مؤقت حيث ينص الدستور على أن يتولى رئيس الجمعية الوطنية منصب الرئاسة لمدة خمسة وأربعين يوميا في حالة خلوه فجأة لحين انتخاب رئيس جديد للبلاد. وبعدها اختير الرئيس المجاهد الشاذلي بن جديد الذي أجري استفتاء شعبيا عليه في السابع من فبراير/( شباط) 1979 كان قد انتهى بفوزه بمنصب رئيس الجمهورية لمدة خمس سنوات وأعيد انتخاب الرئيس الشاذلي بن جديد لفترة رئاسية ثانية في يناير( جانفي) 1984 تنتهي في عام 1989. وفي عام 1988 وقع اندلاع عمليات عنف في البلاد راح ضحيتها بحسب المصادر الرسمية أكثر من 100 ألف قتيل واستقال الرئيس الشاذلي بن جديد من الحكم ليخلفه الزعيم الثوري المجاهد محمد بوضياف الذي كان يعيش في المغرب منذ عقود طويلة، ولم يدم حكمه غير عدة أشهر. بعده اختير الأمين زروال رئيساً جديداً للبلاد خلفاً

لمحمد بوضياف في عام 1994، وأجريت انتخابات برلمانية في يونيو ( جويلية) 1997 اشترك فيها عشرة أحزاب . وفي 15 أبريل(نيسان ) 1999 انتخب المجاهد الحاج عبد العزيز بوتفيلقة رئيساً للجمهورية بعد أن انسحب المرشحون الآخرون الذين كانوا يتنافسون على هذا المنصب . ثم بعد انتهاء العهدة أعيد انتخابه وفي عهد هذا الرئيس الفذ حل الأمن والوئام والسلم والمصالحة ولله الحمد والمنة أدامها الله نعمة وحفظ الجزائر وشعبها وقيادتها من كل ضير بجاه السراج المنير .

## الخطبة الثانية في المصالحة

قلت وأنا أكتب هذا الفصل طلبت للمشاركة في مسابقة أحسن خطبة بمناسبة دعوة فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة للمصالحة الوطنية والسلم فشاركت بخطبتين نجحت بهما الأول على مستوى الولاية وذلك في رمضان سنة 1427هـ / 2005م . ومن بينهما الخطبة الثانية هذه التي أدرجها هنا للمناسبة قلت فيها (الحمد لله العالم الخبير . أحمده سبحانه وهو بالحمد جدير . وأشهد أن لاإله إلا الله الخالق ا البصير . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين . البشير النذير . صلى الله وسلم وبارك عليه . وعلى آله وصحبه . ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين . أما بعد فقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ما عمل ابن آدم شيئًا أفضل من الصلاة و صلاح ذات البين و خلق حسن ) ( عباد الله ) إن أمتنا الجزائرية الوفية . تعلم علم اليقين أن المصالحة ستعود بكل خير على المجتمع أفرادا وجماعات وأنها كفيلة بتعزيز ما بيدها من مكاسب . إنها تعلم علم اليقين ومنذ أن اعتنقت عن بكرة أبيها سياسة الوئام المدني التي قالت كلمتها فيها بكل سيادة وريادة . أن سياسة الوئام المدني على غرار سياسة الرحمة التي سبقتها مكنت من تثبيط المسعى الذي كان يروم تشتيت شمل الأمة كما مكنت من حقن الدماء . وتعجيل الشفاء واستعادة استقرار الجزائر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ومؤسساتيا . واليوم وبسياسة إضافة سياسة السلم والمصالحة ستكتمل . بإذن الله . الجهود المبذولة من قبل الأمة وقادتها . وعقلائها وساستها . ولذلك ( معشر الأحباب ) ها هي اليوم الأمة مدعوة إلى الأدلاء بكلمتها حول بنود هذا الميثاق التاريخي الجلل . من أجل ترسيخ المشروع المبارك النزيه وتجنب الزل . وكما قلتها و كرّرتها على مسامعكم ( أيها الأحباب ) وبما أن ( الذكرى تنفع

المؤمنين ) فإني أحسب : أن أمتنا الجزائرئة هي على محك الإمتحان وهي مقبلة على فترة حاسمة ستقرر فيها مصير مسيرتها وهي ومن ألان على ابواب استفاء خطيرٍ يُحسبله ألف حساب . ويلاحظ فيه فقط رب الأرباب . ومسبب الأسباب . ومجري السحاب . وذلك التقرير إما قبول للمصالحة والوئام . والسلامة والسلام . وذلك يعني العافية والهناء . وإما نفور وانهيار . وانتكاسة واندثار وذلك يعني الخراب والفناء فالله الله ( عباد الله ) أصلحوا ذات بينكم يصلح لكم شأنكم . وتنتعش لكم شؤون دينكم ودنياكم . كما نص على ذلك نبيكم ومولاكم . ودعوا الفتنة فإنها حالقة للدين واليقين . وميتمة للبنات والبنين . وعالجوا أحوالكم بأيديكم . ولا تنتظروا العلاج من خارج محيطكم ولاتكونوا من الغافلين . فإن الله ( لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) واعلموا علما لاشك معه . أن الإدلاء بالصوت هو عبارة عن شهادة ملزمة يؤديها المرء مختارا وسيُسأل عنها يوم الرجوع إلى الله واللقاء . وكلنا بلا ريب مسؤول عما نحن فيه يوم الدين والجزاء . ثم إن الدال على الخير كفاعله وكما قال عليه السلام ( من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص من أوزارهم شيئا ) فخضوها مدوية . واجعلوها ناجحة مُلبية . جعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة . فإن الرب الرحيم . والخالق الحليم . قال وقوله الحق ( وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون ) اللهم اغفر للمومنين والمومنات . والمسلمين والمسلمات . الأحياء منهم والأموات . إنك سميع قريب مجيب الدعوات . رب العالمين . اللهم إني نسألك موجبات رحمتك . وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم . والغنيمة من كل بر . والفوز بالجنة . والنجاة من النار . اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع . ومن قلب لا يخشع . ومن دعاء لا يسمع . ومن نفس لا تشبع . ونعوذ بك من الجوع و الخيانة . ومن الكسل و البخل . ومن الجبن و الهرم . ومن فتنة الدجال وعذاب القبر . ومن فتنة المحيا و الممات . اللهم إنا نسألك قلوبا أواهة مخبتة منيبة في سبيلك . اللهم إنا نسألك عزائم مغفرتك . ومنجيات أمرك . اللهم أصلح الرعاة والرعية . واجعل هذه البلدة وسائر بلاد المسلمين آمنة مطمئنة رخية . بفضلك وجودك وكرمك يارب البرية . وصلى

الله وسلم على سيدنا محمد وآله(عباد الله ) (إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى . وينهَى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون .[48]

## ذكرى أول نوفمبر لسي بن عيسى بن الهدار

على ذكر الثورة الجزائرية اعجبتني قصيدة الشيخ الوالد سي بن عيسى الهدار التي ذكر فيها امجاد الثورة والتي يقول فيها رحمه الله تعالى :

قلت انجيب ابيات والله ايسهل ... باسمك يا معين ذا الكلمه تسهال

صل يا ربي اعلى خير الرسل ... جد الحسنين واصحابو والآل

عيد الثوره الخالده عنا قبل ... كل أُمه تاريخها شاهد سجال

ذكريات الشعب بيها يحتفل ... يوم ان شن الحرب ضد الاحتلال

للجزاير شعب ما يعرفش الذل ... والتاريخ ايجاوبك عن كل اسوال

كذا من ثورا التاريخ امسجل ... لنا ذكريات في كل الاجيال

قرن وثلث القرن والشعب ايناضل ... اتعذبنا في الحروب اسنين اطوال

عبد القادر حارب الزيش المحتل ... دار امعاهم حرب ماعندو مثال

بعدو ثوره بعد ثوره امراحل ... والمستعمر كان دايم في تهوال

اللي سار امع الدرب لابد يوصل ... والنتيجه نصر على كل حال

في الربعا وخمسين قمر الثوره هل ... في أول نوفامبر عاد النيضال

المستعمر قال هذا شي ساهل ... ما دارش باحسابنا في اول حال

جاب الجند اكثير باسلاح امدجل ... طيارت اسراب صنع اعلى لشكال

مرتزقه من اجنوس ابيض واكحل ... ودار امعاه اعوان غلطهم باقوال

بهزو ودزو عام في البر ايقنبل ... حس المدفع كانهو واقع زلزال

قلنا لو قاجيب جند الحلف اكل ... رانا مسعدين لكل احتمال

ثار الشعب اجميع كي وقفت راجل ... والايمان اسلاح وعم القتال

---

[48] خطبة جمعة شعبان 1426هـ / 2005م بالجلفة وقد نلت بهذه الخطبة وأولاهما جائزة أحسن خطبة سلمت لي ليلة بمسجد سي أحمد بن الشريف .الجلفة.

واطوالو ليام والحرب اسفحل ... وارصاص الثوره اعلى الكفرا ينهال
سبع اسنين ونصف والشعب ايقاتل ... اشيوخا وشبان ونسا وريجال
اجيوش الكفره عادت اتخاف امن الظل ... ماقدروش ايحاربو زل الامان
ماقدروش ايحاربو والزيش افشل ... واكثر رعبو ما ابقا في الحرب اينال
قاللهم ديقول حلو ذا المشكل ... في ذاللشعب ابطال راها الحق يقال
كي طولت الحرب حربي وين اوصل ... الشعب اخطانا كي راد الاستقلال
مدي حقو حرب عاجل او ءاجل ... لابد تتفاوضو في ذا المجال
ايا واتشوفوا امعايا كانش حل ... هذا الشعب اللي امصمم عنا صال
طلبو منا الصلح والهدف اتحول ... في خمسه جوليت قررنا الاجال
المستعمر كان دايم يتامل ... كي فرز الاصوات ظهر تلو لحوال
من غدوا دار اطريق اعلى لول ... خسر الحرب امع الربح وراس المال
شاوو في المرصى ولعقاب ايخمل ... وبعضو يرمي في البحر فالمتريال
راه الظلم ايزول وش اذا طول ... ظلم الظالم ايعود عنو بالوبال
شعب البهجه رد جوابو قايل ... المستعمر ما ايدوم اهنا محال
مانرضى من كان يحكم بالباطل ... مانرضى من كان ظلمو عنا طال
المستعمر ما ابقالو غا يرحل ... تطهر منو ارضنا وحكمو زال
الجزاير عن حقها ماتتنازل ... وابصراحه عندها صدق المقال
الجزاير باحدودها ماتبدل ... جمله عم اترابها دم الابطال
من وجده لوريس والصحرا والتل ... جبال وسهوب جنوب وشمال
الشعب اتحرر عادلو حقو كامل ... والحق المسلوب جا مافيه اجدال
اعلامو مرفوع للشعب ايمثل ... ابيض واخضر طبعتو نجمه واهلال
بفضل الجندي وفضل المسبل ... وبفضل اللي عان بالكسوه والمال
والثروه ولات بيد العامل ... واتخاوا ذاالشعب وللى فرد اعيال

خيراتــو للــشعب والثــوره تعــدل | المــسواة اتعمنـــا رايـــسنا قـــال
يا شــعب البــهجا اعليــك المــستقبل | عنــك واجبـــات مايخفـــاش الحـــال
لـــستعمار اللـــي امقنـــع يتحايـــل | كمـــا هـــي عـــادتو طـــامع مـــزال
لكــن هــذا الــشعب موهوشــي غافــل | عنــدو تجريبـــات دايـــم راد البـــال
حــب الــوطن اعليــك واجــب ياعاقــل | الــشهادا دمهــم عــن ارضــك ســال
ديــر الواجــب مـــا اتكونش متكاســل | واعمـــل للبنيـــا ن لابـــد راك اتنـــال
والعلـــم ايوريـــك تعـــرف ما تعمـــل | كـــل صـــنعا تقـــوم بـــالعلم ولعمـــال
نخـــتم ذا الابيـــات والقـــصيد اكمـــل | هـــذا باختـــصار والبـــاقي مـــزال
في الوحـــد وتـــسعين جمـــاد الاول | ثلثميـــا والالـــف والتـــاريخ اهـــلال
سـي بـن عيسى من انواحي عـين الابـل | ولــد الــصحرا النــايلي هــذا القــوال
في الجلفــه ســكان واعروشــو ترحــل | واعبيـــد الله نـــسبت الاب ولخـــوال
مرحبــا بالــضيوف والــضيف امبجــل | الــضيف ابقــدرو اعلــى النــاس الكمــال
مرحبـــا ذا الـــشعب بـــيكم ابوهـــل | بالفرحـــا واســـرور في ارض الابطـــال
مرحبـــا واهـــلا وســـهلا واتفـــضل | مرحبــا بــاللي جــاو حــضرو الاحتفــال
شقيق وصديـــق من كل الـــــــدول | في البهجــه تلقــاو حـــسن الاســـتقبال

حي الجزائر

على ذكر الجزائر الغالية ولكون ارض عين الابل هي جزء لايتجزؤ منها هاهي ذي القصيدة العصماء المتغنية بأرض الجزائر وذكرياتها الخالدة للأديب الود الود بن المغربي السعداوي . علما أنّ الشاعر في الظاهر يتكلم على الجزاير كقطر ووطن ولكنه في الحقيقة يلمح الى منطقته عين الابل التي هي جزء لايتجزء من الجزائر الابيه وهنا اشير الى ان الشاعر يسلك في وصفه هذا مسلك شعراء المهجر بل في القصيدة ايحاء من كلام جبران خليل جبران ( رحم الله ايام زمان كنت اقرا فيها مدونات جبران خليل جبران ووصفه للخريف وارياحه والشتاء وثلوجه فآه آه يا لغة العرب وآه لتصويراتك الجمالية ) حييت يا ( السعيد حساني بن عبد الله) وحيي الله مراجعك وسهراتك ) و هاهي ذي

القصيدة حسبما وجدتها غير أني أبدلت فيها كلمة (الغر) بكلمة (البر) لكون كلمة (الغر) جمع مؤنث لايتلاءم مع وصف كلمة (شهر) كما نبهني إلى ذلك الأستاذ يحي مسعودي. أقول ونصها الكامل هو:

| | |
|---|---|
| حـي الجزائر في ذكرى بطولتها | فشهرها (البَرُّ) بان اليومَ واقتربا |
| يا غرةً في جبين العُرب قد سطعت | ونجمة غلبت انوارها الشهبا |
| وسلوةَ القلب في اوقات محنته | إن ضاقت الاغيار في ارجائك طربا |
| وخمرةَ الكاس ما ضاق النديم بها | ولا تعربد سكران اذا شربا |
| لا يرتوي هائم من كاسها ابدا | إن عب كاسا هوى في اثرها نخبا |
| اني اناجيك والاشواق تغمرني | ومشعل الحب في قلبي قد التهبا |
| اكلم الارض. كم عانقت تربتها | وكم لها خافقت وكم لها لعبا |
| فيها الصحاب واترابي احادثهم | بأطيب العيش ما فينا الذي نصبا |
| عشقت فيها الدجى اشتدت حوالكه | عشقت فيها نسيم الفجر ان قربا |
| اهوى شتاءها ان هبت عواصفه | وان تبسم في ارضي اواكتأبا |
| واعشق الصيف رمضاء اصائله | ولو غدا حره في موطني لهبا |
| واعشق النَّور ان حل الربيع وان | ذكا اريجه في الزهر الذي شذبا |
| كذا خريفها ان بانت طلائعه | ورونق الورد في ابانه شحبا |
| في كل وقت بنات الشوق تطرقني | قد برح الشوق ولهانا بها وصبا |
| لاتحرمي مغرما بالوصل ملتمسا | ولا تردي لمشغول به طلبا |
| اهيم بالطير غنى في حدائقها | وفوق افنانها في نفة وشبا |
| وماؤها العذب ميسور لطالبه | شهْد لشاربه من سيله انسكبا |
| من رقة البحر قد رقت سمائمها | ومن شموخ الربا قد ضاهت الشهبا |
| ترابها بدماء العز مختلط | وصخرها الصلد من امجادها صلبا |
| وموطن النخل و الواحات انشده | فكم اوت سائحا فيها ومغتربا |

| | |
|---|---|
| فموطن النخل مـــــضياف لقاصده | للجود والمنح فيها منـــــزل رحبا |
| اهوى بيوتا بها بالشعر قد نســجت | اهوى جمالا وأهوى النوق والقــتبا |
| اكاد من تباريح لاشــوق يــؤرقني | اعانق النخل فيها أحتضن الكــتبا |
| جمالها قد ثوى قلبي بواحــــنه | متيّما وخيـــالي ساهما سلبا |
| جزائرٌ . حصّــنتنا في مرابضها | وضمّنـــا تربُها الغالي أبا فأبا |

## شعب الجزائر

مما نظمه الإمام عبد الحميد بن باديس قوله رحمه الله :

| | |
|---|---|
| شَعْبُ الجَزائِرِ مُسْلِمٌ | وَإِلَى العُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ |
| مَنْ قَالَ حَادَ عَنْ أَصْلِهِ | أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبْ |
| أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ | رَامَ المُحَالَ مِنَ الطَّلَبْ |
| يَا نَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا | وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدِ اقْتَرَبْ |
| خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلاَحَهَا | وَخُضِ الخُطُوبَ وَلاَ تَهَبْ |
| وَارْفَعْ مَنَارَ العَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَاصْدُمْ مَنْ غَصَبْ | |
| وَاقْلَعْ جُذُورَ الخَائِنِينَ | فَمِنْهُمُ كُلُّ العَطَبْ |
| وَأَذِقْ نُفُوسَ الظَّالِمِينَ | سُمًّا يُمْزَجُ بِالرَّهَبْ |
| وَاهْزُزْ نُفُوسَ الجَامِدِينَ | فَرُبَّمَا حَيِّ الخَشَبْ |
| مَنْ كَانَ يَبْغِي وَدَّنَا | فَعَلَى الكَرَامَةِ وَالرَّحَبْ |
| أَوْ كَانَ يَبْغِي ذُلَّنَا | فَلَهُ المَهَانَةُ وَالحَرَبْ |
| هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا | بِالنُّورِ خُطَّ وَبِاللَّهَبْ |
| حَتَّى يَعُودَ لِقَوْمِنَا | مِنْ مَجْدِهِمْ مَا قَدْ ذَهَبْ |
| هَذَا لَكُمْ عَهْدِي بِهِ | حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَبْ |
| فَإِذَا هَلَكْتُ فَصَيْحَتِي | تَحْيَا الجَزَائِرُ وَالعَرَبْ |

## احتلال تونس

أراد حكام تونس الوطنيين إدخال المدنية الغربية إلى بلادهم، ومن أجل ذلك قبلوا الاستدانة من دول أوربا مما أوجد فى النهاية الفرصة للتدخل الأجنبى فى شئون تونس وكانت فرنسا هى المعنية بالدرجة الأولى بأمر تونس ولكي تبرر تدخلها السافر فى أمر تونس ادعت قيام إحدى القبائل التونسية بالاعتداء على عمال فرنسيين، فدخلت قوات فرنسا تونس وحاصرت العاصمة وأجبرت الباى على توقيع اتفاقية تاردو سنة (1299هـ / 1881م)، والتى يعترف فيها بالحماية الفرنسية على تونس وبحق فرنسا فى إبقاء قواتها فى الأراضى التونسية بالإضافة إلى رعاية فرنسا لمصالح تونس فى الخارج، أى قبوله احتلال «فرنسا» لتونس. ولكن الشعب التونسى رفض قبول هذه الاتفاقية وثار عليها، ولكن القوات الفرنسية المجهزة بأحدث الأسلحة أخمدت هذه الثورة بكل عنف سنة (1301هـ / 1883م) وقيدت الباى بمعاهدة جديدة استكملت بها احتلال تونس. ثم وبعد نضال كبير من مجاهدي تونس أعادت تونس استقلالها وها هي نبذة من تاريخها كما ذكرته موسوعة أطلس الحاسوبية:

### تونس

تونس Tunisia هى دولة تقع فى أقصى شمال أفريقيا، ويحيط بها من الشمال والشرق البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب الجزائر ومن الجنوب ليبيا. وتونس جزء من العالم العربي، ويتحدث أهلها كلهم تقريبا العربية ويعيشون حياة ذات طابع عربي. ومدينة تونس هي العاصمة، وهى أكبر المدن التونسية وتعتبر مركز الحياة الثقافية والسياسية بالبلاد. الاسم الرسمي: الجمهورية التونسية. العاصمة: مدينة تونس Tunis. القارة: أفريقيا. كود الدولة: TS. تعداد السكان: 9,924,742 نسمة (يوليو 2003)، 9,815,644 نسمة (يوليو 2002), 9,705,102 نسمة (يوليو 2001)المساحة: 163610 كيلومتر مربع. الموقع: دولة عربية تقع في شمال أفريقيا يحدها من الشمال والشمال الشرقي البحر المتوسط – من الجنوب الشرقي ليبيا – من الجنوب الغربي والغرب الجزائر. معدل النمو السكاني: 1.09% (يوليو 2003)، 1.12% (يوليو 2002), 1.15 (يوليو 2001). كثافة السكان: 60.66 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2003)، 59.32

نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2001) .وفيات الأطفال لكل 1000 نسمة: 26.91 وفـاة (يوليـو 2003)، 27.97 وفـاة (يوليـو 2002), 29.04 وفـاة (يوليـو 2001) .معدل المواليد لكل 1000 نسمة: 16.53 مولود (يوليو 2003)، 16.83 مولود (يوليو 2002), 17.11 مولود (يوليو 2001) .معدل الوفيات لكل 1000 نسمة: 5.02 وفاة (يوليو 2003)، 5 وفاة (يوليو 2002), 4.99 وفاة (يوليو 2001) .متوسط عمر الفرد: 74.40 سنة (يوليو 2003)، 74.16 سنة (يوليو 2002), 73.92 سنة (يوليو 2001) .نسبة الحضر: 57.2 (1999) .إجمالي النـاتج المحلـي: 63 بليـون دولار أمريكـي (يوليـو 2002)، 49 بليـون دولار (1998) .العملة: 1 دينار تونسي = ألف مليم .نوع الحكومة: جمهورية .الدستور: 1 يونيو 1959 وعـدت مـواده في 12 يوليـو 1988 .حقـوق التـصويت: عمـومي في سـن 20 .الاستقلال : استقلت عن فرنسا في 20 مارس 1956 .الحكومة : نظام الحكم في تونس هو النظام الجمهوري ويرأس الجمهورية رئيس ينتخبه الشعب لدورة مدتها خمس سنوات ويعين الرئيس حكومة يرأسها رئيس الوزراء وهناك هيئة تشريعية واحدة في تونس هي الجمعية الوطنية، ويبلغ عدد أعضائها 163 عضوا يتم اختيارهم بالانتخاب لفترة خمس سنوات وحق التصويت مكفول لكل من استوطن البلاد لمدة خمس سنوات فأكثر وممن بلغ من العمر عشرين سنة فصاعدا ويعين رئيس الجمهورية محافظي المحافظات التونسية البالغ عددها 13 .الناس وطريقة الحياة: تتميز الحياة فى تونس بأنها أكثر انتظاما عنها فى معظم البلدان الأخرى فى أفريقيا والشرق الأوسط ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى وحدة اللغة والدين. ومعظم المواطنين التونسيين من العرب ويتحدث عدد كبير من أفراد الشعب الفرنسية كلغة ثانية .وتنقسم معظم المدن التونسية إلى أحياء قديمة وأحياء حديثة، وتتسم الأحياء القديمة بالشوارع الضيقة والأسواق المغطاة، أما الأحياء الحديثة فتتميز بالشوارع العريضة المزدانة بالأشجار وبالأبنية ذات الطراز الأوروبي .ويرتدى كثير من الناس فى المدن الملابس ذات الطابع الغربي وفى الريف، يعيش معظم الناس فى بيوت من الحجر أو الإسمنت المسلح. ويرتدى الكثيرون الزى العربى التقليدى .التاريخ : ظلت تونس تمثل أفريقيا في نظر الشعوب القديمة على مدى قرون طويلة. وقد أنشأ الفينيقيون الإمبراطورية القرطاجية في تونس نحو عام 1100 قبل الميلاد وشيدت مدينة قرطاج الشهيرة بالقرب من الموقع الحالى لمدينة تونس نحو عام 814 قبل الميلاد وفى عام 146، قبل الميلاد احتل الرومان قرطاج وظلوا يحكمون

تونس لمدة 600 عام.وفى 439 م، اجتاح الواندال، وهم قبيلة أوروبية، تونس وهزموا الرومان واحتلوا قرطاج، وظلوا يحكمون المنطقة لمدة تناهز مائة عام. ثم جاء البيزنطيون من القسطنطينية (استامبول الحالية) ودحروا الواندال فى عام 534 م.ووفدالعرب على تونس عام 27هـ [647م ] في خلافة عثمان بن عفان على يد واليه عبد الله بن أبي السرح بعد أن تم لهم فتح مصر وبرقة، وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان قضى واليه معاوية بن حديج عام 45 هـ على البقية الباقية من الاستعمار الروماني في شمال أفريقيا وفتح سوسه و بنزرت عنوة، وأعقبه على ولاية أفريقيا عقبة ابن نافع عام 50هـ [670م ]فبنى مدينة القيروان وجعلها قاعدة الدولة الإسلامية الأفريقية ثم أقام الوالي حسان بن النعمان أول دار للصناعة البحرية في تونس ومنها سارت الأساطيل الإسلامية لفتح صقلية وشواطئ إيطاليا وجزر البليار ومالطة.وتولي على تونس عدد من الولاة الخاضعين للخلافة الأموية والعباسية قامت بها سلسلة من الدول الحاكمة هي ما يأتي :1- دولة بني الأغلب أو الأغالبة نسبة إلى الأغلب بن سالم، والتي حكمت بين عامي [184-296هـ ][800-908 م ].

2- دولة العبيديين أو العلوم نسبة إلى عبيد الله المهدي، وحكمت بين عامي 296-361هـ [908-971م ].3- دولة بني زيزي الصنهاجية، حكمت بين عامي 361-542هـ [971-114م ].4- دولة الموحدين بالمغرب، وبسطت حكمها على تونس بين عامي 555-603هـ [1160-1206م ].5- الدولة الحفصية أو بني حفص، نسبة إلى أبي حفص عمر الهنتاتي حكمت بين عامي 692-982هـ [1206-1574م ]6- دولة الدايات، وقامت باستيلاء العثمانيين على تونس على يد باربروسة وسنان باشا عام 981هـ [1573م ].7- الدولة الحسينية، أو دولة البايات، قامت عام 1117هـ [1705م ]، وفي سنة 1298هـ [1881م ] و8- دخلت تونس تحت الحماية الفرنسية حتى أعلن استقلالها عام 1376 هـ [1956 م ]ثم أعلن النظام الجمهوري بها في السنة التالية فكان الباي محمد الأمين آخر من حكم تونس من الأسرة الحسينية وانتخب الحبيب بورقيبة رئيسا للدولة عام 1377هـ [1957م ] و الحكومة ونص الدستور على اعتبار اللغة العربية هي اللغة الرسمية والإسلام دين الدولة وظل الحبيب بورقيبة على رأس السلطة في تونس طيلة ثلاثين عاماً (1957-1987) إلى أن تدهورت حالته الصحية، فانتقلت السلطة إلى الوزير الأول (رئيس

الوزراء) زين العابدين بن علي الذي استطاع تولي المسؤولية وفي الثاني من أبريل/ نيسان 1989 أجريت انتخابات نيابية ورئاسية فاز فيها زين العابدين بن علي بمنصب رئيس البلاد . وفي 20 مارس/ آذار 1994 أعيد انتخاب بن علي بعد انتخابات برلمانية ورئاسية ،و في 24 أكتوبر/تشرين 1999 أعيد انتخاب بن علي في انتخابات شارك فيها للمرة الأولى مرشحون آخرون غيره، كما فازت المعارضة بـ 20 % من مقاعد البرلمان البالغة 182، وفازت النساء بـ 21 مقعداً .ومظاهر السطح التونسي يمكن تقسيمها من الشمال إلى الجنوب إلى أربعة مناطق طبوغرافية: ففي الشمال يقطع الدولة بعض نتوءات قليلة الارتفاع من جبال أطلس التل في الاتجاه جنوب غربي إلى شمال شرقي حيث يتراوح معدل الارتفاعات بين 610 إلى 1.520 متر (2.001 إلى 4.987 قدم)و تنتشر الأودية والسهول الخصبة حول الجبال في هذه المنطقة. إلى الجنوب تفصح الجبال عن هضبة يبلغ ارتفاعها حوالي 610 متر (2.001 قدم) .وإلى الجنوب أكثر تنحدر الهضبة تدريجيا نحو سلسلة من "الشطوط" المنخفضة (بحيرات ملح) تمتد من الشرق إلى الغرب عبر الدولة.ويقع العديد من هذه البحيرات تحت مستوى البحر.وفي الجنوب تجاور الشطوط الصحراء الكبرى التي تشكل حوالي 40% من مساحة الأرض التونسية.ونهر الدولة الوحيد هو "وادي مجردة" وهو يمر بشمال تونس من الغرب إلى الشرق ويصب في خليج تونس.وبالنسبة للمناخ فشمال تونس يسوده مناخ بحر متوسط معتدل، وبالاتجاه جنوبا يزداد المناخ حرارة وجفافا ، و تتراوح درجات الحرارة بين 11 درجة (52 فهرنهايت) في يناير و 26 درجة (79 فهرنهايت) في يوليو ، يبلغ معدل سقوط الأمطار سنويا حوالي 610 مم (24 بوصة) ولكنه قد يختلف اختلافا كبيرا من عام إلى عام ، و في المناطق الشمالية تتعرض لموسم المطر في الفترة من أكتوبر إلىمايو ، ويقل معدل سقوط الأمطار السنوي كلما اتجهنا جنوبا حيث يكون حوالي 178 مم (7 بوصة) فقط في الصحراء .وبالنسبة للبيئة فلمياه في تونس نادرة والجفاف متكرر، و ثلث سكان الريف فقط هم اللذين يحصلون على المياه الصالحة للشرب، كما زاد الإنتاج الزراعي خلال العقد الأخير ولكنه تسبب في التآكل الشديد في التربة حيث زادت الزراعات الهامشية وزاد الرعي. و

أصبحت تونس من الدول القادرة على التعامل مع مشكلة مخلفات الصرف الصحي بفاعلية أكثر من جيرانها ولكن مخلفات الحضر التي لم تعالج لازالت تشكل مشكلة حيث تتسبب في تلويث مصادر المياه بما فيها البحر المتوسط .وبالنسبة للاقتصاد فتعد تونس من أكبر البلدان المنتجة للفوسفات، كما أن لديها موارد نفطية تكفى لتلبية الحاجة المحلية والتصدير . وتشكل الأغذية والسلع الأساسية معظم المنتجات الصناعية فى تونس وأهم المحاصيل والمنتجات الزراعية هي القمح والشعير والعنب (المستخدم فى صناعة النبيذ) والزيتون وزيت الزيتون والتمر . كما يسهم قطاع السياحة بنسبة كبيرة من الدخل القومى . وتقع معظم المدن التونسية الكبرى، والصناعات والأراضى الخصبة فى شمالى وشرقى البلاد . وتتسم هذه المناطق بأنها أغنى من الجنوب الجاف والأقل تطورا .وتونس لديها شبكة جيدة من الطرق وخطوط السكة الحديد . وأهم الموانئ التونسية هى تونس العاصمة وحلق الوادى وبنزرت وسوسة وصفاقص. والمنتجات الرئيسية:الزراعة: الشعير والموالح والزيتون والقمح والكروم. وبالنسبة للتعدين فيتمثل في الحديد والرصاص والليجنيت (نوع من الفحم الحجرى) والفوسفات والزنك.والأشجار (الأخشاب) هي البلوط والصنوبر .وتونس هي عضو في المنظمات الدولية التالية: البنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا , وكالة التعاون الثقافي والتكنولوجي, بنك التنمية الأفريقي, الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية, الجامعة العربية, صندوق النقد العربي, اتحاد المغرب العربي, التعاون الاقتصادي لمنطقة البحر الأسود (مراقب), مجلس التعاون الجمركي, منظمة الأغذية والزراعة, مجموعة ال 77, الوكالة الدولية للطاقة النووية, البنك الدولي للإنشاء والتعمير, المنظمة الدولية للطيران المدني, الغرفة الدولية للتجارة, الاتحاد الدولي لاتحادات التجارة الحرة, الحركة الدولية للهلال والصليب الأحمر, بنك التنمية الإسلامي, الصندوق الدولي للتنمية الزراعية, الاتحاد الدولي لمنظمات الهلال والصليب الأحمر, منظمة العمل الدولية, صندوق النقد الدولي, المنظمة الدولية للملاحة البحرية, المنظمة الدولية للملاحة عبر الأقمار الصناعية, المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية, المنظمة الدولية للبوليس الجنائي, اللجنة الاوليمبية الدولية, المنظمة الدولية للتوحيد القياسي, اتحاد

الاتصالات العالمي, حركة عدم الانحياز, منظمة الدول العربية المصدرة للبترول (سحبت من الأعضاء النشطين عام 1986), منظمة الدول الأمريكية (مراقب), منظمة الوحدة الأفريقية. منظمة المؤتمر الإسلامي, الأمم المتحدة, مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية, منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة, مكتب المفوض العام للأمم المتحدة للاجئين, منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية, اتحاد البريد العالمي اتحاد التجارة الحرة العالمية, منظمة الصحة العالمية, منظمة حماية حقوق التأليف العالمية, المنظمة العالمية للأرصاد الجوية, منظمة السياحة العالمية, منظمة التجارة العالمية

وتونس Tunis : هي عاصمة دولة تونس وإحدى أهم المدن الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تطل على خليج تونس لجهة الشرق حيث مرفؤها التجاري المزدهر، وتقع على خط 36 47 39 شمالا، وخط طول 51 7شرقي جرينيتش. وتونس مدينة تاريخية قديمة عمرت من أنقاض قرطاجنة، وكان اسمها في القديم ترشيش، وهي في الوقت الحاضر مدينتان متصلتان متباينتان تمام التباين تختلف الحياة في إحداهما عن الأخرى اختلافا عظيما، فالأولى مدينة يسكنها أهل البلاد وليسوا جميعا من المسلمين، وهي أثر من آثار القرون الخوالي بقي على حاله أو كاد، أما الأخرى فمدينة أوروبية حديثة النشأة مظهرها جديد وما زالت تنمو وتتسع باطراد. والمدينة القديمة على مسيرة ثلاثة أرباع الميل تقريبا من طرف البركة المسماة ببحيرة تونس، وهي ترتفع شيئًا فشيئًا من الشرق إلى الغرب حتى تشرف على مغيض من ماء ملح يكاد يجف يعرف ب "سبخة السيجومي"، وعلى هذا الجانب خارج أرباض تونس ذروة "المنوبية" وفيها مشارف مترامية وإلى الجنوب الشرقي من المدينة وفي كنفها هضبة أبي الحسن وجبل الجلود، وعلى مسافة أخرى تلال "بير كسه" وإلى الشمال هضبتا "بلفادير" و "رأس الطابية" ووراءهما جبل أحمر وجبل نهيل ولا تحول هذه المعارج بين تونس وبين سهولة الاتصال بسهل مرناق ووادي نهر ملينة من ناحية وبسهل منوبة ووادي مجردة من ناحية أخرى كما يصلها ساحل البحيرة الشمالي بحلق الوادي Goulette قرطاجنة وحصونها الطبيعية جيدة وإن لم تكن ممتازة فكثيرا ما احتلت تونس من غير عناء كبير، ولولا صهاريجها لجلب الناس

ماء الشرب من بعيد، وموقع تونس موات جدا من الناحية الاقتصادية فهي على المخارج من أواسط بلاد تونس في موضع جد خصيب، وهي قريبة من البحر والصلة بينها وبين السواحل الأوروبية الدانية قريبة. ولم تصبح تونس مدينة عظيمة إلا بعد ذلك بأمد طويل ولم يكن لها شأن خاص في عهود الرومان والوندال والبيزنطيين. وقد افتتحها المسلمون في عهد عبد الملك بن مروان، فنزل عليها من قبله حسان بن نعمان بن عدي الأسدى فسأله الروم أن لا يدخل عليهم، وأن يضع عليهم خراجا يقسطه عليهم فأجابهم إلى ذلك، ولما رجع حسان إلى القيروان رجعت الروم إلى تونس فاستباحوا المسلمين فأرسل حسان من أخبر عبد الملك فأمده بجيش كبير فقاتل به الروم حتى ملكها عنوة وكان ذلك في سنة 70 هـ / 690م، فأحكم بناءها وجعلها رباطا للمسلمين. ومن ذلك التاريخ برزت مدينة تونس من الظلمات إلى النور وسجلت اسمها في صفحات التاريخ بوصفها المدينة الإسلامية التي ورثت بعض مفاخر قرطاجنة، ثم سرعان ما أخذت تنافس مدينة القيروان، فلما استولى حسان بن النعمان عام 78هـ / 698م على قرطاجنة العاصمة القديمة ودمرها بادر إلى البليدة القائمة عند نهاية البحيرة وأخذ يحولها إلى قاعدة بحرية تقلع منها الأساطيل في سفرات نائية ويحتمي فيها من مباغتة الروم. ومدينة تونس كانت مجمع المعارضة ومركز مناهضة السلطان في القيروان، وكان الجند من بني تميم الذين تضمهم أسوارها مبعث القلاقل والفتن واشتركت تونس في جميع الفتن التي أخمدها أمراء الأمويين والعباسيين ثم أمراء الأغالبة واشتركت في الثورة الكبيرة التي حمل لواءها منصور الطنبذي ففتحها زيادة الله الأول عنوة وخرب أسوارها عام 218هـ/ 833م، وأنزل بها إبراهيم الثاني كل غضبه بعد فتنة من هذه الفتن ورأى أن يضبط أمورها بنقل بلاطه وقصبة حكومته إليها عام 281هـ/ 894م وشيد لهذا الغرض عددا من المباني منها "القصبة" ولكنه قفل راجعا إلى رقادة بعد عامين اثنين، ولما حاول ابنه عبد الله الثاني أن يعود إلى الاستقرار في تونس عام 290هـ / 903م قتل في قصر بناه لنفسه وشيكا وقتل قاتلاه وعلق الأول على باب الجزيرة والثاني على باب القيروان ولم تكن الأسباب قد تهيأت بعد لكي تصبح تونس قصبة إفريقية. وقد كانت تونس في أمن ورخاء ما يقرب من قرن حتى وقعت في

منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي تحت سيطرة العرب الهلالية، وغلب الفاتحون الجدد بني زيري الضعفاء على أمرهم فاعتكفوا في المهدية، ووقعت تونس زمانا في يد عابد ابن أبي الغيث أمير بني رياح عام 446هـ/ 1055م لم تأمن على نفسها فدخلت في طاعة الناصر الحمادي صاحب القلعة فأرسل إليها عامله عبد الحق بن خراسان الصنهاجي عام 451هـ/ 1059م، وسرعان ما جاهر هذا العامل باستقلاله فتأسست بذلك أول دولة تونسية، ومكنت هذه الدولة لنفسها قرنا من الزمان إلا عشرين عاما من 487هـ / 1094م إلى 567هـ/ 1172م حتى دخلها الموحدون بعد ذلك بقرن. وقد أخذ شأن مدينة تونس يعظم حتى أصبحت قصبة إفريقية، وظل هذا حالها من أيام عبد المؤمن عام 554هـ / 1159م فاندمج تاريخها السياسي في تاريخ سلطنة تونس. وقد أفزعت الناس غارات ابن عبد الكريم الرغراغي الفاشلة عليها عام 595هـ / 1199م. كما شق عليهم حكم آخر المرابطين يحيى ابن غانية عام 563هـ / 1168 العابر فكان من نصيب الحفصيين أن يعيدوا إلى تونس أمنها وسلامتها وأن يزيدوا في منشآتها وأن يجعلوا منها قصبة جديرة باسمها. وكان أول حفصي تولي شئون تونس واليا للموحدين إلا أن هذا الوالى أبا زكريا لم يلبث أن خلع طاعة الموحدين ولقب بالإمارة ودعا لنفسه على المنابر. وفي أيامه 625-647هـ / 1228-1249م عقدت الإمارة الحفصية معاهدات تجارية مع كل من البندقية وبيزا وجنوة، كما تمت في أيامه مرسلات دبلوماسية مع فريدرك الثاني ملك صقلية ومع أرغوان. وفي أيام خليفته عبد الله 647-675هـ / 1249-1277م كانت بينه وبين النروج وكانم وبورنو، في أواسط الصحراء الافريقية، سفارات. وقد أعلن أبو عبد الله نفسه خليفة وتسمى بأمير المؤمنين عام 650هـ/ 1253م وتلقب بالمنتصر. وبعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد 656هـ / 1258م اعترف به شريف مكة خليفة وريثا للعباسيين. وفي عام 668هـ/ 1271م قاد لويس التاسع الفرنسي حملة ضد تونس وهدد المدينة ولكن الحملة باءت بالفشل، إذ توفي لويس وهو على الحصار. وقد مرت تونس بفترة مضطربة بعد وفاة المنتصر امتدت أكثر من قرن، ولم يعد للدولة الحفصية قوتها وتنظيمها ثانية إلا في أيام ثلاثة من كبار حكامها وهم: أبو العباس

المستنصر وأبو فارس المتوكل وأبو عمرو عثمان الذين حكموا من 772-893هـ / 1370- 1488م، وقد كان للدولة في أيام الأخيرين بشكل خاص دور كبير في شئون المغرب العربي، إلا أن السنوات الأخيرة التي امتدت من 893 إلى 982هـ / 1488-1574م كانت سنوات اضطراب داخلي وخارجي. وقد تعاقبت على تونس حكام استنجدوا بالخارج ودفعوا ثمن ذلك من البلاد .وفي القرن السادس عشر وصل الضعف بالأسرة الحفصية إلى الاستنجاد بالأسبان، وتوقيع معاهدة معهم تعطي الأسبان امتيازات ضخمة تبيح لهم السكنى بجميع أنحاء القطر التونسي، بل وتنازلت لهم عن مدينة "عنابة " و"بنزرت" و"حلق الوادي" . وأدى هذا لثورة انتهت بتولية السلطان الحفصي أبي العباس الثاني الذي حكم تونس 942-980هـ / 1536-1573م لكن الأمور في تونس لم تستقر . وحين اشتد الخلاف بين الأمير الحفصي أبي العباس الثاني ووزيره أبي الطيب الخضار اتصل الأخير بوالي الجزائر وحرضه على احتلال تونس، فانتهز العلج هذه الفرصة وخرج على رأس جيش حيث التقى بجيش الأمير الحفصي عند سهل "باجة" وبعد قتال مرير انخذل أبو العباس وتقدم العلج عليّ صوب المدينة المحاصرة ودخلها عام 972هـ / 1565م ونصب عليها أحد قواده، وأخذ البيعة بها للسلطان سليم الثاني العثماني، أما أبو العباس فقد لجأ إلى الأسبان مستنجدا بهم، فأعد الملك فيليب الثاني قوة كبيرة لمواجهة تونس على أن يقتسم مع أبي العباس حكم البلاد ودخلها الأسبان بقبول محمد بن الحسن أخو أبي العباس شروطهم .وفي ربيع الأول 981هـ / 1573م خرجت قوة عثمانية كبيرة من إستانبول على رأسها سنان باشا الوزير العثماني، بالإضافة إلى قوة بحرية بقيادة العلج علي بعد أن أصبح قائدا للأسطول العثماني، وحاصر العثمانيون "حلق الوادي" برا وبحرا فاضطر الأسبان والأمير الحفصي الموالي لهم إلى الهرب والالتجاء للحصون، فلحق بهم الجيش العثماني وتمكن سنان باشا من تضييق الخناق على الحاميات الأسبانية حتى سلمت للجيش العثماني وقبض على الأمير الحفصي محمد بن الحسن وأرسله إلى إستانبول، وانطوت بذلك صفحة حكم الحفصيين في تونس على أيدي الأتراك عام 982هـ / 1574م الذين ضموا القطر إلى دولتهم المترامية الأطراف. وفي

القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي احتل أهل الجزائر تونس مرتين أولهما عام 1045هـ / 1636م والثانية عام 1053هـ / 1643م وأصبحت فتنا سفكت فيها الدماء، ولم تكن الأسوار من المناعة بحيث ترد هجوما عنيفا .وفي ربيع الأول عام 1117هـ / 1705م انتقلت الولاية في تونس إلى حسين بن علي فأسس أسرة حاكمة هي الأسرة الحسينية التي استمرت في حكم في تونس إلى الاستقلال وإعلان الجمهورية بها عام 1976م.وتتميز مدينة تونس بمناخها المتوسطي المعتدل، وبهوائها الطيب، وبكثرة البساتين والحدائق المتعددة الثمار الموجودة في شمال المدينة، والتي تدين إلى المهاجرين الأندلسيين بتنوع زراعاتها وإتقانها وترتيبها المحكم والملائم للذوق السليم. وقد كانت الضيعات الخاصة مجاورة للمنتزهات والقصور السلطانية، التي كان السلطان وأعضاء حاشيته يلتجئون إليها ليستريحوا فيها .وبالنسبة للأسوارفتتميز مدينة تونس بأسوارها وأبوابها الجميلة المبنية بالطوب، فنجد في الشمال باب السويقة الذي يفتح على الربض وهو مطابق لباب السقائين سابقا، وفي الجهة الشمالية الشرقية يوجد باب قرطاجنة الذي كان متجها إلى قرطاج، ومن الناحية الشرقية يقع باب البحر قرب الباب الذي يحمل الآن اسم "باب فرنسا" وهو يربط بين المدينة والميناء، وفي الجنوب الشرقي نجد باب الجزيرة. كذلك تنتصب القلعة أو القصبة في وسط الجانب الغربي والتي لم يبق منها الآن أي أثر ما عدا جامعها، وهي تقع على ربوة قليلة الارتفاع تمكن في آن واحد من مراقبة المدينة ومسالك تونس الوسطى والشمالية، وقد أعاد عبد المؤمن بناءها تماما ببروجها المثلثة الزوايا وفصلها عن المدينة بسور، ثم أعاد تهيئتها أبو زكرياء وذلك في الربع الثاني من القرن الثالث عشر، ثم أتمها ابنه المستنصر .وبالنسبة للقصور فيوجد في تونس عدة قصور شهيرة منها قصر باردو الشهير المقتبس من أسبانيا، إلى جانب ستة قصور ملكية توجد في شارع طوله نصف ميل ترتفع هذه القصور على جانبيه. ويعد متحف قصر باردو من أجمل الأماكن في مدينة تونس، حيث يتميز بمحتوياته التي تكاد تشمل العصور والأمكنة في تونس، ويزخر المتحف بمجموعات نادرة وفريدة من الفسيفساء والنحوتات التي تعتبر شواهد على كل أحقاب التاريخ التونسي والحضارات التي تعاقبت على البلاد، وتعتبر

الفسيفساء المعروضة من أضخم المجموعات العالمية وتتألف من لوحات تعود إلى العهد الروماني، هذا عدا بناء المتحف الذي يعود إلى عام 1299هـ/ 1882م والذي أقيم في جناح الحريم بقصر باردو البديع، والبناء بذاته نموذج للفن المعماري التونسي في القرن التاسع عشر الميلادي، وشكل القباب في بعض القاعات تجد ذاته من العجائب حيث الحجم الكبير والدقة في الزخرفة والألوان التي يدخلها الذهب أو تطلى به بين المسافة والأخرى، ويتميز باردو بتنوع معروضاته حسب الزمان والمكان. كما يوجد قصر رأس الطابية المثير للإعجاب، يشتمل وسط البساتين الغناء على أربعة أقسام ذات ثلاثة طوابق في شكل متقاطع وساحات داخلية مبلطة ومزدانة بعدد من الفورات. وعلى مسافة غير بعيدة من رأس الطابية كان يوجد شمال العاصمة قبل أريانة رياض أبي فهر المشهور بأيكته وأجنحته ذات المرمر والخشب المزخرف، وحوضه الضخم الذي كان يتنزه فيه. وكذلك المنتزه الملكي المعروف باسم روض السناجرة الذي كان موجودا بالقرب من مدينة تونس. وبالنسبة للمساجد فتتميز مدينة تونس بكثرة مساجدها، ومن أبرزها مسجد الزيتونة الذي بناه عبد الله بن الحبحاب عام 114 هـ / 732 م، وأتم بناءه أبو العباس محمد بن الأغلب وكان ذلك في عهد المعتصم. والمسجد مميز بعمارته وصومعته وقبابه و أقواسه وأعمدته الرخامية، والخطوط العربية وأعمال السراميك. ومن مساجد تونس مسجد القصبة الذي شيده الحفصيون، والقصبة هي القلعة الرئيسية ودار الحكم ومقام الأمير، وجامعها كان موضع عناية الذين أسسوا القصبة والذين استقروا فيها على طوال السنين. وهندسة المئذنة في جامع القصبة هي موحدية في أسلوبها، وهي أولى المآذن ذات الأسلوب الموحدي في تونس وهي تشبه مئذنة جامع الكتيبة في مراكش. وفي داخل المدينة مسجد جميل هو جامع يوسف داي أنشئ في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي ومئذنته المزركشة زليجا(قيشانيا) وجبسا غاية في الأناقة والجمال، وجامع حمودة باشا المرادي المعاصر لجامع يوسف داي، ويكمن جمال هذا الجامع بشكل خاص بالمحراب والزخرف القائم فوقه والأعمدة المحيطة بالمحراب. وهناك أيضا مسجد القصر الذي يرجع تاريخه إلى بني خراسان، ومسجد الهواء أو التوفيق، إلى غير ذلك من

الزاوية الكثيرة المنتشرة في أرجاء المدينة. وبالنسبة للبيمارستانات فيعود تاريخ أقدم بيمارستان في تونس إلى القريب من سيدي محرز الذي لا يزال موجودا ولكنه قد تغير معالمه، ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر الميلادي. وقد أنشأه أبو فارس عبد العزيز بن سلطان أبي العباس لتطبيب الضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين، وأوقف على ذلك أوقافا كثيرة تقوم به. ومن الأطباء الذين عملوا ببيمارستان تونس محمد الشريف الحسنى الزكراوي الذي كان أديبا وطبيبا لبيبا. وبالنسبة للأسواق فتعد مدينة تونس مركزا مهما من مراكز التجارة والصناعة حيث كانت الأسواق تعمل في تونس في نشاط، وتصدر البضائع إلى بلاد البحر المتوسط، وأهم هذه الصادرات القمح في سنوات الخصب، ثم التمور والزيتون و العسل والشمع والأسماك المملحة والأقمشة والبسط والصوف و الجلود المدبوغة والمصنوعات الجلدية والعاج والتحف المصنوعة منه والأبنوس والتوابل الإفريقية وبعض الأخشاب المصنوعة والكتان والقطن و العطور وبعض أصناف النسيج. وقد تجمعت دكاكين بعض أرباب الحرف اليدوية حول المدينة فالصباغون داخل باب الجزيرة والحدادون عند الباب الجديد والسروجية عند باب المنارة، وكانت تجاور باب البحر بطبيعة الحال عدة فنادق يتوزعها تجار النصارى فلما ضاقت بهم هذه البقعة بادروا إلى بناء حي صغير أو ربض خاص بهم خارج الباب وهو الصورة الأولى للحي الأوروبي وكانت الدور تبنى متلاصقة لا فسحة بينها ولا رحبة للأسواق والمحافل. وقد اصطف معظم هذه الأسواق حول الجامع الأعظم الذي يمثل قلب المدينة الحقيقي، وهي أسواق كلها مغطاة تقريبا في مأمن من الشمس والمطر. وأشهر هذه الأسواق سوق العطارين، أو باعة التوابل والعطور، وسوق القماشين، وسوق الصاغة، وسوق الغزل، وسوق القشاشين أو باعة الخردة، وسوق الكتبيين، وسوق باعة الشمع، وسوق العرافين، وغيرها كثير من الأسواق المنتشرة في أنحاء المدينة. وبالنسبة للمكانة العلمية :فقدكانت غاية التعليم في البلاد التونسية كما هو الشأن في سائر البلاد الإسلامية بث القواعد والمعلومات التي تمكن المتعلم من تدعيم عقيدته واكتساب لغة كتاب الله العزيز، فالتعليم هو دراسة قواعد الدين الإسلامي والعلوم الدينية والشرعية. وكذلك العلوم المساعدة عليها كالعلوم اللغوية

والأدبية.وكان هذا التعليم يعتمد على إقراء وحفظ الكتب والدواوين التي وضعها السلف الصالح، ويتم هذا إما باقتراح من الشيخ ورغبة منه في تدريس كتاب معين أو بطلب من تلاميذه واقتراح منهم في تدريس كتاب فكان الشيخ لا يتأخر عن قبول اقتراحهم، وإذا ما بدأ في تدريس الكتاب لا ينتقل منه لغيره إلا بعد ختمه وربما استغرق ذلك سنوات. وكان المتلقي للعلم غير مقيد بسن معين ولا برتبة وربما كان تاجرا أو عاملا أو فلاحا أو غير ذلك.وكان مقر التعليم في ذلك الوقت هو المسجد، وكان مسجد الزيتونة يقوم بدوره في بث العلوم الإسلامية لكنه لم يستقل بذلك خصوصا قبل دولة أحمد باشا باي الحسيني فقد كانت الدروس تلقي وتلقن بالجوامع والمساجد والزوايا وبيوت العلماء. واستمر التعليم في ذلك العصر متصفا بطابعه هذا غير خاضع إلى نظام مسطر ولا مقيد بمكان معين وإنما كان يسير بدفع همم طلاب العلم ونصح العلماء لهم وتلقي بعضهم من بعض الطريقة التقليدية، إلا أن هذا العصر- الموحدين- قد تميز بظهور صنف من أصناف أمكنة التعليم لم يكن معروفا وهو المدرسة، وتأسيس المدارس كان مرتبطا بحرص الموحدين وولاتهم على بث نظريتهم وإبراز علوم القرآن والحديث والأسانيد طبقا للنزعة الموحدية، ثم تطورت في القرن الثامن عشر ففقدت صبغتها الموحدية وصارت أمكنة لبث العلم من طرف علماء المذهب المالكي يدرسون فيها سائر العلوم الدينية لا فرق بين المدارس والمواضع الأخرى كالمساجد والجوامع.وبعد الفتح العثماني تقهقر حال العلم بالنسبة لما كان عليه في العهد الحفصي من توفير المرافق للمعلمين والطلبة، فلما آل الحكم إلى حسين باي على عام 1116هـ/ 1705م، عقد العزم على الرفع من شأن العلم ورجاله فبنى المدارس لسكنى الطلبة وللتدريس، وأجرى المرتبات للمدرسين من مال الجزية وريع الأوقاف العامة، وواصل من جاء بعده من البايات وبعض الوزراء مثل يوسف صاحب الطابع فزادوا عدد المدارس، وجعلوا أوقافا لفائدة أهل العلم فازدهر بذلك التعليم وبرز أعلام من المدرسين تخرج على أيديهم كبار علماء النصف الثاني من القرن التاسع عشر منهم الشيخ بيرم الثاني الحنفي والشيخ إسماعيل التميمي المالكي وغيرهم.وفي نطاق التعاون بين الزيتونة والخلدونية أحدثت إدارة مشيخة الجامع مناصب

تدريسية خاصة بالرياضيات والطبيعيات والتاريخ والجغرافيا والفلسفة ينتخب لها أساتذتها بطريق المناظرة من بين خريجي معهد الخلدونية ثم قررت تكوين إرساليات على نفقتها للتخصص في هذه المواد بجامعات الشرق العربي. ومن أشهر المدارس في مدينة تونس على مر العصور التي انتشرت ابتداء من القرن الثالث عشر المدرسة التي تقع في سوق الشماعين وأطلق عليها المدرسة الشماعية وذلك بالقرب من جامع الزيتونة، ومدرسة التوفيقية أو مدرسة الهواء الملاصقة للجامع الذي يحمل نفس الاسم، ومدرسة عنق الجمل أو المدرسة العنقية والتي أنشأتها امرأة من الأسرة المالكة أخت أبي يحيى ابن أبي بكر، وكذلك مدرسة المنتصرية، كما أن بها العديد من الجامعات والمعاهد الفنية والصناعية والزراعية. وبالنسبة للمكتبات فيميز مدينة تونس أيضا مكتباتها الزاخرة بالكتب النادرة، ومن هذه المكتبات المكتبة الأحمدية التي أسسها المشير أحمد باشا وكون لها رصيدها بشراء سائر كتب الوزير حسين خوجة وغيرها، ثم أضاف إليها كتب عائلة الحسينية الموضوعة في باردو، وأمر بنقل تلك المجموعة إلى جامع الزيتونة بعد أن حبسها على طلبة العلم فوضعت الكتب في عشرين خزانة أحدثت داخل بيت الصلاة على يمين المحراب ويساره، ورتب أحمد باي وكيلين يأتي كل واحد منهما إلى الجامع يوما لينيل الطلبة ما يحتاجونه، وأباح للمنتفع إخراج الكتاب من موضعه لمدة عام، وبعد وفاة الشيخ إبراهيم الرياحي اشترى أحمد باي كتبه وحبسها وضمها إلى المكتبة الأحمدية التي أصبحت تحتوي على 2696 مجلدا ثم أضيف إليها كتب أخرى بعد وفاة أحمد باشا باي. وهناك أيضا المكتبة الصادقية التي أسسها محمد الصادق باشا بإشارة من وزيره خير الدين وجعل مركزها بالمحل الذي كانت المكتبة به وهو الرواق الشرقي بجامع الزيتونة، وقد تكون رصيد هذه المكتبة من كتب جمعت من عدة مواضع كالمدارس والمساجد بتونس وخارجها، وأضاف إليها الوزير خير الدين ألف كتاب من خزانته الخاصة، وقد تميزت هذه المكتبة على نظام المكتبة الأحمدية بتحجير إخراج الكتب والاقتصار على انتفاع بها مطالعة واستنساخا على عين المكان. وبالنسبة للعلماء فينسب إلى تونس جماعة من أهل العلم منهم المحدثان علي بن زياد، وعباس بن الوليد الفارسي، وأبو زيد شجرة بن عيسى التونسي وقاضيها، وعبد

الوارث بن عبد الغني بن علي بن يوسف التونسي المالكي الأصولي الزاهد، و عبد الرحمن بن خلدون ،وأبو الحسن الشاذلي، وغيرهم كثيرون. وبالنسبة لمسجد الزيتونة فإن للمسجد ثلاثة عشر بابا: اثنان منها في الجدار القبلي فالواقع منها إلى يمين المحراب يقود إلى غرفة المنبر، والآخر هو باب الخطيب، وبقية الأبواب موزعة كما يلي: ثلاثة أبواب في الغرب وثلاثة في الشمال وخمسة في الشرق أحدهما مسدود، وهذه الأبواب تؤدي إلى الأسواق المختلفة المحيطة بالجامع. والداخل إلى المسجد من الباب الشرقي يتسلق بضع درجات فإذا اجتاز هذا الباب والرواق الذي يليه اتجها إلى صحن المسجد، ويتكون هذا القسم من خمسة عشر رواقا يفصل بينها أربعة عشر عقدا، وطول بيت الصلاة أربعة وخمسون مترا وعرضه ستة وعشرون مترا، والعقود فيه متعامدة على جدار القبلة إلا أنها لا تتصل به، وإذا توسطت الصحن كان موقفك مقابلا للمحراب وللرواق الأوسط في بيت الصلاة. والعقود القائمة في المسجد ترتكز على أعمدة هي في غالبيتها من الرخام الأبيض، أما صفا الأعمدة القائمة في الرواق الأوسط فهي من الرخام الأحمر، وثمة مجموعتان من الأعمدة ترتكز على إحداهما القبة القائمة أمام المحراب، وترتكز العقود الأمامية من الرواق الأوسط على الأخرى، هذه الأعمدة رخامية لكنها مختلفة الألوان. وفي الزاوية الجنوبية الغربية من الجامع ترتفع مئذنته المربعة الجميلة، وهذه المئذنة لم تضف للمسجد إلا في عام(1312 هـ / 1895م) على طراز جامع القصبة. وللمسجد منبر يعود إلى عهد الأغالبة وهو شبيه بمنبر جامع القيروان وإن كان أقل زركشة وإتقانا منه، وهذا المنبر يجر على العجلات من الغرفة المعدة له بجانب المحراب إلى مكانه في بيت الصلاة يوم الجمعة، كما به أثاث خشبي مربع معد لحفظ المصاحف يسمى الختمة، وتتركب هذه الختمة من قطعتين: قاعدة من صنع حديث وجزء فوقاني مربع بالآيات القرآنية. وبالمسجد أيضا خزائن للكتب يبلغ عددها عشرين خزينة، يرجع تاريخها إلى مدة المشير الأول أحمد باشا باي الحسيني الذي أمر بوضعها داخل بيت الصلاة على يمين المحراب وشماله لتوضع فيها الكتب التي حبسها على جامع الزيتونة.

أرادت «فرنسا» أن تكون «مراكش» مكملة لمستعمراتها فى «المغرب العربى»فدخلت فى صراع مع عدد من دول أوربا ، فإسبانيا ترى فيها مجالاً حيويا لتمد سلطانها إلى الجنوب و«إنجلترا» تريد السيطرة على «مضيق جبل طارق»، و«ألمانيا» التى دخلت حلبة الصراع الاستعمارى متأخرة تريد أن تكون «مراكش» مستعمرة لها ،ولكن «إنجلترا» التى خشت من تزايد قوة البحرية الألمانية عقدت مع «فرنسا» ما عرف بالاتفاق الودى (1322هـ/1904م) والذى أنهى النزاع حول «مراكش»، فقد أيدت «بريطانيا» احتلال «فرنسا»لمراكش فى مقابل عدم مطالبة «فرنسا» «إنجلترا» بالانسحاب من «مصر»، كما عقدت «فرنسا» معاهدة مع «إسبانيا» اعترفت فيها «إسبانيا» بمركز «فرنسا» فى «مراكش» فى مقابل اعتراف «فرنسا» بمركز «إسبانيا» فى منطقة الريف الساحلية المواجهة لإسبانيا . ولكن «ألمانيا» رفضت ذلك وساندت السلطان المغربى فى مطالبته باستقلال مدينة «طنجة» . وعقد مؤتمر الجزيرة الذى وقفت فيه «إنجلترا» و«إسبانيا »و«إيطاليا» إلى جانب «فرنسا»، وتقرر فى هذا المؤتمر الاعتراف بالنفوذ الفرنسى والإسبانى فى «مراكش» . وانتظرت «فرنسا» الفرصة لاحتلال «المغرب» وواتتها الفرصة سنة (1330هـ/911م) عندما ثارت القبائل على السلطان «عبد الحفيظ» الذى استنجد بفرنسا التى سارعت إلى نجدته ودخلت قواتها مدينة «فاس» فى (ربيع 1330هـ/مارس 1911م)، ثم عقدت معاهدة الحماية مع السلطان «عبد الحفيظ» سنة (1331هـ/1912م)، كما تمت التسوية بين «فرنسا» و«إسبانيا» فى (نوفمبر 1912م) وحددت مناطق نفوذ كل منهما ، واتفق على أن يعين السلطان خليفة له فى منطقة الريف التى تخضع للنفوذ الإسبانى، وبذلك دخل «المغرب» تحت الاحتلال الفرنسى من ناحية، والإسبانى من ناحية أخرى .

المغرب

المغرب Morocco : بلد يقع فى الركن الشمالي الغربى من أفريقيا . يحده البحر المتوسط من الشمال والمحيط الأطلسى من الغرب ويفصل المغرب عن إسبانيا مضيق جبل طارق وهو نفسه الذي يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي. وعاصمة المغرب هى الرباط ، أما الدار البيضاء فهي أكبر مدنه و المغرب دولة ذات نظام ملكي دستورى، ويرأسها ملك. ودستورها يمنح الملك سلطات واسعة ويدير أعمال حكومة المغرب اليومية رئيس الوزراء (ويلقب بالوزير الأول) ووزارة تضم باقى الوزراء، وجميعهم ( في القديم ) معينون من قبل الملك. ومجلس النواب هو الذى يضع القوانين للمغرب .ويقضى أعضاؤه البالغ عددهم 306 مدة العضوية فى المجلس وقدرها ست سنوات وينتخب الشعب ثلثى الأعضاء أما باقى الأعضاء فيختارهم مندوبو الحكومات المحلية، والهيئات المهنية والفئات الأخرى. وكل المواطنين الذين بلغوا 20 عاماً أو أكثر لهم حق الإدلاء بأصواتهم وللمغرب جيش وأسطول بحرى وآخر جوى. وكل رجل يجند إلزامياً لمدة عام ونصف عام بعد أن يصل سنه إلى الثامنة عشرة. والاسم الرسمي هو المملكة المغربية. والعاصمة هي الرباط Rabatوالقارة : أفريقيا .وكود الدولة: MO. وتعداد السكان: 31,689,265 نسمة (يوليو 2003)، 31,167,783 نسمة (يوليو 2002), 30,645,305 نسمة (يوليو 2001) والمساحة: 446550 كيلومتر مربع. وبالنسبة للموقع فهودولة عربية تقع في شمال أفريقيا ، ويحدها من الشمال مضيق جبل طارق والبحر المتوسط ، و من الشرق والجنوب الشرقي الجزائر ، و من الجنوب الصحراء ومن الغرب المحيط الأطلنطي ، والحدود الجنوبية الشرقية للدولة في الصحراء الكبرى – غير محددة بدقة حاليا . وتحتل حاليا أسبانيا مدينتي سبتة ومليلة على ساحل البحر المتوسط إلى جانب العديد من الجزر الصغيرة الملاصقة للساحل الشمالي للمغرب وتابعة لأسبانيا .ومعدل النمو السكاني: 1.64% (يوليو 2003)، 1.68% (يوليو 2002), 1.71 (يوليو 2001) وكثافة السكان: 70.96 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2003)، 68.63 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2001)ووفيات الأطفال لكل 1000 نسمة: 44.87 وفاة (يوليو 2003)، 46.49 وفاة (يوليو 2002), 48.11 وفاة (يوليو 2001)ومعدل المواليد لكل

1000 نسمة: 23.26 مولود (يوليو 2003)، 23.69 مولود (يوليو 2002), 24.16 مولود (يوليو 2001) ومعدل الوفيات لكل 1000 نسمة: 5.78 وفاة (يوليو 2003)، 5.86 وفاة (يوليو 2002), 5.94 وفاة (يوليو 2001) ومتوسط عمر الفرد: 70.04 سنة (يوليو 2003)، 69.73 سنة (يوليو 2002), 69.43 سنة (يوليو 2001) ونسبة الحضر: 48.4 (1999) وإجمالي الناتج المحلي: 115 بليون دولار أمريكي (يوليو 2002)، 107 بليون دولار (1998) والعملة: درهم مغربي يساوي 100 سنت ونوع الحكومة: ملكية دستورية. والدستور: أقر في 10 مارس 1972 روجعت مواده 4 سبتمبر 1992. وحقوق التصويت: عمومي في 21 سنة. والتقسيم الإداري: 36 إقليم و5 بلديات. وبالنسبة للاستقلال فقداستقلت عن فرنسا في 2 مارس 1956. وبالنسبة للشعب فمعظم المغاربة من العرب والبربر وكان البربر يعيشون فيما يسمى الآن المغرب منذ ما يقرب من 3000 عام . وبدأ العرب في الانتقال إلى هذه المنطقة في القرن السابع الميلادي. وقد امتزج العنصران – العرب والبربر – على مر السنين امتزاجاً وثيقاً وواسع النطاق ، بحيث لم يعد هناك من ينتمي للأحد العنصرين دون الآخر إلا أقل القليل . ويمكن – في معظم الأحوال – تحديد الأصل العربي أو البربري من خلال اللغة الرئيسية التي يتكلمها الفرد ومعظم العرب يعيشون فى المدن . أما البربر، فمعظمهم يعيش في المناطق الجبلية. والإسلام هو الدين الرسمى للمغاربة . إذ أن 98 % من الشعب مسلمون والتعاليم الإسلامية هي التي تنظم أحوال المغاربة الشخصية والجماعية. ويعيش الكثيرون من أبناء الشعب المغربي في الجنوب في البيوت المبنية من الطوب النيئ، وتشيد البيوت من الخشب والحجارة في المناطق الريفية الأخرى، وكثير من البيوت لا تحتوى إلا على حجرة واسعة واحدة ( واليوم الدولة قائمة بإنشاء السكنات الريفية. ويجتمع الناس في سوق يعقد في الهواء الطلق كل أسبوع لشراء البضائع وبيعها وتبادل الأحاديث مع الجيران . أما في المناطق الصحراوية فيعيش بعض المغاربة حياة رعوية متنقلة ويقيمون في الخيام. وكثير من أهل الحضر المغاربة يعيشون في بيوت صغيرة متلاصقة. أما الأثرياء فيعيشون في بيوت أكثر رحابة أو في شقق سكنية

حديثة. وتوجد بعض الأحياء العشوائية (مدن الصفيح ) حول المدن الكبرى . وتتسم الأحياء القديمة في المدن المغربية الكبيرة بالتكدس الشديد . ويرتدى الأهالي فى جميع أنحاء المغرب الملابس التقليدية رغم أن أهل المدينة يمزجون بين هذه الملابس والثياب الغربية. ويرتدى الرجال "الجلابة" (نوع من الجلباب) وهو رداء فضفاض ذو غطاء للرأس وأكمام طويلة واسعة. كما يرتدون "البرنوس" وهو يشبه الجلابة ولكنه أثقل ويرتديه الريفيون غالباً . ومعظم الرجال يرتدون العمامة أو قبعة بدون حواف. والنساء – كالرجال – يرتدين الجلابة خارج المنازل. أما فى البيت أو فى المناسبات الاجتماعية فيرتدين جلباباً طويلاً وجميلاً يسمى "القفطان" . ويلتزم بعض كبار السني وبعض الريفيات بالتقاليد ويغطين وجوههن بالنقاب. والطعام المكون من الشعير والقمح هو الوجبة الرئيسية لمعظم المغاربة . والطبق الشعبى هو ( الحريرة ) وكذا"الكسكسى" المتكون من دقيق القمح "المفروك" الذى يطهى ببخار الماء، ويقدم للأكل مع الخضراوات أو السمك أو اللحم ومع صلصة تشبه الحساء ويحب المغاربة أكل الفطائر بعسل النحل واللوز. والمشروب القومى هو الشاى بالنعناع .ويتوافر فى المغرب التعليم الابتدائى والتعليم الثانوى. ويتم التدريس باللغتين العربية والفرنسية. والأطفال من سن السابعة إلى الثالثة عشرة ملزمون بالالتحاق بالمدرسة، ولكن نسبة الذين يستمرون فى الدراسة لا تزيد على 70 %. وفى المغرب ست جامعات ، وحوالى 25 كلية جامعية ومدرسة فنية. وبالنسبة للتاريخ المغربي فإنه قدوجدت المجتمعات الزراعية فى المنطقة التى تسمى الآن المغرب منذ 8000 سنة على الأقل. ومنذ ألف عام قبل الميلادهاجر البربر إلى المنطقة. ولعلهم أتوا من أوروبا، أو جنوب غرب آسيا، أو شمال شرق أفريقيا . ومنذ عام 40 م وحتى القرن السابع الميلادى، حكم المنطقة الرومان ، والواندال، والبيزنطيون. وفى الثمانينيات من القرن السابع الميلادى، فتح العرب المسلمون بلاد المغرب . وفى أواخر القرن الثامن الميلادى، تولى زعيم يدعى إدريس بن عبد الله توحيد البربر والعرب في شتى المناطق تحت قيادته ، وبذلك ولدت دولة المغرب الأولى. كما أنه أسس الأسرة الإدريسية الحاكمة (مجموعة من الحكام ينتمون لأسرة واحدة) التي حكمت المغرب لحوالى 200 عام . وكان

يطلق على حكام المغرب لقب "السلاطين". ومنذ حوالى عام 1050 للميلاد وحتى أواسط القرن الخامس عشر، حكمت المغرب ثلاث أسر حاكمة مسلمة من البربر. وفى القرن السادس عشر، بدأت الدولتان المسيحيتان إسبانيا والبرتغال الاستيلاء على بعض المناطق الساحلية فى المغرب . وقد عملت القبائل العربية وعائلات "الأشراف" على مساعدة المغاربة فى مناهضتهم لاستيلاء المسيحيين على أراضى البلد وكان الأشراف من سلالة النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) نبى الإسلام . وفى أواسط القرن السادس عشر كانت هناك أسرة حاكمة من الأشراف تدعى الأسرة السعدية تمكنت من السيطرة على المغرب ، وأسست الأسرة التى حكمت حتى أواسط القرن السابع عشر. ومنذ ذلك الحين تولت حكم المغرب الأسرة العلوية، وهى أسرة أخرى من الأشراف. وقد سيطرت كل من فرنسا وإسبانيا إما عن طريق الغزو العسكرى أو بعقد الاتفاقيات السلمية، على الشئون الاقتصادية والسياسية لبعض مناطق المغرب منذ أوائل القرن العشرين وقد اجتمعت القوى الكبرى فى مدينة الجثراز بإسبانيا فى عام 1906 لمناقشة سلطة فرنسا المتزايدة فى المغرب وأعلن المؤتمر تأييده لاستقلال المغرب ، وإن كانت فرنسا وإسبانيا قد احتفظتا بامتيازات خاصة . وتزايد العداء فى المغرب إزاء تنامى النفوذ الأوروبى فى البلد . وقد طلب السلطان عبد الحفيظ من الفرنسيين أن يساعدوه فى إعادة النظام إلى الدولة. وفى عام 1912، وقع عبد الحفيظ ما يسمى بمعاهدة فاس مع فرنسا وقد منحت المعاهدة فرنسا السلطة على المغرب وأنهت استقلال البلد . وكانت إسبانيا قد منحت السلطة على جزء من المغرب ووضعت طنجة تحت الإدارة الدولية فى عام 1923 . وكان المغرب مسرحاً للقتال بين قوات الحلفاء وقوات المحور خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945) . وفى عام 1943، تقابل فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة وونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى فى الدار البيضاء لمناقشة خطط الحرب . وفى نفس هذا العام تأسس حزب الاستقلال للعمل على تحرير المغرب. وفى عام 1947، طالب السلطان محمد الخامس بإعادة الأراضى التى تسيطر عليها فرنسا وإسبانيا إلى المغرب ، كما طالب بمنح المغرب الحكم الذاتى. وقد رفضت فرنسا

النظر فى القيام بأية إصلاحات كبرى. وفى عام 1953 ، نفى الفرنسيون السلطان محمد، وأودعوا السجن بعض قادة حزب الاستقلال . وقد أثار نفى السلطان ثائرة الكثيرين من المغاربة. وشكل القادة الجدد لحزب الاستقلال جيشا وطنيا للتحرير، وأخذ هذا الجيش فى محاربة القوات الفرنسية حربا شاملة. وحرصا من الفرنسيين على إعادة النظام إلى نصابه ، أعادوا السلطان محمد فى أواخر عام 1955 ووعدوا بمنح المغرب حريته.وفى 2 مارس عام 1956 ، حصل المغرب على استقلاله عن فرنسا . وفى أبريل من نفس العام ، تخلت إسبانيا عن كل مطالبها تقريبا فى المغرب. وأصبحت طنجة مرة أخرى جزءا من المغرب فى أكتوبر.وفى عام 1957، غير السلطان محمد لقبه ليصبح ملكا، وذلك فى إطار تحويل المغرب إلى ملكية دستورية. وفى عام 1960، أصبح الملك مسيطرا سيطرة تامة على الحكومة، وتولى بنفسه منصب رئيس الوزراء. ولكنه توفى فجأة فى عام 1961.وأصبح ابنه الحسن الثانى ملكا ورئيسا للوزراء. وفى عام 1962 وضع المغرب أول دستور له.ونص الدستور على أن المغرب دولة ملكية دستورية يحكمها ملك، ورئيس وزراء، ومجلس وزراء، ومجلس تشريعى منتخب. وفى عام 1972 وافق المغاربة على دستورهم الحالى.وفى أوائل السبعينيات من القرن العشرين ، بدأ الملك الحسن يتعجل المطالبة بالصحراء الغربية، ذلك المطلب الذى طال أمده. والصحراء الغربية منطقة كانت تسيطر عليها إسبانيا وتقع على الحدود الجنوبية للمغرب.كذلك طالبت موريتانيا بأجزاء من هذه المنطقة. ولكن جبهة البوليساريو، وهى منظمة فى الصحراء الغربية، طالبت باستقلال ذلك الإقليم وفى عام 1976، تخلت إسبانيا عن المنطقة وطالبت المغرب بالجزء الشمالى وطالبت موريتانيا بالجزء الجنوبى. وهكذا اكتسبت المنطقة اسمها الحالى وهو الصحراء الغربية.ونشب القتال بين جبهة البوليساريو، وقوات من المغرب وموريتانيا . وأمدت كل من الجزائر وليبيا الجبهة بالمساعدات العسكرية. وفى عام 1979، تخلت موريتانيا عن مطالبتها بالصحراء الغربية، أما المغرب فقد طالب بالمنطقة بكاملها .واستمر القتال بين المغرب وجبهة البوليساريو وتم إعلان وقف إطلاق النار بين القوات المغربية وقوات جبهة البوليساريو فى سبتمبر 1991 .وتوفى الملك

المغربي الحسن الثاني في عام 1999 عن عمر يناهز السبعين عاماً ليخلفه بطريقة طبيعية ابنه وولي عهده محمد السادس. وبالنسبة لمظاهر السطح فإن المغرب يتميز بوجود أوسع السهول وأعلى الجبال في شمال افريقيا ،ويمكن تقسيم الدولة إلى أربعة مناطق جغرافية طبيعية هي : منطقة مرتفعات الريف ، وهي توازي ساحل البحر المتوسط ، ومنطقة جبال أطلس ، وهي تمتد بطول الدولة في اتجاه جنوب الغرب إلى شمال الشرق بين المحيط الأطلنطي ومنطقة الريف التي تفصلها عن الجبال منخفضات تازة .المنطقة الثالثة هي منطقة سهل ساحلي واسع ممتدة عبر المحيط الأطلنطي يحيط به اقليم للريف وجبال أطلس .أما المنطقة الرابعة فهي منطقة السهول والوديان إلى الجنوب من جبال أطلس والتي ترتبط بالصحراء في الحدود الجنوب شرقية للدولة .ويعتبر جبل "طوبكال" هو أعلى الجبال حيث يبلغ ارتفاعه 4.165 متر (13.665 قدم) في جبال أطلس العليا .ويوجد في المغرب العديد من الأنهار التي - وإن كانت غير صالحة للملاحة - تستخدم في الري وفي توليد الطاقة الكهربائية .وأهم هذه الأنهار هو نهر الميلوية الذي يصب في البحر المتوسط ، ونهر سبو الذي يتدفق نحو المحيط الاطلنطي .وبالنسبة للمناخ فإنه على الحدود مع البحر المتوسط يسود مناخ شبه استوائي تلطفه التأثيرات المحيطية التي تضفي على المدن الساحلية مناخاً معتدلاً .ففي الصويرة على سبيل المثال تتراوح درجات الحرارة بين 16 درجة مئوية (61 فهرنهايت) في يناير و 22 درجة مئوية (72 فهرنهايت) في شهر أغسطس ، وإذا اتجهنا نحو الداخل نجد الشتاء أكثر برودة والصيف أكثر حرارة ، ففي مدينة فاس تتراوح درجات الحرارة بين 10 درجات مئوية (50 فهرنهايت) في يناير و 27 درجة مئوية (81 فهرنهايت) في أغسطس ، وعلى الارتفاعات العليا نجد درجات حرارة تقل عن -18 درجة مئوية (أقل من صفر فهرنهايت) كما تغطي الثلوج قمم الجبال خلال معظم شهور العام ، ويتركز سقوط المطر غالباً خلال شهور الشتاء ويكون أغزره في الشمال الغربي وأقله في الشرق والجنوب ، ويبلغ معدل سقوط الأمطار السنوي حوالي 955 مم (38 بوصة) في طنجة و 430 مم (17 بوصة) في الدار البيضاء 280 مم (11 بوصة) في الصويرة وأقل من 102 مم (4 بوصة) في الصحراء الكبرى

.وبالنسبة للبيئة فإنه قد زاد الإنتاج الزراعي وأدى إلى تآكل التربة والمشكلات المرتبطة بذلك ، منها تلوثت بعض منابع المياه بالمخلفات ، كما تلوثت مياه السواحل بالبترول . وبالنسبة للمنتجات الرئيسية فهي: الزراعة : القمح ، الشعير، الذرة، بنجر السكر، الموالح ، البطاطس ، والطماطم. صيد السمك: السردين ، المكاريل ، التونة، والأنشوجة. والصناعة: الأسمدة، منتجات النفط ، الصناعات الغذائية، النسيج، المنتجات الجلدية، الإسمنت، والكيماويات. التعدين: خام الفوسفات. وبالنسبة للعضوية فإن المغرب عضو في المنظمات الدولية التالية: البنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا, وكالة التعاون الثقافي والتكنولوجي (شريك), بنك التنمية الأفريقي, الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية, الجامعة العربية, صندوق النقد العربي, اتحاد المغرب العربي, مجلس التعاون الجمركي, البنك الأوروبي للإنشاء والتعمير, منظمة الأغذية والزراعة, مجموعة ال 77, الوكالة الدولية للطاقة النووية, البنك الدولي للإنشاء والتعمير, المنظمة الدولية للطيران المدني, الغرفة الدولية للتجارة, الاتحاد الدولي لاتحادات التجارة الحرة, الحركة الدولية للهلال والصليب الأحمر, بنك التنمية الإسلامي, الصندوق الدولي للتنمية الزراعية, الاتحاد الدولي لمنظمات الهلال والصليب الأحمر, منظمة العمل الدولية, صندوق النقد الدولي, المنظمة الدولية للملاحة البحرية, المنظمة الدولية للمطاط الطبيعي, المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية, المنظمة الدولية للبوليس الجنائي, اللجنة الاوليمبية الدولية, المنظمة العالمية للهجرة (مراقب), المنظمة الدولية للتوحيد القياسي, المنظمة الدولية للأخشاب الاستوائية, اتحاد الاتصالات العالمي, منظمة الدول الأمريكية (مراقب), حركة عدم الانحياز, منظمة المؤتمر الإسلامي, الأمم المتحدة, مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية, منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة, مكتب المفوض العام للأمم المتحدة للاجئين, منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية, اتحاد البريد العالمي, منظمة الصحة العالمية, منظمة حماية حقوق التأليف العالمية, المنظمة العالمية للأرصاد الجوية, منظمة السياحة العالمية, منظمة التجارة العالمية.

الصحراء الغربية

الصحراء الغربية Western Sahara; Formerly: Spanish Sahara: صحراء في الجزء الشمالي الغربي من إفريقيا . تحدها المملكة المغربية (شمالا)، والجزائر (شمالا بشرق)، وموريتانيا (شرقا وجنوبا)، والمحيط الأطلسي (غربا) . وتنقسم إلى إقليمين اثنين: (نهر الذهب) وهو الإقليم الجنوبي، و(الساقية الحمراء) وهي الإقليم الشمالي. أخضعت عام 1884 للحماية الإسبانية ثم جعلت عام 1958 مقاطعة إسبانية في ما وراء البحار. وفي أواخر فبراير 1976 انسحبت منها القوات الإسبانية فاقتسمتها المملكة المغربية وموريتانيا في ما بينهما . ولكن فريقا من أبناء الصحراء سارع إلى إعلان قيام (الجمهورية الصحراوية العربية الديموقراطية) وأقام حكومة في المنفى مقرها الجزائر، مطالبا بحق تقرير المصير. وما هي غير فترة حتى وقعت المجابهة المسلحة بين جبهة البوليزاريو.وبين القوات المغربية والموريتانية. وفي أغسطس 1979 عقدت موريتانيا معاهدة صلح مع جبهة البوليزاريو وتخلت عن جميع دعاواها في الصحراء الغربية، ومن ثم احتلت القوات المغربية الأراضي الصحراوية التي انسحب منها الموريتانيون (وهي تمثل الثلث الجنوبي من البلاد) . ومنذئذ تواصل الصدام المسلح بين جبهة البوليزاريو وقوات المملكة المغربية.و مساحتها 266,000 كيلومتر مربع. عاصمتها: العيون.والقضية اليوم في النظر الدولي.

موريتانيا

ونختم هذا الفصل بذكر موريتانيا حسب ما جاء في أطلس الحاسوب وذلك على النحز التالي :

موريتانيا Mauritania : تقع دولة موريتانيا في غرب أفريقيا، ويحدها من الشمال المغرب والجزائر ومن الشرق مالي ومن الجنوب السنغال ومن الغرب إقليم الصحراء الغربية والمحيط الأطلسى. وكانت تعرف قديما باسم بلاد شنقيط ، وقد دخل الإسلام موريتانيا في القرن الأول الهجرى عندما فتحها موسى بن نصير. ومما ساعد على انتشار الإسلام هناك وفود الكثير من القبائل العربية التي استقرت واختلطت من سكان البلاد الأصليين ويشكل البربر، الذين يتحدثون اللغة العربية، معظم سكانها . ومن بين سكانها أيضا أفريقيون سود وهم بدورهم يتحدثون اللغة العربية وجميع الموريتانيين تقريبا مسلمون ونواكشوط البالغ سكانها

35000 نسمة هي عاصمة البلاد وأكبر مدنها .وتقع معظم أراضى موريتانيا في الصحراء الأفريقية الكبرى، ويعيش 80 % من السكان في المناطق الجنوبية، حيث يتوافر المطر الكافى للزراعة والرعى. ومن أهم محاصيل الغذاء في موريتانيا .الذرة الرفيعة والتمور والذرة والبقول والأرز، كما أنها تصدر خام الحديد – بشكل رئيسي – إلى أوروبا .ومنذ القرن الرابع للميلاد حتى القرن السادس عشر، كانت المنطقة التى تشغلها موريتانيا الآن جزءا من ثلاث إمبراطوريات كبرى في غرب أفريقيا: إمبراطورية غانة، وإمبراطورية مالى، وإمبراطورية سنغى (أو صنغى أو صنغاى)، وقد تأسست على أرضها دولة المرابطين في القرن الحادي عشر الميلادي التي هيمنت على بلاد المغرب والأندلس ثم تعاقب على حكمها الموحدون ثم الميرينون ثم الأشراف السعديون ثم الأشراف العلويون. وبدأ اتصال الأوروبيين بسواحلها يأخذ طابع الاستعمار فى القرن الخامس عشر. وقد استولى البرتغاليون على بعض المناطق الساحلية وأسسوا مراكز تجارية هناك ثم أنتزعها منهم الهولنديون ، وأصبحت موريتانيا مستعمرة ضمن نطاق غرب أفريقيا الفرنسية في سنة 1903، وحصلت على استقلالها في سنة 1960 .والاسم الرسمي لموريتانيا هو جمهورية موريتانيا الإسلامية والعاصمة هي نواكشوط Nouakchott والقارة : أفريقيا .وكود الدولة: MR. تعداد السكان: 2,912,584 نسمة (يوليو 2003)، 2,828,858 نسمة (يوليو 2002), 2,747,312 نسمة (يوليو 2001) والمساحة: 1025520 كيلومتر مربع والموقع: دولة عربية تقع في غرب أفريقيا ، ويحدها من الشمال الصحراء الغربية والجزائر ومن الشرق والجنوب مالي ، ومن الجنوب الغربي السنغال ومن الغرب المحيط الأطلنطي .ومعدل النمو السكاني: 2.91% (يوليو 2003)، 2.92% (يوليو 2002), 2.93 (يوليو 2001) وكثافة السكان: 2.84 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2003) 2.68 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2001) ووفيات الأطفال لكل 1000 نسمة: 73.80 وفاة (يوليو 2003)، 75.25 وفاة (يوليو 2002), 76.7 وفاة (يوليو 2001) ومعدل المواليد لكل 1000 نسمة: 42.16 مولود (يوليو 2003)، 42.54 مولود (يوليو 2002), 42.95 مولود

(يوليو 2001) معدل الوفيات لكل 1000 نسمة: 13.04 وفاة (يوليو 2003)، 13.34 وفاة (يوليو 2002), 13.65 وفاة (يوليو 2001) ومتوسط عمر الفرد: 51.93 سنة (يوليو 2003) 51.53 سنة (يوليو 2002), 51.14 سنة (يوليو 2001) ونسبة الحضر: 53.8 (1999) وإجمالي الناتج المحلي: 5.3 بليون دولار أمريكي (يوليو 2002)، 4.7 بليون دولار (1998) والعملة: 1 اوجواي يساوي خمس . ونوع الحكومة: جمهورية والدستور: 12 يوليو 1991 وحقوق التصويت: عامة في سن 18 والاستقلال: استقلت عن فرنسا في 28 نوفمبر 1960 والتاريخ: هي همزة الوصل بين أفريقيا البيضاء وأفريقيا السوداء ، حملت مدينتها شنقيط مشعل الحضارة العربية الإسلامية إلى ما وراء الصحراء وعبر نهر السنغال لتصل به إلى عمق القارة السوداء ، وكان لأهلها فضل الريادة في نشر الإسلام إلى مختلف أصقاع أفريقيا الغربية ، وقد أصبحت أصبحت في عام 1903 تحت الحماية الفرنسية، نالت استقلالها عام 1960م، وضع دستور جديد للبلاد عام 1991م. . وحصلت موريتانيا على استقلالها عن الاحتلال الفرنسي في 28 نوفمبر 1960، وتولى السلطة فيها المختار ولد داده وظل يشغلٍ هذا المنصب حتى عام 1978، إلى أن قاد الكولونيل المصطفى ولد محمد السالك انقلاباً عسكرياً ناجحا تولى من خلاله السلطة. ولم يترك صراع الأجنحة داخل اللجنة العسكرية للخلاص الوطني الحاكمة فرصة استقرار لولد السالك ومن بعده لولد أحمد لولي مما اضطرهما للاستقالة قبل أن يستلم السلطة الكولونيل محمد خونه ولد هيداله. وبعد أربعة أعوام (1984) استطاع الكولونيل معاوية ولد سيدي أحمد طايع القيام بانقلاب سياسي استولى به على الحكم. وفي عام 1992 أجريت أول انتخابات رئاسية فاز فيها معاوية ولد سيدي أحمد طايع، ثم فاز في انتخابات أخرى أجريت عام 1997 ولا يزال على رأس السلطة في الجمهورية الإسلامية الموريتانية حتى الآن. ومظاهر السطح: وباستثناء قطعة صغيرة من الأرض بمحاذاة نهر السنغال في الجنوب ، فإن موريتانيا تقع بالكامل داخل الصحراء . وتتراوح الارتفاعات بين حوالي 150 متر (492 قدم) في الجنوب الغربي إلى حوالي 460 متر (1.509 قدم) في الشمال الشرقي . والمناخ: تصل

درجات الحرارة نهاراً في معظم الدولة إلى 38 درجة مئوية (100 فهرنهايت) ويكون ذلك لمدة تصل إلى أكثر من ستة أشهر من العام ، بينما يكون الليل بارداً ، تهب الرياح الحارة الجافة المحملة بالرمال والمسماة بـ (السيوكو) في شهري مارس وأبريل ، يتنوع معدل سقوط الأمطار سنوياً ما بين أقل من 130 مم (5 بوصة) في الشمال إلى حوالي 660 مم (26 بوصة) في وادي السنغال . والبيئة: نظرا لوقوع حوالي 80 % من موريتانيا في الصحراء و تعرضها للجفاف والمبالغة في الرعي وإزالة الغابات فإن ذلك أدى إلى زيادة مخاطر التصحر في الدولة ، وعلى الرغم من نقص المياه إلا أن الانتاج الزراعي استمر من خلال الاعتماد على المياه الجوفية ، ولكن النمو السكاني السريع أدى بالطبع إلى النقص في نصيب الفرد من الانتاج الزراعي ، و هناك مشروع لتنظيم مياه نهر السنغال (من خلال اقامة سد) مما قد يزيد من امكانية توافر المياه مع وجود تأثيرات بيئية غير مناسبة يتعذر تجنبها نتيجة لمثل هذا المشروع . وأهم المنتجات: التمور، والصمغ العربى، والأبقار، والغنم والماعز، والذرة الرفيعة، وأسماك المحيط والمياه العذبة. وفى مجال التعدين: خام الحديد . وعضو في المنظمات الدولية التالية: هي عضو في البنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا, وكالة التعاون الثقافي والتكنولوجي (شريك), اتفاقية الدول الأفريقية و الكاريبية و الباسيفيكية, بنك التنمية الأفريقي, الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية, الجامعة العربية, صندوق النقد العربي, اتحاد المغرب العربي, مجلس الوحدة الاقتصادية العربية, مجلس التعاون الجمركي, اللجنة الدائمة لمكافحة الجفاف في دول الساحل الأفريقي, التجمع الاقتصادي لدول غرب أفريقيا, منظمة الأغذية والزراعة, مجموعة ال 77, البنك الدولي للإنشاء والتعمير, المنظمة الدولية للطيران المدني, الحركة الدولية للهلال والصليب الأحمر, بنك التنمية الإسلامي, الصندوق الدولي للتنمية الزراعية, الاتحاد الدولي لمنظمات الهلال والصليب الأحمر, منظمة العمل الدولية, صندوق النقد الدولي, المنظمة الدولية للملاحة البحرية, المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية, المنظمة الدولية للبوليس الجنائي, اللجنة الاوليمبية الدولية, اتحاد الاتصالات العالمي, حركة عدم الانحياز, منظمة الوحدة الأفريقية, منظمة المؤتمر الإسلامي, الأمم المتحدة,

مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية, منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة, منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية, اتحاد البريد العالمي, منظمة الصحة العالمية, منظمة حماية حقوق التأليف العالمية, المنظمة العالمية للأرصاد الجوية, منظمة السياحة العالمية, منظمة التجارة العالمية انتهى.

## الاحتلال الإيطالى لليبيا

بعد أن أتمت «إيطاليا» وحدتها أخذت تهيئ نفسها لدخول حلبة الاستعمار الأوربى، ولكنها وجدت معظم الأقطار الإفريقية والأسيوية وقعت فريسة فى يد «إنجلترا» أو «فرنسا»، ولكنها رأت أن «ليبيا» التى تقع فى شمال «إفريقيا»، والتابعة للدولة العثمانية من الممكن أن تكون مستعمرة إيطالية، فأخذت الحكومة الإيطالية ترسل الإرساليات المختلفة من مدارس ومستشفيات وبنوك لتقرض الأهالى ثم تستولى على أراضيهم. ثم لعبت السياسة الاستعمارية دورها فأعلنت «إيطاليا» الحرب على الدولة العثمانية، وقامت باحتلال «ليبيا» سنة (1330هـ/1911م)، لتكون مستعمرة لها، ومن أجل صرف نظر السلطان العثمانى عن «ليبيا» قامت «إيطاليا» بمهاجمة ميناء «الدردنيل» وميناء «بيروت» وساحل «اليمن»، وافتعلت ثورة فى منطقة «البلقان» لتجبر السلطان العثمانى على توقيع معاهدة سنة (1331هـ/1912م) والتى اعترف فيها باستعمار «إيطاليا» لليبيا، مقابل اعتراف «إيطاليا» بالسيادة الروحية لتركيا، ولكن الشعب الليبى أخذ يقاوم الاحتلال عن طريق الزوايا لسنوسية التى نظمت حركة الجهاد أثناء الحرب العالمية الأولى وعقدت عدة اتفاقيات حتى لحرب العالمية الثانية حيث نالت «ليبيا» استقلالها

## ليبيا

دولة عربية في شمال أفريقيا تطل على ساحل البحر المتوسط . وتغطى الصحراء الأفريقية الكبرى الشاسعة والجافة معظم مساحتها . ولم يكن فى ليبيا سوى القليل من الموارد الطبيعية، لكنه بعد اكتشاف النفط فى سنة 1959 انتعشت خزانة البلاد، فاستخدمت الحكومة مواردها فى تحسين الزراعة والخدمات العامة. وسكان ليبيا فى غالبيتهم العظمى عرب

مسلمون ، وحتى بدايات القرن العشرين كانت ليبيا مقسمة إلى أقاليم ثلاثة منفصلة، لكنها اتحدت وأصبحت جميعا دولة واحدة مستقلة في سنة 1951 .وقدأسسها رافع بن مطروح، واستمرت في الفترة من 541هـ/1146م، إلى 690هـ/1291م، وعاصمتها طرابلس، والاسم الرسمي الآن هو الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى والعاصمة: طرابلس Tripoli .والقارة: أفريقيا .وكود الدولة: LY . وتعداد السكان: 5,499,074 نسمة (يوليو 2003)، 5,368,585 نسمة (يوليو 2002)، 5,240,599 نسمة (يوليو 2001) والمساحة: 1759540 كيلومتر مربع .والموقع: دولة عربية ، تقع في شمال افريقيا ، ويحدها من الشمال البحر المتوسط ، ومن الشرق مصر ، ومن الجنوب الشرقي السودان ومن الجنوب تشاد والنيجر ، ومن الغرب الجزائر ،ومن الشمال الغربي تونس. ومعدل النمو السكاني: 2.39% (يوليو 2003)، 2.41% (يوليو 2002)، 2.42 (يوليو 2001) وكثافة السكان: 3.13 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2003)، 2.98 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2001) ووفيات الأطفال لكل 1000 نسمة: 26.80 وفاة (يوليو 2003)، 27.9 وفاة (يوليو 2002)، 28.99 وفاة (يوليو 2001) ومعدل المواليد لكل 1000 نسمة: 27.43 مولود (يوليو 2003)، 27.59 مولود (يوليو 2002)، 27.67 مولود (يوليو 2001) ومعدل الوفيات لكل 1000 نسمة: 3.49 وفاة (يوليو 2003)، 3.5 وفاة (يوليو 2002)، 3.51 وفاة (يوليو 2001) . ومتوسط عمر الفرد: 76.07 سنة (يوليو 2003)، 75.86 سنة (يوليو 2002)، 75.65 سنة (يوليو 2001) ونسبة الحضر: 86 (1999) وإجمالي الناتج المحلي: 41 بليون دولار أمريكي (يوليو 2002)، 38 بليون دولار (1998) والعملة: 1 دينار ليبي يتكون من 1000 درهم. ونوع الحكومة: جماهيرية .والدستور: أقر في 11 ديسمبر 1969، وعدل في 2 مارس 1977 .وحقوق التصويت: عمومي وإلزامي في سن 18 . والاستقلال: 24 ديسمبر 1951 . وبالنسبة للحكم فالعقيد معمر القذافي هو رأس الدولة، رغم أنه لا يحمل لقبا رسميا، وكان العقيد قد قام فى سنة 1969 بثورة مسلحة أطاح فيها بالحكم الملكى ويقوم الحكم فى ليبيا على نظام

اللجان الشعبية، ويمكن لكل ليبى بلغ الثامنة عشرة من عمره أن يدلى بصوته فى الانتخابات العامة وأن يشغل منصبا . أسلوب الحياة: يعيش حوالى 70 % من الليبيين فى مناطق حضرية أما الذين يعيشون فى المناطق الريفية – ويشكلون حوالى 30 % من السكان – فمعظمهم فى قرى أو واحات . وهناك بعض البدو الذين يتجولون فى الصحراء بحثا عن المرعى لأغنامهم وماعزهم وجمالهم . ومنذ منتصف القرن العشرين ، أدى نمو الاقتصاد الليبى إلى هجرة كبيرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، وتطلب هذا من المهاجرين إعادة تكييف حياتهم لتتماشى مع أساليب الحياة فى المدن ، فعلى سبيل المثال كان أهل الريف يعيشون وفقا لنظام الأسرة الممتدة أو العائلة التى تضم عددا من الأسر من أجيال مختلفة (الأب وأسر الأبناء وأسر الأحفاد) كلها فى بيت واحد، ولم يعد ذلك مناسبا للحياة فى المدن المزدحمة. وتغير وضع المرأة الليبية فى أواخر القرن العشرين تغيرا هائلا، فقد كانت المرأة قبل ذلك لا تتعلم أو تتلقى قدرا ضئيلا من التعليم ، وكانت – إلى حد كبير – حبيسة بيتها، أما الآن فمن حقها أن تشارك مشاركة كاملة فى المجتمع الليبى. ومعظم الليبيين مسلمون على المذهب السنى، ويقضى دستور البلاد بضرورة اتفاق جميع القوانين مع الشريعة الإسلامية.وبالنسبة للتاريخ:فقددخلها الإسلام على يد عمرو بن العاص الذي فتحها عام 642م ولكن ظلت بعض نواحيها في يد البربر حتى أرسل عقبة بن نافع فوصل إلى زويلة فصار ما بينها وبين برقة للمسلمين ، وليبيا الحديثة هي المنطقة الممتدة ما بين مصر وتونس وتشاد والتي احتلت القوات والإيطالية بعض شواطئها منذ سنة 1911م واضطرت الدولة العثمانية للتنازل عنها في معاهدة لوزان سنة 1912م. لكن الثورات فيها والثوار ظلوا يقاومون وبلات ذلك الاحتلال وقسوته الوحشية عشرين سنة حتى سقط زعيمهم عمر المختار في ايدي الايطاليين سنة 1931م، ولم تهنأ ايطاليا بالمستعمرة الليبية التي هيأها لها الجنرال غراتزياني سوى سنوات محدودة، وحين دخلت الحرب العالمية الثانية سنة 1940م كان وجودها هناك سببا في تبادل منطقة بطرق خاصة اكثر من مرة بين المحور الذي تنتمي إليه إيطاليا وبين الحلفاء الذي اتخذوا مصر قاعدة لهم. وقد بدأت عملية تحرير ليبيا من مصر.وو خرجت ليبيا من الحرب وهي

محتلة من قبل قوى الحلفاء و عرضت قضية ليبيا على مؤتمر وزراء الخارجية للدول الكبرى فاختلفوا في امرها واحالوها إلى الأمم المتحدة. واعلن الليبيون استقلال بلادهم في المنار بنغازي (ابريل 1949م )، ثم قررت الأمم المتحدة في 1949/11/21م استقلال ليبيا ووحدتها على ألا يتأخر ذلك عن يناير سنة 1952م وعلى ان يجتمع مندوبون عن برقة وطرابلس وفزان لوضع دستور ليبي. وقد اجتمعت الجمعية الوطنية الليبية في 1951/12/24م وقررت إعلان الاستقلال، وأن تكون ليبيا دولة ديمقراطية اتحادية مستقلة ذات سيادة، وأن تكون ملكية دستورية، وأن تكون ملكها هو السيد محمد إدريس السنوسي.و قد استمرت ليبيا مملكة مستقلة 19 سنة وتحولت إلى مملكة موحدة في 27 ابريل 1963م. ثم قامت مجموعة من الضباط في الفاتح من سبتمبر سنة 1969م بانقلاب اسقط النظام الملكي واقام الجمهورية العربية الليبية التي دعيت فيما بعد بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية. ودخلت ليبيا في نزاع حدودي مع تشاد عام 1980م. وقامت ازمة سياسية بين ليبيا والأمم المتحدة منذ عام 1986 عندما اتهمت ليبيا بتفجير طائرة تابعة لشركة بان أمريكان فوق قرية لوكربي الاسكتلندية وقد رفضت ليبيا تسليم المتهمين الذين حددتهم المنظمة مما ادى إلى توقيع عقوبات اقتصادية عليها ما زالت ماثلة حتى اليوم.وأعلن عن استقلال المملكة الليبية المتحدة في 24 ديسمبر/ كانون الأول 1951 مملكة دستورية تحت حكم الملك محمد إدريس السنوسي، وتشكلت أول حكومة ليبية برئاسة محمود المنتصر في 29 مارس/ آذار 1951، وصدر أول دستور للمملكة في 7 أكتوبر/ تشرين الأول من العام نفسه (1951)، وقد منح ذلك الدستور الملك سلطات واسعة. وقام العقيد معمر القذافي بانقلاب أبيض عام 1969، وألغى الملكية والدستور وأعلن الجمهورية، وحكم البلاد مجلس قيادة الثورة بعد أن حل المجالس الإقليمية، ثم تشكلت الوزارة برئاسة عبد السلام جلود. وفي عام 1976 ألغى مجلس قيادة الثورة من قبل مؤتمر الشعب العام الذي يعتبر ملتقى المؤتمرات الأسياسية والاتحادات والنقابات والروابط المهنية واللجان الشعبية. ثم تم إعلان قيام سلطة الشعب في 1977 لتنتقل ليبيا إلى صورة جديدة من الحكم انقسمت مؤسساتها إلى

المؤتمرات الشعبية الأساسية التي يلزم كل ليبي بلغ 18 عاما التسجيل فيها وحضور اجتماعاتها، وهي تعتبر الهيئة التشريعية في ليبيا . وإلى اللجان الشعبية المنتخبة من أعضاء المؤتمرات الشعبية الأساسية والتي تمثل السلطة التنفيذية في ليبيا . وعلى رأس المؤتمرات الشعبية يوجد مؤتمر الشعب العام الذي يعتبر أعلى هيئة تشريعية في ليبيا . وقد أصدر مؤتمر الشعب العام عام 1991 وثيقة أطلق عليها "الشرعية الثورية" نصت المادة الأولى منها على اعتبار كل توجيهات العقيد القذافي لازمة التنفيذ . ومظاهر السطح:حوالي 95 % من ليبيا عبارة عن سهول صخرية وبحار رملية، كما يوجد مساحات قليلة جداً من التلال في الشمال الغربي والشمال الشرقي ، وفي الجنوب ، توجد جبال التبستي على الحدود مع تشاد .والمناخ :مناخ ليبيا مناخ شديد الحرارة، شديد الرطوبة ، و يقل سقوط الأمطار على المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية ، أما على الساحل فلا يزيد المعدل السنوي لسقوط الأمطار عن 380 ملليمتر (15 بوصة) .البيئة: الموارد المائية نادرة في ليبيا إلا أن هناك سعي لتوفير المياه بالرغم من ذلك ، وقد وقعت ليبيا على معاهدات دولية خاصة بالبيئة بالرغم من أن مخلفات الصرف الصحي ومخلفات البترول مستمرة في تلويث مياه البحر المتوسط والمناطق الساحلية ، وتعاني الدولة من ظاهرة التصحر .وأهم المنتجات في المجال الزراعي: الطماطم والقمح والزيتون والبطاطس والتمور والموالح (الحوامض) والشعير، بالإضافة إلى تربية الحيوان.وفي المجال الصناعي: المنتجات النفطية. في مجال التعدين: النفط.و ليبيا عضو في المنظمات الدولية التالية : البنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا, بنك التنمية الأفريقي, الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية, الجامعة العربية, صندوق النقد العربي, اتحاد المغرب العربي, رابطة الدول الأفريقية المنتجة للبترول, مجلس الوحدة الاقتصادية العربية, مجلس التعاون الجمركي, منظمة الأغذية والزراعة, مجموعة ال 77, الوكالة الدولية للطاقة النووية, البنك الدولي للإنشاء والتعمير, المنظمة الدولية للطيران المدني, الحركة الدولية للهلال والصليب الأحمر, بنك التنمية الإسلامي, الصندوق الدولي للتنمية الزراعية, الاتحاد الدولي لمنظمات الهلال والصليب الأحمر, منظمة العمل الدولية, صندوق النقد الدولي, المنظمة الدولية للملاحة

البحرية, المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية, المنظمة الدولية للبوليس الجنائي, اللجنة الاوليمبية الدولية, المنظمة الدولية للتوحيد القياسي, اتحاد الاتصالات العالمي, حركة عدم الانحياز, منظمة الدول العربية المصدرة للبترول, منظمة الوحدة الأفريقية, منظمة المؤتمر الإسلامي, منظمة الدول المصدرة للبترول, الأمم المتحدة, مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية, منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة, منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية, اتحاد البريد العالمي, اتحاد التجارة الحرة العالمية, منظمة الصحة العالمية, منظمة حماية حقوق التأليف العالمية, المنظمة العالمية للأرصاد الجوية, منظمة السياحة العالمية

(فائدة) الحركة السنوسية تنتسب إلى مؤسسها السيد «محمد بن على السنوسى الجزائري» الذى اتصل بالحركة الوهابية وتأثر بها أثناء قيامه بأداء فريضة الحج ثم قام بإنشاء أول زاوية له بالحجاز سنة 1253ه/1837م ثم اتجه إلى موطنه الأصلى فى «الجزائر» سنة (1256ه/840م) لكنه آثر تركها لوجود الاحتلال الفرنسى بها واتجه إلى «ليبيا» وهناك التف حوله الأنصار والأتباع واتسعت حركته وانتشرت الزوايا السنوسية فى أنحاء «ليبيا»، وكانت تخضع للزاوية الرئيسية فى واحة «جغبوب» ثم فى «واحة الكفرة» وقد نادى «السنوسى» بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وتحكيم شرع الله والعمل على محاربة البدع والمنكرات التى انتشرت فى بعض أنحاء العالم الإسلامى كما دعا وتمسك بضرورة الانضواء تحت لواء الخلافة العثمانية على أنها الأمل الباقى لجمع المسلمين وتوحيد كلمتهم وقد تصدى السنوسيون بكل قوة للاحتلال الإيطالى وقادت الزوايا السنوسية حركة الجهاد ضده وقد أحرز السنوسيون العديد من الانتصارات على القوات الإيطالية

بلاد العرب وأحوالها منذ الأعصر الخالية

لقد أثبتت المباحث الحديثة أن الإنسان وجد على الأرض قبل المسيح بألوف من السنين وأن بلاد العرب كانت مأهولة كأقدم بلاد العالم ، فكيف كانت حالة العرب في ذلك العهد الخالي يا ترى ؟ لا ريب في أنها كانت تختلف كل الاختلاف عما هي عليه الآن . والمعروف عنها الآن– ومنذ عدة مئات من السنين أيضاً– أنها برِّية قاحلة ذات أرض جرداء خالية من

الماء[1] على أنها في الأعصر الجيولوجية كانت على خلاف ذلك . فقد مر على قارتي آسيا وأوروبا زمن كان فيه قسماهما الشماليان أشد بردًا مما هما عليه الآن . وكان الفرق بين الصيف والشتاء أشد وضوحًا مما هو الآن . فكان الهواء في الصيف أكثر امتصاصًا للرطوبة فيزداد به هطل الثلوج في الشمال وهطل الأمطار في الجنوب . وبناء عليه كانت أجزاء عديدة من آسيا و إفريقيا بقاعًا مخصبة جدًّا وهي الآن قفار جرداء ، وما الأودية الكاشفة سوى بحار كانت تتدفق فيها الأنهار .ومن تلك البلاد بلاد العرب ، فقد كانت سلسلة الجبال التي في غربها تتقي رياح السَّموم وتجري منها أنهر على هضاب أواسط بلاد العرب وتصب في خليج العجم . ومن تلك الأنهار نهر الدواسير الذي كان يجري في وادي الدواسير ، وكان منبعه في الهضاب المكية . وكذلك نهر الرماح الذي كان يصب مع نهر الدواسير في خليج العجم . ولا يخفى أن للحالة الجوية تأثيرًا عظيمًا في السكنى ، وهذا يبين لك لماذا كانت بلاد العرب مهد الشعوب السامية . وخلاصة ذلك أنه في تلك الأزمنة الطيبة كانت البلاد غاصّة بالسكان بخلاف حالتها الآن. ثم بدأت الأحوال الجوية في نصف الكرة الأرضية الشمالية تتغير بالتدريج فقل امتصاص الهواء للرطوبة وقل هطل الأمطار . وأصبحت البلاد التي بين أوربا والمنطقة الحارة تشعر بذلك التغيير العظيم . وبتمادي الزمن بدأ شمالي إفريقيا وبلاد العرب يجف ، فصارت الملاين التي تسكن بلاد العرب تشعر بعدم ملاءمة البلاد لسكناها .ولا حاجة إلى القول بأن الرحيل عن بلاد العرب استغرق ألوفًا من السنين وكان تدريجيًّا ، وبهذه الطريقة يمكن تعليل توالي هجرة الشعوب السامية . ولم تكن كلها غزوات أي هجرات ناشئة عن اعتبارات حربية بل كان معظمها ناشئًا عن اعتبارات سلمية بحتة كهجرة الإيرلنديين اليوم إلى أمريكا ، وكانت آخر تلك الهجرات أعظمها شأنًا وقد حدثت عند ظهور الإسلام يوم فتحت أبواب بلاد العرب وأخذ سيل المهاجرة يتدفق منها شرقًا وشمالاً وغربًا وكان لتلك الحركة غايتان تتفقان مع طبيعة البلاد الجغرافية ؛ إذ لا يخفى أن شبه جزيرة العرب مقسومة إلى قسمين : ( 1 ) البلاد العربية الغربية ( وهي اليمن والحجاز ) ومنفذها سورية إلى الشمال الغربي ومصر والحبشة على سواحل البحر . ( 2 ) الوسط الشرقي ومنفذه الطبيعي

العراق وما بين النهرين . أما القسم الجنوبي من بلاد العرب ( أي حضرموت ) فقائم بنفسه . فسيل المهاجرة من بلاد العرب كان يتدفق إذا شمالاً إلى فلسطين وسوريا أو غربًا إلى مصر والحبشة . أو شمالاً شرقيًا إلى العراق ووادي دجلة و الفرات . وقد وقعت أول هذه المهاجرات عند أول فجر التاريخ . ثم تبعتها المهاجرات الأخرى في الأزمنة التاريخية المعروفة . ( 1 ) المهاجرة الأولى- قبيل فجر هذا التاريخ قام بهذه المهاجرة شعوب سامية نزحوا إلى العراق ومعهم شعوب سومريون فتألفت منهم الأمة البابلية ، ويعتقد العلامة ( قيطاني- أو- كاتياني ) أن المصريين القدماء الذين دخلوا وادي النيل عن طريق البحر الأحمر واستعمروا أولاً مصر العليا كانوا ساميين ، وقد هاجروا في نفس الزمن الذي هاجر فيه مواطنوهم إلى العراق . ومما يؤيد هذا الرأي أن في اللغة المصرية القديمة آثار سامية عديدة منها الكاف ضمير المخاطب المفرد المضاف إليه ( 2 ) أما المهاجرة الثانية فقد وقعت في أول عهد التاريخ المعروف أي بين ستة آلاف و2500 قبل المسيح ، وكان اتجاه سيل هذه المهاجرة أيضاً إلى شمال العراق وجنوبه ويتضمن حروب سرجون الملك السامي الشهير . ( 3 ) وأما المهاجرة الثالثة فقد وقعت من سنة 2500 إلى سنة 1500 قبل المسيح وفي أثنائها نزح الآشوريون الساميون من بلاد العرب وأسسوا مملكة أشور وعاصمتها نينوى على أعالي دجلة ، وفي ذلك الزمن عينه نزح الرعاة ( الهكسوس ) من غربي البلاد العربية إلى مصر وغزا الفينيقيون غربي سوريا واجتاح الكنعانيون فلسطين . ( 4 ) هجرة الآراميين : بعد سنة 1500 قبل المسيح وانتشر الأراميون في وادي الفرات وسوريا فأصبحت لغاتهم لغة التجارة ؛ إذ كان بيدهم طريق التجارة المار بحلب ومن الشعوب السامية التي لم تنزح من بلاد العرب القبائل الصائبية والحميرية والعرب الذين كانوا يتكلمون العربية الحديثة . وكانت هذه اللغة قد نشأت بتمادي الزمن نشوءًا بطيئًا جدًا . أما سبب عدم هجرة هذه الشعوب فهو لأن غربي بلاد العرب كان أكثر خصبًا من شرقيها ، وقد كان طريقًا للتجارة بين الهند و البحر المتوسط يمر باليمن والحجاز وينتهي إلى غزة وهذا يأتي بنا إلى : ( 5 ) ظهور الإسلام.وليس هذا أول مرة ظهرت فيها القبائل المتكلمة باللغة العربية لتستوطن البلاد المجاورة فإن بعضها سبق فاستوطن

غسان و الحيرة والعراق ومهّد الطريق للعرب الذين كانوا في أيام محمد –صلى الله عليه وسلم– فعودوها المهاجرة والاستيطان ، وكانت بلاد العرب قد ضاقت مرة أخرى بأهلها الساميين الذين اشتهروا بالقوة والبأس والذكاء وكثرة النمو . ومما يدل على ضيق الوسائل الاقتصادية في تلك البلاد بأهلها فقرهم المدقع وعوزهم وعادة وأد البنات عندهم . أما قواهم المتزايدة فكانوا ينفقونها في محاربة بعضهم بعضا وفي شن الغارات والغزوات إلى أن بدت طلائع تلك النهضة الدينية فجمعت بين القبائل المتخاصمة وجعلتهم يوحدون قواهم ويوجهونها إلى الخارج . وهكذا فتحت أبواب العربية وخرج العرب ليغزوا البلدان في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية. وقد كان بين أولئك العرب رجال ذوو صفات ومآرب مختلفة ، فمنهم الشديد القوي كعمر والقائد المحنك كخالد ، ومنهم المجازف ، ومنهم المسوق إلى الحرب بطمع الأسلاب .

على أن عامل الدين هو الذي فتح لهم السبيل ومهده ومنحهم قوة ولكن كان للعوامل الاقتصادية التي أشرنا إليها والتي كانت تؤثر في بلاد العرب منذ أقدم الأزمنة شأن يذكر وكان الجانب الأكبر من جيش محمد –صلى الله عليه وسلم– رجالاً قد دانوا حديثاً بالإسلام فكانوا يقبلون عليه أو يرتدون عنه بسرعة عظيمة ؛ لأن معرفتهم كانت ناقصة ، ولا شك أن أمثال أولئك ما كانوا ليتمسكوا بعروة الإسلام لولا ما رأوه من الانتصارات التي يؤتاها جيش المسلمين ، ولولا انقلابهم من ضيق العيش إلى سعته. وكان في جيش الميدان الغربي مئات من المكيين الذين أيدوا الأمويين فيما بعد ولا يزال المسلمون يقولون حتى اليوم : إنهم لم يكونوا على شيء من الإسلام وأمثال أولئك كانوا يعتبرون أنفسهم في بيئة هي عربية أكثر منها إسلامية .

أما حروب الإسلام التي أفضت إلى مزج العرب بأهالي البلاد التي افتتحوها من بخارى شرقاً إلى أسبانيا غربًا فقد كانت عبارة عن مهاجرة هي آخر المهاجرات السامية من شبه الجزيرة بلاد العرب ولم تحدث مهاجرة بعد ذلك أو بمقدار صغير جداً لا نزال نشاهد آثاره حتى اليوم وهو ناتج عن نفس الأسباب التي أفضت إلى المهاجرات السابقة أي إمحال بلاد العرب . أما النتيجة فهي ظهور القوة الكامنة في الأمة العربية ظهورًا بيّنًا واتخاذها مجرى جديدًا وبيئة مثمرة. وقد ذكر الأستاذ هركرونجه أن عرب حضرموت الذين هم أفقر سكان تلك البلاد

فكوا القيود التي كانت تربطهم ببلادهم وهاجروا إلى الهند وجزائر الهند الشرقية حيث أظهروا همة عالية ونشاطًا غريبًا .فقد أصبحوا خبيرين بأمور التجارة مع أنهم كانوا يجهلونها في موطنهم الأصلي ولا تزال الأعمال والأشغال تنتقل إلى قبضة يدهم حتى لقد أصبح بعضهم من كبار الأغنياء , ولا ينحصر تفوقهم في الأعمال والمتاجر فقط بل في الأمور العقلية أيضا .وهذه صورة مصغرة للعرب الذين نزلوا بسوريا و بلاد فارس في المائة الأولى للهجرة.وهي تنطبق على حالة العرب عمومًا منذ ألوف من السنين حتى اليوم ، وقد أظهر دولة شريف مكة بنهضته الأخيرة أن العرب لا يزالون يأبون الضيم ويعشقون الحرية والاستقلال ، وهم يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل الدفاع عن كيانهم . ترى هل نحن على وشك أن نرى من جانب بلاد العرب مباغتّات جديدة مدهشة كما رأى العالم منذ مئات من السنين ؟

جامعة الدول العربية

بمناسبة ذكر العرب نختم هذا الفصل بإشارة إلى جامعة العرب التي تجمعهم كأمة في عصرنا هذا وكيف أنشئت .وعليه فأقول إن جامعة الدول العربية كما جاء في الموسوعة تعرف أيضاً باسم (League of Arab States (LAS وهى منظمة إقليمية أُنشئت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، وتضم الدول العربية المستقلة الموقعة على ميثاق الجامعة، وتهدف إلى تحقيق التعاون الاختيارى بين الدول الأعضاء، واحترام سيادتها ويقع ميثاق جامعة الدول العربية فى (20) مادة وثلاثة ملاحق، أحدها خاص بفلسطين. وبدأ تطبيق الميثاق فى (11 من مايو سنة 1945م) . ويبلغ عدد الدول الأعضاء بالجامعة (22) عضوًا، والعضوية بها مقتصرة على الدول المستقلة. وتتمتع الجامعة العربية بكيان قانونى دولى؛ لذلك كان من سلطتها إبرام المعاهدات الدولية بين أحد أعضائها وأى دولة أخرى. وتتكون الجامعة من عدة أجهزة رئيسية، هى مجلس الجامعة الذى يُعد أعلى سلطة فى الجامعة، و الأمانة العامة ومقرها القاهرة، ويرأسها الأمين العام، و اللجان الدائمة التى تهدف إلى تحقيق الأهداف التى أنشئت من أجلها الجامعة، ويبلغ عدد هذه اللجان (12) لجنة، فى المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية. ولتحقيق التعاون بين أعضاء الجامعة قررت الدول السبع المؤسسة للجامعة توقيع

اتفاقية الدفاع المشترك سنة (1950م)، وكذلك السوق العربية المشتركة سنة ( 1964م)، وقد شجعت الجامعة على إنشاء المنظمات المتخصصة فى المجالات المختلفة، مثل: منظمة العمل العربية و اتحاد البريد العربى. وكان للجامعة دور بارز فى حل النزاعات العربية، مثل: النزاع السورى اللبنانى سنة (1949م) ورغم أهمية دور الجامعة العربية فى تحقيق التعاون العربى فإن هناك بعض المعوقات تؤثر فى عملها، أهمها: تباين الآراء والمواقف، واختلاف تبعات القرارات على الدول الأعضاء، وكذلك المعوقات الخاصة بالميثاق، ومحاولات الصهيونية العالمية عرقلة الوحدة العربية. وقد تعرضت الجامعة لأزمة كبيرة؛ بسبب نقل مقرها إلى تونس سنة (1978م) بعد اتفاقية كامب ديفيد، واستمر هذا الأمر حتى عادت مرة أخرى إلى مقرها فى القاهرة سنة (1990م) كذلك أثر الغزو العراقى للكويت فى الموقف العربيٍ، وأدى إلى انقسام العرب. ويشغل عمرو موسى منصب أمين عام جامعة الدول العربية اعتبارا من عام 2001م. والدول الأعضاء فيها هي (21 زائد منظمة التحرير الفلسطينية) والدول هي : الجزائر. البحرين. جزر القمر. جيبوتي. مصر (تم تجميد عضويتها من عام 1979 إلى عام 1988 بسبب معاهدة السلام التي وقعتها من العدو الصهيوني إسرائيل ) العراق. الأردنّ. الكويت لبنان. ليبيا . موريتانيا . المغرب. عمان. قطر. السعودية. الصومال. السودان. سوريا تونس. الإمارات ، اليمن.

قلت وبعد هذه الفذلكة من معالم التاريخ العام والخاص نرجع إلى مانحن بصدده ونبدأ في تحرير الجزء الثاني .

----

﴿ انتهى الجزء الأول ويليه بإذن الله تعالى الجزء الثاني أوله ذكر آدم و عقبه ﴾

الفهرست



﴿ أعزائي القراء الأفاضل ﴾

هذا تعريف بالكتاب ومؤلفه

الكتاب بأجزائه الأربعة يسمى : ( التحقيق المتكامل ) ويتضمن جملة من المقدمات وعدة ملاحظات وثمانية وعشرين كتابا كل كتاب يتضمن عدة فصول كل فصل يتضمن عدة أبواب . تتبع ذلك خاتمة حسنة . وتقاريظ مستحسنة وردت على المؤلف من مشايخ علماء وأساتذة حكماء وإطارات نبلاء . أفادوها بها تشجيعا له على البحث والمتابعة والاسترسال في الكتابات الهادفة . و تلك الموضوعات كلها ( مقدمات . وكتبا و فصولا . وأبوابا وتقاريظ ) ترد بإذن الله تعالى مفصلة ومنظمة بأسلوب سلس عذب . وبطريقة بديعة سهلة . تحتوي معلومات نسبية . ونصوصا تراثية معتمدة . واقتباسات مرونقة منقولة من مراجع موثوقة . ومن ذاكرات حافظة لاتكل ولا تنسى و الكمال المطلق لله الواحد الأحد . هذا وللإفادة والإستفادة بإمكان القارئ الكريم أن يتعرف على صُوَر بعض الشخصيات الواردة أثناء نصوص هذا الكتاب في المؤَلف المسمى ( بُغية الوصال في معرفة صور بعض الرجال ) والكتابان من تأليف الفقير إلى الله تعالى : الميلود قويسم بن الهدار العُبيدلي الرقادي السعداوي النايلي الجلفاوي إمام عين الإبل ومعتمدها وعضو المجلس العلمي بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف حاليا .

وبعد : إخواني القراء النبلاء :

هذه صورتي وهذا خيالي ... هذه حالتي وهذا شعاري
أذكروني بها لأحظى بعفو ... يا صحابي يا رفقتي يادياري
إني عبدٌ ضعيفٌ والعمر فانٍ ... وعساه الكريمُ يرضى اعتذاري

*



موسوعة

# التحقيق المتكامل

في

﴿ مناقب وقيم وتقاليد وتراث ونسب أولاد سيدي نايل ﴾
ومن جاورهم من العروش والرفق والقبائل

## ﴿ الجزء الثاني ﴾

تأليف


راجي عفو ربه
الميلود قويسم بن الهدار
﴿ إمام أستاذ بعين الإبل. الجلفة. الجزائر ﴾


---

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وثناء

أشكر مساعي جنود الخفاء

أهل الغيرة والوفاء . والمبرة والإصطفاء . السادة الأبرار . والصفوة الأخيار

المشايخ النبلاء . والعظماء الكرماء . الساسة الأوفياء .

الذين ساهموا في طبع وتوزيع ومراجعة هذا الكتاب

نشرا للثقافة الهادفة . واحتسابا للأجر والمثوبة

حقق الله قصدهم وبارك سعيهم

*

﴿ ملاحظة ﴾

﴿ طُبع الكتاب بأجزائه الأربعة ﴾

﴿ على نفقة المحسن الكبير الحاج بلقاسم العمراوي ﴾

نقيب الأحباب القادرية والرحمانية بالجلفة

أجزل الله له المثوبة والشفاء والعافية

*

الطبعة التجريبية الأولى

1427هـ / 2006م

ملاحظة

قد تكون هناك تصحيفات مطبعية لابد من إصلاحها

---

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم مؤلفه / الميلود قويسم بن الهدار

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وأشهد أن لا إله إلا الله رب جميع المخلوقات . وأشهد أن سيدنا محمدا عبد ورسوله سيد السادات وأشرف الكائنات . صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب والخصوصيات . ومن تبعهم بحسن الأقوال والأفعال والنيات . وبعد : فإني لما انتهيت من تحرير كتابة ( الجزء الأول ) من كتابي ( التحقيق المتكامل ) وما تضمنه من ملخص بعض البحوث الهامة وبعض الأنساب العليا ها أنا ذا أبدأ في تحرير كتابة ( الجزء الثاني ) وسيتضمن بإذن الله تعالى ذكر الحقيقة المحمدية وما يتبع ذلك من أنساب , جعل الله العمل خالصا لوجهه الكريم . إنه على ما يشاء قدير . وبالإجابة جدير . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله . والحمد لله رب العالمين . وبه مؤلفه راجي عفو ربه / الميلود قويسم إمام أستاذ بعين الإبل . ولاية الجلفة . الجزائر .

الكتاب الحادي عشر

ويتضمن الفصول التالية : الفصل الأول في ذكر عينات من الكون المشاهد . الفصل الثاني في ذكر نشأة آدم وحواء وعقبهما . الفصل الثالث في ذكر عصر نوح وذريته . الفصل الرابع في ذكر سيدنا إبراهيم وذريته . الفصل الخامس في ذكر سيدنا إسماعيل وذريته . الفصل السادس في ذكر النسب العدناني الوارد .



## الفصل الأول

## في

## ذكر عينات من الكون المشاهد

----

## الكون المشاهد

-------

### تمهيد

إن دراسة ما توصل إليه العقل البشري من معالم بدإ الخليقة المشاهدة اعتمادا على ما ذكره الوحي المبارك وما استنتجته البحوث المعاصرة يفتح ذهن المتابع على بحوث علمية تدل بحيثياتها على معجزة الخالق جل شأنه وتدعوا الثقلين كافة إلى عبادته التي من أجلها خلقوا ولها هيئوا ونكتفي في هذه النقول على ما يتعلق بكتابي هذا الذي جعلته لنفسي ولمن هو قاصر مثلي وعليه فأقول :

### الكون

الكون اصطلاحا كما قالت ( موسوعة الحاسوب ) هو اللفظ المستخدم للدلالة على كل ما حولنا من النجوم التي نراها ليلا في السماء والتي تتجمع فى مجموعات تعرف بالمجرات إلى الفضاء الواقع بين هذه المجرات ومايوجد به من غازات وغبار كوني ، بالإضافة إلى أي شيء يقدر له الوجود وراء حدود مانراه . ولم يشعر الإنسان شعورا حقيقيا بوجود الكون إلا في نهاية القرن الثامن عشر ، عندما اكتشف أنه يسكن على سطح كوكب صغير ، في مجموعة شمسية تمثل جزءا من مجرة تحتوى على ألوف الملايين من النجوم ، وأن هناك مجرات مشابهة تقع في الفضاء ، الذي يمتد وراء هذه المجرة، والتي عرفت في ذلك الحين باسم "الجزر الكونية . ويعرف علماء الفلك اليوم ما يزيد على مائة ألف مليون مجرة، تفصل كل مجرة عن الأخرى مساحة هائلة، وأقرب المجرات إلينا مجرة "المرأة المسلسلة" أو "الأندروميدا" وتفصلنا عنها مسافة تقدر مليونى سنة ضوئية، بمعنى: أن الشعاع الصادر منها والمنطلق بسرعة 300 ، 000 كيلو متر فى الثانية لا يصل إلينا إلا بعد مليونى سنة، مما يدل على أننا لانعرف شيئًا عن هذه المجرة حتى الآن ، فنحن نراها كما كانت فى الماضي، وربما تكون قد انفجرت ، أو اختفت فى

الفضاء . وهذه الحقيقة محيرة إلى حد كبير، فنحن عندما ننظر إلى ماحولنا من نجوم أو مجرات إنما نراها كما كانت فى الزمن الماضى، كذلك أقرب نجم إلى مجموعتنا الشمسية ويدعى "ألفا سنتورى" تفصلنا عنه نحو 3، 4 سنة ضوئية، أى تفصلنا عنه ملايين من الكيلومترات ويذكرنا ذلك بالآية الكريمة ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ وبتقدم العلم والمعرفة توصل الإنسان بفكره إلى نظرية خاصة بنشأة هذا الكون ، وهى تنص على أن كل مايحتويه هذا الكون من مجرات وغازات وسحب الغبار الكونى كانت ملتحمة معا فى زمن مغرق فى القدم على هيئة كتلة مركزية شديدة التماسك والانضغاط ، ثم انفجرت هذه الكتلة، وتناثرت شظاياها فى جميع الاتجاهات ، ثم تحولت بمرور الزمن إلى المجرات الحالية التى يتكون كل منها من ملايين النجوم ، وتعرف هذه النظرية باسم "الانفجار العظيم" وهى تتمشى مع المعنى المفهوم من الآية الكريمة ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ وتدل هذه النظرية على أن هذا الانفجار العظيم قد حدث منذ نحو ( خمسة عشر ألف مليون سنة ) على وجه التقريب ، وأن هذه المجرات مازالت تندفع فى الفضاء بسرعات كبيرة جدا ، مما يدل على أن الكون يتمدد ويتسع بمرور الزمن ، وهذا المعنى نفسه الذى ورد فى الآية الكريمة ﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾ ولكن هل يمتد ويستمر هذا الاتساع الى الأبد ، أم هل يتوقف هذا التمدد فى المستقبل عندما تبطيء سرعة المجرات وتبدأ عملية التجاذب بينها ، فينكمش الكون مرة أخرى، ويوصف عندئذ بأنه كون مغلق . ويعتقد بعض العلماء أن الكون يحتوى على قدر كبير من المادة، سواء منها المادة المضيئة التى توجد على هيئة سحب من الغازات والغبار الكونى، وهو مايكفى لحدوث التجاذب بين مكوناته وانكماشه مرة أخرى، وسيستمر هذا الانكماش مدة طويلة ، وتقترب المجرات بعضها من بعض لتندمج معا فى نهاية الأمر فى كتلة مركزية واحدة ثم تعود إلى الانفجار مرة أخرى لتكون كونا جديدا ، ويذكر ذلك بقوله تعالى ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ﴾ وقد وضع عالمان هما : "إدوارد نايرون" و "ألكساندر فيلينكين" نظرية تفترض أن الكون عندما ينكمش سيصل إلى حجم متناه فى الصغر لايزيد على حجم البرتون ، ثم يختفى فجأة فى العدم ، وطبقا لنظرية "ميكانيكا الكم" سيظهر الكون من العدم " Out of

nothingness" مرة أخرى ليتمدد بشكل نهائى مدة من الزمن ، ويصعب تصور هذه النظرية، ولكنها تتمشى مع قوله تعالى ﴿ بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾[1] .

## كيفية منشأ وحجم الكون

لايزال ولن يزال التساؤل قائما حول كيفية نشأة الكون الذي يقود إلى لغز كبير، مع أن كثيرًا من العلماء اليوم يقبلون نظرية "الانفجار العظيم" والتي توحي بأن الكون قد بدأ بانفجار هائل تم فيه خلق المادة وتناثرت في الفضاء . وقد نتج عن ذلك جزيئات ذرية تحولت إلى ذرات هيدروجين والتي تشكل الآن 90% من الكون. تمددت سحابة الهيدروجين ثم تفتتت إلى سحائب منفصلة مكونة مجرات النجوم مثل مجرتنا المعروفة باسم "درب اللبَّانة" . وأثبتت البحوث أن الكون لا زال يتمدد، وربما سيظل يتمدد إلى الأبد ، أو ينكمش في النهاية للداخل ويعتقد الفلكيون أن الكون له من العمر ما بين 13000 مليون إلى 20000 مليون عام . ولا أحد يعرف حجم الكون، إلا أن هناك بعض الطرق التي تفتق عنها الذهن البشري لقياس المسافة والفضاء . وعلى سبيل المثال القياس على أساس مدار الأرض تعتبر السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة 186282 ميلاً في الثانية خلال الفضاء كل سنة الخ .

## أحداث مدار تاريخ الأرض

الأحداث الرئيسية التي وقعت على مدار تاريخ الأرض . تظهر في الرسومات العلمية كما لو كانت على ميناء مقسمة إلى 12 ساعة تمثل ملايين السنين . وقد تكونت الأرض منذ 4.6 بليون سنة أي 12 ساعة على الميناء وبدأت أول حياة على الأرض منذ 3.5 بليون سنة على شكل كائنات أحادية الخلية وظهرت النباتات والحيوانات منذ بليون عام . وتكونت معظم الحفريات منذ 590 مليون سنة وتاريخ أول ظهور للحيوان والنبات على سطح الأرض مُقدّرًا بملايين السنين وكأنه حدث منذ ساعتين فقط وإن المخلوقات الموجودة الآن تطورت من أنواع بدائية وظهر بعضها في صورته الحالية في وقت باكر عن الآخرين وقد كانت القشريات من أوائل الحيوانات ظهورًا وقد ظهرت منذ حوالي 650 مليون سنة قبل البشر وفي منتصف الحقبة بين أول ظهور لها وظهور البشر،

---

[1] أ.د/أحمد مدحت إسلام

طورت الحشرات خصائصها منذ 380 مليون سنة وأول ظهور (منذ ملايين السنين) القشريات وعددها 650 ثم الأسماك وعددها 510 ثم النباتات البرية وعددها 420 ثم الحشرات وعددها 380 ثم نباتات البذور وعددها 360 ثم البرمائيات وعددها 360 ثم الزواحف وعددها 340 ثم الثدييات وعددها 213 ثم الطيور وعددها 150 ثم النباتات المزهرة وعددها 140 ثم بعد ملايين السنين جاء البشر مبادئا بآدم وحواء عليهما السلام وهما أصل جنس البشرِ الحالي ولا عبرة بما قاله المهلوسون من أمثال ( داروين ) ومَن على شاكلته إذ يكفينا قناعةً وحجة وإيمانا كلام ربنا الذي لا (يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) .

## الفصل الثاني

## في

## ذكر آدم وحواء

-----

### آدم وحواء هما أصل البشر الحالي

كما جاء في القرآن . وكما هو واضح للعيان . أن سيدنا آدم وسيدتنا حواء عليهما السلام هما أصل البشرية جمعاء ومن قال غير ذلك خسئ وخاب . ولقد تصدى علماء العصر قديما وحديثا له بما فيه الكفاية . ولو أن قوله لايعبأ به إذ هو مجرد هذيان وسوست به نفوس الأشقياء ( قلت ) ومن بين المتصدين لذلك الرادين بالإفحام (الشيخ عطية صقر المصري) حيث قال رحمه الله (إنه ) في القرن التاسع عشر الميلادي الذي ظهرت فيه نزعة الثورة على الكنيسة والأفكار والآراء الدينية السائدة برز جماعة منهم "لامارك" الفرنسى المتوفى سنة 1829 م "واغوست ايرينوس" المتوفى سنة 1927 م و "تشارلس دارون" الإنجليزى المتوفى سنة 1882 م والذي أثار ضجة في العالم عندما ظهر كتابه "أصل الأنواع" سنة 1859 م وكتابه "تسلسل الأنواع" سنة 1871 م ، وهو يشتمل على ثلاث مسائل : ( أ ) – أن طريق حدوث تنوعات العالم هو النشوء أى أن أجزاء الأثير تكون منها السديم ثم الشمس ثم انفصلت عنها الكواكب ومنه أرضنا ثم تكونت العناصر ثم المعادن ثم المكون الأول الحى "البروتوبلازم" الذى أخذ فى التوالد والترقى حتى بلغ أدنى نبات أو حيوان ولم يزل هذان يترقيان بالنواميس الأربعة (التباينات ، الوراثة ، تنازع البقاء ، الانتخاب الطبيعى ) ويشتق من الأنواع

أنواع حتى تكونت جميع الأنواع التى نراها اليوم. (ب) - أن الإنسان ما هو إلا حيوان من جملة الحيوانات حادث بطريق النشوء والارتقاء وأنه لمشابهته القرد لا يمنع أن يكون قد اشتق هو وإياه من أصل واحد . (ج) - أن الحياة وعقل الإنسان ما هما إلا ظاهرتان من ظواهر تفاعل أجزاء المادة وإن يكن أصل المادة خاليا من الحياة والإدراك ، وأن عقل الإنسان لا يختلف عن عقول الحيوانات إلا بالكم ، ولا يخالفها فى الذات والحقيقة. ومع هذه الدعاوى لم يستطع "دارون" ومن ساروا في ركابه أن يبرهنوا عليها بالأدلة الكافية ، فهى مجرد افتراضات ، وأكثر اعتمادهم فى ذلك على تطوير نوع من الزهور والنباتات غيَّروا شكلها ولم يغيروا جوهرها ولم ينجحوا فى شىء من عالم الحيوان ولكنهم قالوا يجوز أن يكون الإنسان متطورا عن حيوان قبله وهو القرد (أخزاهم الله وخيّبهم) ويشرح "لا مارك" ذلك بقوله : إن الكائن الحى يشعر من تغير الأحوال عليه بضرورة حدوث عضو جديد له فيفعل للحصول على ذلك فيحدث في آحاده يسيرا يسيرا كالزرافة ، فقد كانت فى زعمه كسائر الحيوانات - ذات عنق قصير، ولكنها لما احتاجت إلى أكل الأشجار العالية صارت تتفعل لذلك وتشرئب لتنال الورق العالى فطالت عنقها يسيرا يسيرا حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن فالحاجة هى التى تنشىء الأعضاء الجديدة عند لا مارك ولكن دارون يقول إن الصدفة أو الاتفاق هو الذى ينشئها . لقد قام جماعة من المفكرين بالرد على نظرية دارون فقال "س. فان هو فنسفيلت" إن النتائج التى وصل إليها الباحثون فى الأحياء المتحجرة لم تساعد على إقامة أى دليل على التسلسل أو التطور التدريجى بل ثبت على عكس ذلك أن الفروق الدقيقة بين صفوف الأجناس التى نعرفها بقيت على الدوام فاغرة ولم تتلاش أو تقرب من ذلك. وقال "جوستاف جوليه" الأستاذ فى السوربون : إن العقبات التى يرتطم بها مذهب النشوء والارتقاء تنحصر فى خمسة أمور : ا- أن العوامل التى يقوم عليها هذا المذهب قد ظهر عجزها فى تعليل أصل الأنواع. ب- تبين عدم كفايتها لتعليل وجود الحشرات. جـ- تبين عدم غنائها فى تفسير التحولات الفجائية المولدة لأنواع جديدة. د- اتضح قصورها عن تعليل تولد طبائع الأنواع الجديدة وثبوتها نهائيا ، وقد ثبت أنها متى تولدت فيها بسرعة تبقى ثابتة لا تتغير. هـ- ثبت عجزها عن تفسير عوامل التطور الذى تدخل فيه الكائنات فتحولها من

حالة ساذجة إلى حالة مركبة وتدفعها من النقص إلى الكمال. هذه هى نظرية دارون الافتراضية وذلك بعض ما ردَّها به علماؤهم أما رأى الدين فيها فيتضح مما يلى :

رأي الدين في النظرية الدروينية

قال الشيخ عطية صقر أما رأى الدين فيتضح مما يلى : قولهم إن المخلوقات خلقت عشوائيا بغير تدبير سابق وعلم محكم يرده قول الله سبحانه ﴿ إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ وقوله ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون ﴾ وقولهم إن الإنسان ليس له خالق، يرده قول الله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ وقوله ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ وقوله ﴿ هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ﴾ وغير ذلك من الآيات الكثيرة. وقولهم إن البقاء للأقوى والكوارث هى سبب هلاك المخلوقات الضيفة مردود بأن الله يهلك الأقوياء كما يهلك الضعفاء ﴿ إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ﴾ ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ﴾ وادّعاؤهم معرفة كيف نشأت الأحياء على الأرض يرده قول الله تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ وادعاؤهم أن الطيور والحشرات لا تفهم يرده قول الله سبحانه ﴿ وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علّمنا منطق الطير ﴾ وادعاؤهم أن الطير أقل تطورا من الثدييات والإنسان يرده قول الله تعال ﴿ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ﴾ وزعمهم أن الإنسان متطور عن كائنات حية سابقة يرده قول الله تعالى ﴿ الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان ﴾ وقوله ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ وحديث ( إن الله خلق آدم على صورته ) رواه البخارى ومسلم. وادعاؤهم أن القرآن يقر نظرية التطور كقوله تعالى ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ مردود بأن الأطوار فى الآية ليست التطور الذى يزعمون فالمعنى أن الإنسان خلق على النحو الذى قال فيه رب العزة ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة. فخلقنا العلقة مضغة. فخلقنا المضغة عظاما. فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ و قولهم إن الموت يأتى صدفة للضعيف ويترك القوى ليتطور، يرده قول الله تعالى ﴿ خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ وقوله ﴿ كيف

تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ هذا بعض ما تفند به نظرية دارون ، ويمكن ( للمزيد من البحث ) الرجوع إلى مجلة الأزهر "المجلد الثانى ص 749" ودراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة . ومجلة الهداية التى تصدر فى البحرين عدد مارس 1993 ، ومراجع أخرى .

هل الأول آدم أم حواء

ورد سؤال على الأزهر يقول إن هناك كتاب ظهر حديثا في إندونسيا بعنوان ( القرآن وتاريخ الإنسانية ) قرر فيه مؤلفه بإسهاب أن أول الإنسان هو أنثى لا رجل وأن أهل الأديان جميعا أخطأوا فى قولهم إن أول البشر آدم ، واستدل بأدلة عقلية وعملية، مستأنسا بقوله ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفا فمرت به ﴾ ويسأل ( 1 ) – هل يجب الاعتقاد بأن أول البشر هو آدم عليه السلام ، وما حكم من قال : إن أول البشر على الإطلاق أنثى لا رجل ( 2 ) – هل يوجد من علماء المسلمين سلفا وخلفا من يقول بأن أول البشر على الإطلاق أنثى لا رجل . وأجاب الشيخ عطية صقر المصري بقوله : اعلم أن القرآن لم ينزل ليعلم الناس حقائق علمية في المجالات المختلفة ، ولكنه نزل للإعجاز والهداية ، يحدد ما يجب تحديده كالعقائد والعبادات ويضع أصولا كلية وأوامر عامة فيما يختلف باختلاف البيئات والعصور ، غير أنه إذا وردت فيه مسائل علمية بقصد الإعجاز والهداية فإنها حق لا شك فيه حتى لو لم يفهمهما الناس ، فإن جهلها لا يضر ، أو أن الزمن كفيل ببيان المراد منها عندما تكتمل أدوات المعرفة . وقد نصح العلماء بعدم الإسراع لربط المكتشفات الحديثة بالقرآن ، فقد تكون هذه المكتشفات ما تزال في طور النظرية القابلة للتغيير ، فلا ينبغي أن تحمل عليها آيات القران حملا قد يكون فيه تعسف ، وقد يضر بتقدير الناس للقرآن عندما يتبين أن هذه النظريات خطأ . وتاريخ الإنسانية الذي يشير إليه عنوان الكتاب ومحاولة معرفته عن طريق القرآن ليس من المسائل الجوهرية في الدين ، فلم يكلفنا الله بمعرفته ولم يوجب علينا اعتقاد ما ليس فيه نص عنه في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة . ومهما يكن من شيء فإليك ما يأتي خاصا بهذا الموضوع ( 1 ) سيدنا آدم هو الخليفة في الأرض قال تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس

لك ﴾ فالملائكة لم تكن تعرفه من قبل ، وكانوا يظنون أنه سيفسد كما أفسد من قبله ولن يكون على مثالهم هم من الطهر ودوام الطاعة لله ، فهو خلق جديد عليهم . ( 2 ) – خلق آدم من تراب مبلل بالماء فصار طينا ولما أمر الله الملائكة بالسجود له امتنع إبليس ، قال تعالى ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾ وقد برر إبليس امتناعه عن السجود بقوله ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فآدم خلق غير معروف من قبل للملائكة ولإبليس ، فهو جديد عليهم ليس له مثال سابق . ( 3 ) – إن البشر جميعًا منسوبون لأصلهم الأول وهو آدم ، قال تعالى ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ فآدم أول المخلوقات البشرية ( 4 ) – إن الله خلق من نفس آدم – أي مادته وهي التراب أو من جسده بعد أن سواه ونفخ فيه الروح وهذا لم يدل عليه دليل قاطع – خلق من نفس آدم زوجها ليسكن إليها ويأنس بها وهي حواء ، قال تعالى ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ والنفس المذكورة هي آدم ، ولفظ النفس مؤنث وإن كان معناه قد يكون مذكرًا ، فهو يطلق على الذكر والأنثى ، مثل لفظ شخص يصلح لإطلاقه على كلا النوعين ، ولفظ الزوج يطلق على الرجل والمرأة فيقال : علي زوج فاطمة وفاطمة زوج علي ، وهما زوجان ، والمراد بالزوج في هذه الآية حواء الأنثى قال تعالى ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ فالخطاب لبني آدم الذكور ، والمنة عليهم بأن جعل الله لهم من أنفسهم زوجات نساء ومن هؤلاء الزوجات يأتي البنون والحفدة فالرجال هم الأصل والنساء تبع لهم . ( 5 ) – خلق الله آدم أولا ثم خلق حواء ، قال تعالى ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ فالتعبير بلفظ "ثم " يفيد الترتيب في الزمن أو الرتبة ، وهو على كل حال يفيد سبق آدم لحواء ، ووجه الله الخطاب في القرآن لآدم وجعل حواء زوجه تبعًا له ، وهو يشعر بتقدم آدم عليها . قال تعالى ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ وكما تشير إليه آية سورة النحل السابقة " وضمير الخطاب والغيبة في الآيات المذكورة كلها مذكر وليس مؤنثًا فآدم ذكر وليس أنثى ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ كما في قوله ﴿ فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ ونخلص من هذا إلى حقيقتين . أولاهما أن آدم هو أول البشر على الإطلاق

وثانيهما أنه ذكر لا أنثى ، واللغة العربية التى نزل بها القرآن هى التي أوصلتنا إلى هذا الاستنتاج ولم نجد فيما اطلعنا عليه أن أحدا من العلماء المسلمين قال غير ذلك فصار إجماعًا مستندًا إلى ما ذكر من الأدلة .

## محاولة التشكيك في أول البشر

قال الشيخ صقر وفي الختام أقول : إن محاولة التشكيك في أن أول البشر ذكر هو آدم ممهدة للقول بنظرية "داروين" في أصل الأنواع وفي النشوء والارتقاء التي تجوز أن آدم جاء نتيجة لتطورات خلقية سابقة، قد يكون مبدؤها أصلاً أنثويًا وجدت فيه الروح ، فكان الكائن الحي الذي تطور إلى آدم البشر السوي ومعروف أن نظرية "داروين" لم تسلم من النقد ، ورفضها أكثر العلماء المحققين ، لأنها تقوم على افتراضات غير ثابتة يقينًا . ومع ذلك فقد قلت فيما سبق : إن المسألة ليست اعتقادية ولا تتوقف صحة الإيمان عليها ، غير أن من خالف مواضعات اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم كان معرضا للانزلاق إلى استنباطات واهية ونتائج غير صحيحة قد تمس حقائق الدين المتفق عليها فيضل ويشقى وهذا إلحاد في التفكير يخشى أن يندرج تحت قوله تعالى ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ﴾ .

## آدم وحواء

قد تكلم العلماء على آدم ومتعلقات قصته في التفسير ولنذكر ههنا مضمون ما دلت عليه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه فقد أخبر سبحانه و تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم ( إني جاعل في الأرض خليفة ) وأعلمهم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال ( وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ) وأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض الجهلة قالوا ( أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ) قال قتادة علموا أن ذلك كائن منهم بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجن والحيوان . وقال عبد الله بن عمر كانت الجن قبل آدم بألفي عام فسفكوا الدماء فبعث الله إليهم جندا

من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحور وعن الحسن ألهموا ذلك وقيل لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ أطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له الشجل رواه ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر . وقيل لأنهم علموا أن الأرض لا يخلق منها إلا من يكون بهذه المثابة غالبا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك أي نعبدك دائما لا يعصيك منا أحد فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدون فها نحن لا نفتر ليلا ولا نهارا . قال: إني أعلم مالا تعلمون أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء مالا تعلمون أي سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء ثم بين لهم شرف آدم عليهم في العلم فقال ( وعلم آدم الأسماء كلها ) .

## الاسماء التي عُلّمها آدم

قال ابن عباس الاسماء التي عُلمها آدم هي هذه الأسماءَ التي يتعارف بها الناس من مثل :إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجَمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها وفي رواية علمه اسم الصحفة والقدر حتى الفسوة والفسية . وقال مجاهد علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء . وكذا قال سعيد ابن جبير وقتادة وغير واحد . وقال الربيع علمه أسماء الملائكة . وقال عبد الرحمن بن زيد علمه أسماء ذريته . والصحيح أنه علمه أسماء الذوات وأفعالها مكبرها ومصغرها كما أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما . وذكر البخاري هنا ما رواه هو ومسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء وذكر تمام الحديث . ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قال الحسن البصري لما أراد الله خلق آدم قالت الملائكة لا يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه فابتلوا بهذا وذلك قوله إن كنتم صادقين وقيل غير ذلك كما هو مبسوط في التفسير قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم أي سبحانك أن يحيط أحد بشيء من علمك من غير تعليمك كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أي أعلم السر كما أعلم العلانية وقيل إن المراد بقوله وأعلم ما تبدون ما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون المراد بهذا الكلام

إبليس حين أسر الكبر على آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدي والضحاك والثوري واختاره ابن جرير وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة وما كنتم تكتمون قولهم لن يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه . ( فائدة ) جاء عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى : (ومن الأرض مثلهن ) ، قال : سبع أرضين، في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى؛ وهذه الألفاظ : فيها تقديم وتأخير في بعض الطرق . قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد . قال البدر الشبلي في (آكام المرجان، في أحكام الجان) قال شيخنا الذهبي: إسناده حسن .

## سجود الملائكة لآدم

قال الله تعالى ( وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس أبى واستكبر ) وهذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه بيده ونفخ فيه من روحه كما قال فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فهذه أربع تشريفات :خلقه له بيده الكريمة ونفخه فيه من روحه وأمره الملائكة بالسجود له وتعليمه أسماء الأشياء ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإياه في الملأ الأعلى وتناظرا كما سيأتي أنت آدم أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء وهكذا يقول أهل المحشر يوم القيامة كما تقدم .

## الملائكة المأمورون بالسجود

قد اختلف المفسرون في الملائكة المأمورين بالسجود لآدم أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات وهو قول الجمهور أو المراد بهم ملائكة الأرض كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس وفيه انقطاع وفي السياق نكارة وإن كان بعض المتأخرين قد رجحه ولكن الا ظهر من السياقات الأول ويدل عليه الحديث وأسجد له ملائكته وهذا عموم أيضا والله أعلم

## امتناع إبليس عن السجود

لما أمر الله جل جلاله الملائكة بالسجود امتنع إبليس من السجود وقال مما قاله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فغضب الله عليه ولعنه .

## جنس إبليس

قال الحسن البصري لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط وقال شهر بن حوشب كان من الجن فلما أفسدوا في الأرض بعث الله إليهم جندا من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار وكان إبليس ممن أسر فأخذوه معهم إلى السماء فكان هناك فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون كان إبليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل وفي رواية عن الحارث قال النقاش وكنيته أبو كردوس قال ابن عباس وكان من حي من الملائكة يقال لهم الجن كانوا خُزَّانَ الجنان وكان من أشرفهم وأكثرهم علما وعبادة وكان من أولى الأجنحة الأربعة فمسخه الله شيطانا رجيما .

## اهباط ابليس

في قوله تعالى لإبليس اهبط منها واخرج منها دليل على أنه كان في السماء فأمر بالهبوط منها والخروج من المنزلة والمكانة التي كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة في الطاعة والعبادة ثم سلب ذلك بكبره وحسده ومخالفته لربه فأهبط إلى الأرض مذؤوما مدحورا

## اسكان آدم وزوجه الجنة

أمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة فقال وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقال في الأعراف قال سبحانه ويآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقال تعالى فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك أن لا تجوع فيها ولاتعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى

## متى خلقت حواء

( قال المفسر ) سياق الآيات يقتضي أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة لقوله ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وهذا قد صرح به إسحاق ابن بشار وهو ظاهر هذه الآيات ولكن حكى السدي عن ابن عباس عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا أخرج إبليس من الجنة واسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشيا ليس له فيها زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة

خلقها الله من ضلعه فسألها من أنت قالت امرأة قال ولما خلقت قالت لتسكن إلي فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا ولم كانت حواء قال لأنها خلقت من شيء حي وذكر محمد ابن إسحاق عن ابن عباس أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولأم مكانه لحما ومصداق هذا في قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء الآية وفي قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به الآية وفي الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا انتهى واللفظ البخاري .

ما خلقت منه حواء وزوجات ابنائها

يلاحظ أن حوا ء عليها السلام وهي أم البشريه جمعاء خلقها الله جلت قد رته قيل من ضلع آدم وهذا هو المنصوص عليه في النصوص السابقة قبل هذا الباب وقيل بل خُلقت من بقية طينته ، وقيل بل خُلقت من خلق ءاخر كالجن أو غيره ويلاحظ أيضا أن زوجات انجال آدم هن الاخريات جرى الخلاف فيهن ومن تكوينهن . حكى ذلك الشيخ العاملي الشيعي في كتابه القصص القرآني .

الشجرة المنهي عن الأكل منها

اختلف المفسرون في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فقيل هي الكرم وروى عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والشعبي وجعدة ابن هبيرة ومحمد بن قيس والسدي في رواية عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة قال وتزعم يهود أنها الحنطة وهذا مروي عن ابن عباس والحسن البصري ووهب ابن منبه وعطية العوفي وأبي مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن ابن أبي ليلى قال وهب والحبة منه ألين من الزبد وأحلى من العسل وقال الثوري عن أبي حصين عن أبي مالك ولا تقربا هذه الشجرة هي النخلة وقال ابن جريج عن مجاهد هي التينة وبه قال قتادة وابن حريج وقال أبو العالية كانت شجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغي في الجنة حدث و هذا الخلاف قريب وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما في غيرها من المحال التي أبهمت في القرآن .

## حول وسوسة إبليس لآدم

أورد أصحاب القول الذي يقول ( أن تلك الجنة توجد في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار ) سؤالا يحتاج مثله إلى جواب فقالوا لا شك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الالهية وأمره بالخروج عنها والهبوط منها وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته وإنما هو أمر قدري لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال اخرج منها مذءوما مدحورا وقال اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها وقال اخرج منها فإنك رجيم والضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزلة وأياما كان فمعلوم أنه ليس له الكون قدرا في المكان الذي طرد عنه وأبعد منه لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز قالوا ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وبقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور الآية وهذا ظاهر في اجتماعه معهما في جنتهما وقد أجيبوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها أو أنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء وفي الثلاثة نظر

## مضمون وسوسة الشيطان

قوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها أي عن الجنة فأخرجهما مما كانا فيه أي من النعيم والنضرة والسرور إلى دار التعب والكد والنكد وذلك بما وسوس لهما وزينه في صدورهما كما قال تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . قال يقول ما نهاكما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين أي ولو أكلتما منها لصرتما كذلك وقاسمهما أي حلف لهما على ذلك إني لكما لمن الناصحين كما قال في الآية الأخرى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى أي هل أدلك على الشجرة التي إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم واستمررت في ملك لا يبيد ولا ينقضي وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بخلاف الواقع . والمقصود أن قوله شجرة الخلد التي إذا أكلت منها خلدت وقد تكون هي الشجرة التي قال الإمام أحمد عن أبي

الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة أيضا به قال غندر قلت لشعبة هي شجرة الخلد قال ليس فيها هي تفرد به الإمام أحمد وقوله فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة كما قال في طه أكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليها من ورق الجنة

البادئ بالأكل من الشجرة

كانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهي التي حدته على أكلها والله أعلم وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه لولا بنوا إسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها وفي كتاب التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب أن الذي دل حواء على الأكل من الشجرة هي الحية وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها فأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام وليس فيها ذكر لابليس فعند ذلك انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فوصلا من ورق التين وعملا ميازر وفيها أنهما كانا عريانين وكذا قال وهب بن منبه كان لباسهما نورا على فرجه وفرجها وهذا الذي في هذه التوراة التي بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ في التعريب فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ولا سيما ممن لا يعرف كلام العرب جيدا ولا يحيط علما بفهم كتابهم أيضا فلهذا وقع في تعريبهم لها خطأ كثير لفظا ومعنى وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس في قوله ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما فهذا لا يرد لغيره من الكلام والله تعالى أعلم

الاختلاف في الجنة التي أهبط منها آدم

اختلف العلماء في أن الجنة التي دخلها آدم هل هي في السماء أو في الأرض والجمهور على أنها هي التي في السماء وهي جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظي وإنما تعود على معهود ذهني وهو المستقر شرعا من جنة المأوى وكقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام علام أخرجتنا ونفسك من الجنة وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة

أبيكم وذكر الحديث بطوله وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى وليست تخلو عن نظر وقال آخرون بل الجنة التي أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد لأنه كلف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها وهذا مما ينافي أن تكون جنة المأوى وهذا القول محكي عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة في المعارف والقاضي منذر بن سعيد البلوطي في تفسيره وأفرد له مصنفا على حدة وحكاه عن أبي حنيفة الإمام وأصحابه رحمهم الله ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ابن خطيب الري في تفسيره عن أبي القاسم البلخي وأبي مسلم الأصبهاني ونقله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والقدرية وهذا القول هو نص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب وممن حكى الخلاف في هذه المسألة أبو محمد بن حزم في الملل والنحل وأبو محمد بن عطية في تفسيره وأبو عيسى الرماني في تفسيره وحكى عن الجمهور الأول وأبو القاسم الراغب قال القاضي الماوردي في تفسيره واختلف في الجنة التي أسكناها يعني آدم وحواء على قولين أحدهما أنها جنة الخلد الثاني أنها جنة أعدها الله لهما وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء ومن قالوا بهذا اختلفوا على قولين أحدهما انها في السماء لأنه أهبطهما منها وهذا قول الحسن والثاني أنها في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار وهكذا قول ابن يحيى وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم والله أعلم بالصواب . هذا كلام الماوردي وقد تضمن حكاية أقوال ثلاثة وأشعر كلامه أنه متوقف في المسألة ولقد حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال هذه الثلاثة التي أوردها الماوردي ورابعها الوقف وحكى القول بأنها في السماء وليست جنة المأوى عن أبي علي الجبائي .

## تكرير الإهباط

تكريره الاهباط في سورة البقرة في قوله وقلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . قال فيه بعض المفسرين :المراد بالإهباط الأول الهبوط من الجنة إلى السماء الدنيا وبالثاني من السماء الدنيا إلى الأرض وهذا ضعيف لقوله في الأول قلنا

اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فدل على أنهم أهبطوا إلى الأرض بالإهباط الأول والله أعلم والصحيح أنه كرره لفظا وإن كان واحدا وناط مع كل مرة حكما فناط بالأول عداوتهم فيما بينهم وبالثاني الاشتراط عليهم أن من تبع هداه الذي ينزله عليهم بعد ذلك هو السعيد ومن خالفه فهو الشقي وهذا الأسلوب في الكلام له نظائر في القرآن الكريم وروى الحافظ بن عساكر عن مجاهد قال أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره فنزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه وتعلق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول العفو العفو فقال الله فرارا مني قال بل حياء منك يا سيدي .

مُدد آدم

قال الامام الأوزاعي عن ابن عطية مكث آدم في الجنة مائة عام وفي رواية ستين عاما وبكى على الجنة سبعين عاما وعلى خطيئته سبعين عاما وعلى ولده هابيل حين قتل أربعين عاما رواه ابن عساكر وقال الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفي الصحيح من وجه آخر وفيه تقوم الساعة وقال أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة على شرط مسلم

أين اهبط آدم وحواء ومن معهما

قال ابن أبي حاتم قال ابن عباس أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال له دحنا بين مكة والطائف وعن الحسن قال اهبط آدم بالهند وحواء بجدة وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية بأصبهان رواه ابن أبي حاتم أيضا وقال السدي نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضة من ورق الجنة فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك وعن ابن عمر قال اهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة رواه ابن أبي حاتم أيضا ( فائدة ) قال المفسرون في قوله تعالى : اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس قيل والحية معهم أمروا أن يهبطوا من الجنة في حال كونهم متعادين متحاربين وقد يستشهد لذكر الحية معهما بما ثبت في الحديث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتل الحيات وقال ما سالمناهن منذ حاربناهن وقوله في سورة طه قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو هو أمر لآدم وإبليس واستتبع آدم حواء وإبليس الحية وقيل هو أمر لهم بصيغة التثنية كما في قوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين والصحيح أن هذا لما كان الحاكم لا يحكم إلا بين اثنين مدع ومدعى عليه قال وكنا لحكمهم شاهدين .

تعليم آدم الصنائع

قال عبد الرزاق عن أبي موسى الأشعري قال إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير ( فائدة ) الحديث الذي رواه ابن عساكر عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط آدم وحواء عريانين جميعا عليهما ورق الجنة فأصابه الحر حتى قعد يبكي ويقول لها يا حواء قد أذاني الحر قال فجاءه جبريل بقطن وأمرها أن تغزل وعلمها وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج وقال كان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي أصابتهما بأكلهما من الشجرة قال وكان كل واحد منهما ينام على حدة ينام أحدهما في البطحاء والآخر من ناحية أخرى حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتي أهله قال وعلمه كيف يأتيها فلما أتاها جاءه جبريل فقال كيف وجدت امرأتك قال صالحة فإنه حديث غريب ورفعه منكر جدا وقد يكون من كلام بعض السلف .

خلقة آدم

قال ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن عز وجل يا آدم مني تفر فلما سمع كلام الرحمن قال يا رب لا ولكن استحياء (فائدة) روى الحافظ بن عساكر عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أباكم آدم كان كالنخلة السحوق ستين ذراعا كثير الشعر موارى العورة فلما أصاب الخطيئة في الجنة بدت له سوأته فخرج من الجنة فلقيته شجرة فأخذت بناصيته فناداه ربه أفرارا مني يا آدم قال بل حياء منك والله يا رب مما جئت به .

قال الله تعالى ( وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ) وهذا فيه اعتراف ورجوع إلى الإنابة وتذلل وخضوع واستكانة وافتقار إليه سبحانه في الساعة الراهنة وهذا السر ما سرى في أحد من ذريته الا كانت عاقبته إلى خير في دنياه وأخراه ( فائدة ) قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم قيل هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين روى هذا عن جمع كثير وقال ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آدم عليه السلام أرأيت يا رب إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة قال نعم فذلك قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الكلمات اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال قال آدم يا رب ألم تخلقني بيدك قيل له بلى ونفخت في من روحك قيل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل له بلى وكتبت علي أن أعمل هذا قيل له بلى قال أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة قال نعم ثم روى الحاكم أيضا والبيهقي وابن عساكر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد أن غفرت لي فقال الله فكيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد فقال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك الا أحب الخلق إليك فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك وهذه الآية كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى .

## وفاة آدم

لما توفي آدم عليه السلام وكان ذلك يوم الجمعة جاءت الملائكة بحنوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة وعزوا فيه ابنه ووصيه شيثا عليه السلام قال ابن إسحاق وكسفت الشمس والقمر سبعة أيام بلياليهن و قال عبد الله بن الإمام أحمد عن ابن ضمرة السعدي قال رأيت شيخا بالمدينة تكلم فسألت عنه فقالوا هذا أبي بن كعب فقال إن آدم لما حضره الموت قال لبنيه أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة قال فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ومعهم الفوس والمساحي والمكاتل فقالوا لهم يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون أو ما تريدون وأين تطلبون قالوا أبونا مريض واشتهى من ثمار الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد قضى أبوكم فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم فقال إليك عني فإني إنما أتيت من قبلك فخلى بيني وبين ملائكة ربي عز وجل فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه ثم أدخلوه قبره فوضعوه في قبره ثم حثوا عليه التراب ثم قالوا يا بني آدم هذه سنتكم . أقول هذه الرواية تخالف نص القرآن حيث ان القرءان ذكر ان قابيل لما قتل اخاه هابيل لم يدر ما يفعل به حتى بعث الله غرابا يبحث في الارض قال الله تعالى ( ليريه كيف يواري سواة أخيه ) ولتحرر المسألة ( قلت ) ولعل واقعة قابيل كانت قبل وفاة آدم .

## موضع دفن آدم وحواء وعمرهما

اختلفوا في موضع دفن آدم فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط منه في الهند وقيل بجبل أبي قبيس بمكة ويقال إن نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدفنهما ببيت المقدس حكى ذلك ابن جرير وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال رأسه عند مسجد إبراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس وقد ماتت حواء بعده بسنة واحدة واختلف في مقدار عمره عليه السلام فقدمنا في الحديث عن ابن عباس وأبي هريرة مرفوعا أن عمره اكتتب في اللوح المحفوظ الف سنة وهذا لا يعارضه ما في التوارة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة لأن قولهم هذا مطعون فيه مردود إذ خالف الحق الذي بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم وأيضا فإن قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث فإن ما في التوراة إن كان محفوظا محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الاهباط وذلك تسعمائة وثلاثون سنة شمسية وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة ويضاف إلى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة

مقامه في الجنة قبل الاهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره فيكون الجميع الف سنة وقال عطاء الخراساني لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام رواه ابن عساكر قال محمد بن إسحاق ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك .

## أبناء آدم

ولدت حواء لآدم أربعين ولدًا من ذكر وأنثى في عشرين بطنًا قالوا : وكانت لا تلد إلا توأمين ذكرًا وأنثى . وأول الأولاد ( قابيل وتوأمته قليما ) ويقال قيثما وآخرهم ( عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ) وعد منهم ابن اسحاق ( قين وتوأمته ) ثم ( هابيل وليوذا ) ثم ( آشوث وتوأمها ) ثم ( شيث وتوأمته ) ثم ( حزورة وتوأمها ) ثم ( إياد وتوأمته ) ثم ( بالغ . ) ويقال باتح و( توأمته) ثم ( أثاثي وتوأمته ) ثم ( توبة وتوأمته ) ثم ( بنان وتوأمته ) ثم ( شبوبة وتوأمته )ثم ( حيان وتوأمته ) ثم ( ضرابيس وتوأمته) ثم ( هدز وتوأمته ) ثم ( نجود وتوأمته ) ثم ( سندل وتوأمته ) ثم ( بارق وتوأمته) (قال) وكان الرجل منهم ينكح أي اخواته شاء إلا التي ولدت معه فإنها لا تحل له . (قلت ) وينبغي أن يُتحقق من هذا القول (قال ) وقد روي عن ابن عباس: أن أول ولد ولدته حواء سمته عبد الرحمن ثم سمت الثاني صالحًا ثم الثالث عبد الحارث . قال أبو جعفر الطبري : ولد لآدم بعد قتل هابيل بخمس سنين نبي الله شيث .

## التحقق من جيومرت

زعم أكثر علماء الفرس أن جُيُومَرْت هو آدم . وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء . وقال آخرون: هو حام بن يافث بن نوح. وأكثر العلماء على أن جُيُومَرْت هو أبو الفرس من العجم وإنما اختلفوا هل هو آدم أم غيره . وقال قوم: انه ملك وتجبر وتزوج ثلاثين امرأة وكثر نسله وتسمى بآدم وما زال ملكه وملك أولاده منتظمًا بأرض المشرق إلى أن قتل يَزْدَجرْد بن شهريار أيام عثمان بن عفان وقد ذكر أبو الحسن بن البراء : أن جُيُومَرْت ملك ثلاثين سنة ثم كان من سوى الملك هوشَنْك من أولاد أولاده وقد ملك أربعين سنة ثم ملك طهمورث من أولاد أولاد هوشنك ودان بدين الصابئين ثلاثين سنة ثم ملك أخوه جمشيذ ستمائة وست عشرة سنة ثم ملك هوار سب ألف سنة ومن قبله كان

نمرود صاحب ابراهيم ثم ملك فريدون مائتي سنة . وقسم الملك بين أولاده في حياته ثم ملك ابنه ايرج ست سنين ثم انتقل الملك إلى منوشهر ثمانين سنة إلى أن غلبه التركي اثنتي عشرة سنة ثم غلبه منوشهر فملك ثمانيًا وعشرين سنة . (قال) وقد حكينا آنفًا عن أبي الحسين بن المنادي أن جيومرث وطهمورث من أولاد الجان والله أعلم .

(قال) وقد روى ابن اسحاق عن بعض أهل الكتاب: ان حواء حملتَ بقين بن آدم وهو الذي يقال له: قابيل في الجنة وتوأمته فلم تجد وحَمًا ولا وصَبًا وولدتهما ولم تر معهما دمًا لطهر الجنة فلما نزلت إلى الأرض حملت بهابيل وتوءمته . وفي هذا بعد وليس مما يوثق بنقله .

سيدنا شيث بن آدم

زعم أهل التوراة أنه لم يولد معه توأم . وقال أبو صالح عن ابن عباس: ولد شيث وأخته عزورا وهو بالعربية شث وبالسريانية شاث وبالعبرانية شيث وإليه أوصى آدم وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة (قلت) ومعنى شيث هبة الله وسمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف أنزل منها على شيث خمسين صحيفة قال محمد بن إسحاق ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك قال ويقال إن انتساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم .

ذرية شيث ووصيته لأولاده

كما سبق أن معنى شيث هبة الله وسماه (آدم وحواء) بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل . قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف أنزل منها على شيث خمسين صحيفة (فائدة) يقال إن انتساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم (قالوا) فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام وكان نبيا بنص الحديث السابق وبنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعا أنه أنزل عليه خمسون صحيفة فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه (أنوش) فقام

بالأمر بعده . ثم بعده قام بعد أنوش ولده ( قينن) ثم قام من بعد قينن ابنه ( مهلاييل ) وهو الذي يزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة وأنه أول من قطع الأشجار وبنى المدائن والحصون الكبار وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى وأنه قهر إبليس وجنوده وشردهم عن الأرض إلى أطرافها وشعاب جبالها وأنه قتل خلقا من مردة الجن والغيلان وكان له تاج عظيم وكان يخطب الناس ودامت دولته أربعين سنة فلما مات قام بالأمر بعده ولده ( يرد ) فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ولده ( خنوخ ) وهو إدريس عليه السلام على المشهور .

سيدنا ادريس عليه السلام

قال الله تعالى ( واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا ) فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية وهو خنوخ وهو في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره غير واحد من علماء النسب وكان أول بني آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام ( فائدة ) ذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثماني سنين وقد قال طائفة من الناس إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخط بالرمل فقال إنه كان نبي يخط به فمن وافق خطه فذاك ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام أنه أول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس الهرامسة ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء .

رفع إدريس مكانا عليا

قوله تعالى ( ورفعناه مكانا عليا ) هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الإسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو في السماء الرابعة وقد روى ابن جرير قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله تعالى لإدريس ورفعناه مكانا عليا فقال كعب أما إدريس فإن الله أوحى إليه أني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم لعله من أهل زمانه فأحب أن يزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال له إن الله أوحى إلي كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى ازداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرا فكلم ذلك الملك ملكَ الموت في الذي كلمه فيه إدريس فقال وأين إدريس قال هو ذا على ظهري فقال ملك الموت فالعجب بعثت

وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا ورواه ابن أبي حاتم عند تفسيرها وعنده فقال لذلك الملك سل لي ملك الموت كم بقي من عمري فسأله وهو معه كم بقي من عمره فقال لا أدري حتى أنظر فنظر فقال إنك لتسألني عن رجل ما بقي من عمره الا طرفة عين فنظر الملك إلى تحت جناحه إلى إدريس فإذا هو قد قبض وهو لا يشعر (قال) وهذا من الإسرائيليات وفي بعضه نكارة وقول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ورفعناه مكانا عليا قال إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى .

أقول إن أراد أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر وإن أراد أنه رفع حيا إلى السماء ثم قبض هناك فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأحبار والله أعلم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ورفعناه مكانا عليا رفع إلى السماء السادسة فمات بها وهكذا قال الضحاك والحديث المتفق عليه من أنه في السماء الرابعة أصح وهو قول مجاهد وغير واحد وقال الحسن البصري ورفعناه مكانا عليا قال إلى الجنة وقال قائلون رفع في حياة أبيه يرد بن مهلاييل والله أعلم .

(قلت) وحكاية الحياة المستمرة هذه تعددت في أشخاص كثيرين قديما وحديثا مثل إدريس وإلياس والخضر وعيسى والمهدي وحتى عندنا يقول البعض أن سي عبد الرحمن بن الطاهر الجلفاوي حي وفي كل ذلك لا يسعنا إلا قول : اللهُ أُعلمُ .

عصر إدريس وأولاده

زعم بعضهم أن إدريس لم يكن قبل نوح بل في زمان بني إسرائيل قال البخاري ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن الياس هو إدريس واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء أنه لما مر به عليه السلام قال له مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قالا له وهذا لا يدل لأنه قد لا يكون الراوي حفظه جيدا أو لعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبي البشر وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم

أجمعين ( قال المفسر ) ولإدريس أولاد منهم ( متوشلخ) ومتوشخ بن إدريس هذا خلف أولادا منهم ( لامك ) ولامك بن متوشلخ هذا خلف أولادا منهم ( نوح ) و ( صابئ ) كما سيأتي .

## الفصل الثالث

## في

## ذكر عصر نوح وذريته

----

### سيدنا نوح عليه السلام

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام وهذا على القول الاول الوارد في نسب ادريس . وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة فيما ذكره ابن جرير وغيره وعلى تاريخ أهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة وكان بينهما عشرة قرون كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن زيد بن سلام سمعت أبا سلام سمعت أبا أمامة أن رجلا قال يا رسول الله أنبي كان آدم قال نعم مكلم قال فكم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون قلت وهذا على شرط مسلم ولم يخرجه وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام فإن كان المراد بالقرن مائة سنة كما هو المتبادر عند كثير من الناس فبينهما ألف سنة لا محالة لكن لا ينفى أن يكون أكثر باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام اذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة لم يكونوا على الإسلام لكن حديث أبي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون وزادنا ابن عباس أنهم كلهم كانوا على الإسلام وهذا يرد قول من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب أن قابيل وبنيه عبدوا النار والله أعلم . وإن كان المراد بالقرن الجيل من الناس كما في قوله تعالى وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وقوله ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين وقال تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وقال وكم أهلكنا قبلهم من قرن وكقوله عليه السلام خير القرون قرني الحديث فقد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين والله أعلم وبالجملة فنوح عليه السلام انما بعثه الله تعالى لما

عُبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جبير وغيره واختلفوا في مقدار سنه يوم بعث فقيل كان ابن خمسين سنة وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة وقيل ابن أربعمائة وثمانين سنة حكاها ابن جرير وعزا الثالثة منها إلى ابن عباس .

مدة بقاء نوح ودعوته

قد تطاول الزمان والمجادلة بين نوح وبين قومه كما قال تعالى فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون أي ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم وكان كلما انقرض جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه وصاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبدا ما عاش ودائما ما بقي وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق ولهذا قال ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ولهذا قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين أي إنما يقدر على ذلك الله عز وجل فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكترثه أمر بل هو الذي يقول للشيء كن فيكون ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون أي من يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته اذ هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن تسلية له عما كان منهم إليه فلا تبتئس بما كانوا يفعلون وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن أي لا يسوأنك ما جرى فإن النصر قريب والنبأ عجيب .

عادات قوم نوح

قد كانت عادات قوم نوح الكفرُ الغليظ والعناد البالغ في الدنيا وهكذا في الآخرة فإنهم يجحدون أيضا أن يكون جاءهم رسول كما قال البخاري عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء نوح عليه السلام وأمته فيقول الله عز وجل هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فتشهد أنه قد بلغ وهو قوله

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والوسط العدل فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق بأن الله قد بعث نوحا بالحق وأنزل عليه الحق وأمره به وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ولم يدع شيئًا مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به ولا شيئًا مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه وحذرهم منه .

الأمر بصنع السفينة

بعد إباء قومه من الايمان قال الله له : ( واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ) وذلك أن نوحا عليه السلام لما يئس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لا خير فيهم وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق من فعال ومقال دعا عليهم دعوة غضب فلبى الله دعوته وأجاب طلبته قال الله تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وقال تعالى ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم وقال تعالى قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين وقال تعالى فدعا ربه أني مغلوب فانتصر وقال تعالى قال رب انصرني بما كذبون وقال تعالى مما خطيآتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا . فاجتمع عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى أن يصنع الفلك وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها وقدم الله تعالى إليه أنه إذا جاء أمره وحل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب النازل بهم فإنه ليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه أي يستهزئون به استبعادا لوقوع ما توعدهم به قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون أي نحن الذين نسخر منكم ونتعجب منكم في استمراركم على كفركم وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

صنع السفينة

قال بعض علماء السلف لما استجاب الله له . أمره أن يغرس شجرا ليعمل منه السفينة فغرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره في مائة أخرى وقيل في أربعين سنة فالله أعلم قال محمد بن إسحق عن الثوري وكان من خشب الساج وقيل من الصنوبر وهو نص التوراة قال الثوري وأمره أن يجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وأن يطلى ظاهرها وباطنها بالقار وأن يجعل لها جؤجؤا أزور يشق الماء وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين ذراعا وهذا الذي في التوراة على ما رأيته وقال الحسن البصري ستمائة في عرض ثلثمائة وعن ابن عباس ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة ذراع وقيل كان طولها ألفي ذراع وعرضها مائة ذراع قالوا كلهم وكان ارتفاعها ثلاثين ذراعا وكانت ثلاث طبقات كل واحدة عشر أذرع فالسفلى للدواب والوحوش . والوسطى للناس والعليا للطيور والأخير كذالك . وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها مطبق عليها قال الله تعالى قال رب انصرني بما كذبون فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا أي بأمرنا لك وبمرأى منا لصنعتك لها ومشاهدتنا لذلك لنرشدك إلى الصواب في صنعتها فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون . فتقدم إليه بأمره العظيم العالي أنه إذا جاء أمره وحل بأسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح ومن المأكولات وغيرها لبقاء نسلها وأن يحمل معه أهله أي أهل بيته إلا من سبق عليه القول منهم أي إلا من كان كافرا فإنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد وأمر أنه لا يراجعه فيهم إذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم الذي قد حتمه عليهم الفعال لما يريد كما قدمنا بيانه قبل .

المراد بالتنور

المراد بالتنور عند الجمهور وجه الأرض أي نبعت الأرض من سائر أرجائها حتى نبعت التنانير التي هي محال النار وعن ابن عباس التنور عين في الهند وعن الشعبي بالكوفة وعن قتادة بالجزيرة وقال علي بن أبي طالب المراد بالتنور فلق الصبح وتنوير الفجر أي إشراقه وضياؤه أي عند ذلك فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وهذا قول غريب . وقوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل

زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل . هذا أمر بأن عند حلول النقمة بهم أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وفي كتاب أهل الكتاب أنه أمر أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج ومما لا يؤكل زوجين ذكرا وأنثى وهذا الذي قالوه مغاير لمفهوم قوله تعالى في كتابه الحق إثنين . إن جعلنا ذلك مفعولا به وأما إن جعلناه توكيدا لزوجين والمفعول به محذوف فلا ينافي والله أعلم

(فائدة) سئل شيخ مشايخنا سيدي عطية مسعودي عن التنور الوارد في الاية[2] فأجاب بما نصه : التنور عند ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هو الذي يوقد فيه وروى انه كان تنور ادم عليه السلام وهو على هذا محمول مع نوح وقيل التنور وجه الارض . راجع إسعاف الأفهام .

## عدد المحمولين في السفينة

ذكر بعضهم ويروى عن ابن عباس أن أول ما دخل من الطيور الدرة وآخر ما دخل من الحيوانات الحمار ودخل إبليس متعلقا بذنب الحمار وقال ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه وكيف نطمئن أو كيف تطمئن المواشي ومعنا الأسد فسلط الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا الفارة فقالوا الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا فأوحى الله إلى الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها هذا مرسل . وقوله واهلك إلا من سبق عليه القول أي من استجيبت فيهم الدعوة النافذة ممن كفر فكان منهم ابنه (يام) الذي غرق كما سيأتي بيانه . وقوله :ومن آمن أي واحمل فيها من آمن بك من أمتك قال الله تعالى وما آمن معه إلا قليل هذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ودعوتهم الأكيدة ليلا ونهارا بضروب المقال وفنون التلطفات والتهديد والوعيد تارة والترغيب والوعد تارة أخرى .

## عدة الذين كانوا في السفينة

اختلف العلماء في عدة من كان معه في السفينة فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفسا معهم نساؤهم وعن كعب الاحبار كانوا اثنين وسبعين نفسا وقيل كانوا عشرة وقيل إنما كانوا نوحا وبنيه الثلاثة وكنائنه الأربع بامرأة ابنه يام الذي انخزل وانعزل وسلل عن طريق النجاة فما عدل إذ عدل وهذا القول فيه

[2] الاية هي قوله سبحانه وتعالى ﴿ حتى إذا جاء امرنا وفار التّنُور ﴾

مخالفة لظاهر الآية بل هي نص في أنه قد ركب معه غير أهله طائفة ممن آمن به كما قال ونجني ومن معي من المؤمنين وقيل كانوا سبعة وأما امرأة نوح وهي أم أولاده كلهم وهم (حام وسام ويافث ويام وعابر) قيل إنها غرقت مع من غرق وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها وعند أهل الكتاب أنها كانت في السفينة فيحتمل أنها كفرت بعد ذلك أو أنها أنظرت ليوم القيامة والظاهر الأول لقوله لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . أقول وابنه ( يام ) بالياء يسميه أهل الكتاب كنعان وهو الذي قد غرق في الطوفان . وابنته عابر قد ماتت قبل الطوفان .

ثم قال الله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين . أمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه واقر عينه ممن خالفه وكذبه كما قال تعالى الذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون .

( فائدة ) هكذا يؤمر بالدعاء في ابتداء الأمور أن يكون على الخير والبركة وأن تكون عاقبتها محمودة كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم حين هاجر وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا .

( قال ) وقد امتثل نوح عليه السلام هذه الوصية وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم أي على اسم الله ابتداء سيرها وانتهاؤه إن ربي لغفور رحيم أي وذو عقاب اليم مع كونه غفورا رحيما لا يرد بأسه عن القوم المجرمين كما أحل بأهل الأرض الذين كفروا به وعبدوا غيره قال الله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء مطرا لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده كان كأفواه القرب وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها كما قال تعالى فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر والدسر السائر تجري بأعيننا أي بحفظنا وكلائتنا وحراستنا ومشاهدتنا لها جزاء لمن كان كفر وقد ذكر ابن جرير وغيره أن الطوفان كان في ثالث عشر

شهر آب في حساب القبط . وقال تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية أي السفينة لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية .

ماء الطوفان

قال جماعة من المفسرين ارتفع الماء على أعلى جبل بالأرض خمسة عشر ذراعا وهو الذي عند أهل الكتاب وقيل ثمانين ذراعا وعم جميع الأرض طولها وعرضها سهلها وحزنها وجبالها وقفارها ورمالها ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير قال الإمام مالك عن زيد بن أسلم كان أهل ذلك الزمان قد ملئوا السهل والجبل وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لم تكن بقعة في الأرض إلا ولها مالك وحائز رواهما ابن أبي حاتم .

( قال ) وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين أي لما فرغ من أهل الأرض ولم يبق منها أحد ممن عبد غير الله عز وجل أمر الله الأرض أن تبلع ماءها وأمر السماء أن تقلع أي تمسك عن المطر وغيض الماء أي نقص عما كان وقضى الأمر أي وقع بهم الذي كان قد سبق في علمه وقدره من إحلاله بهم ما حل بهم وقيل بعدا للقوم الظالمين أي نودي عليهم بلسان القدرة بعدا لهم من الرحمة والمغفرة كما قال تعالى فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوما عمين وقال تعالى فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وقال تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وقال تعالى فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم وقال تعالى فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وقال تعالى ثم أغرقنا الآخرين وقال ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدو إلا فاجرا كفارا وقد استجاب الله تعالى دعوته فلم يبق منهم عين تطرف .

## أم الصبي

قد روى الإمامان أبو جعفر بن جرير وأبو محمد بن أبي حاتم في تفسيريهما أن عائشة أم المؤمنين أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم أم الصبي . وقصتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مكث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة يعني إلا خمسين عاما وغرس مائة سنة الشجر فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعلها سفينة وكان الناس يمرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر كيف تجري قال سوف تعلمون فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا خرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي وهذا حديث غريب وقد روى عن كعب الأحبار ومجاهد وغير واحد شبيه لهذه القصة وأحرى بهذا الحديث أن يكونا موقوفا متلقى عن مثل كعب الأحبار والله أعلم .

## هلاك كل الكفرة وخرافة عوج بن عنق

( قال ) بما أن الله لم يُبق من الكافرين ديارا فكيف يزعم بعض المفسرين أن عوج بن عنق ويقال ابن عناق كان موجودا من قبل نوح إلى زمان موسى ويقولون كان كافرا متمردا جبارا عنيدا ويقولون كان لغير رشدة بل ولدته أمه عنق بنت آدم من زنا وإنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس وإنه كان يقول لنوح وهو في السفينة ما هذه القصيعة التي لك ويستهزىء به ويذكرون أنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلثا إلى غير ذلك من الهذيانات التي لولا أنها مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها وركاكتها ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول . أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره وأبوه نبي الأمة وزعيم أهل الإيمان ولا يهلك عوج بن عنق ويقال عناق وهو أظلم وأطغى على ما ذكروا وكيف لا يرحم الله منهم أحدا ولا أم الصبي ولا الصبي نفسه ويترك هذا الدعى الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المريد على ما ذكروا . وأما المنقول فقد قال الله تعالى ثم أغرقنا الآخرين وقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم هذا الطول الذي ذكروه مخالف لما في الصحيحين

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن . فهذا نص الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى أنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن أي لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم إلى يومهم هذا وهلم جر إلى يوم القيامة وهذا يقتضي أنه لم يوجد من ذرية آدم من كان أطول منه فكيف يترك هذا ويذهل عنه ويصار إلى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب ( قال ) فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه وما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلافا من بعض زنادقتهم وفجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والله أعلم .

## غرق ابن نوح

قال : وقوله تعالى ( ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بنيهما الموج فكان من المغرقين) وهذا الابن هو ( يام ) بالياء أخو سام وحام ويافث وعابر وقيل اسمه كنعان وكان كافرا عمل عملا غير صالح فخالف أباه في دينه ومذهبه فهلك مع من هلك هذا وقد نجا مع أبيه الأجانب في النسب لما كانوا موافقين في الدين والمذهب . ( قال ) وبعد ما سبق . ذكر الله تعالى مناشدة نوح ربه في ولده وسؤاله له عن غرقه على وجه الاستعلام والاستكشاف ووجه السؤال أنك وعدتني بنجاة أهلي معي وهو منهم وقد غرق فأجيب بأنه ليس من أهلك أي الذين وعدت بنجاتهم أي أما قلنا لك وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم فكان هذا ممن سبق عليه القول منهم بأنه سيغرق بكفره ولهذا ساقته الأقدار إلى أن انحاز عن حوزة أهل الإيمان فغرق مع حزبه أهل الكفر والطغيان

## هبوط نوح ومن معه من السفينة

قال تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم هذا أمر لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض وأمكن السعي فيها والاستقرار عليها أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل الجودى وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور .

قال ابن خلدون : اعلم أنّ الفرس والهند لا يعرفون الطوفان، وبعضُ الفرس يقولون كان ببابل فقط . وقالوا إنّ آدم هو كيومرث وهو نهاية نسبهم فيما يزعمون، وأنَّ أفريدون الملك في آبائهم هو نوح، وأنه بعث لازدهاق وهو الضحّاك فلبسه الملك وقبله كما يذكر بعد في أخبارهم . وقد تترجَّحُ صحة هذه الأنساب من التوراة، وكذلك قصص الأنبياء الأقدمين إذ أخذت عن مسلمي يهودا ، ومن نسخ صحيحة من التوراة، يغلب على الظن صحتها . وقد وقعت العناية في التوراة بنسب موسى عليه السلام وإسرائيل وشعوب الأسباط، ونسب ما بينهم وبين آدم صلوات الله عليه . والنسب والقصص أمرٌ لا يدخله النَسْخُ، فلم يبق إلا تحرّي النُسخ الصحيحة والنقل المعتبر . وأمّا ما يقال من أنّ علماءَهم بدّلوا مواضع من التوراة، بحسب أغراضهم في دياناتهم . فقد قال ابن عباس، على ما نقل عنه البخاري في صحيحه: أنّ ذلك بعيد ، وقال معاذ الله أنّ تَعْمد أُمّة من الأمَم إلى كتابها المُنْزَل على نبيها فتبدله أو ما في معناه، قال وإنما بدّلوه وحرفوه بالتأويل . ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وعندهم التوراة فيها حكم الله ﴾ ولو بدّلوا من التوراة ألفاظها لم يكن عندهم التوراةُ التي فيها حكم الله . وما وقع في القرآن الكريم من نسبة التحريف والتبديل فيها إليهم، فإنما المعني به التأويل، اللهم إلا أنّ يطرقها التبديل في الكلمات على طريق الغفلة وعدم الضبط . وتحريف من لا يحسن الكتابة بنسخها فذلك يمكن في العادة، لا سيما وملكهم قد ذهب، وجماعتهم انتشرت في الآفاق، واستوى الضابط منهم وغيرُ الضابط، والعالمُ والجاهل، ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لذهاب القدرة بذهاب الملك، فتطرّق من أجل ذلك إلى صحف التوراة في الغالب تبديل وتحريف، غير متعمد من علمائهم وأحبارهم . ويمكن مع ذلك الوقوف على الصحيح منها إذا تحرى القاصد لذلك بالبحث عنه[3] .

## ذرية نوح

كما سبق أن أشرت قال الإمام الطبري بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين إنهم ( سام وحام ويافث ) وقال عن عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم . وإن حام أبو السودان . وأن يافث أبو الترك

[3] راجع كتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

و يأجوج ومأجوج . ويقال انه لما ضاقت بولد نوح بلدة (سوق ثمانين) تحولوا إلى بابل فبنوها وهي بين الفرات والصراة وكانت اثني عشر فرسخا في اثني عشر فرسخا وكان بابها موضع دوران اليوم فوق جسر الكوفة يسرة إذا عبرت فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف وهم على الإسلام .

يافث واولاده

يقال أن يافث بن نوح تزوج إحدى بنات خنوخ أي ادريس بن قينن بن آدم عليه السلام وهي التي ولدت له الأولاد الذين منهم (حي ووائل وترس وشبكة)

حام واولاده

يقال إن حام بن نوح تزوج تحلب بنت مارب بن خنوخ أي ادريس ابن قينن بن آدم وهي التي ولدت له الأولاد الثلاثة وهم (كوش وقوط وكنعان) كوش بن حام بن نوح تزوج لبنى ابنة بتاويل بن ترس بن يافث فولدت له الحبشة والسند والهند فيما يزعمون. وتزوج قوط بن حام بن نوح بخت ابنة بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح فولدت له القبط قبط مصر فيما يزعمون . وتزوج كنعان بن حازم بن نوح هدوة ابنة بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح فولدت له الأساود والنوبة والزنج والزغاوة وأجناس السودان كلها . وهنا نكتفي بالإشارة إلى ما سبق ونذكر الآن بعض فروع أنساب سام بن نوح وهي الموضوع الذي نحن بصدده لتقرير نسب أولاد سيدي نايل ومن جاورهم .

الفصل الرابع

في

ذكر سام واولاده

قال أن سام بن نوح تزوج بنت بتاويل بن خنوخ بن قينن بن آدم فولدت له (لاوذ) و (إرم) و (عابر) و (عليم) و (أشوذ) و (أرفخشد) . هذا ويقال اِن سام بن نوح كان له جمال ورواء ومنظر وكان يصيّف بالقرية التي ابتناها نوح عليه السلام بترض بازْبدى وسماها ثمانين ويشتي بأرض جوخى وكان ممره من أرض جوخى إلى بازبدى على شاطىء دجلة مَن الجانب الشرقي ويسمى ذلك المكان الآن (سامراه) يعني طريق .

مدينة سامراء

قال إبراهيم الجنيدي سمعتهم يقولون إن سامراء بناها سام بن نوح عليه السلام ودعا أن لا يصيب أهلها سوء فأراد السفاح أن يبنيها فبنى مدينة الأنبار بجذائها وأراد المنصور بعدما أسس بغداد بناءها وسمع في الرواية ببركة هذه المدينة فابتدأ بالبناء في البردان ثم بدا له أمر وبنى بغداد وأراد الرشيد أيضا بناءها فبنى بجذائها قصرا وهو بإزاء أثر عظيم قديم كان للأكاسرة ثم بناها المعتصم ونزلها . وذكر محمد بن أحمد البشاري نكتة حسنة فيها قال لما عمرت سامراء وكملت واتسق خيرها واحتفلت سميت ( سرور من رأى ) ثم اختصرت فقيل ( سر من رأى ) فلما خربت وتشوهت خلقتها واستوحشت سميت ( ساء من رأى ) ثم اختصرت فقيل ( سامراء ) ويقال أن ( سام ) وُلد بعد أن مضى من عمر أبيه نوح خمسمائة سنة .

ذرية لاوذ بن سام

تزوج لاوذ بن سام بن نوح شبكة ابنة يافث بن نوح فولدت له فارس وجرجان وأجناس فارس وولد مع الفرس طسم وعمليق ولا أدري أهو لأم الفرس أم لا وهو أبو العماليق كلهم وهم أمم تفرقت في البلاد وكان أهل المشرق وأهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم ( قال ) ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ومنهم كانت الفراعنة بمصر وكان منهم أمة يسمون جاسم منهم بنو هف وسعد بن هزان وبنو مطر وبنو الأزرق وبديل وراحل وغفار وأهل تيماء قال وكان بنو أميم بن لاوذ بن سام بن نوح أهل ( وبار ) بأرض الرمل رمل عالج وكانوا قد كثروا بها وربلوا فأصابتهم من الله عز وجل نقمة من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس . قال وكان طسم بن لاوذ ساكن اليمامة وما حولها وقد كثر نسله بها وربلوا إلى البحرين فكانت طسم والعماليق وأميم وجاسم قوما عربا لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي وكانت فارس من أهل المشرق ببلاد فارس يتكلمون بهذا .

ذرية إرم بن سام

قال وولد إرم بن سام بن نوح (عوص بن إرم وحويل بن إرم ) فولد عوص بن إرم ( ارم بن عوص وعاد بن عوص وعبيل بن عوص ) وولد حوبل بن إرم ( ثمود بن حويل وجديس بن حويل ) وكانوا قوما عربا يتكلمون بهذا اللسان المضري فكانت العرب تقول لهذه الأمم ( العرب العاربة

) لأنه لسانهم الذي جبلوا عليه. ويقولون لبني إسماعيل بن إبراهيم العرب المتعربة لإنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم. فعاد وثمود والعماليق وأميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب فكانت عاد بهذه الرمل إلى حضرموت واليمن كله وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله ولحقت جديس بطسم فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحرين واسم اليمامة إذ ذاك جو وسكنت جاسم عمان فكانوا بها .

ذرية ارفحشد بن سام

أرفخشد بن سام بن نوح من أغلب أعقابه (الأنبياء والرسل وخيار الناس والعرب كلها) وقد ولد (أرفخشد) بعد أن مضى من عمر أبيه سام مائة سنة وسنتان . وقد أنجب ارفخشد أولادا منهم (شالخ) . (شالخ بن ارفخشد ) ولد بعد أن مضى من عمر أبيه (ارفخشد) اربعمائة وثمان وثلاثون سنة . وأنجب (شالخ بن ارفخشد ) أولادا منهم (عابر ) وقد ولد بعد أن مضى من عمر أبيه (شالخ ) ثلاثون سنة وكان عمر (شالخ) كله أربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ولد لشالخ ابناء منهم ( قحطان ) وأخوه (فالغ ) أما (قحطان )فسيأتي الكلام عليه فيما بعد . وأما (فالغ) فقد كان مولده بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وقد بلغ فالغ مائتين وتسعا وثلاثين سنة وأنجب (فالغ) أولادامنهم (عابر ) ولما كثر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان هموا ببناء مدينة تجمعهم فلا يتفرقون أو صرح عال يحرزهم من الطوفان إن كان مرة أخرى فلا يغرقون فأراد الله عز وجل أن يوهن أمرهم ويخلف ظنهم ويعلمهم أن الحول والقوة له فبدد شملهم وشتت جمعهم وفرق ألسنتهم وكان أبوهم (عابر ) قد بلغ أربعمائة سنة وأربعا وسبعين سنة وقد أنجب (عابر ) أولادا منهم (أرغو) وكان عمر أرغوا مائتين وتسعا وثلاثين سنة وأنجب (أرغو ) أولادا منهم (ساروغ) وأنجب (لساروغ) أولادا منهم (تاروح) وكان عمر ناحور كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة وأنجب (تاروح ) أولادا منهم (تارخ) وكان هذا الاسم (تارح) اسمه الذي سماه أبوه به فلما صار مع نمرود قيما على خزانة آلهته سماه آزر وقيل إن آزر لقب لاحد أعمامه ويقال إن اسم آزر عيب عيب به ذلك الشخص ومعناه معوج (قال ) وأنجب (تارح بن تاحور) أولادا منهم (تاحور وهاران وإبراهيم ) فأما تاحور بن تارح فقد أنجب أولادا منهم بتويل . وبتويل هذا أنجب لابان وربقا وليا وراحيل فأما ربقه فهي امرأة

إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب. وأما وليا وراحيل فهما زوجتا يعقوب . وأما هاران بن تارح فقد أنجب أولادا منهم سيدنا لوط وسارة ثم توفي في حياة أبيه تارح في الأرض التي وُلد فيها وهي بابل أرض الكنعانيين ويقال أن هاران هو الذي بنى حرانٍ .

المدد والأعوام

وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة وكان بعض أهل الكتاب يقول كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة.

## الكتاب الثاني عشر

ويتضمن الفصول الآتية : الفصل الأول في ذكر سيدنا إبراهيم وذريته . الفصل الثاني في ذكر سيدنا إسماعيل وذريته.

*

## الفصل الأول
## في
## ذكر سيدنا إبراهيم وذريته

------

### سيدنا إبراهيم الخليل

سيدنا إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن عابر بن فالغ بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واسم أم إبراهيم (أميلة) وقد وردت عنها حكاية طويلة وقال الكلبي اسمها (بونا) بنت كربنا بن كرثى من بني أرفخشذ بن سام بن نوح. وروى ابن عساكر من غير وجه عن عكرمة أنه قال كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان قالوا ولما كان عمر أبيه (تارخ) خمسا وسبعين سنة ولد له (ناحور) و (إبراهيم) و (هاران) وولد لـ (هاران) نبي الله (لوط) وعندهم أن إبراهيم عليه السلام هو الأوسط وان هاران مات في حياة أبيه في أرضه التي ولد فيها وهي أرض الكلدانيين يعنون أرض بابل وولد إبراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة في جبل يقال له قاسيون

والصحيح أنه ولد ببابل وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه إذ جاء معينا للوط عليه السلام قالوا وتزوج إبراهيم ( سارة ) وتزوج أخوه ناحور ( ملكا ) قالوا وكانت سارة عاقرا لا تلد . قالوا وانطلق تارخ بابنه إبراهيم وامرأته سارة وحفيده لوط بن هاران فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين فنزلوا حران فمات فيها الأب تارخ وله مائتان وخمسون سنة وهذا يدل على أنه لم يولد بحران وإنما مولده بأرض الكلدانيين وهي أرض بابل وما والاها ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين وهي بلاد بيت المقدس فأقاموا بحران وهي ارض الكشدانيين في ذلك الزمان وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضا وكان هذا القوم يعبدون الكواكب السبعة قال والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالي ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل بكوكب منها ويعملون لها أعيادا وقرابين وهكذا كان أهل حران يعبدون الكواكب والأصنام وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارا سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم السلام وكان الخليل عليه السلام هو الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذاك الضلال لأن الله سبحانه وتعالى أتاه رشده في صغره وابتعثه رسولا واتخذه خليلا في كبره .

## ثقب الأذنيين والخفاض

ذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد القيرواني رحمه الله في كتاب النوادر أن سارة لما غضبت على هاجر حلفت لتقطعن ثلاثة أعضاء منها فأمرها الخليل أن تثقب أذنيها وأن تخفضها فتبر قسمها قال السهيلي فكانت أول من اختتن من النساء وأول من ثقبت أذنها منهن وأول من طولت ذيلها .

( قال ) وبتعد تلك الغيبة وُلد لأبراهيم من زوجته سارة بنت عمه توبيل بن تاحور ( إسحاق ) الذي أنجب يعقوب جد بني اسرائيل

## سنن الفطرة

بمناسبة ذكر ثقب الأذنين في الباب السابق تجدر بنا هنا الإشارة إلى ذكر حكم الختان والخفاض وسنن الفطرة جمعاء فنقول جاء في فتوى فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق قوله : جاء في القرآن الكريم قول الله سبحانه وتعالى ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من

المشركين ﴾ وجاء في الحديث الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفطرة خمس أو خمس من الفطرة الختان والإستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظافر) وقد تحدث الإمام النووي الشافعي في المجموع في تفسير الفطرة بأن أصلها الخلقة قال الله تعالى ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ واختلف فى تفسيرها فى الحديث قال الشيرازى والماوردى وغيرهما هى الدين وقال الإمام أبو سليمان الخطابى. فسرها أكثر العلماء فى الحديث بالسنة، ثم عقب النووى بعد سرد هذه الأقوال وغيرها بقوله قلت تفسير الفطرة هنا بالسنة هو الصواب. ففى صحيح البخارى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من السنة قص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر) وأصح ما فسر به غريب الحديث تفسيره بما جاء فى رواية أخرى، لا سيما فى صحيح البخارى.

وقد اختلف أئمة المذاهب وفقهاؤها فى حكم الختان قال ابن القيم فى كتابه (تحفة المودود) اختلف الفقهاء فى ذلك. فقال الشعبى وربيعة والأوزاعى ويحيى بن سعيد الأنصارى ومالك والشافعى وأحمد هو واجب وشدد فيه مالك حتى قال من لم يختتن لم تجز إمامته ولم تقبل شهادته، ونقل كثير من الفقهاء عن مالك، أنه سنة حتى قال القاضي عياض الاختتان عند مالك وعامة العلماء سنة ولكن السنة عندهم يأثم تاركها، فهم يطلقونها على مرتبة بين الفرض والندب، وقال الحسن البصرى وأبو حنيفة لا يجب بل هو سنة. وفى فقه الإمام أبى حنيفة إن الختان للرجال سنة، وهو من الفطرة، وللنساء مكرمة، فلو اجتمع أهل مصر (بلد) على ترك الختان قاتلهم الإمام، لأنه من شعائر الإسلام وخصائصه. والمشهور فى فقه الإمام مالك فى حكم الختان للرجال والنساء كحكمه فى فقه الإمام أبى حنيفة. وفقه الإمام الشافعى إن الختان واجب على الرجال والنساء. وفقه الإمام أحمد بن حنبل إن الختان واجب على الرجال ومكرمة فى حق النساء وليس بواجب عليهن، وفى رواية أخرى عنه أنه واجب على الرجال والنساء. كمذهب الإمام الشافعى وخلاصة هذه الأقوال إن الفقهاء اتفقوا على أن الختان فى حق الرجال والخفاض فى حق الإناث مشروع. ثم اختلفوا فى وجوبه فقال الإمامان أبو حنيفة ومالك هو مسنون فى حقهما وليس بواجب وجوب فرض ولكن يأثم بتركه تاركه، وقال الإمام الشافعى هو فرض على الذكور والإناث، وقال الإمام أحمد هو واجب فى حق الرجال. وفى النساء عنه روايتان أظهرهما الوجوب. انتهى.

## أولاد إبراهيم

يقال أن إبراهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة وأن الله بشره بذلك وأنه لما كان لإبراهيم ببلاد بيت المقدس عشرون سنة قالت سارة لإبراهيم عليه السلام إن الرب قد أحرمني الولد فادخل على أمتي هاجر هذه لعل الله يرزقني منها ولدا فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم عليه السلام فحين دخل بها حملت منه قالوا فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت على سيدتها فغارت منها سارة فشكت ذلك إلى إبراهيم فقال لها افعلي بها ما شئت فخافت هاجر فهربت فنزلت عند عين هناك فقال لها ملك من الملائكة لا تخافي فإن الله جاعل من هذا الغلام الذي حملت خيرا وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابنا وتسميه اسماعيل ويكون يده على الكل ويد الكل به ويملك جميع بلاد إخوته فشكرت الله عز وجل على ذلك ولما رجعت هاجر وضعت إسماعيل عليه السلام قالوا وولدته ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة قبل مولد إسحق بثلاث عشرة سنة ولما ولد إسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحق من سارة فخر لله ساجدا وقال له قد استجبت لك في إسماعيل وباركت عليه وكثرته ونميته جدا كثيرا ويولد له اثنا عشر عظيما وأجعله رئيسا لشعب عظيم هذا وبما أن هاجر عليها السلام لما ولد لها إسماعيل اشتدت غيرة سارة منها وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها فسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم ويقال إن ولدها كان إذ ذاك رضيعا فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما قامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه وقالت يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفينا فلم يجبها فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت فإذا لا يضيعنا ( تعقيب ) هذه الرواية الأخيرة التي فيها (آلله أمرك بهذا ) تفند حكاية : أن سارة هي التي أمرت إبراهيم بإبعاد ( هاجر )

( قلت ) أما ( سارة ) فقد أنجبت بعد ذلك إسحاق . وبشر الله تبارك وتعالى سيدنا إبراهيم بأن إسحاق سينجب ابنا يسمى يعقوب ( قال الله تعالى )فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ) ( قلت ) ويعقوب هو إسرائيل الذي تنتسب إليه بنو إسرائيل قاطبة ( قلت ) ومن باب الإفادة وعلى ذكر إسرائيل يجدر بنا إلى أن ( بني إسرائيل ) من ولد إسحاق بن إبراهيم و لمعرفة مسار الأجناس في

الحياة وكيف كان مصير كلٍ ينبغي مراجع تاريخ الأمم والشعوب في غير هذا الكتاب . ونرجع الآن إلى ما نحن بصدده فأقول :

بناء البيت ومراحله

أمر اللهُ تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يبني له بيتا يكون لأهل الأض كتلك المعابد لملائكة السماء وأرشده الله إلى مكان البيت المهيأ له المعين لذلك منذ خلق السموات والأرض كما ثبت في الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك في هذا بقوله مكان البيت يناهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقر في قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم وقد ذكرنا أن آدم نصب عليه قبة وأن الملائكة قالوا له قد طفنا بهذا البيت وأن السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك ولكن كل هذه الأخبار عن بني إسرائيل وقد قررنا أنها لا تصدق ولا تكذب فلا يحتج بها فأما إن ردها الحق فهي مردودة وقد قال الله إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين أي أول بيت وضع لعموم الناس للبركة والهدى البيت الذي ببكة ( وبكة قيل مكة وقيل محل الكعبة) فيه آيات بينات أي على أنه بناء الخليل والد الأنبياء من بعده وإمام الحنفاء من ولده الذين يقتدون به ويتمسكون بسنته ولهذا قال مقام إبراهيم أي الحجر الذي كان يقف عليه قائما لما ارتفع البناء عن قامته فوضع له ولده هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لما تعالى البناء وعظم الفناء كما تقدم في حديث ابن عباس الطويل وقد كان هذا الحجر ملصقا بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاخره عن البيت قليلا لئلا يشغل المصلين عنده الطائفين بالبيت وقد كانت آثار قدمي الخليل باقية في الصخرة إلى أول الإسلام ( قلت) بل هي إلى الآن ( أي سنة 2007م ) قال الله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل أي في حال قولهما ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم فهما في غاية الإخلاص والطاعة لله عز وجل وهما يسألان من الله السميع العليم أن يتقبل منهما ما هما فيه من الطاعة العظيمة والسعي المشكور ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم والمقصود أن الخليل بنى أشرف المساجد في أشرف البقاع في واد غير ذي زرع ودعا لأهلها بالبركة

وأن يرزقوا من الثمرات مع قلة المياه وعدم الأشجار والزروع والثمار وأن يجعله حرما محرما وآمنا محتما فاستجاب الله له مسألته ولبى دعوته وأتاه طلبته فقال تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقال تعالى أولم نمكن لهم حراما آمنا يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا وسأل الله أن يبعث فيهم رسولا منهم أي من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة النصيحة لتتم عليهم النعمتان الدنيوية والدينية سعادة والاولى والأخرى وقد استجاب الله له فبعث فيهم رسولا وأي رسول ختم به أنبياءه ورسله وأكمل له من الدين ما لم يؤت أحدا قبله وعم بدعوته أهل الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في سائر الأقطار والأمصار والأعصار إلى يوم القيامة كان هذا من خصائصه من بين سائر الأنبياء لشرفه في نفسه وكمال ما أرسل به وشرف بقعته وفصاحة لغته وكمال شفقته على أمته ولطفه ورحمته وكريم محتده وعظيم مولده وطيب مصدره ومورده ولهذا استحق إبراهيم الخليل عليه السلام إذ كان باني الكعبة لأهل الأرض ان يكون منصبه ومحله وموضعه في منازل السموات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور الذي هو كعبة اهل السماء السابعة المبارك المبرور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم البعث والنشور

تجديد بناء البيت والمسجد الحرام

من باب الإفادة إنه لما جاء عهد قصي [4] أمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم إن فعلتم ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم، فبنوا حول البيت من جهاته الأربع وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب الآن إليه، كباب بني شيبة، وباب بني سهم، وباب بني مخزوم، وباب بني جمع، وتركوا قدر الطواف بالبيت، فبنى قصي دار الندوة وهي أول دار بنيت بمكة

( قالوا ) ولخمس وثلاثين سنة من مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قامت قريش ببناء الكعبة وذلك لأن الكعبة كانت عبارة عن حجارة مرصوصة ارتفاعها تسعة أذرع من عهد إسماعيل ولم يكن لها سقف فسرق بعض اللصوص كنزها الذي كان في جوفها وكانت مع ذلك قد تعرضت باعتبارها أثرا قديما للعوامل الجوية التي أضعفت بنيانها وصدعت جدرانها ( قالوا )وقبْل مبعثه صلى الله عليه

[4] راجع كتاب إنسان العيون المعروف بالسيرة الحلبية

وسلم بخمس سنين جَرف مكةَ سَيلُ عرم انحدر إلى البيت الحرام فأوشكت الكعبة منه على الانهيار فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصا على مكانتها واتفقوا على أن لا يدخلوا في بنائها إلا طيبا فلا يدخلوا فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس وكانوا يهابون هدمها فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم ، ثم أرادوا الأخذ في البناء فجزأوا الكعبة وخصصوا لكل قبيلة جزءا منها فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة وأخذوا يبنونها وتولى البناء بناءٌ رومي اسمه باقوم ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه واستمر النزاع أربع ليال أو خمسا واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه هتفوا : هذا الأمين رضيناه ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر طلب رداء فوضع الحجر وسطه وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعا بأطراف الرداء وأمرهم أن يرفعوه حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه وكان هذا حلا حصيفا رضى به القوم ولم تكف النفقة الطيبة التي أخرجتها قريش تكاليف البناء ، فأخرجوا من الجهة الشمالية نحوا من ستة أذرع وهي التي تسمى بالحجر والحطيم ورفعوا بابها من الأرض لئلا يدخلها إلا من أرادوا ولما بلغ البناء خمسة عشر ذراعا سقفَوه على ستة أعمدة

( قالوا ) وفي حادثة تجديد بناء الكعبة تجد كمال الحفظ الإلهي ، وكمال التوفيق في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنك تجد كيف أن الله أكرم رسوله بهذه القدرة الهائلة على حل المشكلات بأقرب طريق وأسهله ، وذلك ما تراه في حياته كلها ، وذلك معلم من معالم رسالته فرسالته إيصال للحقائق بأقرب طريق ، وحل للمشكلات بأسهل أسلوب وأكمله

( قال الحلبي ) ولما كان زمن ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضي الله عنه اشترى دورا أُخر وغالى في ثمنها وهدمها وزاد في سعة المسجد ، ثم إن ابن الزبير رضي الله عنهما زاد في المسجد زيادة كثيرة ثم إن عبد الملك بن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد فيه شيئًا ثم إن الوليد بن

عبد الملك وسع المسجد وحمل إليه أعمدة الرخام، ثم زاد فيه المهدي والد الرشيد مرتين، واستقر بناؤه على ذلك إلى الآن . ( قلت ) وقوله إلى الآن أي آن زمن الحلبي أما بعده فقد أنجزت أعمال أخرى راجعها في تاريخ مكة ( قلت ) ومن ذلك قول الموسوعة : وقد شهدت مكة المكرمة توسعاً كبيرا في السنوات الأخيرة الماضية حيث تضاعفت مساحتها وسكانها ليصل إلى أكثر من مليوني نسمة وتعتبر مكة المكرمة إحدى مراكز الإشعاع العلمي الإسلامي حيث توجد فيها جامعة أم القرى التي تضم كليات متخصصة في العلوم الإسلامية . كما يوجد في مكة المكرمة مقرُّ رابطة العالم الإسلامي ونظراً لاستقطاب العاصمة المقدَّسة لملايين المسلمين فقد أولت الحكومة السعودية عناية واهتماما بالحرم المكي الشريف . ومنذ 1955م وإلى 1994م جرت وتجري عمليات توسعة عمرانية فريدة بلغت مشروعات التوسعة والتحسين ذروتها في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حيث تعتبر توسعته أكبر توسعة تمّت في التاريخ بحيث ضاعفت أعداد المصلين في المسجد الحرام لتصل إلى أكثر من مليوني مصل

( فائدة ) جاء في الحديث الصحيح أن آدم عليه الصلاة والسلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وقال مجاهد أن الحجاج إذا قدموا مكة لحقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوهم بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام .

( قلت ) ولازال عندنا في الجلفة وضواحيها هذه السنة الحميدة وهي استقبال وفود الحجاج وإقامة حفلات لاستقبالهم و نعتبر أيام رجوع الحجاج أيام فرحة ومودة لاتماثلها أيام أخرى ونسمي مؤدي فريضة الحج حاجا وحاجة

( قال ) وعن النبي أن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا كملهم الله تعالى من الملائكة وإن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها

(قال) وحكي أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلاثمائة فصارت تاريخا مذكورا قيل إنها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكن على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها إلا بشموع العنبر وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين .

(قال) هذا وعلى القول الآخر أن آدم عليه الصلاة والسلام لما بنى البيت وقال يا رب إن لكل عامل أجرا فما أجر عملي قال إذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدني قال جعلته قبلة لك ولأولادك قال يا رب زدني قال أغفر لكل من استغفرني من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يا رب حسبي

(قال) وفي الحديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة قال الحسن بن علي رضي الله عنهما إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى من المدينة إلى مكة عشرين مرة . ومن لطيف ما أنشد عمرو بن حبان الضرير حين لم يهد إليه الحجاج شيئا .

كأن الحجيج الآن لم يقربوا منى ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلا

أتونا فما جادوا بعود أراكة ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

قلت وإلى عهد قريب كان (طُلبتنا) إذا جاء الحاج من البقاع المقدمة خطبوا له خطبة الحاج المعلومة المدونة في الكتب القديمة وكان يحرص على قراءتها شيخي سي محمد جعلاب بن الغويني البريكي الجلفاوي .

صفة البيت

وأما صفة الكعبة[5] فإنها في وسط المسجد مربع الشكل بابه مرتفع على الأرض قدر قامة عليه مصراعان ملبسان بصفائح الفضة طليت بالذهب وطول الكعبة أربع وعشرون ذراعا وشبر وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعا وشبر وذرع دور الحجر خمسة وعشرون ذراعا وارتفاع الكعبة سبعة وعشرون ذراعا . والحجر من جهة الشام يصب فيه الميزاب وقد ألبست حيطان الحجر مع

[5] راجع آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني

أرضه الرخام وارتفاعه حقو وحول البيت شاذروان مجصص ارتفاعه ذراع في عرض مثله وقاية للبيت من السيل . والباب في وجهها الشرقي على قدر قامة من الأرض طوله ستة أذرع وعشر أصابع وعرضه ثلاثة أذرع وثماني عشرة إصبعاً . والحجر الأسود على رأس صخرتين وقد نحت من الصخر مقدار ما دخل فيه الحجر والحجر الأسود حالك على الركن الشرقي عند الباب في الزاوية وهو على مقدار رأس إنسان وذكر بعض المكيين حديثاً رفعوا على مشايخهم انهم نظروا إلى الحجر الأسود عند عمارة ابن الزبير البيت فقدروا طوله ثلاثة أذرع وهو ناصع البياض إلاوجهه الظاهر وارتفاع الحجر من الأرض ذراعان وثلث ذراع وما بين الحجر والباب الملتز سمي بذلك لالتزامه الدعاء . كانت العرب في الجاهلية تتحالف هناك فمن دعا على ظالم هناك أو حلف اثما عجلت عقوبته وداخل البيت في الحائط الغربي الجزعة على ستة أذرع من قاع البيت وهي سوداء مخططة ببياض طولها اثنا عشر في مثل ذلك وحولها طوق من ذهب عرضه ثلاث أصابع ذكر أن النبي عليه السلام جعلها على حاجبه الأيمن والميزاب متوسط على جدار الكعبة بارز عنه قدر أربعة أذرع وسعته وارتفاع حيطانه كل واحد ثماني أصابع وباطنه صفائح الذهب والبيت مستتر بالديباج ظاهره وباطنه ويجدد لباسه كل سنة عند الموسم .

## مناسك الحج

بمناسبة ذكر البيت يلزمني أن أدرج هنا قصيدة المناسك التي أفادني بها الأستاذ المستشار التربوي الشيخ أحمد السراج بن محمد الشعنبي الجزائري والتي يقول فيها لافض فوه :

### قصيدة المناسك

| | |
|---|---|
| ابتـــدئ القـــــول بيـــــســــم الله | مـــصليا علـــى رســـــــــول الله |
| وءالـــه وصحـــبـــــه الابــــــرار | والتابعـــــــــين لهـــم الاخيـــار |
| يـــا من يريـــد حـــــج بيــــت الله | هـــاك نـــسكك بالـــــــتناهي |
| معتمــــدا فيهـــا عـــــلى ميـــــاره | شــرح المعـــين مرشـــد المحــــتاره |
| (اركانـــــه ) اربـــــعة لاتـــــجبر | بمـــا مـــن الانعـــام ثـــمّ يـــــنحر |

اولها الاحرام والسعي يلي ... طواف فرض ليس بالمعجل

ثم الوقوف برحاب عرفه ... ليلة الاضحى والطواف ردفه

والواجبات قولة الحطاب ... جيم واربعون بالحساب

قسمها ثلاثة الاقسام ... حسب الاهم فافهمن كلامي

عشرة وبعد اربعة ... متفق على دمائها مشرعة

تجاوز الميقات دون احرام ... وترك لبيك جميعا بالتمام

ترك الركوع ترك رميك الجمار ... ولو حصاة فاعرفنه باختصار

ترك المبيت ليلا كمل ... ترك الحلاق للبلاد او يطوّل

ترك الافاضة او السعي الى ... محرم كما معا حكم جلا

وترك بدنك من الاسود في ... الطواف بالبيت مخل فاعرف

والدفع من عرفة قبل الغروب ... مع وجودك بها بعد الغروب

وفصلهم بالطول من بعد الطواف ... وقبل سعيك تحد وانحراف

والسعي من بعد طواف لم يجب ... الا اذا اعدته كما طلب

والسعي ان فرقته بالطول ... ولم تعد فليس بالمعقول

والباقي مما بالخلاف يدعى ... فاعمل بما يسر تلق نفعا

احرم بنسكك من الميقات ... ملبيا بأجمل الصفات

حتى اذا وصلت للبيوت ... فالزم فراغك مع السكوت

وياسر البيت امامك الحجر ... سبعة اشواط به بلا ضجر

وبعد ان تركع سر للسعي ... بدءا من الصفا بذاك الوعي

ويومك الثامن سر الى منى ... وبت بها ليلك ندبا معلنا

ويومك التاسع سر لعرفه ... وبعد جزء الليل للمزدلفه

واجمع عشائيك على حال النزول ... وبت هناك الى الصبح اقول

وسر الى العقبة المعلومه ... فارم باحجار بقدر الثومه

واحلـــق ثـــم الــبس اجمـــل الثيـــاب
ســـر للافاضـــة مـــــــع الايـــاب

ثـــم المبيـــت بمـــــــــنى ثلاثـــا
مـــن الليـــالي كمـــل اللــــــــباثا

وارم الجمــــــار ثانيـــا ومـــا يلـــــه
مـــن يـــوم عيـــدك الـــسعيد فانتبـــه

بعــــد فراغـــــــك مـــن الجمـــــار
خــذ عمــرة في اشـــــرف الـــديار

وطــــــف مودعـــــا لبيـــــــت الله
وســـــر لقـــبر المـــصطـــفى الاواه

وامكــث هنــاك مــا اسـتطــعت للـصلاة
مـــا بين قـــبره ومنـــبر الهــــــداة

وعــــــد الى اهلـــــك بالهـــــــدايا
اشـــرفها مـــن زمـــزم منـــــــايا

انهيـــــــــتها بحمـــد رب العـــــالمين
مـــــــصليا على نبـــيـــه الامين

رحلة الحج للحاج علي اخضري

في رحلة الحج الى بيت الله الحرام انشدني الحاج علي اخضري بن محمد السعيد الجزائري قصيدة وفيها فعلا تبيين سير الحجاج وكيفية المناسك ومنها هذه الابيات :

نـــبدا بســــــم الله في مـــا نتـــامل
وفقني يا خالقـــــــــي في مبـــداها

صـــــلاتي عليـــه ســـيد الرســـل
محـــــــمد لـــمين نابينا طاهـــــا

قلـــبي شـــوق للنـــــــبي راه اتخــلخل
وادموعي علـــخد سالـــت مقـــواها

ريـح الحـب اصـعيب في الكـبدا يـشعل
زورتو عن طول العمر ما نـــــنساها

اقدمنـــا في وفـد رجــــــــال امعدل
رفقا متــــــحدين صحــه ونبـــاها

نـاداــــــــــا ءاذان مولانـا كمـل
سهل عنا كل بقــــعـــــه زرنــاهـا

امـن الـشلاله الـسيره لاتغـــــــفل
ذهـاب واياب بلده مبـــــــــــهاهـا

سيـارات احمـام في الـشبه انــــمثـل
الوطيا واجبال بيقــــاو اوراهـــــا

خلفنـا لولاد والخـــــــــاوا ولهــل
وامحــــبتهم بالنـــبي بدلناهـــــــا

في المعـرض نبـاو عالدوسـي ان كـمــل
قـوانين امنظـــــــــمـه طبــــقناهـا

يـا حجـاج اتـــوجدو حـان الاجـــل
الجزائـــــر زا يــــــخه بـان اشناهــا

الطياره في الهوى بنا تعجل ... تسكن في جو السما شوفت راها
خمس اسوايع سيرها ما يتبدل ... مقر الوفود جده بتناها
في قصر الحجاج راحه واتمهل ... بدل صرفك كل دوله تلقاها
احمي مالك بيه ثاني و تحمل ... واتحذر من شوفت اللا ترضاها
رافق ناس الخير واصحاب الفضل ... واجتنب عالراديين السفاها
لا تصحب لرذال غزلك يتخبل ... واللي حاسد خلطتو لا ترضاها
شريكت مغريب بنا تتخمل ... للمدينه قاصدين لهواها
ثمن اسوايع يا الخو بنا تغزل ... اتمسينا طيبه ايريح من جاها
في حرم الرسول اطلب واتوسل ... بين المنبر والقبر لا تنساها
استقبل قبرو وقللو نا سايل ... جيتك جاني من اذنوب اندرناها
و اعقب للصديق بو بكر البطل ... من صدق برسالتو ووفاها
وا لفروقي قوم عندو وابتهل ... اتفوز الحسنات ربي يرضاها
من زا ر البقيع مقصادو يسهل ... ايحصل علفايدا يستوفاها
العباس امع الحسن بيهم فول ... و ازواج الرسول عتره مبهاها
وا حليمه من راضعت سيد ا لرسل ... اولاد وبنات في الرب امعها
و هل احود سكان الجبل ... حمزه عمو والشهاده مقواها
والمساجد ليس نحصي وانمثل ... نختصر عالبعض نعلن بسماها
مسجد قوبا موضع الايه تنزل ... جبريل الامين عنو يتلاها
هو العاشر غير بسماه انقول ... سول القرات يعطوك اسماها
نختصر عالفايدا للي عاقل ... خمس وربعين صالا جبناها
وادعنا الرسول بدموع ان تنهل ... ا لشفاعا ليك ونت مولاها
للمولى ا لكريم بك نتوسل ... يغفر للاموات جمله بسواها
وللوالدين عنهم يتفضل ... واهل الوصيات ثم اذكرناها

واشياخ الطريق حازو للفضل ... قراو الايه وشرحو معناها
حال الزوره يالخاوا راه اكمل ... تجالو مفهوم عند الفقاها
عولنا للبيت والمولى سهل ... واقصدنا الكعبا المشهور اسماها
في بير اعلي كون حارم واغتسل ... واعقد ثم نيتك وين اهواها
عمره .والافراد .بالقارن يكمل ... صل ركعتين لبي وابداها
داوم عنها يالخو بالك تغفل ... كي تنظر للبيت غير معناها
ابطواف القدوم بادر بالعمل ... صفا والمروه اختم بادعاها
امقام ابراهيم صل وابتهل ... ابميات الف اصلات فيما سواها
في حجر اسماعيل والحجر قبل ... اطلب الدعوات صبحا ومساها
بادر بالصلاة للفرض او نفل ... من ما زمزم زيد شربه محلاها
يوم الترويا ال عرفه عول ... ابيات منى سنه تبعناها
صبحت خلق الله اتحاذي في الجبل ... كل ءاخر يبكي اذنوبو مقواها
جبل الرحمه فيه لسلام اتكبل ... تطلب في الغفران يرحم مولاها
اغفر يا الله للامه كامل ... بجاه من طاف بالبيت او جاها
من بعد الغروب عربانو ترحل ... لمزدلفا اقصدنا مهواها
احمعنا لوقات واحطوط الرحل ... وانوجهنا للحصى لقطناها
تسعا واربعين حجره لا اقل ... محصيا باعداد نص الفقاها
ابسبعا نرموه في اليوم الاول ... يوم الاضحيا انفيدك باسماها
واثنين وربعين كملهم وارحل ... واجمع ثم احسابهم كيما راها
وارجعنا للبيت طفنا بالمحل ... الافاضه ركن بيه اختمناها
الصفا والمروى يمكن تستقبل ... والمناسك تاما ادنيناها
مازارات اكثير غارامع الجبل ... من اتعبد فيه سيد النزاها
في المعلى وتنعيم اطلب واستقبل ... احفظ نفسك لا تزيغش باهواها

| | |
|---|---|
| بالحجه ربي اكرمنا واتفضل | واجب عني نشكروكي وفاها |
| ابطواف الوداع للركن انقبل | يغفر لي ربي اذنوب ان درناها |
| عولنا للوطن والتيجال اكمل | صبحنا المرصى . الجده . جيناها |
| في قصر الحجاج لسلام انتهل | ياسبحان اللي اخلقها وانشاها |
| برنا معلوم والعنوان أيدل | ارفعنا الجواز واتقد اهوا ها |
| تتعلى في الجو بامصانع تعجل | للجزائر قلصدين ال مرصاها |
| خمس اسوايع سيرها ذاك الاجل | ا قدمنا في لمان رب نجاها |
| اوجدنا لحباب ولولاد اتقبل | اطراشين اظراف قفزه . وانباها |

المدينة المنورة

على ذكر مكة المكرمة لابد هنا من التعريج على المدينة المنورة وبيت المقدس لما لذلك من ترابط تاريخي وديني حيث المساجد الثلاثة التي لاتشد الرحال إلا لها هي موجودة بهذه الأراضي وقد كانت تعجبني كلمة المرحوم الرئيس ياسر عرفات الفلسطيني حينما يقول في جل خطاباته عن القدس ( أُولى القبلتين وثالث الحرمين ) وعليه فالمدينة المنورة إحدى مدن المملكة العربية السعودية ولها خمسة وتسعون اسماً وذلك لتميُّز مكانتها بين سائر المدن الإسلامية. تقع في الشمال الغربي من المملكة وتبعد عن البحر الأحمر بـ 520 كلم ومساحتها خمسون كيلومتر مربّع. ويزيد عدد السكان عن نصف مليون نسمة. وهي المدينة التي هاجر إليها الرسول والمسلمون من مكة فأصبحت بعد ذلك عاصمة الدولة الإسلامية حتى نقل علي بن أبي طالب العاصمة إلى الكوفة أيام خلافته واستمرت المدينة المنورة مقصد طلاب العلم ففيها التجمع الكبير لعلماء الأمة الإسلامية وفيها اليوم الجامعة الإسلامية التي أنشئت عام 1962 وفيها آلاف الطلاب ذوي الجنسيات المختلفة. ووضعت في هذا القرن خطط لتطوير المدينة المنورة على اعتبار الحرم النبوي الشريف قلب المدينة ومنطلق التخطيط التنظيمي لها، وبدىء بتوسعة الحرم نظراً لتزايد أعداد المصلين وضيق المسجد وقرر الملك فهد اجراء توسعة كبيرة للحرم المديني بما يعادل عشرة أضعاف مساحته الأولى لترتفع

طاقته الاستيعابية من 28,000 مصلّ إلى 255,000 مصلّ . وقد انتهت وأكملت التوسعة خلال عام 1994 وتحتفظ المدينة المنورة بمكانة خاصة عند المسلمين لوجود قبر رسول الله فيها كما يوجد فيها مسجد قباء ومجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . والذي يطبع سنوياً ملايين النُّسخ لتوزيعها على المسلمين .

زيارة النّبيّ صلى الله عليه وسلم

أجمعت الأمّة الإسلاميّة سلفاً وخلفاً على مشروعيّة زيارة النّبيّ صلى الله عليه وسلم . وقد ذهب جمهور العلماء من أهل الفتوى في المذاهب إلى أنّها سنّة مستحبّة ، وقالت طائفة من المحقّقين : هي سنّة مؤكّدة ، تقرب من درجة الواجبات ، وهو المفتى به عند طائفة من الحنفيّة . وذهب الفقيه المالكيّ أبو عمران موسى بن عيسى الفاسيّ إلى أنّها واجبة ومن أدلّة مشروعيّة زيارته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ فإنّه صلى الله عليه وسلم حيّ في قبره بعد موته ، كما أنّ الشّهداء أحياء بنصّ القرآن . وقد صحّ قوله صلى الله عليه وسلم : « الأنبياء أحياء في قبورهم » ، وإنّما قال هم أحياء أي لأنّهم كالشّهداء بل أفضل والشّهداء أحياء عند ربّهم ، وفائدة التّقييد بالعنديّة الإشارة إلى أنّ حياتهم ليست بظاهرة عندنا وهي كحياة الملائكة وفي صحيح مسلم في حديث الإسراء « قال صلى الله عليه وسلم : مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلّي في قبره » وقوله صلى الله عليه وسلم : « فزوروا القبور ، فإنّها تذكر الموت » فهو دليل على مشروعيّة زيارة القبور عامّة ، وزيارته صلى الله عليه وسلم أولى ما يمتثل به هذا الأمر ، فتكون زيارته داخلة في هذا الأمر النّبويّ الكريم وقوله صلى الله عليه وسلم « من زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » . فاستدلّ بعض الفقهاء بهذه الأدلّة على وجوب زيارته صلى الله عليه وسلم لما في الأحاديث الأخرى من الحضّ أيضاً وحملها الجمهور على الاستحباب ، ولعلّ ملحظهم في ذلك أنّ هذه الأدلّة ترغّب بتحصيل ثواب أو مغفرة أو فضيلة ، وذلك يحصل بوسائل أخر ، فلا تفيد هذه الأدلّة الوجوب قال القاضي عياض في كتاب الشّفاء : وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام سنّة من سنن المسلمين مجمع عليها ، وفضيلة مرغّب فيها

و دلّت الدّلائل السّابقة على عظمة فضل زيارة النّبيّ صلى الله عليه وسلم وجزيل مثوبتها فإنّها من أهمّ المطالب العالية والقربات النّافعة المقبولة عند اللّه تعالى ، فبها يرجو المؤمن مغفرة اللّه تعالى ورحمته وتوبته عليه من ذنوبه ، وبها يحصل الزّائر على شفاعة خاصّة من النّبيّ صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وما أعظمه من فوز وعلى ذلك انعقد إجماع المسلمين في كافّة العصور كما صرّح به عياض والنّوويّ والسّنديّ وابن الهمام . قال الحافظ ابن حجر إنّها من أفضل الأعمال وأجلّ القربات الموصّلة إلى ذي الجلال ، وإنّ مشروعيّتها محلّ إجماع بلا نزاع . و قال القسطلّانيّ : اعلم أنّ زيارة قبره الشّريف من أعظم القربات وأرجى الطّاعات ، والسّبيل إلى أعلى الدّرجات . ومن آداب زيارة النّبيّ صلى الله عليه وسلم :

أ – أن ينوي زيارة المسجد النّبويّ أيضاً لتحصيل سنّة زيارة المسجد وثوابها لما في الحديث عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشدّ الرّحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ومسجد الأقصى »

ب – الاغتسال لدخول المدينة المنوّرة ولبس أنظف الثّياب ، واستشعار شرف المدينة لتشرّفها به صلى الله عليه وسلم .

ج – المواظبة على صلاة الجماعة في المسجد النّبويّ مدّة الإقامة في المدينة عملاً بالحديث الثّابت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلاّ المسجد الحرام » .

د – أن يتبع زيارته صلى الله عليه وسلم بزيارة صاحبيه شيخي الصّحابة رضي اللّه عنهما وعنهم جميعاً ، أبي بكر الصّدّيق ، وقبره إلى اليمين قدر ذراع ، وعمر يلي قبر أبي بكر إلى اليمين أيضاً .

ومايقع لكثير من النّاس أمور مكروهة في زيارتهم لقبر النّبيّ صلى الله عليه وسلم نشير إلى أهمّها منها

أ – التّزاحم عند الزّيارة وذلك أمر لا موجب له ، بل هو خلاف الأدب ، لا سيّما إذا أدّى إلى زحام النّساء فإنّ الأمر شديد .

ب – رفع الأصوات بالصّلاة والسّلام على النّبيّ صلى الله عليه وسلم أو بالدّعاء عند زيارته صلى الله عليه وسلم .

ج- التّمسّح بقبره الشّريف صلى الله عليه وسلم أو بشبّاك حجرته أو إلصاق الظّهر أو البطن بجدار القبر قال ابن قدامة : ولا يستحبّ التّمسّح بحائط قبر النّبيّ صلى الله عليه وسلم ولا تقبيله ، قال أحمد ما أعرف هذا . قال الأثرم : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسّون قبر النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقومون من ناحية فيسلّمون . قال أبو عبد الله : وهكذا كان ابن عمر يفعل . وقال النّوويّ منبّهًا محذرا ولا يجوز أن يطاف بقبره صلى الله عليه وسلم ، ويكره إلصاق الظهر والبطن بجدار القبر . قالوا : ويكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه ، كما يبعد منه لو حضره في حياته صلى الله عليه وسلم هذا هو الصّواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ، ولا يغترّ بمخالفة كثيرين من العوّام وفعلهم ذلك فإنّ الاقتداء والعمل إنّما يكون بالأحاديث الصّحيحة وأقوال العلماء ، ولا يلتفت إلى محدثات العوّام وغيرهم وجهالاتهم . قال صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا وصلّوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم » معنى الحديث لا تعطّلوا البيوت من الصّلاة فيها والدّعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحرّي العبادة بالبيوت ونهى عن تحرّيها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النّصارى ومن تشبّه بهم من هذه الأمّة . والعيد اسم ما يعود من الاجتماع العامّ على وجه معتاد عائدا ما يعود السّنة أو يعود الأسبوع أو الشّهر ونحو ذلك . قال في عون المعبود : قال ابن القيّم : العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمن ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتياد فإذا كان اسما للمكان فهو المكان الّذي يقصد فيه الاجتماع والانتياب بالعبادة وبغيرها كما أنّ المسجد الحرام ومنىً ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها اللّه تعالى عيدا للحنفاء ومثابة للنّاس ، كما جعل أيّام العيد منها عيدا . وكان للمشركين أعياد زمانيّة ومكانيّة فلمّا جاء اللّه بالإسلام أبطلها وعوّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النّحر ، كما عوّضهم عن أعياد المشركين المكانيّة بكعبة ومنىً ومزدلفة وسائر المشاعر . قال المناويّ في فيض القدير : معناه النّهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد ، إمّا لدفع المشقّة أو كراهة أن يتجاوزوا حدّ التّعظيم . وقيل : العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيدا تعودون إليه متى أردتم أن تصلّوا عليّ ، فظاهره منهيّ عن المعاودة والمراد المنع عمّا يوجبه وهو ظنّهم بأنّ دعاء الغائب لا يصل إليه ، ويؤيّده قوله « وصلّوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم » أي لا تتكلّفوا المعاودة إليّ فقد استغنيتم بالصّلاة عليّ .

قال المناويّ : ويؤخذ منه أنّ اجتماع العامّة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السّنة ويقولون : هذا يوم مولد الشّيخ ، ويأكلون ويشربون وربّما يرقصون فيه منهيّ عنه شرعاً ، وعلى وليّ الشّرع ردعهم على ذلك ، وإنكاره عليهم وإبطاله .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة : الحديث ( لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً وصلّوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم ) يشير إلى أنّ ما ينالني منكم من الصّلاة والسّلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه ، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدا .

( قال ) وصفة زيارته صلى الله عليه وسلم هي انه إذا أراد الزّائر زيارته صلى الله عليه وسلّم فلينو زيارة مسجده الشّريف أيضاً ، لتحصل سنّة زيارة المسجد وثوابها . وإذا عاين بساتين المدينة صلّى عليه صلى الله عليه وسلم وقال : اللّهمّ هذا حرم نبيّك فاجعله وقاية لي من النّار وأماناً من العذاب وسوء الحساب . وإذا وصل باب المسجد النّبويّ دخل وهو يقول الذّكر المعروف عند دخول المساجد « اللّهمّ صلّ على محمّد ربّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وعند الخروج يقول ذلك ، لكن بلفظ " وافتح لي أبواب فضلك » ويصلّي ركعتي تحيّة المسجد ، ثمّ يقصد الحجرة الشّريفة الّتي فيها قبره عليه الصلاة والسلام فيستدبر القبلة ويستقبل القبر ويقف أمام النّافذة الدّائريّة اليسرى مبتعداً عنها قدر أربعة أذرع إجلالاً وتأدّباً مع المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو أمام وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلّم عليه دون أن يرفع صوته ، بأيّ صيغة تحضره من صيغ التّسليم على النّبيّ صلى الله عليه وسلم ويردف ذلك بالصّلاة عليه صلى الله عليه وسلم بما يحضره أيضاً وقد أورد العلماء عبارات كثيرةً صاغوها لتعليم النّاس ، ضمّنوها ثناءً على النّبيّ صلى الله عليه وسلم فيدعو الإنسان بدعاء زيارة القبور ويصلّي ويسلّم على النّبيّ صلى الله عليه وسلم فيدعو بما يفتح الله عليه وإن كان أحد قد أوصاه بالسّلام عليه صلى الله عليه وسلم فليقل السّلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان ، أو فلان بن فلان يسلّم عليك يا رسول اللّه ، أو ما شابه ذلك . ثمّ يتأخّر إلى صوب اليمين قدر ذراع اليد للسّلام على الصّدّيق الأكبر سيّدنا أبي بكر رضي الله عنه ، لأنّ رأسه عند كتف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلّم عليه بما يحضره من الألفاظ التي تليق بمقام الصّدّيق رضي الله عنه . ثمّ يتنحّى صوب اليمين قدر ذراع للسّلام على الفاروق الذي أعزّ الله به الإسلام سيّدنا عمر بن

الخطّاب رضي الله عنه ، ويسلّم عليه بما يحضره من الألفاظ الّتي تليقٍ بمقامه رضي الله عنه . ثمّ يرجع ليقف قبالة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كالأوّل ، ويدعو متشفعا به بما شاء من الخيرات لـه ولمن يحبّ وللمسلمين . ويراعي في كلّ ذلك أحوال الزّحام بحيث لا يؤذي مسلماً .

تحية مباركة

أقول : هنا وأنا أكتب هذه الفقرات أشار على الشيخ على معيلبي بن سالم المايدي الجلفاوي بإدراج هذه الابيات وقد قرأ لي منها اشطارا لما لها من اهمية ومعاني جد جميلة اقول وقد سمعت انشادها في مجلس شيخنا سيدي محمد بلقائد بتلمسان[6] . وهي :

| | |
|---|---|
| لاالــــــه الا الله . لاالــــــه الا الله | لاالـــه الا الله محمـــد رســـول الله |
| سلامي على طيبه سلامي على الحرم | سلامي على من خصه الله بالكرم |
| سلامي على المختار من اخير الامم | وافضل مبعوث من للرسل قد ختم |
| سلامي على من قال للنخلة اسجدي | فقالت لـه طوعا على الراس والقدم |
| سلامي على من قال للبدر في السما | الا فانقسم لنصفين يا بدر فانقسم |
| سلامي على من شق جبريل صدره | ولم يشك من وجع صعيب ولا الم |
| سلامي على من قال للضب من أنا | فقال رسول الله للعرب والعجم |
| سلامي على من قال للناقة فاشهدي | باني رسول الله ارسلت من قدم |
| سلامي على طه وياسين والضحى | سلامي على الممدوح في نون والقلم |
| سلامي على من قال للباري امتي | أجرها من النيران قال لـه نعم |
| سلامي على من خر ساجدا | ومن هيبة المولى العظيم قد احتشم |
| سلامي على الهادي البشير محمد | سلامي على المخصوص بالجود والكرم |

. .

6 هنا وأنا أراجع هذا البحث رأيت في المنام ليلة الإثنين . ليلة عرفة سنة 1426هـ . رأيت الشيخ سيدي محمد بلقائد والشيخ سيدي عطية مسعودي وشيخ ثالث معهم والشيخ بوبكر بن امليك والشيخ عبد الهادي الصحراء وقد سمعت الشيخ بلقائد يدعو كما أن أحدهم أعطاني مائة ألف سنتيما . قلت وقد استبشرت بهذه الرؤيا خير .امين .

القدس هي مدينة في فلسطين وهي قائمة بين الجبال . فيها من الآثار الإسلامية المسجد الأقصى وهذه المدينة مقدسة عند المسلمين وعند اليهود والنصارى يحج إليها منهم سنويا عدد عظيم لزيارة أماكنها المقدسة ويقصدها المسلمون أيضا لزيارة المسجد الأقصى وللمكانة السامية . وترتفع القدس عن سطح البحر 750 متراً، وهي قسمان، داخلي مسوَّر وهي القدس الشرقية ومساحتها حوالي كيلومتر مربع واحد ، وقسم خارج السور وهو القدس الغربية، ويبلغ طول سورها 4200 وارتفاعه عشرة متار، وله سبعة أبواب هي: باب العمود . باب الساهرة. باب النبي داوود . باب المغاربة. باب الأسباط . باب الخليل. الباب الجديد . وداخل هذا السور يقع المسجد الأقصى. ومسجد قبة الصخرة. وتعتبر القدس اليوم مدينة سياحية صناعية، يؤمها السياح والحجاج من مختلف بقاع الأرض للتبرك ببقعتها ، وزيارة معالمها الدينيةٍ ومزاراتها المشرفة. مهد الأنبياء وتسمى القدس أو بيت المقدس، أي المنزهة، وإيلياء أيضا وهي من أقدس المدن وأقدمها وأعرقها ، وفضائلها كثيرة ومحاسنها متعددة يكفيٍ أنها هيِ المعنية بقوله تعالى ﴿ ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ ويكفيها فخرا وشرفا أن يكون فيها المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين قال تعالى ﴿ سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ فهي مهبط الملائكة ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم وملتقى الأنبياء . وفي القدس أوصى آدم ومن بعده اسحق وإبراهيم أن يدفنوا فيها ، وحمل يعقوب من مصر حتى دفن فيها ، وأوصى يوسف أن يدفن فيها ، وإليها هاجر إبراهيم وبها تاب الله تعالى على داوود وكلم عيسى الناس بالمهد صبياً . قيل إن أول من بناها داوود ثم سليمان عليهم السلام (ويقال أنها من قبلهما وما بناؤهما إلا كبناء إبراهيم للكعبة ) ( قال) وبعد بناء داوود وسليمان بقرون خربته الجبابرة. ثم بناه ملك من ملوك فارس يقال له كوشك. ووصفها الرحالة القدامى والمؤرخون فقالوا إنها قائمة على أرض وطيئة فيٍ وسط الجبال وفيها أسواق كثيرة. ويدخل إلى المسجد الأقصى من ثلاثة عشر موضعا بعشرين بابا منها : باب الحطة. باب النبي صلى الله عليه وسلم. باب محراب مريم. باب الرحمة. باب بركة بني اسرائيل. باب الأسباط. باب الهاشمية. باب الوليد . باب إبراهيم (قالت الموسوعة) وهذه نبذة

تاريخية عن المدينة المؤسسة سنة975 قبل الميلاد وقد بنى سليمان فيها هيكله المشهور، وأضحى اسمها المدينة المقدسة. وفي سنة70 دمرها تيطس القائد الروماني ثم أعاد بناءها هادريانوس امبراطور الرومان عام135 وسمّاها آليا كابيتولينا، وفي سنة335 شيد فيها قسطنطين كنيسة القبرة على أنقاض الكابيتول. ثم أتم عمله يوستنيانوس في القرن السادس للميلاد. وفي سنة614 أحرقها الفرس، ثم عادت لسيطرة الرومان حتى مجيء الإسلام ففتحها الخليفة عمر بن الخطاب سلماً عقب معركة اليرموك الشهيرة التي كانت مفتاح الدخول لبلاد الشام بقيادة خالد بن الوليد. وبقيت المدينة بأيدي المسلمين حتى سقطت بأيدي الصليبيين سنة492 هـ. وفي عام583 أسترجعها القائد صلاح الدين الأيوبي سنة 853 هـ إثر معركة حطين الخالدة. وبعد خروج العثمانيين من فلسطين دخلها الانكليز وعملوا على تقوية نفوذ اليهود فيها وكان وعد بلفور لليهود عام 1917 يمنحهم فلسطين وطناً قومياً لهم. وبعد حرب 1948 سقط جزء من مدينة القدس تحت الاحتلال الاسرائيلي، وعقب نكسة 1967 سقطت القدس بأكملها تحت الاحتلال، وعانى الشعب الفلسطيني شتى أنواع القهر والتعذيب بغية ترك المدينة المقدسة. واليوم وعقب اتفاقية أوسلو التي أجريت بين اليهود والفلسطينيين تعتبر قضية القدس من أصعب نقاط المفاوضات إذ يصر اليهود على أنها عاصمتهم بينما يصر الفلسطينيين ومن وراءهم العرب والمسلمون على أن القدس عاصمة أبدية لفلسطين.

(قلت) وبعد هذه الفذلكة نعود إلى ما نحن بصدده فأقول:

## الفصل الثاني
## في
## ذكر سيدنا إسماعيل وذريته

--

### إسماعيل هو الذبيح على قول

كما سبق ان ذكرت قد كان للخليل بنون وأشهرهم الأخوان النبيان العظيمان الرسولان (إسماعيل واسحق) وأسنهما وأجلهما الذبيح وهو على الصحيح إسماعيل (بكر إبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية) ومن قال إن الذبيح هو إسحق فإنما تلقاه من نقله بني إسرائيل الذين بدلوا وحرفو

وأولوا التوراة والإنجيل وخالفوا ما بأيديهم في هذا من التنزيل فإن إبراهيم أمر بذبح ولده البكر وفي رواية الوحيد وأياما كان فهو إسماعيل بنص الدليل ففي نص كتابهم إن إسماعيل ولد ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة وإنما ولد إسحق بعد مضى مائة سنة من عمر الخليل فإسماعيل هو البكر لا محالة وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حالة . أما في الصورة فلأنه كان وحده ولده أزيد من ثلاثة عشر سنة وأما أنه وحيد في المعنى فإنه هو الذي هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر وكان صغيرا رضيعا فيما قيل فوضعهما في وهاد جبال فاران وهي الجبال التي حول مكة وتركهما هنالك ليس معهما من الزاد والماء إلا القليل وذلك ثقة بالله وتوكلا عليه فحاطهما الله تعالى بعنايته وكفايته فنعم الحسيب والكافي والوكيل والكفيل فهذا هو الولد الوحيد في الصورة والمعنى ولكن أين من يتفطن لهذا السر . واين من يحل بهذا المحل والمعنى مما لا يدركه ويحيط بعلمه إلا كل نبيه نبيل وقد أثنى الله تعالى عليه ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقيهم العذاب مع ما كان يدعو إليه من عبادة رب الأرباب قال تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فطاوع أباه على ما إليه دعاه ووعده بأنه سيصبر ووفى بذلك وصبر وقال تعالى واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا وقال تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار وقال تعالى وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط الآية ونظيرتها من السورة الأخرى وقال تعالى أم يقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله . الآية فذكر الله عنه كل صفة جميلة وجعله نبيه ورسوله وبرأه من كل ما نسب إليه الجاهلون وأمر بان يؤمن بما أنزل عليه عباده المؤمنون

من خلال سيدنا اسماعيل

ذكر علماء النسب أن اسماعيل هو أول من ركب الخيل وكانت قبل ذلك وحوشا فانسها وركبها قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه عن عبدالله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتخذوا الخيل واعتبقوها فإنها مراث أبيكم إسماعيل وكانت هذه العراب وحشا فدعا لها بدعوته التي كان أعطى فأجابته وإنه أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن من الأمم المتقدمين من العرب قبل الخليل قال الأموي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة وقد قدمنا أنه لما شب قال الأموي هي تزوج بعمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقي وأن أباه أمره بفراقها ففارقها ثم نكح السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وأمره أبوه أن يستمر بها فاستمر بها وقيل هذه ثالثة فولدت له إثني عشر ولدا ذكرا وقد سماهم محمد بن إسحق رحمه الله كما سبق بيانه وهم ( نابت . وقيذر . وازبل . وميشى . ومسمع . وماش . ودوصا . وارر ويطور . ونبش . وطيما . وقذيما ) وهكذا ذكرهم أهل الكتاب في كتابهم .

وكان إسماعيل عليه السلام رسولا إلى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن ولما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحق وزوج ابنته نسمة من ابن اخيه العيص بن إسحق فولدت له الروم ويقال لهم بنو الأصفر لصفرة كانت في العيص وولدت له اليونان في أحد الأقوال ومن ولد العيص والأشبان قيل منها أيضا . ودفن إسماعيل نبي الله بالحجر مع أمه هاجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة وروى عن عمر بن عبد العزيز انه قال شكى إسماعيل عليه السلام إلى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله إليه أني سأفتح لك بابا إلى الجنة إلى الموضع الذي تدفن فيه تجري عليك روحها إلى يوم القيامة وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه ( نابت وقيذار ) وسياتي المزيد .

سيدنا اسماعيل واولاده واصهاره

ذكر في قصص الانبياء أن إسماعيل عليه السلام كان من أمره كما سبق أن أباه إبراهيم عليه السلام قد احتمله مع أمه هاجر فأسكنها بوادي مكة بين جبال فاران حيث لاأنيس به ولا حسيس وكان إسماعيل رضيعا ثم ذهب وتركهما هنالك عن أمر الله له بذلك ليس عند أمه سوى جراب فيه تمر ووكاء فيه ماء فلما نفد ذلك أنبع الله لهاجر زمزم التي هي طعام طعم وشفاء سقم ثم نزلت جرهم

وهي طائفة من العرب العاربة من أمم العرب الأقدمين عند هاجر بمكة على أن ليس لهم في الماء شيء إلا ما يشربون منه وينتفعون به فاستأنست هاجر بهم وجعل الخليل عليه السلام يطالع أمرهم في كل حين و يقال إنه كان يركب البراق من بلاد بيت المقدس في ذهابه وإيابه ثم لما ترعرع الغلام وشب وبلغ مع أبيه السعي كانت قصة الذبح (أقول) ولما توفي إسماعيل دفن بارض الحرم جوار البيت العتيق بعد أن خلف من زوجته السيدة بنت المضاظ بن عمر الجرهمي اثني عشرة ولدا وهم كما سبق (القيدر وادبل . ومنشا . ومسمع . وماشى . ودمى . واذر . وطيمى . ويطورى . ونبش . وقيدمى ونسمه) وقد تقدم ذكرهم في الفصول الماضية وقلنا هناك أن (نابت) بن اسماعيل خلف اولادا منهم (يشجب)، ويشجب بن نابت خلف اولادا منهم (يعرب)، ويعرب بن يشجب خلف اولادا منهم (تيرح) وتيرح بن يعرب خلف ولادا منهم (ناحور)، وناحور بن تيرح خلف اولادا منهم (مقوم) ومقوم بن ناحور خلف اولادا منهم (أُدد) ، وأدد بن مقوم خلف اولادا منهم (اد) . واد بن ادد خلف اولادا منهم (عدنان . ونبت . وعمر)

فائدة

قال الامام المقري في نفح الطيب : (لما كان) الشيء بالشيء يذكر . أنه لما قفل السلطان الناصر أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين يعقوب المنصور بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب والأندلس من إفريقية سنة ثلاث وستمائة هجري بعد فتح المهدية هنأته الشعراء بذلك ثم اجتمع أبو عبدالله بن مرج الكحل بالشعراء والكتاب فتذكروا الفتح وعظمه فأنشدهم ابن مرج الكحل في الوقت لنفسه

ولما توالى الفتح من كل وجهة ... ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره ... بما أودع السر الإلهي عنده
فلا نعمة إلا تؤدي حقوقها ... علامته بالحمد لله وحده

قال المؤلف رحمه الله تعالى فاستحسن الكتاب له ذلك ووقع أحسن موقع .

الأوائل كما ذكرتهم بعض المصادر هم على النحو التالي : أول من قرى الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام حتى كني أبا الضيفان لكثرة قراه لهم . أول من سن للضيف صدر المجلس بهرام جور أحد ملوك الفرس . أول من هشم الثريد للقرى في زمن المحل هاشم بن عبد مناف وبذلك سمي هاشما وكان اسمه قبل عمرا . أول من فطر جيرانه في شهر رمضان عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو أول من حمل الطعام على رؤوس الناس لكثرته وأول من أنهبه وجوه البر . أول من اتخذ البيمارستان بالشام للمرضى الوليد بن عبد الملك . أول من اتخذ البيمارستان بمصر أحمد بن طولون بناه بالفسطاط وهو موجود إلى الآن . أول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم بأنفسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه أول من اتخذ النيروز من الفرس جما الملك وهو الذي بنى مدينة طوس يقال إنه كان في زمن هود عليه السلام كان الدين قبله قد تغير وظهر الجور فلما ملك جدد الدين وأظهر العدل فسمي اليوم الذي ملك فيه نوروز أي يوم جديد عربته العرب فقلبوا الواو فقالوا نيروز . أول من افتتح المكاتبة بتهنئة النيروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفط ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معه هذا يوم جرت فيه العادة بإلطاف العبيد السادة . أول من قال أما بعد داود عليه السلام ويقال إنها فصل الخطاب المشار إليه بقوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطا بوقيل أول من قالها قس بن ساعدة أوغيره . أول من قال مرحبا سيف بن ذي يزن قال ذلك لعبد المطلب جد النبي حين وفد عليه ليهنئه برجوع الملك إليه فقال له مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومناخا سهلا وملكا رحلا يعطي عطاء جزلا الخ

## الكتاب الثالث عشر

## في بيان النسب العدناني الوارد في الحديث النبوي الشريف

*

### الفصل الأول

### في

### النسب العدناني الوارد

---

لا خلاف أن عدنان بن أُد بن أَدد بن مقوم بن تاحور بن تيرح من سلالة اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام واختلفوا في عدة الآباء بينه وبين اسماعيل على أقوال كثيرة فأكثر ما قيل أربعون أبا وهو الموجود عند أهل الكتاب كما سبق أن ذكرت . ثم أهل الكتاب أخذوه من كتاب رخيا كاتب أرميا ابن حلقيا على ما سنذكره وقيل بينهما ثلاثون وقيل عشرون وقيل خمسة عشر وقيل عشرة وقيل تسعة وقيل سبعة وقيل إن أقل ما قيل في ذلك أربعة . قال الحافظ أبو القاسم السهيلي وغيره من الأئمة مدة ما بين عدنان إلى زمن اسماعيل أكثر من أن يكون بينهما أربعة أباء أو عشرة أو عشرون وذلك أن معد بن عدنان كان عمره زمن بخت نصر ثنتي عشرة سنة (قلت) وعلى بعض الأقول أن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام كما سيأتي قريبا .

## تربية عدنان ونسبه وتزوجه وعودته

ذكر أبو جعفر الطبري وغيره أن الله تعالى أوحى في ذلك الزمان إلى أرمياء بن حلقيا أن اذهب إلى بخت نصر فأعلمه أني قد سلطته على العرب وأمر الله أرميا أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة فيهم فإني مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرميا ذلك واحتمل معدا على البراق إلى أرض الشام فنشأ مع بني اسرائيل ممن بقي منهم بعد خراب بيت المقدس وتزوج هناك امرأة معانة بنت جوشن من بني دب بن جرهم قبل أن يرجع إلى بلاده ثم عاد بعد أن هدأت الفتن وتمحضت جزيرة العرب وكان رخيا كاتب أرمياء قد كتب نسبه في كتاب عنده ليكون في خزانة أرمياء فيحفظ نسب معد كذلك والله أعلم

## رفع النسب إلى ما فوق عدنان

لما ورد من خلاف في عدد الآباء بين عدنان وإسماعيل كره مالك رحمه الله رفع النسب إلى ما بعد عدنان قال السهيلي وإنما تكلمنا في رفع هذه الأنساب على مذهب من يرى ذلك ولم يكرهه كابن اسحاق والبخاري والزبير بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء وأما مالك رحمه الله فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك وقال له من اين له علم ذلك فقيل له فإلى اسماعيل فأنكر ذلك أيضا

وقال ومن يخبره به وكره أيضا أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال ابراهيم بن فلان بن فلان هكذا ذكره المعيطي في كتابه قال وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير أنه قال ما وجدنا أحدا يعرف ما بين عدنان واسماعيل وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وروى عن ابن عباس أيضا أنه كان إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثا والأصح عن ابن مسعود مثله وقال عمر بن الخطاب إنما تنسب إلى عدنان وقال أبو عمر بن عبد البر في كتابه الانباه في معرفة قبائل الرواه روى ابن لهيعة عن أبي الأسود أنه سمع عروة بن الزبير يقول ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء عدنان ولا ما وراء قحطان الا تخرصا وقال أبو الأسود سمعت أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وكان من أعلم قريش بأشعارهم وأنسابهم يقول ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان في شعر شاعر ولا علم عالم قال أبو عمر وكان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأزدي ومحمد بن كعب القرظي إذا تلوا والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله قالوا كذب النسابون

## رفع نسب العرب لا مشاحة فيه

قال ابن عبد البر رحمه الله والمعنى عندنا في ما ذهبوا إليه في قوله تعالى ( والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ) هو أن من ادعى احصاء بني آدم فإنهم لا يعلمهم إلا الله الذي خلقهم وأما أنساب العرب فإن أهل العلم بأيامها وأنسابها قد وعوا وحفظوا جماهيرها وأمهات قبائلها واختلفوا في بعض فروع ذلك قال أبو عمر والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان انه عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وهكذا ذكره محمد بن اسحاق في السيرة قال ابن هشام ويقال عدنان بن أد يعني عدنان بن أد بن أدد ثم ساق أبو عمر بقية النسب إلى آدم كما قدمناه في قصة الخليل عليه السلام وأما الأنساب إلى عدنان من سائر قبائل العرب فمحفوظة شهيرة جدا لا يتمارى فيها اثنان والنسب النبوي إليه أظهر وأوضح من فلق الصبح

## عدنان وذريته

عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . خلف أولادا وهم ( معد . وعك . والحارث . والمذهب . والضحاك . وعدن وابين ) ويقال ان الضحاك ابن لمعد لا ابن عدنان ويقال إن عدن هو الذي تعرف به مدينة عدن باليمن

(قالوا ) وتزوج عك في الأشعريين وسكن في بلادهم من اليمن فصارت لغتهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنهم منهم فيقولون عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن يغوث ويقال عك بن عدنان بن الذيب ابن عبد الله ابن الأسد والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام قال عباس بن مرداس :

وعك بن عدنان الذين تلعبوا　　　بغسان حتى طردوا كل مطرد

ذكر اسم عدنان

قال اهل التاريخ واللغة انه لم يرد ذكر عدنان بن أُد بن أدد بن مقوم بن تاحور بن تيرح عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام في اشعار العرب قبل الاسلام الا في بيت واحد فقط من قصيدة للبيد بن ربيعة ونصه :

فان لم تجد من دون عــدنان والدا　　　ودون معــد فلتــزعك العواذل

معد وذريته

معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته سفانة اولادا منهم (قضاعة . ونزار . وجسم . وسلهم وجنادة . وقناصة . وقنص . وسنام . وعوف . وجبدان . واود . واياد) وكان قضاعة بكره وبه كان يكنى وذريته قضاعة تيامنت إلى حمير بن سبأ . وكان اسم سبأ عبد شمس وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبى في العرب وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان الخ وقد قدمنا الخلاف في قضاعة ولكن هذا هو الصحيح عند ابن اسحاق وغيره والله أعلم وأما قنص فيقال إنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائبا لكسرى على الحيرة كان من سلالته على قول طائفة من السلف وقيل بل كان من حمير كما تقدم والله أعلم قالوا وقيل لمعد (معد) لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل، ولم يحارب أحداً إلا رجع بالنصر والظفر .

نزار وذريته

نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . ولد له أربعة أولاد وهم (إياد . ومضر . وربيعة . وأنمار) وام

إيادومضر سودة بنت عك بن عدنان عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . وأم ربيعة وأنمار شقيقة بنت عك بن عدنان عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ويقال جمعة بنت عك بن عدنان قال ابن اسحاق فأما أنمار فهو والد خثعم وبجيلة قبيلة جرير بن عبدالله البجلي قال وقد تيامنت فلحقت باليمن قال ابن هشام وأهل اليمن يقولون أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ( قال ) والحديث المتقدم في ذكر سبأ يدل على هذا والله أعلم قالوا وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط يوما عن بعيره فوثبت يده فجعل يقول وايدياه وايدياه فأعنقت الإبل لذلك قال في الحلبية و( نزار ) بكسر النون كان يرى نور النبي بين عينيه . وهو أول من كتب الكتاب العربي على الصحيح،

العدنانية والمعدية والنزارية

يقال[7] أنه من ( عدنان ) وابنه ( معد ) حفظت العدنانية انسابها ويقال لبطون هذا الشعب العدنانيون نسبة ( لعدنان ) ويقال لهم ( المعدية ) نسبة ( لمعد بن عدنان) ويقال لهم ايضا ( النزارية ) نسبة (لنزار بن معد ) ونزار بن معد هذا كان منه ( إياد . وربيعة . ومضر ) ومن الاخيرتين كثرت البطون . فمن ( ربيعة ) (عبد قيس وبكر وتغلب )ابناء وائل ، ومن (بكر) (حنيفة وعجل ) ابنا لجيم وتفرعت قبائل مضر الى فرعين هما ( قيس عيلان ) بن مضر وبنوه ( والياس بن مضر) وبنوه وسيأتي مزيد من البيان في ذلك .

مضر وذريته

مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . خلف من زوجته ربابة اولادا منهم ( الياس . وعيلان ) قالوا ومما جاء في فضل مضر قوله عليه السلام ( لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مؤمنين ) وفي رواية ( لا تسبوا مضر فإنه كان على ملة إبراهيم ) وفي حديث غريب ( لا تسبوا مضر فإنه كان على دين إسماعيل ) ومما حفظ عن مضر قوله : من يزرع شراً يحصد ندامة . ( قلت) وراجع ما يتعلق بمضر في

---

[7] يراجع هذا البحث في كتب السيرة النبوية وتاريخ ابن خلدون ويراجع هذا البحث وما يليه في التاريخ للامام الطبري وسير اعلام النبلاء للامام الذهبي والتذكرة للامام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للامام السيوطي والبداية والنهاية للامام ابن كثير والروض الانف للامام السهيلي

الفصول المتقدمة. ويقال لمضر مضر الحمراء، قيل لأنه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما أعني نزاراً أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء، وأخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس.

## إلياس وذريته

إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وُلد له ثلاثة وهم (مدركة. وطابخة. وقمعة) وأمهم خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة قال ابن اسحاق وكان اسم مدركة عامرا واسم طابخة عمرا ولكن اصطاد صيدا فبيناهما يطبخانه إذ نفرت الإبل فذهب عامر في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أبيهما ذكرا له ذلك فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو أنت طابخة قال وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس قلت والأظهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حمير كما تقدم والله أعلم. قال في الحلبية قيل سمي إلياس بإلياس لأن أباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه إلياس، وعظم أمره عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته، وكانت لا تقضي أمراً دونه. وهو أول من أهدى البدن إلى البيت، وأول من ظفر بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح عليه السلام فوضعه في زاوية البيت كذا في حياة الحيوان فليتأمل، وجاء في حديث «لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا» وقيل إنه جماع قريش: أي فلا يقال لأولاد من فوقه قرشي. وكان إلياس يسمع من صلبه تلبية النبي المعروفة في الحج قيل وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وهو أول من مات بعلة السل، ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حزناً شديداً، لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت. ومن ثم قيل: أحزن من خندف.

## مدركة وذريته

مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته سلمى بنت سعد القيسية من قضاعة أولادا كثيرين منهم (خزيمة. وهذيل)

## خزيمة وذريته

خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته عوانة اولادا منهم ( كنانة . وأسدا . وأسدة . والهون . وعامرا . والحارث . والنضير . وغنما . وسعدا . وعوفا وجرولا . والحدال . وغزوان ) .

## كنانة وذريته

كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام انجب اولادا وهم ( النضر . ومالك . وملكان . وعبد مناة ) وأم النضر ومالك وملكان هي برة بنت مر . وأم عبد مناة هي هالة بنت سويد بن الغطريف من أزد شنوءة . وشنوءة هو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأسد بن الغوث وإنما سموا شنوءة لشنآن كان بينهم والشنآن هو البغض . قالوا قيل له كنانة، لأنه لم يزل في كنّ من قومه . وقيل لستره على قومه وحفظه لأسرارهم، وكان شيخاً حسناً عظيم القدر تحج إليه العرب لعلمه وفضله . وكان يقول: قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق، فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا إلى عزكم، ولا تعتدوا أي تكذبوا ما جاء به فهو الحق . قال ابن دحية رحمه الله: كان كنانة يأنف أن يأكل وحده، فإذا لم يجد أحداً أكل لقمة ورمى لقمة إلى صخرة ينصبها بين يديه أنفا من أن يأكل وحده . ومما يؤثر عنه: رب صورة تخالف المخبرة، قد غرت بجمالها ، واختبر قبح فعالها فاحذر الصور واطلب الخبر

## النضر بن كنانة وذريته

النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام له ثلاثة ابناء وهم ( مالك . ويخلد . والصلت ) فيما قال أبو عمرو المدني وأمهم جميعا بنت سعد بن ظرب العداوني قال ابن هشام والنضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . قال ويقال فهر بن مالك هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس

بقرشي وهذان القولان قد حكاهما غير واحد من أئمة النسب كالشيخ أبي عمر بن عبد البر والزبير ابن بكار ومصعب وغير واحد قال أبو عبيد وابن عبد البر والذي عليه الأكثرون أنه النضر بن كنانة لحديث الأسعد بن قيس قلت وهو الذي نص عليه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأبو عبيدة معمر بن المثنى وهو جادة مذهب الشافعي رضي الله عنه اقول وقد سبق الخلاف في الفصول السابقة فراجعه ان شئت .قالوا واسم النضر قيس ولقب بالنضر لنضارته وحسنه وجماله،

مالك بن النضر وذريته

مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي اولادا كثيرين منهم فهر بن مالك

فهر بن مالك وذريته

فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام هذا على قول ثان هو قريش لكونه كان يقرش أي يفتش عن خلة الناس وحاجنهم فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون اهل الموسم من الحجيج . وفهر بن مالك هذا خلف من زوجته عاتكه الهذلية اولادا منهم (غالب ومحارب والحارث واسد )قالوا ومما يؤثر عن فهر قوله لولده غالب : قليل ما في يديك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك

غالب بن فهر وذريته

غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . خلف من زوجته سلمى بنت عمر الكنانية اولادا منهم (لؤي .وتيم) قال ابن إسحاق وتيم بن غالب هم الذين يقال لهم بنو الأدرم .

## لؤي بن غالب وذريته

لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام .خلف من زوجته سلمى بنت محارب المعارف اولادا منهم (كعب .وعامر وسلمة .وعوف .والحارث .وسعد) .

## كعب بن لؤي وذريته

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر أولادا منهم (مرة بن كعب .وعدي بن كعب .وهصيص بن كعب) (قالوا) وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة: أي يوم الرحمة الذي هو يوم الجمعة، ويقال إنه أول من سماه يوم الجمعة لاجتماع قريش فيه إليه، لكن في الحديث كان أهل الجاهلية يسمون يوم الجمعة يوم العروبة، واسمه عند الله تعالى يوم الجمعة. قال ابن دحية: ولم تسم العروبة الجمعة إلا منذ جاء الاسلام، فكانت قريش تجتمع إلى كعب ثم يعظهم ويذكرهم بمبعث النبي ، وقيل إن كعباً أول من قال «أما بعد» فكان يقول: أما بعد فاسمعوا وافهموا، وقيل له كعب لعلوه وارتفاعه، لأن كل شيء علا وارتفع فهو كعب، ولعلوه وارتفاع شأنه أرّخوا بموته حتى كان عام الفيل أرخوا به ثم أرخوا بعد عام الفيل بموت عبد المطلب وكان بين كعب وبين مبعث الرسول عليه السلام خمسمائة سنة وستون سنة .

## خطبة لكعب

خطب كعب بن لؤي وهو الجد السابع للنبي فقال اسمعوا وعوا وتعلموا تعلموا و تفهموا تفهموا ليل ساج ونهار صاج والأرض مهاد والجبال أوتاد والأولون كالآخرين كل ذلك إلى بلاء فصلوا أرحامكم وأصلحوا أحوالكم فهل رأيتم من هلك رجع أو ميتا نشر .الدار أمامكم والظن خلاف ما تقولون زينوا حرمكم وعظموه وتمسكوا به ولا تفارقوه فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ثم قال :

نهار وليل واختلاف حوادث سواء علينا حلوها ومريرها

يئوبان بالأحداث حــتى تأوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
صروف وأنباء تقلب أهلها لها عـــــقد ما يستحيل مريرها
على غـــفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخبارا صدوقا خبيرها
يا ليتني شاهد فحواء دعـوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

مرة بن كعب وذريته

مـرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فـهـر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف اولادا منهم ( كلاب . وتيم . ويقظة ) قالوا وأم كلاب هي هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة . وأم يقظة هي البارقية إمرأة من بارق من الأسد من اليمن . ويقال : هي أم تيم أيضا ويقال إن تيم لهند بنت سرير أم كلاب .

كلاب بن مرة وذريته

كلاب بن مـرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فـهـر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام خلف من زوجته فاطمة بنت سعد بن سيل أحد بنى الجدرة من جعثمة الأزد . أولادا منهم ( قصي . وزهـرة ) قال في الحلبية ولقب كلاب بكلاب لأنه كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب وهو الجد الثالث لآمنة أم النبي عليه السلام كما سيأتي ، وفي كلاب يجتمع نسب أبيه وأمه .

قُصي بن كلاب وذريته

قصي بن كلاب بن مـرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فـهـر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يِعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام لما مات أبوه كلاب تزوجت أمُه بربيعة ابن حرام من بني عذرة وخرج بها وبه إلى بلاده ثم قدم قصي مكة وهو شاب فتزوج ( حبى ابنة رئيس

خزاعة خليل ابن حبشية) وزعمت قبيلة خزاعة هنا أن حليلا أوصى إلى قصي بولاية البيت لما رأى من كثرة نسله من ابنته وقال أنت أحق بذلك مني قال ابن اسحاق ولم نسمع ذلك إلا منهم وأما غير خزاعة فيزعمون أنه أي قصي هو الذي استغاث بإخوته من أمه وكان رئيسهم (رزاح) بن ربيعة وإخوته وبني كنانة وقضاعة ومن حول مكة من قريش وغيرهم فأجلاهم عن البيت واستقل هو بولاية البيت لأن إجازة الحجيج كانت إلى صوفة وهم بنو الغوث ابن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر فكان الناس لا يرمون الجمار حتى يرموا ولا ينفرون من منى حتى ينفروا فلم يزل كذلك فيهم حتى انقرضوا فورثهم ذلك بـ (القعدد) بنو سعد بن زيد مناة بن تميم فكان أولهم صفوان بن الحارث بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان ذلك في بيته حتى قام على آخرهم الإسلام وكانت الإجازة من المزدلفة في عدوان حتى قام الإسلام على آخرهم

(نكتة) قالوا وكان الأعزل العدواني يجيز بالناس على أتان له عوراء مكث يدفع عليها في الموقف أربعين سنة وهو أول من جعل الدية مائة وأول من كان يقول أشرق ثبير كيما نغير حكاه السهيلي وكان عامر بن الظرب العدواني لا يكون بين العرب نائرة إلا تحاكموا إليه فيرضون بما يقضي به فتحاكموا إليه مرة في ميراث خنثى فبات ليلته ساهرا يتروى ماذا يحكم به فرأته جارية له كانت ترعى عليه غنمه اسمها سخيلة فقالت له ما لك لا أبالك الليلة ساهرا فذكر لها ما هو مفكر فيه وقال لعلها يكون عندها في ذلك شيء فقالت اتبع القضاء المبال فقال فرجتها والله يا سخيلة وحكم بذلك

قال السهيلي وهذا الحكم من باب الاستدلال بالإمارات والعلامات وله أصل في الشرع قال الله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب حيث لا أثر لأنياب الذئب فيه وقال تعالى إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وفي الحديث أنظروها فإن جاءت به أورق جعدا جماليا فهو الذي رميت به

(قال) ابن اسحاق وكان النسيء في بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر قال ابن اسحاق وكان أول من نسأ الشهور على العرب القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي ثم قام بعده ابنه عباد ثم قلع بن عباد ثم أمية بن قلع ثم عوف بن أمية ثم كان آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمس وعلى أبي ثمامة

هذا قام الإسلام وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فخطبهم فحرم الأشهر الحرم فإذا أراد أن يحل منها شيئًا أحل المحرم وجعل مكانه صفرا ليواطئوا عدة ما حرم الله فيقول اللهم إني أحللت أحد الصفرين الصفر الأول وانسأت الآخر للعام المقبل فتتبعه العرب فيه)

هذا وقد كان قصي في قومه سيدا رئيسا مطاعا معظما والمقصود أنه جمع قريشا من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة واجلائهم عن البيت وتسليمه إلى قصي فكان بينهم قتال كثيرة ودماء غزيرة ثم تداعوا إلى التحكيم فتحاكموا إلى يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فحكم بأن قصيا أولى بالبيت من خزاعة وإن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع بشدخه تحت قدميه وأن ما أصابته خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة وأن يخلى بين قصي وبين مكة والكعبة فسمي يعمر يومئذ الشداخ قال ابن اسحاق فولي قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه إلا أنه أقر العرب على ما كانوا عليه لأنه يرى ذلك دينا في نفسه لا ينبغي تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله قال فكان قصي أول بني كعب أصاب ملكا أطاع له به قومه وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة (قالوا) وبذلك رجع الحق إلى نصابه ورد شارد العدل بعد إيابه واستقرت بقريش الدار وقضت من خزاعة المراد والأوطار وتسلمت بيتهم العتيق القديم بما أحدثت خزاعة من عبادة الأوثان ونصبها إياها حول الكعبة ونحرهم لها وتضرعهم عندها واستنصارهم بها وطلبهم الرزق منها وأنزل قصي قبائل قريش أباطح مكة وأنزل طائفة منهم ظواهرها فكان يقال قريش البطاح وقريش الظواهر فكانت لقصي بن كلاب جميع الرئاسة من حجابة البيت وسداته واللواء وبنى دارا لإزاحة الظلمات وفصل الخصومات سماها (دار الندوة) إذا أعضلت قضية اجتمع الرؤساء من كل قبيلة فاشتوروا فيها وفصلوها ولا يعقد عقد لواء ولا عقد نكاح إلا بها ولا تبلغ جارية أن تدرع فتدرع إلا بها وكان باب هذه الدار إلى المسجد الحرام ثم صارت هذه الدار فيما بعد إلى حكيم بن حزام بعد بني عبد الدار فباعها في زمن معاوية بمائة ألف درهم فلامه على بيعها معاوية

وقال بعت شرف قومك بمائة ألف فقال إنما الشرف اليوم بالتقوى والله لقد ابتعتها في الجاهلية بزق خمر وها أنا قد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها صدقة في سبيل الله فأينا المغبون ذكره الدارقطني في أسماء رجال الموطأ ( قال ) وكان لقصي سقاية الحجيج فلا يشربون إلا من ماء حياضه وكانت زمزم إذ ذاك مطموسة من زمن جرهم قد تناسوا أمرها من تقادم عهدها ولا يهتدون إلى موضعها قال الواقدي وكان قصي أول من أحدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدي إليها من يأتي من عرفات والرفادة وهي إطعام الحجيج أيام الموسم الى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم قال ابن اسحاق وذلك أن قصيا فرضه عليهم فقال لهم يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل مكة وأهل الحرم وأن الحجاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق بالضيافة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك في كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره في الجاهلية حتى قام الإسلام ( قال ) ابن إسحاق ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج (قلت) ثم انقطع هذا بعد ابن إسحاق .

( قلت ) أما اليوم أي سنة 2007م فإن الحجاج يطعمون وقد أطعمنا ليلة المزدلفة سنة 1984م)

( قال) ثم أمر قصي بإخراج طائفة من بيت المال فيصرف في حمل زاد وماء لأبناء السبيل القاصدين إلى الحج وهذا صنيع حسن من وجوه يطول ذكرها ولكن الواجب أن يكون ذلك من خالص بيت المال من أحل ما فيه والأولى أن يكون من جوالي الذمة لأنهم لا يحجون البيت العتيق وقال قائلهم في مدح قصي وشرفه في قومه :

قصي لعمري كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

قال وقصي بن كلاب هذا اسمه زيد ولقب بقصي تصغيرقصي أي بعيد لانه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة بارض الشام حين احتملته امه فاطمة مع رابه ربيعة بن حرام وقد سبقت الاشارة الى ذلك. قالوا ومما يؤثر عن قصي أنه قال: من أكرم لئيما أشركه في لؤمه . ومن استحسن قبيحاً نزل إلى قبحه . ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان . ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان . والحسود العدو الخفي . ولما احتضر قال لأولاده: اجتنبوا الخمرة ، فإنها تصلح الأبدان وتفسد الأذهان .

## الإختلاف في تولي الوظائف والإنقسام

لما كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف التي كانت إليه من رئاسات قريش وشرفها من الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والندوة إلى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده وإنما خصصه بها كلها لأن بقية أخوته عبد مناف وعبد الشمس وعبدا كانوا قد شرفوا في زمن أبيهم وبلغوا في قوتهم شرفا كبيرا فأحب قصي أن يلحق بهم عبد الدار في السؤدد فخصصه بذلك فكان أخوته لا ينازعونه في ذلك فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم في ذلك وقالوا إنما خصص قصي عبد الدار بذلك ليلحقه بإخوته فنحن نستحق ما كان آباؤنا يستحقونه وقال بنو عبد الدار هذا أمر جعله لنا قصي فنحن أحق به واختلفوا اختلافا كثيرا وانقسمت بطون قريش فرقتين ففرقة بايعت عبد الدار وحالفتهم . وفرقة بايعت بني عبد مناف وحالفتهم على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسموا حلف المطيبين وكان منهم من قبائل قريش بنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر وكان مع بني عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي واعتزلت بنو عامر بن لؤي ومحارب بن فهر الجميع فلم يكونوا مع واحد منهما ثم اصطلحوا واتفقوا على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار فانبرم الأمر على ذلك واستمر . وأقر الإجازة من مزدلفة في بني عدوان وأقر النسيء في فقيم وأقر الإجازة وهو النفر في صوفة

## قُصي وذريته

قصي أنجبت له زوجته ( حبى ) بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي أربعة نفر وامرأتين وهم ( عبد مناف . وعبد الدار . وعبد العزى . وعبدا . وتخمر . وبرة ) .

## عبد مناف وذريته

اسم عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . واولاده كما سبق ان ذكرتُهم ( هاشم . وعبد شمس . والمطلب . وأبو عمرو . وتماضر . وقلابة . وحية

وريطة. وأم الأخثم .وأم سفيان .ونوفل ) فأم هاشم وعبد شمس والمطلب وأبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وريطة وأم الأخثم وأم سفيان هي : عاتكة بنت مرة بن هلال .وام نوفل هي واقدة بنت عمرو المازنية. وكان أول بني عبد مناف موتا : هاشم مات بغزة من أرض الشام ، ثم عبد شمس مات بمكة ؛ ثم المطلب مات بردمان من أرض اليمن ثم نوفل مات بسلمان من ناحية العراق .والاخرون مختلف في اماكن موتهم قال ابن خلدون : وأما عبد مناف وهو صاحب الشوكة في قريش وسنام الشرف وهو في عمود النسب الكريم.

محاكمة هند بنت عتبة وقصة انجابها معاوية

كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش وكان قد تزوج هند بن عتبة وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن فقال يوما في ذلك البيت ( قال بمعنى القيلولة في منتصف النهار ) وكانت هند معه ثم خرج عنها وتركها نائمة فجاء بعض من كان يغشى البيت فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها فاستقبله الفاكه بن المغيرة فدخل على هند وأنبها وقال من هذا الخارج من عندك قالت والله ما انتبهت حتى أنبهتني وما رأيت أحدا قط قال الحقي بأبيك وخاض الناس في أمرهم فقال لها أبوها ( عتبة بن ربيعة ) يا بنية العار وإن كان كذبا بثيني شأنك فإن كان الرجل صادقا دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار وإن كان كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن قالت والله يا أبت إنه لكاذب فخرج عتبة فقال إنك رميت ابنتي بشيء عظيم فإما أن تبين ما قلت وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن قال ذلك لك فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ونسوة من بني مخزوم وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند وكسف بالها فقال لها أبوها أي بنية ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا قالت يا أبت والله ما ذلك لمكروه قبلي ولكنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولعله أن يسمني بسمة تبقى على ألسنة العرب فقال لها أبوها صدقت ولكني سأختبره لك فصفر بفرسه فلما أدلى عمد إلى ( حبة بر ) فأدخلها في إحليله ( أي ذكره ) ثم أوكى عليها وسار فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم فقال له عتبة إنا أتيناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة فما هي قال ( برة في كمرة ) قال أريد أبين من هذا قال ( حبة بر في إحليل مهر ) قال صدقت فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ويقول قومي لشأنك حتى إذا بلغ إلى

هند مسح يده على رأسها وقال انهضي غير رقحاء ولا زانية وستلدين ملكا يسمى معاوية فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها فنثرت يده من يدها وقالت إليك عنى والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت له معاوية .

## الكتاب الرابع عشر

ويتضمن الفصول الآتية : الفصل الأول في ذكر هاشم وذريته . والفصل الثاني في ذكر عبد المطلب وذريته . والفصل الثالث في ذكر عبد الله وآمنة . والفصل الرابع في ذكر مدح الهاشميين . والفصل الخامس في حكم تكليف أهل الفترة بالإيمان . والفصل السادس في ذكر تحديد الفترة بين الرسل .

### الفصل الأول

### في

### هاشم وذريته وأمهاتهم

هاشم بن عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . كما قال في الحلبية . هو عمرو العلاء لعلو مرتبته، وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين، وكانت رجل هاشم أي أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس، ولم يكن نزعها إلا بسيلان دم، فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما أي بين بني العباس وبين بني أمية سنة ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة، ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس، لأن هاشماً لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده أمية بن أخيه فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز، فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم، ثم دعا هاشماً للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره، فلم تدعه قريش، فقال هاشم لأمية : أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة، والجلاء عن مكة عشر سنين، فرضي أمية بذلك، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان، فخرج كل منهما في نفر، فنزلوا على الكاهن، فقال قبل أن يخبروه خبرهم : والقمر الباهر والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر . فنصر هاشم على أمية، فعاد هاشم

إلى مكة ونحر الإبل، وأطعم الناس، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية، وتوارث ذلك بنوهما ، وكان يقال لهاشم وإخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار: أي الذهب، ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب . قال بعضهم : ولا يعرف بنو أب تباينوا في محال موتهم مثلهم ، فإن هاشماً مات بغزة : أي كما سيأتي، وعبد شمس مات بمكة، وقبره بأجياد ، ونوفلاً مات بالعراق، والمطلب مات بيرعاء من أرض اليمن: ( قال ) وقيل لهاشم هاشم، لأنه أول من هشم الثريد بعد جده إبراهيم، فإن ابراهيم أول من فعل ذلك: أي ثرد الثريد وأطعمه المساكين (قال) وفيه أن أول من ثرد الثريد ، وأطعمه بمكة بعد إبراهيم قال وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية والرفادة، فكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد ، ويقال لذلك الرفادة . قال واتفق أنه أصاب الناس سنة جدب شديد فخرج هاشم إلى الشام، وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام ، فاشترى دقيقاً وكعكاً وقدم به مكة في الموسم، فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريداً ، وأطعم الناس حتى أشبعهم، فسمي بذلك هاشماً . وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء . قال بعضهم: لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء . ( قال ) وقد ذكر أنه كان إذا هل هلال ذي الحجة قام صبيحته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته: يا معشر قريش إنكم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاماً أي عقولاً ، وأوسط العرب: أي أشرفها أنساباً ، وأقرب العرب بالعرب أرحاماً . يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله تعالى، أكرمكم الله تعالى بولايته، وخصكم بجواره دون بني إسماعيل، وإنه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزواره، فإنهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد على ضوامر كالقداح فأكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه، وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ بظلم، ولم يدخل فيه حرام . فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل، وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم إلا طيباً ، لم يؤخذ ظلماً ، ولم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ غصباً ، فكانوا يجتهدون في ذلك، ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة

( قالوا ) وكان هاشم بن عبد مناف فيما يزعمون أول من سن الرحلتين لقريش : رحلتي الشتاء والصيف وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة وكان اسمه عمرا وما سمي هاشما إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه وقد أنجب هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمسة نسوة وهم ( عبد المطلب . وأسد . وأبا صيفي . ونضلة . والشفاء . وخالدة . وضعيفة . ورقية . وحية ) قال وأم عبد المطلب ورقية هي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر وأمها عميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار . وأم عميرة : سلمى بنت عبد الأشهل النجارية . وأم أسد قيلة بنت عامر بن مالك الخزاعي وأم أبي صيفي وحية : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية . . وأم نضلة والشفاء : امرأة من قضاعة . وأم خالدة وضعيفة : واقدة بنت أبي عدي المازنية . قال العلامة ابن خلدون وبنو هاشم بن عبد مناف سيدهم عبد المطلب بن هاشم ولم يذكر من عقبه إلا عقب عبد المطلب وكان بنوه عشرة كما سيأتي بعد .

بنو هاشم و بنو عبد شمس وأحلافهم

كان بنو هاشم وبنو عبد شمس متقاسمين رياسة بني عبد مناف والبقية أحلاف لهم . فبنو المطلب أحلاف لبني هاشم، وبنو نوفل أحلاف لبني عبد شمس . فأما بنو عبد شمس فمنهم العبلات وهم بنو أمية الاصغر وبنته الثريا صاحبة عمر بن أبي ربيعة، وهي سيدة القريض المغني، وبنو ربيعة بن عبد شمس: منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة . ومن عتبة ابنه الوليد وقتل يوم بدر كافرا، وأبو حذيفة صحابي وهو مولى سالم قتل يوم اليمامة . وهند بنت عتبة أم معاوية رضي الله عنها . وبنو عبد العزى صهر النبي، وكانت له منها أمامة تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله عنهما . وبنو أمية الأكبر بن عبد شمس: منهم سعيد بن أبي أحيحة العاصي بن أمية مات كافرا، وابنه خالد بن سعيد قتل يوم اليرموك وسعيد بن العاصي بن سعيد قديم الإسلام ولي صنعاء واستشهد في فتح الشام، وابنه سعيد قتل يوم اليرموك وسعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن امية ولي الكوفة لعثمان . وابنه عمرو الأشدق القائم على عبد الملك وقتله . وأمير المؤمنين عثمان بن عفان بن العاصي بن أمية . ومروان بن الحكم ابن أبي العاصي وأعقابه الخلفاء الأولون في الإسلام ، والملوك بالأندلس معروفون

## خطبة لهاشم

هذه خطبة أخرى من خطب هاشم يحث فيها قريشا على إكرام زوار بيت الله الحرام وكان هاشم بن عبد مناف يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها كما سبق أن ذكرنا ويخطب قريشا فيقول يا معشر قريش أنتم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما وأوسطها أنسابا وأقربها أرحاما يا معشر قريش أنتم جيران بيت الله أكرمكم بولايته وخصكم بجواره دون بني إسماعيل وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره فأكرموا ضيفه وزوار بيته فإنهم يأتونكم شعثا غبرا من كل بلد فورب هذه البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه ألا وإني مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم بحرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يغتصب بمكارم الأخلاق فإنها رفعة وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف وتهدم المجد وإن نهنهة الجاهل أهون من جريرته ورأس العشيرة يحمل أثقالها ومقام الحليم عظة لمن انتفع به فقالت قريش رضينا بك أبا نضلة وهي كنيته .

## قصة عبد المطلب

يقال ان هاشم بن عبد مناف بن المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ابن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . لما قدم المدينة تزوج سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار ، وكانت قبله عند أحيحه ابن الجلاح بن الحريش بن جَحْجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس فولدت له عمرو بن أحيحة ، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها إذا كرهت رجلا فارقته فولدت لهاشم رقية وعبد المطلب وسمته شيبة فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى : لست بمرسلته معك ؛ فقال لها المطلب : إني غير منصرف حتى أخرج به معي ، إن ابن أخي قد بلغ ، وهو غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ، نلي كثير من أمورهم ، وقومه وبلده وعشيرته

خير له من الإقامة في غيرهم ، أو كما قال . وقال شيبة لعمه المطلب فيما يزعمون : لست بمفارقها إلا أن تأذن لي ، فأذنت له ،

## الفصل الثاني
## في
## ذكر عبد المطلب وذريته

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام . يدعى شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له: أي لأنه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور، فكان شريف قريش وسيدها كمالاً وفعالاً من غير مدافع . وقيل: قيل له شيبة الحمد ، لأنه ولد وفي رأسه شيبة: أي وفي لفظ كان وسط رأسه أبيض، أو سمي بذلك تفاؤلاً بأنه سيبلغ سن الشيب وقيل اسمه عامر ، وعاش مائة وأربعين سنة: أي وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وكان مجاب الدعوة، وكان يقال له الفياض لجوده ، ومطعم طير السماء لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال . قال: وكان من حلماء قريش وحكمائها ، وكان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان، وكان في جوار عبد المطلب يهودي فأغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من أسواق تهامة، فأغرى عليه حرب من قتله، فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب، ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفظاً لجواره، ثم نادم عبد الله بن جدعان وقيل له عبد المطلب، لأن عمه المطلب لما جاء به صغيراً من المدينة أردفه خلفه: أي وكان بهيئة رثة: أي ثياب خلقة، فصار كل من يسأل عنه ويقول من هذا ؟ يقول عبدي أي حياء أن يقول ابن أخي، فلما دخل مكة أحسن من حاله وأظهر أنه ابن أخيه وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب: ويحكم إنما هو شيبة بن أخي هاشم لكن غلب عليه الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب : أي وقيل لأنه تربى في حجر عمه المطلب، وكان عادة العرب أن تقول لليتيم الذي يتربى في حجر أحد هو عبده وكان عبد المطلب يأمر أولاده : بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم

الأخلاق، وينهاهم عن دنيئات الأمور . والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته: أي فالمظلوم شأنه في الدنيا ذلك، حتى إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له في الآخرة، ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام، ووحد الله سبحانه وتعالى . وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها ، وجاءت السنة بها : منها الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموءودة ، وتحريم الخمر والزنا ، وأن لا يطوف بالبيت عريان . وكان يقول: لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه . قال العلامة ابن خلدون وبنو هاشم بن عبد مناف سيدهم عبد المطلب بن هاشم ولم يذكر من عقبه إلا عقب عبد المطلب قال ابن هشام وأولاد عبد المطلب عشرة نفر وست نسوة وهم : ( الحارث . والعباس . وحمزة . وعبدالله . وأبو طالب . وأبو لهب . وعمران والزبير . والمقوم . وضرار . وصفية . وأم حكيم . وعاتكة . وأميمة . وأروى . وبرة ) قال وكان الحارث بكر أبيه وبه كان يكنى . وجحل ويقال حجل كان يلقب بالغيداق لكثرة خيره . وأم حكيم تسمى البيضاء . وأبو لهب اسمه عبد العزى ومن عقبه ابنه عتبة صحابي .

( قلت ) ثم ذكر ( المصنف ) أمهاتهم فقال أم الحارث بن عبد المطلب هي سمراء بنت جندب بن جحير بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة . وأم العباس وضرار هي نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار . وأم حمزة والمقوم وصفية وحجل هي هالة بنت وهيب بن عبد مناة بن زهرة ابن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي . وأم عبدالله وأبي طالب والزبير وأم حكيم وعاتكة وأميمة وأروى وبرة هي فاطمة) بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر . وأم أبي لهب هي لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي . ( قال ) وعبدالله أبو النبي صلى الله عليه وسلم هو أصغرهم قال ابن خلدون : وقثم والزبير لا عقب لهما ، وعقب حمزة انقرض فيما قال ابن حزم . وأما عقب العباس وأبي طالب فأكثر من أن يحصر ، والبيت والشرف من بني العباس في عبد الله بن العباس . ومن بني أبي طالب في علي أمير المؤمنين وبعده أخوه جعفر رضي الله عنهم أجمعين .

تجديد حفر زمزم على يدي عبد المطلب بن هاشم التي كان قد درس رسمها بعد طم جرهم لها إلى زمانه وكان أول ما ابتدى به عبد المطلب من حفرها أنه قال إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قال قلت وما طيبة .قال ثم ذهب عني قال فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر برة قال قلت وما برة .قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر المضنونة قال قلت وما المضنونة .قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني قال احفر زمزم قال قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تزم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل قال فلما بين لي شأنها ودل على موضعها .قال (سيدنا علي) فلما عرف أنه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب وليس له يومئذ ولد غيره فحفز فلما بدا لعبد المطلب الطمي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه فقالوا يا عبد المطلب إنها بئر أبينا اسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيم قال نعم وكانت بإشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أمية وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز حتى إذا كانوا ببعضها نفد ماء عبد المطلب وأصحابه فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم فأبوا عليهم وقالوا إنا بمفازة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فقال عبد المطلب إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما لكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه فقالوا نعم ما أمرت به فحفر كل رجل لنفسه حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشى ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه ألقينا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض لا نبتغي لأنفسنا العجز فعسى أن يرزقنا ماء ببعض البلاد فارتحلوا حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستسقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش وهم ينظرون إليهم في

جميع هذه الأحوال فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فجاؤوا فشربوا واستقوا كلهم ثم قالوا قد والله قضى لك علينا والله ما نخاصمك في زمزم أبدا إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم ب قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره

( زاد الأموي في كتابه حكاية أخرى وهي ) بل معه مولاه أصرم ( وقال ) فلم يحفر إلا يسيرا حتى بدا له الطمي فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالتين من ذهب اللتين كانت جرهم قد دفنتهم ووجد فيها أسيافا قلعية وأدرعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل للكعبة قدحين أصفرين وله أسودين ولهم أبيضين ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هبل وهبل أكبر أصنامهم وقام عبد المطلب يدعو الله قال وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حلية للكعبة فيما يزعون ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج وذكر ابن اسحاق وغيره أن مكة كان فيها أبيار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ثم عددها ابن اسحاق وسماها وذكر أماكنها من مكة وحافريها إلى أن قال فعفت زمزم على البئار كلها وانصرف الناس كلهم إليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر اسماعيل بن إبراهيم وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب

ماء زمزم

قد ثبت في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في زمزم إنها لطعام طعم وشفاء سقم وقال الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب منه وقد تكلموا فيه ولفظه ماء زمزم لما شرب له وعن ابن عباس أنه قال لرجل إذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله وتنفس ثلاثا وتضلع منها فإذا فرغت

فاحمد الله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتضلعون من ماء زمزم وقد ذكر عن عبد المطلب أنه قال اللهم إني لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل وقد ذكره بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب والصحيح أنن هذا النص هو لعبد المطلب نفسه فإنه هو الذي جدد حفر زمزم كما قدمنا والله أعلم

( قال ) وقد كانت السقاية إلى عبد المطلب أيام حياته ثم صارت إلى ابنه أبي طالب مدة ثم اتفق أنه املق في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر وصرفها أبو طالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لأخيه العباس اسلفني أربعة عشر ألفا أيضا إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك فقال له العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لي أكفكها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطي العباس فترك له السقاية فصارت إليه ثم من بعده صارت إلى عبد الله ولده ثم إلى علي بن عبد الله بن عباس ثم إلى داود بن علي ثم إلى سليمان بن علي ثم إلى عيسى بن علي ثم أخذها المنصور واستناب عليها مولاه أبا رزين ذكره الأموي .

## خطبة لعبد المطلب

لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه ومنهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم فاستأذنه في الكلام فأذن له فقال : إن الله تعالى أيها الملك أحلك محلا رفيعا صعبا منيعا باذخا شامخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن فأنت - أبيت اللعن - رأسُ العرب وربيعها الذي به تخصب وملكها الذي به تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد سلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من أنت خلفه ولن يخمل من أنت سلفه نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته أشخصنا إليك الذي أبهجك بكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة .

كان عبد المطلب قد نذر إن أكرمه بعشر من الوُلد ليذبحن أحدهم ولو كان الأعز . فلما أنجب عشرة من الولد (قال المؤلف) وكان عند هبل قداح سبعة، كل قدح منها فيه كتاب، قدح فيه العقل .أي الدية.إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم، ضربوا بالقداح السبعة؛ فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله، وقدح فيها "نعم" للأمر إذا أرادوه، يضرب به في القداح، وقدح فيه "لا" إذا أرادوا أمرا ضربوا به في القداح، فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر وقدح فيه "منكم"، وقدح فيه "ملصق"، وقدح فيه "من غيركم"، وقدح فيه "المياه" إذا أرادوا أن يحفروا الماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح، فحيثما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحا أو يدفنوا ميتا أو شكوا في نسب أحدهم، ذهبوا به إلى هبل، وبمائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا، هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب، فإن خرج عليه "منكم" كان منهم وسيطا، وإن خرج عليه "من غيركم" كان حليفا؛ وإن خرج عليه "ملصق" كان على منزلته فيهم، لا نسب له ولا حلف؛ وإن خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به "نعم" عملوا به؛ وإن خرج "لا" أخروه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح. (قال) فقال عبد المطلب ذات يوم لصاحب القداح: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه. وأخبره بنذره الذي نذره، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه وكان عبد الله أصغر بني أبيه وكان أحب ولد عبد المطلب إليه، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى. فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضرب صاحب القداح، فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال أذبحه. فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا، وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان ابن أخت القوم: والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه، وقالت له قريش وبنوه لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز؛ فإن به عرافة لها

تابع، فسلها ثم أنت على رأس أمرك، إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته.
فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها بخير، فركبوا حتى جاءوها فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، وما أراد به، ونذره فيه، فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم. فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قدموا عبد الله وعشرا من الإبل، وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل عشرين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل أربعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل خمسين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل تسعين، وقام عبد المطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل مائة، وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على "الإبل". فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضى ربك يا عبد المطب (قال) وزعموا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات. فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وقام عبد المطلب يدعو فخرج القدح على الإبل؛ ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو

الله، فضربوا فخرج القدح على الإبل؛ ثم عادوا الثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدح على الإبل. فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع.

## الفصل الثالث

## في

## ذكر عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب

عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن (كلاب) بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام (تزوج) بآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن (كلاب) بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام. وأنجبا سيد ولد آدم (محمدا رسول الله) فهو أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين وقد تقدم حديث الأوزاعي عن شداد أبي عمار عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم) رواه مسلم وسيأتي بيان مولده الكريم.

## كيفية زواج عبد الله بآمنة

بعد أن ذبح عبد المطلب الابل المائة عن ولده عبد الله حيث انه كان نذر ذبحه فسلمه الله تعالى لما كان قد قدر في الازل من ظهور النبي المصطفى عليه السلام من صلبه وذهب كما تقدم فزوجه أشرف عقيلة في قريش وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية وحين دخل بها وأفضى إليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كانت (أم قتال) رقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل توسمت ما كان بين عيني عبد الله قبل ان يجامع آمنة من النور فودت أن يكون ذلك متصلا بها لما كانت تسمع من اخيها (ورقة) من البشارات بوجود نبي وأنه قد أزف زمانه فعرضت نفسها عليه قال

بعضهم ليتزوجها وهو أظهر فامتنع عليها فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعته إياها كأنه تندّم على ما كانت عرضت عليه ام قتّال فتعرض لها لتعاوده فقالت لا حاجة لي فيك وتأسفت على ما فاتها من ذلك وأنشدت في ذلك الشعر الفصيح البليغ وهذه الصيانة لعبد الله ليست له وإنما هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) وقد جاء في الحديث المروي من طريق جيد أنه عليه الصلاة والسلام قال (ولدت من نكاح لا من سفاح) .

وفاة عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن سعد خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في عير من عيران قريش يحملون تجارات ففرغوا من تجارتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض فقال أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار فأقام عندهم مريضا شهرا ومضى اصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله فقالوا خلفناه عند اخواله بني عدي بن النجار وهو مريض فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده وهو الحارث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجدا شديدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حمل ولعبد الله ابن عبد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة قال الواقدي هذا هو أثبت الأقاويل في وفاة عبد الله وسنه عندنا وقال الواقدي عن الزهري بل أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمرا فمات قال وعن عوانة بن الحكم قال توفي عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أشهر وقيل ثمانية وعشرون شهرا وقال بن سعد والأول أثبت وهو أنه توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقال ابن خربوذ توفي عبد الله بالمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن شهرين .

الفصل الرابع

في

ذكر مدح الهاشميين

للشاعر الكميت بن زيد الاسدي الكوفي

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ولا لعبا مني وذوالشيب لايلعب

ولم يلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يطربني بنان مخضب

ولكن الى اهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يطلب

بني هاشم رهط النبي فانني ... بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

خفضت لهم مني الجناح مودة ... على كنف عطفاء اهل ومرحب

ومالي الا ءال احمد شيعة ... ومالي الا مذهب الحق مذهب

بأي كتاب ام باية سنة ... يرى حبهم عارا علي ويحسب

## قوم النبي

لسيدنا حسان ابن ثابت الانصاري رضي الله عنه :

إنّ الذّوائبَ مِنْ فهْرٍ وإخْوَتهمْ ... قَدْ بَيَّنُوا سُنّةً للنّاس تُتّبَعُ

يَرْضَى بهَا كُلُّ مَنْ كانَتْ سَرِيرَتُهُ ... تَقْوَى الإلهِ وبالأمرِ الذي شَرَعُوا

قَومٌ إذا حارَبُوا ضَرّوا عَدُوَّهُمُ ... أوْ حاوَلوا النّفعَ في أشْياعِهمْ نَفعوا

سَجيّةٌ تلكَ منهُمْ غَيرُ مُحْدَثَةٍ، ... إنّ الخَلائقَ، فاعلَمْ، شَرُّهَا البِدَعُ

لا يَرْقَعُ النّاسُ ما أوْهَتْ أكُفُّهُمُ ... عنْدَ الدّفاعِ، ولا يوهونَ ما رَقَعوا

إن كانَ في النّاسِ سَبّاقونَ بعْدَهُمُ، ... فكُلُّ سَبْقٍ لأدْنَى سَبْقِهمْ تَبَعُ

ولا يَضنّونَ عَنْ مَوْلًى بفَضلِهمِ، ... وَلا يُصيبُهُمُ في مَطْمَعٍ طَبَعُ

لا يجهلونَ، وإن حاوَلتَ جَهلَهُمُ، ... في فَضْلِ أحلامهمْ عنْ ذاكَ مُتّسَعُ

أعِفّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحيِ عِفّتُهُمْ ... لا يَطْمَعونَ، ولا يُرْديهمُ الطّمَعُ

كَمْ مِنْ صَديقٍ لهمْ نالوا كَرامتَهُ، ... ومِنْ عَدُوٍّ عَليهِمْ جاهدٍ جدعوا

أعْطَوْا نبيَّ الهُدى والبِرّ طاعَتَهُمْ، ... فمَا وَنَى نَصْرُهُمْ عنْهُ ومَا نَزَعُوا

إن قالَ سيروا أجَدُّوا السيرَ جُهدَهُمُ، ... أوْ قالَ عوجوا عَلَيْنَا ساعةً، رَبَعُوا

ما زالَ سَيْرَهُمُ حَتّى استَقادَ لهُمْ ... أهْلُ الصّليبِ، ومَنْ كانتْ لهُ البِيَعُ

خُذْ منهُمُ ما أتَى عفواً، إذا غَضِبُوا، ... ولا يكُنْ همُّكَ الأمرَ الذي مَنَعوا

فَإنّ في حَرْبِهِمْ، فاتْرُكْ عَداوَتَهُمْ، ... شَرّاً يُخاضُ عَلَيه الصّابُ والسَّلَعُ

نَسْمُو إذا الحَرْبُ نالَتْنا مَخالِبُها ... إذا الزّعانِفُ مِنْ أظْفارِها خَشَعُوا

لا فَخْرَ إنْ هُمْ أصابُوا مِن عَدُوّهِم ... وَإنْ أُصِيبُوا فَلا خُورٌ ولا جُزُعُ

كَأنّهُمْ في الوَغى، والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بِبِيشَةَ في أرْساغِهَا فَدَعُ

إذا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لا نَدِبُّ لَهُمْ ... كما يَدِبُّ إلى الوَحْشِيّةِ الذَّرَعُ

أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللّهِ شيعَتُهُمْ، ... إذا تفرّقَتِ الأهْوَاءُ وَالشّيَعُ

أهْدَى لَهُمْ مِدَحِي قَوْمٌ يُؤازِرُهُ ... فيما يُحِبُّ لِسَانٌ حائكٌ صَنَعُ

فَإنّهُمْ أفْضَلُ الأحْيَاءِ كُلّهِمِ، ... إنْ جَدّ بالنّاسِ جِدُّ القَوْلِ أوْ شَمَعوا

أرِقْتُ لِتَوْماضِ البُرُوقِ اللّوامِعِ، ... ونحنُ نُشاوى بَينَ سَلْعٍ وفارِعِ

أرَقْتُ لَهُ، حَتى عَلِمْتُ مَكانَهُ ... بأكْنافِ سَلْعٍ، والتّلاعِ الدّوافعِ

طَوَى أبرَقَ العَزّافِ يَرْعُدُ مَتنُهُ، ... حَنينُ المَتالي، نحوَ صَوْتِ المُشايِعِ

فانعم بها من منقبة عظيمة . وسلالة فخيمه قويمة . تباشرت بها الاوائل والاواخر . وشهدت بها الحواضر والدواثر . وعلم بها الامصار والدواشر .

## حكم أهل الفترة

قال فضيلة الشيخ محمد بخيت المصري : نفيد أنه جاء فى شرح مسلم الثبوث ما نصه (وأما الواقع فالمتوارث من لدن آدم أبى البشر إلى نبينا ومولانا أفضل الرسل وأشرف الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يبعث نبى قط أشرك بالله طرفه عين ) وعليه نص الإمام أبو حنيفة فى الفقه الأكبر وفى بعض المعتبرات أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن حقيقة الكفر وعن حكمه بتبعية آبائهم وعلى هذا فلا بد من أن يكون تولد الأنبياء بين أبوين مسلمين أو يكون موتهما قبل تولدهم لكن الشق الثانى قلما يوجد فى الآباء ولا يمكن فى الأمهات . ومن ههنا بطل ما نسبه بعضهم من الكفر فى أم سيد العالم مفخرة بنى آدم صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وذلك لأنه حينئذ يلزم نسبة الكفر بالتبع وهو خلاف الإجماع، بل الحق الراجح هو الأول ( قال ) وأما الأحاديث الواردة فى أبوى سيد

العالم صلوات الله وسلامه عليه وآله وأصحابه فمتعارضة مروية آحادا فلا تعويل عليها فى الاعتقاديات . وأما آزر فالصحيح أنه لم يكن أبا إبراهيم عليه السلام بل أبوه تارح كذا صحح فى بعض التواريخ وإنما كان آزر عم إبراهيم فى حجره والعرب تسمى العم الذى ولى تربية ابن أخيه أبا له وعلى هذا التأويل قوله تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر ﴾ وهو المراد بما روى فى بعض الصحاح أنه نزل فى أب سيد العالم صلى الله عليه وآله واصحابه ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ فإن المراد بالأب العم كيف لا وقد وقع صريحا فى صحيح البخارى أنه نزل فى أبى طالب . هذا وينبغى أن يعتقد أن آباء سيد العالم صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم من لدن أبيه إلى آدم كلهم مؤمنون وقد بينه السيوطى بوجه أتم وفى الفتاوى الحامدية أنه قد وردت أحاديث دالة على طهارة نسبه الشريف عليه الصلاة والسلام من دنس الشرك وشين الكفر ومن ذلك يعلم أنه لا شك ولا شبهة فى موت أبوى النبى صلى الله عليه وسلم على الإيمان، وأنه لا حاجة إلى التمسك بالحديث الضعيف من أن الله سبحانه وتعالى أحيا أبويه وآمنا به وأن محل كون أن الإيمان لا ينفع بعد الموت فى غير الخصوصية لأن ذلك يرجع إلى تخصيص القواعد العقلية القاضية بانتهاء التكليف بالموت، وأنه لا تكليف بعده ولا إلى ما تكلفه بعض العلماء فى ذلك، ومن هذا يعلم ان القائل بأن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم ناجيان هو الذى على الصواب لا لما قالوه من أن أهل الفترة ناجون ولا لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ بل نجاتهما لأنهما كانا على الإيمان وماتا عليه وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن حقيقة الكفر وعن حكم تبعية آبائهم إلى آخر ما تقدم .

## الفصل الخامس
## في
## حكم تكليف أهل الفترة بالإيمان

قال وأما أهل الفترة فالحق أنهم جميعا مكلفون بالإيمان وجميع ما اتفقت عليه الشرائع وكان معلوما مشهورا لما قرره المحققون من الأصوليين من أن لا حكم قبل الشرع أى قبل البعثة لأحد من الرسل فالأحكام موجودة فكل من بلغته الأحكام فيما يتعلق بالإيمان أو غيره كان مكلفا به ولم تختلف الشرائع

فى وجوب الإيمان والتوحيد فالخطاب به معلوم لكل من بلغته دعوة أى رسول كان فان جميع المكلفين من لدن بعثة آدم الذى هو أول الرسل بعثا إلى أن تنتهى دار التكليف مخاطبين شرعا بوجوب الإيمان والتوحيد وأما بعد البعثة ولو لواحد من الرسل فلا خلاف فى وجود الأحكام ووجوب العمل بها على من بلغته . وأما أهل الفترة الذين هم قوم كانوا بين رسولين فلم يدركوا الأول ولا أدركوا الثانى، فاختلاف العلماء فيهم إنما هو فيما اندرس من الشرائع وخفيت فيه الأحكام على هؤلاء القوم، فذهب فريق إلى أن الأصل فيما اندرست أحكامه هو الإباحة، وقال فريق هو الحظر، وقال فريق بالوقف وهذا الخلاف بين أئمتنا أهل السنة فى حكم هؤلاء بعد البعثة وكل فريق من هذه الفرق يستند فى قوله إلى الدليل الشرعى وهذا الخلاف غير الخلاف الذى وقع بين المعتزلة أنفسهم فى الأفعال التى خفيت فيها المصلحة والمفسدة أو انتفاؤهما ولم تكن ضرورية للعباد واختلفوا فيها على ثلاثة أقوال أيضا الإباحة والحظر والوقف، فإن هذا الخلاف الذى هو بين المعتزلة موضوعه فيما قبل البعثة لأحد من الرسل وفيمن لم تبلغه دعوة أحد من الرسل أصلا . وأهل السنة ينفون الحكم أصلا قبل البعثة لأحد من الرسل فليس عند أهل السنة قبل البعثة لأحد من الرسل شىء من الأحكام لا حظر ولا إباحة ولا غيرها وأما خلافهم فى أهل الفترة على الأقوال الثلاثة المتقدمة فإنما هو بعد ورود الشرع، وخاص بمن درس فيه الشرائع، وأما ما اتفقت عليه الشرائع كالإيمان والتوحيد والزنا والقتل فلا خلاف فى التكليف به لكل من اجتمعت فيه صفات التكليف بلا فرق بين أهل الفترة وغيرهم، كما فصلنا ذلك على الوجه الحق فى كتاب البدر الساطع على جمع الجوامع . ومن ذلك يعلم أن أهل الفترة الذين ولدوا بعد عيسى عليه الصلاة والسلام وقبل بعثة سيد الخلق جميعا ومنهم أبوا المصطفى عليه الصلاة والسلام مكلفون بالإيمان والتوحيد بمجرد بعثة آدم خصوصا وأن رسالة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام كانت عامة ولم تنسخ إلا فيما خالفها مما يتعلق ببنى إسرائيل فى شريعتهم فمن كان منهم مؤمنا بالله وحده كان ناجيا ومن لم يكن مؤمنا أو ارتكب قتل النفس بغير حق كان عاصيا مخلدا فى النار إن كان كافرا وإلا فلا، وأما ما يتعلق بالاعتقاد فقد قال فى الفتاوى الحامدية سئل القاضى أبو بكر بن العربى أحد أئمة المالكية رحمه الله تعالى عن رجل قال إن آباء النبى صلى الله عليه وسلم فى النار فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة ﴾ ، قال ولا

أذى أعظم من أن يقال عن أبيه أنه فى النار وقال الإمام السهيلى رحمه الله تعالى فى الروض الأنف (وليس لنا نحن أن نقول ذلك فى أبويه عليه الصلاة والسلام لقوله عليه الصلاة والسلام لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات والله تعالى يقول ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا ﴾ وقد أمرنا أن نمسك اللسان إذا ذكر أصحابه رضى الله عنهم بشىء يرجع إلى العيب والنقص فيهم . فلأن نمسك ونكف عن أبويه أحق وأحرى إذا تكرر ذلك فحق المسلم أن يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبيه عليه الصلاة والسلام بوجه من الوجوه ولا خفاء فى أن إثبات الشرك فى أبويه إخلال ظاهر بشرف نسب نبيه الطاهر ، وجملة هذه المسائل ليست من الاعتقاديات فلاحظ للقلب فيها ، وأما اللسان فحقه الإمساك عما يتبادر منه النقصان خصوصا عند العامة لأنهم لا يقدرون على دفعه وتداركه) ومن ذلك يعلم أن من قال بموت أبوى النبى صلى الله عليه وسلم على الكفر قد أخطأ خطأ بينا يأثم ويدخل به فيمن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يحكم عليه بالكفر لأن المسألة ليست من ضروريات الدين التى يجب على المكلف تفصيلها هذا هو الحق الذى تقتضيه النصوص وعليه المحققون من العلماء والله أعلم .

## الفصل السادس
## في
## تحديد الفترة بين الرسل

في تحديد الفترة بين الرسل قال فضيلة الشيخ عطية صقر المصري لم يرد تحديد الزمن الذى بين كل رسولين ، لا فى القرآن ولا فى السنة ، مع العلم بأن عدد الرسل كبير،والذين جاء ذكرهم فى القرآن خمسة وعشرون فقط ، قال تعالى : ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ﴾ وقال ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ وحاول بعض المؤرخين تحديد الفترات التى بين الرسل ، مثل محمد بن سعد فى كتابه "الطبقات" فذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهما السلام ألف سنة وسبعمائة سنة، ولم يكن بينهما فترة، وأنه أرسل بينهما ألف نبى من بنى إسرائيل سوى من أرسل من غيرهم ، وكان بين ميلاد عيسى والنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة

وتسع وستون سنة، بعث فى أولها ثلاثة أنبياء ، وهم فى قوله تعالى ﴿ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ﴾ والذى عزز به "شمعون" وكان من الحواريين ، وكانت الفترة التى لم يبعث الله فيها رسولا أربعمائة سنة وأربعا وثلاثين سنة . وذكر الكلبى أن بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة سنة وتسعا وستين ، وبينهما أربعة أنبياء ، واحد من العرب من بنى عبس ، وهو خالد بن سنان . قال القشيرى : ومثل هذا لا يعلم إلا بخبر صادق . وقال قتادة : كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام ستمائة سنة ، وقاله مقاتل والضحاك ووهب بن منبه ، إلا أن وهبا زاد عشرين سنة ، وعن الضحاك أيضا أربعمائة وبضع وثلاثون سنة . وذكر ابن سعد عن عكرمة قال : بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام ، قال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمرو بن واقد الأسلمى عن غير واحد قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، والقرن مائة سنة، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى ابن عمران عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، فهذا ما بين آدم ومحمد عليهما السلام من القرون والسنين انتهى من تفسير القرطبى وهى كلها أخبار لا يسندها دليل معتبر .

فائدة في فعل المأمورات وترك المنهيات بعد البعثة

قال الامام ابن القيم رحمه الله تعالى : ان من فعل المأمورات والمنهيات فهو اما ناج مطلقا ان غلبت حسناته سيئاته وإما ناج بعد أن يؤخذ منه الحق ويعاقب على سيئاته فمآله الى النجاة وذلك بفعل المأمور . ومن ترك المأمورات والمنهيات فهو هالك غير ناج ولا ينجو إلا بفعل المأمور وهو التوحيد فان قيل فهو انما هلك بارتكاب المحظور وهو الشرك قيل يكفي فى الهلاك ترك نفس التوحيد المامور به وان لم يأت بضد وجودى من الشرك بل متي خلا قلبه من التوحيد رأسا فلم يوحد الله فهو هالك وان لم يعبد معه غيره فاذا انضاف اليه عبادة غيره عذب على ترك التوحيد المأمور به وفعل الشرك المنهى عنه .
ان المدعو الي الايمان إذا قال لا أصدق ولا أكذب ولا أحب ولا أبغض ولا أعبده ولا أعبد غيره كان كافرا بمجرد الترك والاعراض بخلاف ما اذا قال أنا أصدق الرسول وأحبه وأؤمن به وأفعل ما أمرني ولكن شهوتي وارادتي وطبعى حاكمة على لا تدعني أترك ما نهاني عنه وانا أعلم أنه قد نهاني وكره لى فعل المنهى ولكن لا صبر لى عنه فهذا لا يعد كافرا بذلك ولا حكمه حكم الأول فان هذا مطيع من وجه وتارك المأمور جملة لا يعد مطيعا .إن الطاعة والمعصية انما تتعلقان بالأمر أصلا وبالنهى تبعا

فالمطيع ممتثل المأمور والعاصي تارك المأمور قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم وقال موسى لأخيه ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني أفعصيت أمرى وقال عمرو بن العاص عند موته أنا الذى أمرتني فعصيت ولكن لا إله الا أنت وقال الشاعر : ( أمرتك أمرا جازما فعصيتني ) قال والمقصود من إرسال الرسل طاعة المرسل ولا تحصل الا بامتثال أوامره واجتناب المناهي من تمام امتثال الأوامر ولوازمه ولهذا لو اجتنب المناهى ولم يفعل ما أمر به لم يكن مطيعا وكان عاصيا بخلاف ما لو أتي بالمأمورات وارتكبر لمناهى فانه وان عد عاصيا مذنبا فانه مطيع بامتثال الأمر عاص بارتكاب النهى بخلاف تارك الامر فانه لا يعد مطيعا باجتناب المنهيات خاصة .

( قال ) ان امتثال الامر عبودية وتقرب وخدمة وتلك العبادة التى خلق لاجلها الخلق كما قال تعالى وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون فاخبر سبحانه أنه انما خلقهم للعبادة وكذلك انما أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها ولم يخلقوا لمجرد الترك فانه أمر عدمى لا كمال فيه من حيث هو عدم بخلاف امتثال المأمور فانه أمر وجودي مطلوب الحصول .

( ثم قال ) إن المطلوب بالنهى عدم الفعل وهو أمر عدمى والمطلوب بالأمر ايجاد فعل وهو أمر وجودى فمتعلق الامر الايجاد ومتعلق النهى الاعدام أو العدم وهو أمر لا كمال فيه الا اذا تضمن أمرا وجوديا فان العدم من حيث هو عدم لا كمال فيه ولا مصلحة الا اذا تضمن أمرا وجوديا مطلقا وذلك الامر الوجودى مطلوب مأمور به فعادت حقيقة النهى الي الامر وان المطلوب به ما فى ضمن النهى من الامر الوجودى المطلوب به

إن الناس اختلفوا فى المطلوب بالنهى علي أقوال احدها أن المطلوب به كف النفس عن الفعل وحبسها عنه وهو أمر وجودى قالوا لان التكليف انما يتعلق بالمقدور والعدم المحض غير مقدور وهذا قول الجمهور وقال أبو هاشم وغيره بل المطلوب عدم الفعل ولهذا يحصل المقصود من بقائه على العدم وان لم يخطر بباله الفعل فضلا ان يقصد الكف عنه ولو كان المطلوب الكف لكان عاصيا اذا لم يات به ولان الناس يمدحون بعدم فعل القبيح من لم يخطر بباله فعله والكف عنه وهذا أحد قولى القاضي ابي بكر ولاجله التزم أن عدم الفعل مقدور للعبد وداخل تحت الكسب قال والمقصود بالنهى الابقاء على العدم الأصلى وهو مقدور الخ اهـ

الغرور . كما قال الامام القنوجي في أبجد العلوم . هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة، وخدعة من الشيطان . والمغرورون أصناف:منهم ( 1 ) العلماء الذين أحكموا العلوم الشرعية، والعقلية، وتعمقوا فيها ، وأهملوا محافظة الجوارح عن المعاصي، وإلزامها الأعمال الصالحة؛ وهم مغرورون: لأن العلم إذا لم يقارنه العمل لا يكون له مكان عند الله تعالى، وعند الخواص من عباده . ( 2 ) ومنهم: الذين أحكموا العلم، والعمل، وأهملوا تزكية نفوسهم عن الأخلاق الذميمة وهم مغرورون أيضاً ، إذ لا ينجو في الآخرة إلا من أتى الله بقلب سليم . ومنهم: الذين اعترفوا بأن النجاة في الآخرة إنما هي بتزكية النفس عن الأخلاق الذميمة، إلا أنهم يزعمون أنهم منفكون عنها وهؤلاء مغرورون أيضاً ، لأن هذا من العجب، والعجب من أشد الصفات المهلكات . (3)ومنهم: الذين اتصفوا بالعلم، وتزكية الأخلاق، لكن بقي منها خبايا في زوايا القلب ولم يشعروا بها وهؤلاء أيضاً مغرورون بظاهر أحوالهم وغفلوا عن تحصيل القلب السليم . ( 4) ومنهم: الذين اقتصروا على علم الفتاوى، وإجراء الأحكام وهم مغرورون، لأنهم اقتصروا على فرض الكفاية، وأخلوا بفرض العين وهو: إصلاح أنفسهم وتزكية أخلاقهم وتصفية قلوبهم من الحقد والحسد وأمثال ذلك (5 ) ومنهم: الوعاظ وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف، والرجاء، والإخلاص ونحو ذلك؛ وأكثرهم مغرورون، لأنهم يتكلمون فيما ذكر، وليس لهم من ذلك شيء ( 6)ومنهم: من اشتغل باللغة ودقائق العلوم العربية، وأفنوا عمرهم فيها ، ظنا منهم أنهم من علماء الأمة، لأنهم في صدد أحكام مباني الكتاب، والسنة؛ وهم مغرورون، لأنهم: اتخذوا القشر مقصوداً ، فاغتروا به وأصناف المغرورين من الناس، لا يمكن تعدادهم وفي هذا القدر كفاية لمن اعتبر – اللهم ألهمنا طريق دفع الغرور ولا يمكن ذلك إلا بالعقل الذي هو مبنى الخيرات، وأساسها ثم بالمعرفة وهي لا تعم إلا بمعرفة نفسه بالذل، والعبودية، ومعرفة ربه بالجلال، والهيبة، وصفا بقلبه بلذة المناجات، واستوت عنده من الدنيا ذهبها ، ومدرها ، ولا يبقى للشيطان عليه من سلطان (( ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ) .

( قلت ) قيل إن سيدنا عثمان بن عفان لما بويع خرج إلى الناس وأراد أن يخطبهم فأُرْتِجَ عليه ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه " أيها الناس إن أول مركب صعب، وإن بعد اليوم أياما ، وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها ، وما كنا خطباء وسيُعلّمنا الله" وقال في خطبة أخرى " إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم صُبّحتهم أو مُسيّتم . ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور . اعتبروا بمن مضى . ثم جدوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يغفل عنكم . أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلاً . ألم تلفظهم . ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً والذي هو خير فقال: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ وهذه خطبة كما يراها القارئ في الزهد واحتقار الدنيا وعدم الركون إليها .

قال الامام ابن المقري

والغدرُ في الناس طبعٌ لا تثقْ بهم ... وإن أبيتَ فخذ في الأمن والوَجَلِ
ولا يغرنكَ من مرقىً سهولتُهُ ... فربما ضِقتَ ذرعا منه في النّزلِ

---

*

# الكتاب الخامس عشر

## في بيان الحقيقة المحمدية وفروعها

ويتضمن الفصول التالية : الفصل الأول في ذكر الحقيقة المحمدية . والفصل الثاني في ذكر بعثة الرسول وما يتبعها .

## الفصل الأول
## في
## الحقيقة المحمدية

-------

### ا لنور الا لهي المحمدي

قال المسعودي في مروج الذهب : المراد النور المحمدي : الخصوصية التي خص الله جل جلاله بها العنصر البشري الزكي عنصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلقد اوحى الله جل جلاله الى نبيه ءادم عليه السلام إنى مخرج منك نوري الذي به السلوك في القنوات الطاهرة والارومات الشريفة واباهي به الانوار واجعله خاتم الانبياء واجعل ءاله خيار الا ل والخلفاء واختم الزمان بمد تهم واغص الارض بدعوتهم فتهيئ وتطهر وتقدس وتسلح بالاستعاذة واغش زوجتك حواء على طهارة منها فان ودعتي ستنتقل منك الى الولد الكائن منكما فحملت سيدتنا حواء لوقتها واشرق جبينها وتلالا النور ولمع من محاجرها حتى اذا انتهى امد حملها وضعت ( شيئا ) كأسرِّ مايكون من البدور والبدران

واتمهم وقارا واحسنهم صورة وا كملهم هيئة واعد لهم خلقا مجللابالنور والهيبة موشحا بالجلالة والابهة فانتقل النور من حواء اليه حتى لمع في اسارير جبهته وبسق في غرة طلعته ويقال انه لما ولد سماه ابوه هبة الله شيئا وبعد أن كبر وترعرع ويفع وكهل واستبصر أوعز اليه وصيته وعرفه محلٍ مااستودعه واعلمه انه حجة الله بعده وخليفته في الارض وهكذا اوصى كل اب ابنه – مصاحبة لوصية كل نبي لا منه واحدا بعد واحد متفقين على حقيقة هذا الشرف فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله ذلك النور الى عبد المطلب ومنه الى ابنه الذبيح عبد الله والد الرسول .

وبَدا للوجود منك كريمٌ ... من كريم آباؤه كرماءُ

نسب تحسب العلا بحلاه ... قلد ته نجومها الجوزاء

حبذ اعقد سؤدد وفخار ... انت فيه اليتيمة العذراء

----

الحقيقة المحمدية

الحقيقة المحمدية كما قال الاستاذ احمد الطيب هي إصطلاح ظهر متأخرا فى أدبيات التصوف الاسلامى ويعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم مخلوق من نور، وأن حقيقته النورية هى أول الموجودات فى الخلق الروحانى، ومن نورها خلقت الدنيا والآخرة، فهى أصل الحياة، وسرها السارى فى كل الكائنات والموجودات الدنيوية والأخروية . وللحقيقة المحمدية أسماء أخرى عديدة، مثل: "حقيقة الحقائق" و"أول موجود فى الهباء" و"العقل الأول" و"التعين الأول" والقائلون بهذه النظرية يؤكدون على أن الأنبياء والرسل السابقين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هم فى حقيقة الأمر نوابه وورثته وأن دورهم فى التاريخ إنما هو تجسيد للحقيقة المحمدية أو الروح المحمدى قبل ظهور جسده الشريف . ومن الحقيقة المحمدية يستمد كل الأنبياء والأولياء والعارفين علومهم وأنوارهم الإلهية . وبهذا الاعتبار سمى محمد صلى الله عليه وسلم بنور الأنوار وأبى الأرواح وسيد العالم بأسره وأول ظاهر فى الوجود . أما ظهور الجسد المحمدى فهو الصورة العنصربة لمعنى حقيقته النورية . والنبى صلى الله عليه وسلم فى مفهوم هذه النظرية هو الجد الأعلى للأنبياء وهو النبى الخاتم فى آن واحد . ويستند الصوفية فى نظريتهم هذه إلى ظواهر من نصوص القرآن والسنة النبوية

ومأثورات السلف الصالح، مثل قوله تعالى (جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقوله تعالى (وسراجا منيرا) ومثل حديث (متى جعلت نبيا ؟ قال: وآدم بين الروح والجسد) وقول الإمام مالك وهو يناظر أبا جعفر المنصور ويأمره باستقبال القبر الشريف في دعائه "إنه وسيلتك ووسيلة أبيك آدم" وللصوفية مروياته أخرى ردها علماء الحديث وأنكروها عليهم.

الاصطفاء

إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين وساق الإمام الشافعي الكلام عليه إلى أن قال ثم اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم من خير آل إبراهيم وأنزل كتبه قبل إنزاله الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم بصفته وفضيلة من تبعه فقال (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره) الآية. وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) وقال عليه السلام (إن الله اصطفى بني كنانة من بني إسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) وقال عليه السلام (إن الله اصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) وقال عليه السلام (إن الله اختار العرب فاختار منهم كنانة أو قال النضر ابن كنانة شك حماد ثم اختار منهم قريشا ثم اختار منهم بني هاشم ثم اختارني من بني هاشم). وعن أوس بن ضمعج عن سلمان قال ثنتان فضلتمونا بها يا معشر العرب لا تنكح نساءكم ولا نؤمكم وقال الرسول عليه السلام (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت).

النبوة

هنا تجدر الإشارة إلى ذكر النبوة لنتعرف على فضل هذه الأمة. وعليه فقد جاء في موسوعة المفاهيم قول كاتبه: اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى: أن يرسل الأنبياء لهداية الناس إلى الحق قال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وإن من أمة خلا فيها نذير) وقال (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلاّ يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وإذ اقتضت

حكمة الله ذلك فقد كان من سنة الله فى خلقه أن يصطفى بعض عباده فيَمنَّ عليهم بالنبوة أو الرسالة، ويمن على أقوامهم ببعثهم إليهم قال سبحانه ( ولقد مننا على موسى وهارون) وقال ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) والنبوة والرسالة اصطفاء خالص من عند الله يختص به من يشاء من عابده، وليست شيئاً يكتسبه العباد من ذات أنفسهم بعمل يعملونه من جانبهم وكل ما يقع للبشر فى حياتهم هو من عند الله وكل موهبة توهب لهم فى ذات أنفسهم أو فيما بين أيديهم هى من عند الله . ولكن الله قدر أن يكون للإنسان جانب من الكسب فى كل ذلك . فقد أعطى الإنسان القدرة على المعرفة ووهب له ذكاء يتفاوت من شخص إلى شخص، ومنحه طاقات مختلفة، ثم كلفه أن يعمل، وأن يبذل جهداً معيناً لتحصيل المعرفة واستخدام الذكاء فى عمارة الأرض وغيرها من شئون الحياة قال سبحانه ( هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) وقال ( هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ) وقال ( علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) وقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) ويستطيع الإنسان بتحصيله الشخصى أن ينمى ما وهب الله له من مواهب . فيستطيع مثلاً أن ينمى قوته الجسدية بالرياضة البدنية والتدريب فيصبح قوى الجسم، متين العضلات . ويستطيع أن ينمى قوته الذهنية بالتدريبات العقلية وتعلم العلم وإعمان الفكر، فيستنبط ويكشف ويخترع ويدبر ويخطط ويستطيع أن ينمى قوته الروحية بالامتناع عن بعض لذائذ الحس، وبالتأمل، وبإبعاد النفس شيئاً من الوقت عن عالم الحس القريب بصورة من الصور، فتصفو روحه، ويكتسب طاقة روحية كبيرة 0كل هذه الأعمال هى فى أصلها موهبة من الله، وهى فيما تنتهى إليه كسب يكسبه البشر بجهد يبذلونه وتحصيل يكدون فيه ويكدحون0( أما ) الرسالة والنبوة فموهبة من الله ذات طبيعة مختلفة . إنه لا يد للإنسان فيها ولا كسب ولا اختيار، إنما هى اصطفاء خالص من جانب الله سبحانه وتعالى لعبد من عباده، يجتبيه وينعم عليه ويبعثه بالهداية إلى الناس . لا يوجد عمل معين يعمله الإنسان من جانبه فيرتقى به إلى مرتبة النبوة ولو أنفق عمره كله فيه . ويستطيع الإنسان بالتدريب المستمر أن يصبح بطلاً من أبطال الرياضة إذا كان عنده استعداد جسمى معين . ويستطيع بالتدريب المستمر أن يكون

مهندساً بارعاً أو طبيباً نابغاً أو عالماً مبرزاً، إذا كان عنده الاستعداد العقلى المناسب . ويستطيع بالتدريب المستمرِ أن يحصلٍ على صفاء روحى يناسب استعداده . ولكنه لا يستطيع بأى جهد يبذله أن يكون نبياً ولا رسولاً . ولكن الله يصطفيه فيكون نبيا قال سبحانه ( الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير ) وحقيقة إن الذين يصطفيهم الله ليكونوا رسلاً وأنبياء هم خيار الناس وأفضلهم قال سبحانه ((وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) ولكنا نحن لا نستطيع بمقاييسنا أن نقول : إن فلانا من البشر يستحق النبوة أو إنه أولى بها من غيره قال سبحانه ( الله أعلم حيث يجعل رسالته) (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بضع درجات ) والأنبياء أنفسهم يتفاوتون فى مراتبهم قال سبحانه ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم اللهُ ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) ولكن النبوة فى حد ذاتها مرتبة فوق مراتب البشر العاديين فالبشر يتفاوتون فى مراتبهم، منهم الحقير، ومنهم العظيم . ولكنهمٍ فى أعلى درجات عظمتهم يقفون عند حد معينٍ هو أدنى من مرتبة النبوة . فإذا اختار الله واحدا من البشر المتازين ليجعله نبياً فإنه يرفعه من مكانه الذى كان فيه ليضعه فى مرتبة جديدة عالية لم يكن ليصل إليها من ذات نفسه مهما اجتهد ، لأنها خارج الحدود التى يستطيع البشر أن يصلوا إليها باجتهادهم . ويصبح منذ لحظة اصطفائه شخصية أخرى، بشرية . نعم . فى كل تصرفاتها العادية، ولكنها مشتملة على عنصر جديد لا يتاح للبشر العاديين، ذلك هو الاتصال بالله عن طريق الوحى قال سبحانه (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً) إلى قوله : ( وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ) فهم بشر فيما يتعلق بالأمور العادية يولدون ويموتون، ويأكلون الطعام، ويسعون وراء الرزق، ويتزوج ويكون لهم ذرية أو لا يكون حسبما قدر الله لهم، ويفرحون ويتألمون، ويجرى عليهم كل ما يجرى على البشر فى هذه الشئون . ولكنهم ينفردون بهذه الخاصية الفريدة وهى تلقى الوحى من عند الله، وإرسالهم للناس ليبلغوهم ما أوحى الله به إليهم من الهدى والتبيان قال سبحانه (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم

التلاق ) أما كيف تتم لهم هذه الخاصية ، وكيف تكون نفوسهم ومشاعرهم حين توهب لهم القدرة على تلقى الوحى من الله . لا نستطيع نحن البشر العاديين أن نعرف ذلك يقيناً لأنها تجربة خارجة عن حدود بشريتنا ، ولكنا نستطيع القياس للتقريب . إن الإنسان منا ليحس أحيانا ولو نادراً بشيء من الصفاء الروحى، فيحس كأن فيضاً من النور يشع من حوله ويملأ نفسه ومشاعره، ويحس كأنه أصبح كائناً جديداً غير الذى كان من قبل، لا تثقله ثقلة الأرض، ولا ينحبس فى إطار جسده المحدود، ولكنه يرفرف بروحه طليقاً من القيود . ويعود ينظر إلى الناس وإلى الوجود كله من حوله بنظرة جديدة وروح جديدة . فإذا بينه وبين الناس تعاطف ورحمة، وبينه وبين الوجود مودة وتجاوب . ويحس فوق ذلك كله أنه قريب من الله لأن مشاعره صارت أنظف وأطهر ، وشعوره بعظمة الله أكبر ، وتطلعه إلى رحمة الله أشد . كم تستغرق هذه اللحظات من حياة البشر ؟ وكم يطيقون أن يرتفعوا إليها ؟ . إنها لحظات قليلة ولا شك فى حياة الإنسان . ولكنها فى نفسه عميقة الأثر . وإن آثارها لتظهر فى طمأنينة نفسه من الداخل وفى طريقة تعامله مع الناس فى الخارج . فيعاملهم بالمودة والرأفة، وتتسع نفسه لاحتمال الجهد والصبر على ما يلقاه من الناس ! . وحين تتكرر هذه اللحظات وتتقارب فإنها تعطى صاحبها سمة واضحة، ويعرف الناس أن صاحبها عظيم، وأنه ليس كالآخرين الذين يعيشون فى إطار مصالح الأرض القريبة وشهوات النفس الهابطة . ولكن للبشر على أى حال طاقة معينة يقفون عندها فى هذه الأمور ، وبقدر ما يحصلون منها تكون عظمتهم بالقياس إلى غيرهم من البشر . والآن فلنتطلع إلى أفق آخر . فلنتصور إنساناً لا يعيش هذه المشاعر لحظات متفرقة، ولا حتى لحظات متقاربة، إنما هى الأصل فى حياته، وهى الزاد الدائم الذى تتغذى به روحه، والأفق الدائم الذى يحلق فيه . كيف يكون نوع مشاعره، وعلى أى درجة من العظمة يكون ؟ ذلك، بشيء من التقريب، هو النبى كل نبى . ثم تفاوت مراتبهم بعد ذلك فى الفضل ! . إن الإنسان ليحس فى بعض اللحظات أن الله راض عنه وقريب برحمته منه، فكيف يكون أثر هذا الإحساس فى نفسه ومشاعره ؟ ألا يحس أن نفسه تتسع وتتسع، وروحه تصفو وترتفع ؟ ألا يحس بأن ذلك الفيض الإلهى قد ملأ قلبه بالنور ، ورفعه درجات عن الأرض، حتى لكأنه ليس جسداً جاثماً على الأرض، ولكنه روح ترفرف فى السماء . ألا يجعله ذلك الفيض الإلهى أقرب إحساساً بعظمة الله، وأشد رغبة فى عبادته، وأشد إخلاصاً فى دعائه

والتوكل عليه، وأقرب إلى استجابة أمره، والعمل بما يرضيه؟ ثم، ألا ينعكس ذلك كله على تكوين نفسه وعلى تعامله مع الناس؟فإذا كان ذلك من أثر لحظات عابرة يحس فيها الإنسان بذلك القرب من الله فكيف بمن يكلمه الله؟ كيف بمن يتنزل عليه الوحى الربانى، فيصله الوحى الربانى بالله . ذلك بالتقريب شأن الأنبياء، ثم يتفاوتون فيما بينهم بما شاء لهم الله من درجات أما كيف يتم ذلك فأمر لا نعلمه نحن، ولكنا نعلم أنه يتم بتهيئة خاصة من الله يمن بها على عبده الذى اصطفاه، كما قال سبحانه وتعالى عن نبيه موسى : ( ولتصنع على عينى) وكما قال عن نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ) اهـ .

نسب رسول الله مسرودا

عودا على بدء ولست مالاًّ من ذكره . ولا من التبرك به . هاهو ذا نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ثانية مسرودا كما جاء في القول المجيز لرفع النسب العزيز وهو كالتالي :

(سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ) بن (عبد الله ) بن (عبد المطلب ) بن (هاشم ) بن (عبد مناف )بن (قصي )بن (كلاب )بن (مرة ) بن (كعب )بن (غالب ) بن ( فهر ) بن (مالك ) بن (النضر) بن (مالك ) بن (كنانة ) بن (خزيمة ) بن (مدركة ) بن (الياس ) بن (مضر ) بن (نزار ) بن (معد ) بن (عدنان ) بن (أُدْ ) بن ( أدد) بن (مقوم ) بن (ناحور) بن ( تيرح)بن (يعرب ) بن (يشجب ) بن (نابت ) بن (إسماعيل) بن (إبراهيم)بن ( تارح) بن (ناحور ) بن (شاروغ) بن (راعو) بن ( عابر ) بن (فالغ) بن (عيبر) بن (شالخ) بن (أرفخشذ ) بن (سام) بن (نوح) بن (لامك ) بن ( متوشلخ ) بن (إدريس أخنوخ) بن (يرد ) بن (مهليل ) بن (قينن ) بن (يانش) بن (شيث )بن (آدم ) (وأمه ) هي : (ءامنة) بنت (وهب ) بن (عبد مناف ) بن (زهرة) بن (كلاب ) بن (مرة ) بن ( كعب ) بن (لؤي) بن (غالب ) بن (فهر) بن (مالك ) بن (النضر ) بن (كنانة ) بن (خزيمة) بن (مدركة )بن (الياس ) بن (مضر ) بن (نزار) بن (معد ) بن (عدنان ) بن (أُدْ ) بن ( أدد) بن (مقوم ) بن (ناحور) بن ( تيرح)بن (يعرب ) بن (يشجب ) بن (نابت ) بن (إسماعيل) بن (إبراهيم )بن ( تارح) بن (ناحور ) بن (شاروح) بن ( راعو) بن (فالخ) بن (عيبر ) بن (شالخ) بن (أرفخشذ )

بن (سام) بن (نوح) بن (لامك) بن (متوشلخ) بن (إدريس أخنوخ) بن (يرد) بن (مهليل) بن (قينن) بن (يانش) بن (شيث) بن (آدم عليه السلام)

قصيدة الشيخ أبي العباس بن شرشير الناشي

قال الإمام ابن كثير في البداية والنهاية هكذا أورد القصيدة (التالية) الشيخ أبو عمر بن عبد البر وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في تهذيبه من شعر الأستاذ أبي العباس عبد الله بن محمد الناشي المعروف بابن شرشير:

مدحت رسول الله أبغي بمدحه ... وفور حظوظي من كريم المآرب

مدحت امرءا فاق المديح موحدا ... بأوصافه عن مبعد ومقارب

نبيا تسامى في المشارق نوره ... فلاحت هواديه لأهل المغارب

أتتنا به الأنباء قبل مجيئه ... وشاعت به الأخبار في كل جانب

وأصبحت الكهان تهتف باسمه ... وتنفي به رجم الظنون الكواذب

وأنطقت الأصنام نطقا تبرأت ... إلى الله فيه من مقال الأكاذب

وقالت لأهل الكفر قولا مبينا ... أتاكم نبي من لؤي بن غالب

ورام استراق السمع جن فزيلت ... مقاعدهم منها رجوم الكواكب

هدانا إلى ما لم نكن نهتدي له ... لطول العمى من واضحات المذاهب

وجاء بآيات تبين أنها ... دلائل جبار مثيب معاقب

فمنها انشقاق البدر حين تعممت ... شعوب الضيا منه رؤس الأخاشب

ومنها نبوع الماء بين بنانه ... وقد عدم الوراد قرب المشارب

فروى به جما غفيرا وأسهلت ... بأعناقه طوعا اكف المذانب

وبئر طغت بالماء من مس سهمه ... ومن قبل لم تسمح بمذقة شارب

وضرع مراه فاستدر ولم يكن ... به درة تصغي إلى كف حالب

ونطق فصيح من ذراع مبينة ... لكيد عدو للعداوة ناصب

وإخباره بالأمر من قبل كونه ... وعند بواديه بما في العواقب

ومن تلكم الآيات وحي أتى به ... قريب المآتي مستجم العجائب
تقاصرت الأفكار عنه فلم يطع ... بليغا ولم يخطر على قلب خاطب
حوى كل علم واحتوى كل حكمة ... وفات مرام المستمر الموارب
أتانا به لا عن رؤية مرتئ ... ولا صحف مستمل ولا وصف كاتب
يواتيه طورا في إجابة سائل ... وإفتاء مستفت ووعظ مخاطب
واتيان برهان وفرض شرائع ... وقص احاديث ونص مآرب
وتصريف أمثال وتثبيت حجة ... وتعريف ذي جحد وتوقيف كاذب
وفي مجمع النادي وفي حومة الوغى ... وعند حدوث المعضلات الغرائب
فيأتي على ما شئت من طرقاته ... قويم المعاني مستدر الضرائب
يصدق منه البعض بعضا كأنما ... يلاحظ معناه بعين المراقب
وعجز الورى عن أن يجيئوا بمثل ما ... وصفناه معلوم بطول التجارب
تأتى بعبد الله أكرم والد ... تبلج منه عن كريم المناسب
وشيبة ذي الحمد الذي فخرت به ... قريش على أهل العلى والمناصب
ومن كان يستسقي الغمام بوجهه ... ويصدر عن آرائه في النوائب
وهاشم الباني مشيد افتخاره ... بغر المساعي وامتنان المواهب
وعبد مناف وهو علم قومه اشتطاط ... الأماني واحتكام الرغائب
وإن قصيا من كريم غراسه ... لفي منهل لم يدن من كف قاضب
به جمع الله القبائل بعد ما ... تقسمها نهب الأكف السوالب
وحل كلاب من ذرى المجد معقلا ... تقاصر عنه كل دان وغائب
ومرة لم يحلل مريرة عزمه ... سفاه سفيه أو محوبة حائب
وكعب علا عن طالب المجد كعبه ... فنال بأدنى السعي أعلا المراتب
وألوى لؤي بالعداة فطوعت ... له همم الشم الانوف الأغالب
وفي غالب بأس أبي البأس دونهم ... يدافع عنهم كل قرن مغالب

وكانت لفهر في قريش خطابه — بعوذ بها عند اشتجار المخاطب
وما زال منهم مالك خير مالك — وأكرم مصحوب وأكرم صاحب
وللنضر طول يقصر الطرف دونه — بحيث التقى ضوء النجوم الثواقب
لعمري لقد أبدى كنانه قبله — محاسن تأبى إن تطوع لغالب
ومن قبله أبقى خزيمة حمده — تليد تراث عن حميد الأقارب
ومدركة لم يدرك الناس مثله — أعف وأعلى عن دني المكاسب
وإلياس كان اليأس منه مقارنا — لأعدائه قبل اعتداد الكتائب
وفي مضر يستجمع الفخر كله — إذا اعتركت يوما زحوف المقانب
وحل نزار من رياسة أهله — محلا تسامى عن عيون الرواقب
وكان معد عدة لوليه — إذا خاف من كيد العدو المحارب
وما زال عدنان إذا عد فضله — توحد فيه عن قرين وصاحب
وأد تأدي الفضل منه بغاية — وأرث حواه عن قروم اشايب
وفي أدد حلم تزين بالحجا — إذا الحلم أزهاه قطوب الحواجب
وما زال يستعلي هميسع بالعلى — ويتبع آمال البعيد المراغب
ونبت بنته دوحة العز وابتنى — معاقله في مشمخر الأهاضب
وحيزت لقيذار سماحة حاتم — وحكمة لقمان وهمة حاجب
هموا نسل إسماعيل صادق وعده — فما بعده في الفخر مسعى لذاهب
وكان خليل الله أكرم من عنت — له الأرض من ماش عليها وراكب
وتارح ما زالت له أريحة — تبين منه عن حميد المضارب
وناحور نحار العدى حفظت له — مآثر لما يحصها عد حاسب
وأشرع في الهيجاء ضيغم غابة — يقد الطلى بالمرهفات القواضب
وأرغو ناب في الحروب محكم — ضنين على نفس المشح المغالب
وما فالغ في فضله تلو قومه — ولا عابر من دونهم في المراتب

وشالخ وارفخشذ وسام سمت بهم — سجايا في المصطفين الأطايب
ولملك أبوه كان في الروع رائعا — جريئا على نفس الكمي المضارب
ومن قبل لملك لم يزل متوشلخ — يذود العدى بالذائدات الشوازب
وكانت لإدريس النبي منازل — من الله لم تقرن بهمة راغب
ويارد بحر عند آل سراته — أبى الخزايا مستدق المآرب
وكانت لمهلاييل فهم فضائل — مهذبة من فاحشات المثالب
وقينان من قبل اقتنى مجد قومه — وفاد بشأو الفضل وخد الركائب
وكان أنوش ناش للمجد نفسه — ونزهها عن مرديات المطالب
ومازال شيث بالفضائل فاضلا — شريفا بريئا من ذميم المعائب
وكلهم من نور آدم أقبسوا — وعن عوده أجنوا ثمار المناقب
وكان رسول الله أكرم منجب — جرى في ظهور الطيبين المناجب
مقابلة آباؤه أمهاته — مبرأة من فاضحات المثالب
عليه سلام الله في كل شارق — ألاح لنا ضوءا وفي كل غارب

منظومة الشيخ الديسي

قال الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الديسى الإبراهيمي الجزائري مدرس الهامل قديما في مايجب معرفته من نسب الرسول عليه السلام :

وواجب في حق ذي التكليف — معرفة بالنسب الشريف
محمد المختار من خير العرب — أبوه عبد الله عبد المطلب
وهاشم عبد مناف وقصي — كذا كلاب مرة كعب لوي
وغالب فهر ومالك النضر — كنانة خزيمة كن ذا نظر
مدركة إلياس مضر ونزار — معد عدنان الذي له الفخار
وليس فيما فوق عدنان خبر — معول عليه من أهل النظر

لما خفَّت موجة الحزن على آمنة، بدأت تحس بجنين يتحرك فى أحشائها، فتعلَّق به أملُها، عسى أن يعوضها فقد زوجها الحبيب عبد الله وأخبرت عبد المطلب بحملها، ففرح لذلك فرحًا شديدًا وامتلأ قلبه أملاً ورجاءً فى أن يأتى هذا الحمل بولد يعوضه عن ابنه عبد الله الفقيد وفى يوم الاثنين 12 من شهر ربيع الأول عام الفيل الموافق لسنة 571 ميلادي وذكر السهيلي ان مولده عليه الصلاة والسلام كان في العشرين من نيسان (أبريل) قال وهذا أعدل الزمان والفصول وذلك لسنة اثنتين وثمانين وثمانمائة لذي القرنين فيما ذكر أصحاب الزيج. (قال) وزعموا أن الطالع كان لعشرين درجة من الجدي وكان المشتري وزحل مقترنين في ثلاث درج من العقرب وهي درجة وسط السماء وكان موافقا من البروج: الحمل وكان ذلك عند طلوع القمر أول الليل نقله كله ابن دحية والله أعلم) (قلت) وعلى ذكر شهر أبريل هنا وهو من أشهر فصل الربيع تذكرت ماقاله لي الحاج محمد زبيدة المايدي الجلفاوي رحمه الله وهو: إن الرسول ربيع في ربيع في ربيع).

(قال الراوي) وقد ولدت آمنة وليدها يتلألأ النور من وجهه الكريم، أكحل أدعج مختونًا، يرنو ببصره إلى الأفق، ويشير بسبابته إلى السماء فهرولت قابلته، وهى «أم عبد الرحمن بن عوف» إلى جده عبد المطلب تزف إليه البشرى، وتنقل إليه ذلك الخبر السعيد، فكاد الرجل الوقور يطير من الفرحة، وفرح الهاشميون جميعًا، حتى إن عمه «أبا لهب» أعتق الجارية «ثويبة» التى أبلغته الخبر، وكانت أول من أرضعت خير البشر. وسمَّى «عبد المطلب» حفيده «محمدًا»، وهو اسم لم يكن مألوفًا أومنتشرًا فى بلاد العرب ولما سُئل عن ذلك قال: رجوت أن يكون محمودًا فى الأرض وفى السماء. (قلت) وانظر قول من قال إن اسمه منذ القديم وفي الكتب المنزلة، محمد. وهل تسمية جده له كانت مصادفة أم ماذا ؟ ؟.

## أبرهة وعام الفيل

بنى أبرهة كنيسة في اليمن لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي ملك الحبشة إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك من قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب. فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من النسأة فخرج حتى أتى

القليس فقعد فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه . فأخبر بذلك أبرهة فقال: من صنع هذا ؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة، لما سمع قولك " أصرف إليها حج العرب" غضب فجاء فقعد فيها ، أي أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام . فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له (ذو نفر) فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه، وأُخذ له ذو نفر فأتى به أسيرا . ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم: شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة وأُخذ له نفيل أسيرا فخلى سبيله وخرج معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد (يعنون اللات ) إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه . فتجاوز عنهم . فبعثوا معه (أبا رغال) يدله على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب، فهو قبره الذي يرجم الناس بغمس . فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له (الأسود بن مفصود) على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به تركوا ذلك . وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة فقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي في دمائكم فإذا هو لم يرد حربي فأتني به . فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له: عبد المطلب بن هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله

إبراهيم عليه السلام فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال حناطة : فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نفر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ؟ ما كان عندي غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بذلك وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك . فقال: حسبي . فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت . فقال : افعل . فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عير مكة وهو يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال، فأذن له عليك فليكلمك في حاجته فأذن له أبرهة . وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه : قل له: حاجتك . فقال له ذلك الترجمان ، فقال: حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي . فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له : قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني . أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه ! قال: ما كان ليمتنع مني ! قال: أنت وذلك . ورد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصابها له، وانصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقه باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هم إن العبد يـــ ــنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك

إن كنت تاركهم وقبـ      ـلتنا فأمر مـــــا بدا لك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبى جيشه وكان اسم الفيل (محمودا) وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل، ثم أخذ بأذنه فقال: أبرك أو أرجع راشدا من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه فبرك الفيل، وخرج نفيل يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن. أي عصا معوجة. لهم في مراقه. أي في بطنه. فبذغوه بها . أي أدموه. ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك ، فأرسل الله تعالى طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاث أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك، وليس كلهم أصابت . وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ، يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك، على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده فمات . قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما يعد الله على قريش من نعمه عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة، لبقاء أمرهم ومدتهم فقال الله تبارك وتعالى ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول ﴾

تفسير سورة الفيل

تفسير هذه السورة كما في الجلالين هو ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ استفهام تعجب أي اعجب ﴿ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ هو الفيل محمود، وأصحابه هم أبرهة ـ ملك اليمن وجيشه وقد بنى بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاج عن مكة فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارا بها فحلف أبرهة ليهدمنّ الكعبة فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها فيل اسمه محمود وحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ ﴾ أي جعل ﴿ كَيْدَهُمْ ﴾ في هدم الكعبة ﴿ فِى تَضْلِيلٍ ﴾ خسار وهلاك ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ جماعات جماعات قيل لا واحد له

كأساطير وقيل واحده أُبول أو إبّال أو إبّيل كعجول ومفتاح وسكين ﴿ تَرْميهم بحجَارَة مّن سجّيل ﴾ طين مطبوخ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْف مَّأْكُول ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته أي أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه وهو أي الحجر أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض . وكان هذا عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم ( كما سبقت الإشارة إلى ذلك ) .

أهمية ليلة المولد النبوي الشريف

ذكرى هذه الليله ( ليلة المولد النبوي ) يراجع فيها المسلمون شمائل المصطفى ليروا مدى تمسكهم بها اضافة الى محاسبة انفسهم طيلة العام وليس فيها اطلاقا أي اعتقاد واذا كان ذلك الاعتقاد موجودا في بيئات اخرى كما نص عليه بعض الكتاب فمنطقتنا بريئة منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب فكفانا استهتارا واستكبارا من المنكرين والنقاد الذين يهرفون بما لايعرفون كما قال الامام ابن العربي

( قال ) أحد علمائنا في الجلفة : إننا المحتفلون بذكرى ميلاد النبي لم ننسه كما يتوهمه الغافلون بل نحن نذكره في أذاننا وفي صلاتنا وفي محاوراتنا وفي تآليفنا وفي كل أحوالنا وما هذه الليلة إلا من باب ( زيادة الخير خيرينْ ) كما يقول المثل الشعبي . ( قلت ) وعليه وكما سبق . فقد ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي قتادة أن اعرابيا قال يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الاثنين فقال ( ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه ) وقال الإمام أحمد عن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبىء يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين وزاد ونزلت يوم الاثنين ( اليوم أكملت لكم دينكم ) قالوا وكانت وقعة بدر يوم الاثنين قال ابن عساكر والمحفوظ أن بدرا ونزول اليوم أكملت لكم دينكم كانا يوم الجمعة وروى عبد الله بن عمر عن كريب عن ابن عباس ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين وعن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وأبعد بل أخطأ من قال ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول نقله الحافظ ابن دحية وضعفه وهو جدير بالتضعيف إذ هو خلاف النص ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول فقيل لليلتين خلتا منه قاله ابن عبد البر في الاستيعاب وقيل لثمان

خلون منه حكاه الحميدي عن ابن حزم وقيل لعشر خلون منه نقله ابن دحية في كتابه وقيل لثنتي عشرة خلت منه نص عليه ابن إسحاق ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن جابر وابن عباس أنهما قالا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء وفيه هاجر وفيه مات وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم وقيل لسبعة عشر خلت منه كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة وقيل لثمان بقين منه نقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مضين منه كما نقله عنه الحميدي وهو أثبت والقول الثاني أنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار وهو قول غريب جدا وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه في رمضان بلا خلاف وذلك على رأس أربعين سنة من عمره فيكون مولده في رمضان وهذا فيه نظر والله أعلم وقد روى خيثمة بن سليمان الحافظ عن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في ربيع الأول وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول وهذا غريب جدا رواه ابن عساكر قال الزبير بن بكار حملت به أمه في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى وولد بمكة بالدار المعروفة بمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ورواه الحافظ ابن عساكر عن ابن شعيب عن أبيه عن جده قال حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عاشوراء في المحرم وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل وذكر غيره أن الخيزران وهي أم هارون الرشيد لما حجت أمرت ببناء هذه الدار مسجدا فهو يعرف بها اليوم ( قلت أي يوم زمن المؤلف أما في هذا العصر 1428هـ فلا أدري بم يسمى ذلك المكان ) قال : وكانت ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ليلة عظيمة تباشرت بها الخلائق ونزلت فيها الحقائق . وكثرت بصحبتها البركات . وعمت معها البشارت . ولوحظت قبلها الارهاصات . وظهر لدى ولادته غرائب وخوارق فزيدت السماء حفظا ورجمت الشياطين وتدلت النجوم واستنارت الوهاد وخرجت الانوار . وانصدع ايوان كسرى . وسقطت منه شرفات . وخمدت نيران فارس . وغاضت بحيرة ساوة . وفاض وادي سماوة .

أقول وكما سبق فقد حدثني الحاج محمد المايدي الجلفاوي قال ان الرسول ربيع في ربيع في ربيع يعني به ربيع النبوة في شهر ربيع الاول في فصل الربيع. قال الامام البوصيري رحمه الله تعالى في همزيته:

ومحيا كالشمس منك مضيء | اسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذي كان للد ين | سرور بيومها وازدهاء
فهنيئا لآمنة الفضـ | ل الذي شرفت به حواء
من لحواء انها حملت أحـ | مد وأنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنت وهـ | ب. من فخار ما لم تنله النساء
وتوالت بشرى الهواتف أن قد | ولد المصطفى وحق الهناء

أقول: هذه الهمزية وشقيقتها البرده لو كتبتا بماء الذهب وعلقتا بجدار الكعبة لقلت في حقهما (قليل وقليل) لكن ينبغي قراءتهما والانتفاع بهما في مقام يليق بهما وبجلالهما دون سواه. والهمزية كان يداوم على قراءتها جماعيا كل ليلة جمعة الشيخ سيدي محمد بلكبير في زاويته بأدرار كما أن الشيخ سيدي محمد بلقائد جعلها من أولويات كتاب السماع الذي ينشد منه المريدون دوما فضلا عن ايام المواسم. قلت وبما أن همزية الإمام البوصيري طويلة لايمكن كتابتها في هذا المصنف فإني سأدرج هنا همزية أمير الشعراء أحمد شوقي والتي يقول فيها:

همزية شوقي

أنشد أمير الشعراء أحمد شوقي بك المصري همزية نالت قصب السبق في الميادين الادبية وبما أن شيخنا سيدي محمد بلقائد التلمساني قد حبّذ قراءتها وسماعها فإني أحببت إدراجها هنا للمناسبة وهي:

وُلِدَ الهدى، فالكائناتُ ضياءُ | وفَمُ الزّمانِ تبسُّمٌ وثناءُ
الرُّوحُ والملأُ الملائكُ حَوْلَهُ | للدّينِ والدنيا بهِ بُشَرَاءُ
والعرشُ يزهو، والحظيرةُ تزْدَهي | والمنتهى، والسّدْرَةُ العصماءُ
وحديقةُ الفرقانِ ضاحكةُ الربا | بالترجمانِ، شَذِيّةٌ، غَنّاءُ
والوحْيُ يقطرُ سلسَلاً من سلسلٍ | واللوحُ والقَلمُ البديعُ رُواءُ

نُظِمَتْ أَسامي الرُّسْلِ فهي صحيفة      في اللوحِ، واسمُ محمدٍ طُغَراءُ

اسَمُ الجلالةِ في بَديعِ حروفِه      أَلِفٌ هنالك، واسمُ طَه الباءُ

يا خيرَ من جاءَ الوجودَ، تحيةً      مَن مُرسَلينَ إلى الهدى بكَ جاءُوا

بيتُ النبيّينَ الذي لا يلتقي      إلا الحنائفُ فيه والحنفاءُ

خيرُ الأُبوةِ حازهم لكَ (آدم)      دونَ الأنامِ، وأَحرزتْ حَوّاءُ

هم أدركوا عزَّ النبوّةِ وانتهت      فيها إليكَ العزّةُ القعساءُ

خُلقتْ لبيتكَ، وهو مخلوقٌ لها      إن العظائمَ كفؤها العظماءُ

بكَ بشّرَ اللهُ السماءَ      فزُيّنت وتضوَّعت مسكاً بك الغبراءُ

وبدا مُحَيّاكَ الذي قَسماتُه      حقٌّ، وغُرّتُه هُدىً وحَياءُ

وعليه من نورِ النُّبوّةِ رَوْنقٌ      ومن الخليلِ وهَدْيِه سيماءُ

أَثنى (المسيحُ) عليه خلفَ سمائه      وتهلّلت واهتزّت (العَذراءُ)

يومٌ يتيهُ على الزمانِ صَباحُه      ومَساؤه بمحمدٍ وَضّاءُ

الحقُّ عالي الركنِ فيه، مُظفَّرٌ      في المُلكِ لا يعلو عليه لواءُ

ذُعرت عروشُ الظالمين، فزُلزلت      وعَلتْ على تيجانهم أَصْداءُ

والنارُ خاويةُ الجوانبِ حولَهُمْ      خَمَدَت ذوائبُها، وغاضَ الماءُ

والآيُ تترى، والخوارقُ جَمّةٌ      (جبريلُ) رَوّاحٌ بها غَدّاءُ

نعمَ اليتيمُ بَدَت مَخايلُ فضله      واليُتمُ رزقٌ بعضُه وذكاءُ

في المهدِ يُستَسقى الحَيا برجائه      وبقصده تُستدفَعُ البَأساءُ

بسوى الأَمانةِ في الصِّبا والصدقِ لم      يعرفه أهلُ الصدقِ والأُمناءُ

يا مَنْ له الأخلاقُ ما تهوى العلا      منها وما يَتعشّقُ الكبراءُ

لو لم تقم ديناً، لقامت وحدَها      ديناً تُضيءُ بنوره الآناءُ

زانتكَ في الخلقِ العظيمِ شمائلٌ      يُغرى بهنّ ويُولعُ الكرماءُ

أَما الجمالُ؛ فأَنت شمسُ سمائه      وملاحةُ الصدّيقِ أياءُ

والحسنُ من كرم الوجوه وخيرهُ ... ما أُوتيَ القُوّادُ والزعماء

فإذا سَخوتَ بلغتَ بالجود المدى ... وفعلتَ ما لا تفعل الأنواءُ

وإذا عَفوت فقادرا، ومقدّرا ... لا يستهين بعفوك الجهلاءُ

وإذا رحمت فأنت أمٌّ، أو أبٌ ... هذان في الدنيا هما الرُّحماء

وإذا غَضِبْتَ فإنما هي غَضبَة ... في الحق، لا ضِغنٌ ولا بغضاءُ

وإذا رضيتَ فذاك في مرضاته ... ورضى الكثير تحلُّمٌ ورياءُ

وإذا خطبتَ فللمنابر هِزةٌ ... تعرو النَّديَّ، وللقلوب بكاءُ

وإذا قضيتَ فلا ارتيابَ كأنما ... جاءَ الخصومَ من السماء قضاءُ

وإذا حميْتَ الماءَ لم يُوردْ، ولو ... أن القياصرَ والملوكَ ظِماء

وإذا أجَرتَ فأنت بيتُ اللَّه، لم ... يدخل عليه المستجيرَ عداءُ

وإذا ملكتَ النفسَ قُمْتَ ببرّها ... ولو كن ما ملكت يداك الشاءُ

وإذا بنيتَ فخيرُ زوْجٍ عِشْرةً ... وإذا ابتنيْتَ فدونك الآباءُ

وإذا صَحبتَ رأى الوفاءَ مُجسَّماً ... في بُردك الأَصحابُ والخلطاء

وإذا أَخذتَ العهدَ، أو أَعْطيتَه ... فجميعُ عَهدك ذمَّةٌ ووفاء

وإذا مَشيْتَ إلى العدا فغضنْفرٌ ... وإذا جريْتَ فإنكَ النكباءُ

وتمُدُّ حلمَكَ للسفيه مُداريا ... حتى يضيق بعرضكَ السفهاءُ

في كل نفْس من سُطاكَ مَهابةٌ ... ولكل نفسٍ في نداكَ رجاءُ

والرأْيُ لم يُنضَ المهنَّدُ دونه ... كالسيف لم تَضرب به الآراءُ

يا أيُّها الأُمّيّ، حَسبُكَ رتبةً ... في العلم أن دانتْ بك العلماءُ

الذكرُ آيةُ ربّكَ الكبرى التي ... فيها لباغي المعجزات غناء

صَدْرُ البيان له إذا التقت اللغى ... وتقدّم البلغاءُ والفُصحاءُ

نُسختْ به التوراةُ وهي وضيئةٌ ... وتخلّف الإنجيلُ وهو ذُكاء

لما تَمشّى في (الحجاز) حكيمُه ... فُضّت (عُكاظ) به، وقام حِراءُ

أَزرى بمنطق أَهله وبيانهم ... وحيٌ يُقَصِّرُ دونه البلغاء

حسدوا، فقالوا: شاعرٌ، أو ساحرٌ ... ومن الحسود يكون الاستهزاءُ

قد نال بالهادي الكريم وبالهدى ... ما لم تنل من سُؤدد سيناءُ

أَمسى كأنك من جلالك أُمّة ... وكأنه من أُنسه بيداءُ

يُوحَى إليك الفوز في ظلماته ... متتابعاً، تُجْلَى به الظلماءُ

دينٌ يُشيّد آية في آية ... لَبِنَاتُه السُّوراتُ والأَضواءُ

الحقُّ فيه هو الأساسُ، وكيف لا ... واللهُ جلّ جلاله البنَّاءُ

أَما حديثُكَ في العقول فَمَشْرَعٌ ... والعلم والحِكَمُ الغوالي الماءُ

هو صبغة الفرقان، نفحة قُدْسه ... والسين من سوراته والراء

جَرت الفصاحة من ينابيع النُّهَى ... من دَوْحه، وتفجَّر الإنشاءُ

في بحره للساجين به على ... أَدب الحياة وعلمها إرساءُ

أَتت الدُّهُور على سُلافته، ولم ... تَفْنَ السُّلاف، ولا سلا النُّدَماءُ

بك يا بن عبد الله قامت سَمْحَة ... بالحق من مِلَلِ الهدى غرّاء

بُنِيَتْ على التوحيد، وهي حقيقة ... نادى بها سُقراطُ والقدماءُ

وَجَدَ الزُّعافَ من السموم لأَجلها ... كالشَّهد، ثم تتابعَ الشُّهداءُ

ومشى على وجه الزمان بنورها ... كُهّانُ وادي النيل والعُرفاءُ

إيزيسُ ذات الملك حين توحّدتْ ... أَخذت قِوامَ أُمورها الأَشياء

لما دعوتَ الناسَ لبّى عاقل ... وأَصمَّ منك الجاهلين نداءُ

أَبَوْا الخروجَ إليك من أَوهامهم ... والناسُ في أَوهامهم سُجناءُ

ومن العقول جداول وجَلامدٌ ... ومن النفوس حرائرٌ وإماء

داءُ الجماعة من أَرسطاليس لم ... يُوصَف له حتى أَتيتَ دواء

فرسمتَ بعدك للعباد حكومة ... لا سُوقة فيها ولا أُمراءُ

واللهُ فوق الخلق فيها وحدَهُ ... والناسُ تحت لوائها أَكفاءُ

والدّينُ يُسْرٌ، والخلافةُ بيعةٌ ... والأَمرُ شُورَى، والحقوقُ قضاء

الإشتراكيون أَنتَ إمامُهم ... لولا دعاوي القومِ والغُلَواء

داويْتَ مُتَّئِدًا، وداوَوْا طَفْرَةً ... وأَخفُّ من بعضِ الدواءِ الداء

الحربُ في حَقٍّ لديك شريعةٌ ... ومن السُّمومِ الناقعاتِ دواءُ

والبِرُّ عندك ذِمَّةٌ، وفريضةٌ ... لا مِنَّةٌ ممنونةٌ وجَباءُ

جاءَتْ فوحَّدَتِ الزكاةُ سبيلَه ... حتّى الْتقى الكرماءُ والبخلاءُ

أَنصفتَ أهلَ الفقرِ من أهلِ الغنى ... فالكلُّ في حقِّ الحياةِ سواءُ

فلو أَنّ إنسانًا تخيَّرَ ملَّةً ... ما اختارَ إلا دينَكَ الفقراءُ

يا أَيُّها المُسرَى به شرفًا إلى ... ما لا تنالُ الشمسُ والجوْزاءُ

يتساءَلون وأنتَ أَطهرُ هيكلٍ ... بالروحِ أم بالهيكلِ الإسراء

بهما سَموْتَ مُطَهَّرَيْنِ، كلاهما ... نورٌ، وريحانيَّةٌ، وبهاءُ

فضلٌ عليكَ لذي الجلالِ ومنَّةٌ ... واللهُ يفعلُ ما يرى ويشاءُ

تغشى الغيوبَ من العوالمِ، كلَّما ... طُوِيَتْ سماءٌ قُلِّدَتْكَ سماءُ

في كلِّ منطقةٍ حواشي نورِها ... نونٌ، وأَنتَ النقطةُ الزهراءُ

أَنتَ الجمالُ بها، وأَنتَ المجتلى ... والكفُّ، والمرآةُ، والحسناءُ

اللهُ هَيَّأَ من حظيرةِ قدسِه ... نُزُلاً لذاتِكَ لم يَجُزْهُ علاءُ

العرشُ تحتكَ سُدَّةً وقوائمًا ... ومناكبُ الروحِ الأَمينِ وطاءُ

والرُّسْلُ دونَ العرشِ لم يُؤذَنْ لهمْ ... حاشا لغيرِكَ موعدٌ ولقاء

الخيلُ تأبى غيرَ أحمدَ حاميًا ... وبها إذا ذُكِرَ اسْمُه خُيَلاءُ

شيخُ الفوارسِ يعلمون مكانَه ... إن هَيَّجَتْ آسادَها الهيْجَاءُ

وإذا تصدَّى للظُّبى فمُهنَّدٌ ... أو للرِّماحِ فصَعْدَةٌ سمراءُ

وإذا رمَى عن قوسِه فيمينُهُ ... قدَرٌ، وما ترمي اليمينُ قضاءُ

من كلِّ داعي الحقِّ هِمّةُ سيفِه ... فلِسيفِه في الراسياتِ مَضاءُ

ساقي الجريحِ ومُطعمُ الأَسرى، ومَنْ     أَمِنَتْ سَنابكَ خيلِه الأَشلاءُ

إنَّ الشجاعةَ في الرجالِ غلاظةٌ     ما لم تزِنْها رأفةٌ وسخاءُ

والحربُ من شرفِ الشعوبِ، فإنْ     فالمجدُ مما يدَّعون براءُ

بَغوْا والحربُ يبعثُها القويُّ تجبُّرا     ويَنوءُ تحتَ بَلائها الضعفاءُ

كم من غزاةٍ للرسولِ كريمةٍ     فيها رضًى للحقِّ أو إعلاءُ

كانت لجندِ اللهِ فيها شدَّةٌ     في إثرِها للعالمين رخاءُ

ضربوا الضلالةَ ضربةً ذهبتْ بها     فعَلى الجهالةِ والضلالِ عَفاءُ

دَعَموا على الحربِ السلامَ، وطالما     حَقَنتْ دماءً في الزمانِ دماءُ

الحقُّ عرضُ اللهِ، كلُّ أَبيَّةٍ     بين النفوسِ حمًى له ووَقاءُ

هل كانَ حولَ محمدٍ من قومِه     إلا صبيٌّ واحدٌ ونساءُ

فدعا، فلبَّى في القبائلِ     عُصبةٌ مُستضعفون، قلائلٌ أُنضاءُ

ردُّوا ببأسِ العزمِ عنه من الأَذى     ما لا تردُّ الصخرةُ الصمّاءُ

والحقُّ والإيمانُ إن صُبَّا على     بُردٍ ففيه كتيبةٌ خرساءُ

نسفوا بناءَ الشركِ، فهو خرائبٌ     واستأصلوا الأَصنامَ، فهي هَباءُ

يمشون تغضي الأَرضُ منهم هيبةً     وبهم حيالَ نعيمِها إغضاءُ

حتى إذا فُتِحَتْ لهم أَطرافُها     لم يُطغِهم ترفٌ ولا نَعْماءُ

يا مَنْ لهُ عزُّ الشفاعةِ وحدَهُ     وهُو المنزَّهُ، ما له شفعاءُ

عرشُ القيامةِ أَنتَ تحتَ لوائِه     والحوضُ أَنتَ حيالَهُ السقّاءُ

تروي وتسقي الصالحين ثوابَهم     والصالحاتُ ذخائرٌ وجزاءُ

أَلمثلِ هذا ذقتَ في الدنيا الطَّوى     وانشقَّ من خَلَقٍ عليكَ رداءُ

لي في مديحِك يا رسولُ عرائسٌ     تُيِّمْنَ فيك، وشاقهنَّ جَلاءُ

هُنَّ الحسانُ، فإن قبلتَ تكرُّما     فمُهورُهُنَّ شفاعةٌ حسناءُ

أَنتَ الذي نظمَ البريَّةَ دينُهُ     ماذا يَقولُ ويَنظمُ الشعراءُ

المُـصلحون أصــابعٌ جُمعـت يَـداً   هـي أَنـت، بَـلْ أنـت اليـدُ البيـضاءُ
مـا جئـتُ بابـكَ مادحـاً، بـل داعيـاً   ومــن المــديح تــضرُّعٌ ودُعـــاءُ
أَدعـوك عـن قـومي الـضّعاف لأَزمـة   في مثلــها يُلقــى عليــك رَجـــاء
أَدرى رسُـــول اللّـــه أَن نفوسَـــهم   ركِبَــتْ هواهـــا، والقلــوبَ هــواء
مُتفكّكــون، فمـــا تــضمُّ نفوسَــهم   ثقــةٌ، ولا جَمــع القلــوبَ صـــفاء
رقـــدُوا، وغـــرَّهُم نعـــيمٌ باطـــل   وَنعـــيمُ قـــوم في القيُـــود بـــلاءُ
ظلمُـــوا شـــريعتك الـــتي نلنـــا بهـــا   مـــا لم ينـــل في رومـــة الفقهـــاءُ
مشت الحضارةُ في سَناها، واهتدى   في الـدّين والـدُّنيا بهـا الـسعداءُ
صلى عليك الله ما صحب الدُّجى   حـــاد، وحَنَّـــت بـــالفلا وَجنـــاءُ
واســـتقبل الرّضْـــوانَ في غُرفـــاتهم   بجنـــان عَـــدْن آلُـــك الـــسُّمحَاءُ
خيرُ الوسائل، مَنْ يقع منهُـــم علَى   سَـبب إليك فحَـــسبيَ الزّهـراءُ

## الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم

قال الإمام أبو شامة شيخ النووي: ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور. فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مُشْعرٌ بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكرٌ الله تعالى على ما مَّن به من إيجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالَمين. قال السخاوي إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الإسلام في سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم. وقال ابن الجوزي: من خواصه إنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك، الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل وألف له الحافظ بن دحية تأليفاً أسماه "التنوير في مولد البشير النذير" فأجازه الملك المظفر بألف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمله في ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعاً بطلا عاقلا عادلا وقيل أنه كان

يصرف على المولد ثلاثمائة ألف دينار وكان السلطان أبو حمو موسى صاحب تلمسان يحتفل ليلة المولد غاية الاحتفال كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله ومن احتفاله له ما حكاه الحافظ سيدي أبو عبد الله التنسي ثم التلمساني الجزائري في كتابه راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح ونصه أنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بمشورة من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر فيها الناس خاصة وعامة فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة وشمع كالأسطوانات وموائد كالهالات ومباخر منصوبة كالقباب يخالها المبصر تبراً مذاباً ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار الربيع المنمنمة فتشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بامداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام يخرجون فيها من فن إلى فن ومن أسلوب إلى أسلوب ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب وبالقرب من السلطان رحمه الله تعالى خزانة المنجانة قد زخرفت كأنها حلة يمانية لها أبواب موجفة على عدد ساعات الليل الزمانية فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها وفتح رفعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة فتلصقها بين يدي السلطان بلطافة ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة . هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح ونداء المنادي حي على الفلاح . (قال) وفي زماننا هذا يحتفل المسلمون بيوم مولده صلى الله عليه وسلم في جميع الأمم الإسلاميةحيث تتلى الأذكار وتوزع الصدقات على الفقراء والمحتاجين .

وفي القاهرة كان يتحرك موكب أرباب الطرق بعد الظهر من ميدان باب الخلق أمام المحافظة، ويسير قاصداً ميدان الاحتفال بالعباسية مجتازاً شوارع تحت الربع فالسكرية فالغورية فميدان الأشراقية فالفحامين فالحسينية فالعباسية ويشتد الزحام في هذه الشوارع وتتقدم الموكب كوكبة من فرسان رجال الشرطة وتحف به من الجانبين قوة من رجال الجيش وقد جرت عادة الدولة المصرية قديما أن تحتفل بهذا اليوم المبارك احتفالا رسمياً في العباسية حيث تقام سرادقات للوزارات ويتوجه جلالة الملك أو نائبه إلى مكان الاحتفال وهناك يعرض الحامية المصرية على أثر وصوله ثم ينتقل إلى السرادق

الملكي ويستقبل رجال الطرق الصوفية بأعلامهم وبعدئذ يقصد سرادق شيخ مشايخ الطرق الصوفية فيستمع تلاوة القصة النبوية وبعد سماعها يخلع على تاليها الخلعة الملكية وتدار المرطبات والحلوى على الحاضرين ثم ينصرف بعد ذلك بموكبه الحافل أثناء قصف المدافع وفي المساء تنار الزينات المقامة على السرادقات وتطلق الألعاب النارية البديعة وفي الصباح تعطل الحكومة وزارتها ومصالحها وتتلى القصة النبوية الشريفة في المشهد الحسيني بحضور محافظ مصر

﴿ أقول ﴾ ونحن في الجزائر كقطر حكومة وشعبا بل وفي منطقتنا الجلفاوية وخصوصا ناحية عين الابل منها والى عهد قريب كنا نحتفل بالمولد طيلة شهر ربيع الاول بتلاوة القرءان وقراءة المولد البرزنجي وانشاد مدائح مجموع القصائد والقصائد الوترية للبغدادي يوم كانت الجماعة جماعة . ويوم كان الشوق و الطاعة . وكانت الشموع والروائح والعطور والبخور والحلويات وانواع المودة تترى على المسجد من طرف المحسنين والمتطوعين وخصوصا بيت الحاج السعيد بن الزمزوم وكان ينشط هذه الاحتفالات ( المؤلف الميلود قويسم ) مع السادة : الشيخ الوالد سي بن عيسى بن الهدار والشيخ بن علية مبدوعة الفرجاوي والشيخ عبد القادر بن بولقرينات النجيمي والشيخ على بودربالة المجبري والشيخ اقويدر الود الابلولي والشيخ محمد بن بشطح الابلولي والحاج السعيد بن الزمزوم المحمدي والحاج العلمي تريش المباركي والحاج احمد التجاني رقيق الحاجي والحاج محمد بن الفضيل الكرداوي والشيخ الطيب بن نعمان الاغويني والحاج السويح عقوني المباركي والحاج بن عيسى بن اوديد المباركي والحاج احمد رينويه لشلق المجبري وسي المختار بن بولقرينات النجيمي والحاج بن داود داودي المجبري والشيخ المخلط سعيدي اليونسي والشيخ مصطفى قصير الابلولي والشيخ مصطفى بن الابيض المباركي والحاج بن ضيف طوير الابلولي والحاج محمد مفتاح طوير الابلولي وسي دحمان الود الأبلولي والحاج عرارم الود الابلولي والحاج احمد الود بن البشير الابلولي والحاج احمد بن الفرتالة المباركي والحاج عمر كريوع الأبلولي وسي عبد القادر فرحات بن محمد المباركي والآخ بوالارباح طيبي بن المصفى والأخ أحمد عقوني بن محمد والأخ المبروك بن الطيب بن نعمان وبن عيسى زيتوني بن ابريكه وغيرهم كثير وكان يحضر لدينا سي عبد الهادي القصاد وسي الأخضر الناجوي وغيرهم ( قلت ) وقد نشأت في حي قناني وكان جماعة مسجد التوفيق ينشدون هذه القصائد وعلى رأسهم الشيخ عبد

الرحمن بشيري والشيخ بوبكر بن امليك والحاج دحمان بن حرزالله عيشي والشيخ عبد الله طيوا والشيخ السعيد بن عبد الهادي والشيخ محمد رمضاني والشيخ أحمد خالدي بن السبخاوي والشيخ بلقاسم بن الدبيق كيحول والشيخ عمر بن علي والطالب محمد رينوبة وغيرهم .

( فائدة ) ومن بين القصائد التي كنا ننشدها في مسجد الفتح العتيق بعين الإبل و باستمرار طيلة شهر ربيع الأول القصيدة المضرية للإمام البوصيري والتي يقول فيها رحمه الله تعالى :

القصيدة المضرية

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... وَالأَنْبِيَا وجَمِيعِ الرُّسْلِ مَا ذُكِروا

وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الهَادي وَشِيعَتِهِ ... وَصَحْبِه مَنْ لِطَيِّ الدِّينِ قد نَشَروا

وَجاهَدوا معَهُ في اللهِ واجْتَهَدُوا ... وهاجَروا ولَهُ آوَوْا وقَدْ نَصَروا

وَبَيَّنُوا الفَرْضَ والمَسْنُونَ وَاعْتَصَموا ... للهِ وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وانتَصَرُوا

أَزْكَى صَلاةٍ وأَنْماها وأَشْرَفَها ... يُعَطِّرُ الكَوْنَ رَيّا نَشْرِها العَطِرُ

مَفْتُوقَةً بِعَبيرِ المِسْكِ زاكِيَةً ... مِنْ طِيبِهَا أَرَجُ الرِّضْوانِ يَنْتَشِرُ

عَدَّ الحَصَى والثَّرَى والرَّمْلِ يَتْبَعُها ... نَجْمُ السَّماءِ وَنَبْتُ الأَرضِ والمَدَرُ

وَعَدَّ مَا حَوَتِ الأَشْجَارُ مِنْ وَرَق ... وكُلِّ حَرْفٍ غَدا يُتْلَى وَيُسْتَطَرُ

وعَدَّ وَزْنِ مَثاقِيلِ الجِبالِ كَذا ... يَلِيهِ قَطْرُ جَمِيعِ المَاءِ والمَطَرُ

وَالطَّيْرِ وَالوَحْشِ والأَسْماكِ مَعْ نَعَمٍ ... يَتْلُوهُمُ الجِنُّ والأَمْلاكُ والبَشَرُ

والذَّرِّ والنَّمْلِ مَعْ جَمْعِ الحُبُوبِ كَذا ... والشَّعْرُ والصُّوفُ والأَرْياشُ والوَبَرُ

وما أَحاطَ بِهِ العِلْمُ المُحيطُ وَمَا ... جَرَى بِهِ القَلَمُ المَأْمُونُ وَالقَدَرُ

وعَدَّ نَعْمائِكَ اللاّتي مَنَنْتَ بها ... عَلَى الخَلائِقِ مُذْ كانُوا وَمُذْ حُشِرُوا

وعَدَّ مِقْدارِهِ السَّامي الذي شَرُفَتْ ... بِهِ النَّبِيُّونَ والأَمْلاكُ وافْتَخَروا

وعَدَّ مَا كَانَ في الأَكْوانِ يَا سَنَدي ... ومَا يَكُونُ إلى أَنْ تُبعَثَ الصُّوَرُ

في كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ يَطْرِفُونَ بِها ... أَهْلُ السَّمَواتِ والأَرْضِينَ أَوْ يَذَروا

مِلْءَ السَّمَواتِ والأَرْضِينَ مَعْ جَبَلٍ ... والفَرْشِ والعَرْشِ والكُرسِي وما حَصَروا

مـا أَعْـدَمَ اللهُ مَوْجُـوداً وأَوجَـدَ مَعْـ ... ـدُوماً صَـلاةً دوَامـاً لَـيْسَ تَنْحَـصِرُ

تَسْتَغْرِقُ العَدَّ مَعْ جَمْعِ الـدُّهُورِ كَما ... يُحِيطُ بِالحَدِّ لا تُبْقِي ولا تَذَرُ

لا غايَـةً وانتِهـاءً يـا عَظِـيمُ لَهـا ... ولا لَهـا أَمَـدٌ يُقْضَى ويُنْتَظَـرُ

مَعَ السَّلامِ كَما قَدْ مَنَّ مِنْ عَدَدَ ... رَبّـا وضـاعَفْها والفَضْلُ مُنْتَشِرُ

وَعَدَّ أَضعَافِ مَا قَدْ مَرَّ مِنْ عَدَدً ... مَعْ ضِعْفِ أَضعافِهِ يا مَنْ لَهُ القَدَرُ

كما تُحِبُّ وَتَرْضَى سَيِّدي وكَما ... أَمَرْتَنا أَنْ نُصَلِّي أَنْتَ مُقْتَدِرُ

وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْرُوبٌ بِحَقِّكَ في ... أَنْفاسِ خَلْقِكَ إِنْ قَلُّوا وَإِنْ كَثُروا

يَا رَبِّ واغْفِرْ لِتالِيها وسَامِعِها ... والمُرْسَلِينَ جَميعاً أَيْنَما حَضَرُوا

وَوَالِدِينَا وأَهْلِينَا وجِيرانَنَا ... وكُلُّنا سَيِّدي لِلْعَفْوِ مُفْتَقِرُ

وقَدْ أَتَتْ بِذُنُوبٍ لا عِدادَ لَها ... لكِنَّ عَفْوَكَ لا يُبْقِي ولا يَذَرُ

والهَمُّ عَنْ كُلِّ مَا أَبْغِيهِ أَشْغَلَنِي ... وقَدْ أَتَى خاضِعاً والقَلْبُ مُنْكَسِرُ

أَرْجُوكَ يَا رَبِّ في الدَّارَيْنِ تَرْحَمُنا ... بِجَاهِ مَنْ في يَدَيْهِ سَبَّحَ الحَجَرُ

يَا رَبِّ أَعْظِمْ لَنا أَجْراً ومَغْفِرَةً ... لأَنَّ جُودَكَ بَحْرٌ لَيْسَ يَنْحَصِرُ

وكُنْ لَطِيفاً بِنَا في كُلِّ نازِلَةٍ ... لُطْفاً جَمِيلاً بِهِ الأَهْوالُ تَنْحَسِرُ

بِالمُصطفى المُجْتَبَى خَيْرِ الأَنَامِ ومَنْ ... جَلالَةً نَزَلَتْ في مَدْحِهِ السُّوَرُ

ثُمَّ الصَّلاةُ عَلى المُخْتارِ ما طَلَعَتْ ... شَمْسُ النَّهارِ وما قَدْ شَعْشَعَ القَمَرُ

ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ ... مَنْ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ لِلدِّينِ يَنْتَصِرُ

وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ الفارُوقِ صاحِبِهِ ... مَنْ قَوْلُهُ الفَصْلُ في أَحْكامِهِ عُمَرُ

وَجُدْ لِعُثْمانَ ذِي النُّورَيْنِ مَنْ كَمُلَتْ ... لَهُ المَحاسِنُ في الدَّارَيْنِ والظَّفَرُ

كَذا عَلِيٍّ مَعَ ابْنَيْهِ وأُمِّهِما ... أَهْلِ العَبَاءِ كَما قَدْ جاءَنا الخَبَرُ

سَعْدٌ سَعِيدٌ بْنُ عَوفٍ طَلْحَةٌ وأَبُو ... عُبَيْدَةٍ وزُبَيْرٌ سادَةٌ غُرَرُ

وَالآلِ والصَّحْبِ والأَتْبَاعِ قاطِبَةً ... ما جَنَّ لَيْلُ الدَّيَاجِي أَوْ بَدَا السَّحَرُ

فى اليوم السابع لميلاد النبى (صلى الله عليه وسلم) أمر جده بجزور فنحرت، وأقام حفلا دعا إليه كبار رجالات «قريش» احتفاءً بهذا الوليد الكريم، وانتظرت «آمنة» المرضعات اللائى كن يأتين من البادية إلى «مكة»، ليأخذن الأطفال إلى ديارهن لإرضاعهم بأجر، وكانت عادة أشراف مكة ألا ترضع الأم أطفالها، مفضلين أن تكون المرضعة من البادية؛ لتأخذ الطفل معها، حيث يعيش فى جو ملائم لنموه من سماء صافية، وشمس مشرقة، وهواء نقى، وكانت هناك قبائل مشهورة بهذا العمل مثل «بنى سعد» . وكان (سيدنا محمد) من نصيب واحدة منهن تُدعَى حليمة السعدية لم تكن تدرى حين أخذته أنها أسعد المرضعات جميعًا فقد حلَّت عليها الخيرات وتوالت عليها البركات بفضل هذا الطفل الرضيع فسمنت أغنامها العجاف، وزادت ألبانها وبارك الله لها فى كل ما عندها . مكث «سيدنا محمد» عند «حليمة» عامين، وهو موضع عطفها ورعايتها، ثم عادت به إلى أمه، وألحت عليها أن تدعه يعود معها، ليبقى مدة أخرى، فوافقت «آمنة» وعادت به «حليمة» إلى خيام أهلها .

حادث شق الصدر

بقى «سيدنا محمد» عند حليمة السعدية بعد عودتها ثلاثة أعوام أخرى حدثت له فى آخرها حادثة شُقّ الصدر، وملخصها كما ترويها أوثق مصادر السيرة: أن «سيدنا محمدًا» كان يلعب أو يرعى الغنم مع أترابه من الأطفال خلف مساكن «بنى سعد» فجاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأخذاه فأضجعاه على الأرض، وشقا صدره وغسلاه وأخرجا منه شيئًا ثم أعاداه كما كان . ولما رأى الأطفال ما حدث، ذهب واحد منهم إلى «حليمة» فأخبرها بما رأى، فخرجت فزعة هى وزوجها أبو كبشة فوجدا محمدًا ممتقعًا لونه فسألته حليمة عما حدث فأخبرها، فخشيت أن يكون ما حدث له مسٌ من الجن، وتخوفت عاقبة ذلك على الطفل، فأعادته إلى أمه وقصت عليها ما حدث لطفلها .

## موت آمنة بنت وهب

لما بلغ « سيدنا محمد » السادسة من عمره أخذته أمه فى رحلة إلى «يثرب أي المدينة » ليـزور معهـا قبر أبيه ويرى أخوال جده «عبدالمطلب» من «بنى النجار» . وفى طريق العودة مرضت «آمنـة» واشتدَّ عليها المرض، وتُوفيت فى مكان يُسمى «الأبواء» بين «مكـة» و«المدينـة»وهكذا شـاءت إرادة الله أن يفقد «محمد» أمه، وهو فى هذه السن الصغيرة وهو أشد ما يكون احتياجًا إليها فتضاعف عليه اليتم ولكن لله فى خلقه حكم لا يعلمها إلا هو تعالى فإن كان «محمدٌ» قد حُرِمَ من أبويه فإن الله هو الذى سيتولى رَعايته وتَعليمه . ضم «عبد المطلب» حفيده «محمدًا» إلى كفالته لأن ابنه «عبدالله» لم يترك ثروة كبيرة، وكل ما تركه كان خمسة من الإبل، وبعضاً من الأغنام، و«أم أيمن» المسماة بـ(بركة ) التى أصبحت حاضنة «محمد» وراعيته بعد فقد أمه وقد عوضته كثيرًا عن حنان الأم . لكن كفالة «عبدالمطلب» لمحمد لم تدم طويلا، إذ استمرت عامين فقط بعد وفاة «آمنـة» حيث توفي وكان خلالهما نعم الأب الحنون، فحزن «محمد» على فقده حزنًا شديدًا وبكاه بكاءً مرا وهو يودعه إلى مثواه الأخير . وبعد وفاة عبدالمطلب انتقل محمد إلى كفالة عمه أبى طالب ومع أنه لم يكن أكثر أعمامه مالا وأوسعهم ثراءً، بل كان أكثرهم أولادًا وأثقلهم مؤونة فإنه كان شديد العطف عليه،والرعاية له، فضمه إلى عياله وكان يفضله عليهم فى كل شىء .

### حكمة نشأته صلى الله عليه وسلم يتيما

( قال المصنف ) اختار الله عز وجل لنبيه أن ينشأ يتيما الحكم باهرة ومن أهمها أن لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة إلى القلوب أو إيهام الناس بأن محمدا صلى الله عليه وسلم إنما رضع لبان دعوته ورسالته التي نادى بها منذ صباه بإرشاد وتوجيه من أبيه وجده ولم لا وإن جده عبد المطلب كان صدرا في قومه فلقد كانت إليه الرفادة والسقاية ومن الطبيعي أن يربي الجد حفيده على ما يحفظ لديه من الميراث لقد شاءت حكمة الله عز وجل أن لا يكون للمبطلين من سبيل إلى مثل هذه الريبة، فنشأ رسوله بعيدا عن تربية أبيه وأمه وجده، وحتى فترة طفولته الأولى، فقد أرادت حكمة الله عز وجل أن يقضيها في بادية بني سعد بعيدا عن أسرته كلها ولما توفى جده وانتقل إلى كفالة عمه أبي طالب الذي امتدت حياته إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنوات كان من تتمة هذه الحكمة أن لا يُسلم عمه حتى

لا يتوهم أن لعمه مدخلا في دعوته وأن المسألة مسألة قبيلة وأسرة وزعامة ومنصب وهكذا أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيما تتولاه عناية الله وحدها بعيدا عن الذراع التي تمعن في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة، فتلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا حتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني.

## اشتغاله برعى الغنم

لم يرض «سيدنا محمدٌ» أن يكون عالة على عمّه وبخاصة أنه يرى ضيق ذات يده، فأراد أن يعمل ليعول نفسه ويكسب قوته، ويساعد عمه إن أمكن ذلك فاشتغل برعى الأغنام، وهو عمل يناسب سنه وهذه كانت حرفة الأنبياء من قبله، لقول النبى (صلى الله عليه وسلم): «ما من نبى إلا ورعى الغنم»، قيل: وأنت يا رسول الله ؟ قال: «وأنا».

## مشاركته فى الحياة العامة

شارك سيدنا «محمد» (صلى الله عليه وسلم) قومه فى حياتهم العامة قبل البعثة، فاشترك فى «حرب الفجَار» وهو فى نحو الخامسة عشرة من عمره، وهى حرب وقعت أحداثها فى الأشهر الحرم، ولذا سميت بحرب الفجار، وسببها أن «النعمان بن المنذر» أمير «الحيرة» اعتاد أن يرسل كل موسم قافلة تجارية إلى سوق «عكاظ» بالقرب من «مكة» المكرمة، وكان يستأجرُ لها حراسًا من القبائل القريبة من «مكة»، فعرض رجلان أنفسهما لهذه المهمة، أحدهما من «هوازن» يسمى «عُروة»، والآخر من «كنانة» يسمى «البَرَّاض»، فاختار «النعمان» «عروة» فقتله «البراض»، فوقع القتال بين قبيلتيهما لهذا السبب، واستمر أربع سنوات وانتهى بالصلح بين المتحاربين، وقد وصف النبى (صلى الله عليه وسلم) مشاركته فى هذه الحرب بقوله «كنت أنبل على أعمامى» أى يرد إليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها.

## حلف الفضول

وكما شارك «سيدنا محمد» قومه فى الحرب فقد شاركهم فى السلم حيث شهد «حلف الفضول» الذى تكوَّن عقب حرب الفجار، وكان أول من دعا إليه عمه «الزبير بن عبد المطلب»

لنصرة المظلوم أيا كان، من أهل «مكة» أو من غيرهم، واجتمعت بعض بطون «قريش»: «بنو هاشم» و«بنو زهرة»، و«بنو أسد»، و«بنو تيم» فى دار «عبدالله بن جدعان»، وتعاهدوا ليكونن مع المظلوم حتى يُردَّ إليه حقه. ويصف النبى مشاركته فى هذا الحلف بقوله: «لقد شهدت مع عمومتى حلفا فى دار «عبد الله بن جدعان» ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت».

## بناء قريش للكعبة

نزل سيل على «الكعبة» قبل بعثة النبى بحوالى خمسة أعوام هدَّم جدرانها، فعزمت «قريش» على إعادة بنائها، وقسَّمت العمل بين بطونها، وكان النبى (صلى الله عليه وسلم) يعمل بنفسه معهم، ويحمل الحجارة، حتى إذا ارتفع البناء نحو قامة الرجل اختلفوا فيمن يضع «الحجر الأسود» فى مكانه؛ كل قبيلة تريد أن تحوز هذا الشرف دون غيرها، واشتد الخلاف بينهم حتى تداعوا إلى الحرب، ففزع «أبو أمية بن المغيرة» وخشى عاقبة ذلك، فأشار عليهم بأن يحتكموا إلى أول رجل يدخل عليهم، فوافقوا على ذلك. وكان النبى (صلى الله عليه وسلم) أول داخل عليهم فاستبشروا خيرًا وقالوا: هذا الأمين رضينا به حكمًا، فطلب منهم أن يبسطوا ثوبًا، ثم وضع الحجر فيه وطلب من زعماء القبائل أن يمسك كل منهم بطرف، ليتمكنوا من رفع الحجر إلى موضعه، ثم أخذه النبى (صلى الله عليه وسلم) بيده الشريفة، ووضعه فى مكانه وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

## رحلته الأولى إلى الشام

وجد «سيدنا محمد» فى عمه «أبى طالب» عطفًا وحنانًا عوَّضه عن فقد جدّه فكان يؤثره على أولاده ولا يكاد يردُّ له طلبًا، فلما رغب «محمد» فى أن يصحب عمه فى رحلة إلى «الشام» أجابه إلى ذلك رغم أنه كان يخشى عليه من طول الطريق، ومشقة السفر، وهو لم يزل غلامًا صغيرًا لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره. انطلق «محمد» مع عمه فى تلك الرحلة إلى «الشام» وهناك حدثت له قصة عجيبة لفتت أنظار القافلة كلها، لكنهم لم يستطيعوا لها تفسيرًا وذلك أن راهبًا نصرانيا يدعى «بحيرا» كان يتعبَّد فى صومعته فى بادية «الشام»، على طريق

القوافل، ولم يكن يحفل بأحد يمرُّ عليه، لكنه فى هذه المرة نزل من صومعته لما رأى القافلة القرشية وذهب إليهم ودعاهم إلى طَعَام وطلب منهم أن يحضروا جميعًا ولا يتركوا أحدًا يتخلف. ولما حضر «محمد» مع القوم سأل الراهبُ «أبا طالب»: من يكون منك هذا الغلام ؟ فقال: ابنى، فقال له: ما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، فقال: ابن أخى، قال: صدقت. ثم رأى خاتم النبوة على كتف النبى (صلى الله عليه وسلم)، وقال لأبى طالب: ارجع بابن أخيك هذا فسوف يكون له شأن عظيم، واحذر عليه اليهود، فلو عرفوا منه الذى أعرف ليمسنه منهم شر. ووقعت كلمات الراهب من «أبى طالب» موقعًا جميلا، فشكر الراهب على هذه النصيحة الغالية التى لا تصدر إلا عن رجلٍ صالح وعاد بابن أخيه إلى «مكة».

## رحلته الثانية إلى الشام فى تجارة خديجة

ذهب «سيدنا محمد» هذه المرة إلى «الشام» فى مهمة تجارية، لا للتنزه أو الزيارة كما كان فى الأولى، ذلك أن «أبا طالب» رأى ابن أخيه قد بلغ مرحلة الشباب، ولابد له من أن يتزوَّج ويعول أسرة، ولكن من أين لمحمد بالمال؟ فقال لابن أخيه بعد أن أحسن له التدبير: «يا ابن أخى أنا رجل لا مال لى، وقد اشتدَّ الزمانُ علينا، وقد بلغنى أن خديجة بنت خويلد استأجرت فلانًا ببكرين (أى جملين صغيرين) ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطته فهل لك أن أكلمها ؟» قال «محمد»: «ما أحببتَ يا عمى». ويكشف هذا الحوار القصير الظروف المالية الصعبة التى كان يمر بها «أبو طالب»، لكن ذلك لم يجعله يضيق بابن أخيه، وإنما خاطبه فى رفق وشاوره قبل أن يفاتحه فى أمر عمله مع «خديجة»، وفى الوقت نفسه نلمس أن «محمدًا» (صلى الله عليه وسلم) كان يشعر بما يعانيه عمه، فلم يملك إلا أن يقول له: «ما أحببتَ يا عمى». توجه «أبو طالب» إلى «خديجة» وقال لها: «هل لك يا «خديجة» أن تستأجرى «محمدًا» ؟ فقد بلغنا أنك استأجرت فلانًا ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربعة» فأجابت «خديجة» بلهجة تحمل الوداد والاحترام للشيخ الوقور «لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا، فكيف وقد سألته لقريب حبيب». خرج «محمد» فى تجارة «خديجة» يصحبه غلامها «ميسرة» وكان صاحب خبرة فى التجارة ومعرفة بأصولها، أثيرًا لديها، تأتمنه على مالها وتجارتها، وكانت هذه الرحلة ناجحة وموفقة كل التوفيق، وربحت أكثر من

أية مرة سابقة. وفى طريق العودة اقترح «ميسرة» على «محمد» أن يسبقه إلى «مكة»؛ ليكون أول من يبشر «خديجة» بعودتهما سالمين وبنجاح تجارتها، وعندما بلغ «خديجة» الأمر سُرَّت أيما سرور، وأعجبت بما قصَّه «ميسرة» على سمعها من شأن «محمد»، من أمانة، ورقة شمائل، وسمو خلق، وازدادت إعجابًا لما سمعت ذلك من «محمدًا» نفسه، وما لبث هذا الإعجاب أن تحول إلى تقدير ورغبة فى الزواج.

## زواج النبي من خديجة

كانت «خديجة بنت خويلد الأسدية» امرأة شريفة، ذات حسب وجمال ومال تزوجت مرتين من قبل وعزمت بعد موت زوجها الثانى ألاتتزوج مرة أخرى وأن تتفرغ لإدارة ثروتها وتنمية تجارتها ولكنها حين اتصلت بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وعمل فى تجارتها، ورأت فيه من خصال الخير أعجبت به ورغبت فى الزواج منه، وأسرَّت بذلك إلى إحدى صديقاتها المقرَّبات،فذهبت إلى «محمد» وسألته ما يمنعك أن تتزوج؟ قال ما بيدى ما أتزوج به. قالت فإن كُفيتَ ذلك ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟ قال فمن هى؟قالت خديجة فقالَ كيف لى بذلك؟ قالت علىَّ ذلك، فوافق على الفور،وعادت «نفيسة» إلى «خديجة» تزفُّ إليها تلك البشرى فسُرَّت سرورًا عظيمًا وذهب «محمد» مع أعمامه إلى بيت «خديجة» لإعلان الخطبة، وألقى «أبو طالب» خطبة قصيرة أثنى فيها على ابن أخيه، وأنه لا يعدله شاب فى «#قريش#»، فى خلقه وصدقه وأمانته، وإن كان قليل المال،فالمال عرض زائل، ثم وجَّه كلامه إلى أهل «خديجة» فقال: «إن محمدًا له فى «خديجة» رغبة، ولها فيه مثل ذلك» فوافقوا على الخطبة، وأقاموا وليمة بهذه المناسبة السعيدة، وقدَّم «محمد» لخديجة صداقاً قدره عشرون بكرة، ثم تم الزواج،وانتقل «محمد» إلى بيت «خديجة» حيث عاش معها. وهكذا شاءت الأقدار لهذه السيدة الكريمة أن تقترن بسيد الخلق أجمعين، وأن تصبح أول أُم للمؤمنين، وأن تكون خير عون له فكانت أول من آمن به وكانت تواسيه بمالها كما كانت حياته معها التى دامت نحو خمسة وعشرين عامًا تملؤها السعادة ورزقه الله منها بستة أولاد. اثنين من الذكور هما: «القاسم» و«عبدالله»، وقدماتا قبل البعثة، وأربع بنات وهن: «زينب» وقد تزوجها ابن خالتها «أبو العاص بن الربيع»، و«رقية»

و«أم كلثوم» وقد تزوجهما «عثمان بن عفان»، واحدة بعد الأخرى، و«فاطمة»وقد تزوجها على ابن أبى طالب.

## من الزواج إلى البعثة

كان عمر النبى (صلى الله عليه وسلم) حين تزوج السيدة (خديجة) خمسًا وعشرين سنة،وكان عمره حين بعثه الله بالرسالة على رأس الأربعين، فماذا كان يعمل فى المدة التى بين الزواج والبعثة. إن مصادر السيرة النبوية لم تمدنا بمعلومات كثيرة عن هذه الفترة من حياته، سوى أنه كان دائم التأمل فى الكون الفسيح، والتفكير فى القوة التى أبدعته وأحكمت صنعه، وأنه رفض ما عليه قومه من عبادة الأصنام، وما غرقوا فيه من الفساد والمجون، فلم يسجد لصنم، ولم يحضر مجلس لهو وعبث بل كان يعتكف شهرًا من كل سنة فى غار «حراء»، يتعبد فيه، ويجد فيه فرصة مناسبة للتفكر والتأمل،بعيدًا عن صخب مكة وضجيجها. وكان شهره المفضل الذى يقضيه فى الغار هو شهر رمضان المبارك. ويبدو أنه فى تأمله هذا كان ينشد مخرجًا للعالم مما هو فيه من شرك ووثنية لأن ما بقى من الشرائع القديمة لم يكن كافيًا ليريح نفسه المتشوقة إلى الحق المجرد والحقيقة المطلقة، وظل كذلك حتى أتاه «جبريل» عليه السلام بالوحى.

# الفصل الثاني

# في

# بعثة الرسول عليه السلام وما يتبعها

---

## بدء الوحى

ظل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتردد على غار «حراء» حتى شارف الأربعين من عمره وكان أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصادقة، كما جاء فى حديث «عائشة»، فكان لا يرى رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح، وزادته رؤاه الصادقة أملا فى قرب الوصول إلى الحقيقة. وبينما هو فى غار «حراء» غارق فى تأمله وتدبره إذ جاءه «جبريل» عليه السلام فى ليلة من ليالى رمضان، فقال: «اقرأ»،قال:«ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذنى فغطنى، حتى بلغ منى الجهد، ثم

أرسلنى، فقال: «اقرأ »، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ،فقلت:ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق .خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ) فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال: «زملونى زملونى»فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال «لقد خشيت على نفسى»، فقالت «خديجة»: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا ،إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسبُ المعدوم، وتقرى الضيف،وتعين على نوائب الحق» . طمأنت «خديجة» «محمدًا» بتلك الكلمات الصادقة والعبارات المواسية وذهبت به إلى ابن عمها «ورقة بن نوفل» أحد الحنفاء العرب، وكان قد اعتنق النصرانية، فقالت له : «يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك،فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا رأيت فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خبر ما رأى، فقال له ورقة هذا الناموس (جبريل أمين الوحى) الذى نزله الله على «موسى»، ياليتنى فيها جذعًا ليتنى أكون حيا ، إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أو مخرجى هم ؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن توفى وفتر الوحى . توقف الوحى بعد ذلك فترة من الزمن حتى شق على سيدنا محمد فأحزنه ذلك، فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ما ودعه وما قلاه . وسورة الضحى هي بعد " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . بسم الله الرحمن الرحيم (وَالضحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى . فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ) .

الوحى وأنواعه

يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الشورى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم ) تبين هذه الآية أنواع الوحى الربانى إلى عباده المصطفين ليكونوا رسلاً وأنبياء . إن الله لا يكلم أنبياءه مواجهة، لأن هذه المواجهة لا يقوى

عليها البشر فى الحياة الدنيا .إنما يكلمهم بإحدى طرق ثلاث .( 1 ) وحياً يلقى فى النفس مباشرة فتعرف أنه من الله ويسمى ذلك أيضاً بالإلهام ومنه رؤى الأنبياء كرؤيا سيدنا إبراهيم أنه يذبح ولده إسماعيل (يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) ( 2 ) أو من وراء حجاب كما كلم الله موسى عليه السلام (فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين )دون أن يرى الله، لأن ذلك مستحيل بالنسبة إليه، فلما طلب الرؤية حين جاء إلى ميقات ربه لم يجب إلى طلبه (قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً) ( 3 ) أو يرسل الله الملك المكلف بالوحى فيوحى إلى الرسول ما يشاء بطريقة من الطرق التى بينها رسول الله عليه السلام :

( الأولى ) ما كان يلقيه الملك فى روعه وقلبه دون أن يراه كما قال عليه السلام ( إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب .

(الثانية ) أن يتمثل الملك لرسول الله عليه السلام فى صورة رجل فيخاطبه حتى يعى عنه ما يقول .

( الثالثة ) أنه كان يأتيه فى صورة صلصلة الجرس . وكان أشده عليه حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً فى اليوم الشديد البرد ، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إن كان راكبها .

(الرابعة ) أن يرى الملك فى صورته التى خلق عليها ، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه . وهذا وقع للرسول عليه السلام مرتين كما جاء فى سورة النجم (ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى) .

## بدؤ الوحي

كان ذلك وله صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة .وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبّد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله

ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: «اقرأ. فقال: مَا أَنَا بقارئ» قال: «فَأَخَذَني فغطني حَتّى بَلغ منّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَني فَقَال: اقرَأْ، فَقلْتُ: مَا أنَا بقَارئ، فَأَخَذَني فغطني الثَّانيَةَ حَتّى بَلغ منّي الجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَني فَقَال: اقرَأْ، فَقلْتُ: مَا أنَا بقَارئ فَأَخَذَني فغطني الثالثة حَتّى بَلغ منّي الجُهْدَ. ثُمَّ أَرْسَلَني فقال ﴿ اقرَأْ بسْم رَبِّكَ الذي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسَانَ منْ عَلَقٍ. اقرَأْ ورَبُّكَ الأَكْرَمُ الذي عَلَّمَ بالقَلَم. عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زَمّلوني زمّلوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر «لَقَدْ خَشيتُ عَلَى نفسي». فقالت خديجة كلاّ والله لا يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم وتقري ال وكان شيخاً كبيرا قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى. فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً، إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوَ مُخرجيَّ هُمْ؟» فقال: نعم. لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلاّ عودي. وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم يَنْشَب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدّى له جبريل فقال يا محمّد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه. فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا كمثل ذلك قال فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل فقال له مثل ذلك قال ابن شهاب قال جابر بن عبد الله الأنصاري وهو يحدّث عن فترة الوحي فقال في حديثه عليه السلام «بَينَا أَنَا أَمْشي إذ سَمعْتُ صَوْتاً منَ السَّمَاء، فرَفَعْتُ بَصَري فإذا المَلَكُ الّذي جَاءَني بحراء جَالسٌ عَلَى كُرْسي بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْض فرُعبْتُ منْهُ. فرَجَعْتُ فقلْتُ: زمّلوني، زمّلوني، فأَنْزَلَ اللهُ ﴿ يا أَيُّها المُدَّثرُ، قُمْ فأَنْذرْ، وربَّكَ فكَبّرْ، وثيَابَكَ فطَهّرْ، والرّجْزَ فاهْجُرْ ﴾ فحَمي الوَحْيُ وتَتَابَعَ» وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: إن أول ما يؤتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحي بعد.

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرّة وثاني مرّة أيضا ثم إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي المَلَكُ رَجُلاً يُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً )وكان عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل . قال فلمّا شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت (غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) قال: وكانت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وأنا أكتب فلما نزل الوحي كادت فخذه ترض فخذي . وفي صحيح مسلم قال لي عمر: أيسرك أن تنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى إليه؟ فرفع طرف الثوب عن وجهه وهو يوحى إليه بالجعرانة، فإذا هو محمر الوجه، وهو يغط كما يغط البكر . وثبت في الصحيحين من حديث عائشة لما نزل الحجاب وأن سودة خرجت بعد ذلك إلى المناصع ليلاً فقال عمر: قد عرفناك يا سودة. فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وهو جالس يتعشى والعرق في يده فأوحى الله إليه والعرق في يده ثم رفع رأسه فقال «إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ» . فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضاً من يده صلوات الله وسلامه دائماً عليه وقال أبو داود الطيالسي حدّثنا عكرمة عن ابن عباس . قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي تربّد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه، ولم يكلمه أحد منهم وفي مسند أحمد وغيره عن عبد اللّه بن عمرو، قلت يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ قال: «نَعَمْ أَسْمَعُ صَلاَصِلَ، ثُمَّ أَثْبُتُ عَنْدَ ذَلِكَ، وَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلاّ ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تفيض منْه . وقال أبو يعلى الموصلي عن العليان بن عاصم . قال: إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ نزلت عليه المائدة كلّها ، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة وقال الإمام أحمد عن عبد اللّه بن عمرو قال: أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله فنزل

عنها . وقد ثبت في الصحيحين نزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الحديبية، وهو على راحلته، فكان يكون تارة وتارة بحسب الحال .

## إعجاز القرآن الكريم

الإعجاز – كما قال الدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعنى – لغةً : يقال عجز عن الشىء عجزا وعجزانا ضعف ولم يقدر عليه وأعجز الشىء فلانا : فاته ولم يدركه ، وأعجز فلان: سُبق فلم يُدرَك كما فى الوسيط . واصطلاحا : من إضافة المصدر إلى القرآن : أن جميع ما عدا الله من الإنس والجن قد أعجزهم القرآن عن الإتيان بمثله قلَّ ذلك الكلام أو أكثر ، مع تكرار التحدى به ومطالبة من زعم أن القرآن ليس من عند الله بأن يثبتوا صدقا دعواهم بالإتيان بكلام يماثل القرآن فى بلاغته وفصاحته وعلو شأنه . وقد طولب المتحدُّون بأن يأتوا بسورة من مثله ، أو بعشر سور أو بمثله مطلقا –أقل من السورة ، أو فوق السور العشر– طولبوا بهذا فى مكة قبل الهجرة ، وطولبوا به فى المدينة بعد الهجرة فعجزوا تمام العجز ، مع شدة حاجتهم إلى تحقيق ما طلب منهم ، فدل ذلك على عجزهم التام عن محاكاة القران ، لما رأوا فيه من علو الشأن ، وإحكام الأسلوب ، وروعة المعانى ، ووصفه الوليد بن المغيرة وكان كافرا بأنه يعلو ولا يعلى عليه . وقد ورد التحدى بالإتيان بمثل القرآن فى كتاب الله العزيز مرات فى سورة البقرة ويونس وهود وغيرها ، ثم ورد الإقناط من إمكان محاكاة القرآن فى قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) ولم يكن مصطلح الإعجاز معروفا فى القرون الثلاثة الأولى الهجرية ، وإنما عرف واشتهر بعد أن وضع محمد بن يزيد الواسطى كتابا سماه "إعجاز القرآن" سنة 306 هجرية . وليس معنى ذلك أنه لم يكن موجودا من قبل ، فقد كان البحث والجدل حول إعجاز القرآن يدور على أوسع نطاق فى بيئات العلم والعلماء وبخاصة عند علماء الكلام ، وقد وضع الجاحظ كتابا حول هذه الفكرة سماه "نظم القرآن" والجاحظ توفى 255 هجرية . فليست العبرة بالمصطلح نفسه بل بالفكرة التى يحويها ومعروف أن الأفكار تسبق دائما مسمياتها . وقد كثر الجدل حول الوجوه التى كان بها القرآن معجزا تحدث عنها علماء الكلام والأصول والمفسرون وعلماء البلاغة وغيرهم ، وما يزال البحث يكشف عن جديد ، وبخاصة فى هذا العصر الذى ازدهرت فيه العلوم والفنون والاكتشافات العلمية الحديثة

فى النفس والفضاء والأرض وما فيها ، وفى الطب ونظائره من العلوم الإنسانية والعملية . والإعجاز القرآنى عند القدماء يدور حول الوجوه الآتية : (أ) الأخبار والوعود الصادقة . (ب) الإخبار عن الغيوب التى وقعت كما أخبر عنها القرآن . (ج) فصاحة ألفاظه ، وسلامة معانيه وشرفها . (د) نظمه المحكم ، وتأليفه البديع ، وسلامته من الطعون . أما عند المحدثين فقد ظهر الإعجاز العلمى فى كثير من ميادين المعرفة التى طرقها الإعجاز العلمى الحديث مما يضيق المقام عن ذكره ، فقد ظهر الاعجاز فى الدراسات الطبية والنفسية والنباتية وطبقات الأرض وغيرها ، ففى كل هذه المجالات ظهرت حقائق يقينية طابقت إشارات القرآن إليها منذ خمسة عشر قرنا ، ولو لو يكن القرآن نازلا بعلم الله من عند الله لما ظفرنا فيه بشىء من هذه الخوارق العظيمة .

ذكر سور قصار

قصار السور القرآنية كان المشايخ يلقنونها للمبتدئين وللكبار ليحفظوها ويتلوها في جميع حالاتهم وخصوصا منها الصلاة وذلك لقصرها وتقارب مقاطع آياتها ومن قصار السور ، السور الآتية :

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ .

سورة العلق

بِسم الله الرحمن الرحيم . اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى . إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى . أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى . عَبْدًا إِذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى . أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى . أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى . كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَه سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ .

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم . لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ . وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ . وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ .

سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم . إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا . يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ . فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .

سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم . وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا . إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ .

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم . الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ . فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ .

## سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم . أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ . ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ .

## سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم . وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .

## سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم . وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ . الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ . إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ .

## سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم . أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ .

## سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم . لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ .

## سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم . أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ . فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ .

## سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ .

## سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم. قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ .

## سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم. إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .

## سورة المسد

سم الله الرحمن الرحيم . تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ .

## سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم . قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

## سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ .

## سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ .

## المؤمنون الأوائل

أخذ النبى (صلى الله عليه وسلم) يدعو إلى الإسلام سرا فكانت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها أول الناس إسلامًا وإيمانًا بالله ورسوله، ثم تلاها على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان فى نحو العاشرة من عمره، ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة. وكان رجلا مألفًا لقومه، محببًا سهلا، فأسلم على يديه طائفة من كبار

الصحابة أمثال عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيدالله. ثم أسلمت بعد هؤلاء طائفة أخرى عدّ منهم ابن إسحاق نحو خمسة عشر فردًا ما بين رجل وامرأة وهم: أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة ابن عبدالأسد وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبدالله وعُبيدة بن الحارث ابن المطلب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامرأته فاطمة بنت الخطاب وأسماء وعائشة بنتا أبى بكر وخباب بن الأرت وعمير بن أبى وقاص وعبدالله بن مسعود ومسعود ابن القارى رضى الله عنهم وكان ذلك فى مرحلة الدعوة السرية.

## أعلام نبوة رسول الله

أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم إجمالا لاتفصيلا لأن تفصيله يحتاج الى مجلدات عديدة وقد جمع الأئمة في ذلك ما زاد على ألف معجزة فمن أبهرها وأعظمها القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وإعجازه من جهة لفظه ومعناه أما لفظه ففي أعلى غايات فصاحة الكلام وكل من ازدادات معرفته بهذا الشأن ازداد للقرآن تعظيما في هذا الباب وقد تحدى الفصحاء والبلغاء في زمانه مع شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة فعجزوا وأخبرهم أنهم لا يطيقون ذلك أبدا بل قد تحدى الجن والإنس قاطبة على أن يأتوا بمثله فعجزوا وأخبرهم بذلك فقال الله تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) إلى غير ذلك من الوجوه المثبتة لإعجازه وأما معناه فإنه في غاية التعاضد والحكمة والرحمة والمصلحة والعاقبة الحميدة والاتفاق وتحصيل أعلى المقاصد وتبطيل المفاسد الى غير ذلك مما يظهر لمن له لب وعقل صحيح خال من الشبه والأهواء نعوذ بالله منها ونسأله الهدى ومن ذلك انه نشأ بين قوم يعرفون نسبه ومرباه ومدخله ومخرجه يتيما بين أظهرهم أمينا صادقا بارا راشدا كلهم يعرف ذلك ولا ينكره إلا من عاند وسفسط وكابر وكان أميا لايحسن الكتابة ولا يعانيها ولا أهلها وليس في بلادهم من علم الأولين ولا من يعرف شيئًا من ذلك فجاءهم على رأس أربعين سنة من عمره يخبر بما مضى مفصلا مبينا يشهد له علماء الكتب المتقدمة البصيرون بها المهتدون بالصدق بل أكثر الكتب المنزلة قبله قد دخلها التحريف والتبديل ويجيء ما

أنزل الله عليه مبينا لذلك مهيمنا عليه دالا على الحق منه وهو مع ذلك في غاية الصدق والأمانة والسمت الذي لم ير أولو الألباب مثله صلى الله عليه وسلم والعبادة لله والخشوع له والذلة له والدعاء اليه والصبر على أذى من خالفه واحتماله وزهده في الدنيا وأخلاقه السنية الشريفة من الكرم والشجاعة والحياء والبر والصلة صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من الأخلاق التي لم تجتمع في بشر قبله ولا بعده إلا فيه فبالعقل يدرك أن هذا يستحيل أن يكذب على أدنى مخلوق بأدنى كذبة فكيف يمكن أن يكون مثل هذا قد كذب على الله رب العالمين الذي قد أخبر هو بما لديه من أليم العقاب وما لمن كذب عليه وافترى . هذا لا يصدر إلا من شر عباد الله وأجرئهم وأخبثهم ومثل هذا لا يخفى أمره على الصبيان في المكاتب فكيف بأولي الاحلام والنهى الذين بذلوا أنفسهم واموالهم وفارقوا أولادهم وأوطانهم وعشائرهم في حبه وطاعته رضي الله تعالى عنهم وصلى الله عليه وسلم في تعاقب الليل والنهار ومن ذلك ما أخبر صلى الله عليه وسلم به في هذا القرآن وفيما صح عنه من الأحاديث من الغيوب المستقبلة المطابقة لخبره حذو القذة بالقذة مما يطول استقصاؤه ها هنا ومن ذلك ما أظهره الله تعالى على يديه من خوارق العادات الباهرة فمن ذلك ما أخبر عز وجل عنه في كتابه العزيز من انشقاق القمر وذلك أن المشركين سألوه آية وكان ذلك ليلا فأشار إلى القمر فصار فرقين فسألوا من حولهم من الأحياء لئلا يكون قد سحرهم فأخبروهم بمثل ما رأوا وهذا متواتر عنه عند أهل العلم بالأخبار وقد رواه غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومن ذلك ما ظهر ببركة دعائه في أماكن كثيرة ومتعددة وقد جمع الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى كتابا شافيا في ذلك مقتديا بمن تقدمه في ذلك كما اقتدى به كثيرون بعده رحمه الله تعالى من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم دعا الله تعالى في السخلة التي كانت مع ابن مسعود في الرعي وسمى الله وحلبها فدرت عليه فشرب وسقى أبا بكر وكذلك فعل في شاة أم معبد ودعا للطفيل بن عمروا فصارت له آية في طرف سوطه نور يلمع يرى من بعد وكذلك حصل لأسيد بن الحضير وعباد بن بشر الأنصاري وقد خرجا من عنده في ليلة ظلماء ودعا الله على السبعة الذين سخروا منه وهو يصلي فقتلوا ببدر ودعا على أبي لهب فسلط عليه السبع بالشام وفق دعائه عليه السلام ودعى على سراقة فساخت قوائم فرسه في الأرض ثم دعا الله فأطلقها ورمى كفار قريش في بدر بقبضة من حصباء فأصاب كلا منهم شيء منها وهزمهم الله

وكذلك فعل يوم حنين . وأعطى يوم بدر لعكاشة بن محصن جذلا من حطب فصار في يده سيفا ماضيا وأخبر عمه العباس وهو أسير بما دفن هو وأم الفضل من المال تحت عتبة بابهم فأقر له بذلك وأخبر عمير بن وهب بما جاء له من قتله معتذرا بأنه جاء في فداء أسارى بدر فاعترف له بذلك وأسلم من وقته رضي الله عنه ورد يوم أحد عين قتادة بن النعمان الظفري بعد أن سالت على خده وقيل بعدما صارت في يديه فصارت أحسن عينيه فلم تكن تعرف من الأخرى وأطعم يوم الخندق الجم الغفير الذين يقاربون ألفا من سخلة وصاع شعير ببيت جابر كما أطعم يومئذ من تمر يسير جاءت به ابنة بشير وكذلك أطعم نحو الثمانين من طعام كادت تواريه يده المكرمة وكذلك فعل يوم أصبح عروسا بزينب بنت جحش وأما يوم تبوك فكان أمرا هائلا أطعم الجيش وملأوا كل وعاء معهم من قدر ربضة العنز طعاما وأعطى أبا هريرة رضي الله عنه مزودا فأكل منه دهره وجهز منه في سبيل الله شيئا كثيرا ولم يزل معه إلى أيام مقتل عثمان وأشياء أخرى من هذا النمط يطول ذكرها مجردة ودعا الله تعالى لما قحطوا فلم ينزل عن المنبر حتى تحدر الماء على لحيته صلى الله عليه وسلم من سقف المسجد وقد كان قبله لا يرى في السماء سحابة ولا قزعة ولا قدر الكف ثم لما استصحى لهم إنجاب السحاب عن المدينة حتى صارت المدينة في مثل الإكليل ودعا الله على قريش فأصابهم من الجهد ما لا يعبر عنه حتى استرحموه فعطف عليهم فأفرج عنهم وأتي بإناء فيه ماء ليتوضأ به فرغب إليه أقوام هناك أن يتوضؤوا معه فوضع يده في ذلك الإناء فما وسعها ثم دعا الله فنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وأتي بإناء فيه ماء ليتوضأ به وكذلك فعل يوم الحديبية وكان الجيش ألفا وأربعمائة قال جابر ولو كنا مائة ألف لكفانا وكذلك فعل في بعض أسفاره بقطرة من ماء في سقاء قال الراوي لما أمرني أن أفرغها في الوعاء خشيت أن يشربها يابس القربة فوضع يده فيها ودعا الله تعالى فنبع الماء من بين أصابعه لأصحابه حتى توضؤوا وشربوا وكذلك بعث سهمه الى عين الحديبية فوضعت فيها فجاشت بالماء حتى كفتهم وكذلك فعل يوم ذات السطيحتين سقى أصحابه وتوضؤوا وأمر بعضهم فاغتسل من جنابة كانت عليه ولم ينقص من تلك المزادتين اللتين للمرأة شيء فذهبت الى قومها فقالت رأيت اليوم أسحر أهل الأرض أو إنه لنبي ثم أسلمت وأسلم قومها رضي الله عنهم وفيما ذكرنا كفاية إن شاء الله تعالى وقد أخبر بالغيوب المستقبلية المطابقة لخبره كما أخبر الله عزوجل في كتابه من

إظهار دينه وإعلاء كلمته واستخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمته في الأرض وكذلك كان وأخبر بغلبة الروم فارس في بضع سنين فكان كذلك وأخبر صلى الله عليه وسلم قومه الذين كانوا معه في الشعب أن الله قد سلط على الصحيفة الأرضة فأكلتها إلا ما كان من ذكر الله وكان كذلك وأخبر يوم بدر قبل الوقعة بيوم بمصارع القتلى واحدا واحدا فكان كما أخبر سواء بسواء وأخبر أن كنوز كسرى وقيصر ستنفق في سبيل الله فكان كذلك وبشر أمته بأن ملكهم سيمتد في طول الأرض فكان كذلك وأخبر أنه لا تقوم الساعة حتى تقاتل أمته قوما صغار الأعين ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة وهذه حلية التتار فكان كذلك وأخبر بقتال الخوارج ووصف لهم ذا الثدية فوجد كما وصف سواء بسواء وأخبر أن الحسن بن علي رضي الله عنهما سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك وأخبر بأن عمارا ستقتله الفئة الباغية فقتل يوم صفين مع علي رضي الله عنهما وأخبر بخروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى وكان ظهور هذه في سنة بضع وخمسين وستمائة وتواتر امرها وأخبرت عمن شاهد إضاءة أعناق الإبل ببصرى وأخبر بجزئيات كانت وتكون بين يدي الساعة يطول بسطها وفي الكتب المتقدمة البشارة به كما أخبر الله تعالى ان ذلك في التوارة والإنجيل مكتوب وكما أخبر عن نبيه عيسى عليه السلام أنه قال ( ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ) وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو وأنه وجد صفته صلى الله عليه وسلم في التوارة وذكرها وفي التوارة اليوم التي يقر اليهود بصحتها في السفر الأول أن الله تعالى تجلى لإبراهيم وقال له ما معناه فاسلك في الأرض طولا وعرضا لولدك تعظيما ومعلوم أنه لم يملك مشارق الأرض ومغاربها إلا محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيح عنه أنه قال إنه زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وفيه أيضا إن الله تعالى قال لإبراهيم إن اسحاق يكون لك منه نسل وأما إسماعيل فإني باركته وكثرته وعظمته وجعلت ذريته بنجوم السماء الى أن قال وعظمته بماذماذ أي بمحمد وقيل بأحمد وقيل جعلته عظيما عظيما . وفيه إن الله وعد إبراهيم أن ولده إسماعيل تكون يده عالية على كل الأمم فكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يسكن وقد علم اهل الكتاب وغيرهم أن إسماعيل لم يدخل قط الشام ولا علت يده على إخوته وإنما كان هذا لولده محمد صلى الله عليه وسلم ولا ملك الشام ومصر من العرب أحد قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإن

فتحهما كان في خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما وفي السفر الرابع من التوارة التي بأيديهم اليوم ما معناه نبي أقيم لهم من أقاربهم من أخيهم مثلك يا موسى أجعل نطقي بفيه ومعلوم لهم ولكل أحد أن الله عزوجل لم يبعث من نسل إسماعيل سوى محمد صلى الله عليه وسلم بل لم يكن في بني إسرائيل نبي يماثل موسى إلا عيسى عليه السلام وهم لا يقرون بنبوته ثم ليس هو من إخوتهم بل هو منتسب إليهم بأمه مريم عليها السلام فتعين ذلك في محمد صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما ختمت به التوارة في اخر السفر الخامس ما معناه جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى هذا أن الله جاء شرعه ونوره من طور سيناء الذي كلم موسى عليه وأشرق من ساعير وهو الجبل الذي ولد به عيسى عليه السلام وبعث فيه واستعلى من جبال فاران وهي مكة بدليل أن الله أمر إبراهيم صلى الله عليه وسلم أن يذهب بإسماعيل الى جبال فاران وقد استشهد بعض العلماء على صحة هذا بأن الله سبحانه أقسم بهذه الأماكن الثلاثة فترقى من الأدنى الى الأعلى في قوله تعالى ( والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين ) ففي التوراة ذكرهن بحسب الوقوع الاول فالأول وبحسب ما ظهر فيهن من النور وفي القرآن لما أقسم بهن ذكر منزل عيسى ثم موسى ثم محمد صلاة الله وسلامه عليهم اجمعين لأن عادة العرب إذا أقسمت ترقت من الأدنى الى الأعلى وفي الإنجيل ذكر الفا رقليط موصوفا بصفات محمد صلى الله عليه وسلم سواء بسواء وأما كلام أشعيا وأرميا فظاهر جدا لكل من قرأه ولله الحمد والمنة والحجة البالغة .

الدعوة السرية

كان النبى (صلى الله عليه وسلم) يعلم تمام العلم عناد قريش وكبرياءها وإصرارها على التمسك بالقديم، واعتزازها بآبائها وأجدادها وعبادتها للأصنام . لذا فلن تُسلّم بسهولة، أو تذعن لدعوته، بل ستقاومه حتى آخر سهم فى جعبتها ، لأنها اعتقدت أن الإسلام يهَدد مصالحها ويقضى على سيطرتها على مكة وماحولها ، ولو علمت أن الإسلام سيجعلها سيدة العالم ما قاومته لحظة واحدة ولرحَّبت بدعوته . أدرك النبى (صلى الله عليه وسلم) ذلك فقرَّر أن تكون دعوته لدينه سرا فى بادئ الأمر ، وبدأ فى دعوة أصدقائه وأقرب الناس إليه،ومن يأنس فيهم خيرًا واستعدادًا لقبول الحق والهُدى، فآمن به إلى جانب من ذكرنا عدد من رجالات قريش ونسائها

وطائفة من العبيد والفقراء والضعفاء الذين رأوا فى الدين الجديد الخلاص مما هم فيه من شقاء وبؤس، مثل: بلال بن رباح و صهيب الرومى و آل ياسر وكان النبى (صلى الله عليه وسلم) يجتمع بمن أسلم سرا فى دار الأرقم بن أبى الأرقم يتلو عليهم آيات القرآن الكريم،ويعلمهم شرائع الإسلام واستمرت هذه الدعوة السرية نحو ثلاث سنوات، ازداد فيها عدد المسلمين زيادة يسيرة . ويبدو أن خبر الدعوة لم يعد سرا بصورة مطلقة بالنسبة إلى قريش فقد تسرَّب إليها ، لكنها لم تعبأ بهذا فى البداية، ولعلها كانت واثقة بقوتها وقدرتها على مقاومة هذه الدعوة من ناحية،وواثقة بأن حملها على ترك دين آبائها وأجدادها أمر صعب من ناحية أخرى .

## الجهر بالدعوة وموقف قريش

أمر الله تعالى نبيه محمدًا (صلى الله عليه وسلم) أن يجهر بالدعوة بعد مضى ثلاث سنوات من الدعوة سرا ، فقال ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ وقال تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون ﴾ وامتثالا لهذا الأمر الإلهى بدأ النبى بدعوة الأقربين من أهله وعشيرته إلى الإسلام وصنع لهم طعامًا فى بيته وبعد أن تناولوه حدّثهم قائلا ( ما أعلم إنسانًا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به،فقد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة وقد أمرنى ربى أن أدعوكم إليه،فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر ) فأعرضوا عنه جميعًا ، وهمُّوا بتركه عدا على بن أبى طالب وانصرفوا دون أن يستجيبوا لدعوة النبى غير أنهم لم يبادئوه بأذى فى أول الأمر، غير أن عداوتهم له بدأت حين شرع فى تسفيه آلهتهم .

## الجهاد فى العهد المكى

قد يفهم بعض الناس أن المقصود بالجهاد الحرب فقط، لكنه في الواقع يعنى كثيرًا من أنواع الجهاد فالصبر على الأذى والمكاره لا يقل أهمية عن الجهاد بالسلاح وقد تحمَّل النبى (صلى الله عليه وسلم ) هو وأصحابه صنوفًا من الأذى صبَّها عليهم المشركون فى الفترة المكية فكانوا يسبونه ويتعرضون له ويرجمونه بالحجارة ويلقون عليه القاذورات ، وأشهر من صنع ذلك معه: عقبة بن أبى معيط وأبو جهل الذى حاول قتل النبى (صلى الله عليه وسلم) عند الكعبة وكان موقفهم هذا من النبى (صلى الله عليه وسلم) عنادًا له وحسدًا من عند أنفسهم لأنهم كانوا يعرفون أن دينه حق وأن

الذى يأتيه وحى من السماء ولكن حال الحسد بينهم وبين اتباعه وتصديقه وصبَّ المشركون جام غضبهم على المستضعفين من المسلمين وأذاقوهم ألوانا من العذاب مثل: بلال بن رباح الذى لم ينقذه من العذاب إلا أبو بكر الصديق الذى اشتراه من سيده أمية بن خلف وأعتقه، وآل ياسر وكانوا يُعذَّبون إذا حميت الظهيرة برمضاء مكة وكان الرسول يمر بهم ولا يملك أن يمنع عنهم العذاب،فيقول لهم صبرًا آل ياسر فموعدكم الجنة فصبروا واحتملوا ولم يتخلوا عن دينهم حتى إن أم عمار طعنها أبو جهل بحربة فقتلها وهى على إسلامها .

الهجرة إلى الحبشة

اشتد الأذى والتعذيب بأصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) دون أن يقدر على الدفاع عنهم وكان هو فى منعة من أهله إلى حد ما ، يقف بجانبه أبو طالب يدفع عنه الأذى ففكَّر لهم فى مخرج مما يلاقونه من التعذيب فقال لهم (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنبها ملكًا لا يُظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه ) فخرج بعض المسلمين إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرُّوا إلى الله بدينهم، وكانت هجرتهم أول هجرة فى الإسلام وبلغ عددهم عشرة رجال وأربع نسوة منهم: عثمان بن عفان وزوجته رُقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم خرجت مجموعة أخرى من المسلمين إلى الحبشة كان عددها أكبر من الأولى إذ بلغوا نحوًا من ثمانين رجلا وامرأة وظلوا مدة طويلة فى الحبشة بعد أن وجدوا الأمن والحماية من ملكها وعادت آخر مجموعة من هناك مع جعفر فى أول السنة السابعة من الهجرة .

إسلام عمر بن الخطاب

بعد هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة أسلم عمر بن الخطاب وكان إسلامه حدثًا كبيرًا فى مكة ونصرًا عظيمًا للإسلام إذ كان من الشخصيات القوية فى مكة ومن أشد أعداء المسلمين، حتى إنه أسلم فى الوقت الذى عزم فيه على الذهاب لقتل الرسول (صلى الله عليه وسلم) فأراد الله به الخير واستجاب الله لدعوة النبى الذى كان دائمًا يردد (اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين ) عمر بن الخطاب . وعمرو بن هشام المعروف بأبي جهل . وبإسلام عمر قوى موقف المسلمين كما اشتد من قبل بإسلام حمزة بن عبد المطلب عمّ النبى (صلى الله عليه وسلم) وأهاب بالمسلمين أن

يصلوا عند الكعبة تحت حمايته فغلبت قريش على أمرها، لمعرفتها بقوة شكيمة عمر ومضاء عزيمته فلم تتعرَّض لهم وبدأت تلجأ إلى أسلوب آخر في مواجهة الدعوة وهو أسلوب المقاطعة.

أسلوب المقاطعة

استعملت قريش مع النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه أساليب العنف والتعذيب والاضطهاد فلم تنجح في ردهم عن دعوتهم فلجأت إلى أسلوب الترغيب والمساومة فعرضت على النبي (صلى الله عليه وسلم) الملك والسيادة والمال، فرفض عرضهم لأنه لم يكن طالب ملك أو جاه بل رسولا جاء من الله برسالة سماوية تحمل الخير والعدل ولابد من تبليغها ثم وسَّطوا أبا طالب ليكف محمدًا عن تسفيه آلهتهم في مقابل ما يريد من ملك أو جاه فكلمه قائلا: إن القوم يطلبون منك أن تكف عن سب آلهتهم، فأبق عليَّ وعلى نفسك فأجابه النبي بكلمات قليلة، لكنها قاطعة وحاسمة: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلكَ دونه. سمع أبو طالب هذا الرد الحاسم، وأدرك إصرار النبي (صلى الله عليه وسلم) على السير في طريق الدعوة مهما تكن الصعاب والمشاق، فقال له في رقة بالغة يا ابن أخي امضِ فيما أنت فيه، فوالله لن أسلمك لشيء تكرهه أبدًا ولما لم تنجح كل هذه الوسائل في ثني النبي (صلى الله عليه وسلم) عن تبليغ دعوته، ورد أصحابه عن دينهم الجديد لجأت قريش إلى أسلوب المقاطعة ولم يكن هذا مألوفا في بلاد العرب ولعله لم يكن مألوفًا كذلك في أي مكان في العالم آنذاك، ففرضت حصارًا على بني هاشم و بني المطلب جميعًا، ممن يقفون مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ويذودون عنه، سواء من أسلم منهم أو لم يسلم، وقررت ألا تبيع لهم أو تشتري منهم وألا تزوجهم أو تتزوج منهم وألا تتزاور معهم عقابًا لهم على مساندتهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) وكتبوا بتلك المقاطعة وثيقة في صحيفة علقوها في الكعبة ليكون لها احترام والتزام واستمر هذا الحصار القاسي المجرد من الإنسانية نحو ثلاث سنوات عانى منه بنو هاشم و بنو المطلب أشدَّ المعاناة وهم صابرون صامدون لم يتخلَّ أحدٌ منهم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) سوى أبو لهب حتى تحركت النخوة والشهامة في نفوس بعض رجالات قريش كزهير بن

أبى أمية المخزومى و المطعم بن عدى و أبى البُختري بن هشام لما رأوا ما يعانيه بنوهاشم و بنو المطلب من هذه المقاطعة الظالمة فسعوا فى نقضها وإنهائها وأقسموا على تمزيق الصحيفة وكان لهم ما أرادوا ، فخرج النبى وأصحابه من شعبهم الذى كانوا محاصرين فيه ليستأنف رسول الله (صلى الله عليه وسلم ) دعوته إلى دين الله .

عام الحزن

استأنف النبى (صلى الله عليه وسلم) دعوته بعد انتهاء المقاطعة واستبشر المسلمون خيرًا بعهد جديد يمارسون فيه حياتهم الطبيعية لكن وقع للنبى حدثان جليلان فى عام واحد وهو العام العاشر من البعثة فقد مات كل من عمه أبى طالب وزوجته خديجة وكانا نعم العون له والمساندة فى تبليغ رسالته وعلى الرغم من ذلك فإن النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يضعف ولم تهن له عزيمة ومضى واثقًا بنصر الله يبلغ رسالة الله إلى العالمين .

رحلته إلى الطائف

أراد النبى (صلى الله عليه وسلم) أن يخرج بالدعوة من نطاق مكة لعله يجد نصيرًا أو معينًا بعد المضايقات الشديدة التى لقيها من قريش وبخاصة بعد موت خديجة و أبى طالب فقرر الذهاب إلى الطائف لعرض دعوته على ثقيف رجاء إيمانها به وبرسالته، لكنهم رفضوا ما عرضه عليهم ولم يكتفوا بذلك بل سبُّوه وأهانوه وسلطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم ليضربوه بالحجارة،فتأثر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبلغ إحساسه بالألم مداه فجأر بالشكوى إلى الله قائلا «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، ياأرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى، أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات،وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك، أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» وبعد أن قال الرسول هذا الكلام المؤثر جاءه جبريل ومعه ملك الجبال عليهما السلام، فقال له ملك الجبال: «إن شئتَ أن أُطبق عليهم

الأخشبين» فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) : «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا ، ودعا لهم قائلا: « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون» .

## رحلة الإسراء والمعراج

فى هذا الجو الذى بدا قاتمًا وحزينًا بعد موت أبى طالب و خديجة بنت خويلد وما لقيه النبى من أهل الطائف والقبائل من عنت وإيذاء، أراد الله تعالى أن يسرّى عنه (صلى الله عليه وسلم) وأن يعلمه ويطمئنه، فأسرى به إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السماء وموجز هذه الحادثة كما ترويها كتب الحديث والسيرة هي : أن النبى (صلى الله عليه وسلم) كان فى بيت أم هانئ بنت أبى طالب فجاءه جبريل ومعه البراق (وهى دابة أصغر من البغل وأكبر من الحمار) وأخذه إلى بيت المقدس فى فلسطين حيث وجد فى استقباله جمعًا من الأنبياء، فيهم إبراهيم و موسى و عيسى عليهم السلام جميعًا فصلى بهم إمامًا ركعتين، ثم عرج إلى السماوات العلى، حيث التقى بعدد من الأنبياء، وتحدث إليهم وحيوه وهنئوه، ثم ارتقى فوق السماوات العلى لمناجاة ربه، وتلك مكانة لم يبلغها نبى ولا رسول ولا ملك من الملائكة المقربين، وفى هذا اللقاء فرضت الصلوات الخمس، وقد أراه الله من آياته الكبرى، فرأى الجنة وما أعده الله من نعيم للمتقين ورأى النار وما أعده الله من عذاب للكافرين . ثم عاد إلى مكة فى الليلة نفسها مزودًا بهذه الطاقة الروحية الهائلة .

## تفاصيل رحلة الإسراء والمعراج

لما للإسراء والمعراج من علاقة بكتابي هذا من حيث التقاء سيدنا محمد عليه السلام بجمع من الانبياء على اختلاف أنسابهم وتنوع أديانهم أدرج بعد الإشارة السابقة تفصيلا بسيطا حول الإسراء والمعراج فأقول جاء في كتب السيرة أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة في ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين وكان إلى بيت المقدس أما المعراج فكان إلى السموات وفرضت عليه في تلك الليلة الصلوات الخمس . وقد ذكر القرآن الإسراء في سورة الإسراء في قوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) كما ذكر المعراج في سورة النجم في قوله تعالى (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) الآيات . وقصتهما باختصار هي : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم في الحجر ، إذ جاءني جبريل ، فهمزني بقدمه ، فجلست فلم أر شيئًا ، فعدت إلى مضجعي ، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه ، فجلست ولم أر شيئًا ، فعدت إلى مضجعي ، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه ، فجلست فأخذ بعضدي ، فقمت معه ، فخرج بي إلى باب المسجد ، فإذا دابة أبيض ، بين البغل والحمار ، في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع يده في منتهى طرفه . قال فلما دنوت منه لأركبه شَمَس ، فوضع جبريل يده على مَعرفته ، ثم قال : ألا تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه . قال : فاستحيا حتى ارفضّ عرقا ثم قر حتى ركبته (قال) ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلى بهم ثم أُتي بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلا يقول حين عُرضت علي : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هُدي وهديت أمته . قال : فأخذت إناء اللبن ، فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : هُديت وهديت أمتك يا محمد . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لما فرغت مما كان في بيت المقدس ، أُتي بالمعراج ، ولم أر شيئا قط أحسن منه ، وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حُضر ، فأصعدني صاحبي فيه ، حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء ، يقال له : باب الحفظة ، عليه ملك من الملائكة ، يقال له : إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك ، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك – قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث : وما يعلم جنود ربك إلا هو – فلما دُخل بي ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا محمد . قال : أوقد بعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لي بخير ، قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم يلقني ملك إلا ضاحكا مستبشرا ، يقول خيرا ويدعو به ، حتى لقيني ملك من الملائكة ، فقال مثل ما قالوا ، ودعا بمثل ما دعوا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره ، فقلت لجبريل : يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك إلي ، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم ؟ قال : فقال لي جبريل : أما إنه لو

ضحك إلى أحد كان قبلك ، أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك ، لضحك إليك ، ولكنه لا يضحك هذا مالك صاحب النار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم ( مطاع ثم أمين ) : ألا تأمره أن يُريني النار ؟ فقال : بلى ، يا مالك ، أرِ محمدا النار . قال : فكشف عنها غطاءها ، فقال : ففارت وارتفعت ، حتى ظننت لتأخذن ما أرى . قال فقلت لجبريل : يا جبريل ، مُرْه فليردها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها : اخبي ، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه . فما شبَّهت رجوعها إلا وقوع الظل حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها . وقال أبو سعيد الخدري في حديثه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دخلت السماء الدنيا ، رأيت بها رجلا جالسا تُعرض عليه أرواح بني آدم ، فيقول لبعضها إذا عُرضت عليه خيرا ويُسّر به ، ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ؛ ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه : أف ، ويعبس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرت به روح الكافر منهم أفف منها وكرهها ، وساءه ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل ، في أيديهم قطع من نار كالأفهار ، يقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أدبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما . قال : ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون ، يمرون عليهم كالإبل المهيومة حين يُعرضون على النار ، يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا . قال : ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم ثمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن . قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهنّ ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدري ، قال ثم أصعدني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، قال : ثم أصعدني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته

كصورة القمر ليلة البدر ؛ قال : قلت من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أصعدني إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس – قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ورفعناه مكانا عليا – قال : ثم أصعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية ، عظيم العثنون ، لم أر كهلا أجمل منه ؛ قالت : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال هذا المحبَّب في قومه هارون بن عمران . قال : ثم أصعدني إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدم طويل أقنى ، كأنه من رجال شنوءة ؛ فقلت له : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أصعدني إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ؛ قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بي الجنة ، فرأيت فيها جارية لعساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتني حين رأيتها ؛ فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشَّر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة . قال ابن إسحاق : ومن حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السماوات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ؛ فيقولون : أوقد بعث إليه ؟ فيقول : نعم فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب . حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأقبلت راجعا ، فلما مررت بموسى بن عمران ، ونعم الصاحب كان لكم ، سألني كم فُرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كل يوم ؛ فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي ، فوضع عني عشرا . ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك ؛ فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي ، فوضع عني عشرا . ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي ، فوضع عني عشرا . ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قال : فارجع فاسأل ربك ، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني ، إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة . ثم رجعت إلى موسى ، فقال لي مثل ذلك ، فقلت : قد راجعت ربي وسألته ، حتى استحييت منه ،

فما أنا بفاعل . قال رسول الله فمن أَدَّاهنّ منكم إيمانا بهن ، واحتسابا لهن ، كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة .

وقت معجزة الإسراء

كما سبق فقد اختلف في تعيين زمن الإسرء والمعراج على أقوال شتى : 1 . قيل :كان الإسراء في السنة التي أكرمه الله فيها بالنبوة ، اختاره الطبري . 2 . قيل كان بعد المبعث بخمس سنين ، رجح ذلك النووي والقرطبي . 3 . قيل : كان ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة 10 من النبوة ،واختاره العلامة المنصورفوري . 4 . قيل: قبل الهجرة بستة عشر شهرا ،أي في رمضان سنة 12 من النبوة 5 . قيل: قبل الهجرة بسنة وشهرين ، أي في المحرم سنة 13 من النبوة . 6 قيل: قبل الهجرة بسنة ، أي في ربيع الأول سنة 13 من النبوة . وقد وردت الأقوال الثلاثة الأول بأن خديجة رضي الله عنها توفيت في رمضان سنة عشر من النبوة ، وكانت وفاتها قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ولا خلاف أن فرض الصلوات الخمس كان ليلة الإسراء .أما الأقوال الثلاثة الباقية فلم أجد ما أرجح به واحدا منها ، غير أن سياق سورة الإسراء يدل على أن الإسراء متأخر جدا .

هل كان الإسراء بالروح أم بالجسد

قال الدكتور سعيد البوطي : كان الإسراء والمعراج بكل من الروح والجسد معا . على ذلك اتفق جمهور المسلمين من المتقدمين والمتأخرين . قال النووي في شرح مسلم ما نصه :"والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده صلى الله عليه وسلم، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ، ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل"ويقول ابن حجر في شرحه على البخاري "إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسده وروحه، وإلى هذا ذهب جمهور من علماء الحديث والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل"ومن الأدلة التي لا تقبل الاحتمال، على أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح، ما ذكرنا من استعظام مشركي قريش ذلك، وتعجبهم للخبر وسرعة تكذيبهم له . إذ لو كانت المسألة مسألة رؤيا وكان إخباره إياهم لذلك على هذا الوجه، لما استدعى الأمر منهم أي تعجب

واستعظام أو استنكار، لأن المرئيات في النوم لا حدود لها، بل يجوز مثل هذه الرؤيا حينئذ على المسلم والكافر. ولو كان الأمر كذلك لما سألوه أيضا عن صفات بيت المقدس وأبوابه وسواريه بقصد الإلزام والتحدي. أما كيف تمت هذه المعجزة وكيف يتصورها العقل؟ فكما تتم كل معجزة من معجزات الكون والحياة. لقد قلنا آنفا إن كل مظاهر هذا الكون ليست في حقيقتها إلا معجزات فكما تتصورها العقول في سهولة ويسر يمكن لها أن تتصور هذه أيضا في سهولة ويسر.

تحذير من الخرافات

أخي القارئ أحذر وأنت تبحث عن قصة الإسراء والمعراج أن تركن إلى ما يسمى بـ (معراج ابن عباس) فهو كما قال المحققون: كتاب ملفق من مجموعة أحاديث باطلة لا أصل لها ولا سند، وقد شاء ذلك الذي فعل فعلته هذه أن يلصق هذه الأكاذيب با بن عباس رضي الله عنه وقد علم كل مثقف بل كل إنسان عاقل أن ابن عباس بريء منه وأنه لم يؤلف أي كتاب في معراج الرسول صلى الله عليه وسلم، بل وما ظهرت حركة التأليف إلا في أواخر عهد الأمويين.

أخوة الأنبياء

يقول الشيخ محمد الغزالي: وفي قصة الإسراء والمعراج تلمح أواصر القربى بين الأنبياء كافة، وهذا المعنى من أصول الإسلام ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ) والتحيات المتبادلة بين النبي وإخوته السابقين توثق هذه الآصرة ففي كل سماء أحل الله فيها أحد رسله كان النبي يُستقبل فيها بهذه الكلمة: مرحبا بالأخ الصالح والخلاف بين الأنبياء وهمٌ صنعته الأمم الجائرة عن السبيل السوي، أو بالأحرى صنعه الكهان والمتاجرون بالأديان أما محمد فقد أظهر أنه مُرسَل لتكملة البناء الذي تعهّده مَن سبقوه، ومنع الزلازل من تصديعه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَثلي ومَثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون به! ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين" (قال) والأديان المعتمدة على الوحي السماوي معروفة، وليس منها ـ بداهة ـ ما اصطنعه الناس لأنفسهم من أوثان وطقوس كالبرهيمة والبوذية وغيرهما. وليس منها كذلك ما ابتدع أخيرا من نِحَل احتضنها الاستعمار الغربي وكثر

الأنصار حولها ليشدد الخناق على مَقَاتل الشرق ويعوق المسلمين الأحرار عن حطم قيوده وإنقاذ عبيده وذلك كالبهائية والقاديانية ومن الممكن . لو خلصت النيات ونشد الحق . أن توضع أسس عادلة لوحدة دينية تقوم على احترام المبادئ المشتركة وإبعاد الهوى عن استغلال الفروق الأخرى إلى أن تزول على الزمن أو تستنكر حدتها والإسلام الذي يعد تعاليمه امتدادا للنبوات الأولى ولبنة مضافة إلى بنائها العتيد أول من يرحب بهذا الاتجاه ويزكيه .

( فائدة ) عدد الأنبياء ( 124000 ) وعدد الرسل منهم ( 314 ) وعدد الرسل المذكورين في القرآن ( 25 ) وهم الواجب معرفتهم باسمائهم وهم : سادتنا ( آدم ونوح وادريس وهود وصالح واليسع وذوالكفل والياس ويونس وأيوب وابراهيم ولوط واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وداوود وسليمان وشعيب وموسى وهارون وزكرياء ويحي وعيسى ومحمد ) عليهم الصلاة والسلام . ومن هؤلاء اولي العزم الخمسة وهم ( نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ) عليهم السلام .

سلامة الفطرة

( قال الغزالي ) وفي ليلة الإسراء والمعراج تأكدت الصفة الأولى لهذا الدين وهي أنه دين الفطرة . ففي الحديث " ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من لبن، فأخذت اللبن . قال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك" . إن سلامة الفطرة لب الإسلام، ويستحيل أن تفتح أبواب السماء لرجل فاسد السريرة عليل القلب . إن الفطرة الرديئة كالعين الحمئة لا تسيل إلا قذرا وسوادا، وربما أخفى هذا السواد الكريه وراء ألوان زاهية، ومظاهر مزوقة . بيد أن ما ينطلي على الناس، لا يخدع به رب الناس . ويوم تكون العبادات نفسها ستارا لفطرة فاسدة، فإن هذه العبادات الخبيثة تعتبر أنزل رتبة من المعاصي الفاجرة . والناس كلما تقدمت بهم الحضارات، أمعنوا في التكلف والمصانعة، وقيدوا أنفسهم بعبادات وتقاليد قاسية . وأكثر هذه التكلفات حجب تطمس مهج الفطرة وتعكر نقاوتها وطلاقتها وليس أبغض إلى الله من أن تفتري هذه القيود باسم الدين وأن تترك النفوس في سجونها مغلولة كئيبة .

لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس، ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة؟ إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم فقد ظلت النبوات دهورا طوالا وهي وقف على بني إسرائيل وظل بيت المقدس مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض وقصة الوطن المحبب إلى شعب الله المختار . فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام السماء حلت بهم لعنة الله وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد . ومن ثم كان مجيء الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم انتقالا بالقيادة الروحية في العالم من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل وقد كان غضب اليهود مشتملا لهذا التحول مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره ( بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فباءوا بغضب على غضب) لكن إرادة الله مضت وحملت الأمة الجديدة رسالتها وورث النبي العربي تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها فكان من وصل الحاضر بالماضي وإدماج الكل في حقيقة واحدة أن يُعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين في الإسلام وأن ينتقل إليه الرسول في إسرائه فيكون هذا الانتقال احتراما للإيمان درج قديما في رحابه . ثم يجمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية في هذه الأرض وما حولها ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة .

إن النبوات يصدق بعضها بعضا ويمهد السابق منها اللاحق وقد أخذ الله الميثاق على أنبياء بني إسرائيل بذلك ( وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ) وفي السنة الصحيحة أن الرسول صلى بإخوانه الأنبياء ركعتين في المسجد الأقصى، فكانت هذه الإمامة إقرارا مبينا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه أخذت تمامها على يد محمد بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين . والكشف عن منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ليس مدحا يساق في حفل تكريم بل هو بيان حقيقة مقررة في عالم الهداية منذ تولت السماء إرشاد الأرض ولكنه جاء في إبانه المناسب فإن جهاد الدعوة الذي حمله محمد صلى الله عليه وسلم على كواهله عرضه لعواصف عاتية من البغضاء والافتراء ومزق شمل أتباعه فما ذاقوا

مذ آمنوا به راحة الركون إلى الأهل والمال . وكان آخر العهد بمشاق الدعوة طرد (ثقيف) له ثم دخوله البلد الحرام في جوار مشرك . إن هوانه على الناس منذ دعاهم إلى الله جعله يجأر إلى رب الناس، شاكيا راجيا فمن تطمين الله له ومن نعماته عليه أن يهيء له هذه الرحلة السماوية لتمس فؤاده المعني ببرد الراحة وليشعر أنه بعين الله منذ قام يوحده ويعبده ويُعلم البشر توحيده وعبادته كان يقول (إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي) فالليلة علم أن حظه من رضوان الله جزيل وأن مكانته بين المصطفين الأخيار موطدة مقدمة .

إن الإسراء والمعراج يقعان قريبا من منتصف فترة الرسالة التي مكثت ثلاثة وعشرين عاما وبذلك كانا علاجا مسح متاعب الماضي، ووضع بذور النجاح للمستقبل .

إن رؤية طرف من آيات الله الكبرى في ملكوت السموات والأرض له أثره الحاسم في توهين كيد الكافرين، وتصغير جموعهم، ومعرفة عقباهم . وقد عرف محمد في هذه الرحلة أن رسالته ستنساح في الأرض وتتوطن الأدوية الخصبة في النيل والفرات وتنتزع هذه البقاع من مجوسية الفرس وتثليث الروم بل إن أهل هذه الأودية سيكونون حملة الإسلام جيلا في أعقاب جيل وهذا معنى رؤية النيل والفرات في الجنة وليس معناه أن مياه النهرين تنبع من الجنة كما يظن السذج والبله لقد روى الترمذى مثلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده، فإنه خرج من الجنة" فهل ذلك يدل على أن الريحان من الجنة ونحن نقطف أزهاره من الحقول والحدائق ؟

قصيدة سي احمد سبخاوي بن المسعود الموفقي

قلت وبما أن شعراءنا قد أدلوا بدلوهم في موضوع الإسراء والمعراج فها هي ذي قصيدة للشيخ سي احمد سبخاوي بن المسعود الموفقي الجزائري وكم سمعها منه جماعتنا في عين الإبل وكان ينشدنا متأثرا ومؤثّرا رحمه الله وإيانا بمنه وكرمه والقصيدة بتمامها هي :

| | |
|---|---|
| الـــــله الـــــله الـــــله | يـــــا راحيم العبــــــد |
| صــــلي علــــى الرســـول | طاهــــــا محمــــــدَ |
| بـــــــسم الله الغفــــــار | نبـــدا هـــذا الأشـــعارَ |
| علــــى الـــنبي المختــــار | الرســــــول الهــــــاديِ |

صلى الله عليه    والآل وصحبه

ماناح طير لوكره    بالصوت مغردي

من أتى بالتنزيل    وانسخ به الإنجيل

والتوراةُ مثيل    وازداد بيه الرشد

من نطقْ الغزالا    وزاد ضب الفلا

وخالصّ جملا    من كيد ظلم العدي

الإسرا والمعراج    والنور فيها وهاد

هوايشاكي وايحاج    في أمر العباد

في ليلت الإسرا    اسمع ماذا جرى

بها تمت حضرا    في القدس الموعد

أوتي بالبراق    مسروج شاطر خفاق

مُزود بالأخلاق    مركوب طاها الهادي

في السيرْ ماهو امهين    وايفوت رمشتْ العين

به وصلو في الحين    لأقصى مسجد

الأنبيا صفوف    بالأملاك محفوف

صلى بيهم ألوف    رحمه للعباد

صلى بهم إمام    بإذن من العلام

هذا أشرف مقام    لخير مرشد

المؤتمر عقدوه    والخير فيه جمعوه

للأمة سجلوه    بماء العسجد

أتى وقت الصعود    إلى الرب المعبود

طريق سامي مقدود    جبريل فيه الهادي

جبريل بيه اتعلى    في أجمل حله

وملائكـــــــــة المـــــــولى ركّـــــــع وســـــــجّد
هـــــذا وفـــــد الكـــــريم ألرســـــــول العظـــــــيم
مُجلـــــي الليـــــل البـــــهيم بالنـــــــصرْ مؤيّـــــــد
فتحـــــولـــــه الأبــــواب بــــإذن مـــــن الوهـــــاب
هـــــذا منظـــــر مُهـــــاب يفـــــوز بـــــه الهـــــادي
رأى مـــــــن الأيـــــــات الغـــــــرّ الكبريـــــــات
قـــد فـــاز بالمكرمـــات والمجـــــد والـــــسّؤدد
رأى الجنـــــــه تخـــــضار فيهـــا مقاعـــد الأبـــرار
والخــــير طايـــب بيـــزار مبـــــــسوط للعبـــــاد
الحـــــور هـــــن زغـــــردات فرحـــا ابـــسيد الـــسادات
مـــذا مـــن الرحمـــه جـــات لجنـــــــة الخالـــــــد
لاحـــــــوعنـــــــو وزرد والطيـــب مـــن كـــل عـــود
مـــــن مـــــا هو موجـــــود اليـــــاسمين ونـــــدي
جهـــــــــنم تحمـــــــار فيهـــا مقاعـــد الأشـــرار
منـــــــافقين وكفـــــــار الجبـــــــارْ والمعتـــــــدي
ســــــــياط للعقـــــــاب وأنـــــواع مـــــن العـــــذاب
زقـــــوم زيـــــد عُبـــــاب لأهـــــل الفعـــــل الـــــردي
زجّ بـــــــه في النـــــــور فـــــصار بـــــه مغمـــــور
مجلـــــه الملـــــك المـــــأمور الرفـــــــراف للمقعـــــــد
فكـــــان قـــــاب قوســـــين مـــــــن رب العـــــــالمين
أو أدنـــــــــى يـــــــافطين لكـــــــــي يُـــــــــزوّد
اســـــــقاه بالمعلومـــــــات وافـــــرض عنـــــو الـــــصلاة
خمـــــسين في خمـــــس أوقـــــات مفـــــــروض مؤكـــــــد

| | |
|---|---|
| انزلـــــــه للـــــــسموات | وجـــد موســـى بالـــذات |
| علمـــو بفـــرض الـــصلاة | صـــــحيح الـــــسند |
| موســـى انـــصح نابينـــا | وليـــه الفـــضل علينـــا |
| جــــزاه الله عنـــــا | خـــير المقاصـــــد |
| أما تــــــك ضـــــعيفه | ومــا تقـــدر تـــستوفى |
| الـــــتمس التخفيـــــف | مـــن المـــولى الـــصمد |
| ارجـــع نابينـــا ليـــه | وصـــار يتوســـل ليـــه |
| يغـــــير في حكمـــــه | رجــــى منـــه الـــودّ |
| ارجـــع تـــسع مـــرات | إليـــه حتـــى بقـــات |
| خمـــسا مـــن الخمـــسات | فيهـــا أجـــر العـــدد |
| فيهـــا أجـــر الخمـــسي | بالثبــــت والـــــيقين |
| رأفـــه مـــن الحـــنين | الواحــــد الأمجـــــد |
| ارجَـــعْ خـــيرُ الـــورى | فرحـــان بـــذ البُـــشرى |
| وجهـــــه كـــــالقمرى | والنـــور عنـــه بـــادي |
| ربـــي زادي الأشـــواق | والحـــال عـــني ضـــاق |
| ألهمـــــني يـــــارزاق | زارة الهـــــــــــادي |
| انـــزور درب المـــلاحْ | تـــزود في الأربـــاح |
| حـــي علـــى الفـــلاح | ويـــــل المقـــــصد |
| نـــدخل بـــاب الـــسلام | بـــــآدب واحـــــترام |
| ركـــــتين تمـــــام | بالنيـــــه والقـــــصد |
| نطلـــــب رب العبـــــاد | يرزقنــــا بالـــــسداد |
| يهـــــدينا للرشـــــاد | أمـــــــة محمـــــــد |
| نتوجـــــه للمقـــــام | برغبـــــه واحتـــــشامَ |

نُلقي أطيب سلام      على النبي الهادي
يا نبي الرحمه      يا كاشف الغمه
مبعوث لنا نعمه      امن الرب الأوحد
ارحمني يا رحيم      فلبي اكرمنا سليم
في جنة النعيم      يطيب المرقد
اشفع لي يا شفيع      عند المولى الرفيع
وامحي الذنب الشنيع      بلغني مقصدي
يا الله يا رفيق      يا حنين شفيق
افتح لنا الطريق      للجنه يؤدي
أنا والوالدين      والجمع الحاضرين
وكل المؤمنين      ينجوا من الصهد
شافينا من لضرار      وامحي عنا لوزار
واملأ قلبي أسرار      من حب طاها الهادي
بجاه طها لأمين      والآل الطاهرين
والصحابه الأكرمين      وكل مقتدي
بجاه الأنبيا      وبجاه الاصفيا
وبجاه الأوليا      في كل بلد
تاريخ الكلمات      ألف وربع مآتَ
أربعة عشَر سنوات      نفوز بها غد
في شهر ذي الحجه      هو لنا حجه
أتممت ذا اللهجهَ      يومين بعد العيد
أحمد نظم الأشعار      واموفقي يا حضارَ
وساره في لقطار      فيها كاتب وعدي

أبو لهب يحذر القبائل من دعوة النبى

على الرغم مما تعرض له النبى (صلى الله عليه وسلم) من إساءات أهل الطائف فإنه لم ييأس من دعوة الناس إلى الإسلام، فكان يتصدى لوفود القبائل التى تأتى إلى مكة فى موسم الحج، يعرض عليهم رسالة الإسلام ومن الوفود التى التقى بها: وفد كندة و بنى حنيفة و بنى عامر بن صعصعة غير أنه لم يجد منهم مجيبًا، خاصة أن عمه أبا لهب كان يتتبع خطى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإذا رآه جلس إلى وفد قبيلة من قبائل العرب جاءهم قائلا لهم: لا تصدقوه إنه كذّاب ولا تطيعوه ولا تسمعواله. واستمر هذا الوضع حتى أذن الله بالفرج من ناحية يثرب أي المدينة المنورة.

الهجرة إلى المدينة

لقد سبقت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة عدة أحداث كانت بمثابة مقدمة لها ومن بينها على سبيل الإختصار.

بيعة العقبة الأولى

بدأت بشائر النصر تأتى ريحها من يثرب فقد التقى النبى (صلى الله عليه وسلم) أثناء عرض دعوته على القبائل بوفد من أهل يثرب فى موسم الحج وعرض عليهم الإسلام فلم يرفضوا ولم يسلموا، عدا واحدًا منهم هو «إياس بن معاذ» فقد أسلم، لكنهم حين عادوا إلى قومهم تحدثوا بما سمعوا من النبى فنبهوهم إلى أنه من المعقول أن يكون محمد هو النبى الذى كانت اليهود تحدثهم عنه دائمًا، وكان فى «يثرب» كثير من قبائل اليهود (بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة) الذين علموا من كتبهم المقدسة أن هناك نبيًا قد قرب زمانه وهو آخر الأنبياء. وهذه المعلومات التى عرفها أهل «يثرب» من «الأوس» و «الخزرج» كانت مفيدة لهم وللإسلام، فقد ذهب وفد منهم فى الموسم التالى (العام الثانى عشر من البعثة) والتقوا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم على

استعداد للاستجابة له والتجاوب معه، فحدَّثهم عن الإسلام فآمنوا وبايعوه عند العقبة في «منى» «البيعة الأولى»، على أن يؤمنوا بالله وحده، ولا يشركوا به شيئًا، وألا يسرقوا، وألا يزنوا وألَا يعصوا الله في معروف وأرسل النبي معهم عند عودتهم إلى «يثرب» «مصعب بن عمير» يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين. وكان هذا اللقاء بداية النصر وفاتحة الخير فإذا كانت «مكة» قد تحجرت عقولها وصمت آذانها عن سماع صوت الحق، فإن «يثرب» تفتح له قلوبها وعقولها وآذانها.

بيعة العقبة الثانية

نجح «مصعب بن عمير» فيما كُلِّف به نجاحًا عظيمًا، فازداد عدد المسلمين في «يثرب» على يديه زيادة كبيرة، ولم يبق بيت فيها إلاَّ ولذكر الإسلام والنبي فيه نصيب، وعاد «مصعب» في الموسم التالي (العام الثالث عشر من البعثة)، ليزف إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) بشرى نجاحه، وإقبال أهل «يثرب» على الإسلام، وأن وفدًا كبيرًا منهم سوف يأتي إلى «مكة» لمقابلته، فقدم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان لهذا الغرض، وتم اللقاء سرا عند العقبة في «منى»، وسط أيام التشريق (الثلاثة الأيام الأولى من عيد الأضحى)، وحضر اللقاء «العباس بن عبد المطلب»، وكان لا يزال مشركًا، لكنه رغب في حضور هذا الاجتماع ليطمئن على ابن أخيه وفي هذا اللقاء بايع الحاضرون النبي (صلى الله عليه وسلم) «بيعة العقبة الثانية» أو «بيعة القتال»، لأن أهم ما تضمنته التزام أهل «يثرب» بالدفاع عن النبي عندما يهاجر إليهم ومنعه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم. وبعد أن تمت البيعة اتفقَ على ترتيبات هجرة أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى «يثرب»، وما يلتزمه أهل «يثربَ» تجاههم من توفير المأوى والمعاش وقد أثبت أهل «يثرب» أنهم أهل كرم وشهامة وتضحية فقدموا لإخوانهم المهاجرين كل ما يحتاجون إليه بل وآثروهم على أنفسهم.

المؤامرة الكبرى

بدأ أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) من أهل «مكة» يهاجرون إلى موطنهم الجديد، أفرادًا وجماعات متخفين عن أعين «قريش»، وبقي الرسول في «مكة»، ووقعت «قريش» في حيرة

شديدة لأنها لم تكن تعرف ما هو صانع هل سيبقى فى «مكة»، أم سيلحق بأصحابه إلى «يثرب» وفى هذا خطر شديد عليهم، لأنه سيجد فى «يثرب» المنعة والحماية والاستعداد للدفاع عنه مما قد يجرُّهم إلى الدخول فى عداء سافر مع «يثرب» وأمام هذه التطورات المتلاحقة قررت «قريش» أن تحزم أمرها سريعًا قبل أن يهاجر النبى ويفلت من بين يديها، فعقدوا اجتماعًا فى دار الندوة لم يحضره أحد من «بنى هاشم» سوى «أبى لهب» عم النبى، وبحثوا فيه الأمر، وعُرِضَت ثلاثة اقتراحات لمواجهة الموقف، الأول: أن يضعوا «محمدًا» فى السجن، والثانى: أن ينفوه من «مكة»، والثالث: أن يقتلوه، وحاز الاقتراح الثالث الموافقة على تنفيذه وهذه هى المؤامرة التى عبَّر عنها القرآن الكريم، فى قوله تعالى ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ وبعد أن اتفقوا على قتله، ناقشوا كيفية تنفيذ ذلك فرأوا أن تشترك جميع القبائل فى قتله بأن تختار كل منها فتى شابا قويا من بين أبنائها وتعطيه سيفًا بتارًا وأن يرابط هؤلاء جميعًا أمام بيت النبى (صلى الله عليه وسلم) ليلا حتى إذا خرج عليهم فى الصباح ضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرَّق دمه فى القبائل ولا يقوى «بنو هاشم» على محاربة أهل مكة جميعًا .

## علىٌّ فى فراش النبى صلى الله عليه وسلم

علم رسول الله بما بيتته له «قريش»، فأعد العدة للهجرة وأسر بذلك إلى صاحبه «أبى بكر الصديق» الذى كان ينتظر هذا بلهفة وشوق فأعد لذلك الأمر عدته من قبل للقيام بأعظم رحلة فى تاريخ البشرية ودعا النبى (صلى الله عليه وسلم) «على بن أبى طالب» لينام فى فراشه فى تلك الليلة ليضلل «قريشًا» من جهة ومن جهة أخرى لكى يتخلف فى «مكة»، ليؤدى للناس ودائعهم التى كانت عند الرسول وخرج النبى (صلى الله عليه وسلم) فى عماية الصبح والمتآمرون واقفون على بابه ينتظرون لحظة خروجه للانقضاض عليه لكن الله أعمى أبصارهم وأخذ النبى (صلى الله عليه وسلم) حفنة من الحصى وقذفها فى وجوههم وقال: شاهت الوجوه» ثم تلا قوله تعالى ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا

يبصرون ﴾ وقصد النبى (صلى الله عليه وسلم) بيت «أبى بكر» الذى كان فى انتظاره ومعه الرواحل والزاد وكل ما يلزم الرحلة المباركة وكان دليلهم فى رحلتهم «عبد الله بن أريقط» .

النبى فى غار ثور

انطلقت الرحلة المباركة قاصدة غار «ثور» فى جنوب «مكة»، مع أن وجهتهم كانت «يثرب» فى الشمال لأن النبى (صلى الله عليه وسلم) يعرف أن «قريشًا» عندما تكتشف أنه نجا من كيدهم ستتجه فى بحثها عنه إلى الشمال عندئذ يكون هو قد وصل إلى الغار واختبأ فيه والحق أن خطة الهجرة كانت دقيقة وسرية إلى أقصى حد ووضع لها كل ما فى وسع البشر أن يفعلوه لضمان نجاحها فإذا لم يفلح هذا كله فستأتى عناية الله فى اللحظة المناسبة لإنقاذ الموقف فالذين علموا بأمر الهجرة كان عددهم محدودًا وكانوا موضع ثقة، منهم «عامر بن فهيرة» مولى «أبى بكر» وراعى غنمه و«عبد الله بن أبى بكر» وأخته «أسماء» وكل واحد من هؤلاء له عمل محدد وفى غاية الأهمية والخطورة فعبد الله بن أبى بكر كانت مهمته أن يتسمع أخبار «قريش» بالنهار فى أنديتها ثم يبلغها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذا جاء الليل وكانت مهمة «أسماء» إعداد الطعام، ولما لم تجد مرة حبلا تربط به حقيبة الزاد شقت نطاقها الذى كانت تشد به وسطها وربطت بأحد الشقين الحقيبة فلقبت بذات النطاقين. أما «عامر بن فُهيرة» فكانت مهمته أن يرعى الأغنام بالقرب من الغار فإذا ما حل الظلام ذهب إلى الغار ليزود النبى (صلى الله عليه وسلم) و«أبا بكر» باللبن، ويسير بأغنامه على آثار أقدام «عبد الله بن أبى بكر» حتى يمحوها فلا يفطن أحد إلى مكانهم جن جنون «قريش» حين علمت أن النبى (صلى الله عليه وسلم) أفلت من قبضتها وأن النائم فى الفراش لم يكن سوى «على بن أبى طالب» فأخذت تبحث عن «محمد» فى كل مكان وبعد أن أعياهم البحث فى طريق «يثرب» عادوا إلى الجنوب ووصلت طلائع بحثهم إلى باب الغار ففزع «أبو بكر»، حتى إنه بكى من شدة خوفه على حياة النبى (صلى الله عليه وسلم) فسأله «ما يبكيك يا أبا بكر ؟» فقال: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فقال له الرسول (صلى الله عليه وسلم) مطمئنًا «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وقد سجل القرآن الكريم هذا المشهد فقال تعالى ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار

إذيقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ﴾ .

استئناف الرحلة

ظل النبى (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام حتى هدأت «قريش» وتعبت من البحث دون جدوى بعد أن كانت قد رصدت جائزة كبرى قدرها مائة من الإبل لمن يأتيها بمحمد حيا أو ميتاً لكن الله سبحانه عصمه من ذلك أيضاً ثم استأنف الرسول رحلته المباركة فى غرة ربيع الأول وأخذ دليلهما طريقًا غير طريق القوافل المعروف لئلا يستدل عليهم أحد وكانت الرحلة شاقة واكتنفها كثير من المخاطر من ذلك أن «سُراقة بن مالك الجشمى» علم أن النبى (صلى الله عليه وسلم) و«أبا بكر» سلكا ذلك الطريق فأراد اللحاق بهما والقبض عليهما ليفوز بالجائزة فلما اقترب منهما غاصت أقدام حصانه فى الرمال وعجز عن النهوض فدهش «سراقة»، فلم يعهد من حصانه هذا من قبل وحاول أكثر من مرة اللحاق بهما ولكن تكرر فشله والنبى (صلى الله عليه وسلم) ينظر إليه فى إشفاق و«سراقة» يظن أن النبى منتقم منه لامحالة فتوسل إليه أن يعفو عنه وعاهده على ألا يدل عليه أحدًا ،فعفا عنه النبى (صلى الله عليه وسلم)وكان أهل «يثرب» منذ أن علموا بقرب مقدم النبى (صلى الله عليه وسلم) إليهم ينتظرونه بحب وشوق ولهفة إلى رؤيته وكانوا كل يوم يخرجون إلى مشارف المدينة يلتمسون وصوله فما إن وقعت عليه عيونهم حتى كادوا يطيرون من الفرح، وهتفوا مرحبين منشدين:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع     وجب الشكر علينا مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع     جئت شرفت المدينة مرحبًا ياخير داع

وكان وصوله (صلى الله عليه وسلم) إلى «يثرب» التى أصبحت عندئذ تسمى «مدينة الرسول» أو «المدينة المنورة» يوم الجمعة الموافق الثانى عشر من شهر ربيع الأول لأنَّه قضى أربعة أيام فى «قُبَاء» قبل دخوله «يثرب»، فقد وصلها يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول، وبقى فيها إلى يوم الجمعة حيث صلَّى الجمعة فى «المدينة» وصلى خلفه المهاجرون والأنصار فى مشهد عظيم وحادث الهجرة هو أعظم حدث فى التاريخ الإسلامى، لذلك اتخذه الخليفة «عمر بن الخطاب»

رضى الله عنه مبدأ للتاريخ الإسلامى لأن الهجرة هى التى فتحت أمام الإسلام ذلك العالم الرحيب ومكنت النبى (صلى الله عليه وسلم) من بناء دولته وتكوين جيشه الذى سيدافع عن دعوته وأتاحت له أن يعلم أصحابه أصول دينهم وعلوم السياسة والحرب والسلام والإدارة والقيادة وهيّأهم ليقودوا الدنيا كلها إلى الخير والعدل والحق وينشروا فيها الحرية والعزة والكرامة لكل الناس.

بناء الدولة الإسلامية

أصبحت «المدينة» منذ أن وصل النبى (صلى الله عليه وسلم) إليها من هجرته منزل الوحى ومعقل الإسلام ومركز إشعاعه الذى أضاء العالم وشرع النبى فور وصوله فى بناء مسجده الذى شارك فى بنائه بنفسه مع أصحابه وكان بناؤه متواضعًا حيث بُنى من الطين أو الطوب اللبن وكان سقفه من جريد النخل وأعمدته من جذوعه وفرشه الحصى كما كان مربع الشكل طول ضلعه نحو مائة ذراع. وهذا المسجد المتواضع البناء كان ذا شأن عظيم فى تاريخ الإسلام فلم تقتصر وظيفته على أداء الصلوات فيه بل كان مدرسة تخرَّج فيها الرعيل الأول من المسلمين حملة لواء الإسلام ودعاته ومكانًا تُعقد فيه الجلسات لمناقشة الأمور العامة التى تتصل بحياة المسلمين ودينهم ودولتهم وفيه استقبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفود القبائل وسفراء الملوك والأمراء

عقد فيه الإخاء بين المهاجرين والأنصار

عقد فيه الإخاء بين المهاجرين والأنصار

هو الأساس الثانى الذى أقام الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليه دولته، ذلك أن المدينة فتحت صدرها الرحيب للمهاجرين واستقبلهم الأنصار بحفاوة لا نظير لها فى التاريخ فما نزل مهاجر على أنصارى إلا بقرعة لتنافس الأنصار وتزاحمهم على استضافة المهاجرين فآخى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين الفريقين إخاءً ربط بين قلوبهم جميعًا فأصبحت عروة الإيمان فوق كل أسباب الصلات البشرية وأصبح النسب الإسلامى مقدمًا على سائر الأنساب.

معاهدة المدينة

كانت الوثيقة الخالدة التى كتبها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع اليهود الأساس الثالث لدولة الرسول فى «المدينة»، فبعد أن اطمأن على قوة جبهة المسلمين وسلامتهم، التفت إلى المدينة

فوضع لها نظامًا عامًا ثابتًا يحدد العلاقات والحقوق والواجبات بين سكانها جميعًا مسلمين وغير مسلمين فاليهود يقيمون فى المدينة منذ زمن طويل وكانوا من قبل يقتسمون الزعامة مع الأوس والخزرج وهؤلاء آمنوا بالله ورسوله على حين بقى اليهود على دينهم ولم يؤمنوا ولم يجبرهم الرسول على اعتناق الإسلام إذ لا إكراه فى الدين ومن ثم كان لابد من تحديد وضعهم فى الدولة الجديدة بنصوص صريحة يُرجع إليها عند الضرورة ونص المعاهدة كما رواها ابن إسحاق: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبى (صلى الله عليه وسلم) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس.

وهذا إعلان صريح للأساس العقدى للدولة الجديدة، وباب الانتساب إليها هو الإيمان بالله ورسوله، وعلى هذا الأساس تمارس الدولة سياستها وسلطتها العليا فى الداخل والخارج. وجاء فى المعاهدة وهو فى غاية الأهمية: «وأنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين، ماداموا محاربين وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم. وأن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف» وأخذت الوثيقة تعدد سائر المجموعات اليهودية فى «المدينة»، ثم أضافت شيئًا مهمًا آخر، حيث نصت «وأنه لا يخرج أحد منهم من «المدينة» إلا بإذن محمد». وهذا ليس تقييدًا لحريتهم، وإنما هو إجراء وقائى اقتضته ظروف الدولة الناشئة خوفًا من عمليات التجسس ونقل أخبار الدولة إلى أعدائها وبخاصة أنها تعتبر فى حالة حرب مع «قريش» التى أجبرت المسلمين على ترك أوطانهم وديارهم وأموالهم.

وهذه المعاهدة كانت مهمة وأساسية فى إعلان ميلاد دولة المسلمين بقيادة النبى (صلى الله عليه وسلم) باعتراف جميع أطرافها بهذه القيادة، كما يفهم من عبارة النص الآتى: «وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى «محمد» رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره» وعلى هذه الأسس الثلاثة السابقة قامت الدول الإسلامية فى «المدينة»، وكان فى قيامها فتح جديد فى الحياة

السياسية إذ قررت حرية الاعتقاد والرأى، وحرمة «المدينة»، وحرمة الحياة وحرمة المال وحددت أعداء الدولة فى صراحة ووضوح، فمنعت إجارة «قريش» ومن نصرها .

## حكومة الرسول

كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول رئيس للدولة الإسلامية كما نصت على ذلك المعاهدة وقد قام صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة طوال حياته فهو الذى يقضى فى الحقوق المدنية والجنائية كافة وينفذ القضاء ويقيم الحدود ويجبى الأموال من مواضعها الشرعية ويوزعها فى مصارفها الشرعية ويعلن الحرب ويعقد معاهدات الصلح ويخاطب رؤساء الدول ويستقبل سفراءهم ويولى الولاة على الأماكن البعيدة عن «المدينة» وهو فى ذلك كله مؤيد من الله تعالى فإذا نزلت الحادثة بالأمة ولم يكن نزل فى شأنها وحى من الله اجتهد النبى رأيه وشاور أصحابه من أهل العلم والرأى وكانوا تارة يجمعون على رأى فيعمل به وتارة يختلفون فيعمل برأى بعضهم ويترك رأى البعض الآخر مجتهدًا فى ترجيح رأى على رأى ولما كانت أعباء الدولة كثيرة وفى الوقت نفسه يقوم بمهمة تبليغ الرسالة، وهى مهمة ثقيلة، فقد احتاج إلى معاونة أصحابه فى إدارة الدولة ومنهم تشكّلت حكومته واختص بعضهم بملازمته مثل «أبى بكر الصديق» و«عمر بن الخطاب» فأطلق عليهم «وزراء الرسول» وقد كان للرسول عليه الصلاة والسلام جماعات عدة كل جماعة تتولى شأنًا من الشؤون العامة أو الخاصة . مثل كتابه وحراسه وقادته وقضاته وفرسانه إلى آخره كما كانت له مهام كثيرة ومتنوعة من غزوات وسرايا وتشريع ومعاهدات ومفاوضات ومراسلات وغير ذلك في المدينة وبما أنها ليست من موضوع بحثنا هذا فيمكن مراجعتها في كتب السِّيرة والتاريخ .

## حجة الوداع

كانت حجة الوداع فى العام العاشر من الهجرة، وسُميت بذلك لأن النبى (صلى الله عليه وسلم) انتقل إلى الرفيق الأعلى بعدها بوقت قصير، ولأن العبارات التى افتتح بها النبى (صلى الله عليه وسلم) خطبته كانت تفيد بأنه لن يلقى أمته بعدها فى الحج أبدًا، كما سميت هذه الحجة بحجة البلاغ لأن النبى (صلى الله عليه وسلم) ذكر فى نهاية الخطبة عبارات التبليغ لرسالته للناس . والحج ركن من أركان الإسلام الخمسة فُرِضَ على المسلمين فى العام التاسع للهجرة على قول فبعد عودته

(صلى الله عليه وسلم) من غزوة تبوك أرسل أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميرًا على الحج وقضى هو أكثر من عام مشغولا باستقبال وفود العرب التى توالت عليه من كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، تعلن بيعتها وإسلامها وكان النبى (صلى الله عليه وسلم) يبعث مع كل وفد من يعلمهم أمور دينهم من الصحابة ولما اطمأن أن الإسلام قد انتشر فى بلاد العرب، وتجاوزها إلى ما حولها رغب أن يقوم بأداء فريضة الحج ويعلّم المسلمين المناسك بطريقة عملية ويوصيهم خيرًا ويلخص لهم فى خطبة شرائع الإسلام وأهدافه فخرج من المدينة فى 25 من ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة وأحرم بالحج والعمرة من ذى الحُلَيْفة وخلفه أكثر من مائة ألف من المسلمين وكان المشهد رائعًا ومهيبًا، ينحنى له التاريخ إجلالا وتقديرًا، فها هو ذا الرجل الذى بدأ دعوته وحده والعرب جميعهم يقفون ضده ويحاربونه بكل ما يملكون يلتفون حوله ويسيرون خلفه ويقودهم فى تواضع وبر ورحمة ومودة وقد خطب النبى (صلى الله عليه وسلم) فى هذه الجموع الكبيرة بعد الإحرام فوعظهم وعلمهم مناسك الحج، وقال لهم: «خذوا عنى مناسككم» وسار ركب الحج النبوى إلى «مكة المكرمة» فى يوم التروية الثامن من ذى الحجة وتوجه إلى «منى» فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وصبح يوم عرفة، وبعد الصلاة توجه إلى عرفات فى التاسع من ذى الحجة وهناك خطبهم «خطبة الوداع المعروفة.

حول خطبة حجة الوداع

يقول الدكتور سعيد البوطي: والله ما أروعها من كلمات في خطبته تلك التي ألقاها في سفوح عرفات راح يخاطب فيها الأجيال والتاريخَ بعد أن أدى الأمانة ونصح للأمة، وجاهد في سبيل الدعوة إلى ربه ثلاثة وعشرين عاما لا يكل ولا يمل. ولله ما أروعها من ساعة تلك التى اجتمع حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الآلاف المؤلفة اجتمعوا حوله خاشعين متضرعين وطالما تربصوا به قبل ذلك متآمرين ومحاربين آلاف مؤلفة يملئون ما يمتد به النظر من كل الجهات تردد بلسان حالها قول الله عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر من خلال وجوههم إلى الأجيال المقبلة، إلى العالم الإسلامي الكبير الذي سيملأ شرق الأرض وغربها، وراح يلقي على مسامع هذا العالم خطابه المودع: "أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا

أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . "وأنصتت الدنيا لتسمع قوله، وأنصت الحجر والقفر والمدر إلى الكلمة المودعة ينطق بها فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن أنست وسعدت به الدنيا كلها ثلاثة وستين عاما ، ها هو اليوم يلمح بالرحيل، بعد أن قام بأمر ربه وغرس الأرض بغراس الإيمان . وها هو الآن يلخص المبادئ التي جاء بها وجاهد في سبيلها في كلمات جامعة، وبنود معدودة، يلقي بها إلى سمع العالم . فماذا كان أول بند منها ؟ يا سبحان الله، ما أجل وأروع ! لكأنه صلى الله عليه وسلم إنما كان يستلهم توصياته تلك من واقع المنزلقات التي سيتنكب فيها أقوام من أمته عبر الزمن، تائهين وراء غيرهم عن القبس الذي سيتركه بين أيديهم، فلقد كان أول بند منها هو قوله: أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا . ولقد كرر هذه التوصية نفسها مرة أخرى في خاتمة خطابه، وأكد ضرورة الاهتمام بها وذلك عندما قال: تعلمُنَّ أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة ؛ فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم . ألا هل بلغت ؟ ونحن نقول: أجل والله لقد بلغت يا سيدي . ولعلنا اليوم أولى من ينبغي أن يجيبك: اللهم لقد بلغت . وإن كان في ذلك إنما نسجل مسئولية على أعناقنا ، قصرنا كل التقصير في القيام بحقها . أما البند الثاني: فلم يكن مجرد توصية، ولكنه قبل ذلك قرار أعلن عنه للملأ كله لأولئك الذين كانوا من حوله، وللأمم التي ستأتي من بعده . وهذه هي صيغة القرار: ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع . دماء الجاهلية موضوعة . وربا الجاهلية موضوع . فما المعنى الذي تتضمنه صيغة هذا القرار ؟ . إنه يقول: إن كل ما كانت الجاهلية تفخر وتتمسك به من تقاليد العصبية والقبلية، وفوارق اللغة والأنساب والعرق واستعباد الإنسان أخاه الإنسان بأغلال الظلم والمرابإة، قد بطل أمره ومات اعتباره، فهو اليوم جيفة منتنة غيبتها شريعة الله في باطن الأرض، وأصبح مكانها من حياة المسلم اليوم تحت موطئ الأقدام إنه رجس ولى، وعماهة أدبرت، وغاشية بادت . فمن ذا الذي يرجع بعد ذلك لينبش التراب عن الجيفة المنتنة فيعانقها ؟ وأي عاقل يتقمم الأدران التي تخلص منها ليتمسح ثانية بها ؟ وأي أبيّ يعمد إلى القيد الذي كسره البارحة وألقاه، ليصلحه ويعود فيتقيد به اليوم ؟ أرجاس من تقاليد الجاهلية، أبعدها الرسول صلى الله عليه وسلم عن منطلق الإنسانية وتقدمها الفكري والحضاري، وأعلن أنها قد

عادت حثالة مدفونة تحت قدميه، كي يثبت للدنيا كلها ويسجل على سمع القرون والأجيال، أنه ما من تائه يزعم التقدم الفكري إذ يعمد فينبش شيئًا من هذا الدفين القديم، إلا وهو يرجع القهقهرى يسبح في أغوار قصية من التاريخ المظلم القديم، وإن خيَّل إليه وهمه أنه إنما يتقدم صعدا ويخطو مترقيا . وفي البند الرابع: أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا بالنساء، وأكد في كلمة مختصرة جامعة، القضاء على الظلم البائد للمرأة في الجاهلية، وتثبيت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية. ولقد كانت هذه الحقيقة جديرة بتأكيد التوصية بها، بسبب أولئك المسلمين الذين كانوا قريبي عهد بتقاليدهم الجاهلية، التي تقضي بإهمال شأن المرأة وعدم الاعتراف بأي حق لها، ولعل هنالك حكمة أخرى لهذه التوصية والاهتمام بها، وهي أن يكون المسلمون في كل عهد وطور من الزمن، على بينة من الفرق الكبير بين كرامة المرأة وحقوقها الطبيعية التي ضمنتها شرعة الإسلام، وما يهدف إليه بعضهم من استباحة الوسائل المختلفة إلى التمتع والتلهي بها، وهو ما حاربه الإسلام. وفي البند الخامس: وضع النبي صلى الله عليه وسلم الناس من جميع المشاكل التي قد تعترض حياتهم أمام مصدرين لا ثالث لهما، ضمن لهم الاعتصام بهما الأمان من كل شقاء وضلال، هما: كتاب الله وسنة رسوله. وإنك لتجده يتقدم بهذا التعهد والضمان إلى جميع الأجيال المتعاقبة من بعده، ليبين للناس أن صلاحية التمسك بهذين الدليلين ليس وقفا على عصر دون آخر، وأنه لا ينبغي أن يكون لأي تطور حضاري أو عرف زمني أي سلطان أو تغلب عليهما. وأما البند السادس: فقد أوضح فيه صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن يكون عليه علاقة الحاكم أو الخليفة أو الرئيس مع الرعية أو الشعب، إنها علاقة السمع والطاعة من الشعب للحاكم مهما كان نسبه وشأنه ومظهره، مادام يحكم بكتاب الله وسنة رسوله، فإذا حاد عنهما فلا سمع ولا طاعة، فلا مناط لولاء الحاكم وضرورة اتباعه إلا سيره على نهج الكتاب والسنة، وليكن بعد ذلك إن شاء عبدا حبشيا مجدعا، فلا يخفضه ذلك قيد شعرة عن غيره عند الله تعالى. ولقد أوضح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا، أنه لا امتياز للحاكم من وراء حدود كتاب الله تعالى وسنة نبيه، ولا يمكن لحاكميته أن ترفعه قيد شعرة فوق مستوى المنهج والحكم الإسلامي، إذ هو في الحقيقة ليس بحاكم ولا يتمتع بأي حاكمية حقيقية، ولكنه أمين من قِبَل المسلمين على تنفيذ حكم الله تعالى. ومن هنا لم تتعرف الشريعة

الإسلامية على شيء مما يسمى بالحصانة أو الامتيازات لطبقة ما بين المسلمين في شئون الحكم أو القانون والقضاء. وفي الختام. يُشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخرج مسئولية الدعوة وتبليغها عن عنقه، فها هو الإسلام قد انتشر، وها هي ضلالات الجاهلية والشرك قد تبددت، وها هي أحكام الشريعة الإلهية قد بلغت، وها هو الوحي ينزل عليه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى مخاطبا البشر كلهم (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) ولكنه صلى الله عليه وسلم يريد أن يطمئن إلى شهادة أمته بذلك أمام الله تعالى يوم القيامة عندما يُسألون فأعقب توصياته هذه لهم بأن نادى فيهم قائلا: إنكم ستُسألون عني، فما أنتم قائلون؟ وارتفعت الأصوات من حوله تصرخ: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. وحينئذ اطمأن الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم! . لقد كان يريد أن يستوثق من هذه الشهادة التي سيلقى بها وجه ربه عز وجل. . ولقد اطمأن الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم إذ ذاك، وشعشع الرضى في عينيه، ونظر بهما إلى الأعلى مشيرا بسبابته إلى السماء ثم إلى الناس يقول: اللهم اشهد. اللهم اشهد. اللهم اشهد. وما أعظمها من سعادة!؟ سعادة رسول الله عليه الصلاة والسلام بشبابه الذي أبلاه وعمره الذي أمضاه في سبيل نشر شريعة ربه جل جلاله، وذلك حينما ينظر فيرى حصيلة الجهد الذي قدم والعمر الذي بذل، أصواتا ترتفع وتعج بتوحيد الله، وجباها تعنو ساجدة لدين الله، وقلوبا خفاقة تجيش بحب الله. ألا ما أسعد حبيب الله إذ ذاك بذكرى ما لقيه من ظمأ الهواجر، وشتات السفر في القفار، وعذاب السخرية والإيذاء، في سبيل هذا الإيمان الذي شاده فوق أرض الله! . فلتكتحل به عيناك يا سيدي سعادة وسرورا، وليبارك لك ربك في وجيب قلبك اليوم حمدا ونشوة وحبورا. ولا والله، ما كان ذلك شهادة تلك الآلاف المحتشدة من حولك فحسب، يا سيدي رسول الله، ولكنها شهادة المسلمين في كل جيل وعصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تعلن بلسان حالها ومقالها: نشهد يا رسول الله أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجزاك الله عنا خير ما جوزي نبي عن أمته. ولكن مسئولية الدعوة قد انتقلت من بعدك إلى أعناقنا، وما أبعدنا اليوم عن القيام بحقها، وما أشد خيبتنا بقلائك يا سيدي غدا، وإن علينا أوزارا من التقاعس والتكاسل والركون إلى زهرة الحياة الدنيا، بينما يلتف من حولك أصحابك البررة الكرام، وإن في أيديهم وعلى أبدانهم شهادة الدم الذي

سفكوه والجهد الذي بذلوه والدنيا التي حطموها تحت أقدامهم نصرة لشريعتك ودفاعا عن دعوتك وتأسيا بجهادك. أصلح الله حالنا وحال المسلمين جميعا، وأيقظنا من سكرة الدنيا ونشوة الشهوات والأهواء، وتغمدنا بلطفه وكرمه وجوده.

## وقائع من حياة الرسول

قال في الحلبية اعلم أن الأكثر على أنه ولد عام الفيل، وحكى بعضهم الإجماع عليه. قال: وكل قول خالفه فهو وهم. وقيل بعد الفيل بخمسين يوما، وقيل بزيادة خمسة أيام، وقيل بشهر، وقيل بأربعين يوماً وقيل بشهرين وعشرة أيام، وقيل بعشرين سنة، وقيل بعشر سنين، وقيل بخمس عشرة سنة. وكانت ولادته يوم الاثنين في شهر ربيع الأول لعشر خلون منه وقيل لليلتين، وقيل لثمان خلت، واختاره الحميدي تبعاً لشيخه ابن حزم. وحكى القضاعي رحمه الله عن (عيون المعارف) إجماع أهل التاريخ عليه. وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو المشهور، وقيل لسبع عشرة، وقيل لثمان بقين منه، وذلك في النهار عند طلوع الفجر، وقيل ولد ليلاً وعليه عمل أهل مكة في زيارة موضع مولده الشريف وكونه في شهر ربيع الأول هو قول الجمهور من العلماء، وحكى ابن الجوزي رحمه الله الاتفاق عليه. وقيل في صفر وقيل في ربيع الآخر وقيل في رجب، وقيل في شهر رمضان. واختلف في مكان ولادته، فقيل بمكة وعليه قيل بالدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج وقيل بالشعب شعب بني هاشم وذلك المحل يزار الآن، وقيل بالردم، وقيل ولد بعسفان. وفي السنة الثالثة من مولده شق صدره الشريف عند ظئره حليمة رضي الله تعالى عنها، وقيل كان في الرابعة، وفيها ولد أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بمنى. وفي السنة السادسة من مولده كانت وفاة أمه آمنة ودفنت بالأبواء، وقيل بشعب أبي ذئب بالحجون محل مقابر أهل مكة، وقيل في دار رائعة بالمعلاة، وفيها ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه. وفي السنة السابعة من مولده استقل بكفالته جده عبد المطلب، وفيها أصابه رمد شديد، وفيها استسقى عبد المطلب وهو معه بسبب رؤيا دقيقة، وفيها خرج عبد المطلب لتهنئة سيف بن ذي يزن الحميري بالملك. وفي السنة الثامنة من مولده كانت وفاة جده عبد المطلب وكفالة عمه وفي السنة الثانية عشرة من مولده كان حرب الفجار الثانية. وكان سفر عمه أبي طالب به إلى بصرى من أرض الشام على ما عليه الأكثر. وفي السنة الثالثة عشرة من مولده ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي

السنة الرابعة عشرة من مولده كانت حرب الفجار الثالثة، وقيل كان عمره عشرين سنة . وفي السنة السابعة عشرة من مولده كان سفر عمه الزبير والعباس ابني عبد المطلب لليمن للتجارة، وصحبهما النبي . وفي السنة الخامسة والعشرين من مولده كان سفره إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها . وتزوج خديجة . وفي سنة ثلاثين من مولده ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الكعبة . وفي سنة أربع وثلاثين من مولده ولد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه . وفي سنة خمس وثلاثين من مولده هدمت قريش الكعبة وبنتها . وفي سنة سبع وثلاثين رأى الضوء والنور، وكان يسمع الأصوات . وفي السنة الأولى من النبوة كان نزول الوحي عليه في اليقظة بعد أن مكث ستة أشهر يوحى إليه في المنام . وفي السنة الثالثة من النبوة قيل توفي ورقة بن نوفل . وفي السنة الرابعة من النبوة كان إظهار الدعوة . وفي السنة الخامسة من النبوة ولدت عائشة رضي الله عنها وقيل ولدت في الرابعة . وفي السنة الخامسة أيضاً كانت الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة . وفيها ماتت سمية أم عمار بن ياسر رضي الله عنهم، وهي أول شهيدة في الإسلام . وفي السنة السادسة من النبوة أسلم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقيل أسلما رضي الله عنهما في سنة خمس، وكان إسلام حمزة رضي الله عنه قبل إسلام عمر رضي الله عنه بثلاثة أيام . وفي السنة السابعة من النبوة تقاسمت قريش وتعاهدت على معاداة بني هاشم وبني المطلب وقيل كان ذلك في السادسة، وقيل في الخامسة، وقيل في وفي السنة الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء إسلام الأنصار رضي الله عنهم . وفي السنة الثانية عشرة من النبوة كان الإسراء والمعراج . وفيها وقعت بيعة العقبة الأولى . وفي السنة الثالثة عشرة من النبوة كانت بيعة العقبة الثانية التي هي الكبرى، وبعضهم يسميها العقبة الثالثة، ويسمى إسلام الأنصار عقبة مع أنه لا مبايعة فيه . وفي هذه السنة أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يهاجر للحبشة، فلما بلغ برك الغماد رده ربيعة بن الدغنة سيد القارة . وفي السنة الرابعة عشرة من النبوة وهي السنة الأولى من الهجرة إلى المدينة، فكانت الهجرة فيها في صفر أو في غرة ربيع الأول . وفيها كان بناء المسجد ومساكنه ومسجد قباء، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، قيل وكان ابتداء خدمة أنس رضي الله عنه له . فقد جاء أنه لما قدم المدينة صارت الأنصار يبعثون إليه بالهدايا رجالهم ونساؤهم، وكانت أم أنس رضي الله عنهما لا شيء لها تهديه له فكانت

تتأسف، فأخذت يوماً بيد أنس رضي الله عنه وقالت: يا رسول الله هذا يخدمك. وجاء أن زوجها أبا طلحة رضي الله عنه جاء به إلى رسول الله وقال: يا رسول الله إن أنساً غلام كيس فليخدمك. وجمع بأن أمه جاءت به أولاً ثم جاء به أبو طلحة ثانياً لأنه وليه وعصبته، قال في (الخميس) وهذا غير مجيئه به لخدمته في غزوة خيبر. وفيها كما في الأصل، وقيل في السنة الثانية زيد في صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر وصلاة المغرب لأنها وتر النهار، وأقرت صلاة السفر، وتركت على الفريضة الأولى كذا قيل. وفي هذه السنة مات من مشركي مكة الوليد بن المغيرة. ولما احتضر جزع، فقال أبو جهل لعنة الله: يا عم ما جزعك؟ فقال: والله ما بي من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة، فقال أبو سفيان رضي الله عنه: لا تخف، إني ضامن وفي السنة الخامسة عشرة من النبوة والثانية من الهجرة تزوّج علي كرم الله وجهه بفاطمة رضي الله عنها وتكنيته بأبي تراب، وغزوة بواط وغزوة العشيرة، وسرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى بطن نخلة، وتحويل القبلة، وتجديد بناء مسجد قباء، وفرض رمضان وغزوة بدر الكبرى، ووفاة رقية بنت النبي ورضي عنها، وقتل عصماء وفرض زكاة الفطر، وشروع صلاة عيده. وفرض زكاة الأموال، وغزوة قرقرة الكدر. وسرية سالم بن عمير رضي الله عنه. وغزوة بني قينقاع. وغزوة السويق، وموت عثمان بن مظعون رضي الله عنه، والتضحية وصلاة عيدها. وفي السنة السادسة عشرة من النبوّة والثالثة من الهجرة سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه لقتل كعب بن الأشرف لعنه الله. وتزوّج عثمان رضي الله عنه أم كلثوم رضي الله عنها، وغزوة غطفان وغزوة بحران، وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى قردة. وتزوّج حفصة رضي الله عنها، وتزوّج زينب بنت خزيمة رضي الله عنها، وولادة الحسن، وغزوة أحد، وغزوة حمراء الأسد، وعلوق فاطمة بالحسين رضي الله عنهما. وفي السنة السابعة عشرة من النبوّة والرابعة من الهجرة سرية أبي سلمة رضي الله عنه إلى قطن. ووفاته. وسرية عبد الله بن أنيس رضي الله عنه إلى عرنة لقتل سنان بن خالد. وسرية القراء رضي الله عنهم إلى بئر معونة. وقصة الرجيع. وسرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى مكة لقتل أبي سفيان رضي الله عنه، وغزوة بني النضير، ووفاة زينب بنت خزيمة، وغزوة ذات الرقاع، وصلاة الخوف، وولادة الحسين رضي الله عنه، وغزوة بدر الصغرى، وتزوّج أم سلمة رضي الله عنها، وتحريم الخمر

عند بعضهم. وفي السنة الثامنة عشرة من النبوة والخامسة من الهجرة غزوة دومة الجندل، وغزوة المريسيع، ونزول آية التيمم، وتزوّج جويرية رضي الله عنها، وقصة الإفك، وغزوة الخندق، وغز وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى العيص، وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى الطرف، وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى وادي القري، وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى أم قرفة، وسرية عبد الله بن عتيك رضي الله عنه لقتل أبي رافع، وسرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى أسير ابن رزام اليهودي بخيبر، وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما إلى حسمَى، وغزوة الحديبية، ونزول حكم الظهار، وتحريم الخمر، وتزوّجه أم حبيبة رضي الله عنها. وفي السنة العشرين من النبوة والسابعة من الهجرة، كان اتخاذ الخاتم، وإرسال الرسل إلى الملوك، ووقوع السحر به وغزوة خيبر، وفتح وادي القرى، والدخول بأم حبيبة رضي الله عنها، وسرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى طائفة من هوازن، وعمرة القضاء، وتزوّج ميمونة رضي الله عنها، وسرية ابن أبي العوجاء رضي الله عنه إلى بني سليم. وفي السنة الحادية والعشرين من النبوّة والثامنة من الهجرة، كان إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمرو بن العاص رضي الله عنه وعثمان بن طلحة رضي الله عنه، وسرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه إلى بني الملوح وسريته إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضي الله عنه بفدك، واتخاذ المنبر الشريف، وسرية شجاع بن وهب رضي الله عنه إلى بني عامر، وسرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح، وسرية مؤتة، وسرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى ذات السلاسل؛ وسرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى سيف البحر، وسرية أبي قتادة رضي الله عنه إلى بطن أضم، وسرية عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه إلى الغابة، وغزوة فتح مكة شرفها الله تعالى، وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى العزى بنخلة، وسرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى سواع صنم هذيل، وسرية سعد بن زيد الأشهلي رضي الل وسرية علقمة بن محرز رضي الله عنه إلى أهل الحبشة، وبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى القلس، وبعث عكاشة بن محصن رضي الله عنه إلى الجباب، وإسلام كعب بن زهير، وهجره لنسائه، وغزوة تبوك، وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه من تبوك إلى أكيدر، وإرسال كتابه من تبوك إلى هرقل، وهدم مسجد الضرار، وقصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم، وقصة اللعان، وإسلام ثقيف،

ورجم الغامدية، ووفاة النجاشي، ووفاة أم كلثوم رضي الله عنها ، وموت عبد الله بن أبيّ بن سلول، وحج أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وفي السنة الثالثة والعشرين من النبوّة وهي العاشرة من الهجرة قدوم عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه، وبعث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى اليمن، وبعث جرير بن عبد الله البجلي إلى تخريب ذي الخلصة، وبعث جرير بن عبد الله أيضاً رضي الله عنه إلى ذي الكلاع، وبعث أبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه إلى أهل نجران، وقصة بديل وتميم الداري، ووفاة ولده إبراهيم ، وخروجه للحج . وفي السنة الرابعة والعشرين من النبوة وهي الحادية عشرة من الهجرة، قدوم وفد النخع، وسرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى أبنى، وقصة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة، وما وقع في ابتداء مرضه ، ومدة مرضه، ووقت مرضه . وموته وغسله وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه وشرف وكرم، والله أعلم .

وفاة رسول الله عليه السلام

وفاة جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله لما لها من أثر كبير في وجدان الامة الاسلامية ها هو ذا ملخصها كما ذكرها الدكتور محمد رأفت سعيد حيث قال : الوفاة : الموت ، فإذا أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه قد جرى على النبى صلى الله عليه وسلم ما يجرى على الناس فى قوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وقد ذكر به أبو بكر رضى الله عنه المؤمنين الذين اشتد بهم الحزن بموت الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : أما بعد ، من كان منكم يعبد محمدا فإن محمد قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حى لا يموت . قال الله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن ما تا أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزى الله الشاكرين) ومع هذه الحقيقة فإن الحزن الشديد قد أخذ بالناس كل مأخذ لحبهم الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى عبر فيه آنس رضى الله عنه بقوله: "لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء فيها كل شئ ،ولما مات أظلم منها كل شىء" ولذلك وجدنا عمر رضى الله عنه مع قوته وشدته يكلم الناس قبل أبى بكر رضى الله عنه منكرا موت الرسول صلى الله عليه وسلم

وبعد أن سمع تذكير أبى بكر بالقرآن جلس على الأرض لاتحمله قدماه، وكأنهم لم يسمعوا الآية إلا تلك الساعة. والسيدة فاطمة رضى الله عنها قالت وهو فى مرض الوفاة: واكرب أباه، فقال لها: ليس على أبيك كربا بعد اليوم فقالت بعد الوفاة: يا ابتاه. أجابا ربا دعاه، يا أبتاه فى جنة الفردوس ماواه يا أبتاه إلى جبريل ننعاه.

وسبق موت النبى صلى الله عليه وسلم الاطمئنان على أمته بعد أن أكمل الله الدين، وأتم النعمة حيث كشف فى صلاة الفجر يوم وفاته ستر حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها ونظر إلى المسلمين وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم وضحك وكأنه يودعهم، وهم المسلمون أن يعبروا عن فرحتهم بخروجه، وتأخر أبو بكر رضى الله عنه حيث ظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد الخروج للصلاة فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر. وكان عندما حضره الموت مستندا إلى صدر أم المؤمنين عائشة، وكان يدخل يده فى إناء الماء كى يمسح وجهه ويقول: لآ إله إلا الله، إن للموت سكرات، وأخذته بحة وهو يقول: (مع الذين أنعم الله عليهم) ويقول: "اللهم فى الرفيق الأعلى" فعرفت السيدة عائشة أنه يخير، وأنه يختار الرفيق الأعلى. ولحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وترك للناس ما إن تمسكوا به لن يضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه.

من صور حزن الصحابة على الرسول

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة: واكرب أبتاه فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم". فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت: يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب. و روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء، فهيجتهما

على البكاء ، فجعلا يبكيان معها . وعن ابن عباس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدرة وما معه غيري، وهو يحدث نفسه، ويضرب وحشي قدمه بدرته إذ التفت إلي فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم . قال: فإنه والله إنْ كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا"، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت .

(قلت) ومن المرثيات التي رثاه بها الصحابة مرثية سيدنا حسان بن ثابت والتي يقول فيها :

رثاء حسان بن ثابت للرسول

بطَيْبَةَ رَسْمٌ للرَّسُولِ ومَعْهَدُ    مُنيرٌ وقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وتَهْمَدُ
ولا تَمْتَحي الآياتُ مِنْ دارِ حُرمةٍ    بهَا منْبَرُ الهَادي الذي كانَ صعد
وواضحُ آثارٍ وباقِي مَعالمٍ    وربْعٌ لهُ فيهِ مُصلّى ومسجدُ
بهَا حُجُراتٌ كانَ يَنْزل وسْطَهَا    مِنَ اللّهِ نُورٌ يُسْتَضاءُ ويُوقَدُ
مَعارفُ لم تطْمَسْ عَلى العَهْدِ آيها    أتَاهَا البِلَى فالآيُ منهَا تجَدّدُ
عَرَفْتُ بهَا رَسْمَ الرسُولِ وعهْدَهُ    وقَبْراً بهَا واراهُ في التُّرْبِ مُلحدُ
ظلِلْتُ بهَا أبْكي الرَّسُولَ فأسْعَدَت    عُيُونٌ ومِثْلاهَا منَ الجَفْنِ تَسْعَدُ
يُذَكّرْنَ آلاءَ الرَّسُولِ وما أرى    لهَا مُحْصِياً نَفْسي فنَفْسي تبَلّدُ
مُفَجَّعَةً قد شَفّهَا فَقْدُ أحمدٍ    فظَلّتْ لآلاءِ الرَّسُولِ تُعَدّدُ
وما بَلغَتْ منْ كلّ أمرٍ عَشيرَهُ    ولكنْ لنَفسي بعدُ ما قَد تَوَجّدُ
أطالَت وُقوفاً تذرفُ العينُ جَهدَها    على طَلَلِ القبرِ الذي فيه أحمدُ
فبُورِكْتَ يا قبرَ الرَّسُولِ وبُورِكتْ    بِلادٌ ثَوَى فيهَا الرَّشيدُ المُسَدَّدُ
وبُورِكَ لحْدٌ منكَ ضُمّنَ طَيّباً    عَليهِ بنَاءٌ من صَفيحٍ مُنَضَّدُ
تهِيلُ عليهِ التُّربَ أيدٍ وأعيُنٌ    عَليهِ وقد غَارت بذلكَ أسْعُدُ

لَقَدْ غَيَّبُوا حلماً وعلماً ورحمةً ... عشيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرى لا يُوَسَّدُ
وراحُوا بحُزْنٍ لَيْسَ فيهم نَبِيُّهُمْ ... وقد وهَنَتْ منهم ظُهورٌ وأعضُدُ
يُبَكُّونَ مَنْ تبكي السَّموات يومَهُ ... ومَن قد بكته الأرضُ فالنّاسُ أَكْمَدُ
وهَل عَدَلَتْ يوماً رَزِيَّةُ هَالكٍ ... رَزِيَّةَ يَوْمٍ ماتَ فيه مُحَمَّدُ
تقطَّعَ فيه مُنزَلُ الوَحي عَنْهُمُ ... وقَدْ كانَ ذا نُورٍ يَغُورُ ويُنْجِدُ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحمن مَنْ يُقتَدى به ... ويُنْقِذُ مِن هَولِ الخَزايا ويُرْشِدُ
إمامٌ لَهُمْ يَهْديهمُ الحَقَّ جاهداً ... مُعَلِّمُ صِدْقٍ إنْ يُطيعُوه يَسعَدُوا
عَفُوٌّ عن الزَّلاتِ يَقْبَلُ عُذرَهُمْ ... وإنْ يُحْسِنُوا فاللَّهُ بالخيرِ أجوَدُ
وإن نابَ أمرٌ لم يَقوموا بحَمله ... فمِن عندهِ تَيْسيرُ ما يَتَشَدَّدُ
فبينا هُمُ في نعمة اللَّه بينَهُمْ ... دليلٌ به نَهجُ الطَّريقةِ يُقصَدُ
عَزيزٌ عليه أنْ يَجُورُوا عَنِ الهُدَى ... حَرِيصٌ عَلَى أن يَسْتَقيمُوا ويَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيهم لا يُثنّي جَنَاحَهُ ... إلى كَنَفٍ يَحنُو عَلَيْهِمْ ويمهدُ
فبَيْنَا هُمُ في ذلكَ النُّورِ إذ غَدا ... إلى نُورهم سَهْمٌ من المَوْت مُقصِد
فأصبَحَ محموداً إلى اللَّه راجعاً ... يُبَكِّيه جَفْنُ المرسَلات ويَحْمَدُ
وأَمْسَتْ بلادُ الحَرْمِ وَحشاً بِقاعُها ... لغَيْبَةِ ما كانت مِنَ الوَحي تَعهَدُ
قِفاراً سِوَى مَعمورةِ اللحد ضافَهَا ... فَقيدٌ يُبَكِّيه بَلاطٌ وغَرقَدُ
ومَسْجِدُهُ فالموحِشاتُ لفقده ... خَلاءٌ لَهُ فيه مَقامٌ ومَقعَدُ
وبالجَمرةِ الكُبرى لَهُ ثَمَّ أوحَشَتْ ... دِيارٌ وعَرَصاتٌ وربعٌ ومولدُ
فأبكي رَسولَ اللَّه يا عَيْنُ عَبْرةً ... ولا أعرفنْك الدَّهرَ دمعُك يَجْمُدُ
ومالَكِ لا تَبْكينَ ذا النّعْمَةِ التي ... عَلى النّاسِ منها سابغٌ يَتغمَّدُ
فجُودي عليه بالدُّموعِ وأَعْوِلي ... لفقدِ الذي لا مثلُهُ الدَّهرَ يُوجَدُ
وما فَقَدَ الماضونَ مثلَ مُحَمَّدٍ ... ولا مثلُهُ حتَّى القيامةِ يُفقَدُ
أعَفَّ وأوفى ذِمَّةً بَعدَ ذِمَّةٍ ... وأقربَ منهُ نائلاً لا يُنكَدُ

وأَبْــذَلَ منـــهُ للطَّريـــف وتَالـــد إذَا ضَــنَّ معْطَــاءٌ بِمَــا كــانَ يُتْلَــدُ
وأَكْـرَمَ صِـيتاً فِي الْبُيـوت إِذَا انْتَمَـى وأَكْــرَمَ جَــدّاً أَبْطَحيَّــا يُــسَوَّدُ
وأَمْنَــعَ ذَرْوات وأثْبَــتَ فِي العُــلاَ دعــائمَ عِــزّ شَــاهقات تُــشَيَّدُ
وأَثْبَــتَ فَرْعــاً فِي الفُــرُوعِ ومَنْبتــاً وعُـودا غـذاهُ المُـزْنُ فـالعُودُ أَغْيَـد
رَبَــاهُ وليـــدا فاسْـــتَتَمّ تَمامُـــهُ عَلَـى أَكْـرَمِ الخَيْـراتِ ربٌّ مُمَجَّـدُ
تَنَاهَــتْ وَصَــاةُ المُسْلمينَ بكَفّــه فَـلاَ العِلْـمُ مَحْبـوسٌ ولاَ الـرَّأْي يُفْنَـدُ
أَقُــولُ ولاَ يُلْقَـــي لِقَـــوْلي عَائــب مِـنَ النَـاسِ إلاّ عـازِبُ العَقْـلِ مُبْعَـد
ولَــيْسَ هَــوايَ نَازعــا عَــنْ ثَنَائِــه لَعَلِّـي بـهِ فِي جَنَّـةِ الخُلْـدِ أُخلَـدُ
معَ المُصطَفَي أرجو بذَاكَ جِــوارَهُ وفي نَيْـلِ ذَاكَ اليَـومِ أسـعَى وأَجهَـدُ

اخلاقه وشمائله الطاهرة

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتاز من جمال خلقه وكمال خلقه بما لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفانوا في حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره فالذين عاشروه أحبوه إلى حد الهيام، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر . وصدق فيه قول البوصيري:

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتدل الطول، فلم يكن قصيرا، ولم يكن طويلا طولا مفرطا، وكانت بشرته بيضاء مشربة بحمرة، عيونه سوداء واسعة، جفونه طويلة الشعر . وكان مستدير الوجه، سواء البطن والصدر، عريض الصدر، عظيم رءوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين، مع تناسب ذلك مع باقي أعضاء جسمه . قالت أم معبد الخزاعية ضمن ما قالت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي تصفه لزوجها، حين مر بخيمتها مهاجرا :: ظاهر الوضاءة، أبلج (أي مضيء) الوجه، حسن الخلق، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب، حلو المنطق، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر

تبادروا إلى أمره . وقال علي بن أبي طالب . وهو ينعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: بين كتفيه خاتم النبوة، وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفا ، وأجرأ الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة (أي سلس المعاملة) وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة (أي فجاة) هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته (يعني كل من يصفه) : لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم . وقال البراء : كان أحسن الناس وجها ، وأحسنهم خلقا . وسئل: أكان وجه النبي صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال: لا ، بل مثل القمر . وقالت الربيع بنت معوذ: لو رأيته رأيت الشمس طالعة . وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنما الأرض تطوي له، وإنا لنجهد أنفسنا ، وإنه لغير مكترث . وقال كعب بن مالك: كان إذا سر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر . وعرق مرة وهو عند عائشة، فجعلت تبرق أسارير وجهه، فتمثلت له بقول أبي كبير الهذلي .

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه      برقت كبرق العارض المتهلل

وكان أبو بكر إذا رآه يقول:

أمين مصطفى بالخير يدعو      كضوء البدر زايله الظلام

وكان عمر ينشد قول زهير في هرم بن سنان:

لو كنت من شئ سوى البشر      كنت المضئ ليـــلة البدر

ثم يقول: كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان إذا غضب احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه حب الرمان وقال جابر بن سمرة: كان لا يضحك إلا تبسما ، وكنت إذا نظرت قلت: أكحل العينين، وليس بأكحل . قال ابن العباس: كان إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه . وقال أنس: ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبي صلى الله عليه وسلم، وما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أبو جحيفة: أخذت بيده، فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك . وقال أنس: كأن عرقه اللؤلؤ . وقالت أم سليم: هو من أطيب الطيب . وقال جابر : لم يسلك طريقا فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من

طيب عرفه (قال ) اما عن كماله فقد كان صلى الله عليه وسلم يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، ونصاعة لفظ، وجزالة (أي فصاحة) قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي. وكان الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدبه الله بها، وكل حليم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبرا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلما. قالت عائشة: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها، وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا. وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، قال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة، وقال جابر: ما سئل شيئا قط فقال لا. وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفر عنه الكماة (أي الشجعان) والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة (أي موقف جبن فيه) وحفظت عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم، قال علي: كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق (الحدق: العيون، كناية عن شدة الخوف) اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه. قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا. وكان أشد الناس حياء، قال أبو سعيد الخدري: كان أشد حياء من العذراء في خدرها (أي فراشها) وإذا كره شيئا عرف في وجهه، وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل (أي أكثر) نظره الملاحظة، لا يشافه أحدا بما يكره حياء وكرم

نفس، وكان لا يسمي رجلا بلغ عنه شئ يكرهه، بل يقول: ما بال أقوام يصنعون كذا وكذا، وكان أحق الناس بقول الفرزدق:

يغضي حياء ويغضي من مهابته فـلا يكـلم إلا حيـــن يبتــسم

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك محاوروه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، ويتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام، وروى الترمذي عن علي أن أبا جهل قال له: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم ( فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ) وسأل هرقل أبا سفيان: هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا . وكان أشد الناس تواضعا وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام لـه كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم، قالت عائشة: كان يخصف نعله (أي يصلح) ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشرا من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه . وكان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدبا، وأبسط الناس خلقا، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشا، ولا متفحشا ولا لعانا، ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لايدع أحدا يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخادمه أف قط، ولم يعاتبه على فعل شئ أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيرا لفقره . كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة (يعني بتجهيزها للأكل) فقال رجل: علي ذبحها وقال آخر: علي سلخها، وقال آخر: علي طبخها، فقال صلى الله عليه وسلم: وعلي جمع الحطب، فقالوا: نحن نكفيك، فقال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه، وقام وجمع الحطب . ولنترك هند بن أبي هالة يصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال هند فيما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه .لا بأطراف فمه .ويتكلم بجوامع الكلم، فصلا (أي كلاما محددا واضحا) لا فضول فيه (الفضول: ما يمكن الاستغناء عنه) ولا تقصير، دمثا ليس بالجافي ولا بالمهين،

يعظم النعمة وإن دقت (أي قلت) لا يذم شيئًا، ولم يكن يذم ذواقا (أي طعاما) ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشئ، حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. سماحة. وإذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام (يصف أسنانه بأنها شديدة البياض كالسحاب) وكان يخزن لسانه (أي يكفه) إلا عما يعنيه، يؤلف أصحابه ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره. يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد (يعني أنه حسن التصرف في كل المواقف) لا يقصر على الحق، ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة. كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن (أي لا يميز لنفسه مكانا) إذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه؛ حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه، من جالسه أو أقامه لحاجته صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس خلقه فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق متقاربين، يتفاضلون عنده بالتقوى، ويوقرون الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون (أي يعطون) ذا الحاجة، ويؤنسون الغريب. كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يقنط منه (القنوط: اليأس) قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار (يعني من عرض الدنيا) وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لايذم أحدا، ولا يعيره، ولا يطلب عورته (أي لا يسعى لفضحه) ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير (يعني شد انتباههم) وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه (أي أعطوه) ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ. وقال خارجة بن زيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يخرج شيئًا من أطرافه، وكان كثير

السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يعرض عمن تكلم من غير جميل، وكان ضحكه تبسما ، وكلامه فصلا، لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم، توقيرا له واقتداء به . وعلى الجملة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم محلى بصفات الكمال المنقطعة النظير، أدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنيا عليه فقال: ( وإنك لعلى خلق عظيم ) وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحببه إلى القلوب، وصيره قائدا تهوى إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه (أي ألان طباعهم) بعد الإباء حتى دخلوا في دين الله أفواجا . وهذه الخلال التي أتينا على ذكرها خطوط قصار من مظاهر كمال وعظيم صفاته، أما حقيقة ما كان عليه من الأمجاد والشمائل فأمر لا تدرك حقيقته، ومن يستطيع معرفة كنه أعظم بشر في الوجود بلغ أعلى قمة من الكمال، استضاء بنور ربه، حتى صار خلقه القرآن ؟ !اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد .اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد .

الوردة الجَنيه في خصائص الرسول الفقهيه

بما أن جدّنا و سيدنا محمدا رسول الله عليه الصلاة والسلام تتعلق به خصائص لابد من معرفتها فإني ولإفادة قارئ هذا الكتاب سأوردها هنا لينتفع بها قراؤه . وعليه فها هي ذي مجموعة في أُرجوزة (الفريدة الجَنية ) لسيدي محمد بن عبد الرحمن الديسي وقد وجدتها عند الشيخ محمد بوخلخال بخط شيخنا عامر محفوظي ونصها كما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمَدُه من خصّ أحمدًا بما ... شرّف قدره به وعظّما

مصليا مسلما على الدوام ... عليه والآل وصحبه الكرام

وهذه الخصائصُ الكريمهْ ... نظمتها أرجو بها الغنيمه

أجعلُها ذخيرةً للآخرهْ ... لأنها من المساعي الفاخرهْ

سميتها : بـ (الوردة الجَنيه ... في النظم للخصائص الفقهيه)

وهْي على ثلاثة أقسامِ | (الواجب) (المباح) (والحرام)
قد ذكرت في الفقه للتنويه | بقدره المعظم النبيه
ليأمن المكلفُ التحيرا | فالعلم يجلو كلَّ شُبهة تُرى
إذ جهلُها من موجبات النار | أجارنا منها اللطيفُ الباري

## الواجبات عليه صلى الله عليه وسلم

فواجبٌ عليه أكرم البشرْ | ضحًى . تهجدٌ . ووترٌ بحضر
كذلك السواكُ للصلاة | ومثلُه التخييرُ للزوجات
وأن يُشاورَ ذوي الأحلامِ | في غير ما يرجع للأحكام
قضاءُ دَين معسر من ماله | إن مات مع كفايةٍ لأهله
يصابرُ العدوَّ . يثبِّتُ العمل | يُغيّر المنكرَ من غيرِ مهَل

## الواجب علينا له صلى الله عليه وسلم

وواجبٌ إجابة المصلي | للسيّد المفضّل الأجلّ
وواجبٌ طلاق من فيها رغب | صلى عليه ربنا وما رغب
وأما زينبُ فإن اللهَ | أعلمَه تزويجَه إياها
فكتم الأمرَ حذارًا للوم | من فئةِ الضلال شرِّ قوم

## المباح له صلى الله عليه وسلم

وبإباحة الوصال . والقضا | لنفسه أو نسله أُولي الرضى
وبالحمى . وبدخولِ المسجد | مع الجنابة لخير سيد
وبدخول مكةَ حلالا | وبابتدائه بها القتالَ
كذاك قد خُصّ بتَرك القِسمة | وبالتزوجِ بلفظ الهبةِ

كـــذاك بـــالإحرام أو بـــلا ولي | ولا شـــهود وبـــلا مهـــر يلـــي
أو مَـــن يـــشا مما يـــشا بـــلا رضـــا | صـــلى عليـــه الله ما بـــدر أضـــا
وزائـــدٌ عـــن أربـــعٍ للأكـــرمِ | وخُمـــس الخُمـــسِ ورأس المغـــنم

الحرام عليه صلى الله عليه وسلم

قـــد حـــرّم الله عليـــه الـــصدقهْ | وآلـــه الواجبـــةَ المحققـــهْ
وأكلَـــه كـــالثوم أو يُـــرى | متّكئًـــا في أكلـــه خـــير الـــورى
ونـــزع لأُمتـــه حتـــى يحكُمـــا | ألله بينـــه وبـــين اللؤمـــا
أو يُمـــسكُ الـــتي تختـــارُ عنـــه | متـــاع دنيـــا بـــل تـــبين منـــه
ودفـــعَ مـــا قـــل لأخـــذ مـــا كثـــرْ | كـــذاك إبطـــانَ خـــلاف مـــاظهر
نكاحُـــه الامـــةِ والكتابيـــهْ | محـــرم عليـــه هبـــها جاريـــهْ

الحرام علينا له صلى الله عليه وسلم

ويحـــرُم اللاتـــي بهـــن قـــد دخـــل | علـــى ســـواه فهـــو ذو قـــدر أجـــلْ
وأن يكـــونَ أحـــدٌ بحكمـــه | يحكـــمُ بينـــه وبـــين خـــصمه
وأن يُنـــادى باسمـــه أو مـــن ورا | بيوتـــه قـــد ذمّ مَـــن منـــه جـــرى
ورفـــعَ صـــوتِ أحـــدٍ علـــى الكـــريمْ | كـــذا علـــى حديثـــه الـــسامي الفخـــيم

خاتمة المقصود

لا يـــورَثُ الـــنبيُّ بـــل ما تركـــهْ | صـــدقةً (تمّـــتْ) وفيهـــا بركـــه
إذ نظمـــتْ في مـــسجد الأســـتاذ | شـــيخي وأنـــسي عُمـــدتي مـــلاذي
قُطـــب الوجـــود رحمـــةِ الأنـــامَ | غـــوث البرايـــا حجـــة الإســـلام
(محمـــد بـــنْ قاســـم) الأواه | لازال محروســـا بعـــين اللـــه
ثـــم صـــلاة الله قـــدر حُبّـــهِ | علـــى الـــنبيّ وآلـــه وصَـــحبه

مديح رسول الله

بما ان ماقيل في مدح سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم لايفي بالغاية وكيف يمدح من مدحه القرآن ولذلك فاني أتبرك هنا فقط برائدة الامام البوصيري المسماة بالبردة او البرأة كما يحلوا لبعضهم أن يسميها وذلك لما لها من خصوصيات ومواعظ وحكم وتوجيه وقيم وتعبير بليغ .الأمر الذي بسببه أحببت ان لايخلوا كتابي هذا منها وقد اذن لنا في انشادها واستماعها شيخنا سيدي محمد بلقائد قدس الله سره وقد كنت في الصغر أسمعها من مشايخي رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وكم سمعت انشادها من سيدي قويدر الود الابلولي رحمه الله وهي بتمامها كما ياتي :

البردة

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِي سَلَمِ    مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقاءِ كاظِمَةٍ    وأَوْمَضَ البَرْقُ في الظَّلْماءِ مِنْ إِضَمِ

فما لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفا هَمَتا    وما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ    ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ

لولا الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ    ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البانِ والعَلَمِ

فكيفَ تُنْكِرُ حُبّاً بعدَ ما شَهِدَتْ    بهِ عليكَ عُدولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ

وأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنًى    مِثْلَ البَهارِ عَلَى خَدَّيْكَ والعَنَمِ

نَعَمْ سَرَى طَيفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَني    والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالأَلَمِ

يا لائمي في الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً    مِنِّي إليكَ ولَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

عَدَتْكَ حالِي لا سِرِّي بمُسْتَتِرٍ    عَنِ الوُشاةِ ولا دائِي بمُنْحَسِمِ

مَحَّضْتَني النُّصْحَ لكنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ    إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذّالِ في صَمَمِ

إنِّي اتَّهَمْتُ نَصيحَ الشَّيْبِ في عَذَلٍ    والشَّيْبُ أَبْعَدُ في نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

فإنَّ أَمّارَتي بالسُّوءِ ما اتَّعَظَتْ    مِنْ جَهْلِها بنَذيرِ الشَّيْبِ والهَرَمِ

ولا أَعَـدَّتْ مـنَ الفعْـلِ الجَميـلِ قـرَى ... ضَـيْفٍ أَلَمَّ برأْسـي غـيرَ مُحْتَـشِمِ

لـو كنْـتُ أَعْلَـمُ أَنّـي مَـا أُوَقّـرُهُ ... كَتَمْـتُ سِـرًّا بَـدَا لـي منـهُ بـالكَتَمِ

مَـنْ لـي بـرَدّ جمـاحٍ مـنْ غوايَتهـا ... كمـا يُـرَدُّ جمـاحُ الخَيْـلِ بـاللُّجُمِ

فـلا تـرُمْ بالمعاصـي كَسْرَ شَـهْوَتِها ... إنَّ الطعـامَ يُقـوّي شَـهْوَةَ النَّهِمِ

والنّفسُ كالطفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى ... حُبّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

فاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلّيَهُ ... إنَّ الهَوَى مـا تَـوَلّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

وراعِهـا وهْـيَ في الأعمـالِ سـائمةٌ ... وإنْ هيَ اسْتَحْلَتِ المرْعَى فلا تُسِمِ

كَـمْ حَسّنَتْ لـذّةً للمَـرْءِ قاتلـةً ... منْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السَّمَّ في الدَّسَمِ

وَاخْشَ الدّسائسَ من جُوعٍ وَمَنْ شَبَعٍ ... فَـرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مـنَ التُّخَمِ

واسْتَفْرِغِ الدّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ ... مِـنَ المَحارمِ والْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

وخالفِ النّفسَ والشّيْطانَ واعْصِهما ... وإنْ هُمَا مَحَضاكَ النُّصْحَ فاتّهِمِ

ولا تُطِعْ منهما خَصْمًا ولا حَكَمًا ... فأنتَ تعرفُ كيدَ الخصمِ والحَكَمِ

أَسْتَغفرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بلا عَمَلٍ ... لقد نَسَبْتُ بهِ نَسْلًا لِذي عُقُمِ

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لكنْ ما ائْتَمَرْتُ بهِ ... وما اسْتَقَمْتُ فما قَوْلي لكَ اسْتَقِمِ

ولا تَزَوّدْتُ قبلَ المَوْتِ نافلةً ... ولَمْ أُصَلّ سوى فَرْضٍ ولَمْ أَصُمِ

ظَلَمْتُ سُنّةَ مَنْ أَحْيا الظّلامَ إلى ... أنِ اشْتَكَتْ قَدَماهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

وشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشاءَهُ وطَوَى ... تَحْتَ الحِجارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الأَدَمِ

وَراوَدَتْهُ الجِبالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ ... عَنْ نَفْسِهِ فأَراها أَيّما شَمَمِ

وأَكّدَتْ زُهْدَهُ فيها ضَرُورَتُهُ ... إنَّ الضَّرُورَةَ لا تَعْدُو على العِصَمِ

وكيفَ تَدْعُو إلى الدُّنيا ضَرُورَةُ مَنْ ... لولاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ

مُحَمَّدٌ سَيّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْـ ... ـنِ والفَريقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ

نَبِيُّنا الآمِرُ النّاهي فَلا أَحَدٌ ... أَبَرَّ في قَوْلِ «لا» منْهُ ولا «نَعَمِ»

هُوَ الحَبيبُ الذي تُرْجَى شَفاعَتُهُ ... لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوالِ مُقْتَحِمِ

دَعَا إلى اللهِ فالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ ... مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

فَاقَ النَّبِيِّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... وَلَمْ يُدَانُوهُ في عِلْمٍ وَلا كَرَمِ

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ ... مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

فَهْوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ... ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ في مَحَاسِنِهِ ... فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى في نَبِيِّهِمِ ... وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ

وَانْسُبْ إلى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ... وَانْسُبْ إلى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ ... حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً ... أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا العُقُولُ بِهِ ... حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

أَعْيَا الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى ... في القُرْبِ وَالبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ ... صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

وَكَيْفَ يُدْرِكُ في الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ ... قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالحُلُمِ

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ... وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهِ ... فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ في الظُّلَمِ

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ ... بِالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالبِشْرِ مُتَّسِمِ

كَالزَّهْرِ في تَرَفٍ وَالبَدْرِ في شَرَفٍ ... وَالبَحْرِ في كَرَمٍ وَالدَّهْرِ في هِمَمِ

كَأَنَّهُ هُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلالَتِهِ ... في عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفي حَشَمِ

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ في صَدَفٍ ... مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

لا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ ... طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ ... يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

يَومٌ تَفَرَّسَ فيهِ الفُرسُ أَنَّهُمُ ... قَد أُنذِروا بِحُلولِ البُؤسِ والنِّقَمِ

وباتَ إِيوانُ كِسرى وهُوَ مُنصَدِعٌ ... كَشَملِ أَصحابِ كِسرى غَيرَ مُلتَئِمِ

والنّارُ خامِدَةُ الأَنفاسِ مِن أَسَفٍ ... عليهِ والنَّهرُ ساهي العَينِ مِن سَدَمِ

وساءَ ساوَةَ أَن غاضَت بُحَيرَتُها ... ورُدَّ وارِدُها بالغَيظِ حينَ ظَمِي

كأَنَّ بالنارِ ما بالماءِ مِن بَلَلٍ ... حُزناً وبالماءِ ما بالنّارِ مِن ضَرَمِ

والجِنُّ تَهتِفُ والأَنوارُ ساطِعَةٌ ... والحَقُّ يَظهَرُ مِن مَعنىً ومِن كَلِمِ

عَمُوا وصَمُّوا فإِعلانُ البَشائِرِ لَم ... تُسمَعْ وبارِقَةُ الإِنذارِ لَم تُشَمِ

مِن بَعدِ ما أَخبَرَ الأَقوامَ كاهِنُهُم ... بأَنَّ دينَهُمُ المُعوَجَّ لَم يَقُمِ

وبَعدَ ما عايَنوا في الأُفقِ مِن شُهُبٍ ... مُنقَضَّةٍ وفقَ ما في الأَرضِ مِن صَنَمِ

حَتّى غَدا عَن طَريقِ الوَحيِ مُنهَزِمٌ ... مِنَ الشياطينِ يَقفو إِثرَ مُنهَزِمِ

كأَنَّهُم هَرَباً أَبطالُ أَبرَهَةٍ ... أَو عَسكَرٌ بالحَصى مِن راحَتَيهِ رُمي

نَبذاً بهِ بَعدَ تَسبيحٍ بِبَطنِهِما ... نَبذَ المُسَبِّحِ مِن أَحشاءِ مُلتَقِمِ

جاءَت لِدَعوَتِهِ الأَشجارُ ساجِدَةً ... تَمشي إِليهِ عَلى ساقٍ بِلا قَدَمِ

كأَنَّما سَطَرَت سَطراً لِما كَتَبَت ... فُروعُها مِن بَديعِ الخَطِّ في اللَّقَمِ

مِثلَ الغَمامَةِ أَنّى سارَ سائِرَةً ... تَقيهِ حَرَّ وَطيسٍ لِلهَجيرِ حَمي

أَقسَمتُ بالقَمَرِ المُنشَقِّ إِنَّ لَهُ ... مِن قَلبِهِ نِسبَةً مَبرورَةَ القَسَمِ

ومَا حَوى الغارُ مِن خَيرٍ ومِن كَرَمٍ ... وكُلُّ طَرفٍ مِنَ الكُفّارِ عنهُ عَمي

فالصِّدقُ في الغارِ والصِّدّيقُ لَم يَرِما ... وَهُم يَقولونَ ما بالغارِ مِن أَرِمِ

ظَنُّوا الحَمامَ وظَنُّوا العَنكَبوتَ عَلى ... خَيرِ البَرِيَّةِ لَم تَنسُجْ ولَم تَحُمِ

وِقايَةُ اللهِ أَغنَت عَن مُضاعَفَةٍ ... مِنَ الدُّروعِ وعَن عالٍ مِنَ الأُطُمِ

ما سامَني الدَّهرُ ضَيماً واستَجَرتُ بهِ ... إِلّا ونِلتُ جِواراً مِنهُ لَم يُضَمِ

ولا التَمَستُ غِنى الدّارَينِ مِن يَدِهِ ... إِلّا استَلَمتُ النَّدى مِن خَيرِ مُستَلَمِ

لا تُنكِرِ الوَحيَ مِن رُؤياهُ إِنَّ لَهُ ... قَلباً إِذا نامَتِ العَينانِ لَم يَنَمِ

وذاكَ حينَ بُلوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ … فليسَ يُنْكَرُ فيهِ حالُ مُحْتَلِمِ

تَبَارَكَ اللهُ ما وحْيٌ بمُكتَسَبٍ … ولا نبيٌّ عَلَى غَيْبٍ بمُتَّهَمِ

كَمْ أبْرأَتْ وَصِبًا باللمْسِ راحَتُهُ … وأطْلَقَتْ أرِبًا مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

وأحْيَتِ السنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ … حتى حَكَتْ غُرَّةً في الأَعْصُرِ الدُّهُمِ

بعارِضٍ جَادَ أوْ خلتَ البطاحَ بها … سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ أوْ سَيْلٌ مِنَ العَرِمِ

دَعْني وَوَصْفي آياتٍ لَهُ ظَهَرَتْ … ظُهورَ نارِ القِرَى لَيْلاً عَلى عَلَمِ

فالدُّرُّ يَزْدادُ حُسْنًا وَهْوَ مُنْتَظِمٌ … ولَيسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيرَ مُنْتَظِمِ

فما تطاوَلَ آمالُ المَديحِ إلى … ما فيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ والشِّيَمِ

آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثَةٌ … قَديمَةٌ صِفَةُ المَوْصوفِ بالقِدَمِ

لَمْ تَقْتَرِنْ بزمانٍ وَهْيَ تُخبِرُنا … عَنِ المعادِ وعَنْ عادٍ وعَنْ إرَمِ

دامَتْ لَدَيْنا ففاقَتْ كلَّ مُعْجِزَةٍ … مِنَ النَّبِيّينَ إذْ جاءتْ ولَمْ تَدُمِ

مُحَكَّماتٌ فما تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ … لِذي شِقاقٍ وما تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

ما حُورِبَتْ قَطُّ إلاَّ عادَ مِنْ حَرَبٍ … أَعْدَى الأعادي إليها مُلقِيَ السَّلَمِ

رَدَّتْ بلاغَتُها دَعْوى مُعارِضِها … رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجاني عَنِ الحُرَمِ

لها مَعانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ … وفَوْقَ جَوْهَرِهِ في الحُسْنِ والقِيَمِ

فما تُعَدُّ وَلا تُحْصَى عَجَائِبُها … ولا تُسامُ عَلَى الإكْثارِ بالسَّأَمِ

قَرَّتْ بها عَيْنُ قارِيها فقلْتُ لَهُ … لقدْ ظفِرتَ بحَبْلِ اللهِ فاعْتَصِمِ

إنْ تَتْلُها خيفَةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظَى … أطْفَأْتَ نارَ لَظَى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ

كأنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ بهِ … مِنَ العُصاةِ وقَدْ جاءُوهُ كالحُمَمِ

وكالصِّراطِ وكالميزانِ مَعدِلَةً … فالقِسْطُ مِنْ غيرِها في الناسِ لَمْ يَقُمِ

لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنكِرُها … تَجاهُلاً وهْوَ عَيْنُ الحاذقِ الفَهِمِ

قد تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِن رَمَدٍ … ويُنْكِرُ الفَمُّ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ

يا خَيرَ مَنْ يَمَّمَ العافونَ ساحَتَهُ … سَعْيًا وفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ ... وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ ... كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً ... مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ
وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا ... وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ ... فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ العَلَمِ
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ ... مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ ... نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ
كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ ... عَنِ العُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتِمِ
فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ ... وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ ... وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ
بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا ... مِنَ العِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ
لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ ... بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ
رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ ... كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ
مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... حَتَّى حَكَوْا بِالقَنَا لَحْماً عَلَى وَضَمِ
وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ ... أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبَانِ وَالرَّخَمِ
تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا ... مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ
كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ ... كُلُّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ
يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ ... يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلّهِ مُحْتَسِبٍ ... يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَهْيَ بِهِمْ ... مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ
مَكْفُولَةً أَبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ ... وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ
هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ ... مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ
وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً ... فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ

المُصْدِري البيضِ حُمْراً بعدما وَرَدَتْ ... مِنَ العدا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ
وَالكاتبينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ما تَرَكَتْ ... أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ
شاكي السِّلاحِ لَهُمْ سِيمَى تُمَيِّزُهُمْ ... وَالوَرْدُ يَمْتازُ بِالسِّيمَى عَنِ السَّلَمِ
تُهْدي إليكَ رِياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ ... فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ في الأَكْمامِ كُلَّ كَمِي
كأنَّهُمْ في ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُباً ... مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ
طارَتْ قُلوبُ العِدا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً ... فَما تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ
وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ ... إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ
وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ ... بِهِ وَلا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْعَجِمِ
حَلَّ أُمَّتَهُ في حِرْزِ مِلَّتِهِ ... كاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبالِ في أَجَمِ
كَمْ جَدَّلَتْ كَلِماتُ اللهِ مِنْ جَدَلٍ ... فيهِ وَكَمْ خَصَمَ البُرْهانُ مِنْ خَصِمِ
كَفاكَ بِالعِلْمِ في الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... في الجاهِلِيَّةِ وَالتَّأْديبِ في اليُتُمِ
خَدَمْتُهُ بِمَديحٍ أَسْتَقيلُ بِهِ ... ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعْرِ وَالخِدَمِ
إذْ قَلَّداني ما تُخْشَى عَواقِبُهُ ... كَأَنَّني بِهِما هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ
أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا في الحالَتَيْنِ وَما ... حَصَلْتُ إلَّا عَلَى الآثامِ وَالنَّدَمِ
فَيا خَسارَةَ نَفْسٍ في تِجارَتِها ... لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيا وَلَمْ تَسُمِ
وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعاجِلِهِ ... يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ في بَيْعٍ وَفي سَلَمِ
إنْ آتِ ذَنْباً فَما عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ النَّبِيِّ وَلا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ
فَإنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي ... مُحَمَّداً وَهُوَ الخَلِيقُ بِالذِّمَمِ
إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعادي آخِذاً بِيَدي ... فَضْلاً وَإلَّا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ
حاشاهُ أنْ يَحْرِمَ الرَّاجي مَكارِمَهُ ... أَوْ يَرْجِعَ الجارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ
وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكاري مَدائِحَهُ ... وَجَدْتُهُ لِخَلاصي خَيْرَ مُلْتَزِمِ
وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ ... إنَّ الحَيا يُنْبِتُ الأَزْهارَ في الأَكَمِ
وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيا الَّتي اقْتَطَفَتْ ... يَدا زُهَيْرٍ بِما أَثْنَى عَلَى هَرِمِ

يـا أكـرَمَ الرُّسْـلِ مـا لِي مَـنْ أَلُـوذُ بـه سـوَاكَ عنـدَ حلـولِ الحـادث العَمـمِ
وَلـنْ يَـضيقَ رَسُـولَ اللهِ جاهُـكَ بـي إِذَا الكـريمُ تحَلَّـى باسْـمِ مُنْـتَقِمِ
فـإنَّ مـنْ جُـودكَ الـدنيا وضـرَّتَها وَمِـنْ عُلُومِـكَ علـمَ اللّـوْحِ والقَلَـمِ
يـا نَفْسُ لا تَقْنَطِي مِـنْ زَلَّـةٍ عَظُمَـتْ إنَّ الكبـائرَ في الغُفـرانِ كـاللَّمَمِ
لعـلَّ رَحْمَـةَ رَبِّـي حِـينَ يَقْـسمُها تأْتي عَلَى حَسَبِ العصْيانِ في القسَمِ
يا رَبِّ واجْعَلْ رَجائي غيرَ مُنْعَكِس لَـدَيْكَ واجعَلْ حسابي غيرَ مُنْخَرِمِ
وَالْطُـفْ بِعَبْـدِكَ في الـدَّارَيْنِ إنَّ لَـهُ صَـبْراً مَتَـى تَدْعُـهُ الأَهْـوالُ يَنْهَـزِمِ
وَائـذَنْ لِـسُحْبِ صَـلاةٍ منـكَ دائمـة عَلَـى الـنَّبيِّ بِمُنْهَـلٍّ ومُنْـسَجِمِ
مـا رنحَّـتْ عَـذَباتِ البـانِ رِيحُ صَباً وأطربَ العيسَ حادي العيسِ بالنَّغَمِ

أقول وهنا أضيفت ابيات أخر كثيرة متنوعة من طرف بعض العلماء يمكن مراجعتها في كتابات القصيدة وبعض المنشدين فليتامل هذا . ومنها قولهم :

ثـم الرضـى عـن أبـي بكـر وعـن عمـر وعـن علـي وعـن عثمـان ذي الكرم
والآل والـصحب ثـم التـابعين فهـم أهـل التقـى والنقـا والحلـم والكـرم
يـارب بالمـصطفى بلـغ مقاصـدنا واغفـر لنـا مـا مضـى يـا واسـع الكرم
واغفـر إلهـي لكـل المسلمين بمـا يتلـوه في المسجد الأقـصى وفي الحـرم
بجـاه مـن بيتـه في طيبـة حـرمُ واسمـه قـسم مـن أعظـم القـسم
وهـذه بـردة المختـار قـد ختمـت والحمـد لله في بـدء وفي خـتم
أبياتهـا قـد أتـت سـتين مع مائـة فـرج بهـا كربنـا يـا واسـع الكـرم

قلت وكان سي قويدر الود رحمه الله يبدأ البردة بقوله :

أعـوذ بالله من الشيطـان بسـم الله الرحيـم الرحمـن

## تخميس البردة

(قلت) وخمّس البردة هذه أحد المشايخ وقد سمعت ذلك التخميس من منشدين مصريين كما أنه موجود عندي في مخطوطة قديمة أفادني بها البركة الحاج علي بن سالم المعيلبي المايدي ومن بينه قوله :

مـا بال قلبك لاينـفك ذا ألـم    مذ بان أهل الحمى والماء والـعَلم

وانهل منذ معك القاني بمنسجم

أمن تذكر جـيران بذي سـلم    مزجت دمعا جرى من مقـلة بدم

أم زاد معك فيـضا لوم لائمـة    ونوح ورق عن الاغصان قائـمة

ام شوق نفس إلى الأحباب هائمة

أم هبت الريح من تلقاء كاضـمة    وأومض البرق في الظلماء من إضم

----

## نهج البردة

في شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم انشأ امير الشعراء احمد شوقي بك المصري هذه القصيدة الرائعة المسماة بـ ( نهج البردة ) يقول فيها :

ريـمٌ علـى القـاعِ بـين البـان والعلَـم    أَحَـلَّ سـفْكَ دمـي في الأَشـهر الحُـرُم

رمـى القـضاءُ بعـيْني جُـؤذرٍ أَسـداً    يـا سـاكنَ القاعِ، أَدرِك سـاكنَ الأَجـم

لـمـا رَنـا حـدّثتني الـنفسُ قائلـةً    يا وَيْحَ جنبِكَ، بالسهمِ المُصيب رُمي

جحـدتها ، وكتمـت الـسهمَ في كبـدي    جُـرْحُ الأَحبـة عنـدي غـيرُ ذي أَلم

رزقـتَ أَسمـح مـا في النـاس مـن خُلـق    إذا رُزقـتَ التمـاس العـذر في الـشّيَم

يــا لائمــي في هــواه والهــوى قــدَرٌ    لَـو شـفَّك الوجـدُ لم تَعـذل ولم تلُـم

لقـد أَنلْتُـك أُذنــاً غــير واعيــةٍ    ورُبَّ منتـصت والقلـبُ في صَـمم

يا ناعس الطرف، لا ذقتَ الهوى أَبداً    أَسهرْتَ مُضناك في حفظ الهوى، فنم

أُفـديك إلفـاً ، ولا آلـو الخيـالَ فـدىً    أَغـراك بالبخـل مَـن أَغـراه بـالكرم

سـرَى، فـصادف جُرحـاً داميـاً ، فأَسـا    ورُبَّ فـضلٍ علـى العـشاق للحُلُـم

مَـن المـوائسُ بانـاً بـالرُّبى وقَنـاً	اللاعباتُ بِرُوحي، السافحاتُ دمي

السافراتُ كأمثالِ البُدورِ ضُحىً	يُغِرْنَ شمسَ الضحى بالحَلْيِ والعِصَمِ

القاتلاتُ بأجفانٍ بها سَقَمٌ	وللمنيةِ أسبابٌ مِن السَّقَمِ

العاثراتُ بألبابِ الرِّجالِ، وما	أُقِلْنَ مِن عثراتِ الدَّلِّ في الرَّسَمِ

المضرماتُ خُدوداً، أَسفرت، وجَلَتْ	عَن فتنةٍ، تُسلِمُ الأكبادَ للضرمِ

الحاملاتُ لِواءَ الحسنِ مختلفاً	أشكالُه، وهو فردٌ غيرُ منقسمِ

مِن كلِّ بيضاءَ أو سمراءَ زُيِّنتا	للعينِ، والحُسنُ في الآرامِ كالعُصُمِ

يُرَعْنَ للبصرِ السامي، ومِن عجبٍ	إذا أشَرنَ أَسَرنَ الليثَ بالعنمِ

وضعتُ خدِّي، وقسَّمتُ الفؤادَ ربىً	يَرتعنَ في كُنُسٍ منه وفي أكمِ

يا بنتَ ذي اللِّبَدِ المحميِّ جانبُه	أَلقاكِ في الغابِ، أم أَلقاكِ في الأُطُمِ

ما كنتُ أعلمُ حتى عنَّ مسكنُه	أنَّ المُنى والمنايا مضرِبُ الخِيَمِ

مَنْ أنبتَ الغصنَ مِنْ صَمصامةٍ ذكرٍ	وأخرجَ الرِّيمَ مِن ضِرغامةٍ قرمِ

بيني وبينكِ مِن سُمْرِ القنا حُجُبٌ	ومثلُها عفةٌ عُذريَّةُ العِصَمِ

لم أَغشَ مغناكِ إلا في غضونِ كرىً	مَغناكِ أبعدُ للمشتاقِ مِن إرَمِ

يا نفسُ، دنياكِ تُخفي كلَّ مُبكيةٍ	وإن بدا لكِ منها حُسنُ مُبتسمِ

فُضِّي بتقواكِ فاهاً كلما ضحكتْ	كما يُفَضُّ أذى الرقشاءِ بالثَّرَمِ

مخطوبةٌ – منذُ كان الناسُ – خاطبةٌ	مِن أولِ الدهرِ لم تَرْمَلْ، ولم تَئِمِ

يَفنى الزمانُ، ويبقى مِن إساءتِها	جُرحٌ بآدمَ يَبكي منه في الأَدَمِ

لا تحفلي بجناها، أو جنايتِها	الموتُ بالزَّهْرِ مثلُ الموتِ بالفَحَمِ

كم نائمٍ لا يَراها، وهي ساهرةٌ	لولا الأمانيُّ والأحلامُ لم يَنَمِ

طوراً تمدُّكِ في نُعْمى وعافيةٍ	وتارةً في قرارِ البؤسِ والوَصَمِ

كم ضلَّلتكِ، ومَن تُحْجَبْ بصيرتُه	إن يلقَ صاباً يَرِدْ، أو علقماً يَسُمِ

يا ويلتاهُ لنفسي! راعَها ودَهَ	مُسْوَدَّةُ الصُّحْفِ في مُبْيَضَّةِ اللِّمَمِ

رَكَضْتَها في مَريعِ المعَصياتِ، وما ... أَخذتُ من حمْيةِ الطاعاتِ للتُّخَمِ

هامت على أثرِ اللّذاتِ تَطلُبُها ... والنفسُ إن يَدْعُها داعي الصِّبا تَهِمِ

صلاحُ أَمرِكَ للأخلاقِ مرجعُه ... فقوِّمِ النفسَ بالأخلاقِ تستقمِ

والنفسُ من خيرِها في خيرِ عافيةٍ ... والنفسُ من شرِّها في مرْتعٍ وَخِمِ

تطغى إذا مُكِّنَتْ من لذةٍ وهوىً ... طغْيَ الجيادِ إذا عَضتْ على الشُّكُمِ

إن جَلَّ ذنبي عن الغفرانِ لي أَملٌ ... في اللهِ يجعلني في خيرِ مُعتصَمِ

أُلقي رجائي إذا عزَّ المجيرُ على ... مُفرِّجِ الكربِ في الدارينِ والغَمَمِ

إذا خفضتُ جَناحَ الذلِّ أَسأله ... عزَّ الشفاعةِ؛ لم أَسأَلْ سوى أَمَمِ

وإن تقدَّمَ ذو تقوى بصالحةٍ ... قَدّمتُ بين يديه عَبْرَةَ الندَمِ

لزمتُ بابَ أَميرِ الأنبياءِ، ومَنْ ... يُمْسكْ بمفتاحِ بابِ اللهِ يغتنمِ

كَلّ فضلٍ، وإحسانٍ، وعارفةٍ ... فما بين مستلمٍ منه ومُلتزمِ

علقتُ من مدحِه حبلاً أَعزُّ به ... في يومِ لا عزَّ بالأنسابِ واللُّحَمِ

يُزري قريضي زُهَيْراً حين أمدحُه ... ولا يقاسُ إلى جودي لدى هَرِمِ

محمدٌ صفوةُ الباري، ورحمتُه ... وبغيةُ اللهِ من خَلْقٍ ومن نَسَمِ

وصاحبُ الحوضِ يومَ الرُّسْلُ سائلةٌ ... متى الورودُ؟ وجبريلُ الأَمينُ ظَمي

سناؤه وسناهُ الشمسُ طالعةً ... فالجرمُ في فلكٍ، والضوءُ في عَلَمِ

قد أَخطأَ النجمَ ما نالت أُبوّتُه ... من سؤددٍ باذخٍ في مظهَرٍ سَنِمِ

نُموا إليه، فزادوا في الورى شرَفاً ... ورُبَّ أَصلٍ لفرعٍ في الفخارِ نُمي

حَواهُ في سُبُحاتِ الطُّهرِ قبلهمُ ... نورانِ قاما مقامَ الصُّلبِ والرَّحِمِ

لما رآهُ بَحيرا قال: نعرفُه ... ما حفظنا من الأسماءِ والسِّيَمِ

سائلْ حراءَ، وروحَ القدسِ: هل عَلما ... مَصونَ سرٍّ عن الإدراكِ مُنْكَتِمِ

كم جيئةٍ وذهابٍ شُرِّفتْ بهما ... بَطحاءُ مكةَ في الإصباحِ والغَسَمِ

ووحشةٍ لابنِ عبدِ اللهِ بينهما ... أَشهى من الأُنسِ بالأَحسابِ والحشَمِ

يُسامر الوحيَ فيها قبل مهبطه ... ومَن يبشّرْ بسيما الخير يَتَّسمِ
لما دعا الصّحْبُ يستسقون من ظمإٍ ... فاضتْ يداه من التسنيم بالسَّنَمِ
وظلّلته، فصارت تستظل به ... غمامةٌ جذبَتْها خيرةُ الدِّيَمِ
إنّ الشمائل إن رَقّتْ يكاد بها ... يُغرى الجمادُ، ويُغرى كلُّ ذي نَسَمِ
ونوديَ: اقرأْ تعالى اللهُ قائلُها ... لم تتصل قبلَ مَن قيلتْ له بفمِ
هناك أَذَّنَ للرحمن، فامتلأت ... أسماعُ مكّةَ من قدسيّة النَّغَمِ
فلا تسل عن قريش كيف حَيْرتُها ... وكيف نُفْرتُها في السهل والعَلَمِ
تساءلوا عن عظيمٍ قد أَلَمَّ بهم ... رمى المشايخَ والولدانَ باللممِ
يا جاهلين على الهادي ودعوته ... هل تجهلون مكانَ الصادق العَلَمِ
لقَّبتموه أمينَ القوم في صغرٍ ... وما الأمينُ على قولٍ بمتَّهَمِ
فاق البدورَ، وفاق الأنبياءَ، فكمْ ... بالخُلق والخَلق من حسْنٍ ومن عِظَمِ
جاءَ النبيون بالآيات، فانصرمت ... وجئتنا بحكيمٍ غيرِ منصرمِ
آياتُه كلما طال المدى جُدُدٌ ... يَزينهنّ جلالُ العتقِ والقِدَمِ
يكاد في لفظةٍ منه مشرّفةٍ ... يوصيك بالحق، والتقوى، وبالرحمِ
يا أفصحَ الناطقين الضادَ قاطبةً ... حديثُك الشّهدُ عند الذائق الفهمِ
حلّيتَ من عَطَلٍ جيدَ البيان به ... في كلّ منتثرٍ في حسن منتظمِ
بكلّ قولٍ كريمٍ أنت قائلُه ... تحيي القلوبَ، وتحيي ميّتَ الهِمَمِ
سَرَتْ بشائرُ بالهادي ومولده ... في الشرق والغرب مَسْرى النور في الظُّلَمِ
تخطّفتْ مُهَجَ الطاغين من عربٍ ... وطيّرت أنفسَ الباغين من عجمِ
ريعت لها شُرَفُ الإيوان، فانصدعت ... من صدمة الحق، لا من صدمة القُدُمِ
أتيتَ والناسُ فوضى لا تمرّ بهم ... إلاّ على صنمٍ، قد هام في صنمِ
والأرض مملوءةٌ جورًا، مسخّرةٌ ... لكلّ طاغيةٍ في الخَلْق محتكمِ
مسيطرُ الفرس يبغي في رعيّته ... وقيصرُ الروم من كِبْرٍ أصمُّ عَمِ

يُعــذّبان عبـادَ اللّـه في شُـبه / ويـذبَحان كما ضحَّيتَ بالغَنَم

والخلقُ يَفتك أقواهم بأضعفهم / كالليث بالبَهْم، أو كالحوت بالبَلَم

أسرى بك اللّهُ ليلاً، إذ ملائكُه / والرُّسْل في المسجد الأقصى على قدَم

لما خطرتَ به التفّوا بسيّدهم / كالشُّهْب بالبدر، أو كالجُند بالعَلَم

صلى وراءك منهم كلُّ ذي خطر / ومن يفُز بحبيب الله يأتمم

جُبْتَ السّماوات أو ما فوقهن بهم / على منوّرة دريّة اللجم

ركوبة لك من عزٍّ ومن شرف / لا في الجياد، ولا في الأينق الرسُم

مَشيئةُ الخالق الباري، وصَنعتُهُ / وقدرةُ الله فوق الشك والتّهَم

حتى بلغتَ سماءً لا يُطار لها / على جَناح، ولا يُسعَى على قدم

وقيل: كلُّ نبيٍّ عند رتبته / ويا محمدُ، هذا العرشُ فاستلم

خطَطتَ للدين والدنيا علومهما / يا قارئَ اللوح، بل يا لامسَ القلم

أحطْتَ بينهما بالسرّ، وانكشفتْ / لك الخزائنُ من علم، ومن حكم

وضاعفَ القُرب ما قُلِّدْتَ من مِنَن / بلا عداد، وما طُوّقتَ من نِعم

سل عصبةَ الشرك حولَ الغار سائمةً / لولا مطاردةُ المختار لم تُسَم

هل أبصروا الأثرَ الوضّاءَ، أم سمعوا / همْسَ التسابيح والقرآن من أمَم

وهل تمثّل نسيجُ العنكبوت لهم / كالغاب، والحائماتُ الزُّغبُ كالرخم

فأدبروا، ووجوهُ الأرض تلعنُهم / كباطلٍ من جلال الحق منهزم

لولا يدُ الله بالجارَيْن ما سلما / وعينُه حولَ ركن الدين؛ لم يقُم

توارَيا بجَناح الله، واستترا / ومن يضُمُّ جناحُ الله لا يُضَم

يا أحمدَ الخير، لي جاهٌ بتسميتي / وكيف لا يتسامى بالرسول سمي

المادحون وأربابُ الهوى تَبَعٌ / لصاحب البُرْدة الفيحاء ذي القَدَم

مديحُه فيك حبٌّ خالصٌ وهوىً / وصادقُ الحبّ يُملي صادقَ الكلم

اللهُ يشهدُ أنّي لا أعارضُه / من يعارض صوبَ العارض العرم

وإنّما أنا بعض الغابطين، ومَن    يغبط وليك لا يذمم ولا يلم
هذا مقامٌ من الرحمن مُقتبسٌ    ترمي مَهابتُه سَحْبانَ بالبَكم
البدرُ دونكَ في حسنٍ وفي شرف    والبحرُ دونك في خيرٍ وفي كرم
شُمُّ الجبال إذا طاولتَها انخفضت    والأنجُمُ الزُّهرُ ما واسمتَها تسم
والليثُ دونكَ بأساً عند وثبته    إذا مشيتَ إلى شاكي السلاح كمي
تهفو إليكَ وإن أدميتَ حبّتَها    في الحرب أفئدةُ الأبطال والبُهَم
محبةُ اللّه ألقاها، وهيبتُه    على ابن آمنة في كلّ مُصطدَم
كأن وجهَك تحت النّقع بدرُ دُجى    يضيءُ مُلتثماً، أو غيرَ مُلتثم
بدرٌ تطلّعَ في بدر فغرّتُه    كغُرّة النصر، تجلو داجيَ الظلَم
ذُكرْتَ باليُتم في القرآن تكرمةً    وقيمةُ اللؤلؤ المكنون في اليُتم
اللّهُ قسّمَ بين الناس رزقَهُمُ    وأنت خُيّرْتَ في الأرزاق والقسم
إن قلتَ في الأمر «لا»، أو قلتَ فيه:    فخيرةُ اللّه في «لا» منك أو «نعم»
«نعم» أخوك عيسى دعَا ميْتاً، فقام لهُ    وأنت أحييتَ أجيالاً من الزّمم
قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا    لقتل نفس ولا جاؤوا لسفك دم
جهلٌ، وتضليلُ أحلامٍ، وسفسطة    فتحتَ بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لكَ عفواً كلُّ ذي حَسَب    تكفّل السيفُ بالجهّال والعَمَم
والشرُّ إن تلْقَهُ بالخير ضقتَ بهِ    ذرْعاً، وإن تلْقَهُ بالشرّ ينحسم
سَل المسيحيّةَ الغرّاءَ: كم شربت    بالصّاب من شَهوات الظالم الغلَم
طريدةُ الشرك، يؤذيها، ويوسعُها    في كلّ حين، قتالاً ساطعَ الحدَم
ولا حُماةٌ لها هبّوا لنصرتها    بالسيف ما انتفعتْ بالرفق والرُّحَم
لولا مكانٌ لعيسى عند مُرسله    وحُرمةٌ وجبتْ للروح في القدَم
لسُمّرَ البدَنُ الطهرُ الشريفُ على    لوْحَيْن، لم يخشَ مؤذيه، ولم يَجم
جلَّ المسيحُ، وذاق الصّلبَ شانئُهُ    إن العقابَ بقدر الذنب والجُرُم

أَخُـــو الـــنبيّ، وروحُ اللَّـــه في نُـــزُل ... فـوقَ الـسماء ودون العـرش مُحـترَم

علَّمْـــتهم كـــل شـــيء يجهلـــون بـــه ... حتـى القتـال ومـا فيـه مـن الـذِّمَم

دعـــوتهم لجهَـــاد فيـــه ســـؤددُهُمْ ... والحـربُ أُسُّ نظـام الكـون والأُمَـم

لـــولاه لم نـــر للـــدولات في زمـــن ... مـا طـال من عمـد، أو قـرّ من دُعُـم

تلـك الـشواهدُ تَتْـرَى كـل آونـة ... في الأَعصُر الغرّ، لا في الأَعصُر الدُّهُم

بالأَمس مالت عَروشٌ، واعتلت سُرُرٌ ... لـولا القـذائفُ لم تـثْلَمْ، ولم تـصم

أَشياعُ عيسى أَعَدُّوا كل قاصمة ... ولم نُعدّ سوى حالات مُنقصم

مهما دُعيتَ إلى الهيْجَاء قُمْتَ لها ... ترمي بأُسْد، ويرمي اللهُ بالرُّجُم

على لِوَائِكَ منهم كل مُنتقم ... لله، مُستقتل في الله، مُعتزم

مُسبّح للقاء الله، مُضطرمٍ ... شوقاً، على سابح كالبرق مضطرم

لو صادفَ الدهرَ يَبغي نقلةً، فرمى ... بعزمه في رحال الدهر لم يَرِم

بيضٌ، مَفاليل من فعل الحروب بهم ... من أَسْيُف الله، لا الهندية الخُذُم

كم في التراب إذا فتّشت عن رجل ... من ماتَ بالعهد، أو من مات بالقسَم

لولا مواهبُ في بعض الأَنام لما ... تفاوت الناسُ في الأَقدار والقيَم

يلوحُ حول سنا التوحيد جوهرُها ... كالحَلْي للسيف أو كالوشْي للعَلَم

غرّاءُ حامت عليها أَنفسٌ، ونُهىً ... ومن يجدْ سَلْسَلاً من حكمة يَحُم

نورُ السبيل يساس العالمون بها ... تكفّلتْ بشباب الدهر والهَرَم

يجري الزّمانُ وأَحكامُ الزمان على ... حُكم لها، نافذ في الخلق، مُرْتَسِم

لما اعتلت دولةُ الإسلام واتسعت ... مشتْ ممالكُهُ في نورها التَّمَم

وعلّمتْ أُمّةً بالقفر نازلةً ... رعْيَ القياصر بعد الشَّاء والنَّعَم

كم شَيَّد المصلحُون العاملون بها ... في الشرق والغرب مُلكاً باذخ العظم

للعلم والعدل، والتمدين ما عزموا ... من الأُمور، وما شدّوا من الحُزُم

سرعان ما فتحوا الدنيا لملّتهم ... وأَنهلوا الناس من سَلسالها الشَّبِم

ساروا عليها هُداةَ الناس، فَهْي بهم ... إلى الفلاحِ طريقٌ واضحُ العَظَمِ

لا يهدمُ الدَّهرُ رُكناً شادَ عدلُهُمُ ... وحائطُ البغيِ إن تلمسْهُ ينهدمِ

نالوا السعادةَ في الدَّارين، واجتمعوا ... على عميمٍ من الرضوانِ مقتسمِ

دعْ عنكَ روما، وآثينا، وما حوَتا ... كلُّ اليواقيتِ في بغدادَ والتُّوَمِ

وخلِّ كسرى، وإيواناً يدلُّ به ... هوى على أَثَرِ النيرانِ والأُيَمِ

واتْرُكْ رَعمسيسَ، إنّ الملكَ مَظهرُه ... في نهضةِ العدلِ، لا في نهضةِ الهرَمِ

دارُ الشرائعِ روما كلّما ذُكِرَتْ ... دارُ السلامِ لها أَلقتْ يدَ السَّلَمِ

ما ضارعَتْها بياناً عند مُلْتَأَمٍ ... ولا حكَتْها قضاءً عند مُختصَمِ

ولا احتوتْ في طرازٍ من قياصرها ... على رشيدٍ، ومأمونٍ، ومُعتصمِ

من الذين إذا سارتْ كتائبُهم ... صرّفوا بحدودِ الأرضِ والتُّخَمِ

ويجلسونَ إلى علمٍ ومَعرفةٍ ... فلا يُدانَوْنَ في عقلٍ ولا فَهَمِ

يُطأطئُ العلماءُ الهامَ إن نَبَسوا ... من هيبةِ العلمِ، لا من هيبةِ الحُكُمِ

ويُمطِرون، فما بالأرضِ من مَحَلٍ ... ولا بمن باتَ فوقَ الأرضِ من عُدُمِ

خلائفُ اللهِ جلّوا عن موازنةٍ ... فلا تقيسنّ أملاكَ الورى بهمِ

مَنْ في البريّةِ كالفاروقِ مَعْدَلةً ... وكابنِ عبدِ العزيزِ الخاشعِ الحشمِ

وكالإمامِ إذا ما فَضّ مزدحماً ... بمدمعٍ في مآقي القومِ مزدحمِ

الزاخرِ العذبِ في علمٍ وفي أدبٍ ... والناصرِ النَّدْبِ في حربٍ وفي سلمِ

أو كابنِ عفّانَ والقرآنُ في يدهِ ... يحنو عليه كما تحنو على الفُطُمِ

ويجمعُ الآيَ ترتيباً وينظمُها ... عقداً بجيدِ الليالي غيرَ منفصمِ

جُرحانِ في كبدِ الإسلامِ ما التأما ... جُرْحُ الشهيدِ، وجرحٌ بالكتابِ دمي

وما بلاءُ أَبي بكرٍ بمتّهمٍ ... بعدَ الجلائلِ في الأفعالِ والخدمِ

بالحزمِ والعزمِ حاطَ الدينَ في محنٍ ... أَضلّتِ الحلمَ من كهلٍ ومحتلمِ

وحدْنَ بالراشدِ الفاروقِ عن رشدٍ ... في الموتِ، وهو يقينٌ غيرُ منبهمِ

يجـادلُ القـومَ مُسْتَلاًّ مهنّدَهُ — في أَعظمِ الرسْلِ قدراً، كيف لم يدمِ
لا تعذَلوهُ إذا طاف الذهولُ به — مات الحبيبُ، فضلَّ الصَّبُّ عن رَغَمِ
يا ربّ صلِّ وسلِّم ما أردتَ على — نزيلِ عرشك خيرِ الرسْلِ كلِّهِمِ
مُحيي الليالي صلاةً، لا يقطّعُها — إلاّ بدمعٍ منَ الإشفاقِ مُنسجمِ
مسبّحاً لكَ جُنْحَ الليلِ، محتملٍ — ضُرّاً منَ السُّهدِ، أو ضُرّاً من الورَمِ
رضيّةٌ نفسُهُ، لا تشتكي سأَماً — وما معَ الحبّ إنْ أخلصت من سَأَمِ
وصلِّ ربّي على آلٍ لهُ نُخَبٍ — جعلتَ فيهم لواءَ البيتِ والحرمِ
بيضُ الوجوه، ووجهُ الدّهر ذو حَلَكٍ — شُمُّ الأُنوف، وأَنفُ الحادثاتِ حمِي
وأَهدِ خيرَ صلاةٍ منكَ أربعةً — في الصحب، صُحبتُهم مَرْعيَّةُ الحُرَمِ
الراكبين إذا نادى النبيُّ بهم — ما هالَ من جَلَلٍ، واشتدّ من عَمَمِ
الصابرين ونفسُ الأرضِ واجفةٌ — الضاحكين إلى الأَخطارِ والقُحَمِ
يا ربّ هبّتْ شعوبٌ من منيّتها — واستيقظتْ أُمَمٌ من رقدةِ العدمِ
سعدٌ، ونحسٌ، ومُلكٌ أنتَ مالكهُ — تُديلُ من نِعَمٍ فيه، ومن نِقَمِ
رأى قضاؤكَ فينا رأيَ حكمتهِ — أكرِمْ بوجهكَ من قاضٍ ومنتقمِ
فالطفْ لأجلِ رسولِ العالمين بنا — ولا تزدْ قومَهُ خسفاً، ولا تُسِمِ
يا ربِّ أحسنتَ بدءَ المسلمين به — فتمّمِ الفضلَ وامنحْ حُسنَ مُختَتَمِ

## بانت سُعاد

وهنا لابد من ذكر قصيدة لكعب بن زهير بن أبي سلمى وهي:

بانتْ سُعادُ فقَلْبي اليومَ مَتْبولُ — متيَّمٌ إثرَها لم يُجْزَ مَكْبُولُ
وما سُعادُ غداةَ البَيْنِ إذ رحَلوا — إلاّ أَغَنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مكحولُ
تجْلُو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسَمتْ — كأنَّهُ مُنْهَلٌ بالرّاحِ مَعْلُولُ
شُجّتْ بذي شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَةٍ — صافٍ بأَبطحَ أضحَى وهو مشمولُ

تَجْلُو الرياحُ القَذى عنه وأَفْرَطَه ... مِن صَوْبِ سارِيةٍ بِيضٌ يَعالِيلُ

يا ويْحَها خُلَّةً لو أنَّها صَدَقتْ ... ما وعَدتْ أوْ لوَ انَّ النُّصْحَ مقبولُ

لكنَّها خُلَّةٌ قد سِيطَ مِن دَمِها ... فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْدِيلُ

فما تَدُومُ على حالٍ تكونُ بها ... كما تلَوَّنُ في أثوابِها الغُولُ

وما تَمَسَّكُ بالوَصْلِ الذي زعَمتْ ... إلا كما تُمْسِكُ الماءَ الغَرابيلُ

كانت مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلاً ... وما مَواعيدُها إلا الأباطيلُ

أرجُو وآمُلُ أن تعْجَلْنَ في أبَدٍ ... وما لهنَّ طَوالَ الدَّهْرِ تعْجيلُ

فلا يَغُرَّنْكَ ما منَّتْ وما وعَدتْ ... إنَّ الأمانيَّ والأحلامَ تضليلُ

أمستْ سُعادُ بأرضٍ لا يبلِّغُها ... إلا العِتاقُ النَّجيباتُ المراسيلُ

ولنْ يبلِّغَها إلا عُذافِرةٌ ... فيها على الأيْنِ إرقالٌ وتبْغيلُ

مِن كلِّ نضّاخةِ الذِّفرى إذا عَرِقتْ ... عُرْضَتُها طامسُ الأعلامِ مجْهُولُ

ترْمي الغُيوبَ بعيْنَيْ مُفْرَدٍ لَهَقٍ ... إذا توقَّدتِ الحُزَّانُ والميلُ

ضَخْمٌ مُقلَّدُها فَعْمٌ مُقَيَّدُها ... في خَلْقِها عن بَناتِ الفحْلِ تفضيلُ

حَرْفٌ أخوها أبوها مِن مهجَّنةٍ ... وعمُّها خالُها قَوْداءُ شِمْليلُ

يَمْشي القُرادُ عليها ثم يُزْلِقُه ... منها لَبانٌ وأقرابٌ زَهالِيلُ

عَيْرانةٌ قُذِفتْ في اللحمِ عن عُرُضٍ ... مِرْفَقُها عن بناتِ الزَّوْرِ مفتولُ

كأنَّ ما فاتَ عيْنيْها ومَذْبَحَها ... مِن خَطْمِها ومِن اللَّحْيَيْنِ برْطيلُ

تمُرُّ مثلَ عَسيبِ النَّخْلِ ذا خُصَلٍ ... في عارزٍ لم تخَوَّنْهُ الأحاليلُ

قَنْواءُ في حُرَّتَيْها للبَصيرِ بها ... عتْقٌ مُبينٌ وفي الخَدَّيْنِ تسْهيلُ

تخْدي على يَسَراتٍ وهي لاحقةٌ ... ذَوابلٌ وقْعُهُنَّ الأرضَ تحْليلُ

سُمْرُ العُجاياتِ يتْرُكْنَ الحَصى زِيَماً ... لم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكْمِ تنْعيلُ

يوماً يَظلُّ به الحِرْباءُ مُصْطَخِماً ... كأنَّ ضاحيَهُ بالنارِ مملولُ

كأنَّ أوْبَ ذواعيْها وقد عَرِقتْ ... وقد تلفَّعَ بالقُورِ العَساقيلُ

وقال للقومِ حاديهم وقد جَعَلتْ ... وُرْقُ الجَنادبِ يَرْكُضْنَ الحَصَى قيلُوا

شَدَّ النهارِ ذراعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ ... قامتْ فجاوبَها نُكْدٌ مَثاكيلُ

نَوَّاحةٌ رَخْوةُ الضَّبْعَيْنِ ليسَ لها ... لما نَعَى بكرَها النَاعونَ معقولُ

تفري اللَّبانَ بكفَّيْها ومِدْرَعُها ... مُشَقَّقٌ عن تَرَاقيها رَعَابيلُ

يَسْعَى الوُشاةُ بجَنْبَيْها وقولُهُم ... إنكَ يا ابنَ أبي سُلْمَى لمقتولُ

وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمُلُهُ ... لا أُلْفِيَنَّكَ إنّي عنكَ مشغولُ

فقلتُ خَلُّوا طريقي لا أَبَا لكُمُ ... فكلُّ ما قَدَّرَ الرحمنُ مفعولُ

كلُّ ابنِ أُنْثَى وإنْ طالتْ سَلامَتُهُ ... يوماً على آلةٍ حَدْباءَ محمولُ

أُنبئتُ أنّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَني ... والعفوُ عند رسولِ اللهِ مأمولُ

مَهْلاً هَدَاكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ ... ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تأخُذَنّي بأقوالِ الوُشَاةِ ولمْ ... أُذْنِبْ ولو كَثُرتْ عَنّي الأقاويلُ

لقد أقُومُ مَقاماً لو يَقُومُ بِهِ ... أَرَى وأسمَعُ ما لو يَسْمَعُ الفيلُ

لظَلَّ يُرْعَدُ إلا أن يكونَ لهُ ... من الرسولِ بإذنِ اللهِ تنويلُ

حتّى وضعتُ يَميني لا أُنازِعُهُ ... في كفِّ ذي نَقَمَاتٍ قيلُهُ القيلُ

لَذاكَ أَهْيَبُ عندي إذ أُكَلِّمُهُ ... وقيلَ إنّكَ مَسْبُورٌ ومَسؤولُ

مِن ضَيْغَمٍ مِن ضَراءِ الأُسْدِ مَخْدَرُهُ ... بِبَطْنِ عَثَّرَ غيلٌ دونَهُ غيلُ

يَغْدُو فيَلْحَمُ ضِرغامَيْنِ عَيْشُهُما ... لَحْمٌ مِنَ القومِ مَعْفُورٌ خَرَاذيلُ

إذا يُساوِرُ قِرْناً لا يَحِلُّ لهُ ... أن يترُكَ القِرْنَ إلا وهو مفلولُ

منهُ تَظَلُّ حَميرُ الوَحْشِ ضامِزَةً ... ولا تَمَشَّي بواديهِ الأَرَاجيلُ

ولا يَزالُ بواديهِ أخو ثِقَةٍ ... مُطَرَّحُ البَزِّ والدِّرْسانِ مأكولُ

إنّ الرسولَ لَسَيْفٌ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِن سُيُوفِ اللهِ مَسلولُ

في عُصْبةٍ مِن قُرَيْشٍ قال قائلُهم ... بِبَطْنِ مَكّةَ لمّا أَسْلَمُوا زُولُوا

زالُوا فما زالَ انكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عندَ اللِّقاءِ ولا مِيلٌ معازيلُ

شُمُّ العَرَانينِ أبطالٌ لَبُوسُهُمُ ... مِن نَسْجِ داودَ في الهَيْجا سَرَابيلُ

بِيضٌ سَوَابغُ قَدْ شُكَّتْ لها حَلَقٌ ... كأنها حَلَقُ القفعاءِ مَجْدُولُ

يَمْشُونَ مَشْيَ الجمالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهم ... ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التّنابيلُ

لا يفرَحونَ إذا نالَتْ رماحُهُمُ ... قوماً وليْسُوا مَجازيعاً إذا نِيلُوا

لا يَقَعُ الطّعْنُ إلاّ في نُحُورِهِمُ ما ... إنْ لهم عن حياضِ الموتِ تَهْليلُ

قال سيدنا علي كرم الله وجهه

أَلا طَرَقَ النّاعي بلَيْلٍ فراعَني ... وأَرَّقَني لَمّا اسْتَهَلَّ مُنَادِيا

فقُلْتُ لَهُ لَمّا رَأَيْتُ الّذي أَتى ... أَغَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْتَ نَاعِيا

فوَاللَّهِ لا أَنْساكَ أَحْمَدُ ما مَشَتْ ... بِيَ العَيْسُ في أَرْضٍ وجَاوَزْتُ وَادِيا

وكُنْتُ مَتَى أَهْبِطْ مِنَ الأَرْضِ تَلْعَةً ... أَجِدْ أَثرا منْهُ جَدِيدا وعافِيا

جَوَادٌ تَشَظّى الخَيْلُ عَنْهُ كأَنّما ... يَرَيْنَ بِهِ لَيْثا عَلَيْهِنَّ ضَارِيا

مِنَ الأُسْدِ قَدْ أَحْمَى العَرِيْنَ مَهَابَةً ... تفَادَى سِباعُ الأَرْضِ مِنْهُ تفادِيا

شَدِيْدٌ جَرِيْءُ النَّفْسِ نَهْدٌ مُصَدَّرٌ ... هُوَ المَوْتُ مَعْدُوٌّ عَلَيْهِ وعَادِيا

أَتَتْكَ رَسُولَ اللَّهِ خَيْلٌ مُغِيرَةٌ ... تُثِيرُ غُبارا كالضَّبابَةِ كابِيا

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ صَفٌّ مُقَدَّمٌ ... إِذا كانَ ضَرْبُ الهامِ نَقْفا تفانِيا

من أحاديث رسول الله

الأربعون النووية

نختم هذا الفصل بأحاديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وبما أن متن الأربعين النووية متن عظيم في الأحاديث الجامعة وقد صنفه الإمام النووي رحمه الله تعالى ليكون للمبتدئين عونا على حفظ مجامع لسنة المطهرة ها هو ذا نصه بتمامه ومعه بعض الشروح :

## الحديث الأول

عن أَمير المُؤمنينَ أَبي حَفْص عُمَرَ بن الخطَّاب رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ "إنما الأَعْمَالُ بالنّيَات وإنَّما لكُلِّ امْرِىءِ ما نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هجْرَتُهُ إلى الله ورَسُوله فهجْرَتُهُ إلى الله ورَسُوله، ومَنْ كَانَتْ هجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصيبُهَا أو امْرأة يَنْكحُهَا فهجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه"

مفردات الحديث: "الحَفص": الأسد، وأبو حفص: كنية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. "إلى الله": إلى محل رضاه نية وقصدا. "فهجرته إلى الله ورسوله": قبولاً وجزاءً. "لدنيا يصيبها": لغرض دنيوي يريد تحصيله.

## الحديث 2

عَن عُمَر رضي الله عنه أيْضاً قال "بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عنْدَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم إذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَديدُ بَياض الثّيَاب شَديدُ سَوَاد الشّعَر، لا يُرَى عليه أَثَرُ السَّفَر ولا يَعْرفُهُ منَّا أَحَدٌ، حَتى جَلَسَ إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم، فأَسْنَدَ رُكْبَتَيْه إلى رُكْبَتَيْه ووَضَعَ كَفَّيْه على فَخذَيْه، وقال: يا مُحَمَّدُ أَخْبرني عَن الإسلام، فقال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: الإسلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إلا اللهُ وأَنَّ محمّدا رسول الله، وتقيمَ الصّلاةَ، وتؤتيَ الزَّكاةَ. وتصُومَ رَمَضان، وتحُجَّ البَيْتَ إن اسْتَطَعتَ إليه سَبيلاً. قال صَدَقْتَ. فعَجبْنا لهُ يَسْأَلُهُ ويُصَدّقُهُ، ثم قال فأَخْبرني عن الإيمان. قال: أَن تؤمنَ بالله، وملائكته وكُتُبه، ورسُله، واليَوْم الآخر، وتؤمنَ بالقَدَر خَيْره وشَرّه. قال صدقت. ثم قال: فأَخْبرني عَن الإحْسَان. قال: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَرَاهُ فإنْ لَمْ تكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ. ثم قال فأخبرني عَن السَّاعة قال: ما المَسْؤولُ عنها بأَعْلَمَ من السّائل. قال: فأخبرني عَنْ أَمَارَتها، قال: أن تلدَ الأَمَةُ رَبَّتَها، وأَنْ تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رعاءَ الشّاء يَتَطَاولُون في البُنْيان، ثمّ انطَلَقَ، فلَبثْتُ مَليّاً، ثُمَّ قال يا عُمَرُ، أَتَدْري مَن السَّائل؟ قُلْتُ: اللهُ ورسُولُهُ أَعلَمُ. قال: فإنّهُ جبْريلُ أَتَاكُمْ يُعَلّمُكُمْ دينَكُمْ". رواه مسلم

مفردات الحديث: ووضع كفيه على فخذيه": أي فخذي نفسه كهيئة المتأدب. وفي رواية النسائي: "فوضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم". والرواية الأولى أصح وأشهر. "فعجبنا له يسأله ويصدقه": أي أصابنا العجب من حاله وهو يسأل سؤال العارف المحقق المصدق. أو عجبنا لأن سؤاله يدل على جهله بالمسؤول عنه، وتصديقه يدل على علمه به. "أن تؤمن بالله": الإيمان لغة

التصديق والجزم في القلب، وشرعاً: التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. "أماراتها": بفتح الهمزة جمع أمارة: وهي العلامة. والمراد علاماتها التي تسبق قيامها. "أن تلد الأمة ربتها": أي سيدتها. وفي رواية "ربها" أي سيدها. والمعنى أن من علامات الساعة كثرة اتخاذ الإماء ووطئهن بملك اليمين، فيأتين بأولاد هم أحرار كآبائهم، فإنَّ ولدها من سيدها بمنزلة سيدها، لأن ملك الوالد صائر إلى ولده فهو ربها من هذه الجهة. وهناك معان أخرى غير هذا. "العالة": جمع عائل، وهو الفقير. "فلبثتُ ملياً": انتظرتُ وقتاً طويلاً؛ أي: غبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث ليالٍ كما في رواية، ثم لقيته.

## الحديث 3

عن أبي عَبْد الرَّحْمن عَبْد الله بن عُمَرَ بن الخَطاب رَضيَ اللهُ عنهُما قال: سَمعْتُ رسُولَ الله صلى الله عليه وسَلم يقول: "بُنيَ الإسلامُ على خَمْس: شهادَةَ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأَنَّ محَمَّداً رسول الله، وإقَام الصَّلاة، وإيتَاء الزَّكاة، وحَجّ البَيْت، وصَوْم رَمَضَانَ. رواهُ البُخاريُّ ومسلمٌ. مفردات الحديث: "على خَمْس": وفي رواية "على خمسة" أي خمس دعائم أو خمسة أركان، و"على" بمعنى: من "إقَام الصَّلاة": المداومة عليها، وفعلها كاملة الشروط والأركان، مستوفية السنن والآداب.

## الحديث 4

عن أبي عبْد الرَّحْمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدَّثَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهُوَ الصَّادقُ المَصْدوقَ: إن أَحَدكُمْ يُجْمَعُ خَلقهُ في بَطْن أُمِّه أرْبعينَ يوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مثْل ذلك، ثُمَّ يَكون مُضْغَةً مثْل ذلك، ثُمَّ يُرْسَلُ إليه المَلكُ فَيَنْفخُ فيه الرُّوحَ. ويُؤمَرُ بأَرْبع كلمات: بكَتْب رزْقه وأجَله وعَمَله وشَقيٌّ أو سَعيدٌ، فوَالله الذي لا إله غَيْرُهُ إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَل بعَمَل أَهْل الجَنَّة حَتى ما يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إلاَ ذراعُ، فَيَسْبقُ عَلَيْه الكَتَابُ فَيَعْمَل بعَمل أَهْل النّار فَيَدْخُلُها. وإنَّ أَحَدكُمْ لَيَعْمَل بعَمَل أَهل النّار حتى ما يَكُون بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إلا ذراعٌ، فَيَسْبقُ عَلَيْه الكتابُ، فَيَعْمَل بعَمَل أهل الجَنّة فَيَدْخُلُها" رواه البخاري ومسلم. مفردات الحديث: "المصدوق": فيما أُوحي إليه، لأن الملك جبريل يأتيه بالصدق، والله سبحانه وتعالى يصدقه فيما وعده به. "يُجمع" يُضم ويُحفظ، وقيل:

يُقَدَّر ويُجمع. "في بطن أمه": في رحمها. "نطفة": أصل النطفة الماء الصافي، والمراد هنا: منياً. "علقة": قطعة دم لم تيبس، "فيسبق عليه الكتاب": الذي سبق في علم الله تعالى.

الحديث 5

عن أُمِّ المؤمنينَ أُمِّ عَبْد الله عائشَةَ رَضي اللهُ عنها قالَتْ: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما لَيْسَ منهُ فهُوَ رَدٌّ". رواهُ البُخاريُّ ومُسْلمٌ. وفي روايَة لمُسْلم": مَنْ عَمل عَمَلاً لَيْسَ عليه أَمْرُنا فهُوَ رَدٌّ". مفردات الحديث:" من أحدث": أنشأ واخترع من قبَل نفسه وهواه. "في أمرنا": في ديننا وشرعنا الذي ارتضاه الله لنا "فهو رد": مردود على فاعله لبطلانه وعدم الإعتداد به.

الحديث 6

عَنْ أبي عَبْد الله النُّعْمَان بْن بَشير رَضيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ سمعتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ "إن الحَلال بَيِّنٌ وَإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُما أمور مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ منَ النَاس، فَمَن اتَّقى الشُّبُهَات فقد اسْتَبْرَأَ لدينه وَعرْضه، وَمَنْ وقَعَ في الشُّبُهات وَقَعَ في الحَرَام، كالرَّاعي يَرْعَى حَوْلَ الحمَى يُوشكَ أَنْ يرْتَعَ فيه، أَلَا وَإنَّ لكل مَلك حمىً أَلا وإنَّ حمَى الله مَحَارمُه، أَلا وإنَّ في الجسَد مُضغَة إذا صَلحَتْ صَلحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كلهُ، أَلا وهيَ القَلْب" رَوَاهُ البُخَاريُّ وَمُسْلمٌ. مفردات الحديث "بَيّن": ظاهر "مُشْتَبِهَات": جمع مشتبه، وهو المشكل لما فيه من عدم الوضوح في الحل والحرمة "لاَ يَعْلَمُهُنَّ": لا يعلم حكمها. "اتقى الشُّبُهَات": ابتعد عنها، وجعل بينه وبين كل شبهة أو مشكلة وقاية "اسْتَبْرَأَ لدينه وَعرْضه": طلب البراءة أو حصل عليها لعرضه من الطعن ولدينه من النقص، وأشار بذلك إلى ما يتعلق بالنَاس وما يتعلق بالله عز وجل "الحمَى": المحمي، وهو المحظور على غير مالكه. "أَنْ يَرْتَعَ فيه": أن تأكل منه ماشيته وتقيم فيه. "مضغَة": قطعة من اللحم قدر ما يُمضغ في الفم.

الحديث 7

عن أبي رُقَيَّة تَميم بن أوْس الدَّاريّ رضي اللهُ عنه: أَنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال:"الدّينُ النَّصيحَة". قلْنَا: لمَنْ؟ قالَ: "لله، ولكتَابه، ولرَسُوله، وللأئمة المُسْلمينَ، وعامَّتهمْ" رواه مسلم.

مفردات الحديثَ : المراد بالدين هنا : الإسلام والإيمان والإحسان "النصيحة" :كلمة يعبَّر بها عن إرادة الخير للمنصوح له . "أئمة المسلمين" : حُكَّامهم . "عامتهم" : سائر المسلمين غير الحكام .

الحديث 8

عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يَشْهَدُوا أَنْ لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، ويُقيمُوا الصَّلاةَ، ويُؤتوا الزَّكاةَ، فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا منّي دماءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إلا بحَقِّ الإِسْلام، وحسَابُهُم على الله تعالى" . رواه البخاري ومسلم . مفردات الحَديث: "أُمرت" : أمرني الله تعالَى . "الناس" : هم عبدة الأوثان والمشركون . "يقيموا الصلاة" : يأتوا بها على الوجه المأمور به، أو يداوموا عليها . "يؤتوا الزكاة" : يدفعوها إلى مستحقيها . "عصموا" : حَفظُوا ومنعوا . "وحسابهم على الله" : حساب بواطنهم وصدق قلوبهم على الله تعالى، لأنه سبحانه هو المطلع على ما فيها .

الحديث 9

عن أبي هُرَيْرةَ عَبْد الرَّحمنِ بن صَخْر رضي الله عنه قال : سمعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقولُ: "ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فاجتنبوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ به فأتُوا منْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فإنما أَهْلَكَ الذينَ منْ قَبْلكُمْ كَثْرَةُ مَسَائلهمْ واخْتلافُهُمْ على أَنْبيَائهمْ" رَوَاهُ البُخَاريُّ ومُسْلمٌ . مفردات الحديث: "نهيتكم عنه" : طلبت منكم الكفَّ عن فعله، والنهي: المَنْع . "فاجتنبوه" : أي اتركوه . "فأتوا" فافعلوا . "ما استطعتم" : ما قدرتم عليه وتيسر لكم فعله دون كبير مشقة . "أهلك" : صار سبب الهلاك . "كثرة مسائلهم" : أسئلتهم الكثيرة، لا سيما فيما لا حاجة إليه ولا ضرورة .

الحديث 10

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : "إنَ الله طَيّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيّباً ، وإنَّ الله أَمَرَ المؤمنينَ بمَا أَمَرَ به المُرْسَلينَ فقال تعالى: (يا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا منَ الطَّيِّبات واعمَلُوا صالحاً) وقال تعالى: (يا أيُّها الذينَ آمَنُوا كلُوا منْ طَيّبات ما رَزَقْناكُمْ) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أَشْعثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْه إلى السَّماء يا رَبِّ يا رَبُّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وغُذيَ بالحَرَام، فأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ" . رَوَاهُ مُسْلمٌ . مفردات الحديث: "إن الله طيب" : أي طاهر منزه عن النقائص . "لا يقبل

إلا طيباً": لا يقبل من الأعمال والأموال إلا ما كان خالصاً من المفسدة، أو حلالاً . و"أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين": سوّى بينهم في الخطاب بوجوب أكل الحلال . "أشعث": جَعْد شعر الرأس لعدم تمشيطه . "أغبر": غيّر الغبار لون شعره لطول سفره في الطاعات كحج وجهاد . "يمد يديه إلى السماء" يرفع يديه إلى السماء داعيا وسائلاً الله تعالى . "فأنى يُستجاب له": كيف ومن أين يُستجاب لمن كانت هذه صفته .

## الحديث 11

عَنْ أَبي مُحمَّد الحسَن بْن عليّ بْن أبي طَالب، سبْط رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ورَيْحَانَته رضيَ الله عنهُ، قال: حَفظْتُ منْ رَسُول الله صَلى الله عَليه وسَلم: "دَعْ ما يَريبُكَ إلى مَا لا يَريبُكَ" روَاهُ التّرْمذيُّ والنَّسَائي، وقالَ التّرْمذي: حَديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ . مفردات الحَديث: "دع ما يَريبك": دع ما تشَك فيه من الشبهات . "إلَى ما لا يَريبك" إلى ما لا تشك فيه من الحلال البيّن .

## الحديث 12

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه قال: قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "منْ حُسْنِ إسْلَامِ الْمَرء تَرْكُهُ مَا لا يَعْنيه" . حديث حسن ، رواه الترمذي وغيره . مفردات الحديث: "من حسن إسلام المرء": من كمال إسلامه وتمامه، وعلامات صدق إيمانه، والمرء يُراد به الإنسان، ذكراً كان أم أنثى . "ما لا يعنيه": ما لا يهمه من أمر الدين والدنيا .

## الحديث 13

عن أبي حَمْزَةَ أَنس بن مالك رضي اللهُ عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يُؤمنُ أَحَدُكُمْ حتى يُحبَّ لأَخيه مَا يُحبُّ لنَفْسه" . رَوَاهُ البُخاري ومُسلم . مفردات الحديث: "لا يؤمنَ" الإيمان الكامل . "أحدكمَ": من يدعي الإيمان والإسلام منكم . "لأخيه": المسلم والمسلمة، وقيل: لأخيه الإنسان . "ما يحب لنفسه": مثل الذي يحبه لنفسه من الخير .

## الحديث 14

عن ابْن مَسْعُود رضي اللهُ عنه قال: قَالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "لا يَحلُّ دَمُ امْرئٍ مُسْلم يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلّا الله وأَنّي رَسُولُ الله إلّا بإحْدَى ثَلَاث: الثّيّبُ الزّاني، وَالنّفْسُ بالنّفْس وَالتّاركُ لدينه

الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ" . رَوَاهُ البخاري ومسلم. مفردات الحديث: "لا يحل دم": أي لا تحل إراقته، والمراد: القتل. "الثيّب الزاني": الثيب: من ليس ببكر، يطلق على الذكر والأنثى، يقال: رجل ثيب، وامرأة ثيب، وإطلاقه على المرأة أكثر، والزاني هو في اللغة الفاجر وشرعاً: وطء الرجل المرأة الحية في قُبُلها من غير عقد شرعي. "التارك لدينه": هو الخارج من الدين بالارتداد، والمراد بالدين: الإسلام. "المفارق للجماعة": التارك لجماعة المسلمين بالرِّدَّة.

## الحديث 15

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهُ: أنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ كانَ يُؤمنُ بالله والْيَوْمِ الآخر فليَقُلْ خَيْراً أَوْ ليَصْمُتْ، ومَنْ كانَ يُؤمنُ بالله والْيَوْمِ الآخر فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَنْ كانَ يُؤمنُ بالله والْيَوْمِ الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ" . رواه البخاري ومسلم. مفردات الحديث: "يؤمن": المقصود بالإيمان هنا: الإيمان الكامل، وأصل الإيمان التصديق والإذعان. "اليوم الآخر": يوم القيامة. "يصمت": سكت. "فليكرم جاره": يُحَصِّل له الخير، ويَكُفّ عنه الأذى والشر. "فليكرم ضيفه": يقدم له الضيافة من طعام أو شراب ويحسن إليه .

## الحديث 16

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه أنَّ رَجُلاً قال للنَّبي صلى الله عليه وسلم أَوصني، قال: "لا تَغْضَبْ"، فرَدَّدَ مراراً، قال: "لا تغضب" . رواه البخاري. مفردات الحديث: "رجلاً": قيل: هو أبو الدرداء رضي الله عنه . وقيل جارية بن قُدامة رضي الله عنه "أوصني": دلني على عمل ينفعني. "لا تغضب": اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه. "فردد مراراً": كرر طلبه للوصية أكثر من مرة

## الحديث 17

عن أبي يَعْلَى شَدَّاد بْنِ أَوْس رضي اللهُ عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسانَ على كلِّ شَيء، فإذا قَتَلْتُمْ فأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، ولْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ولْيُرِحْ ذبيحَتَهُ" . رواه مسلم. مفردات الحديث: "كتب": طلب وأوجب. "الإحسان": مصدر أحسن إذا أتى بالحَسَن، ويكون بإتقان العمل. "القِتلة": بكسر القاف، طريقة القتل " شفرته" السكين وما يذبح بها، وشفرتها : حَدُّها .

## الحديث 18

عن أبي ذَرٍّ جُنْدُب بن جُنَادَة، وأبي عبد الرحمن مُعَاذ بن جَبَل رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السَّيِّئةَ الحسنة تَمْحُها، وخالق الناسَ بخُلُق حسن". رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وفي بعض النسخ: حسن صحيح. مفردات الحديث "اتق الله": التقوى في اللغة: اتخاذ وقاية وحاجز يمنعك ويحفظك مما تخاف منه وتحذره، وتقوى الله عز وجل: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من عقاب الله وقاية تقيه وتحفظه منه، ويكون ذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. "حيثما كنت": أي في أي زمان ومكان كنت فيه، وَحْدَك أو في جمع، رآك الناس أم لم يروْك. "أتبعْ": ألحقْ، وافعل عقبها مباشرة. "السيئة": الذنب الذي يصدر منك "تمحها": تزيلها من صحائف الملائكة الكاتبين وترفع المؤاخذة عنها "خالقْ": جاهد نفسك وتكلف المجاملة "بخلق": الخلق الطبع والمزاج الذي ينتج عنه السلوك.

## الحديث 19

عن أبي العَبَّاس عَبْد الله بن عَبَّاس رَضي اللهُ عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم يَوْماً، فقال: "يا غُلامُ، إنِّي أُعَلِّمُكَ كلمات: احْفَظ اللهَ يَحْفَظك، احْفَظ اللهَ تَجِدْهُ تجاهَك، إذا سأَلْتَ فاسْأَل اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله، واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بشَيْءٍ قدْ كَتَبَهُ اللهُ لكَ، وإن اجْتَمَعُوا على أن يَضرُّوكَ بشيءٍ لَمْ يَضروكَ إلا بشَيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ". رواه الترمذي وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ. وفي رواية الإمام أحمد: "احْفَظ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى الله في الرَّخاء يَعْرِفْكَ في الشّدة، واعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَكَ، واعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مع الصَّبْرِ، وأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" مفردات الحديث: "احفظ الله": اعرف حدوده وقف عندها "يحفظك": يصونك ويحميك في نفسك وأهلك، ودينك ودنياك. "تُجاهك": أمامك، أي تجده معك بالحفظ والتأييد، والنصرة والمعونة حيثما كنت. "رُفعت الأقلامُ": تركت الكتابة بها، والمراد أنه قد قدر كل شيء في علم الله تعالى وانتهى. "جفَّت الصحف": المراد بالصحف ما كتب فيه مقادير المخلوقات كاللوح المحفوظ، وجفافها: انتهاء الأمر واستقراره، فلا تبديل فيها ولا تغيير.

## الحديث 20

عن أبي مَسْعُود عُقْبَةَ بن عمرو الأَنْصَارِيّ البَدْرِيّ رضي اللهُ عنه قال: قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم "إنَّما أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كلامِ النُّبُوَّةِ الأولَى: إذا لم تسْتَحْيِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ". رواه البخاري

مفردات الحديث: "من كلامِ النبوة": مما اتفق عليه الأنبياء، ومما ندب إليه الأنبياء. "فاصنع ما شئت": صيغة الأمر هنا: إما أن تكون على معنى التهديد والوعيد، والمعنى: إذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت فإنك مجازى عليه. وإما أن تكون على معنى الإباحة، والمعنى: إذا أردت فعل شيء وكان مما لا تستحي من فعله أمام الله والناس فافعله.

## الحديث 21

عَنْ أبي عَبْدِ الله جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إذا صَلَّيْتُ الصَّلَوات المَكْتُوبات، وَصُمْتُ رَمَضانَ، وَأَحْلَلْتُ الحَلاَلَ، وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ على ذلك شَيْئاً، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: "نَعَمْ". رواه مسلم. وَمَعْنى حَرَّمْتُ الحَرَامَ: اجْتَنَبْتُهُ، وَمَعْنَى أَحْلَلْتُ الحَلاَلَ: فَعَلْتُهُ مُعْتَقِداً. مفردات الحديث: "رجلاً": هو النعمان بن قوقل الخزاعي "أرأيت" الهمزة للاستفهام، ورأى مأخوذة من الرأي، والمراد: أخبرني وأفتني "المكتوبات": المفروضات، وهي الصلوات الخمس. "الحلال": هو المأذون في فعله شرعاً. "الحرام": كل ما منع الشرع من فعله على سبيل الحتم. "أأدخل الجنة؟": مع السابقين، من غير سبق عذاب.

## الحديث 22

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأَشْعَرِيّ رضي اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ للّه تَمْلأُ الميزانَ، وسُبْحانَ الله والحمدُ لله تَمْلآن - أو تَمْلأُ - ما بَيْنَ السَّماواتِ والأرضِ، والصَّلاةُ نورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرآنُ حُجَّةٌ لَكَ أو عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدو، فَبائعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُها أَو مُوبِقُها". رواه مسلم. مفردات الحديث: الطهور: فعل يترتب عليه رفع حدث - كالوضوء والغسل -، أو إزالة نجس، كتطهير الثوب والبدن والمكان، أو المراد الوضوء فقط. "شطر": نصف. "الحمد لله": الثناء الحسن على الله تعالى لما أعطى من نعم، والمراد هنا: ثواب لفظ الحمد لله. "الميزان": كفة الحسنات من الميزان الذي توزن به أعمال العباد يوم

القيامة. "سبحان الله": تعظيم الله تعالى وتنزيهه عن النقائص، والمراد هنا ثواب لفظ سبحان الله. "الصلاة نور": أي تهدي إلى فعل الخير كما يهدي النور إلى الطريق السليم. "برهان": دليل على صدق الإيمان. "الصبر": حبس النفس عما تتمنى، وتحملها ما يشق عليها، وثباتها على الحق رغم المصائب. "ضياء": هو شدة النور، أي بالصبر تنكشف الكُرُبات. "حجة": برهان ودليل ومرشد ومدافع عنك. "يغدو": يذهب باكرا يسعى لنفسه. "بائع نفسه": لله تعالى بطاعته، أو لشيطانه وهواه بمعصية الله تعالى وسخطه. "مُعتقها": مخلّصها من الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة "موبقها": مهلكها بارتكاب المعاصي وما يترتب عليها من الخزي والعذاب.

الحديث 23

عن أبي ذَرّ الْغفاريّ رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما يَرْويه عن رَبّه عَزَّ وجَلَّ أَنَّهُ قال: "يا عبَادي إنّي حَرَّمْتُ الظُلْمَ على نفْسي وَجعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّماً فلا تظَالَمُوا. يَا عبادي كُلُّكُمْ ضالٌ إلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فاسْتَهدُوني أَهْدكُمْ. يا عبادي كُلُّكُمْ جائعٌ إلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فاسْتَطعمُوني أُطْعمْكُم. يا عبادي كُلُّكمْ عَارٍ إلا مَنْ كَسَوْتُهُ، فاسْتَكْسوني أَكْسُكم. يا عبادي إنَّكُمْ تُخْطئُونَ بالليْل والنَّهار وأنا أَغفرُ الذنوبَ جَميعاً، فاسْتَغْفرُوني أَغْفر لكُمْ. يا عبادي إنّكُمْ لنْ تبْلغوا ضرّي فتَضرُّوني، ولن تبْلُغوا نفْعي فتَنْفعُوني. يا عبادي لوْ أَنَّ أَوّلكُمْ وآخركُمْ وإنسَكُمْ وجنّكُمْ كانوا عَلى أَتْقى قَلْب رَجُلٍ واحد منْكُمْ ما زادَ ذلك في مُلْكي شيَئاً. يا عبادي لوْ أَنَّ أَوّلكُمْ وآخركُمْ وإنسَكُمْ وجنّكُمْ كانُوا عَلى أَفْجر قَلْب وَاحد منْكمْ ما نَقصَ منْ مُلْكي شَيئاً. يا عبادي لوْ أَنَّ أَوّلكُمْ وآخركُمْ وإنسَكُمْ وجنّكُمْ قاموا في صَعيد واحَد فسَألُوني، فَأَعْطيْتُ كلَّ واحد مَسْأَلَتَهُ ما نَقصَ ذلك ممَّا عنْدي إلا كما يَنْقُصُ المخْيَطُ إذا أُدْخلَ البَحْرَ. يا عبادي إنّما هي أعمَالكُمْ أُحْصيها لكُمْ ثمَّ أُوَفّيكُمْ إيَّاها فمَنْ وَجدَ خيْرا فلْيَحْمَد اللهَ، ومَنْ وَجدَ غيْرَ ذَلك فلا يَلومَنَّ إلا نفْسَهُ" رواه مسلم. مفردات الحديث "حرمت الظلم": الظلم لغةَ: وضع الشيء في غير محله. وهو مجاوزة الحد أو التصرف فيحق الناس بغير حق. وهو مستحيل على الله تعالى. ومعنى حرمت الظلم على نفسي: أي لا يقع مني، بل تعاليت عنه وتقدست "ضال": غافل عن الشرائع قبل إرسال الرسل. "إلا من هديته": أرشدته إلى ما جاء به الرسل ووفقته إليه. "فاستهدوني": اطلبوا مني الهداية. "صعيد واحد": أرض واحدة ومقام

واحد . "المخْيط" بكسر الميم وسكون الخاء الإبرة . "أُحصيها لكم": أضبطها لكم بعلمي وملائكتي الحفظة . "أُوفيكم إياها": أوفيكم جزاءها في الآخرة .

## الحديث 24

عن أبي ذَرّ رضي اللهُ عنه: "أَنّ ناساً من أَصْحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا للنّبيّ صلى الله عليه وسلم: يا رسولَ الله، ذهَبَ أَهْلُ الدّثُور بالأُجور، يُصلّونَ كما نُصَلّي، ويَصُومُونَ كما نَصُومُ ويَتَصَدّقُون بفضُول أَمْوَالهمْ . قَالَ: "أَوَليس قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصدّقُونَ ؟ إنّ لَكُمْ بكل تَسْبيحَة صَدَقَةً، وكُلّ تكْبيرَة صَدَقَةً، وكلّ تحْميدَة صدَقَةً، وكُلّ تهْليلة صدَقَةً، وأَمْر بالمَعرُوف صدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَر صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْع أحَدكُمْ صَدَقَةٌ . قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيَأْتي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فيهَا أجرٌ ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا في حَرَام، أَكَانَ عَلَيْه وزرٌ ؟ فكَذلكَ إذا وَضَعَهَا في الحَلاَل كانَ لَهُ أَجْرٌ" رواه مسلم . مفردات الحديث: "أن أُناساً": الأناس والناس بمعنى واحد، وهؤلاء الناس هم فقراء المهاجرين . "الدثور": جمع دَثْر، وهو المال الكثير . "فضول أموالهم": أموالهم الزائدة عن كفايتهم وحاجاتهم "تصدقون": تتصدقون به "تسبيحة": أي قول: سبحان الله "تكبيرة": قول: الله أكبر "تحميدة" قول: الحمد لله . "تهليلة": قول: لا إله إلا الله . "صدقة": أجر كأجر الصدقة "بُضع": البُضع: الجماع "شهوته": لذته . "وزر": إثم وعقاب .

## الحديث 25

عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللهُ عنه قال: قالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ سُلامَى منَ النَّاس عليه صَدَقَة، كلّ يَوْم تطلُعُ فيه الشّمْسُ: تَعْدلُ بَيْنَ اثْنَيْن صدَقَة، وتُعين الرّجُلَ في دَابّته فتَحْملُهُ عليها أَو تَرْفَعُ لهُ متَاعَهُ صدَقَةٌ، والكَلمَةُ الطَّيّبَةُ صدَقَة، وبكُلّ خَطْوَة تمشيها إلى الصّلاة صدَقَةٌ، وتُميطُ الأَذَى عن الطَّريق صَدَقَةٌ" رواه البخاري ومسلم . مفردات الحديث: "سلامى": السلامى: عظام الكف والأصابع والأرجل، والمراد في هذا الحديث جميع أعضاء جسم الإنسان ومفاصله . "تعدل بين اثنين": تحكم بالعدل بين متخاصمين . "وتعين الرجل في دابته": وفي معنى الدابة السفينة والسيارة وسائر ما يحمل عليه . "فتحمله عليها": أي تحمله، أو تعينه في الركوب، أو في إصلاحها . "وبكل

خَطوة": الخطوة: بفتح الخاء: المرة من المشي، وبضمها: بُعْدُ ما بين القدمين. "وتميط الأذى": بفتح التاء وضمها: تزيل، من ماط وأماط: أزال. والأذى: كل ما يؤذي المارّة من حسك وغيره.

الحديث 26

عن النّوّاس بْن سَمْعَانَ رضيَ اللهُ عَنْهُ عن النّبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: "الْبرُّ حُسْنُ الْخُلُق، وَالإِثْمُ مَا حاكَ في نَفسكَ وَكرهْتَ أَنْ يَطَّلعَ عَلَيْه النّاسُ" رواه مسلم. مفردات الحديث: "البر": بكسر الباء اسم جامع للخير وكل فعل مرضي. "حسن الخلق" التخلق بالأخلاق الشريفة. "والإثم": الذنب بسائر أنواعه. "ما حاك في النفس": ما لم ينشرح له الصدر ولم يطمئن إليه القلب.

الحديث 27

عن وَابصَةَ بْن مَعْبَد رضي اللهُ عَنْهُ قال: أَتَيْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: "جِئْتَ تَسأَلُ عَن البرّ ؟" قُلْتُ: نَعَمْ. فقال: "اسْتَفْت قَلْبَكَ، الْبرُّ ما اطْمَأَنَّتْ إلَيْه النَّفسُ واطْمَأَنَّ إلَيْه الْقَلْب، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ في النّفْس وَتَردّدَ في الصّدْر وَإنْ أَفْتَاكَ النّاسُ وَأَفْتَوْكَ". حَديثٌ حَسَنٌ رُوّيْنَاهُ في مُسْنَدَي الإمامَيْن: أَحمدَ بْن حَنْبَل، وَالدّارميّ بإِسْنَاد حَسَن. مفردات الحديث: "البر": بكسر الباء، اسم جامع للخير وكل فعل مرضي. "حسن الخلق": التخلّق بالأخلاق الشريفة. "والإثم": الذنب بسائر أنواعه. "ما حاك في النفس": ما لم ينشرح له الصدر ولم يطمئن إليه القلب.

الحديث 28

عن أبي نَجيح الْعرْبَاض بن سارِيَةَ رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَوْعظَةً وَجلتْ منها الْقُلُوبُ، وذرَفَتْ منها الْعُيونُ، فَقُلْنا: يا رسول الله، كأنّهَا مَوْعظَةُ مُودّع، فأَوْصنا. قَالَ: "أُوصيكُمْ بتَقْوَى الله عزّ وَجل، والسّمْع والطّاعَة، وإن تأَمّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فإنّهُ مَنْ يَعشْ منْكُمْ فَسيَرَى اخْتلافاً كَثيراً، فعَلَيْكُمْ بسُنّتي وسُنّة الْخُلَفَاء الرّاشدينَ الْمَهْديّينَ، عَضوا عليها بالنّواجذ، وإيّاكُمْ ومُحْدَثات الأُمُور، فإنّ كلّ بدْعَة ضَلالَةٌ" رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. مفردات الحديث: "موعظة": من الوعظ، وهو التذكير بالعواقب. "وَجلتْ": بكسر الجيم خافت "ذرفت": سالت. "الراشدين": جمع راشد، وهو من عرف الحق واتبعه. "النواجذ": جمع ناجذ، وهو آخر الأضراس الذي يدل ظهوره على العقل، والأمر بالعض على السنة بالنواجذ كناية عن

شدة التمسك بها . "محدثات الأمور": الأمور المحدثة في الدين، وليس لها أصل في الشريعة . "بدعة": البدعة لغة: ما كان مخترعاً على غير مثال سابق، وشرعاً: ما أُحدث على خلاف أمر الشرع ودليله "ضلالة": بُعْدٌ عن الحق

## الحديث 29

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويُبَاعدُني عن النار . قال: "لقد سألتَ عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يَسَّرَهُ الله تعالى عليه : تعْبُدُ الله لا تُشرك به شيئاً ، وتُقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجُّ البيتَ" . ثم قال: "ألا أَدُلّكَ على أبْوَابِ الخير؟: الصومُ جُنَّة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يُطفيء الماءُ النارَ، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا (تَتَجَافى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) حتى بلغ قوله تعالى (يَعْمَلُونَ) ثم قال: "ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سَنَامه؟ قلت: بلى يا رسول الله . قال " رأس الأمر الإسلامُ، وعَمُوده الصلاةُ، وذروة سَنَامه الجهاد" . ثم قَالَ: "ألا أخبرك بملاك كلّه" ؟ فقلت بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: "كفَّ عليك هذا" قلت يا نبي الله، وإنّا لمؤاَخذون بمَا نتكلم به ؟ ! فقال: "ثَكلتكَ أمُّكَ، وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم – أو قال "على مناخرهم – إلا حصائد ألسنَتهم" . رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح . مفردات الحديث: "الصوم جنة": الصوم وقاية من النار . "الصدقة تطفيء الخطيئة": أي تطفيء أثر الخطيئة فلا يبقى لها أثر . "جوف الليل": وسطه، أو أثناؤه . "تتجافى": ترتفع وتبتعد . "عن المضاجع": عن الفرُش والمراقد . "ذروة سَنَامه": السَّنَام: ما ارتفع من ظهر الجمل، والذروة: أعلى الشيء، وذروة سنام الأمر: كناية عن أعلاه . "ثكلتك أمك": هذا دعاء بالموت على ظاهره، ولا يُراد وقوعه، بل هو تنبيه من الغفلة وتعجب للأمر . "يكُبُّ": يُلْقي في النار "حصائد ألسنتهم": ما تكلمت به ألسنتهم من الإثم .

## الحديث 30

عن أبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيّ جُرْثُوم بن ناشر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله تعالى فرَضَ فرَائضَ فلا تضيّعُوها ، وحَدَّ حُدُودا فلا تعْتَدُوها ، وحَرَّمَ أشْياءَ فلا تَنْتَهكُوها وسَكتَ عَن أشْيَاءَ – رَحْمَةً لكُمْ غَيْرَ نسْيانٍ – فلا تَبْحَثُوا عنها" . حديث حسن رواه الدّارَقُطْنيّ

وغيرُه .حَسَّنَه النووي رحمه الله تعالى، ووافقه عليه الحافظ العراقي، والحافظ ابن حجر، وصححه ابن الصلاح. مفردات الحديث "فرض الفرائض": أوجبها . "فلا تضيعوها": فلا تتركوها أو تتهاونوا فيها حتى يخرج وقتها . "حد حدودا": الحدود جمع حد، وهو لغة: الحاجز بين الشيئين، وشرعا: عقوبة مُقدَّرة من الشارع تزْجُرُ عن المعصية. "فلا تعتدوها": لا تزيدوا فيها عما أمر به الشرع، أو لا تتجاوزوها وقفوا عندها . "فلا تنتهكوها": لاتقعوا فيها ولا تقربوها . و "سكت عن أشياء": أي لم يحكم فيها بوجوب أو حرمة، فهي شرعاً على الإباحة الأصلية .

## الحديث 31

عن أبي العَبَّاس سَهْل بن سعْد السَّاعديّ رضي اللهُ عنه قال: جاء رَجُلٌ إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رَسولَ الله، دُلَّني على عَمَلٍ إذا عَملتُهُ أَحَبَّني اللهُ وأَحبَّني النَّاسُ. فقَال: "ازهَدْ في الدُّنيا يُحبَّكَ اللهُ، وازهَدْ فيما عَنْدَ النَّاس يُحبَّكَ النَّاسُ" . حديث حسن رواه ابن ماجه وغَيْرُهُ بأسانيدَ حَسَنة. مفردات الحديث:"أحبني اللهَ": أثابني وأحسن إليّ "وأحبني الناس": مالوا إلي ميلاً طبيعياً ، لأن محبتهم تابعة لمحبة الله، فإذا أحبه الله ألقى محبته في قلوب خلقه. "ازهد": من الزهد، وهو لغة: الإعراض عن الشيء احتقارا له، وشرعا: أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقَّن الحِل. "يحبَّك الله" بفتح الباء المشددة، مجزوم في جواب الأمر .

## الحديث 32

عن أبي سَعيد سَعْد بن سنَان الخُدْري رضي اللهُ عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا ضرَرَ ولا ضرَارَ" .حَديثٌ حسن، رواه ابن ماجه والدَّارَقُطنيٌّ وغيرُهما مسنَدًا .مفردات الحديث الضرر أن يُلْحَقَ الإنسان أذىً بمن لم يؤذه، والضرار أن يلحق أذى بمن قد آذاه على وجه غير مشروع .

## الحديث 33

عن ابن عبَّاس رضي اللهُ عنهما: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو يُعْطَى النَّاسُ بدَعْوَاهُمْ لادَّعَى رجَالٌ أموال قوْمٍ ودماءَهُمْ لكنْ البَيِّنَةُ على المُدَّعى واليَمينُ على من أَنْكَرَ" . حديثٌ حسَنٌ، رَوَاهُ البَيْهَقي وغيرُهُ هكذَا، وبَعْضُهُ في الصَحيحَين. مفردات الحديث: "لادَّعى رجال": أي لاستباح بعض الناس دماء غيرهم وأموالهم وطلبوها دون حق. "البَيِّنَة": هي الشهود، مأخوذة من البيان وهو

الكشف والإظهار، أو إقرار المدعَى عليه وتصديقه للمدعي. "على المُدَّعي": وهو من يدعي الحق على غيره يُطالبه به. "اليَمينُ": الحَلفُ على نفي ما ادعي به عليه. "على مَن أنْكَرَ": منكر الدعوى وهو المدعى عليه.

الحديث 34

عن أبي سعيد الْخُدْريّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِه، فإنْ لمْ يَسْتَطِعْ فبلسانه، فَإنْ لمْ يَسْتَطِعْ فبقَلْبه، وَذَلكَ أَضْعَفُ الإيمَانِ". رواه مَسلم. مفردات الحَدَيث: "منكم": أي من المسلمين المكلفين، فهو خطاب لجميع الأمة. "منكرًا": وهو ترك واجب أو فعل حرام ولو كان صغيرة. "فليغيره": فليزله ويذهبه ويغيره إلى طاعة. "بيده": إن توقف تغييره عليها ككسر آلات اللهو وإراقة الخمر ومنع ظالم عن ضرب ونحوه.

الحديث 35

عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا، ولا تباغضوا، ولا تدَابَرُوا، ولا يَبعْ بَعْضُكُمْ على بَيْعِ بَعْض، وكُونُوا عبادَ الله إخْوَانًا، المُسْلمُ أَخُو المُسْلم: لا يَظْلمُهُ، ولا يكذبُهُ، ولا يَحْقرُهُ، التقوى ههُنا -ويُشيرُ إلى صَدْره ثلاثَ مَرَّات- بحَسْب امْرِئ منَ الشَّرِّ أن يَحْقرَ أخاهُ المُسْلمَ، كلُّ المُسْلم على المُسْلم حَرَامٌ: دَمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ" رَواه مسلم مفردَات الحديث: "لا تحاسدوا": أي لا يتمنى بعضكم زوال نعمة بعض. "لا تناجشوا": والنجش في اللغة: الخداع أو الارتفاع والزيادة. وفي الشرع: أن يزيد في ثمن سلعة ينادي عليها في السوق ونحوه ولا رغبة له في شرائها، بل يقصد أن يضر غيره. "لا تدابروا": لا تتدابروا، والتدابر: المصارمة والهجران. "لا يخذله": لا يترك نصرته عند قيامه بالأمر بالمعروف أو نهيه عن المنكر، أو عند مطالبته بحق من الحقوق، بل ينصره ويعينه ويدفع عنه الأذى ما استطاع. "لا يكذبه": لا يخبره بأمر على خلاف الواقع. "لا يحقره": لا يستصغر شأنه ويضع من قدره. "بحسب امرئ من الشر": يكفيه من الشر أن يحقر أخاه، يعني أن هذا شر عظيم يكفي فاعله عقوبة هذا الذنب. "وعرضه": العرض هو موضع المدح والذم من الإنسان.

الحديث 36

عن أبي هُرَيْرَة رضي اللهُ عنه، عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمنٍ كُرْبَةً منْ كُرَبِ الدُّنيا نفّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القِيامَة، ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرَة، واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَونِ أخيه. ومَنْ سلك طريقاً يَلْتَمسُ فيه علماً سَهَّلَ اللهُ له به طَرِيقاً إلى الجنَّة. وَمَا اجْتَمَعَ قَومٌ في بَيْتٍ من بيُوتِ الله يَتْلُونَ كتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلا نَزَلَتْ عليهمُ السَّكِينَةُ، وغَشيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وحَفَّتْهُمُ الملائكَةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عنْدَه. وَمَنْ بَطَّأَ به عَمَلُهُ لمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ. رَواه بهذا اللفظ مسلم. مفردات الحديث: "نفسَ": خففَ. و"الكربة": الشدة العظيمة التي توقع من نزلت فيه بغم شديد. "يسر على معسر": المعسر: من أثقلته الديون وعجز عن وفائها، والتيسير عليه مساعدته على إبراء ذمته من تلك الديون. "ستر مسلما": بأن رآه على فعل قبيح شرعا فلم يظهر أمره للناس "ستره الله": حفظه من الزلات في الدنيا. "سلك": مشى، أو أخذ بالأسباب" طريقا": مادية كالمشي إلى مجالس العلم وقطع المسافات بينه وبينها. أو معنوية كالكتابة والحفظ والفهم والمطالعة والمذاكرة وما إلى ذلك، مما يتوصل به إلى تحصيل العلم. "يلتمس": يطلب" فيه": في غايته. "علما": نافعاً. "له": لطالب العلم. "به": بسبب سلوكه الطريق المذكور" طريقاً إلى الجنة": أي يكشف له طرق الهداية ويهيء له أسباب الطاعة في الدنيا، فيسهل عليه دخول الجنة في الآخرة" بيوت الله": المساجد. "يتدارسونه بينهم" يقرأ كل منهم جزءا منه بتدبر وخشوع ويحاولون فهم معانيه وإدراك مراميه. "السكينة": ما يطمئن به القلب وتسكن له النفس. "غشيتهم" غطتهم وعمتهم. "الرحمة": الإحسان من الله تبارك وتعالى والفضل والرضوان. "حفتهم" أحاطت بهم من كل جهة. "الملائكة": الملتمسون للذكر، والذين ينزلون البركة والرحمة إلى الأرض" ذكرهم الله فيمن عنده": باهى بهم ملائكة السماء وأثنى عليهم "بطأ به عمله": كان عمله الصالح ناقصا وقليلاً فقصر عن رتبة الكمال" لم يسرع به نسبه": لا يعلي من شأنه شرف النسب.

الحديث 37

عن ابن عبّاس رضي اللهُ عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يَرْويه عن ربّه تَبارَكَ وتعالى قال: "إنّ اللهَ كَتَبَ الحسَناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمّ بَيَّنَ: فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَها اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً

كاملةً، وإنْ هَمَّ بها فَعَملها كَتَبَها اللهُ عنْدَهُ عَشْرَ حَسَنات إلى سَبْع مئَة ضعْف إلى أضْعاف كَثيرَة، وإن هَمَّ بسَيّئَة فلَمْ يَعْمَلْها كَتَبها اللهُ عنْدَهُ حَسَنَةً كاملةً، وإن هَمَّ بها فعَملها كَتَبَها اللهُ سيِّئَةً واحدَةً". رواهُ البخاريُ ومُسلمٌ في صحيحيهما بهذه الحروف. مفردات الحديث: "كتب الحسنات والسيئات": أمر الملائكة الحفظة بكتابتهما كما في علمه على وَفق الواقع. "هَمَّ": أراد وقصد. "بحسنة": بطاعة مفروضة أو مندوبة. "ضعف": مثل. "سيئة": بمعصية صغيرة كانت أو كبيرة.

## الحديث 38

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله تَعالَى قَال: مَنْ عَادَى لي وليًّا فقدْ آذَنْتُهُ بالْحَرْب، ومَا تقرَّبَ إليَّ عَبْدي بشَيْء أَحَبَّ إليَّ ممَّا افتَرَضْتُ عَلَيْه، ومَا يَزَال عَبْدي يَتَقرَّبُ إلَيَّ بالنَّوَافل حَتَّى أُحبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصرَهُ الذي يُبْصرُ به، ويَدَهُ التي يَبْطشُ بهَا، ورجْلَهُ التي يَمْشي بهَا وإنْ سَألَني لأعْطيَنَّهُ، ولئن اسْتَعَاذني لأُعيذَنَّهُ". رَوَاهُ الْبُخَاريُّ. مفردات الحديث: "عادى": آذى وأبغض وأغضب بالقول أو الفعل. المراد بولي الله العالم بالله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته. "فقد آذنته بالحرب": آذنته: أعلمته والمعنى أن من آذى مؤمناً فقد آذنه الله أنه محارب له، والله تعالى إذا حارب العبد أهلكه. "النوافل": ما زاد على الفرائض من العبادات. "استعاذني": طلب العوذ والحفظ مما يخاف منه. "لأعيذنه": لأحفظنه مما يخاف.

## الحديث 39

عَن ابْن عَبَّاس رَضيَ اللهُ عَنْهُما: أن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إنَّ الله تَجاوَزَ لي عَنْ أُمَّتي: الخطأَ، والنّسْيانَ، ومَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْه". مفردات الحديث: "تجاوز": عفا. "لي": لأجلي وتعظيم أمري ورفعة قدري "أمتي": أمة الإجابة، وهي كل من آمن به صلى الله عليه وسلم واستجاب لدعوته "الخطأ": ضد العمد لا ضد الصواب. "النسيان": ضد الذِّكر. "استكرهوا عليه": يقال: أكرهته على كذا إذا حملته عليه قهراً.

## الحديث 40

عن ابن عُمَرَ رضي اللهُ عنهما قال: أَخَذَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم بمَنْكبَيَّ فقال "كُنْ في الدُّنْيا كأنّكَ غَريبٌ، أو عابِرُ سبيل" . وكانَ ابنُ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عنهما يقولُ: إذا أمْسَيْتَ فلا تَنْتظر الصبّاح وإذا أصْبَحْتَ فلا تَنْتظر المسَاء، وخُذ منْ صحّتك لمَرضك، ومنْ حَياتك لمَوْتكَ. روَاهُ البُخاري.

مفردات الحديث : "أَخَذَ": أمسك. "بمنكَبِيّ" بتشديد الياء، مثنّى منكب، والمَنكب: مجتمع رأس العضد والكتف "إذا أمسيت": دخلتفي المساء وهو من الزوال إلى نصف الليل. "إذا أصبحت" دخلت في الصباح، وهو من نصف الليل إلى الزوال .

## الحديث 41

عن أبي محمَّد عَبد الله بن عَمرو بْن الْعاص رَضي اللهُ عنهما قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم "لا يُؤمنُ أحَدُكُمْ حَتّى يكونَ هَواهُ تَبَعاً لمَا جئْتُ به" حديثٌ صَحيح رُوِّيناهُ في "كتاب الحُجَّة" بإسْناد صحيح. مفردات الحديث "لا يؤمن": لا يكمل إيمانه، أو لا يصح. "هواه": ما تحبه نفسه ويميل إليه قلبه ويرغبه طبعه. "تبعا": تابعا له بحيث يصبح اتّباعه كالطبع له "لما جئت به": ما أرسلني الله تعالى به من الشريعة الكاملة .

## الحديث 42

عن أنس رضي اللهُ عنه قال: سمعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدَمَ إنَّكَ ما دَعَوْتني ورجَوْتَني غَفَرْتُ لَكَ على ما كانَ منْكَ ولا أُبالي . يا ابنَ آدَمَ، لَوْ بلغت ذنوبُك عَنانَ السماء، ثم استغفرتني غفَرْتُ لكَ. يا ابن آدَمَ، إنَّكَ لَو أتَيْتَني بقُراب الأَرْض خَطايا، ثُمَّ لَقيتني لا تُشْركُ بي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بقُرابها مَغفرَةً" . رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح. مفردات الحديث "ما دعوتني" ما دمت تسألني مغفرة ذنوبك وغيرها و "ما": زمانية ظرفية أي مدة دوام دعائك "رجوتني": خفت من عقوبتي ورجوت مغفرتي، وطمعت في رحمتي، وخشيت من عظمتي. "على ما كان منك" مع ما وقع منك من الذنوب الكثيرة، الصغيرة والكبيرة. و "لا أبالي": أي لا تعظم كثرتها عَليَّ. "بلغت": وصلت من كثرة كميتها، أو من عظمة كيفيتها. "عنان": هو السحاب، وقيل ما انتهى إليه البصر منها. "استغفرتني": طلبت مني المغفرة. "قراب الأرض": ملؤها، أو ما يقارب ملأها "لقيتني": أي

مت ولقيتني يوم القيامة. "لا تشرك بي شيئًا": اعتقاداً ولا عملاً، أي تعتقد أنه لا شريك لي في ملكي ولا ولد لي ولا والد، ولا تعمل عملاً تبتغي به غيري. "مغفرة": هي إزالة العقاب وإيصال الثواب. انتهى
ونختم هذا الفصل بذكر نبذة عن الصحابة لأنهم أسيادنا الذين آمنوا بالله ربا وبالنبي رسولا وبالإسلام دينا وحملوا لواء التوحيد إلى أجيال العالم بأمانة غير متناهية وعليه فأقول:

الصحابة

الصحابة كما قال الدكتور عبد العزيز غنيم عبد القادر: اصطلاحا: هم هؤلاء الأعلام الذين عرفوا من أحوال النبى صلى الله عليه وسلم ما جعلهم يهرعون إليه ويضعون مقاليدهم بين يديه ينغمسون فى فيضه الذى بهر منهم الأبصار وأزال عنهم الأكدار، وصيرهم أهلا لمجالسته ومحادثته ومرافقته ومخالطته، حتى آثروه على أنفسهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم، وبلغ من محبتهم له وإيثارهم الموت فى سبيله أن هان عليهم اقتحام المنية كراهة أن يجدوه فى موقف مؤذ أو كربة يغض من قدره. ولما للصحابة من الفضل العظيم فإن الله تعالى ذكرهم فيما أنزل من الكتب؛ حتى لا يذهب ذكرهم ولا تمحى من رؤوس القبائل والشعوب مآثرهم فقال: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾الفتح:29. وقال تعالى ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾الواقعة:10-14. ثم قال تعالى: فى سورة الواقعة أيضا ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾الواقعة:35-40 ( قال ) ويتضح من الآيات السابقة، وما يجرى فى فلكها، أن الصحابة درجات بعضها فوق بعض، فالسابقون الأولون الذين أسلموا وجوههم إلى الله، ولبوا مناديه إلى الإيمان ،وكل من على سطح هذه المعمورة مخالف لهم هم كبار الصحابة الذين اصطنعهم سيدهم بنفسه، ورباهم تحت سمعه وبصره عبر ثلاث عشرة سنة قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

مكة، وقال فيهم ورحى الحرب دائرة فى بدر (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض) وقال أيضا (الله الله فى أصحابى، فلو أن أحدكم تصدق بمثل أحد ذهبا ما ساوى مده ولا نصيفه)رواه البخارى .ويلى هؤلاء السابقين من المهاجرين ،السابقون من الأنصار وهم الذين بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة على أن يمنعوه من الأسود والأحمر، والإنس والجن.يقول تعالى ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾التوبة:100 .وما سوى الصحابة الكبار طبقات بعضها أفضل من بعض ، فالذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، يقول تعالى ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير﴾الحديد:10 .وواضح من الآية السابقة وما يشبهها أن الله تعالى قد جعل لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مقياسا تقاس به أقدارهم وميزانا توزن به منازلهم ومراتبهم ، فالسابقون الأولون من المهاجرين هم الكبار الذين لا يسمو إليهم غيرهم ، ومن عداهم من الصحابة الكرام متفاوتون تبعا لأعمالهم فى نصرة الإسلام ،وجهادهم تحت ألويته وراياته ، فأفضلهم الذين شهدوا بدرا ودافعوا عن النبى صلى الله عليه وسلم ودينه فيها .ويليهم من شهد أحدا والخندق، وهكذا حتى غروة تبوك.وهناك عدة ثوابت تعم الصحابة، منها:1- الصحابة كلهم عدول ، لا يجوز تجريحهم ولا تعديل البعض منهم دون البعض.2- الصحابة كالنجوم يهدون الحائر، ويرشدون الضال ، وفيهم يقول النبى صلى الله عليه وسلم (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .3- الصحابة لم يذكرهم الله تعالى فى كتابه إلا وأثنى عليهم وأجزل الأجر والمثوبة لهم ،ولم يفرق بين فرد منهم وفرد ولا بين طائفة وطائفة.وفيهم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (خيرالقرون قرنى، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) (رواه البخارى) .

------

## الكتاب السادس عشر

ويتضمن الفصول الآتية : الفصل الاول في ذكر العترة . والفصل الثاني في ذكر أحكام أهل البيت والفصل الثالث في ذكر سيدتنا فاطمة الزهراء . والفصل الرابع في ذكر سيدنا علي .

*

### الفصل الأول
### في
### العترة الشريفة

يقال عِتْرَةُ الرجل وهم أَقْرِباؤه من ولد وغيره ، وقيل: هم قومُهُ دِنْياً ، وقيل: هم رهطه وعشيرته الأَدْنَون مَنْ مَضَى منهم ومَن غَبَرَ . وعترة رسولِ الله، صلى الله عليه وسلم ولدُ فاطمة رضي الله عنها هذا قول ابن سيده . قال الأَزهري رحمه الله، وفي حديث زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني تارك فيكم الثَّقَلين خَلْفي: كتابَ الله وعترتي فإنهما لن يتفرّقا حتى يَردا عليّ الحوض) وقال: قال محمد بن إسحق وهذا حديث صحيح ورفعَه نَحْوَه زيدُ بن أَرقم وأَبو سعيد الخدري، وفي بعضها : إنّي تارك فيكم الثَّقلين: كتابَ الله وعترَتي أَهل بيتي، فجعل العترة أَهل البيت . وقال أَبو عبيد وغيره: عِتْرَةُ الرجل وأُسْرَته وفصيلتُه رهطه الأَدْنون . ابن الأَثير: عِترةُ الرجل أَخَصُّ أَقاربه . وقال ابن الأَعرابي: العترة ولدُ الرجل وذريته وعقِبُه من صُلبه، قال: فعِتْرَةُ النبي صلى الله عليه وسلم ولدُ فاطمة البَتُول رضي الله عنها . ورويَ عن أَبي سعيد قال: العِتْرةُ ساق الشجرة، قال: وعِتْرةُ النبي صلى الله عليه وسلم عبدُ المطلب وولده، وقيل: عِتْرته أَهل بيته الأَقربون وهم أَولاده وعليٌّ وأَولاده وقيل: عِتْرته الأَقربون والأَبعدون منهم، وقيل: عِترةُ الرجل أَقرباؤُه من ولد عمه دنياً ؛ ومنه حديث أَبي بكر رضي الله عنه، قال للنبي، صلى الله عليه وسلم، حين شاوَرَ أَصحابَه في أَسَارَى بدر: عِتْرتُك وقَوْمُك؛ أَراد بعِتْرته العباسَ ومن كان فيهم من بني هاشم، وبقومه قُرَيشاً . والمشهور المعروف أَن عِتْرَتَه أَهل بيتَه وهم الذين حُرّمَت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة وهم ذوو القربى الذين لهم خُمُسُ الخُمُسِ المذكور في سورة الأَنفال .

## اهل البيت

اختلف أهل العلم فى أهل البيت من هم ؟ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته صلى الله عليه وسلم خاصة لا رجل معهن وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبى صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن ﴾ وذهبت فرقة منهم أبو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة والزمخشرى والكلبى أنهم: علىُّ وفاطمة والحسن والحسين خاصة وذهب فريق منهم الفخر الرازى والقسطلانى وآخرون إلى أنهم أولاده وأزواجه والحسن والحسين وعلىٌّ منهم لمعاشرته فاطمة وملازمته النبى صلى الله عليه وسلم. وذهب زيد بن أرقم إلى أنهم من تحرم عليهم الصدقة وهم آل علىٍ، وآل عقيل ، وآل جعفر، وآل العباس ، وهو الراجح الذي سأذكره بعد .

## مَن هم الأشراف

أهل بيت الرسول عليه السلام هم الأشراف حقيقة فى سائر الأعصار وهو ما عليه الجمهور، وهو معنى رواية مسلم عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما بعد : أيها الناس إنما انا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب وأنا تارك بينكم ثقلين: أولهما : كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال: (وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى) قالها ثلاثا ، فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد . أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال: ومن هم ؟ قال: آل علىّ وآل عقيل ، وآل جعفر، وآل العباس رضى الله عنهم. ( قال ) والشيعة يخصون أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم بعلىّ وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ، لكن رواية زيد السابقة تدل على أن آله من حُرم الصدقة ، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط بل هم مع آله .

## علو منزلة أهل البيت

جاء في فتاوى الشيخ مقبل الوادعي قوله : يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿ ياأيها النّبيّ قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدّنيا وزينتها فتعالين أمتّعكنّ وأسرّحكنّ سراحًا جميلاً . وإن كنتنّ تردن الله ورسوله والدّار الآخرة فإنّ الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجرًا عظيمًا . يانساء النّبيّ من يأت

منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرًا . ومن يقنت منكنّ لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرّتين وأعتدنا لها رزقًا كريمًا . يانساء النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء إن اتّقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الّذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفًا . وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى وأقمن الصّلاة وآتين الزّكاة وأطعن الله ورسوله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرًا . واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة إنّ الله كان لطيفًا خبيرًا ﴾ وروى الإمام مسلم في "صحيحه" عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من حديث ( وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنّور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثمّ قال: وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي) وروى البخاري في "صحيحه" عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقوفا عليه : ارقبوا محمّدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أهل بيته وقال أبوبكر رضي الله عنه : والله لأن أصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحبّ إليّ من أن أصل قرابتي . ففي هذا دليل على علو منْزلة أهل بيت النبوة ، وروى الإمام مسلم في "صحيحه" عن عائشة رضي الله عنها : دعا النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاطمة وحسنًا وحسينًا فجلّلهم بكساء وعليّ خلف ظهره فجلله بكساء ثمّ قال: ( اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا ) وهذا الحديث من طريق مصعب بن شيبة وقد قال فيه النسائي: إنه منكر الحديث لكن الحديث مروي عن سلمه بن الأكوع بهذا المعنى، وجاء أيضًا عن جماعه من الصحابة كما في "تفسير ابن كثير"، ومصعب بن شيبة وإن كان قال فيه النسائي: إنه منكر الحديث، فقد وثقه غيره، وزيادة على هذا أن الدارقطني انتقد على البخاري ومسلم أحاديث، ولم ينتقد هذا الحديث .

مدى أفضلية أهل البيت

قال الوادعي وهذا الحديث من الأحاديث التي تدل على منْزلة أهل بيت النبوة الرفيعة وذلك الفضل في زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبعده إلى أن يأتي المهدي، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول في شأن المهدي وهو من ولد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أي ينتسب إلى فاطمة وعلي ( إنه سيخرج ويملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا ) وفي هذا الحديث رد على

من قال إن أهل بيت النبوة قد انقرضوا وأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يخلف أحدًا واستدلوا على ذلك بقول الله عز وجل ﴿ ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم ﴾ يقولون فعلى هذا فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يخلف أحدًا ولا يجوز أن ينتسب إليه أحد ولكن هذه للحسن والحسين ولمن انتسب إليهما ، فقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الحَسَن ( إنّ ابني هذا سيّد ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) وهذا الحديث يعتبر علمًا من أعلام النبوة فقد حقن الله دماء المسلمين بسبب الحسن بن علي فقد وجد جيشان جيش مع الحسن وجيش مع معاوية، فرأى الحسن أنه سيفني المسلمون وتنازل لله عز وجل وترك الإمارة لمعاوية . فهذا دليل على أن الحسن والحسين ينتسبان إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وجاء في "مسند الإمام أحمد " عن ابن عبّاس قال: رأيت النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المنام بنصف النّهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبّع فيها شيئًا ، قال: قلت: يا رسول الله ما هذا ؟ قال: ( دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتتبّعه منذ اليوم ) فهذا دليل على أن الحسنين تجوز نسبتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بخلاف بقية الناس فإن الشاعر يقول:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

يعني: بنونا أولاد أبنائنا هم أولادنا ، أما بناتنا إذا تزوّجن فأولادهن أولاد أزواجهن . لكن هذه خصوصية للحسنين . وجاء في "مسند الإمام أحمد ": كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثمّ قال: ((صدق الله ورسوله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) نظرت إلى هذين الصّبيّين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتّى قطعت حديثي ورفعتهما ) . ( قال ) وجاء في "صحيح البخاري": أن رجلاً سأل ابن عمر عن دم البعوض إذا قتله الشخص وهو محرم فأصابه الدم فقال: ممّن أنت، فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسمعت النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: (هما ريحانتاي من الدّنيا ) وجاء في "صحيح البخاري" من حديث البراء رضي الله عنه قال: رأيت النّبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم والحسن بن عليّ على عاتقه يقول: ( اللّهمّ إنّي

أحبّه فأحبّه) وجاء في "جامع الترمذي" من حديث حذيفة أنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة) فمنْزلتهما رفيعة، وقد ذكر العلماء رحمهم الله الشيء الكثير من مناقب أهل بيت النبوة. فالحسن والحسين وذريتهم المستقيمين منْزلتهم رفيعة. أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقول له (ألا ترضى أن تكون منّي بمنْزلة هارون من موسى إلا أنّه ليس نبيّ بعدي) رواه البخاري.

الأهل والآل والفرق بينهما

هنا كما قال الشيخ الوادعي سؤال يتبادر إلى الذهن وهو من هم أهل بيت النبوة؟. إنّهم: آل علي، وآل عقيل، وآل عباس، ومن حرمت عليهم الصدقة، فإن قال قائل: فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: (اللهمّ هؤلاء أهل بيتي) وأشار إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فهذا يدل على منْزلتهم الرفيعة، ولكنه لا يدل على أن الآخرين ليسوا من أهل البيت، ونساؤه أيضا داخلات في أهل البيت، لأنّهن في السياق، حتى كان عكرمة مولى ابن عباس يخرج في الأسواق ويصيح: من شاء باهلته أن أهل بيت النبوة هم نساؤه. فلا، ليس الأمر كما يقول عكرمة، بل نساؤه من أهل بيته وقال بعضهم: لو كان نساؤه من أهل بيته لقال الله سبحانه وتعالى: (إنّما يريد الله ليذهب عنكنّ الرّجس؟، ولأتى بضمير المؤنث. فالجواب: أن أهل البيت ذكور وإناث، وغلب الذكور كشأن كثير من الآيات كقوله تعالى: (وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة) يشمل الرجال والنساء.

هل يشترط للفضائل الإستقامة

وسئل الوادعي عن الفضائل المتقدمة هل هي تشمل من لم يكن مستقيمًا؟ فإما أن يكون مبغضاً للسنة، وإما أن يكون هاشميًا وقد أصبح (شيوعيًا، أو عربيدا. أو مرتشيًا، أو مديرًا لمؤسسات ربوية) فهل يشمله هذا؟ فقال إننا لا نستطيع أن ننفي نسبه إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لكن الفضيلة لا تشمله. بل الفضيلة للمتمسكين بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أهل بيت النبوة، وأسعد الناس من كان من أهل بيت النبوة وهو من أهل السنة فنحن ندعوهم إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم،

وإذا كان ( أناس ) من أهل بيت النبوة وهو مقدامون في الشر فهل نقول ( عنهم ) : إن هؤلاء لهم شرف أهل بيت النبوة ؟ لا ، لا ، لا ، قال الله سبحانه وتعالى في شأن نوح عندما قال : (ربّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين قال يانوح إنه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين) وقال سبحانه وتعالى: (فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (يانساء النّبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين) وقال الله سبحانه وتعالى: (ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا وقيل ادخلا النّار مع الدّاخلين) والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: ((من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه)) ويقول أيضًا لبني هاشم (لا يأتيني النّاس بأعمالهم، وتأتوني بأنسابكم ) وفي "الصحيحين" من حديث عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ( إنّ آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنّما وليّي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلّها ببلاها ) يعني أصلها بصلتها وأما حديث: ( كل سبب ونسب ينقطع إلاّ سببي ونسبي ) وظاهره التعارض مع قول الله عز وجل (فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وهو حديث صحيح وقد كنت أقول بضعفه، لأنني لم أستوعب طرقه . وهذا الحديث يدل على أن من كان مستقيمًا في هذا الزمن، فإنه يشمله هذا الحديث، وليس مجرد زهد وهو يختلس أموال الناس بالحروز والعزائم ( قال ) فنريد أن نسلك مسلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفاطمة الزاهدة التقية، وهكذا الحسن والحسين رضي الله عنهما .

نصيحة لأهل البيت

( قال الباحث ) والذي أنصح به إخواننا الأفاضل من أهل بيت النبوة ونحن منهم أن يحمدوا الله فإننا ندعوهم إلى التمسك بسنة جدهم، وتعالوا حتى نتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي هو جدكم ويعتبر شرفًا لكم . كما ننصحهم أن يلتحقوا بمعاقل العلم ويدرسوا الكتاب والسنة، فما رفع الله شأن إلا بالعلم وتمسكهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله .

ما معنى نزول قوله تعالى إنما وليكم

يقال : إن هذه الآية التي يقول الله تعالى فيها : (إنما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون ) نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهل هذا صحيح . والجواب : أن هذا ليس بصحيح، والآية بصيغة الجمع (إنما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة وهم راكعون) أي خاضعون لله عز وجل، وليس كما جاء أن عليًا تصدق بخاتم وهو راكع، فسبب نزول الآية في علي بن أبي طالب لا يثبت .

هل زوجات النبي من بيت النبوة

( قال ) وهل عائشة تعد من أهل بيت النبوة ؟الجواب: قد تكلمنا على هذا فيما سبق وهو أن نساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم داخلات، ومن أهل العلم من يقول: إن أهل بيت النبي هن أزواجه، وليس بصحيح، بل هن داخلات في أهل بيت النبوة

هل يطلق على أهل البيت أنهم سادة

( قال )وهل يجوز أن نطلق على من يرجع نسبه إلى أهل البيت بأنّهم سادة ؟ الجواب: لا، هذا ليس بمشروع وهذا لم يأت إلا في القرن السادس من بعض المتزلفين إلى أهل بيت النبوة ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خصهم . والسيد في اللغة من ساد قومه، وأما إذا كان ليس له من السيادة شيء فلا . وفي مكة ربما يطلقون عليه الشريف، وهذه التسميات محدثة ما أنزل الله بها من سلطان،

هل من وسيلة يعرف بها الشرف

( قال ) وإذا شك شخص هل هو من أهل البيت أم لا ؟ فماذا يفعل وهل تعلمون من وسيلة يتأكد بها الشخص ما إذا كان من أهل البيت أم لا ؟ الجواب: الأحوط ألا يلحق نسبه بأهل البيت إلا إذا كان متأكدًا . والله المستعان .

آل البيت ومن هم

( قلت) وإذا كان ما سبق من خلاف وارد في (اهل البيت) بالهاء فإن الناس قد تنازعوا فى (آل) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ( بالمد ) من هم فقيل : أمته وهذا قول طائفة من أصحاب النبى

صلى الله عليه وسلم ومالك وغيرهم ، وقيل: المتقون من أمته ، وإليه ذهب طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم واستدلوا بحديث موضوع هو( آل محمد كل مؤمن تقى ) وبنى على ذلك طائفة من الصوفية وقالوا إن آل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هم خواص الأولياء كما ذكره الحكيم الترمذى .لكن الصحيح أن آل محمد هم أهل بيته صلى الله عليه وسلم وهو المنقول عن الشافعى وأحمد رحمهما الله .أقول – وكما سبق أن ذكرت في مقدمات هذا الكتاب – قال بعض اهل العلم : ءال المصطفى صلى الله عليه وسلم هم في مقام الزكاة : بنو هاشم على ما عند المالكية ، وبنوهاشم والمطلب على ما عند الشافعية .وءال علي وءال جعفر وءال عقيل وءال العباس وءال الحارث على ماعند الحنفية أما في مقام الدعاء فجميع اتباعه الملتزمين بالعمل الصالح لكن المصطلح عليه عند علماء النسب هم أبناء الفرق الخمسة المذكورة انفا دون سواهم . وهم بالذات اهل بيت رسول الله عليه السلام الذين يجب توقيرهم وإيثارهم والتجاوز عن مساويهم قال الله جل شانه ( نما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ) وينبغي ان يعلم ان ذلك لايعني ابدا ان يكونوا متوا كلين على خصوصية النسب دون مصاحبة عمل صالح له بل يجب عليهم أن يكونواهم أولى من يمتثل اوامر الله تعالى واوامر رسوله صلى الله عليه وسلم وكما قا ل السموال :

قصيدة السموأل

| | |
|---|---|
| إذا المرْءُ لم يدنَسْ من اللؤمِ عِرْضُهُ | فكُلُّ رداءٍ يَرتَديــه جَميــلُ |
| وإنْ هوَ لم يحْمِل على النفسِ ضَيمَها | فليسَ إلى حُسنِ الثناءِ سَبيلُ |
| تُعيّرُنا أنَّا قليلٌ عَديدُنا | فقلْتُ لها : إنّ الكِرامَ قليلُ |
| وما قلّ مَنْ كانَتْ بَقاياهُ مِثلَنا | شَبابٌ تَسامَى للعُلَى وكُهُولُ |
| وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا | عَزيزٌ وجارُ الأكْثرينَ ذَليلُ |
| لنا جَبَلٌ يحْتَلُّهُ مَن نُجيرُهُ | مَنيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهوَ كَليلُ |
| رَسَا أصلُهُ تَحْتَ الثّرَى وسَما بهِ | إلى النَّجْمِ فرْعٌ لا يُنالُ طَويلُ |
| هوَ الأبلَقُ الفَرْدُ الذي شاعَ ذِكرُهُ | يَعِزُّ على مَنْ رامَهُ ويَطولُ |
| وإنّا لَقَوْمٌ لا نَرَى القَتلَ سُبّةً | إذا ما رأتْهُ عامِرٌ وسَلولُ |

يُقَــرّبُ حُــبُّ المَــوتِ آجالَنــا لَنَــا | وتَكْرَهُــــهُ آجـــالُهُمْ فَتَطُــــولُ
وما مـاتَ منّـا سـيّدٌ حَتْـفَ أنفـه | ولا طُـلّ منّـا حيـثُ كـانَ قتيـلُ
تسيلُ علـى حـدّ الظّبـاتِ نفوسُـنَا | ولَيْسَتْ عَلى غَيرِ الظّباتِ تَسيلُ
صَفَوْنَا فلَمْ نَكْدُرْ وأخلَصَ سِرَّنَا | إنَـاثٌ أطَابَـتْ حَمْلَنـا وفُحُـولُ
عَـدَوْنا إلى خَـيرِ الظّهـورِ وحَطّنَـا | لوقـتٍ إلى خَـيرِ البطـونِ نُـزُولُ
فـنحنُ كَمَـاءِ المُـزْنِ مـا في نِصابنَا | كَهَـامٌ ولا فينـا يُعَـدُّ بَخيـلُ
ونُنْكِـرُ إنْ شِـئْنَا علـى النـاسِ قـوْلَهُمْ | ولا يُنكِـرُونَ القَـولَ حـينَ نَقـولُ
إذا سَـيّدٌ منّـا خَـلا قـامَ سَـيّدٌ | قَـؤُولٌ لمـا قـالَ الكِـرامُ فَعُـولُ
ومـا أُخمِـدَتْ نـارٌ لنـا دونَ طـارِقٍ | ولا ذمّنَـــا في النّــازِلينَ نَزيــلُ
وأيّامُنَــا مَـــشهورَةٌ في عَـــدُوّنَا | لَهَــا غُـــرَرٌ مَعْلُومَـــةٌ وحُجُـــولُ
وأسْـيافُنا في كـلّ شَـرْقٍ ومَغْـرِبٍ | بهـا مِـنْ قِـراعِ الـدّارِعينَ فُلُـولُ
مُعَـــوَّدَةٌ ألاّ تُــــسَلّ نِـــصالُهَا | فتُغْمَـــدَ حَتّـــى يُـــسْتَبَاحَ قَبيــلُ
سَـلي إنْ جَهِلْـتِ النّـاسَ عنّـا | وعنهُمُ فلَيسَ سَـواءً عَـالِمٌ وجَهُـولُ
فـإنّ بَـني الرّيّـانِ قُطْـبٌ لقَـومِهِمْ | تَـدُورُ رَحَـاهُمْ حَـولَهم وتجُـولُ

## الفصل الثاني
## في
## أحكام آل البيت الفقهية

كما سبق إن هناك أحكاما فقهية تتعلق بآل البيت لابد من ذكرها وعليه فقد جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية ما يلي :

( أولا ) للآل إطلاق خاص في عبارات الصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وسلم فالأكثرون على أن المراد بهم قرابته عليه الصلاة والسلام الذين حرمت عليهم الصدقة وقيل هم جميع أمة الإجابة , وإليه

مال مالك , واختاره الأزهري والنووي من الشافعية , والمحققون من الحنفية وهو القول المقدم عند الحنابلة وعبارة صاحب المغني : آل محمد صلى الله عليه وسلم أتباعه على دينه .

( ثانيا ) حكم أخذ آل البيت من الصدقة المفروضة إن آل محمد صلى الله عليه وسلم المذكورين لا يجوز دفع الزكاة المفروضة إليهم باتفاق فقهاء المذاهب الأربعة , لقوله عليه الصلاة والسلام ( يا بني هاشم إن الله تعالى حرم عليكم غسالة الناس وأوساخهم , وعوضكم عنها بخمس الخمس ) والذين ذكروا ينسبون إلى هاشم بن عبد مناف , ونسبة القبيلة إليه . وخرج أبو لهب وإن كان من الآل فيجوز الدفع إلى بنيه وأعقابه المسلمين لأن النص أبطل قرابته وهو قوله صلى الله عليه وسلم (لا قرابة بيني وبين أبي لهب فإنه آثر علينا الأفجرين ) ولأن حرمة الصدقة على بني هاشم كرامة من الله لهم ولذريتهم حيث نصروه صلى الله عليه وسلم في جاهليتهم وفي إسلامهم وأبو لهب كان حريصا على أذى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يستحقها بنوه . وهذا هو المذهب عند كل من الحنفية والحنابلة وفي قول آخر في كلا المذهبين : يحرم إعطاء من أسلم من آل أبي لهب لأن مناط الحكم كونهم من بني هاشم .

( ثالثا ) اختلف في بني المطلب أخي هاشم هل تدفع الزكاة إليهم ؟ فمذهب الحنفية , والمشهور عند المالكية , وإحدى روايتين عند الحنابلة أنهم يأخذون من الزكاة لأنهم دخلوا في عموم قوله تعالى ( إنما الصدقات للفقراء والمساكين ) لكن خرج بنو هاشم لقول النبي صلى الله عليه وسلم ( إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ) فيجب أن يختص المنع بهم . ولا يصح قياس بني المطلب على بني هاشم , لأن بني هاشم أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأشرف , وهم آل النبي صلى الله عليه وسلم ومشاركة بني المطلب لهم في خمس الخمس لم يستحقوه بمجرد القرابة بدليل أن بني عبد شمس وبني نوفل يساوونهم في القرابة ولم يعطوا شيئا وإنما شاركوهم بالنصرة أو بهما جميعا والنصرة لا تقتضي منع الزكاة . ومذهب الشافعية والقول غير المشهور عند المالكية وإحدى الروايتين عن الحنابلة أنه ليس لبني المطلب الأخذ من الزكاة , لقول النبي صلى الله عليه وسلم ( إنا وبنو المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام . إنما نحن وهم شيء واحد ) وفي رواية ( إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه) ولأنهم يستحقون من خمس الخمس , فلم يكن لهم الأخذ كبني هاشم وقد أكد ذلك ما

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم علل منعهم الصدقة باستغنائهم عنها بخمس الخمس , فقال صلى الله عليه وسلم ( أليس في خمس الخمس ما يغنيكم ؟ ) هذا وقد روى أبو عصمة عن أبي حنيفة أنه يجوز الدفع إلى بني هاشم في زمانه والمشهور عند المالكية أن محل عدم إعطاء بني هاشم من الزكاة إذا أعطوا ما يستحقونه من بيت المال , فإن لم يعطوا وأضر بهم الفقر أعطوا منها . وإعطاؤهم حينئذ أفضل من إعطاء غيرهم . وقيده الباجي بما إذا وصلوا إلى حالة يباح لهم فيها أكل الميتة لا مجرد ضرر . والظاهر خلافه وأنهم يعطون عند الاحتياج ولو لم يصلوا إلى حالة إباحة أكل الميتة , إذ إعطاؤهم أفضل من خدمتهم لذمي أو ظالم . وقال الشافعية : إنه لا يحل لآل محمد صلى الله عليه وسلم الزكاة , وإن حبس عنهم الخمس , إذ ليس منعهم منه يحل لهم ما حرم عليهم من الصدقة , خلافا لأبي سعيد الإصطخري الذي قال : إن منعوا حقهم من الخمس جاز الدفع إليهم , لأنهم إنما حرموا الزكاة لحقهم في الخمس , فإذا منعوا منه وجب أن يدفع إليهم والظاهر من إطلاق المنع عند الحنابلة أنه تحرم على الآل الصدقة وإن منعوا حقهم في الخمس .

( رابعا ) اختلف في أخذ الآل من الكفارات والنذور وجزاء الصيد وعشر الأرض وغلة الوقف فذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أنه لا يحل لآل محمد صلى الله عليه وسلم الأخذ من كفارة اليمين والظهار والقتل وجزاء الصيد وعشر الأرض وغلة الوقف . وهو رواية عند الحنابلة في الكفارات لأنها أشبهت الزكاة . وعن أبي يوسف من الحنفية أنه يجوز لهم أخذ غلة الوقف إذا كان الوقف عليهم , لأن الوقف عليهم حينئذ بمنزلة الوقف على الأغنياء . فإن كان على الفقراء ولم يسم بني هاشم , لا يجوز . وصرح في الكافي بدفع صدقة الوقف إليهم على أنه بيان المذهب من غير نقل خلاف فقال وأما التطوع والوقف فيجوز الصرف إليهم , لأن المؤدى في الواجب يطهر نفسه بإسقاط الفرض فيتدنس المال المؤدى كالماء المستعمل وفي النفل يتبرع بما ليس عليه فلا يتدنس به المؤدى . قال صاحب فتح القدير : والحق الذي يقتضيه النظر إجراء صدقة الوقف مجرى النافلة , فإن ثبت في النافلة جواز الدفع , يجب دفع الوقف , وإلا فلا , إذ لا شك في أن الواقف متبرع بتصدقه بالوقف , إذ لا إيقاف واجب . وذهب الحنابلة إلى جواز أخذ الآل من الوصايا لأنها تطوع , وكذا النذور , لأنها في

الأصل تطوع , فأشبه ما لو وصى لهم وعلى ذلك يجوز لهم الأخذ منهما . وفي الكفارة عندهم وجه آخر بالجواز لأنها ليست بزكاة ولا هي أوساخ الناس , فأشبهت صدقة التطوع .

( خامسا ) حكم أخذ الآل من صدقة التطوع : للفقهاء فيه ثلاثة اتجاهات : الأول : الجواز مطلقا وهو قول عند الحنفية والشافعية ورواية عن أحمد , لأنها ليست من أوساخ الناس تشبيها لها بالوضوء على الوضوء . الثاني : المنع مطلقا , وهو قول عند الحنفية والشافعية , ورواية عن أحمد أيضا وهي الأظهر عند الحنابلة , لأن النصوص الواردة في النهي عن أخذ آل البيت من الصدقة عامة , فتشمل المفروضة والنافلة الثالث : الجواز مع الكراهة , وهو مذهب المالكية , جمعا بين الأدلة .

( سادسا ) في موالي آل البيت . قال الحنفية , والحنابلة , وهو الأصح عند الشافعية وقول عند المالكية , إن موالي آل النبي صلى الله عليه وسلم وهم من أعتقهم هاشمي أو مطلبي , حسب الخلاف السابق , لا يعطون من الزكاة , مستدلين بما روى أبو رافع ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من بني مخزوم على الصدقة , فقال لأبي رافع : اصحبني كيما تصيب منها . فقال : لا , حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله , فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله , فقال : إنا لا تحل لنا الصدقة , وإن مولى القوم منهم ) ولأنهم ممن يرثهم بنو هاشم بالتعصيب فلم يجز دفع الصدقة إليهم كبني هاشم وهم بمنزلة القرابة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم (الولاء لحمة كلحمة النسب ) وثبت لهم حكم القرابة من الإرث والعقل والنفقة , فلا يمتنع تحريم الصدقة عليهم . وإذا حرمت الصدقة على موالي الآل , فأرقاؤهم ومكاتبوهم أولى بالمنع , لأن تمليك الرقيق يقع لمولاه , بخلاف العتيق . والمعتمد عند المالكية جواز دفع الصدقة لموالي آل البيت , لأنهم ليسوا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يمنعوا الصدقة , كسائر الناس ولأنهم لم يعوضوا عنها بخمس الخمس , فإنهم لا يعطون منه , فلم يجز أن يحرموها , كسائر الناس .

( سابعا ) دفع الهاشمي زكاته لهاشمي مختلف فيه فيرى أبو يوسف من الحنفية , وهو رواية عن الإمام أنه يجوز للهاشمي أن يدفع زكاته إلى هاشمي مثله , قائلين : إن قوله عليه الصلاة والسلام ( يا بني هاشم إن الله كره لكم غسالة أيدي الناس وأوساخهم , وعوضكم منها بخمس الخمس) لا ينفيه , للقطع بأن المراد من " الناس " غيرهم لأنهم المخاطبون بالخطاب المذكور , والتعويض بخمس الخمس عن

صدقات الناس لا يستلزم كونه عوضا عن صدقات أنفسهم . ولم نهتد إلى حكم ذلك في غير مذهب الحنفية .

( ثامنا ) في عمالة الهاشمي على الصدقة بأجر منها : قال الحنفية في الأصح عندهم والمالكية والشافعية وبعض الحنابلة , وهو ظاهر قول الخرقي إنه لا يحل للهاشمي أن يكون عاملا على الصدقات بأجر منها , تنزيها لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم عن شبهة الوسخ , ولما روى ( عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث , أنه اجتمع ربيعة والعباس بن عبد المطلب , فقالا : لو بعثنا هذين الغلامين لي وللفضل بن العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما على الصدقة , فأصابا منها كما يصيب الناس . فقال علي لا ترسلوهما . فانطلقنا حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ عند زينب بنت جحش , فقلنا : يا رسول الله , قد بلغنا النكاح وأنت أبر الناس وأوصل الناس , وجئناك لتؤمرنا على هذه الصدقات , فنؤدي إليك كما يؤدي الناس ونصيب كما يصيبون . قال : فسكت طويلا , ثم قال : إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد , إنما هي أوساخ الناس ) وفي قول للحنفية : إن أخذ الهاشمي العامل على الصدقات مكروه تحريما لا حرام . وجوز الشافعية أن يكون الحمال والكيال والوزان والحافظ هاشميا أو مطلبيا وأكثر الحنابلة على أنه يباح للآل الأخذ من الزكاة عمالة , لأن ما يأخذونه أجر , فجاز لهم أخذه كالحمال وصاحب المخزن إذا آجرهم مخزنه .

( تاسعا ) حق آل البيت في الغنيمة والفيء : لا خلاف بين فقهاء المذاهب الأربعة في أن الغنيمة تقسم خمسة أخماس : أربعة منها للغانمين , والخامس لمن ذكروا في قوله تعالى ( واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ) الآية . لكنهم اختلفوا في مصرف الخمس بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام , فقال الشافعية , وهو رواية عن الإمام أحمد , إن خمس الغنيمة الخامس يقسم خمسة أسهم . الأول : سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم للآية , ولا يسقط بوفاته , بل يصرف بعده لمصالح المسلمين وعمارة الثغور والمساجد . والثاني : سهم لذوي القربى , وهم بنو هاشم وبنو المطلب , دون بني عبد شمس وبني نوفل , لاقتصاره صلى الله عليه وسلم على بني الأولين مع سؤال بني الآخرين , ولأنهم لم يفارقوه لا في جاهلية ولا إسلام . ويشترك فيه الغني والفقير , والرجال والنساء . ويفضل الذكر على الأنثى , كالإرث وحكى الإمام الشافعي فيه إجماع الصحابة . والأسهم الثلاثة الباقية لليتامى والمساكين وابن

السبيل . والرواية الأخرى عن الإمام أحمد أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يختص بأهل الديوان , لأن النبي صلى الله عليه وسلم استحقه بحصول النصرة , فيكون لمن يقوم مقامه في النصرة . وعنه أنه يصرف في السلاح والكراع . والفيء عند الشافعية , وفي رواية عن الإمام أحمد , يخمس ومصرف الخمس منه كمصرف خمس الغنيمة . والظاهر عند الحنابلة أنه لا يخمس , ويكون لجميع المسلمين , يصرف في مصالحهم . وقال الحنفية : إن الخمس الذي لله ولرسوله إلخ يقسم على ثلاثة أسهم : سهم لليتامى وسهم للمساكين , وسهم لأبناء السبيل . ويدخل فقراء ذوي القربى فيهم , يعطون كفايتهم , ولا يدفع إلى أغنيائهم شيء وذوو القربى الذين يدفع إلى فقرائهم هم بنو هاشم وبنو المطلب والفيء لا يخمس عندهم . وقال المالكية : إن خمس الغنيمة كلها والركاز والفيء والجزية وخراج الأرض المفتوحة عنوة أو صلحا وعشور أهل الذمة محله بيت مال المسلمين , يصرفه الإمام في مصارفه , باجتهاده فيبدأ من ذلك بآل النبي عليه الصلاة والسلام استحبابا , ثم يصرف للمصالح العائد نفعها على المسلمين , كبناء المساجد والفيء لا يخمس عندهم . والآل الذين يبدأ بهم هم بنو هاشم فقط .

( عاشرا ) في الصلاة على آل النبي صلى الله عليه وسلم الفقهاء في المذاهب الأربعة مجمعون على أنه لا يصلى على غير الأنبياء والملائكة إلا تبعا , لكنهم اختلفوا في حكم الصلاة على الآل تبعا . فأحد رأيين عند الشافعية والحنابلة أن الصلاة على الآل في الصلاة واجبة , تبعا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مستدلين بما روي من حديث كعب بن عجرة قال ( إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا . فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك , فكيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد , كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ) فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه وعلى آله , والأمر يقتضي الوجوب . والرواية الأخرى في المذهبين أنها سنة , وهو قول الحنفية , وأحد قولين للمالكية , واستدلوا بحديث ابن مسعود (أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه التشهد ثم قال إذا قلت هذا , أو قضيت هذا , فقد تمت صلاتك )وفي لفظ ( فقد قضيت صلاتك فإن شئت أن تقوم فقم ) والرأي الآخر عند المالكية أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والآل تبعا , فضيلة .

(حادي عشر) آل البيت والإمامة الكبرى والصغرى لم يشترط جمهور الفقهاء أن يكون إمام المسلمين (الخليفة) من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويستدلون على ذلك بأن الخلفاء أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا من أهل البيت بل كانوا من قريش ومقتضى مراعاة شرف النسب أنه في الإمامة الصغرى إن استووا هم وغيرهم في الصفات قدموا باعتبارهم أشرف نسبا .

(ثاني عشر) حكم سب آل البيت أجمع فقهاء المذاهب على أن من شتم أحدا من آله صلى الله عليه وسلم مثل مشاتمة الناس فإنه يضرب ضربا شديدا وينكل به ولا يصير كافرا بالشتم .

(ثالث عشر) الانتساب إلى آل البيت كذبا قالوا من انتسب كاذبا إلى آل النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا , ويحبس طويلا حتى تظهر توبته , لأنه استخفاف بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) وسيأتي مزيد من الكلام في باب (الغفارة) وأسبابها ومتعلقاتها .

## وجوب محبة آل البيت

آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم يجب حبهم ومحبتهم لما ورد من نصوص فقد أخرج ابن سعد قوله صلى الله عليه وسلم (استوصوا بأهل بيتى خيرا فإنى أخاصمكم عنهم غدا، ومن أكن خصمه خصمه الله) ونقل القرطبى عن ابن عباس فى قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال: رضا محمد ألاّ يدخل أحد من أهل بيته النار . وأخرج البخارى عن ابن عمر قال قال أبو بكر: خطب النبى فقال (أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا) وروى الامام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله سائلكم كيف خلفتمونى فى كتاب الله وأهل بيتى) وروى الحاكم والترمذى قوله صلى الله عليه وسلم (أحبوا الله لما يغذوكم به واحبونى بحب الله . وأحبوا أهل بيتى بحبى) وهناك آثار كثيرة تدل على وجوب حب آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم . وكما قال الكميت :

وما لي الا آل احمد شيعة وما لي الا مذهب الحق مذهب
بأي كتاب أم بأي سنة يرى حبهم عار علي ويحسب

## بغض آل البيت

كثير من الآثار تدل على تحريم بُغض آل البيت و منها: ما أخرجه الطبرانى والبيهقى وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما بال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى ؟ ومن آذى نسبى

وذوى رحمى فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله) وروى أحمد مرفوعا : (من أبغض أهل البيت فهو منافق) . وروى أبو الشيخ: قوله صلى الله عليه وسلم (ما بال رجال يؤذوننى فى أهل بيتى ؟ والذى نفسى بيده ، لا يومن عبد حتى يحبنى، ولا يحبنى حتى يحب ذريتى) . وروى الحاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار) وقد بلغ من عظيم أدب السلف الصالح أنهم كانوا لا يقرءون فى الصلاة بسورة (المسد) حفاظا على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفسه ، مع أنها قرآن منزل . والله أعلم .

مدح الفرزدق للحسين وبيته

قال الفرزدق يمدح زين العابدين بن سيدنا الحسين وهو من ءال رسول الله اذ هو ابن الحسين ، وذلك عندما قال احد الامراء الامويين من هذا وقد رءاه يطوف بالبيت والناس يتبعونه :

هَذا الّذي تعرفُ البَطحاءُ وَطْأَتَهُ   وَالبَيْتُ يعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هذا ابنُ خَيرِ عِبادِ اللهِ كُلّهِمُ   هذا التّقيّ النّقيّ الطّاهرُ العَلَمُ

هذا ابنُ فاطمَةَ، إنْ كُنْتَ جاهِلَهُ   جَدّهِ أنْبِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا

وَلَيْسَ قَوْلُكَ: مَن هذا ؟ بضَائرِه   العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالعَجَمُ

كِلْتا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفعُهُمَا   يُسْتَوْكَفانِ، وَلا يَعرُوهُمَا عَدَمُ

سَهْلُ الخَلِيقَةِ، لا تُخشى بَوَادِرُهُ   يَزِينُهُ اثنانِ: حُسنُ الخَلقِ وَالشّيمُ

حَمّالُ أثقالِ أقوَامٍ، إذا افتُدِحُوا   حُلْوُ الشّمائلِ، تَحلُو عندَهُ نَعَمُ

ما قالَ: لا قَطُّ، إلاّ في تَشَهُّدِهِ   لَوْلا التّشَهّدُ كانَتْ لاءَهُ نَعَمُ

عَمَّ البَرِيّةَ بالإحسانِ، فانْقَشَعَتْ   عَنْها الغَيَاهِبُ والإمْلاقُ والعَدَمُ

إذ رَأتْهُ قُرَيْشٌ قالَ قائِلُها   إلى مَكَارِمِ هذا يَنْتَهِي الكَرَمُ

يُغْضِي حَياءً، وَيُغضَى من مَهابَتِه   فَمَا يُكَلَّمُ إلاّ حِينَ يَبْتَسِمُ

بِكَفّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ   مِن كَفّ أرْوَعَ، في عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ   رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جَاءَ يَستَلِمُ

اللهُ شَرّفَهُ قِدْماً، وَعَظّمَهُ   جَرَى بِذاكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَمُ

أيُّ الخلائقِ لَيْسَتْ في رِقَابِهِمُ — لأوّليّةِ هَذا أوْ لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَشْكُرِ اللهَ يَشْكُرْ أوّليّةَ ذا — فالدِّينُ مِنْ بَيتِ هذا نَالَهُ الأُمَمُ
يُنمى إلى ذُرْوَةِ الدّينِ التي قَصُرَتْ — عَنها الأكفُّ وعَنْ إدراكِها القَدَمُ
مَنْ جَدُّهُ دانَ فَضلُ الأنبياءِ لَهُ — وَفَضْلُ أُمّتِهِ دانَتْ لَهُ الأُمَمُ
مُشْتَقّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ نَبْعَتُهُ — طَابَتْ مَغَارِسُهُ والخِيمُ وَالشّيَمُ
يَنْشَقّ ثَوْبُ الدّجَى عن نورِ غرّتِهِ — كالشمسِ تَنجابُ عن إشرَاقِها الظُّلَمُ
مِنْ مَعشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ، وَبُغْضُهُمُ — كُفْرٌ وَقُرْبُهُمُ مَنجىً وَمُعتَصَمُ
مُقَدَّمٌ بعدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ — في كلّ بَدْءٍ، وَمَختومٌ بهِ الكَلِمُ
إنْ عُدّ أهْلُ التّقَى كانوا أئِمّتَهمْ — أوْ قيلَ من خيرُ أهلِ الأرْضِ؟ قيلَ: هم
لا يَستَطيعُ جَوَادٌ بَعدَ جُودِهِمُ — وَلا يُدانِيهِمُ قَوْمٌ وَإنْ كَرُمُوا
هُمُ الغُيُوثُ، إذا ما أزْمَةٌ أزَمَتْ — وَالأُسدُ أُسدُ الشّرَى وَالبأسُ محتَدِمُ
لا يُنقِصُ العُسرُ بَسطاً من أكُفّهِمُ — سِيّانِ ذلك: إن أثَرَوْا وَإنْ عَدِمُوا
يُستدْفَعُ الشرُّ وَالبَلْوَى بحُبّهِمُ — وَيُسْتَرَبّ بهِ الإحْسَانُ وَالنِّعَمُ

## من مكارم اهل البيت

قال الامام محمد بن إسحاق كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم فلما مات علي زين العابدين بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل وقيل إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فبكى ابن أسامة فقال له ما يبكيك قال علي دين قال وكم هو قال خمسة عشر ألف دينار وفي رواية سبعة عشر ألف دينار فقال هي علي وقال علي بن الحسين كان أبو بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته بمنزلتهما منه بعد وفاته ونال منه رجل يوما فجعل يتغافل عنه يريه أنه لم يسمعه فقال له الرجل إياك أعني فقال له علي وعنك أغضي وخرج يوما من المسجد فسبه رجل

فانتدب الناس إليه فقال دعوه ثم أقبل عليه فقال ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول إنك من أولاد الأنبياء قالوا واختصم علي بن الحسين والحسن بن الحسن وكان بينهما منافسة فنال منه الحسن بن الحسن وهو ساكت فلما كان الليل ذهب علي بن الحسين إلى منزل الحسن بن الحسن فقال يا ابن عم إن كنت صادقا يغفر الله لي وإن كنت كاذبا يغفر الله لك والسلام عليك ثم رجع فلحقه فصالحه. وقيل له من أعظم الناس خطرا فقال من لم ير الدنيا لنفسه قدرا وقال أيضا الفكرة مرآة تري المؤمن حسناته وسيئاته وقال فقد الأحبة غربة وكان يقول إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار وآخرون عبدوه محبة وشكرا فتلك عبادة الأحرار الأخيار وقال لابنه يا بني لا تصحب فاسقا فإنه يبيعك بأكلة واقل منها يطمع فيها ثم لا ينالها ولا بخيلا فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه ولا كذابا فإنه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب ولا أحمق فإنه يريد ان ينفعك فيضرك ولا قاطع رحم فإنه ملعون في كتاب الله قال تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد ابن أسلم فقال له نافع بن جبير بن مطعم غفر الله لك أنت سيد الناس تأتي تخطي حلق أهل العلم وقريش حتى تجلس مع هذا العبد الأسود فقال له علي بن الحسين إنما يجلس الرجل حيث ينتفع وإن العلم يطلب حيث كان وقال الأعمش عن مسعود بن مالك قال قال لي علي بن الحسين أتستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير فقلت ما تصنع به قال أريد أسأله عن أشياء ينفعنا الله بها ولا منقصة إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق.

## التشيع لآل البيت

قال الشيخ محمد حسنين مخلوف السني المصري ما ملخصه (الشيعة من أكبر الفرق الإسلامية الشيعة، وهم الذين انتحلوا التشيع لعلى كرم الله وجهه وقالوا إنه الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالنص الجلى أو الخفى وأنه الوصى بعده بالاسم أو الوصف دون الصديق وعمر وعثمان، وأن

الإمامة لا تخرج عنه ولا عن أولاده وإن خرجت فبظلم من غيرهم أو بتقية منه أو من أولاده . والشيعة مع تعدد فرقها تنحصر أصولها فى ثلاث غلاة وزيدية وإمامية .

(أ) غلاة الشيعة والغلاة عدة فرق تطرفت فى التشيع حتى خرجت عن ربقة الإسلام بمزاعم مكفرة ومعتقدات باطلة . ومنها فرقة تزعم ألوهية محمد وعلى وفاطمة والحسن، والحسين وأنهم شىء واحد ، وأن الروح حالة فيهم بالسوية لا مزية لواحد منهم على الآخر ويسمون هؤلاء الخمسة أهل العباء . αومنها فرقة تزعم أن الإله قد حل فى على وأولاده وأنه قد ظهر بصورتهم ونطق بألسنتهم وعمل بأيديهم ومنها الباطنية وتسمى الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق أو إلى زعيمهم محمد ابن إسماعيل . αوالقرامطة والمحرمية لإباحتهم المحرمات والمحارم، والسبعية لزعمهم أن الرسل سبعة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومحمد المهدى، وأن بين كل اثنين منهم سبعة أئمة يحمون الشريعة، ولا بد فى كل عصر من سبعة بهم يقتدى وبهم يهتدى وقد نشأت الإسماعيلية فى بلاد الفرس وأسست دعوتهم على الإباحية المطلقة واستعجال اللذائذ والشهوات وتأويل التكاليف الشرعية بما يفضى إلى إبطال الشرائع وعودة المجوسية إلى سيرتها الأولى .

(ب) الشيعة الزيدية وأما الزيدية فينسبون إلى زيد بن على زين العابدين، ومقرهم اليمن وأكثرهم يرجع فى الأصول إلى عقائد المعتزلة وفى الفروع إلى مذهب أبى حنيفة إلا فى مسائل وهم بالإجمال أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة والجماعة .

(ج) الشيعة الإمامية (قال) وأما الإمامية فيزعمون أن الرسول قد نص نصا جليا على إمامة على بعده وأنه هو وصيه ويطعنون فى سائر الصحابة وخاصة الشيخين بل منهم من يكفرهم وساق عامتهم الإمامة من على فى بنيه إلى جعفر الصادق وفريق كبير منهم ساقها من جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم، ثم إلى ابنه على الرضى، ثم ابنه محمد التقى، ثم إلى ابنه على التقى، ثم إلى ابنه الحسن الزكى المعروف بالحسن العسكرى ثم إلى ابنه محمد الذى يزعمون أنه الإمام المنتظر ، وأنه المهدى الذى يظهر آخر الزمان فكان الأئمة عندهم اثنى عشر وآخرهم اختفى فى سنة 226 هجرية ولا يزال حيا وسيظهر آخر الزمان، ومن ذلك سموا الإثنى عشرية وزعموا – أن الإمامة لابد أن يكون هاشميا عالما بجميع مسائل الدين معصوما ، ولهم فى أبى بكر وعمر مطاعن ومثالب يظهرونها فيما بينهم عند

الأمن ويخفونها تقية عند الخوف وكلها كذب وبهتان ويقدسون كربلاء والنجف الأشرف وما فيهما من مشاهد ، ويحملون من أرضها قطعا يسجدون عليها في الصلاة ) .

انصراف بن أبي حرب

قال بن إسحاق عن الحسن بن علي بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال كنا جلوسا عند أبي عمرو بن العلاء فتذاكرنا السيد الحسن السبط فجاء فجلس وحضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة فنهض فقلنا يا أبا هاشم مم القيام فقال إني لأكره أن أطيل بمجلس لا ذكر فيه لفضل آل محمد . لا ذكر فيه لأحمد ووصيه وبنيه . ذلك مجلس نطف ردي إن الذي ينساهم في مجلس حتى يفارقه لغير مسددٍ ( قلت ) ونعود الآن إلى ما نحن بصدده فنقول :

## الفصل الثالث

## في

## ذكر فاطمة الزهراء ومناقبها

----

### فاطمة الزهراء

فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت رضي الله عنها تكنى أم أبيها بكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ونقل بن فتحون عن بعضهم بسكون الموحدة بعدها نون وهو تصحيف وتلقب الزهراء روت عن أبيها وروى عنها ابناها وأبوهما وعائشة وأم سلمة وسلمى أم رافع وأنس وأرسلت عنها فاطمة بنت الحسين وغيرها قال عبد الرزاق عن بن جريج قال لي غير واحد كانت فاطمة أصغر بنات النبي صلى الله عليه وسلم وأحبهن إليه . وقال أبو عمر اختلفوا أيتهن أصغر والذي يسكن إليه اليقين أن أكبرهن زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة واختلف في سنة مولدها فروى الواقدي عن طريق أبي جعفر الباقر قال قال العباس ولدت فاطمة والكعبة تبنى والنبي صلى الله عليه وسلم بن خمس وثلاثين سنة وبهذا جزم المدائني ونقل أبو عمر عن عبيد الله الهاشمي أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان مولدها قبل البعثة بقليل نحو سنة

أو أكثر وهي أسن من عائشة بنحو خمس سنين وتزوجها علي أوائل المحرم سنة اثنتين بعد زواج عائشة بأربعة أشهر وقيل غير ذلك وانقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من فاطمة .

زواج فاطمة

ذكر بن إسحاق في المغازي الكبرى عن علي أنه خطب فاطمة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك من شيء قال لا قال فما فعلت الدرع التي أصبتها يعني من مغانم بدر وقال بن سعد ان عليا أصدق فاطمة درعا من حديد . وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي حين زوجه فاطمة أعطها درعك الحطمية قالوا وسمع علي يقول أردت أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فقلت والله مالي من شيء ثم ذكرت صبيته وعائدته فخطبتها إليه فقال وهل عندك شيء ( قلت ) لا قال فأين درعك الحطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا قلت هو عندي قال فأعطها وأخرج بن سعد عن الواقدي من طريق أبي جعفر قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب فلما تزوج على فاطمة قال له التمس منزلا فأصابه مستأخرا فبنى بها فيه فجاء إليها فقالت له كلم حارثة بن النعمان فقال قد تحول حارثة حتى استحييت منه فبلغ حارثة فجاء فقال يا رسول الله والله الذي تأخذ أحب إلي من الذي تدع فقال صدقت بارك الله فيك فتحول حارثة من بيت له فسكنه علي بفاطمة ومن طريق عمر ابن علي قال تزوج علي فاطمة في رجب سنة مقدمهم المدينة وبني بها مرجعه من بدر ولها يومئذ ثمان عشرة سنة وفي الصحيح عن علي قصة الشارفين لما ذبحهما حمزة وكان علي أراد أن يبني بفاطمة فهذا يدفع قول من زعم أن تزويجه بها كان بعد أحد فإن حمزة قتل بأحد قال يزيد ابن زريع قالت عائشة ما رأيت قط أحدا أفضل من فاطمة غير أبيها قال بن سعد عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورحاءين وسقاءين

فضليات النساء

قال عكرمة عن ابن عباس خط النبي صلى الله عليه وسلم أربعة خطوط فقال أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية وقال أبو يزيد المدائني عن أبي هريرة مرفوعا خير نساء العالمين أربع مريم وآسية وخديجة وفاطمة وقال الشعبي عن جابر حسبك من نساء العالمين أربع فذكرهن وقال بن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدري مرفوعا سيدة نساء أهل الجنة فاطمة إلا ما كان من مريم .

## فاطمة بضعة منه عليه السلام

في الصحيحين عن المسور بن مخزمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما رابها وعن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن علي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك وأخرج الدولابي في الذرية الطاهرة بسند جيد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بنى علي بفاطمة لا تحدث شيئًا حتى تلقاني فدعا بماء فتوضأ منه ثم أفرغه عليهما وقال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما وقالت أم سلمة في بيتي نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي الحديث أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك وأخرج الترمذي من حديث زيد ابن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم.

## مسارة رسول الله لفاطمة

قال مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم أسر إليها حديثا فبكت ثم أسر إليها حديثا فضحكت فقلت ما رأيت كاليوم أقرب فرحا من حزن فسألتها عما قال فقالت ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره فلما قبض سألتها فأخبرتني أنه قال إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين وما أراه إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحوقا بي ونعم السلف أنا لك فبكيت فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين فضحكت . وقالت أم سلمة جاءت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألتها عنه فقالت أخبرني أنه مقبوض في هذه السنة فبكيت فقال أما يسرك أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فضحكت أخرجه أبو يعلى

## طلب علي وفاطمة المساعدة

قال سيدنا علي لفاطمة يوما لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله بسبي فاذهبي فاستخدمي فقالت وأنا والله قد طحنت حتى تجلت يداي فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما

جاء بك أي بنية فقالت جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت فأتياه جميعا فذكر له علي حالهما قال لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم فرجعا فأتاهما وقد دخلا قطيفتهما إذا غطيا رؤوسهما بدت أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما فثارا فقال مكانكما ألا أخبركما بخير مما سألتماني فقالا بلى فقال كلمات علمني بهن جبريل تسبحان في دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين وأحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين قال علي فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن وقال له بن الكواء ولا ليلة صفين فقال قاتلكم الله يا أهل الطروق ولا ليلة صفين

## شكوى فاطمة في علي

قال عمرو بن سعيد كان في علي شدة على فاطمة فقالت والله لأشكونك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت وانطلق علي في أثرها فكلمته فقال أي بنية اسمعي واستمعي واعقلي إنه لا امرأة تأتي هوى زوجها وهو ساكت قال علي فكففت عما كنت أصنع وقلت والله لا آتي شيئا تكرهينه أبدا وعن حبيب بن أبي ثابت قال كان بين علي وفاطمة كلام فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل حتى أصلح بينهما ثم خرج قال فقيل له دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك فقال وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي .

## الفواطم

الفَوَاطِمُ التي ذكرن في بعضِ الآثار هن فاطمَةُ الزَّهْراءُ، وفاطمة بنت أَسَد أُمُّ عَلِيٍّ . وفاطمة بنت حَمْزَةَ، وفاطمة بنْتُ عُتْبَةَ ابن رَبِيعَة . والفَواطم اللاتي ولَدْنَ النبيَّ، صلى اللهُ عليه وسلم هن فاطمة القُرَشيَّةُ والفاطمَتانِ القَيْسيَّتَانِ، والفاطمتانِ اليَمانِيَّتانِ، وفاطمة الأَزدِيَّة، وفاطمة الخُزاعيَّة .

## وفاة فاطمة

قد ثبت في الصحيح عن عائشة أن فاطمة عاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر وعن أم رافع قال مرضت فاطمة فلما كان اليوم الذي توفيت قالت لي يا أمة اسكبي لي غسلا فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ثم لبست ثيابا لها جددا ثم قالت اجعلي فراشي وسط البيت فاضطجعت عليه واستقبلت القبلة وقالت يا أمة أني مقبوضة الساعة وقد اغتسلت فلا يكشفن لي

أحد كنفا فماتت فجاء علي فأخبرته فاحتملها ودفنها وقال الواقدي توفيت فاطمة ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وقال الواقدي قلت لعبد الرحمن بن أبي الموالي إن الناس يقولون إن قبر فاطمة بالبقيع فقال ما دفنت إلا في زاوية في دار عقيل وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع . رضي الله عنها وارضاها .

وصف فاطمة لابن الحرمه

في وصف السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام قال الشيخ أحمد بن الحرمه في بريان ولاية غرداية :

| | |
|---|---|
| جبت القول اعلى فاطيمه | رضي الله عنها |
| تنعرنا يوم القيامه | نتحرر في حرمتها |
| البارح فاطمه جاتني | وابكيت اعلى ركبتها |
| بادخول الجنه هنتني | ضمنت بشفاعت بوها |
| ليلت جمعا ياسادتي | جتني فاطما لمباتي |
| قالت راك امن اوليداتي | نار اعذابك نطفها |
| قالت لي بنت القريشي | افرح وامدح بي عاشي |
| زين الزهره ماريتوشي | سبحان اللي صورها |
| بنت الهادي خطفت عقلي | ربي يهديها ترجعلي |
| تبريني من ضر اهبالي | تشرح صدري بدواها |
| هدفت عندي بعد القطسا | نلقاها في ديوان انسا |
| منهم عانس ومكروسا | في ظني قرابتها |
| يلقوني مخلوع وفاجع | ما ظنو في زين انواجع |
| نور اعلى فاطمه اساطع | مصباح اعلى جبهتها |
| ابعيني ماهيشي عاكس | طلقت ثيث اكحل مداكس |
| احرير اقمار ايبان يتباقص | مطيب ريحت ظفرتها |

راني في الغشوه نسعجب     برق اسطع بين اسحايب
سي انعاج امعاه الرايب     اماتو كي حلبوها
لملاك احواجب جروهم     كحل وسود وكي كتبوهم
ارماش الهد به غطوهم     يفهم من حقق بها
فاطمه من شافك يحشم     وجهك والمنقار امسقم
تتفارج بالفم املقم     ذكر الله في شفتها
اسنانك يا صافي المبسم     تبروري رعدو يتكلم
مثل استبرق الله عالم     لايمثل حاشاها
عنق الزهره زين امركب     قايد باشا قومو تلعب
دقلت نور اثمرها طايب     ثقلت من جر انخلها
بدنك ثات وشاش اكميما     واصباعك طلحات اقلوما
اثمار اجمار اعليه الما     سيل الكوثر غذاها
ذاك الساق ابيان امسلس     مكسي بعبارق وسندس
واخلاخل اردوف اتسدس     واصباعات ال ذرعتها
الباس اللي هي مذكوره     دار ابدار ابيض بخضوره
تضحك ما هيشي منقوره     والحوريات امعاها
اشكيتلها دار الدنيا     ظمنتي في ذيك وذيا
اللي ينظر هذا البيا     ما يحقر في حرمتها
ترضي عن شيخ الشعارا     نشكر فاطمه صبارا
شكر الدنيا غير اخسارا     ياقلبي توب اخطها
تساهل لشكار الزينا     غدوه بوها يشفع فينا
من حوضو الطاهر تسقينا     حيدر يتلقى بها
في شان اعلامك عدينا     يا فاطما لاتتنسينا

| | |
|---|---|
| في الجنه الخضره هنينا | ابجاه جاهك نسكنها |
| يا طفله يا ذيك البهجا | اسقيني راني في وهجا |
| نبرا من دايا يتفاجا | شايف نعرف طلقتها |
| ابن الحرمه ينسب ليكم | لله روفي عن شاعركم |
| من صغري والع باغناكم | حتى الدنيا تاركها |
| في المحشر فاطمه تشفع | ابلا شك انحط وترفع |
| كان انتايا اتشوف وتسمع | سورت لحزاب اقرها |
| كي توصل لل هل البيت اوقف | في الخازن فسرها واعرف |
| البيضاوي ثاني الف | الربعه قالوا بها |
| اهل السنه كل اتفقو | بشفاعت فاطيمه نطقو |
| كيما ظنو فيها يلقو | كي هي كي ذريتها |
| لحسن والحسين العمدا | ليهم ثاني بالمودا |
| فرض اعلينا لاتتعدى | قربى للهادي طاها |
| من جد ال جد ليهم كبرا | ذريت فاطمه الزهرا |
| من عاداهم سهم الحقرا | جهنم يدخلها |
| يافاطيمه ليك الهربه | يوم المحشر يوم الغلبه |
| السيات اتجي مكتوبه | في ذمتنا تمحها |
| عدك لاتهديني باير | امحي عني كل اكباير |
| فاطيمه بيكم نتعاير | هذاالنطفه تحموها |
| غيثنا يوم القيامه | قولي وين اقصير القامه |
| اسماه احمد ابن الحرمه | نفرح في بيتك نزها |
| الناس الحساد اكثيرا | لايخفوكش في البصيرا |
| لاتهدي ليهم تاثيرا | جدمارتهم نحيها |

| | |
|---|---|
| ماعـــــــدوني مـــــاعرفوني | نـسبي غـالي ماهـــودونـي |
| بـــن خـــيره غـــيرامـــساميني | متــــــوجد لي للنـــدها |
| انـــا شيـــخي عبــد القـــادر | حاميــــني في النـــدها بـــادر |
| يجمـــل عــــدياني في نـــادر | قـــوم اهـــل الله تـدرسهـــا |
| بجـــاهي الـــسادات الكرمـــا | عـــديان احمـــد ايجـــو في محمـــا |
| ربـــي شـــافينا بالكـــــرما | تحـــييني ال نحـــــصدهـا |
| ربـــي كــــــافي مـــن كفونـــا | ارفعهـــم كمـــا رفعونـــــا |
| عـــل شـــان اللـــي حبونـــا | واحـــــــبتهـــم تقـــبلها |
| نخـــتم ذالمدحـــه تـــــعمد | بالـــف اصـلاة اعلـى محمـد |
| اهلـــي واجميـــع اللـــي شـــهد | مـن شـــاو الـدنيا لاخـــرها |
| يــــاربي العــــــزه ســـبحانك | عطـف عنـاحزب احبـابك |
| وافتح لي في وجــــــهي بابـــك | واحـــوايجـــــنا تقـــضها |
| بجـــاهي اثرايـــت فاطيمــــه | انمـوت اعلـى حـسن الخاتيمـه |
| لاالـــــــه الاالله ديمـــــا | محمـــــد يحـــضر فيهـــا |
| صـــــلى الله اعلــــى محمــــد | نـــور الهــــدى يــــامجــــد |
| يـــشفع فينـــا يـــوم الموعـــد | والـــــشفاعه يـــــضمنها |

على ذكر الغوث الشيخ سيدي عبد القادر البغدادي بن موسى وابن خيره في هذه القصيدة اقول إن الشيخ عبد القادر هو صوفي وعالم ومؤلف له كتاب ( الغنيه ) واشعار عظيمة ومن اقواله التي سمعتها بمجلس الشيخ سيدي محمد بلقايد قوله :

| | |
|---|---|
| اذا المـرء لم يلـبس ثيابـا مـن التـقى | تجرد عريـــانا ولو كـــان كاسيا |
| وخـير ثيـاب المـرء طـــاعة ربـه | ولاخير فيمن كـــان لله عاصيا |

## الفصل الرابع
## في
## ذكر سيدنا علي ومناقبه

----

### سيدنا علي

جدنا وسيدنا علي كرم الله وجهه هو «على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام، وأمه «فاطمة بنت أسد بن هاشم» وهى أول هاشمية ولدت هاشميًا، وقد أسلمت وهاجرت إلى «المدينة»، وهو ابن عم النبى (صلى الله عليه وسلم)، وتربى فى بيته، لأن أباه كان كثير العيال قليل المال، فأراد النبى أن يخفف عن عمه أعباء المعيشة، فأخذ «عليًا» ليعيش معه فى بيته وكان عمره يومئذ ست سنوات، فشاءت إرادة الله أن ينشأ «على» فى بيت النبوة، فوقاه الله أرجاس الجاهليةً، فلم يسجد لصنم قط، وكان أول من أسلم من الصبيان.

### صفة سيدنا علي

كان رضي الله عنه ربعة من الرجال، يميل إلى القصر، أسمر اللون، حسن الوجه واسع العينين، أصلع الرأس، عريض المنكبين، غزير اللحية، قوى الجسم. عُرف بالشجاعة. والعلم الغزير، والزهد فى الدنيا مع القدرة عليها، وكان واحدًا ممن حفظوا القرآن كله من الصحابة، وعرضوه على النبى (صلى الله عليه وسلم)، ومن أكثرهم معرفة بالقرآن وبتفسيره وأسباب نزوله وأحكامه وكان من كتاب الوحى، ولذا اختص فى سيرته بلقب «الإمام» لأفضليته العلمية والفقهية وكان أقضى الصحابة رضى الله عنهم جميعًا، واشتهر بالفصاحة والخطابة وقوة الحجة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد تآخى الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع على بعد الهجرة، ثم زوجه ابنته «فاطمة»، وأنجب منها «الحسن» و«الحسين»، وهما اللذان حفظا نسل الرسول (صلى الله

عليه وسلم) . وشهد «على» المشاهد كلها عدا تبوك مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكان فى طليعة من صرعوا المشركين فى «بدر»، وواحدا من الذين ثبتوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى غزوة «أحد»، وحمل اللواء عندما سقط من يد «مصعب بن عمير» بعد استشهاده، حمله بيده اليسرى، وظل يقاتل بيده اليمنى، وصرع فى غزوة الخندق «عمرو بن عبد ود» فارس «قريش» والعرب كلها عندما لم يقدم أحد على مبارزته وأعطاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الراية يوم «خيبر»، وقال: «لأعطين اللواء غدًا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، وأخبر أن الفتح سيكون على يديه، وتحقق ذلك، وثبت مع من ثبتوا مع النبى (صلى الله عليه وسلم) فى «حنين» . وفى غزوة «تبوك» خلفه النبى (صلى الله عليه وسلم) فى أهله يرعى مصالحهم وشئونهم، ولما تأذى من ذلك وقال: يا رسول الله، تخلفنى فى النساء والصبيان فقال له النبى (صلى الله عليه وسلم): أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى ، إشارة من النبى إلى أن موسى عندما ذهب لمناجاة ربه، ترك أخاه هارون، خلفًا له فى قومه، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ وكان رضى الله عنه موضع ثقة واحترام من الصحابة جميعًا ، فكان من أكبر أعوان أبى بكر الصديق فى قمع حروب الردة، ولازم «عمر بن الخطاب» فكان لا يقطع أمرًا دون مشاورته، والاستنارة برأيه، وكان عمر يقول : قضية ولا أبا حسن لها وعاون عثمان بالرأى والمشورة مثلما كان يفعل مع أبى بكر وعمر فلم يحجب عنه نصحه ومؤازرته فى الفتنة التى أطبقت على الأمة، وأرسل أولاده مع بقية أولاد الصحابة لحراسته والدفاع عنه، ثم ذهب بنفسه لمواجهة الأشرار .

## بيعة علي بالخلافة

رُوّعت «مدينة» رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمقتل أمير المؤمنين «عثمان بن عفان» رضى الله عنه وعم الناس الهلع والرعب، لهذه الجريمة التى أقدم عليها هؤلاء الأشرار وسيطر الثائرون على «المدينة»، وظل «الغافقى بن حرب» زعيم ثوار «مصر»، وأحد كبار زعماء الفتنة يصلى بالناس إمامًا فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمسة أيام، والدولة كلها بدون

خليفة، ولم يكن في وسع أحد من الثوار أن يرشح نفسه لها، لأنهم يعلمون أن هذا الأمر يخص المهاجرين وحدهم. وبدأ الثائرون يعرضون منصب الخلافة على كبار الصحابة: «على بن أبى طالب»، و«طلحة بن عبيد الله»، و«سعد بن أبى وقاص»، و«الزبير بن العوام»، و«عبد الله ابن عمر بن الخطاب»، فرفضوا جميعًا، وسماهم «على بن أبى طالب» الثائرين ولعنهم على فعلتهم الشنعاء، فهددهم الثائرون بقتلهم جميعًا كما قتلوا «عثمان» إن لم يقبل أحدهم منصب الخلافة. وفى مثل هذه الظروف العصيبة كان لابد من رجل شجاع غير هياب، يتقدم الصفوف لحمل الأمانة وسط الأخطار المحدقة بها، واتجهت الأنظار إلى «على بن أبى طالب»، وتعلقت به الآمال، ترجوه تحمل المسئولية، وقيادة الركب إلى بر الأمان، وألح عليه كبار الصحابة إلحاحًا شديدًا لتولى المنصب الشاغر، منصب الخلافة الجليل، فقبل تجشم تبعاتها فى هذه الظروف الدقيقة، وكان قبوله لها ضربًا من ضروب الفروسية والشجاعة، والاحتساب عند الله، والنزول على رغبة كبار الصحابة.

## خطبة علي يوم البيعة

كان سيدنا على بن أبى طالب هو أول خليفة يخطب قبل البيعة، وكانت خطبة قصيرة أشهد الله عليهم وأشهدهم على أنفسهم أنهم هم الذين ألحوا عليه تقبل أمر كان له كارهًا لتبعاته ومسئولياته فلما وافقوا بايعوه ولهذا كان عليه أن يخطب مرة أخرى خطبةً يوضح فيها أسلوبه فى الحكم فقال: «إن الله أنزل كتابًا هاديًا، بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض الفرائض أدوها إلى الله تعالى يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرم حرمات غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق لا يحل دم امرئ مسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإن من خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله فلا تعصوه ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ﴾ »

خطبة قصيرة مناسبة للمقام وللظرف الذى قيلت فيه، فقد بدأها بالتذكير بالله، وحث المسلمين على عمل الخير وتجنب الشر، وحذرهم حرمات الله والوقوع فيها، وأهمها حرمة دم المسلم، ولعله بذلك يعرض بقتلة «عثمان» ويحدد موقفه من هذه الفعلة الشنعاء، وأنه لن يتساهل فى القصاص منهم، وإقامة الحد عليهم.

## على والقرارات الصعبة

تمت بيعة سيدنا على بن أبى طالب فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ذى الحجة سنة (35 هـ) فاستقبل بخلافته عام (36هـ)، وكان عليه أن يواجه الموقف العصيب الذى نتج عن استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان باتخاذ قرارات صعبة تجاه عدد من المعضلات، التى كان:

أولها - القصاص من قتلة عثمان رضى الله عنه وكان ذلك مطلب الصحابة، ففى أول يوم من خلافته ذهب إليه «طلحة» و«الزبير»، وطالباه بإقامة الحد على القتلة، وكان هو مقتنعًا بذلك، ولذلك قال لهما: «يا إخوتاه إنى لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم أى يعيشون بينكم يسومونكم ما شاءوا أى يسيطرون عليكم فهل ترون موضعًا لقدرة على شىء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأيًا ترونه أبدًا ويتضح من هذا أن سيدنا عليا بن أبى طالب لم يكن أقل من غيره حرصًا على إقامة الحد على قتلة عثمان ولكن الظرف الذى هم فيه لا يمكنه من ذلك، فإذا كان الذين نفذوا القتل فى عثمان عددًا محدودًا، وهم الغافقى بن حرب ومعه سودان بن حمران وكنانة بن بشر التجيبى فإن وراءهم نحو عشرة آلاف من الثوار الذين ضللوهم، وهم مستعدون للدفاع عنهم، ولذلك عندما كانوا يسمعون قائلا يقول: من قتل عثمان . كان هؤلاء جميعًا يصيحون: نحن جميعًا قتلناه ولذا كان رأى الإمام علي التريث حتى تهدأ الأمور ويعود الناس إلى بلادهم حتى يتمكن من التحقيق فى الأمر وإقامة الحد وقد اقتنع الصحابة بهذا الحل لكن الأمور تطورت تطورًا آخر على غير ما يهوى الجميع.

ثانيها - تغيير كل ولاة عثمان على الولايات الكبرى: مصر والشام والكوفة والبصرة حتى تهدأ الفتنة. وقد اتخذ علي بالفعل قرارًا بذلك، فعزل معاوية بن أبى سفيان عن الشام وعين بدلا منه

سهل بن حنيف وعزل عبدالله بن سعد بن أبى السرح عن مصر وعين بدلا منه قيس بن سعد بن عبادة وعزل عبدالله بن عامر عن البصرة وعين بدلا منه عثمان بن حنيف وعزل أبا موسى الأشعرى عن الكوفة وعين بدلا منه عمارة بن شهاب. وهذا القرار الخطير راجعه فيه أقرب الناس وأخلصهم له ابن عمه عبدالله بن عباس ونصحه بالانتظار فترة ولو لمدة سنة، لتكون الأمور قد هدأت واستقرت، ويتم التغيير فى ظرف مناسب، لكن الإمام أصر على تنفيذ قراره محتجًا بأن هؤلاء الثوار ثاروا غضبًا من ولاة عثمان سواء أكانوا مخطئين أم مصيبين، ولن تهدأ ثورتهم إلا إذا عُزلوا. وإزاء إصرار على رضى الله عنه على تنفيذ قراره، اقترح ابن عباس أمرًا آخر، بأن يعزل مَن يشاء من الولاة، ويُبقى معاوية على ولاية الشام، وكان اقتراحًا ذكيًا وجيهًا فمعاوية لم يكن موضع شكوى أحد من رعيته، ولم يشترك أهل الشام فى الثورة على عثمان وقتله وعلى هذا فلو أقره علىّ فى ولاية الشام، فلن يلومه أحد، وكان ابن عباس يعرف من ناحية أخرى أن معاوية لن يذعن لقرار العزل وسيبقى فى لايته مسببًا متاعب كثيرة ومع هذا صمم الإمام على بن أبى طالب على عزل ولاة عثمان جميعًا بما فيهم معاوية وبدأ الولاة الجدد يتجهون إلى ولاياتهم لمباشرة أعمالهم، فذهب قيس بن سعد إلى مصر ودخلها بدون متاعب لأن واليها القديم عبدالله بن سعد تركها منذ علمه بمقتل عثمان وذهب إلى فلسطين واعتزل الفتنة وبقى هناك حتى مات فى مدينة عسقلان سنة (37هـ). وكذلك دخل عثمان بن حنيف البصرة وتولى شئونها بدون مشاكل لأن واليها عبدالله بن عامر كان قد تركها وذهب إلى مكة أما عمارة بن شهاب فلم يمكنه أهل الكوفة من دخولها وتمسكوا بواليهم أبى موسى الأشعرى فوافق الإمام على على ذلك، وأقر عليهم أبا موسى الأشعرى وكذلك لم يستطع سهل بن حنيف دخول الشام، فقد منعه معاوية بن أبى سفيان رافضا قرار العزل. وهنا لم يعامل الإمام على الشام معاملة الكوفة فإنه رفض إقرار معاوية فى ولاية الشام مع أن تمسك أهلها به كان أشد من تمسك أهل الكوفة بأبى موسى الأشعرى.

دارت مراسلات عديدة بين «على» و«معاوية» رضى الله عنهما يطلب الأول من الآخر مبايعته بالخلافة والإذعان لأوامره، باعتباره الخليفة الشرعى الذى بايعه معظم الصحابة فى «المدينة» على حين يطلب الثانى من الأول القصاص من قتلة «عثمان»، باعتباره ولى دمه، لأنه ابن عمه وبعدها ينظر فى بيعته. ولم تكن وجهة نظر الإمام فى قضية القصاص رافضة، لكنه كان يرغب فى تأجيلها حتى تتهيأ الظروف المناسبة، ولكن «معاوية» تمسك بالقصاص أولاً، وجعله شرطًا لازمًا يسبق البيعة. ولما لم تؤد الاتصالات بينهما إلى نتيجة، وصلت رسالة من «معاوية» إلى «على» تتضمن جملة واحدة، هى: «من معاوية إلى على»، بعثها «معاوية» بيضاء مع رجل يدعى «قبيصة» من «بنى عبس»، وأمره أن يدخل بها «المدينة»، رافعًا يده حتى يراها الناس، ويعلموا أن «معاوية» لم يبايع «عليًّا»، إذ يخاطبه باسمه فقط دون أن يصفه بأمير المؤمنين. وأدرك علىٌّ رضى الله عنه أن حمل معاوية على البيعة سلمًا غير ممكن، فأخذ يعد العدة لحمله على البيعة بالقوة، باعتباره خارجًا على طاعة الخليفة، على الرغم من أن كثيرين نصحوه بعدم اللجوء إلى الحرب لعواقبها الوخيمة، ومن بينهم ابنه «الحسن» لكن الإمام «على» أصر على موقفه، وبينما هو يستعد لذلك، جاءته أخبار أخرى مفزعة من «مكة»، تخبره بمسير «عائشة» وجماعتها إلى «البصرة»

فتنة الجمل (36هـ)

كانت أم المؤمنين «عائشة» - رضى الله عنها - عائدة من أداء فريضة الحج، وسمعت بمقتل «عثمان» فعادت من الطريق إلى «مكة»، وأعلنت سخطها على قتله، وأخذت تردد «قُتل والله عثمان مظلومًا لأطلبن بدمه»، ثم وافاها فى «مكة» «طلحة» و«الزبير» رضى الله عنهما و«بنو أمية»، وكل من أغضبه مقتل «عثمان»، وراحوا يتباحثون فى الأمر، وهداهم تفكيرهم إلى تجهيز جيش للأخذ بالثأر من قتلة «عثمان» والسير به إلى «البصرة»، باعتبارها أقرب بلد إليهم من البلاد التى اشترك أهلها فى الثورة على «عثمان» وقتله، وكان هذا اجتهادًا منهم مجانبًا للصواب، لأنهم بهذا العمل كأنهم أقاموا حكومة أخرى غير حكومة الإمام، المبايع شرعًا من الأمة، والمنوط به وحده إقامة الحدود والقصاص من القتلة، وربما كان الأفضل من هذا أن

يتوجهوا إلى «المدينة»، ليشدوا من أزر الخليفة فى هذا الوقت العصيب الذى تمر الأمة به ويتشاوروا معه فى إيجاد طريقة لحل المشكلات التى تواجهها الأمة. وصلت أخبار سير «عائشة» ومن معها إلى «على» وهو يتأهب للخروج إلى الشام لقتال «معاوية»، فاضطر إلى تغيير خطته فلم يعد ممكنًا أن يذهب إلى الشام ويترك هؤلاء يذهبون إلى «البصرة»، فاستعد للذهاب إلى هناك خرجت السيدة «عائشة» رضى الله عنها ومعها فى البداية نحو ألف رجل لكن هذا العدد تضاعف عدة مرات، بانضمام كثيرين إلى الجيش، نظرًا إلى مكانة «عائشة»، فلما اقتربوا من «البصرة»، أرسل واليها «عثمان بن حنيف» إلى أم المؤمنين «عائشة» رسولين من عنده، هما «عمران بن حصين» و«أبو الأسود الدؤلى» يسألانها عن سبب مجيئها. فقالت لهما: «إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأحدثوا فيه الأحداث وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا لعنة الله ورسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فخرجت فى المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وكذلك سأل الرسولان «طلحة» و«الزبير» رضى الله عنهما عن سبب مجيئهما، فقالا: «الطلب بدم عثمان»، فرجع الرجلان وأخبرا «عثمان بن حنيف»، فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون دارت رحى الإسلام ورب الكعبة»، وأصرَّ على منعهم من دخول «البصرة»، فساءت الأحوال بينهما عن اجتهاد ثم تنادوا إلى الصلح والكف عن الفتنة، وانتظار قدوم الإمام «على» إلى «البصرة»، وتم الصلح على أن يتركوا للوالى دار الإمارة والمسجد وبيت المال وينزلوا هم فى أى مكان بالبصرة.

## وصول علي إلى البصرة

وصل سيدنا على إلى البصرة وعلم بما حدث بين الفريقين وهاله ذلك، فأرسل على الفور «القعقاع بن عمرو التميمى» إلى معسكر «عائشة» و«طلحة» و«الزبير»، ليعرف ماذا يريدون فقالت «عائشة» رضى الله عنها «خرجنا لنصلح بين الناس»، وكذلك قال «طلحة» و«الزبير» فسألهم «ما وجه الإصلاح الذى تريدون»، قالوا: «قتلة عثمان»، قال: «لقد قتلتم ستمائة من قتلة عثمان، فغضب لهم ستة آلاف من قبائلهم، وكنتم قبل ذلك أقرب إلى السلامة منكم الآن» قالوا: «فماذا ترى أنت؟»، قال: «أرى أن هذا الأمر دواؤه التسكين»، واقترح عليهم تجديد

البيعة لعلى، ومقابلته، والتفكير بعد ذلك فيما يصلح المسلمين، فقبلوا . ومعنى ذلك أن الجميع كانوا راغبين، فى الإصلاح كل على حسب اجتهاده لكن عناصر الشر التى كانت لاتزال فى معسكر على هى التى أفسدت السعى الذى قام به القعقاع .

## أتباع ابن سبأ يفسدون الصلح ويبدؤون المعركة

كانت نقطة الضعف التى فى معسكر الإمام «على» هى وجود كثيرين ممن اشتركوا فى قتل «عثمان» والتخطيط له، وعلى رأسهم «عبدالله بن سبأ»، و«الأشتر النخعى»، ولم يكن لعلى حيلة فى وجودهم معه ولا قدرة على إبعادهم، لكونهم قوة كبيرة تساندهم عصبات قبلية،وقد أدرك زعماؤهم الذين تولوا كبر الثورة على «عثمان» أن الصلح بين الفريقين سيجعل «عليًّا» يتقوى بانضمام الفريق الآخر إليه، ويقيم الحد عليهم باعتبارهم قتلة «عثمان»، فعزموا على إفساد الأمر كله . وترتب على هذا العزم أن عقد «ابن سبأ» لهم مؤتمرًا تدارسوا فيه الأمر فاقترح «الأشتر» أن يقتلوا «عليًا» كما قتلوا «عثمان» من قبل، فتهيج الدنيا من جديد ، ولا يقدر عليهم أحد ، لكن هذا الاقتراح لم يعجب «ابن سبأ»، فهو يريد أن يدخل الأمة كلها فى حرب طاحنة،لا أن يقتل فرد واحد وإن كان خليفة المسلمين، فأمرهم بشن هجوم فى ظلام الليل على جيش «عائشة» و«طلحة» و«الزبير»، بدون علم الإمام «على»، فاستجابوا لرأيه، وبينما الناس نائمون مطمئنون بعد أن رأوا بوادر الصلح تلوح فى الأفق، إذا بهم يفاجئون بقعقعة السلاح، وكانت هذه هى بداية حرب «الجمل» المشئومة التى راح ضحيتها خيرة الصحابة «طلحة» و«الزبير» المبشران بالجنة، ونحو عشرين ألفًا من المسلمين .

## أسباب خروج عائشة ومن معها

لم تكن أم المؤمنين «عائشة»، ولا «طلحة» ولا «الزبير» ولا أمير المؤمنين «على» يريدون سفك الدماء ولا يتصورون حدوث ذلك،وكل ما دفع السيدة «عائشة» ومن معها إلى الخروج إنما هو اقتناعهم بأن «عثمان» قُتل مظلومًا ، وعليهم تقع مسئولية إقامة الحد على قتلته، ولم يكونوا أبدًا معادين لعلى، أو معترضين على خلافته، وقد رأينا ميلهم جميعًا إلى الصلح، لولا أن أتباع «ابن سبأ» (السبئية) أفسدوا كل شىء وأشعلوا الحرب، ولقد ندمت السيدة «عائشة» ندمًا شديدًا

على ماحدث، وقالت: «والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة»وخلاصة القول أن تبعة هذه المأساة تقع على عاتق «السبئية»، فهم الذين أشعلوا الفتنة من البداية، وقتلوا خليفة المسلمين ظلمًا ،وأشعلوا حرب «الجمل»، أما الصحابة، فقد وصف «ابن خلدون»موقفهم وصفًا دقيقًا ، فقال: «وإذا نظرت بعين الإنصاف عذرت القوم أجمعين، وعلمت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الأمة» (قال الراوي) وبعد حادثة «الجمل» توجه «على ابن أبى طالب» بجيش يبلغ عدده نحو مائة ألف إلى «صفين»، واستعد «معاوية» لمقابلته بجيش يقاربه فى العدد، ودارت بينهما معركة شرسة فى شهر صفر سنة (37هـ) قُتل فيها من الجانبين نحو سبعين ألفًا ، خمسة وعشرين ألفًا من جيش «على»، وخمسة وأربعينَ ألفًا من جيش «معاوية»، ولما رأى الناس كثرة القتلى من الجانبين تنادوا يطلبون وقف القتال وبعد نداآت نادى بها الطرفان جاءت فكرة التحكيم

(الميلود قويسم) ولو أني أوردت هذا الكلام فإني أكذب التاريخ في هذه الحيثية ومثيلاتها وجميع وقائعها وأعتبرها من تلفيقات الخراصين المكيدين للإسلام وتاريخه الأصيل .

التحكيم

رفع جيش «معاوية» المصاحف للاحتكام إليها ، ووقف القتال فورًا ،بدلا من سفك الدماء وكانت فكرة التحكيم من عند «عمرو بن العاص»، وقد قبلها الطرفان، وأوقفت الحرب، بعد أن فزع الناس لكثرة عدد القتلى .أوقفت الحرب، وطلب من «على» و«معاوية» أن ينيب كل منهما شخصًا يتفاوض باسمه، للفصل فى القضايا محل الخلاف، فأناب«معاوية» «عمرو بن العاص»، وأناب «على» «أبا موسى الأشعرى»على كره منه وذلك فى شهر صفر (37هـ) وكان علي قد حاول أن ينيب عنه «عبدالله بن عباس»، لكن أنصاره، وبخاصة من أبناء «اليمن» بزعامة «الأشعث بن قيس»، رفضوا ذلك بحجة عصبية،وأعلنوها صراحة، كيف يكون الخلاف بين رجلين من «قريش»، ثم يكون الحكمان رجلين من «قريش» أيضًا ، لقد حسدوا قريشًا على زعامتها للدولة الإسلامية التى استحقتها بسابقتها فى الإسلام، لابنسبها فقط . واتفق على أن يأخذ الطرفان مهلة مدتها ستة أشهر، تهدأ فيها النفوس، ويجتمع الحكمان

للتباحث والوصول إلى حل، وبعد مفاوضات طويلة وصل الحكمان إلى نتيجة رأياها أفضل الحلول وهى عزل «على» رضى الله عنه عن الخلافة، ورد الأمر إلى الأمة تختار من تشاء، أما التصرف العملى فى إدارة البلاد التى كانت تحت يد كل من الرجلين المتحاربين، فيبقى كما كان «على» يتصرف فى البلاد التى تحت حكمه (وهى كل الدولة الإسلامية عدا الشام) و «معاوية» يتصرف فى البلاد التى تحت حكمه (الشام) .

## موقف على وأنصاره من التحكيم

اجتهد الحكمان فيما توصلا إليه، وأعلناه على الناس، غير أن «عليًّا» رضى الله عنه لم يقبل تلك النتيجة، واعتبر الحكمين قد تجاوزا حدودهما؛ لأن الخلاف لم يكن على منصب الخلافة وإنما على إقامة الحد على قتلة عثمان وبيعة معاوية له، أيهما يسبق الآخر، ولذلك عدَّ نفسه فى حل من هذه النتيجة فعادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل التحكيم أى إلى حالة الحرب.

## ظهور الخوارج والشيعة

حاول على أن يدعو أنصاره إلى حرب معاوية من جديد لكنهم كانوا قد ملوا القتال، وتقاعسوا عنه بل إنهم انقسموا إلى «شيعة» وافقوه على ما صنع «وخوارج» اعتبروا التحكيم كان خاطئًا من أساسه، مع أنهم هم الذين فرضوه عليه، ثم تجاوزوا ذلك إلى ما هو أكثر تطرفا، فاتهموا عليًّا بالكفر، لأنه حكّم الرجال فى القرآن، وصاغوا شعارًا أخذوا يرددونه الحكم لله لا لك يا على وكان هو يقول لهم: «كلمة حق أريد بها باطل»، وطالبوه بأن يعلن كفره ويتوب ويسلم من جديد، حتى يعودوا إليه ويقاتلوا معه فإذا لم يفعل فسوف يقاتلونه ولا يمكن لمسلم أن يتصور كيف يُكفَّر رجل من صحابة رسول الله المبشرين بالجنة وممن رضى الله عنهم تحت الشجرة فى بيعة الرضوان وإزاء هذا التطرف من «الخوارج» اضطر الإمام أن يحاربهم فى معركة شهيرة تسمى معركة «النهروان» بالقرب من «الكوفة»، وبعدها لم يستطع أن يجمع شمل أنصاره لقتال «معاوية» من جديد كما كان يريد، بل أجبرته الظروف على التفاهم والاتفاق معه.

## الاتفاق بين على ومعاوية

وبعد انقسام جبهة «على» إلى «شيعة» و«خوارج» ازداد موقفه ضعفًا لأن صراعه مع «الخوارج» كبده متاعب جسيمة وفى الوقت نفسه كان موقف «معاوية» يزداد قوة، وبخاصة بعد أن استطاع الاستيلاء على مصر سنة (38هـ)، بجيش قاده فاتحها الأول عمرو بن العاص ونشر قوات له فى أطراف العراق وضم اليمن إليه،وأصبحت دولته تتسع بمرور الزمن، فى الوقت الذى تضيق فيه دولة على وانتهى الأمر بأن جرت بينهما مفاوضات طويلة، اتفقا على وضع الحرب بينهما وتكون لعلى العراق وبلاد فارس ولمعاوية الشام فلا يدخل أحدهما على صاحبه فى عمله بجيش ولا غارة وتراضيا على ذلك وهكذا أجبرت الظروف التى تكون أحيانًا أقوى من الرجال على بن أبى طالب أن يصالح معاوية ويسلم له بنصف الدولة الإسلامية تقريبًا يحكمها حكمًا مستقلا وهو الذى رفض فى بادئ الأمر إبقاءه واليًا على الشام وحدها يأتمر بأمره وينتهى بنهيه.

إدارة الدولة وتثبيت الفتوحات فى عهده

على الرغم من الظروف الصعبة التى واجهت الإمام عليًا رضى الله عنه فإنه أدار الدولة باقتدار وعدالة ونزاهة وتجرد، ولم يقصر فى شأن من شئونها، واتخذ من «الكوفة» عاصمة لدولته منذ أن خرج من «المدينة» إلى «البصرة» وبعد معركة «الجمل»، وظل يحكم منها إلى أن لقى الله، وعهد بإدارة بقية أجزاء دولته إلى أقرب الناس إليه،وأخلصهم له، فجعل «عبدالله بن عباس» واليًا على «البصرة» وأخاه «عبيد الله بن عباس» واليًا على «اليمن»، وأخاهما الثالث «قثم بن عباس» واليا على «مكة» و«الطائف»، وعزل «قيس بن سعد» عن «مصر»،وولى مكانه «محمد بن أبى بكر الصديق».

ولا لوم على «عثمان» و«على» إذا وليا أهل قرابتهما؛ لأن كل واحد منهما اجتهد لمصلحة الأمة وكان أمينًا عليها، فعهد بإدارة الدولة إلى من رأى أنهم ينفذون سياسته، ولم يولِّ أى منهما أحدًا محاباة أو لقرابة. ولم تشغل الإمام عليًّا مشكلات الدولة الداخلية عن التصدى لمحاولات الانتقاض التى حدثت فى بلاد فارس، فقد حاول الفرس تكرار ما فعلوه بعد استشهاد عمر بن الخطاب فأرسل إليهم زياد بن أبيه فى جمع كثير فوطئ بهم أهل فارس وكانت قد اضطرمت فلم يزل يبعث إلى رءوسهم يعد من ينصره ويعينه ويخوّف من امتنع عليه وضرب بعضهم ببعض

فدل بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضًا وصفت له فارس فلم يلقَ منهم جمعًا ولا حربًا . أما الروم فلم يتحركوا لأن الإمبراطور قنسطانز لما عرض عليه بعض قواده أن ينتهزوا فرصة الحروب التى جرت بين على وأصحاب الجمل وبينه وبين معاوية ويغيروا من جديد على مصر والشام رفض الإمبراطور معللا ذلك بأن غزوه لمصر والشام سيجعل المسلمين يتصالحون ويتحدون ويقاتلوننا جميعًا ولن نقوى عليهم فخير لنا أن نتركهم يقتل بعضهم بعضًا حتى يضعف شأنهم .

## استشهاد سيدنا علي

جاءت نهاية الإمام «على بن أبى طالب» على يد «الخوارج»، أنصاره السابقين، الذين بلغ بهم الغلو والتطرف حدًا اعتبروا فيه «عليًا» و«معاوية» و«عمرو بن العاص» أئمة ضلالة، وحملوهم مسئولية ما حدث، وقرروا قتل الثلاثة جميعًا، واتفقوا أن يتم التنفيذ فى وقت واحد، هو فجر اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة (40هـ)؛ تيمنًا بذكرى معركة «بدر» حسب تصور نفوسهم المريضة وعقولهم الفاسدة وانتدبوا ثلاثة للقيام بهذه المهمة هم «عبد الرحمن بن ملجم» و«البرك ابن عبد الله»، و«عمرو بن بكر»، على أن يذهب الأول إلى «الكوفة» لقتل «على»، والثانى إلى «دمشق» لقتل «معاوية»، والثالث إلى «مصر» لقتل «عمرو بن العاص» وشاءت إرادة الله تعالى أن ينجو «معاوية» و«عمرو» من القتل، وأن تكون الشهادة من نصيب «على»، حيث ضربه «عبد الرحمن بن ملجم» بسيف مسموم فى جبهته، فشقها فمات من أثر الضربة بعد وقت يسير، بعد أن قضى أربع سنوات وبضعة شهور، لم يذق فيها طعم الراحة، وحاصرته المشكلات والمتاعب، وأنهكته الحروب من كل جانب .

## زوجات علي

أول زوجه تزوجها سيدنا علي رضي الله عنه هي فاطمة بنت رسول الله بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له ( الحسن والحسين ومحسن وزينب الكبرى وام كلثوم ) ولم يتزوج علي على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله بستة اشهر على الخلاف فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة منهن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها وتوفي عن اربع فمن زوجاته .

1 – بالإضافة لفاطمة الزهراء .

2 – ام البنين بنت المحل فولدت له ( العباس وجعفر وعبد الله وعثمان ) وقد قتل هؤلاء مع اخيهم الحسين بكر بلاء ولا عقب لهم سوى العباس .

3 – ومنهن ليلى بنت مسعود فولدت له ( عبيد الله وابا بكر ) قال هشام بن الكلبي وقد قتلا بكر بلاء ايضا وزعم الواقدي ان عبيد الله قتله المختار بن ابي عبيد يوم الدار .

4 – ومنهن اسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له ( يحيى ومحمدا الاصغر ويحيى وعونا ) .

5 – ومنهن ام حبيبة بنت زمعة وولدت له ( عمر ) وقد عمر خمسا وثلاثين سنة (ورقية ) .

6 – ومنهن أم سعيد بنت عروة بن مسعود وولدت له ( ام الحسن ورملة الكبرى ) .

7 – ومنهن ابنة امرئ القيس بن عدي وولدت له ( جارية ) فكانت تخرج مع علي الى المسجد وهي صغيرة فيقال لها من اخوالك فتقول وه وه تعني بني كلب .

8 – ومنهن أمامه بنت ابي العاص وامها زينب بنت رسول الله وهي التي كان رسول الله يحملها وهو في الصلاة اذا قام حملها واذا سجد وضعها وولدت له ( محمدا الاوسط ) .

9 – ومنهن خولة بنت جعفر بن قيس وولدت له ( محمدا بن الحنفية )وهذا من الشيعة من يدعي فيه الامامة والعصمة وقد كان من سادات المسلمين بلا ريب .

اولاد سيدنا علي

كما سبق أن ذكرت فإنه قد كان لسيدنا علي أولاد كثيرون من زوجات متعددات ومنهم ( الحسن والحسين . ومحسن . وزينب الكبرى . وام كلثوم . والعباس . وجعفر . وعبدالله . وعثمان . وعبيد الله . وابو بكر . ويحيى . ومحمد الاصغر . ومحمد بن الحنفية . ويحيى . وعون . وعمر . ورقية . وام الحسن . ورملة الكبرى . وام هانيء . وميمونة . وزينب الصغرى . ورملة الصغرى . وام كلثوم الصغرى . وفاطمة . وامامة . وخديجة . وام الكرام . وام جعفر . وام سلمة . وجمانة . وجارية )
قال ابن جرير فجميع ولد علي ( اربعة عشر ذكرا وسبع عشرة انثى ) قال الواقدي وانما كان النسل من خمسة وهو ( الحسن . والحسين . ومحمد بن الحنفية . والعباس . وعمر ) رضى الله عنهم اجمعين .

## من كلام سيدنا علي

قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكميل بن زياد النخعي : يا كميل، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة : فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق، ثم قال: إن ههنا لعلما – وأشار بيده إلى صدره – لو أصبت له حملة لقد أصبت لقنا غير مأمون يستعمل الدين للدنيا ، ويستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على معاصيه، أف لحامل حق لا بصيرة له ، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة ، لا يدري أين الحق، إن قال أخطأ وإن أخطأ لم يدر ، مشغوف بما لا يدري حقيقته، فهو فتنة لمن فتن به، وإن من الخير كله من عرفه الله دينه . وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف دينه .

## من حكم سيدنا علي

قال سيدنا على لابنه الحسن يا بنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا فقر أشد من الجهل ولا مال أفضل من العقل .ولا وحدة أوحش من العجب .ولا مظاهرة أوثق من المشاورة .ولا عقل كالتدبير. ولا حسب كحسن الخلق .ولا ورع كالكف .ولا عبادة كالتفكر .ولا إيمان كالحياء . ورأس الإيمان الصبر. وآفة الحديث الكذب .وآفة العلم النسيان .وآفة الحلم السفه .وآفة العبادة الفتره .وآفة الطرف الصلف .وآفة الشجاعة البغى .وآفة السماحة المن .وآفة الجمال الخيلاء . وآفة الحب الفخر .ثم قال على : يا بنى لا تستخفن برجل تراه أبدا فان كان أكبر منك فعده أباك وإن كان مثلك فهو أخاك وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك .

## من شعر سيدنا علي

### يقول في فضل العلم

| | |
|---|---|
| الناس من جهة التَّمثال أكفاء | أبوهم آدم والأم حواءُ |
| وإنما أمهاتُ الناس أوعيةٌ | مستودعات وللأحساب آباء |
| فإن يكن لهم من أصلهم شرفٌ | يفاخرون به فالطينُ والماءُ |
| ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم | على الهدى لمن استهدى أدلاءُ |
| وقيمة المرء ما قد كان يحسنُهُ | والجاهلون لأهل العلم أعدَاءُ |

فقم بعلمٍ ولا تطلب به بدلاً فالناس موتى وأهل العلم أحياءُ

ويقول أيضاً في ذم الجهل

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله وأجسادهم قبل القبور قبورُ
وإنّ امرءًا لم يحيَ بالعلم ميتٌ وليس له حتى النشور نشورُ

ويقول في آداب طالب العلم

العلم زينٌ فكن للعلم مكتسبا وكن له طالبًا ما عشتَ مقتبسا
اركن إليه وثق بالله واغنَ به وكن حليمًا رزينَ العقل محترسا
لا تأثمنّ فإما كنت منهمكاً في العلم يومًا وإما كنت منغمسا
وكن فتى ماسكاً محضَ التقى ورعًا للدين مغتنما للعلم مفترسا
فمن تخلق بالآداب ظلّ بها رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا
واعلم هُديت بأن العلم خيرُ صفا أضحى لطالبه من فضله سلسا

ويقول في مدح العلم

إذا كنت ذا علم ولم تك عاقلاً فأنت كذي نعل وليس له رجلُ
وإن كنت ذا عقل ولم تكُ عالمًا فأنت كذي رجل وليس له نعلُ
ألا إنما الإنسان غمدٌ لعقله ولا خير في غمدٍ إذا لم يكن نصلُ

ويقول في الأصدقاء والزمن

تغيرت المودة والإخاءُ وقلّ الصدق وانقطع الرجاءُ
وأسلمني الزمانُ إلى صديق كثير الغدر ليس له رعاءُ
وربَّ أخ وفيت له بحق ولكن لا يدوم له وفاءُ

أخــــلاء إذا اســــتغنيت عنهــــم | وأعـــداءٌ إذا نـــزل البـــلاءُ
يــديمون المــودة مــا رأونــي | ويبقــى الــوُدُّ مــا بقــي اللقــاءُ
وكــل مــودة لله تــصفــو | ولا يــصفو مــع الفــسق الإخــاءُ
وكــل جراحــة فلهــا دواء | وســوء الخُــلق لــيس لــه دواءُ
ولــيس بدائــم أبــدًا نعــيمٌ | كــذاك البــؤس لــيس لــه بقــاءُ
إذا أنكــرت عهــدًا مــن حمــيم | ففــي نفــسي التكــرمُ والحيــاءُ
إذا مــا رأسُ أهــل البيــت ولّــى | بــدا لهــم مــن النــاس الجفــاءُ

ويقول في اختيار الأصدقاء

وإذا الــصديق رأيتــه متملّقــا | فهــو العــدو وحقــه يُتجنَّــبُ
لا خــير في وُدّ امــرئ متملّــق | حلــو اللــسان وقلبُــه يتلهــبُ
يلقــاك يحلــف إنــه بــك واثــقٌ | وإذا تــوارى عنــك فهــو العقــربُ
يعطيــك مــن طــرف اللــسان حــلاوة | ويــروغ منــك كمــا يــروغ الثعلــبُ
واخــتر قرينــك واصــطفيه تفــاخرًا | إن القريــن إلى المقــارن يُنــسبُ
والفقــر شــين للــرجال فإنــه | يُــزرَى بــه الــشهمُ الأديــبُ الأنــسبُ
واخفــض جناحــك للأقــارب كلــهمْ | بتــذلل واســمحْ لهــم إن أذنبــوا
ودع الكــذوب فــلا يكــن لــك صــاحبًا | إن الكــذوب لبــئس خــلاًّ يُــصحبُ
وذر الحــسود ولــو صــفا لــك مــرةً | أبعــده عــن رؤيــاك لا يُــستجلبُ

ويقول في موقف الإنسان من تقلبات الزمن

لــئن ســاءني دهــرٌ لقــد ســرني دهــرُ | وإن مــسني عــسرٌ فقــد مــسني يــسرُ
لكــل مــن الأيــام عنــدي عــادةٌ | فإن ســاءني صــبرٌ وإن ســرني شــكرُ

ويقول في الثبات أمام تصرفات الدهر

هي حالان شدة ورخاء | وسجالان نعمة وبلاءُ
والفتى الحاذق الأديب إذا ما | خانَه الدهر لم يخنه عزاءُ
إن ألمَّتْ ملمةٌ بي فإني | في الملمات صخرة صماءُ
عالم بالبلاء علماً بأن ليـ | ـس يدوم النعيم الرخاء

ويقول في جمع المال

وكم ساعٍ ليُثْري لم ينله | وآخر ما سعى خلق الثراءَ
وساعٍ يجمع الأموال جمعًا | ليورثها أعاديه شقاءَ
وما سيان ذو خُبْر بصيرٌ | وآخر جاهل ليسا سواءَ
ومن يستعتب الحدثان يوما | يكن ذاك العَتاب له عناءَ
ويزري بالفتى الإعدامُ حتى | متى يُصِبِ المقال يُقلْ أساءَ

ويقول في فائدة كثرة المال

يغطي عيوبَ المرء كثرةُ ماله | يُصدَّق فيما قال وهو كذوبُ
ويُزري بعقل المرء قلةُ ماله | يحمّقه الأقوام وهو لبيبُ

ويقول في علاج الإسراف

إذا شئتَ أن تستقرضَ المال مُنفقًا | على شهوات النفس في زمن العُسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها | عليك وانظارًا إلى زمن اليُسر فكلَ
سمحتْ كنتَ الغنيَّ وإنْ أبتْ | مَنُوعٍ بعدها واسعُ العَذرِ

ويقول في الكرم

سـأمنح مـالي كـلَّ مَـن جـاء طالبًـا وأجعله وقفًا على القرض والفرض
فإمـا كـريمٌ صـنتُ بالمـال عرضـه وإما لئيمٌ صنتُ عن لؤمه عِرضي

ويقول أيضًا في الكرم والإنفاق

إذا جـادت الـدنيا عليـك فجُـدْ بهـا علـى النـاس طـرًّا إنهـا تتقلـبُ
فـلا الجـودُ يُفنيهـا إذا هـي أقبلـتْ ولا البخـل يُبقيهـا إذا هـي تـذهبُ

من خطب سيدنا علي

خطب سيدنا علي رضي الله عنه ذات يوم فقال ( عباد الله : الموت الموت ليس منه فوت . إن أقمتم أخذكم . وإن فررتم منه أدرككم . الموت معقود بنواصيكم . فالنجا النجا والوحا الوحا فإن وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر . ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث كلمات فيقول : أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان . ألا وإن وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديدا . ألا وإن وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تتسعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكي المسلمون بكاء شديدا ثم قال : ألا وإن وراء ذلك اليوم جنة عرضها كعرض لسموات والأرض أعدت للمتقين . أدخلنا الله وإياكم دار النعيم . وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم )

خطبة ثانية لسيدنا علي

الحمد لله على كل أمر وحال في الغدو والآصال وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ابتعثه رحمة للعباد وحياة للبلاد حين امتلأت الأرض فتنة واضطرب حبلها وعبد الشيطان في أكنافها واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها وأخمد به شرارها ونزع به أوتادها وأقام به ميلها إمام الهدى والنبي المصطفي وآله وسلم فلقد

صدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه فأصلح الله به ذات البين وآمن به السبل وحقن به الدماء وألف به بين ذوي الضغائن الواغرة في الصدور وحتى أتاه اليقين ثم قبضه الله إليه حميدا ثم استخلف الناس أبا بكر فم يأل جهده ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده ثم استخلف الناس عثمان فنال منكم ونلتم منه حتى إذا كان من أمره ما كان اتيتموني لتبايعوني فقلت لا حاجة لي في ذلك ودخلت منزلي فاستخرجتموني فقبضت يدي فبسطتموها وتداككتم علي حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعض فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل وقد علم الله سبحانه أني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد وآلة ولقد سمعته وآله يقول ما من وال يلي شيئا من أمر أمتي إلا أني به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه على رءوس الخلائق ثم ينشر كتابه فإن كان عادلا نجا وإن كان جائرا هوى حتى اجتمع على ملؤكم وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر في أوجههما والنكث في أعينهما ثم استأذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان فسارا إلى مكة واستخفا عائشة وخدعاها وشخص معهما أبناء الطلقاء فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعلوا المنكر ويا عجبا لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما علي وهما يعلمان أني لست دون أحدهما ولو شئت ان أقول لقلت ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عني وخرجا يوهمان الطغام أنهما يطلبان بدم عثمان والله ما أنكرا على منكرا ولا جعلا بيني وبينهم نصفا وإن دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب منهما يا خيبة الداعي إلام دعا وبماذا أجيب والله إنهما لعلي ضلالة صماء وجهالة عمياء وإن الشيطان قد ذمر لها حزبه واستجلب منهما خيله ورجله ليعيد الجور إلى أوطانه ويرد الباطل إلى نصابه ثم رفع يديه فقال اللهم إن طلحة والزبير قطعاني وظلماني وألبا علي فاخلل ما عقدا وانكث ما أبرما ولا تغفر لهما أبدا وأرهما المساءة فيما عملا وأملا ثم سكت (قال الراوي) فقام إليه الأشتر فقال الحمد لله الذي من علينا فأفضل وأحسن إلينا فأجمل قد سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين ولقد أصبت ووفقت وأنت ابن عم نبينا وصهره ووصيه وأول مصدق به ومصل معه شهدت مشاهدة كلها فكان لك الفضل فيها على جميع الأمة فمن اتبعك أصاب حظه واستبشر بفلجه ومن عصاك ورغب عنك فإلى أمه الهاوية لعمري يا أمير المؤمنين ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيل ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه وفارقا على غير حدث أحدثت ولا جور صنعت فإن زعما أنهما يطلبان

بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما فإنهما أول من ألب عليه وأغرى الناس بدمه وأشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا منه لنلحقنهما بعثمان فإن سيوفنا في عواتقنا وقلوبنا في صدورنا ونحن اليوم كما كنا أمس ثم قعد .

ماصحة قول النبيء عليه السلام أنا مدينة العلم

ما صحة ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال (أنا مدينة العلم وعليّ بابها) والجواب لقد اختلف أهل العلم في هذا الحديث فمنهم من يصححه، ومنهم من يحكم عليه بالحسن ومنهم من يحكم عليه بالضعف، ومنهم من يحكم عليه بالوضع، والصحيح أنه موضوع، لأن علي بن أبي طالب روى أحاديث كما روى غيره، فأبوهريرة روى نحو خمسة آلاف حديث أو أكثر، وعلي بن أبي طالب روى نحو ستمائة حديث، فرواية أبي هريرة أكثر وإن كان علي بن أبي طالب أعلم من أبي هريرة، وأفقه من أبي هريرة. لكن الحديث في سنده أبو الصلت الهروي واسمه عبد السلام بن صالح وقد سرقه منه جمع .

ما هو يوم الغدير

سبب يوم الغدير الذي يحتفل به الشيعة هو أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند رجوعه من حجة الوداع جمع الناس بماء يدعى خما ثم قال: (وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنّور) فاتخذ الشيعة من هذا عيدا . وليس فيه أننا نحتفل بذلك اليوم، ولسنا نحن أهل السنة ندري أي يوم هذا،

هل يقال لسيدنا علي .كرم الله وجهه

هل من السنة أن نقول : علي كرم الله وجهه ؟ الجواب : لم يثبت أن نخصص عليًا بـ (كرم الله وجهه) أو (عليه السلام) لكن لا يصل إلى حد البدعة، أما (عليه السلام) فقد وجد في "البخاري" وفي "مسند أحمد" والأحسن أن يجرى عليه كإخوانه من الصحابة وأن نقول: علي رضي الله عنه

(قلت) وسمعت في منطقتنا الجلفاوية من بعض المشايخ أن جملة (كرم الله وجهه) قيلت لعلي دون سواه لأنه هو الوحيد .و منذ نشأته .الذي لم يقرب صنما ولا وثنا .فكأن وجهه كرمه الله فلم يقابل به صنما .

الشجعان الذين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كثيرون منهم : حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله أسد الله وأسد رسوله قتل في غزاة أحد رماه وحشي مولى جبير بن مطعم بحربه فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبي ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة . ومنهم أمير المؤمنين علي بن طالب رضي الله عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله ومؤيد بالتأييد الإلهي كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الإسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روي عنه رضي الله عنه أنه قال والذي نفس ابن ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موته على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبه فيها علي بن ابي طالب رضي الله عنه إلا اوصى بعضنا على بعض وقال رضي الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس إلى الحرب فدع الناس جانبا واخرج إلي ليعلم اينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي وقيل له كرم الله وجهه إذا جالت خيل فأين نطلبك قال حيث تركتموني وقيل له كيف تقتل الابطال قال لأني كنت القي الرجل فأقدر أني اقتله ويقدر هواني قتلته فأكون أنا ونفسه عونا عليه .

## الكتاب السابع عشر

ويتضمن الفصول الآتية . الفصل الأول في ذكر سيدنا الامام الحَسَن السبط . والفصل الثاني في ذكر ذرية سيدنا الحسن السبط وما يتفرع عن ذلك من أعقاب .

### الفصل الأول

### في

### ذكر الحَسَن السبط

سيدنا الامام الحسن السبط بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن

يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام * وابن البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل ابن ابراهيم الخليل عليهما السلام . ولد سيدنا الحسن قبل الهجرة النبوية بست سنين . وبويع له بالخلافة بعد موت والده سيدنا علي . ومكث بها ستة أشهر فلم تهدأ الفتنة التي كانت بين أنصار معاوية وأنصار علي فرأى أن من مصلحة المسلمين أن يتنازل لمعاوية على شرط أن يكون هو ولي عهده فرضي معاوية . وتوفي الحسن في خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين هجرية .

أجوبة الحسن على أسئلة أبيه سيدنا علي

قال الامام أبو الفرج المعافى بن زكريا الحريرى يروى أن سيدنا عليا سأل ابنه الحسن عن أشياء من المروءة فقال يا بنى ما السداد قال يا أبت السداد دفع المنكر بالمعروف . قال فما الشرف قال اصطناع العشيرة وحمل الجريرة . قال فما المروءة قال العفاف واصلاح المرء ماله . قال فما الدنيئة قال النظر فى اليسير ومنع الحقير . قال فما اللوم قال احتراز المرء نفسه وبذله عرسه . قال فما السماحة قال البذل فى العسر واليسر . قال فما الشح قال أن ترى ما فى يديك سرفا وما أنفقته تلفا . قال فما الاخاء قال الوفاء فى الشدة والرخاء . قال فما الجبن قال الجرأة على الصديق والنكول عن العدو . قال فما الغنيمة قال الرغبة فى التقوى والزهادة فى الدنيا . قال فما الحلم قال كظم الغيظ وملك النفس . قال فما الغنى قال رضى النفس بما قسم الله لها وإن قل فانما الغنى غنى النفس . قال فما الفقر قال شره النفس فى كل شىء . قال فما المنعة قال شدة البأس ومقارعة أشد الناس . قال فما الذل قال الفزع عند المصدوقية . قال فما الجرأة قال موافقة الأقران . قال فما الكلفة قال كلامك فيما لا يعنيك . قال فما المجد قال أن تعطى فى الغرم وأن تعفو عن الجرم . قال فما العقل قال حفظ القلب كل ما استرعيته قال فما الخرق قال معاداتك أمامك ورفعك عليه كلامك . قال فما الثناء قال إتيان الجميل وترك القبيح . قال فما الحزم قال طول الأناة والرفق بالولاة والاحتراس من الناس بسوء الظن . قال فما الشرف قال موافقة الاخوان وحفظ الجيران . قال فما السفه قال اتباع الدناة ومصاحبة الغواة . قال

فما الغفلة قال تركك المسجد وطاعتك المفسد .قال فما الحرمان قال تركك حظك وقد عرض عليك .وقال على بن العباس الطبرانى كان على خاتم الحسن بن على مكتوبا :

قدم لنفسك ما استطعت من التقى     إن المنـــــية نازلة بـك يا فتى
أصبحت ذا فرح كأنـــك لا ترى     أحباب قلبك فى المقابر والبلى

قال الامام أحمد عن بن أبان قال قال الحسن بن على لبنيه وبنى أخيه تعلموا فأنكم صغار قوم اليوم وتكونوا كبارهم غدا فمن لم يحفظ منكم فليكتب وعن عمرو لأصم قال قلت للحسن بن على إن هذه الشيعة تزعم أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة قال كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله .

خلافة سيدنا الحسن السبط

(40 – 41هـ)

بعد وفاة الإمام علي بايع أنصاره ابنه الحسن ، وكان جندب بن عبد الله قد دخل على الخليفة بعد طعنه وتيقن ألا أمل فى حياته وسأله: يا أمير المؤمنين إن فقدناك ولا نفقدك أنبايع للحسن فقال ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر ولم يوص لأحد من بعده بل قال لهم ولكن أدعو الله تعالى أن يجمعكم بعدى على خيركم كما جمعناَ بعد نبينا على خيرنا يقصد أبا بكر مرسخاً بذلك قاعدة الشورى التى اتبعَت فى بيعته هو وبيعة الثلاثة الراشدين من قبله . وأراد أنصار الحسن أن يتأهبوا لقتال معاوية مَن جديد ، لكنه رفض ورأى عدم جدوى ذلك بل إنه وقف ضد فكرة اقتتال المسلمين من البداية وراسل الحسن معاوية بشأن الصلح، فسر به سرورًا عظيمًا وجاء إلى الكوفة فى شهر ربيع الأول سنة (41هـ) بعد ستة أشهر من خلافة الحسن وبايعه الحسن و الحسين وتبعهما الناس وبهذا قامت الدولة الأموية رسميًّا ، وأصبح معاوية خليفة للأمة الإسلامية كلها ، ولُقب لأول مرة بأمير المؤمنين، وكان يلقب قبل ذلك بالأمير فقط .

(قال الراوي ) واستبشر المسلمون خيرًا بتلك المصالحة، وحمدوا الله على انتهاء الفتنة وسفك الدماء وسمُّوا ذلك العام عام الجماعة وترك صنيع الحسن صدى طيبًا عند جمهور المسلمين

وأثنى عليه كثير من علماء أهل السنة ورأوا فيما فعل تحقيقًا لنبوءة جده محمد (صلى الله عليه وسلم) الذى قال «ابنى هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

تنازل الحسن عن الإمارة

كما سبق ذكره لما قتل سيدنا عليّ رضي الله عنه اجتمع أصحابه فبايعوا ابنه الحسن وأول من بايعه قيس بن سعد وقال أبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال الملحدين فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله. ويأتيان على كل شرط ثم بايعه الناس، فكان يشترط عليهم إنكم سامعون مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتابوا وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال وبلغ الخبر بمقتل عليّ إلى معاوية فبويع بالخلافة ودعي بأمير المؤمنين، وكان قد بويع بها بعد اجتماع الحكمين ولأربعين ليلة بعد مقتل عليّ وكان عليّ قبل قتله قد تجهز بالمسلمين إلى الشام، وبايعه أربعون ألفا من عسكره على الموت فلما بويع الحسن زحف معاوية في أهل الشام إلى الكوفة فسار الحسن في ذلك الجيش للقائه وعلى مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفا وقيل بل كان عبد الله بن عباس على المقدمة وقيس في طلائعه فلما نزل الحسن في المدائن شاع في العسكر أن قيس بن سعد قتل واهتاج الناس وماج بعضهم في بعض وجاءوا إلى سرادق الحسن ونهبوا ما حوله حتى نزعوه بساطه الذي كان عليه، واستلبوه رداءه، وطعنه بعضهم في فخذه. وقامت ربيعة وهمدان دونه واحتملوه على سرير إلى المدائن ودخل إلى القصر وكاد أمره أن ينحل فكتب إلى معاوية يذكر له النزول عن الأمر على أن يعطيه ما في بيت المال بالكوفة ومبلغه خمسة آلاف ألف ويعطيه خراج دارابجرد من فارس وأن لا يشتم عليا وهو يسمع وأخبر بذلك أخاه الحسين وعبد الله بن جعفر وعذلاه فلم يرجع إليهما وبلغت صحيفته إلى معاوية فأمسكها، وكان قد بعث عبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة إلى الحسن ومعهما صحيفة بيضاء ختم في أسفلها وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة ما شئت فهو لك فاشترط فيها اضعاف ما كان في الصحيفة. فلما سلم له وطالبه في الشروط أعطاه ما في الصحيفة الأولى وقال هو الذي طلبت ثم نزعه أهل البصرة خراج دارا بجرد وقالوا هو فيئنا لا نعطيه. وخطب الحسن أهل العراق (وقال) سخت نفسي عنكم ثلاث: قتل أبي وطعني وانتهاب بيتي، ثم قال الا وقد أصبحتم بين قبيلتين، قبيل بصفين يبكون له، وقبيل بالنهروان يطلبون بثأره. وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر

وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله بظبى السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى . فناداه الناس من كل جانب البقية الباقية فأمضي الصلح . ثم بايع لمعاوية لستة أشهر من بيعته، ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس . وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بطاعة معاوية فقام قيس في أصحابه فقال: نحن بين القتال مع غير إمام أو طاعة إمام ضلالة فقال له الناس: طاعة الإمام أولى . وانصرفوا إلى معاوية فبايعوه وامتنع قيس وانصرف . فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص ان يقيم الحسن للناس خطيبا ليبدو للناس عيه فلما حمد الله وأثنى عليه قال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة وإن الدنيا دول والله عز وجل يقول لنبيه ﴿ وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ﴾ فقال له معاوية : إجلس . وعرف أنه خدع في رأيه ثم ارتحل الحسن في أهل بيته وحشمهم إلى المدينة وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين فلم يزل مقيما بالمدينة إلى أن هلك سنة تسع وأربعين على فراشه بالمدينة . ( وما ينقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك ) . وأقام قيس بن سعد على امتناعه من البيعة، وكان معاوية قد بعث عبد الله بن عامر في جيش إلى عبيد الله بن عباس لما كتب إليه في الأمان بنفسه فلقيه ليلا وأمنه وسار معه إلى معاوية فقام بأمر العسكر بعده قيس بن سعد وتعاقدوا على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي على دمائهم وأموالهم وما كانوا أصابوا في الفتنة وبلغ الخبر إلى معاوية وأشار عليه عمرو في قتاله، فقال معاوية: يقتل في ذلك أمثالهم من أهل الشام ولا خير فيه، ثم بعث إليه بصحيفة ختم في أسفلها وقال: اكتب في هذا ما شئت فهو لك: فكتب قيس له ولشيعته الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ولم يسأل مالا، فأعطاه معاوية ذلك وبايعه قيس والشيعة الدين معه ثم جاء سعد بن أبي وقّاص فبايعه واستقرّ الأمر لمعاوية واتفق الجماعة على بيعته وذلك في منتصف سنة إحدى وأربعين وسمّى ذلك العام عام الجماعة من أجل ذلك ثم خرج عليه الخوارج من كل جهة من بقية أهل النهروان وغيرهم، فقاتلهم واستلحمهم .

## وصية الحسن لأخيه الحسين رضي الله عنهما

قال أبو عمر روينا من وجوه أن الحسن بن علي لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه يا اخي إن أباك حين قبض رسول الله استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبة فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوف لها أيضا فصرفت عنه إلى عمر فلما قبض عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعروه فصرفت عنه إلى عثمان فلما هلك عثمان بويع له ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها فما وصل له شيء منها وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك وقد كنت طلبت إلى عائشة إذا مت أن أدفن في بيتها مع رسول الله نعم وأنى لا أدري لعله كان ذلك منها حياء فإذا أنا مت فاطلب ذلك إليها فإن طابت نفسها فادفني في بيتها وما أظن إلا القوم سيمنعونك إذا أردت ذلك فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك وادفني في بقيع الغرقد فإن لي بمن فيه أسوة فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة يطلب ذلك أليها فقالت نعم حبا وكرامة فبلغ ذلك مروان فقال مروان كذب وكذبت والله لا يدفن هناك أبدا منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ويريدون دفن الحسن في بيت عائشة فبلغ ذلك الحسين فدخل هو ومن معه في السلاح فبلغ ذلك مروان فاستلام في الحديد أيضا فبلغ ذلك أبا هريرة فقال والله ما هو إلا ظلم يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه والله انه لابن رسول الله وانطلق إلى الحسين فكلمه وناشده الله وقال له أليس قد قال أخوك أن خفت أن يكون قتال فردني إلى مقبرة المسلمين ولم يزل به حتى فعل وحمله إلى البقيع ولم يشهده يومئذ من بني أمية إلا سعيد بن العاص .

## من خطب جدنا الحسن

لما دخل الحسن وعمار الكوفة اجتمع إليهما الناس فقام الحسن فاستنفر الناس فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال أيها الناس إنا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله وإلى أفقه من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون وأفضل من تفضلون وأوفى من تبايعون من لم يعبه القرآن ولم تجهله السنة ولم تقعد به السابقة إلى من قربه الله تعالى ورسوله قرابتين قرابة الدين وقرابة الرحم إلى من سبق الناس إلى كل مأثرة إلى من كفى الله ورسوله والناس متخاذلون فقرب منه وهم متباعدون وصلى معه وهم مشركون وقاتل معه وهم منهزمون وبارز معه وهم محجمون وصدقه وهم يكذبون إلى من لم ترد له ولا

تكافأ له سابقة وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحق ويأمركم بالمسير إليه لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ومثلوا بعماله وانتهبوا بيت ماله فاشخصوا إليه رحمكم الله فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واحضروا بما يحضر به الصالحون .

## خطبة أخرى للحسن

خطب سيدنا الحسن ذات مرة فقال : الحمد لله العزيز الجبار الواحد القهار الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله امتن علينا بنبوته واختصه برسالته وأنزل عليه وحيه واصطفاه على جميع خلقه وأرسله إلى الإنس والجن حين عبدت الأوثان وأطيع الشيطان وجحد الرحمن وصلى الله عليه وعلى آله وجزاه أفضل ما جزى المسلمين أما بعد فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرشده الله أمره وأعزه نصره بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب وإلى العمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله ولقد علمتم أن عليا صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وأنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهده وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضيا عنه حتى غمضه بيده وغسله وحده والملائكة أعوانه والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ثم أدخله حفرته وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أموره كل ذلك من من الله عليه ثم والله ما دعا إلى نفسه ولقد تداك الناس عليه تداك الإبل الهيم عند ورودها فبايعوه طائعين ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه ولا خلاف أتاه حسدا له وبغيا عليه فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجد والصبر والإستعانة بالله والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين عصمنا الله وإياكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته وألهمنا وإياكم تقواه وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

## دخول الحسن على معاوية

مما يحكى أن سيدنا الحسن بن علي وهو في حياته دخل ذات يوم على معاويه وهو ملك فواجهه معاويه بكلام جارح فخرج من عنده وهو يقول :

وما رست هذا الدهر خمسين حجة　　وخمسا ازجي قـائلا بعد قائل
فلاانا في الدنيا بلغت جسيمها　　ولا في الذي اهوى كدحت بطائل
وقد شرعت دوني المنايا اكفها　　وايقنت اني رهن موت معاجل

## الفصل الثاني
## في
## ذكر أولاد الإمام الحسَن السبط رضي الله عنه

إن مولانا الامام الحَسَن السبط بن سيدنا عي أنجب (اثني عشرة ولدا ) قالوا وخلفه في ابنين اثنين فقط وهما (الامام زيد الناسك) و (الامام الحسن المثنى ) .

### الامام زيد الناسك بن الحسن

سيدنا الامام زيد الناسك بن الحَسنِ السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله خلف ابنا واحدا وحيدا وهو (الحسن المكرم)

### الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن

الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحَسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما هذا أنجب ثمانية اولاد وهم (القاسم وعلي واسماعيل المهفهف واسحاق الكواكبي وزيد الطاهر وبوعبد الله وابراهيم والحسن) .

### القاسم بن الحِسن المكرم بن زيد

القاسم بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحَسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب اولادا كثيرين منهم (محمد فتحا وعبد الرحمن) .

محمد فتحا بن القاسم بن الحسن المكرم

محمد فتحا بن القاسم بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن سيدنا علي و ومولاتنا فاطمة رضي الله عنهما . انجب أولادا منهم ابراهيم .

إبراهيم بن محمد فتحا بن القاسم

إبراهيم بن محمد فتحا بن القاسم الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما له عقب كثيرون في بلدان متعددة .

عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن المكرم

عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب اولادا كثر ومنهم ( علي ومحمد وجعفر ) ولهم اعقاب منهم بنو المبعوث وبنو المغيث وبنو ابن تفينه وبنو شكر وبنوداود .

علي بن الحسن المكرم

علي بن الحسن المكرم بن القاسم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب اولادا ومنهم عبد الله وعقبه من هذا فقط على ما ذكر .

إسماعيل المهفهف بن الحسن المكرم

اسماعيل المهفهف بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب اولادا منهم ( محمد وعلي ) محمد بن اسماعيل المهفهف هذا انجب اولادا منهم زيد ومنه عقبه . وعلي بن اسماعيل المهفهف انجب اولادا ومن عقبه بنو المرجان .

إسحاق بن الحسن الكواكبي بن الحسن المكرم

اسحاق بن الحسن الكواكبي بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب اولادا منهم هارون والحسن واسماعيل وعقبه منهم .

زيد الطاهر بن الحسن المكرم

زيد الطاهر بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن سيدنا تعلي ومولاتنا فاطمة رضي الله عنهما انجب اعقابا وهم معروفون بالشرق والغرب .

## عبد الله بن الحسن المكرم

عبد الله بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب أولادا ومن أعقابهم اولاد عزوز الشريف بميله وقسنطينه .

## إبراهيم بن الحسن المكرم

ابراهيم بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب اولادا وله اعقاب مذكورون بعدة نواحي في الجزائر وغيرها .

## الحسن بن الحسن المكرم

الحسن بن الحسن المكرم بن زيد الناسك بن الحسن السبط بن سيدنا علي و مولاتنا فاطمة رضي الله عنهما انجب اعقابا . ولهم ذكر في المشرق والمغرب .

## الحسن المثنى بن الحسن السبط

الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام - وابن فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف المغيرة ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ، أنجب أولادا منهم : إبراهبم الغمري والحسَن المثلث وداود وجعفر ومحمد وعلي وعبدالله الكامل .

## إبراهيم بن الحسن المثنى

إبراهيم بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب اولادا منهم اسماعيل وانجب اسماعيل بن الحسن المثنى اولادا منهم الحسن وابراهيم ولكل واحد منهما اعقاب منهم شرفاء طباطبا ومن عقبه يحي المهاب امام الزيديه .

## الحسن المثلث بن الحسن المثنى

الحسن المثلث بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب اولادا ومن عقبه شرفاء بالمشرق وشرفاء بالمنبع وشرفاء سملاله ومنهم الامام الجزولي صاحب دلائل الخيرات .

## داود بن الحسن المثنى بن الحسن

داود بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب اولادا ومن عقبهم أشراف بالديار المشرقيه وبنو عجر والطاوس وغيرهم .

## جعفر بن الحسن المثنى بن الحسن

جعفر بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن سيدنا علي و مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنهما انجب اولادا كثيرين ومن عقبهم بنو حضينه وغيرهم .

## عبد الله الكامل المحض بن الحَسن المثنى

عبدالله الكامل المحض المتوفي سنة 144 بالعراق بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما . أنجب اولادا سبعة وهم ( محمد النفس الزكيه . والامام سليمان . والامام موسى الجوه . والامام ابراهيم . والامام عيسى . والامام يحي . وزينب . والامام ادريس الأكبر) (قلت والإمام إدريس الأكبر هذا ) هوأصلنا الذي سنتابع ذكر نسبه فيما يأتي من فصول بعدُ .

## محمد النفس الزكيه بن عبد الله الكامل

محمد النفس الزكية بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما لما قويت شوكته بمكة وبايعه اهل المدينة بموافقة الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى حاربه بنو العباس فحاربهم بشدة الى ان استشهد حيث أن أبا جعفر المنصور بعث لحرب محمد النفس الزكية ابن عمه عيسى بن موسى العباسي فاستعد النفس الزكية للقتال وأدار على المدينة الخندق الذي حفره رسول الله يوم الأحزاب وقدمت جيوش العباسيين ونزلوا على المدينة وخرج إليهم النفس الزكية فيمن بايعه واقتتل الناس قتالا شديدا وأبلى النفس الزكية في ذلك اليوم بلاء عظيما وقتل بيده سبعين رجلا ولما اشتد القتال وعاين مخايل الاختلال وانصرف فاغتسل وتحنط وجمع بين الظهر

والعصر ومضى فأحرق الديوان الذي كان فيه أسماء من بايعه وجاء إلى السجن فقتل رباح بن عثمان عامل المنصور على المدينة وقتل معه جماعة كانوا مسجونين عنده ثم عاد إلى المعركة وقد تفرق عنه جل أصحابه ولم يبق معه إلا نحو ثلاثمائة فقال له بعضهم نحن اليوم في عدة أهل بدر ثم تقدم فقاتل حتى قتل ضرب فسقط لركبتيه وطعنه حميد بن قحطبة في صدره ثم احتزز رأسه وأتى به عيسى بن موسى فبعث به إلى المنصور وكان مقتل النفس الزكية رحمه الله في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وقتل معه جماعة من أهل بيته وأصحابه . هذا الذي ذكره صاحب كتاب الإستقصا وخالفه غيره في هذا التحقيق وقالوا إن النفس الزكية استشهد بمعركة (فخ) (قلت) وقد انجب محمد النفس الزكية أولادا منهم السبعة وهم (القاسم الاكبر . وعبدالله الاشتر . وعلي . والحسن . واحمد وابراهيم . والطاهر) .

## موقعة يوم فخ

فخ هو الوادي الذي بأصل ثنية البيضاء إلى بلدح وهو الوادي تطؤه في طريق جدة على يسار ذي طوى ويسمى وادي الزاهر ويروى قول بلال رضي الله عنه :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة　　بفخ وعندي إذخر وجليل

وسبب يوم فخ سيأتي له ذكر في فصل الأدارسة وملخصه هنا هو أن الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب . كان قد خرج يدعو إلى نفسه في ذي القعدة سنة 169 وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة وخرج إلى مكة فلما كان بـ (فخ) لقيته جيوش بني العباس وعليهم العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وغيره فالتقوا يوم التروية سنة 169 فبذلوا الأمان فيقال إن مباركا التركي رشقه بسهم فمات وحمل رأسه إلى الهادي وقتلوا جماعة من عسكره وأهل بيته فبقي قتلاهم ثلاثة أيام حتى أكلتهم السباع ولهذا يقال لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ . وأنشد موسى بن داود في أصحاب فخ :

يا عين ابكي بدمع منك منهمر　　فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن

صرعى بفخ تجر الريح فوقهم　　أذيالها وغوادي دلح المزن

حتى عفت أعظم لو كان شاهدها　　محمد ذب عنها ثم لم تهن

قلت وحضر هذه الواقعة جمع كبير من آل البيت ومنهم عمنا (يحي بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة . وجدنا (الامام إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة) (قال الراوي) فأما يحي فقد فر إلى بلاد الديلم في جهة الشرق ودعا الناس إلى بيعته فبايعوه واشتدت شوكته فلما سمع بذلك الفضل البرمكي أرسل إليه وبذل له الأمان وما يختاره فأجابه يحيى بن عبد الله إلى ذلك وطلب يمين الرشيد وأن يكون بخطه ويشهد فيه الأكابر ففعل ذلك وحضر يحيى بن عبد الله إلى بغداد فأكرمه الرشيد وأعطاه مالا كثيرا ثم حبسه حتى مات في السجن . وأما الإمام إدريس فإنه لما آل الأمر إلى ما آل إليه وقُتل ابن عمه الحسين بن علي وفر أخوه يحي إلى بلد الديلم . هرب الى مصر واختفى بها الى أان وجهه أميرها الى المغرب فلما وصل إدريس الى المغرب دعا لنفسه فأجابه من كان بها كما ستراه في فصل الأدارسة من هذا الكتاب فراجعه إن شئت (قلت) وفي (مكان فخ) هذا مدفون كثير من الصحابة منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أولاد محمد النفس الزكية

كما سبق فإن من اولاد محمد النفس الزكية بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما : (القاسم الأكبر . وعبدالله الاشتر . وعلي . والحسن واحمد . وابراهيم . والطاهر) وقد تفرعت فروعهم في جميع الاصقاع على أكثر من ستين فرعا خصوصا في المغرب العربي ومن فروعهم (1) الشجرة الحسَنية العلوية المالكة بالمغرب (2) وبيت الشيخ سيدي احمد التيجاني صاحب عين ماضيى بالأغواط في الجزائر ودفين محروسة فاس وغيرهم كثير .

الامام سليمان بن عبد الله الكامل

الامام سليمان بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما بعثة اخوه محمد النفس الزكية الى مصر يدعو الناس ولما رجع الى أخيه النفس الزكية استشهد معه في معركة فخ وقد أنجب أولادا منهم ابنه محمد بن سليمان .

## محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل

لما استشهد الامام سليمان بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما فرّ ابنه (محمد بن سليمان) الى بلاد النوبة ومنها انتقل الى السودان ثم رجع الى بلد الزاب وبعدها انتقل الى تاقدمت ثم الى تلمسان واستوطنها فترة ثم انتقل الى ناحية وهران وبقي بها الى ان وافته المنية وقد دفن بسفح الجبل هناك وقد كان قد تزوج وانجب عشرة اولاد وهم (الحسن الأول. والحسين. والناصر. ويوسف. وعلي. وعبدالرحمن. وعبدالله المحدث. واحمد والحسن الثاني. وادريس الخفيت) (قلت) وذُكر أن أولاده (الحسن والحسين والناصر ويوسف وعلي وعبدالرحمن) لاعقب لهم كما قال حشلاف. وذُكر أن أولاده (عبدالله المحدث واحمد والحسن الثاني وادريس) فقد اعقبوا. قال العارفون بالتراجم ومن اولاده هؤلاء تفرعت الشجرة السليمانيه كما سيأتي ذكره وهم موجودون في عين الحوت وأتوات ووادي الشلف وتونس وآشكول وتيارت وتراره ووادي مليونه والشقراني ومستغانم. وفي مصر والسودان وتادله وسجلماسه وفشتاله والاخماس وفاس ووادي الرمان الى ءاخره

## عبدالله المحدث واحمد والحسن الثاني

عبد الله المحدث وأحمد والحسن الثاني أبناء سليمان بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما فقد أعقبوا ومن اعقابهم اهل عين الحوت ومنها تفرقوا.

## إدريس بن سليمان

ادريس بن سليمان بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما استوطن بجراره وانجب تسعة اولاد وهم (ابراهيم. وعيسى. والحسن. ويحي وعلي. والحاش. ومحمد العابد. ويعقوب. وحمزة)

## أبناء إدريس بن سليمان وفروعهم

ابراهيم وعيسى والحسن ويحي وعلي والحاش ومحمد العابد ويعقوب وحمزة أبناء ادريس بن سليمان بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما قد

تفرقوا في عدة مواضع فنزل ابراهيم تونس . ونزل عيسى آشكول . ونزل الحسن تاهروت . ونزل يحي اتوات . ونزل غلي وادي الشلف . ونزل الحاش إترارة . ونزل محمد العابد شقران بمستغانم . ونزل يعقوب مازونه . ونزل حمزه ببدر بتلمسان .

من الفروع السليمانية

( قال العارفون ) ومن فروع الإمام سليمان بن عبد الله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما ايضا ( اولاد عبد الحي ) بعضهم بتوات ادرار . وبعضهم بوادي الشلف . وبعضهم بفاس وبمازونه وبمغراوه وبتلمسان وولهاصه ووجده وفجيج .

من الفروع السليمانية أيضا

( قالوا ) وخرج من منطقة عين الحوت من عقب الإمام سليمان بن عبد الله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أيضا فرق كثيرة منها :

(1) ( اولاد طاع الله) وهم بالقرارة يعرفون باولاد حسن ومنهم فرقة بازاء سعيدة يعرفون باولاد سي بلقاسم

(2) ( بنو عبد الحي) وقد سكن فرق منهم توات بنواحي ادرار وفريق بوادي الشلف .

(3) ( بنو إبراهيم ) وقد سكن منهم فريق بتونس

(4) ( اولاد عيسى القاهر) وسكن فرقة منهم آشكول ومنهم فرقة اولاد المنتصر

(5) ( اولاد فطوش ) وسكن فرقة منهم بلد تاهورت في ازواوه .

(6) ( اولاد عبد الرحمن ) سكن فريق منهم في تلغراس بسجلمانه ومنهم فرق سكنت كشتم ووادي الرمان .

(7) ( اولاد محمد العابد ) سكن فرقة منهم شقراني مستغانم ومنهم فرقة ذهبت الى تونس وفرقة ذهبت الى تادله واصلهم من زواوه وفرقة ذهبت الى غماره وفرقة ذهبت الى تلمسان .

(8) ( اولاد طاهر) وسكن فرقة منهم بنو يفرن سكنوا بمصر وبتونس وفرقة منهم بشقراني مستغانم ومنهم اولاد سيدي يوسف سكنوا مجاهر والمطمر بمستغانم ومنهم فرقة في السودان تعرف باولاد محمد .

موسى الجون بن عبد الكامل المحض

موسى الجون بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما انجب اولادا منهم ( ابراهيم السيد . وعبدالله الرضى ) ولهما اعقاب في الديار الشرقية والعراق . وزنجبار . ونيف . وصبرستان . وغانه .

إبراهيم السيد بن موسى الجون

ابراهيم السيد بن موسى الجون بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب اولاد ومن عقبهم ( بنو الاخيضر ) ملوك اليمامة .

عبد الله الرضى بن موسى الجون

عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولادا ومنهم ( موسى الثاني . وسليمان . واحمد المشهور ويحي الوسيقي . وصالح )

موسى الثاني بن عبد الله الرضى

موسى الثاني بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولادا ومن عقبه . ءال علقمه . والصالحيون والملوك الهواشم . وءال ابي الليل . وءال بدر . والزيود . وبنو الروميه . وبنوا محمد . وبنو وفاء والصلاصله . وءال الشرقي . وءال نزال . وءال عطيه . والديبسيه . والزارفيه . والصخور . وءال غبه . واولاد الشيخ الغوث سيدي عبد القادر الجيلاني وهم ( ابراهيم وعيسى وعبدالله وعبدالوهاب ويحي ومحمد وموسى وعبدالرحمن وعبدالرزاق وعبدالجبار )

أولاد سيدي عبد القادر الجيلاني

أولاد سيدي عبد القادر الجيلاني ( ابراهيم وعيسى وعبدالله وعبدالوهاب ويحي ومحمد وموسى وعبدالرحمن وعبدالرزاق وعبدالجبار ) أعقابهم موجودة بمناطق كثيرة ومنها : بغداد . والكوفه ومصر . وواسط . ودمشق . والجزائر . وزموره . والعين الصفراء . وتلمسان . والابيض سيد الشيخ والبيض . وندرومه . وتبارت . والحراء . والمغرب . ووجده . وفاس . وبني سنوس . ولهامه

والاندلس .وغرناطه. وافريقيه .ومنهم اولاد بن عليه بجبل الصحاري بالجلفة كما ستراه في فصل أولاد سيدي نايل فراجعه إن شئت.

## سليمان بن عبدالله الرضى

سليمان بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب اولادا ومن عقبه: بنو أبي عزيز ملوك مكة. وبنو صرخه. والمصفحون .وبنو الحجازي .وءال صلب .وبنو الشماخ .والفاتكون .وءال عابد. وءال هضام .وبنو عُلا .

## أحمد بن عبد الله الرضى

احمد بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولادا ومن عقبه: الاحمديون .والعمود .وءال عرفه وءال حماز .وءال سلمه .وبنو الكشيش .وبنو السيراج .وءال العتيد .وءال حمزه .وءال محمد والمغاربة .والمفاصله .وءال مسلم .واللبون .

## يحي السويفي بن عبد الرضى

يحي السويقي بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولادا ومن عقبه: ءال داود .والسويقيون.

## صالح بن عبد الله الرضى

صالح بن عبدالله الرضى بن موسى الجون بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب أولادا ومن عقبه: ءال الضحاك .وءال الحسن . وءال هديم .

## ابراهيم بن عبدالله الكامل المحض

ابراهيم بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما فقد بعثه اخوه محمد النفس الزكية الى البصرة داعيا ثم وبعد مقاتلة لعيسى بن موسى المنصوري قتل بسهم مسموم وقد انجب اولادا منهم الحسن .

عقب الحسن بن إبراهيم بن عبدالله الكامل

الحسن بن إبراهيم بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب (عبدالله السيد) وأنجب (عبد الله السيد) هذا ابنين هما (محمد الاعرابي وابراهيم الازرق) وعقبهما موجودون بما وراء النهر. وخراسان. والعراق. والينبع.

يحي بن عبد الله الكامل المحض

يحي بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما فقد كان بعثه اخوه محمد النفس الزكية الى الديلم فلما قتل اخوه النفس الزكية بايعه اهل تلك الاقطار ولما قويت شوكته قُتل بمكيدة في بغداد كما سبقت الإشارة إلى ذلك وقد أنجب محمد الانيش.

محمد الأنبش بن يحي

محمد الأنبش بن يحي بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجب اولادا منهم: احمد. وعبدالله. وعيسى.

احمد وعبدالله وعيسى أبناء محمد الأنبش

احمد وعبدالله وعيسى أبناء محمد الأنبش بن يحي بن عبدالله الكامل المحض بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما أنجبوا أولادا وإليهم ينسب: بنو الصناد. والانيشيون ومنهم فروع في برنو وحوصه واقلال وفزان واغداس وتنبتو والانباط ومكة المشرفة.

عيسى بن عبدالله الكامل المحض

عيسى بن عبد الله الكامل المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي ومولاتنا سيدتنا فاطمه رضي الله عنهما لم يطلع على عقبه.

ولا تَلُم الجنديَّ يشحذ سيــــفَه ولَمْ قـــادةً قد سَلَّحوا الجندَ أولا

فلو خُيِّرَ الجنديُّ لا سنتَمَر الثرى وضاعَ من السيفِ اليماني مِنْجلا

زينب بنت عبد الله الكامل

زينب بنت عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما. تزوجها الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب قال الراوي

وكان يقال ليس بالمدينة زوج أعبد منهما يعنون بذلك الحسن المثلث بن الحسن المثنى وامرأته زينب بنت عبد الله الكامل ( قال ) وأنجب الحسن وزينب ( الحسين ) صاحب معركة ( فخ ) المذكورة أعلاه .

استراحة في فائدة العقل

نختم هذا الفصل بذكر فوائد العقل . قيل لسيدنا علي رضي الله عنه صف لنا العاقل قال هو الذي يضع الشيء مواضعه . قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني الذي لا يضع الشيء مواضعه . وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير . وقال أدرشير أربعة تحتاج إلى أربعة الحسب إلى الأدب والسرور إلى الأمن والقرابة إلى المودة والعقل إلى التجربة . وقال كسرى أنو شروان أربعة تؤدي إلى أربعة العقل إلى الرياسة والرأي إلى السياسة والعلم إلى التصدير والحلم إلى التوقير . وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله أغلب الخصال عليه كان حتفه من أغلب الخصال عليه . وقيل أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد في المعيشة والتجبب إلى الناس . وقيل من أعجب برأي نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوي العقول مات عقله . وعن عمرو ابن العاص رضي الله تعالى عنه أنه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وارحمهم كبارا . وقيل العاقل المحروم خير من الأحمق المرزوق . وقيل لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه . وقيل طول اللحية أمان من العقل . وسئل بعضهم أيما أحمد في الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لأن الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن . وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله . وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه قال لي رسول الله يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بأبي وأمي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنقل إلى صالح الأعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا . وحكى بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم . وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في إرشاد ورأيه في إمداد .

## الكتاب الثامن عشر

ويتضمن الفصل الآتية :الفصل الأول في ذكر النسب الإدريسي . والفصل الثاني في ذكر دخول الامام ادريس الأكبر الى ارض المغرب . والفصل الثالث في ذكر نشأة إدريس الأصغر . والفصل الرابع في ذكر أحداث أيام الأدارسة . والفصل الخامس في ذكر أعقاب إدريس الأصغر .

*

### الفصل الأول
### في
### ذكر النسب الإدريسي

------

#### الخلافة وتألباتها والأدارسة

قال في كتاب الاستقصا إعلم أنه قد ثبت في الصحيح أن رسول الله قال إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وفيه أيضا أنه قال لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان . قال الحافظ ابن حجر لو فقد قرشي فكناني ثم رجل من بني إسماعيل ثم عجمي على ما في التهذيب أو جرهمي على ما في التتمة ثم رجل من بني إسحاق وأن يكون شجاعا ليغزو بنفسه ويعالج الجيوش ويقوى على فتح البلاد ويحمي البيضة وأن يكون أهلا للقضاء بأن يكون مسلما مكلفا حرا عدلا ذكرا مجتهدا ذا رأي وسمع وبصر ونطق وتنعقد الإمامة ببيعة أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه الناس المتيسر اجتماعهم وباستخلاف الإمام من يعينه في حياته ويشترط القبول في حياته ليكون خليفة بعد موته وباستيلاء متغلب على الإمامة ولو غير أهل لها كصبي وامرأة إن قهر الناس بشوكته وجنده وذلك لينتظم أمر المسلمين (قال) والخلفاء الأربعة رضي الله عنهم بعد النبي أطبق السلف على أن ترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة وأن ما كان من علي ومعاوية رضي الله عنهما وما صدر منهما كان اجتهادا محضا وطلبا للحق وأن الصواب كان مع علي رضي الله عنه والكل مأجور ولما قتل علي رضي الله عنه بايع أهل العراق ابنه الحسن رضي الله عنه وزحف إليه معاوية في أهل الشام ورأى الحسن ما في حقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم من الثواب عند الله

والكرامة لديه فاختار الأخرى على الدنيا وقدم الآجل على العاجل وسمل الأمر إلى معاوية على شروط معروفة وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين كما قال جده وحاز معاوية الخلافة وصفت له وتوارثها بنوا أمية من بعده بعد مقاتلات ومنازعات كانت من بني هاشم وغيرهم لهم بطول جلبها وكان السواد الأعظم من المسلمين يرون أن بني هاشم أحق بالأمر من بني أمية لأن بني هاشم هم آل بين النبي وعشيرته الأقربون وهم أهل العلم والدين والخصوصية الذين اجتباهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فهم أحق بمنصب رسول الله ثم غيرهم وهذا الرأي صواب غير أن ذلك ليس بطريق الوجوب عند أهل السنة بل بطريق الأحقية والأولوية إذا توفرت الشروط فيهم وفي غيرهم من سائر بطون قريش وإلا فمن انفردت به الشروط وجب المصير إليه وكان شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوجبون الخلافة لبنيه دون من عداهم ويزعمون أن ذلك بوصية من النبي لعلي رضي الله عنه وهذه الوصية لم تثبت عند أهل السنة من طريق صحيح ومذاهب هؤلاء الشيعة في كيفية سوق الخلافة في عقب علي رضي الله عنه متعددة لا حاجة لنا بذكرها وكان بنو علي رضي الله عنه في الصدر الأول كثيرا ما يثورون في النواحي شرقا وغربا طالبين حقهم في الخلافة منازعين فيها بني أمية أولا ثم لبني العباس من بعدهم ثانيا وخبرهم في ذلك معروف وجلبه يطول إلى أن كان منهم عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان من سادة أهل البيت يومئذ وكان له عدة أولاد منهم ( محمد المعروف بالنفس الزكية وإبراهيم ويحي وسليمان وإدريس الأكبر ) وغيرهم ولما صار أمر بني أمية إلى الاختلال أيام الحمار آخر خلفائهم اجتمع أهل البيت بالمدينة وتشاوروا فيمن يقدمونه للخلافة فوقع اختيارهم على محمد النفس الزكية بن عبد الله فبايعوا له بالخلافة وسلموا له الأمر بأجمعهم وحضر هذا العقد أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو المنصور وذلك قبل أن تنتقل الخلافة إلى بني العباس فبايع للنفس الزكية فيمن بايع له من أهل البيت وأجمعوا على ذلك لتقدمه فيهم لما علموا له من الفضل عليهم ( قلت ) وقد ذكرت ذلك بتمامه قبل هذا ( قال ) ولما انقرضت دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس وصار الأمر إلى أبي جعفر المنصور منهم سعى عنده بآل البيت وأن محمد النفس الزكية بن عبد الله يروم الخروج عليه وأن دعاته قد ظهروا بخراسان فأمر المنصور عامله على المدينة رياح بن عثمان المري بحبس

عبد الله بن الحسن ومن إليه من آل الحسن بن علي بن أبي طالب فحبس جماعة من بنيه وإخوته وبني عمه قال ابن خلدون في خمسة وأربعين من أكابرهم وقدم المنصور المدينة في حجة حجها حتى هلكوا في حبسهم وجد المنصور في طلب محمد بن عبد الله النفس الزكية وأخيه إبراهيم لكونهما تغيبا فلم يحبسا في جملة من حبس من عشيرتهم ثم لما كانت سنة اثنتين ومائة وأرهق محمد النفس الزكية الطلب وأعيت عليه المذاهب ظهر بالمدينة المنورة ودعا الناس إلى بيعته فبايعوه واستفتى أهل المدينة الإمام مالكا رضي الله عنه في الخروج مع محمد بن عبد الله وقالوا في أعناقنا بيعة للمنصور فقال إنما بايعتم مكرهين فتسارع الناس إلى محمد وأجابوا دعوته ولزم الإمام مالك بيته وخطب النفس الزكية على منبر رسول الله وذكر المنصور بما نقمه عليه ووعد الناس واستنصر بهم وتسمى بالمهدي ولم يتخلف عن بيعته من وجوه الناس إلا القليل وبلغ المنصور خبر محمد النفس الزكية وما كان منه بالمدينة فأشفق من ذلك غاية الإشفاق وكتب إلى النفس الزكية كتاب أمان ووعده بالجميل إن هو راجع الطاعة فأجابه النفس الزكية بعدم قبول ذلك منه ودارت بينهما مكاتبات ومحاورات في الأفضلية (ذكرتها قبل هذا) وآخر الأمر أن المنصور بعث لحرب النفس الزكية ابن عمه عيسى بن موسى العباسي فاستعد النفس الزكية للقتال وأدار على المدينة الخندق الذي حفره رسول الله يوم الأحزاب وقدمت جيوش العباسيين ونزلوا على المدينة وخرج إليهم النفس الزكية فيمن بايعه واقتتل الناس قتالا شديدا وأبلى النفس الزكية في ذلك اليوم بلاء عظيما وقتل بيده سبعين رجلا ولما اشتد القتال وعاين مخايل الاختلال وانصرف فاغتسل وتحنط وجمع بين الظهر والعصر ومضى فأحرق الديوان الذي كان فيه أسماء من بايعه وجاء إلى السجن فقتل رياح بن عثمان عامل المنصور على المدينة وقتل معه جماعة كانوا مسجونين عنده ثم عاد إلى المعركة وقد تفرق عنه جل أصحابه ولم يبق معه إلا نحو ثلاثمائة فقال له بعضهم نحن اليوم في عدة أهل بدر ثم تقدم فقاتل حتى قتل ضرب فسقط لركبتيه وطعنه حميد ابن قحطبة في صدره ثم احتز رأسه وأتى به عيسى بن موسى فبعث به إلى المنصور وكان مقتل النفس الزكية رحمه الله في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وقتل معه جماعة من أهل بيته وأصحابه ولحق ابنه علي بن محمد بالسند إلى أن هلك هنالك واختفى ابنه الآخر عبد الله الأشتر إلى أن هلك أيضا في خبر طويل ثم خرج إبراهيم بن عبد الله أخو النفس الزكية المذكور بالبصرة عقب

ذلك فبعث إليه المنصور عيسى بن موسى المذكور آنفا فقاتله آخر ذي القعدة من السنة فانهزم إبراهيم وقتل رحمه الله بعد أن بايعه أكثر من مائة ألف ثم لما كانت سنة تسع وستين ومائة في أيام موسى الهادي ابن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور خرج بالمدينة الحسين بن علي بن الحسَن المثلث بن الحسَن المثنى بن الحسَن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان معه جماعة من أهل بيته منهم (إدريس الأكبر ويحي وسليمان) أبناء عبد الله الكامل بن الحسن المثنى وهم اخوة محمد النفس الزكية فاشتد أمر الحسين المذكور بالمدينة وجرى بينه وبين عامل الهادي على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قتال فانهزم عمر المذكور وبايع الناس الحسين المذكور على كتاب الله وسنة بنيه للمرتضى من آل محمد وكانوا يكنون بذلك عن الإمام المستور إلى أن يقدر على إظهار أمره وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة يتجهزون أياما ثم خرجوا إلى مكة يوم السبت لست بقين من ذي القعدة فانتهى الحسين إلى مكة وانضم إليه جماعة من عبيدها وكان قد حج تلك السنة جماعة من وجوه بني العباس وشيعتهم فمنهم سليمان بن أبي جعفر المنصور ومحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وانضم إليهم من حج من قوادهم ومواليهم واقتتلوا مع الحسين المذكور يوم التروية فاحتزوا رأسه وأحضروه أمام بني العباس وهو مضروب على قفاه وجبهته ثم جمعت رؤوس أصحابه فكانت مائة ونيفا وكان فيها رأس سليمان بن عبد الله بن الحسن المثنى في قول واختلط المنهزمون بالحاج فذهبوا في كل وجه وكان مقتلهم بموضع يقال له فخ على ثلاثة أميال من مكة سنة تسع وستين ومائة كما قلنا ثم حمل رأس الحسين ومعه باقي الرؤوس إلى الهادي فأنكر عليهم حمل رأس الحسين ولم يعطهم جوائزهم غضبا عليهم وفر يومها الإمام إدريس الأكبر كما ذكرت قبل وكما سيأتي مزيد من ذكره في الفصول الموالية.

## الفصل الثاني
## في
## ذكر دخول إدريس الأكبر بن عبد الله أرض المغرب الأقصى

قد تقدم لنا أن يحيى وإدريس ابني عبد الله الكامل حضرا وقعة فخ مع الحسين بن علي ولما صار ماصار فر يحي إلى بلاد الديلم في جهة الشرق ودعا الناس إلى بيعته فبايعوه واشتدت شوكته فلما سمع

بذلك الفضل أرسل إليه وبذل لـه الأمان وما يختاره فأجابه يحيى بن عبد الله إلى ذلك وطلب يمين الرشيد وأن يكون بخطه ويشهد فيه الأكابر ففعل ذلك وحضر يحيى بن عبد الله إلى بغداد فأكرمه الرشيد وأعطاه مالا كثيرا ثم حبسه حتى مات في السجن وأما إدريس فإنه فر من الوقعة المذكورة ولحق بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين وكان واضح يتشيع لآل البيت فعلم شأن إدريس وأتاه إلى الموضع الذي كان مستخفيا به ولم ير شيئا أخلص من أن يحمله على البريد إلى المغرب ففعل ولحق إدريس بالمغرب الأقصى هو ومعه رفيقه راشد بن مرشد القرشي ونزل بتلمسان فترة قليلة ثم انتقل فنزل بمدينة وليلى سنة ثنتين وسبعين ومائة وبها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة من البربر البرانس فأجاره وأكرمه وجميع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع في ذلك وزوجوه بـ (كنزة بنت السلطان عبد المجيد الزرهوني) وانتهى الخبر إلى الرشيد بما فعله واضح بشأن إدريس فقتله وصلبه .

مسير رحلة إدريس

قال ابن أبي زرع في كتاب القرطاس ذاكرا مسيرة إدريس الأكبر بطريقة مختلفة نوعا مّا : إن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما لما قتلت عشيرته بفخ (كما سبقت الإشارة إليه) فر بنفسه متسترا في البلاد يريد المغرب فسار من مكة حتى وصل إلى مصر ومعه رفيقه راشد فدخلها والعامل عليها يومئذ لبني العباس هو علي بن سليمان الهاشمي فبينما إدريس وراشد يمشيان في شوارع مصر إذا مرا بدار حسنة البناء فوقفا يتأملانها وإذا بصاحب الدار قد خرج فسلم عليهما وقال ما الذي تنظرانه من هذه الدار فقال راشد أعجبنا حسن بنائها قال وأظنكما غريبين ليسا من هذه الدار فقال راشد جعلت فداك إن الأمر كما ذكرت قال فمن اي الأقاليم أنتما قالا من الحجاز قال فمن أي بلاده قالا من مكة قال وأخالكما من شيعة الحسنيين الفارين من وقعة فخ فهمّا بالإنكار ثم توسما فيه الخير وقالا أرأيت إن أخبرناك من نحن أكنت تستر علينا قال نعم ورب الكعبة وأبذل الجهد في صلاح حالكما فقال راشد هذا إدريس بن عبد الله ابن الحسن وأنا مولاه راشد فررت به خوفا عليه من القتل ونحن قاصدون بلاد المغرب فقال الرجل لتطمئن نفوسكما فإني من شيعة آل البيت وأول من كتم سرها فأنتما من الآمنين ثم أدخلهما منزله وبالغ

في الإحسان إليهما فاتصل خبرهما بعلي بن سليمان صاحب مصر فبعث إلى الرجل الذي هما عنده فقال له إنه قد رفع إلي خبر الرجلين الذين عندك وإن أمير المؤمنين قد كتب إلي في طلب الحسنين والبحث عنهم وقد بث عيونه على الطرقات وجعل الرصاد على أطراف البلاد فلا يمر بهم أحد حتى يعرف نسبه وإني أكره أن أتعرض لدماء آل البيت فلك ولهم الأمان فاذهب إليهما وأعلمهما بمقالي وأمرهما بالخروج من عملي وقد أجلبتهما ثلاثا فسار الرجل فاشترى راحلتين لإدريس ومولاه واشترى لنفسه أخرى ووضع زادا يبلغهما إلى إفريقية وقال الراشد اخرج أنت مع الرفقة على الجادة وأخرج أنا وإدريس على طريق غامض لا تسلكه الرفاق وموعدنا مدينة برقة فخرج راشد مع الرفقة في زي التجار وخرج إدريس مع المصري فسلكا البرية حتى وصلا إلى برقة وأقاما بها حتى لحق بهما راشد ثم جدد المصري لهما زادا وودعهما وانصرف وسار إدريس وراشد يجدان السير حتى وصلا إلى القيروان فأقاما بها مدة ثم خرجا إلى المغرب الأقصى وكان راشد من أهل النجدة والحزم والدين والنصيحة لآل البيت فعمد إلى إدريس حين خرجا من القيروان فألبسه مدرعة صوف خشينة وعمامة كذلك وصيره كالخادم له يأمره وينهاه كل ذلك خوفا عليه وحياطة له ثم وصلا إلى مدينة تلمسان فأراحا بها أياما ثم ارتحلا نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا وادي ملوية ودخلا بلاد السوس الأدنى وتقدما إلى مدينة طنجة وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب الأقصى وأم مدنه فأقاما بها أياما فلما لم يجد إدريس بها مراده خرج مع مولاه راشد حتى انتهيا إلى مدينة وليلى قاعدة جبل زرهون وكانت مدينة متوسطة حصينة كثيرة المياه والغروس والزيتون وكان لها سور عظيم من بنيان الأوائل يقال إنها المسماة اليوم بقصر فرعون فنزل بها إدريس على صاحبها ابن عبد الحميد الأوروبي فأقبل عليه ابن عبد الحميد وبالغ في إكرامه وبره فعرفه إدريس بنفسه وأفضى إليه بسره فوافقه على مراده وأنزله معه في داره وتولى خدمته والقيام بشؤونه وكان دخول إدريس المغرب ونزوله على ابن عبد الحميد بمدينة وليلى غرة ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ومائة هجري.

بيعة الإمام إدريس الأكبر بن عبد الله

لما استقر إدريس بن عبد الله بمدينة وليلى عند كبيرها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوروبي أقام ستة أشهر فلما دخل شهر رمضان من السنة جمع ابن عبد الحميد عشيرته من أوربة وعرفهم

بنسب إدريس وقرابته من رسول الله وقرر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخير فيه فقالوا الحمد لله الذي أكرمنا به وشرفنا بجواره وهو سيدنا ونحن العبيد فما تريد منا قال تبايعونه قالوا ما منا من يتوقف عن بيعته فبايعوه بمدينة وليلى يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومائة وكان أول من بايعه قبيلة أوربة على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم وكانت أوربة يومئذ من أعظم قبائل البربر بالمغرب الأقصى وأكثرها عددا وتلتها في نصرة إدريس والقيام بأمره مغيلة وصدينة وهما معا من ولد تامزيت بن ضرى ولما بويع إدريس رحمه الله خطب الناس فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه الناس لا تمدن الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ثم بعد ذلك وفدت عليه قبائل زناتة والبربر مثل زواغة وزواوة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغمارة وكافة البربر فبايعوه أيضا ودخلوا في طاعته فاستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته ولحق به من اخوته سليمان بن عبد الله ونزل بأرض زناتة من تلمسان ونواحيها كذا عند ابن خلدون في أخبار الأدارسة والذي عنده في أخبار بني العباس والذي عند أبي الفداء أن سليمان بن عبد الله بن حسن قتل بوقعة فخ وجمع رأسه مع رؤوس القتلى والذي جاء إلى المغرب هو ابنه . والله أعلم بحقيقة ذلك .

غزو إدريس الأكبر بن عبد الله بلاد المغرب الأقصى وفتحه إياها

ثم إن إدريس الأكبر اتخذ جيشا كثيفا من وجوه ( زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم ) وخرج غازيا بلاد ( تامسنا ) ثم زحف إلى بلاد ( تادلا ) ففتح معاقلها وحصونها وكان أكثر أهل هذه البلاد لا زالوا على دين اليهودية والنصرانية وإنما الإسلام بها قليل فأسلم جميعهم على يده وقفل إلى مدينة ( وليلى ) مؤيدا منصورا فدخلها أواخر ذي الحجة سنة اثنين وسبعين ومائة فأقام بها شهر محرم سنة ثلاث وسبعين ومائة ريثما استراح الناس ثم خرج برسم غزو من كان بقي من قبائل البربر بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية وكان قد بقي منهم بقية متحصنون في المعاقل والجبال والحصون المنيعة فلم يزل إدريس رحمه الله يجاهدهم في حصونهم ويستنزلهم من معاقلهم حتى دخلوا في الإسلام طوعا وكرها ومن أبى الإسلام منهم أباده قتلا وسبيا وكانت البلاد التى غزاها في هذه المرة حصون

( فندلاوة )وحصون ( مديونة ) و ( بهلولة ) وقلاع ( غياثة ) وبلاد ( فازاز ) ثم عاد إلى مدينة ( وليلى ) فدخلها في النصف من جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

غزو إدريس الأكبر بن عبد الله أرض الجزائر وفتح مدينة تلمسان

لما قفل إدريس الأكبر رضي الله عنه من غزو بلاد ( المغرب الأقصى ) سنة ثلاث وسبعين ومائة أقام بـ ( وليلى ) بقية جمادى الآخرة ونصف رجب التالي لها ريثما استراح جيشه ثم خرج منتصف رجب المذكور برسم غزو مدينة ( تلمسان ) ومن بها من قبائل ( مغراوة ) و ( بني يفرن ) فانتهى إليها ونزل خارجها فخرج اليه صاحبها محمد بن خزر من ولد صولات المغراوي مستأمنا ومبايعا لـه فأمنه إدريس وقبل بيعته ودخل مدينة ( تلمسان ) فأمن أهلها ثم أمن سائر ( زناتة ) وبنى ( مسجد تلمسان ) وأتقنه وأمر بعمل منبر نصبه فيه وكتب عليه عبارة ( بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ) رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة قال ابن خلدون واسم إدريس مخطوط في صفحة المنبر لهذا العهد اهـ . ثم رجع إدريس رحمه الله إلى مدينة ( وليلى ) فدخلها مؤيدا منصورا .

وفاة إدريس الأكبر بن عبد الله والسبب في ذلك

لما حصل لإدريس الأكبر رحمه الله ما حصل من التمكن والظهور اتصل خبر ذلك بالخليفة ببغداد وهو هارون الرشيد العباسي وبلغه أن إدريس قد استقام لـه أمر المغرب وأنه قد استفحل أمره وكثرت جنوده وقد فتح مدينة ( تلمسان ) وبنى مسجدها وأنه عازم على غزو ( إفريقيا ) فخاف الرشيد عاقبة ذلك وأنه إن لم يتدارك أمره الآن ربما عجز عنه في المستقبل مع ما يعلم من فضل إدريس خصوصا ومحبة الناس في آل البيت عموما فقلق الرشيد من ذلك واستشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال إن الرجل قد فتح ( تلمسان ) وهي باب ( إفريقية ) ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار وقد هممت أن أبعث إليه جيشا ثم فكرت في بعد الشقة وعظم المشقة فرجعت عن ذلك فقال يحي الرأي يا أمير المؤمنين أن تبعث إليه برجل داهية يحتال عليه ويغتاله وتستريح منه فأعجب الرشيد ذلك فوقع اختيارهما على رجل من موالي المهدي والد الرشيد واسم الرجل ( سليمان بن جرير ) ويعرف بـ ( الشماخ ) فأحضره يحي وأعلمه بما يريد منه ووعده على قتل إدريس الرفعة والمنزلة العالية

عند الرشيد وزوده مالا يستعين به على أمره وأصحبه الرشيد كتابا منه إلى واليه على إفريقية ( إبراهيم بن الأغلب ) كذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وفيه أن ابن الأغلب لم يكن واليا على إفريقية في هذا التاريخ وإنما وليها سنة أربع وثمانين ومائة حسبما سبق ) فوصل الشماخ إلى والي إفريقية بكتاب الرشيد فأجازه إلى المغرب وقدم الشماخ على إدريس بن عبد الله مظهرا النزوع إليه فيمن نزع إليه من وحدان العرب متبرئا من الدعوة العباسية منتحلا للدعوة الطالبية فاختصه إدريس رحمه الله وحلا بعينيه وعظمت منزلته لديه وكان الشماخ ممتلئا من الأدب والظرف والبلاغة عارفا بصناعة الجدل فكان إذا جلس الإمام إدريس إلى البربر ووجوه القبائل تكلم الشماخ فذكر فضل أهل البيت وعظيم بركتهم على الأمة ويقرر ذلك ويحتج لإمامة إدريس وأنه الإمام الحق دون غيره فكان يعجب إدريس ويقع منه الموقع فاستولى الشماخ عليه حتى صار من ملازميه ولا يأكل إلا معه وكان راشد كالثالث لإدريس ملازما له أيضا قلما ينفرد عنه لأنه كان يخاف عليه من مثل ما وقع فيه لكثرة أعداء آل البيت يومئذ وكان الشماخ يترصد الغرة من راشد ويترقب الفرصة في إدريس إلى أن غاب راشد ذات يوم في بعض حاجاته فدخل الشماخ على إدريس فجلس بين يديه على العادة وتحدثا مليا ولما لم ير الشماخ راشدا بالحضرة انتهز الفرصة في إدريس . قيل إنه كانت مع الشماخ قارورة من طيب مسموم . فأخرجها وقال لإدريس هذا طيب كنت استصحبه معي وهو من جيد الطيب فرأيت أن الإمام أولى به مني وذلك من بعض ما يجب له علي ثم وضع القارورة بين يديه فشكره إدريس وتناول القارورة ففتحها واشتم ما فيها فصعد السم إلى خياشمه وانتهى إلى دماغه فغشي عليه وقام الشماخ للحين كأنه يريد حاجة الإنسان فخرج وأتى منزله فركب فرسا له عتيقا كان قد أعده لذلك وذهب لوجهه يريد المشرق وافتقد الناس الإمام إدريس فإذا هو مغشي عليه لا يتكلم ولا يعلم أحد ما به وقيل إن الشماخ سمه في سنون والسنون بوزن صبور ما يستاك به وكان إدريس يشتكي وجع الأسنان واللثة وقيل سمه في الحوت الشابل وقيل في عنب أهداه إليه في غير إبانة والله أعلم ولما اتصل خبر إدريس بمولاه راشد أقبل مسرعا فدخل عليه وهو يحرك شفتيه لا يبين كلاما قد أشرف على الموت فجلس عند رأسه متحيرا لا يدري ما دهاه واستمر إدريس على حالته تلك إلى عشي النهار فتوفي في مهل ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائة وتفقد راشد الشماخ فلم يره فعلم أنه الذي اغتال إدريس ثم جاء

الخبر بأن الشماخ قد لقي على أميال من البلد فركب راشد في جمع من البربر واتبعوه وتقطعت الخيل في النواحي وطلبوه ليلتهم إلى الصباح فلحقه راشد بـ ( وادي ملوية ) عابرا فشد عليه راشد بالسيف وضربه ضربات قطع في بعضها يمناه وشجه في رأسه شجاجا ونجا الشماخ بجربعاء الذقن وأعيى فرس راشد مقطوع اليد ولما رجع راشد إلى منزله أخذ في تجهيز الإمام رضي الله عنه وصلى عليه ودفنه بصحن رابطة عند باب ( وليلى ) ليتبرك الناس بتربته رحمه الله ورضي عنه .

أمر البربر بعد وفاة إدريس الأكبر بن عبد الله

قالوا إن الإمام إدريس الأكبر لما توفي لم يترك ولدا إلا حملا من زوجته كنزة بنت السلطان عبد المجيد الزرهوني فلما فرغ راشد من جهازه ودفنه جمع رؤساء البربر ووجوه الناس فقال لهم إن إدريس لم يترك ولدا إلا حملا من أمته كنزة وهي الآن في الشهر السابع من حملها فإن رأيتم أن تصبروا حتى تضع هذه الجارية حملها فإن كان ذكرا أحسنا تربيته حتى إذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تمسكا بدعوة آل البيت وتبركا بذرية رسول الله وإن كان جارية نظرتم لأنفسكم فقالوا له أيها الشيخ المبارك ما لنا رأي إلا ما رأيت فإنك عندنا عوض من إدريس تقوم بأمورنا كما كان إدريس يقوم بها وتلي بنا وتقضي بيننا بكتاب الله وسنة رسوله ونصبر حتى تضع الجارية حملها ويكون ما أشرت به على أنها إن وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الأمر لفضلك ودينك وعلمك فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا فقام راشد بأمر البربر تلك المدة ولما تمت للجارية أشهر حملها وضعت غلاما أشبه الناس بأبيه إدريس فأخرجه راشد إلى رؤساء البربر حتى نظروا إليه فقالوا هذا إدريس بعينيه كأنه لم يمت فسماه راشد إدريس الأصغر .

## الفصل الثالث

## في

## ذكر نشأة إدريس الاصغر

كانت ولادة إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي وفاطمة رضي الله عنهما . يوم الاثنين ثالث رجب سنة سبع وسبعين ومائة فكفله راشد مولى أبيه وقام بأمره أحسن قيام فأقرأه القرآن حتى حفظه وهو ابن ثمان سنين ثم علمه الحديث والسنة

والفقه في الدين والعربية ورواه الشعر وأمثال العرب وحكمها وأطلعه على سير الملوك وعرفه أيام الناس ودربه على ركوب الخيل والرمي بالسهام وغير ذلك من مكايد الحرب فلم يمض له من العمر مقدار إحدى عشرة سنة إلا وقد اضطلع بما حمل وترشح للأمر واستحق لأن يبايع فيبايعه البربر وآتوه صفقتهم عن طاعة منهم وإخلاص. قال ابن خلدون بايع البربر إدريس الصغير حملا ثم رضيعا ثم فصيلا إلى أن شب فبايعوه بجامع مدينة وليلى سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن إحدى عشرة سنة وكان إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقية قد دس إلى بعض البربر الأموال واستمالهم حتى قتلوا راشدا رفيقه سنة ست وثمانين ومائة وحملوا إليه رأسه وقام بكفالة إدريس من بعده أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي ولم يزل على ذلك إلى أن بايعوا لإدريس فقاموا بأمره وجددوا لأنفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته. وفي القرطاس أن مقتل راشد كان في السنة التي بويع فيها إدريس بن إدريس قال وكانت بيعة إدريس يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائة بعد مقتل راشد بعشرين يوما وإدريس يومئذ ابن إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر قاله عبد الملك الوراق في تاريخه وفيه بعض مخالفة لتاريخ الولادة المتقدم وفي قتل راشد يقول إبراهيم بن الأغلب في بعض ما كتب به إلى الرشيد يعرفه بنصحه وكمال خدمته.

ألم ترن بالكيد أرديت راشدا وإني بأخرى لابن إدريس راصد
تناوله عزمي على بعد داره بمحتومة يحظى بها من يكابد
قفاه أخوعك بمقتل راشد وقد كنت فيه شاهدا وهو راقد

يريد بأخي عك محمد بن مقاتل العكي والي إفريقية فإنه لما حاول ابن الأغلب قتل راشد وتم له ذلك كتب العكي إلى الرشيد يعلمه أنه هو الذي فعل ذلك فكتب صاحب البريد إلى الرشيد بحقيقة الأمر وأن ابن الأغلب هو الفاعل لذلك والمتولي له فثبت عند الرشيد كذب العكي وصدق ابن الأغلب فعزل الرشيد العكي عن إفريقيا وولى ابن الأغلب عليها وإنما كان قبل ذلك عاملا للعكي عن إفريقية وتولية ابن الأغلب عليها كان في سنة أربع وثمانين ومائة قبل وفاة راشد بسنتين أو بأربع سنين على الخلاف المتقدم وقال البكري والبرنسي إن راشدا لم يمت حتى أخذ البيعة لإدريس بالمغرب وإن

إدريس لما تم له من العمر إحدى عشرة سنة ظهر من وفور عقله ونباهته وفصاحته ما أذهل عقول الخاصة والعامة فأخذ له راشد البيعة على البربر يوم الجمعة سابع ربيع الأول من السنة المذكورة .

خطبة الامام إدريس الأصغر

لما أخذت لأدريس الأصغر البيعة يوم الجمعة سابع ربيع الأول سنة أربع وثمانين ومائة صعد إدريس المنبر وخطب الناس فقال الحمد لله أحمده وأستغفره وأستعين به وأتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . أيها الناس إنا قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر وعلى المسيء الوزر ونحن والحمد لله على قصد فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدوه عندنا ثم دعا الناس إلى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته فعجب الناس من فصاحته وقوة جأشه على صغر سنه ثم نزل فتسارع الناس إلى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يده فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر فتمت له البيعة وبعد بيعته بقليل توفي مولاه راشد والله أعلم .

وفود العرب على إدريس الأصغر بن إدريس

لما استقام أمر المغرب لإدريس الأصغر بن إدريس الأكبر تزوج الحسناء بنت سليمان بن محمد ولما توطد ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه وأتباعه وفدت عليه الوفود من البلدان وقصد الناس حضرته من كل صقع ومكان فاستمر بقية سنة ثمان يصل الوفود ويبذل الأموال ويستميل الرؤساء والأقيال ولما دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وفدت عليه وفدت عليه وفود العرب من إفريقية والأندلس نازعين إليه وملتفين عليه فاجتمع لديه منهم نحو خمسمائة فارس من ( قيس والأزد ومذحج ويحصب والصدف وغيرهم ) فسر إدريس بوفادتهم وأجزل صلتهم وأدنى منزلتهم وجعلهم بطانة دون البربر فاعتز بهم وأنس بقربهم فإنه كان غريبا بين البربر فاستوزر منهم عمير بن مصعب الأزدي المعروف بالملجوم من ضربة ضربها في بعض حربهم وسمته على الخرطوم وكان عمير من فرسان العرب وسادتها ولأبيه مصعب مآثر بإفريقية والأندلس ومواقف في غزو الفرنج واستقضى منهم عامر

ابن محمد بن سعيد القيشي وكان نم أهل الورع والفقه والدين سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا وكان قد خرج إلى الأندلس برسم الجهاد ثم أجاز غلى العدوة فوفد بها على إدريس فيمن وفد عليه من العرب فاستقضاه واستكتب منهم أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر حتى كثر الناس لديه وضاقت بهم مدينة وليلى وانتهى إلى ابن الأغلب ما عليه إدريس من الإستفحال فأرهف عزمه للتضريب بين البربر واستفسادهم على إدريس فكان منهم بهلول بن عبد الواحد المضغري من خاصة إدريس ومن أركان دولته فكاتبه ابن الغلب واستهواه بالمال حتى بايع الرشيد وانحرف عن إدريس واعتزله في قومه فصالحه إدريس وكتب إليه يستعطفه بقرابته من رسول الله فكف عنه وكان فيما كتب به إدريس إلى بهلول المذكور قوله

أبـــهلول قد حملت نفسك خطة تبدلت منها ضلة برشاد

أضلك إبراهيم مع بعد داره فأصبحت منقادا بغير قـياد

كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب وقد مـا رمى بالكيد كل بلاد

ومن دون ما منتك نفسك خاليا ومناك إبراهيم شوك قتاد

ثم أحس إدريس من إسحاق بن محمد الأوربي بانحراف عنه وموالاة لابن الأغلب فقتله سنة ثنتين وتسعين ومائة وصفا له المغرب وتمكن سلطانه به والله غالب على أمره .

بناء مدينة فاس

لما كثرت الوفود من العرب وغيرهم على إدريس رحمه الله وضاقت بهم مدينة وليلى اراد أن يبني لنفسه مدينة يسكنها هو وخاصته ووجوه دولته فركب يوما في جماعة من حاشيته وخرج يتخير البقاع فوصل إلى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب هوائه وتربته فاختط بسنده مدينة مما يلي الجوف وشرع في بنائها فبنى بعضا من الدور ونحو الثلث من السور فأتى السيل من أعلى الجبل في بعض الليالي فهدم السور والدور وحمل ما حول ذلك ثم الخيام والزروع وألقاها في نهر سبو فكف إدريس عن البناء واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة ثم خرج ثانية يتصيد ويرتاد لنفسه موضعا يبني فيه ما قد عزم عليه فانتهى إلى نهر سبو حيث هي اليوم حمة خولان فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولأجل الحمة التي هناك والحمة كما في القاموس كل عين فيها ما حار ينبع منها ويستشفى به فعزم إدريس على أن يبني هناك

مدينة وشرع في حفر الأساس وعمل الجيار وقطع الخشب وابتدأ بالبناء ثم فكر في نهر سبو وما يأتي به من الممدود والسيول زمان الشتاء وما يحصل بذلك من الضرر العظيم للناس فكف عن البناء ورجع إلى وليلى ثم بعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد له موضعا يبني فيه المدينة التي عزم عليها فسار عمير في جماعة يقص الجهات ويتخير البقاع والترب والمياه حتى انتهى إلى فحص سايس فأعجبه المحل فنزل هناك على عين ماء تطرد في مرج أخضر فتوضأ وصلى الظهر هو وجماعة القوم الذين معه ثم دعا الله تعالى أن ييسر عليه مطلبه ثم ركب وحده وأمر الجماعة أن ينتظروه حتى يعود إليهم فنسبت العين إليه من يومئذ ودعيت عين عمير وعمير هذا هو جد بين الملجوم من بيوتات فاس وكبرائهم فأوغل عمير في فحص سايس حتى انتهى إلى العيون التي ينبع منها وادي فاس فرأى بها من عناصر الماء ما ينيف على الستين عنصرا ورأى مياهها تطرد في فسيح من الأرض وحول العيون شعراء من شجر الطرفاء والطخش والعرعار والكلخ وغير ذلك فشرب من الماء فاستطابه ونظر إلى ما حوله من المزارع التي ليست على نهر سبو فأعجبته فانحدر مع مسيل الوادي حتى انتهى إلى موضع مدينة فاس اليوم فنظر فإذا ما بين الجبلين غيضة ملتفة الأشجار مطردة العيون والأنهار وفي جانب منها خيام من شعر يسكنها قوم من زواغة يعرفون ببني الخير وقوم من زناتة يعرفون ببني يرغش وكان بنو الخير ينزلون بعدوة القرويين وبنو يرغش ينزلون بعدوة الأندلس فرجع عمير إلى إدريس وأعلمه بما رأى من الغيضة وساكنيها وما وقع عليه اختياره فيها فجاء إدريس لينظر إلى البقعة واشترى منهم الغيضة بستة آلاف درهم فرضوا بذلك ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك على يد كاتبه أبي الحسن عبد الله ابن مالك الخزرجي ثم ضرب أبنتيه بكرواوة وشرع في بناء المدينة فاختط عدوة الأندلس غرة ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائة وفي سنة بعدها اختط عدوة القرويين وبنى مساكنه بها وانتقل إليها وقد كان أولا قد أدار السور على عدوة الأندلس وبنى بها الجامع المعروف بجامع الأشياخ وأقام فيه الخطبة ثم انتقل ثانيا إلى عدوة القرويين كما قلنا ونزل بالموضع المعروف بالمقرمدة وضرب فيه قيطونة وأخذ في بناء جامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة أيضا ثم شرع في بناء داره بدار القيطون التي يسكنها الشرفاء الجوطيون من ولده ثم بنى القيسارية إلى جانب المسجد الجامع وأدار الأسواق حوله وأمر الناس بالبناء وقال لهم من بنى موضعا أو اغترسه قبل تمام السور فهو له فبنى الناس من ذلك شيئا

كثيرا واغترسوا ووفد عليه جماعة من الفرس من أرض العراق فأنزلهم بغيضة هناك كانت على العين المعروفة بعين علون وكان علون عبدا أسود يأوي إلى تلك الغيضة ويقطع الطريق بها على المارة فتحامى الناس غيضته وتناذروها فأعلم إدريس رحمه الله بشأنه فبعث في طلبه خيلا قبضوا عليه وجاؤوا به إليه فأمر بقتله وصلبه على شجرة كانت على العين فأضيفت إليه العين من يومئذ وقيل عين علون ثم أدار إدريس السور على عدوة القرويين وكانت من لدن باب السلسلة إلى غدير الجوزاء قال عبد الملك الوراق كانت مدينة فاس بلدين لكل بلد منهما سور يحيط به وأبواب تختص به والنهر فاصل بينهما وسميت إحدى العدوتين عدوة القرويين لنزول العرب الوافدين من القيروان بها وكانوا ثلاثمائة أهل بيت وسميت الأخرى عدوة الأندلس لنزول العرب الوافدين من الأندلس بها وكانوا جما غفيرا يقال أربعة آلاف أهل بيت وكان الحكم بن هشام الأموي صاحب الأندلس صدرت منه لأول إمارته هنات أوجبت قيام جماعة من أهل الورع عليه فيهم يحي بن يحي الليثي صاحب مالك وراوي الموطأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فخلعوا الحكم وبايعوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة فقاتلهم الحكم وكثروه وكادوا يأتون عليه ثم أظفره الله بهم ووضع فيهم السيف ثلاثة أيام وهدم دورهم ومساجدهم وفر الباقون منهم فلحقوا بفاس فأنزلهم إدريس رحمه الله بعدوة الأندلس فأضيفت إليهم وأما اللاحقون بالإسكندرية فثاروا بها بعد حين فزحف إليهم عبد الله بن طاهر الخزاعي صاحب مصر من قبل المأمون بن الرشيد فقاتلهم ونفاهم إلى جزيرة إقريطش فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الفرنج من أيديهم بعد مدة .

( قلت ) وحدثني والدي الشيخ بن عيسى بن الهدار الجلفاوي الذي استقر بفاس ست عشرة سنة أنه رأى وشاهد واد فاس عند فيضانه أنه يرق ماؤه ويقل موجه لما يصل المضيق حيث يوجد قبر سيدي القاضي ابن العربي وبمجرد ما يتجاوزه يستأنف موجه وتياره قال وهذه كرامة لذلك العالم الجليل ( قلت ) وكان والدي يستقر بفاس المهراس ( أي العتيقة ) وبقي بها ولمدة أربع سنوات يدير شأن الزاوية القادرية هناك وقد تزوج في الفترة من 1946 إلى 1952م بالسيدة فاطمة بنت محمد التسولي .

## خطبة الإمام إدريس الأصغر

ذكر ابن غالب في تاريخه : أن الإمام إدريس لما فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الأولى صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يديه في آخر الخطبة فقال اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا رياء ولا سمعة ولا مكابرة وإنما أردت أن تعبد بها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد بقيت الدنيا اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه واكفهم مؤنة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق إنك على كل شيء قدير فأمن الناس على دعاته فكثرت الخيرات بالمدينة وظهرت بها البركات

## من محاسن فاس

ذكر ابن غالب في تاريخه ومن محاسن فاس أن نهرها يشقها بنصفين وتتشعب جداوله في دورها وحماماتها وشوارعها وأسواقها وتطحن به أرحاؤها ثم يخرج منها وقد حمل أقذارها وازبالها إلى غير ذلك من عيون الماء التي تنبع بداخلها وتتفجر من بيوتها تجاوز الحصر كثرة . ( قلت ) قال الإدريسي صاحب: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق واصفا فاس في عصره : ومدينة فاس مدينتان بينهما نهر كبير يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة وعليه في داخل المدينة أرحاء كثيرة تطحن بها الحنطة بلا ثمن له خطر والمدينة الشمالية منهما تسمى القرويين وتسمى الجنوبية الأندلس والأندلس ماؤها قليل لكن يشقها نهر واحد يمر بأعلاها وينتفع منه ببعضها وأما مدينة القرويين فمياهها كثيرة تجري منها في كل شارع وفي كل زقاق ساقية متى شاء أهل الموضع فجروها فغسلوا مكانهم منها ليلا فتصبح أزقتهم ورحابهم مغسولة وفي كل دار منها صغيره كانت أو كبيرة ساقية ماء نقيا كان أو غير نقي وفي كل مدينة منهما جامع ومنبر وإمام وبين المدينتين أبدا فتن ومقاتلات وبالجملة إن أهل مدينة فاس يقتل فتيانها بعضهم بعضا وبمدينة فاس ضياع ومعايش ومبان سامية ودور وقصور ولأهلها اهتمام بحوائجهم ومبانيهم وجميع آلاتهم ونعمها كثيرة والحنطة بها رخيصة الأسعار جدا دون غيرها من البلاد القريبة منها وفواكهها كثيرة وخصبها زائد وبها في كل مكان منها عيون نابعة ومياه جارية وعليها قباب مبنية ودواميس محنية ونقوش وضروب من الزينة وبخارجها الماء مطرد نابع من عيون غزيرة وجهاتها

مخضرة مؤنقة وبساتينها عامرة وحدائقها ملتفة وفي أهلها عزة ومنعة . ( قلت ) وفي مطالعتي بالجلفة سنة 2007م وجدت في كتاب المحاضرات في اللغة و الأدب قائلا يقول في فاس :

يا فاس حيا الله أرضك من ثرى　　وسقاك من صوب الغمام المسبل

يا جنة الدنيا التي أربـــت على　　عَدْن بمنظرها البهـــيّ الأجمل

غُرَفٌ على غُرَف ويجري تحتها　　ماء ألذ من الرحيق الســـلسل

وفاة إدريس الأصغر بن إدريس

قال ابن خلدون انتظمت لإدريس الأصغر بن إدريس الأكبر كلمة البربر ومحي دعوة الخوارج منهم واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لدن ( السوس) الأقصى إلى ( وادي الشلف ) ودافع إبراهيم ابن الأغلب عن حماه بعد ما ضايقه بالمكايد واستفساد الأولياء حتى قتلوا راشد مولاه وارتاب إدريس بالبربر فصالح بن الأغلب وسكن من غربه وضرب السكة باسمه وعجز الأغالبة بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الأدارسة ودافعوا خلفاء بين العباس بالمعاذير الباطلة وصفا ملك المغرب لإدريس واستمر بدار ملكه من ( فاس ) ساكنا وادعا مقتعدا أريكته مجتنيا ثمرته إلى أن توفاه الله ثاني جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين وعمره نحو ست وثلاثين سنة ودفن بمسجده بإزاء الحائط الشرقي منه وقال البرنسي إنه توفي بمدينة وليلى ودفن إلى جنب أبيه وكان سبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات لحينه وخلف من الولد كثيرا منهم ( محمد . وعبد الله . وعيسى . وإدريس الصغير . وأحمد . وجعفر . والقاسم . وعمران . وعمر . وعلي . وداود . وإبراهيم . ويحي وحمزة وكثير ) كذا في القرطاس وزاد ابن حزم ( الحسن الرابع . والحسين المثلث ) وولي الأمر منهم بعده ابنه ( محمد ) وهو أكبرهم .

دولة محمد بن إدريس الاصغر بن إدريس الأكبر

لما توفي إدريس الأصغر الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة . قام بالأمر بعده ابنه ( محمد ) بعهد منه إليه ولما ولي قسم بلاد المغرب بين اخوته وذلك بإشارة جدته كنزة أم إدريس فاختص القاسم منها بـ ( طنجة وسبتة وقصر مصمودة وقلعة حجر النسر وتطوان ) وما انضم إلى ذلك من القبائل والبلاد واختص عمر منها بـ ( تيكاس

وترغة ) وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة واختص داود بـ ( بلاد هوارة وتسول وتازا ) وما بين ذلك من قبائل مكناسة وغياثة واختص يحي بـ ( آصيلا والعراسش والبصرة وبلاد ورغة ) وما إلى ذلك من القبائل واختص حمزة بـ ( مدينة وليلى ) وأعمالها واختص أحمد بـ ( مدينة مكناسة ومدينة تادلا ) وما بينهما من بلاد فازاز واختص عبد الله بـ ( أغمات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الأقصى ) وأبقى الآخرين في كفالته وكفالة جدتهم كنزة لصغرهم وبقيت ( تلمسان ) لولد عمه سليمان بن عبد الله حيث أن إدريس الأصعر بن إدريس لما غزا ( تلمسان ) وأقام بها ثلاث سنين كما سبق ودوخ بلاد زناتة واستوسقت له طاعتهم عقد عليها لبني عمه سليمان بن عبد الله فلما توفي إدريس واقتسم بنوه أعمال المغرب كانت ( تلمسان ) في سهم عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله واستمرت بأيديهم إلى أن تلاشى أمرهم بدخول العبيدين عليهم قاله ابن خلدون وأقام محمد بن إدريس بـ ( دار مكة ) من فاس مقتعدا على أريكته واخوته ولاة على بلاد المغرب قد ضبطوا أعمالها وسدوا ثغورها وأمنوا سبلها وحسنت سيرتهم في ذلك إلى أن كان ما نذكره الآن .

حدوث الفتنة بين بني إدريس الاصغر

بعد ما سبق من توطين وتوطيد خرج على ( محمد بن إدريس ) أخوه ( عيسى ) بمدينة ( آزمور ) ونبذ طاعته وطلب الأمر لنفسه فكتب ( محمد ) إلى أخيه ( القاسم ) صاحب ( طنجة ) يأمره بحرب ( عيسى ) فامتنع من ذلك فكتب ( محمد ) إلى أخيه ( عمر ) صاحب (تيكاس ) بمثل ما كتب به إلى ( القاسم ) فامتثل أمره وزحف إلى ( عيسى ) في قبائل البربر وأمده ( محمد ) بألف فارس من زناتة فأوقع (عمر) بـ ( عيسى ) وهزمه وطرده عن عمله وكتب إلى الأمير ( محمد ) بالفتح فشكره على ذلك وولاه على ما فتحه من عمل ( عيسى ) وأمره مع ذلك بالمسير إلى قتال ( القاسم ) الذي عصى أمره أولا فزحف ( عمر ) إلى ( القاسم ) ونزل عليه بظاهر ( طنجة ) فخرج إليه ( القاسم ) ودارت بينهما حرب شديدة هزم فيها ( القاسم ) واستولى ( عمر ) على ما بيده من البلاد فصار الريف البحري كله في عمل ( عمر ) من ( تيكيساس ) وبلاد (غمارة ) إلى ( سبتة ) ثم إلى ( طنجة ) وهذا ( ساحل البحر الرومي ) ثم ينعطف إلى ( آصيلا) و( العرايش ) ثم إلى ( سلا ) ثم ( آزمور ) وبلاد ( تامسنا )وهذا ( ساحل البحر قرب آصيلا ) بموضع يعرف بـ ( تاهدرات ) على ضفة النهر

هناك وأعرض عن الدنيا وأقام يعبد الله إلى أن مات رحمه الله واتسعت ولاية ( عمر بن إدريس ) وخلصت طويته لأخيه ( محمد ) الأمير إلى أن توفي ( عمر ) بموضع يعرف بـ ( فج الفرس ) من بلاد صنهاجة في دولة أخيه ( محمد ) سنة عشرين ومائتين فحمل إلى ( فاس ) وصلى عليه الأمير ( محمد ) ودفن مع أبيه قال و ( عمر ) هذا هو جد الأشراف الحموديين المالكين للأندلس بعد بني أمية وعقد الأمير ( محمد ) على عمله لولده ( علي بن عمر ) إلى أن كان من أمره ما نذكره وأما ( عيسى ) فيقال إنه توفي بـ ( آيت عتاب ) وله بها ذرية والله أعلم ( قال ) وأقام الأمير ( محمد بن إدريس ) بعد وفاة أخيه ( عمر ) سبعة أشهر وتوفي بمدينة ( فاس ) في ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين ومائتين ودفن بشرقي جامعها مع أبيه وأخيه بعد أن عهد بالأمر لابنه ( علي حيدرة بن محمد ) على ما سيأتي :

## دولة علي حيدرة بن محمد بن إدريس الأصغر

لما توفي ( محمد بن إدريس ) بايع لابنه ( علي حيدرة بن محمد ) بعهد منه إليه ويلقب علي هذا بحيدرة على لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو جد الأشراف ( 1 ) العلميين أهل ( جبل العلم ) ومنهم المشيشيون أولاد مولانا ( عبد السلام بن مشيش ) رضي الله عنه والأشراف ( 2 ) الوزانيين أولاد مولانا ( عبد الله الشريف ) وينتهي نسب هؤلاء إلى المولى ( بملح بن مشيش ) أخي المولى ( عبد السلام بن مشيش ) وكان سن ( علي حيدرة ) يوم بويع تسع سنين وأربعة أشهر فقام بأمره الأولياء والحاشية من العرب والبربر وأحسنوا كفالته وطاعته وكانت أيامه خير أيام وقال ابن أبي زرع ظهر لـ ( علي ) هذا من الذكاء والفضل ما يقتضيه شرفه وسار بسيرة أبيه وجده في العدل فكان الناس في أيامه في أمن ودعة إلى أن توفي في شهر رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين وعهد بالأمر لأخيه ( يحي بن محمد ) على ما سيأتي قال ابن خلدون وقام ( يحي بن محمد بن إدريس ) بالأمر وامتد سلطانه وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستبحر عمران ( فاس ) وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت خارجها الأرباض ورحل إليها الناس من الثغور القاصية وقال ابن أبي زرع قصد إليها الناس من الأندلس وإفريقية وجميع بلاد المغرب .

قال ابن أبي زرع كان موضع مسجد القرويين أرضا بيضاء لرجل من هوارة كان والده قد حازها أيام بناء فاس ولما قدم وفد القيروان على ( إدريس الأصغر ) حسبما تقدم كان فيهم امرأة اسمها ( فاطمة بنت محمد الفهري ) وتكنى ( أم البنين ) فنزلت في أهل بيتها بالقرب من موضع المسجد المذكور ثم مات زوجها وإخواتها فورثت منهم مالا جسيما وكان من حلال فأرادت أن تنفقه في وجوه الخير وكانت لها نية صالحة فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه عند الله فاشترت البقعة من مالكها وشرعت في حفر أساس المسجد وبناء جدرانه وذلك يوم السبت فاتح رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين فبنته بالطابية والكدان وكانت الطريقة التي سلكتها في بنائه أنها التزمت أن تأخذ التراب وغيره من مادة البناء من نفس البقعة دون غيرها مما هو خارج عن مساحتها فحفرت في أعماقها كهوفا وجعلت تستخرج منها التراب الجيد والحجر الكدان وتبني به وأنبطت بها بئرا يستقى منها الماء للبناء والشرب وغير ذلك وكان ذلك كله تحريا منها أن لا تدخل في بناء المسجد شبهة فعادت بركة نيتها وورعها على المسجد المذكور حتى كان منه ما ترى قالوا ولم تزل فاطمة المذكورة صائمة من يوم شرع في بنائه إلى أن تم وصلت فيه شكرا لله تعالى وكانت مساحة المسجد يوم بني أربع بلاطات وصحنا صغيرا وجعلت محرابه في موضع الثريا الكبرى وجعلت طوله من الغرب إلى الشرق مائة وخمسين شبرا وبنت به صومعة غير مرتفعة بموضع القبة التي على رأس العنزة اليوم واستمر الحال على ذلك إلى أن انقرضت ( دولة الأدارسة ) وجاءت ( دلوة زناتة ) من بعدها وأداروا السور على العدوتين معا القرويين والأندلس وزادوا في مسجديهما زيادة كثيرة فنقلوا الخطبة من مسجد الشرفاء إلى مسجد القرويين ومن مسجد الأشياخ إلى مسجد الأندلس وذلك صدر المائة الرابعة ثم لما استولى ( عبد الرحمن الناصر ) صاحب الأندلس على فاس وبلاد العدوة استعمل على فاس عاملا له اسمه أحمد بن أبي بكر الزناتي ثم اليفرني فاستأذن الناصر في إصلاح مسجد القرويين والزيادة فيه فأذن له وبعث إليه بمال من خمس الغنائم فزاد فيه زيادة بينة وأزال الصومعة القديمة عن موضعها وبنى الصومعة وكتب على بابها في مربعة بالجص واللازورد ( هذا ما أمر به أحمد بن أبي بكر الزناتي هداه الله ووفقه ابتغاء ثواب الله وجزيل إحسانه ) وابتدأ العمل في هذه الصومعة يوم الاثنين غرة رجب سنة

أربع وأربعين وثلاثمائة وفرغ من بنائها في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وركب في أعلى المنارة سيف ( الإمام إدريس بن إدريس ) تبركا به وذلك أن بعض حفدة ( إدريس ) رحمه الله تنازعوا في السيف المذكور وأراد كل أن يحوزه لنفسه فقال لهم الأمير ( أحمد بن أبي بكر ) هل لكم في أن تبيعوني هذا السيف قالوا وما نصنع به قال أجله في أعلى المنارة فقالوا أما إذا أردت هذا فنحن نهبه لك مجانا فوهبوه له فركبه في أعلى المنارة وكانت مبنيية من الحجر المنجور وفيها ثقب يعشعش فيها الطير من الحمام والزرزور وغيرهما ويتأذى المسجد والناس بها واستمر الحال على ذلك إلى أن كانت سنة ثمان وثمانين وستمائة أيام السلطان ( يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ) فاستأذن القاضي ( أبو عبد الله بن أبي الصبر ) السلطان ( يوسف ) المذكور في تلبيس المنارة وتبييضها فأذن له فلبسها وبيضها ودلكها حتى صارت كالمرآة الصقلية . وقال ابن خلدون ثم أوسع في خطه المسجد المذكور المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس وأعد له السقاية والسلسلة بـ ( باب الحفاة ) ثم أوسع في خطته علي بن يوسف اللمتوني ثم ملوك الموحدين وبني مرين واستمرت العمارة به وانصرفت هممهم إلى تشييده والمنافسة في الاهتبال به فبلغ الاحتفال فيه ما شاء حسبما هو مذكور في تواريخ المغرب .

فاس بتحقيق عصري

ما سبق ذكره حول فاس جاء في كتب قديمة وبما أن فاس لنا بها تعلق من حيث التأسيس والآثار فإني أدرج هنا تقريرا عصريا يلم بجوانبها المعاصرة كلها وعليه فقد جاء في أطلس الحاسوب قول كاتبه : فاس Fez;Fés . مدينة مغربية تقع في أقصى الشمال الشرقي من المملكة المغربية. وهي تقع على خط طول 4 54غربا و 34 6شمالا. وهي تشغل الطرق السهلة التي تصل بين ساحل المغرب المطل على المحيط الأطلنطي ووسطه، ويوجد جنوب فاس واحد من أقصر الطرق ويمر بوسط جبال أطلس إلى الجنوب عبر طريق سفرو. وطرق الاتصال بين فاس وكل من ساحل البحر المتوسط أو مضيق جبل طارق على قدر كبير من السهولة ويعود تاريخ مدينة فاس إلى القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي عندما قام إدريس الأصغر بن إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة عام 172هـ/ 789م ببناء مدينة على الضفة اليمنى لنهر فاس لتكون بدلا للعاصمة القديمة ولتلي أيضا تلك العاصمة القديمة التي كانت قد ازدحمت

بالسكان. ثم وفد إليها عشرات العائلات العربية من القرويين ليقيموا أول الأحياء وعرف بعدوة القرويين. كما وفد إليها الأندلسيون الذين أرغموا على الهجرة من الأندلس ليكونوا عدوة الأندلسيين. وكان هناك حي خاص لليهود وهو حي الملاح ، وقد كان اختيار المكان موفقا فهو مكان فسيح تحيط به الأشجار والحشائش.وقد ظلت المدينة هكذا إلى أن دخلها المرابطون فأمر يوسف بن تاشفين بتوحيد المدينتين وجعلهما مدينة واحدة فصارت القاعدة الحربية الرئيسية في شمال المغرب.ومدينة فاس كانت أحد ركائز الصراع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في إفريقيا ، وظلت المدينة تحت سيطرة الأمويين في الأندلس لمدة تزيد على الثلاثين عاما ، وتمتعت المدينة خلال تلك المدة بالازدهار. وعندما غابت شمس الخلافة الأموية بقرطبة وقعت مدينة فاس تحت سيطرة أمراء زناته الذين كانوا على خلاف مستمر فيما بينهم. وظلت هكذا إلى قدوم المرابطين، ومن بعدهم الموحدين، وكذلك بنو مرين الذين اتخذوها مركزا لهم بدلا من مراكش ، و أنشئوا مدينة ملكية وإدارية جديدة عرفت بالمدينة البيضاء. وأصبحت فاس مرة أخرى مركزا حضاريا حيث تميزت بالازدهار السياسي والاقتصادي والفكري بين سائر بلاد المغرب. وظلت فاس القديمة مركزا للنشاط الاقتصادي بخلاف فاس الجديدة التي ظلت مركزا للحكم. ولموقع فاس ميزة ذات أهمية خاصة في المغرب وهي غزارة مياهها حيث تمتص الطبقات الكلسية في الأطلس الأوسط المياه لتكون منطقة من المياه الجوفية تنفجر منها في سهل يسمى سهل سايس ينابيع كثيرة تتجمع وتتحد لتغذي نهر فاس أو على الأصح أنهار فاس يضاف إلى ذلك الينابيع التي تنفجر من العدوات الشديدة الانحدار التي حفرها نهر فاس مسيلا له. وتمتد بمدينة فاس قنوات المياه مثل الشرايين لتصل إلى كل مسجد ومدرسة وبيت، وينفجر فيها عيون نهر سبو وروافده. وهو ما يجعل المدينة ذات موقع إستراتيجي إذ تستطيع المدينة أن تصمد أمام أي حصار.وتقع فاس في واد خصيب وكأنها واسطة العقد بين التلال المحيطة بها من كل الجهات. ويوجد قرب المدينة الغابات التي تتوفر فيها أشجار البلوط والأرز والتي يستخرج منها أخشاب عالية الجودة، وتحيط بها أراض كثيرة صالحة لكافة أنواع الزراعة حيث تنمو الحبوب والكروم والزيتون وأنواع عديدة من أشجار

الفاكهة. ولكثرة بساتين البرتقال والتين والرمان والزيتون بصورة خاصة تبدو المدينة زمردية اللون محاطة بعقود من الحدائق والبساتين وبجبال خضراء داكنة متوجة بشجر الأرز والصبير وزهر عود السند . ومن الارتفاعات العالية يبدو اللون الأخضر هو الغالب على كل الألوان بينما تتخلله نقاط بيضاء ما هي إلا الخراف والماعز والأبقار التي تنتشر في المراعي ويوجد بفاس معالم آثرية تدل على حضارتها عبر العصور الإسلامية، ومن أهم ما بقي من هذه الآثار السور وبواباته الثمانية بأقواسها الرائعة والنقوش والتخريم البارز فوقها والتي ترجع إلى عهد المرينين. وقد تجدد بعضها في العصور التالية ولكنها ظلت محتفظة بطابعها .وفي داخل الأسوار تميزت المدينة بوجود عشرة آلاف بناية أصلية وسبعين كيلو متر من القنوات المتدفقة من مياه الوادي والعيون، وبها أربعة آلاف نافورة وسقاية وتميزت المدينة بقصورها التي شيدها المرينيون على التلال التي تطل على فاس من جهة الشمال، وكذلك المنازل القديمة المكونة من طابقين حولها أفنية ضيقة لكنها تكسى بحشوات من الفسيفساء الخزفية، والأبواب المزخرفة بزخارف جصية محفورة، ويحاط بعض المنازل بالحدائق والبساتين. البيمارستانات: تعددت بفاس المستشفيات وكثرت ، وكان الغرباء يسكنون فيها ثلاثة أيام، ويوجد عدد كبير من المستشفيات في خارج أبواب المدينة إلا أنها تقل جمالا عن تلك التي كانت بداخلها . وكانت هذه المستشفيات غنية جدا إلا أنه في أيام حرب سعيد عندما كان السلطان في أشد الحاجة إلى المال أشاروا عليه ببيع إيراداتها وأملاكها ، وبقيت المستشفيات فقيرة محرومة تقريبا من وسائل العمل. وكان بالقرب من سوق العطارين وسوق الحناء مكان يقيم به المرضى بأمراض عقلية ، وكان بناؤه قديما يرجع تأسيسه إلى عهد سلاطين بني مرين ، حيث بنى أبو يعقوب يوسف بن يعقوب هذا المارستان لما تولى الملك سنة 685هـ/ 1286م، وعهد إدارته إلى أشهر الأطباء وخصص له الأوقاف الكثيرة من العقار للصرف عليه، ولما عظم أمر المارستان واتسعت أعماله أدخل عليه السلطان أبو عنان زيادات عظيمة. وفي سنة 900هـ/ 1495م لما أقام أهل الأندلس من المسلمين في فاس تولى رياسة هذا البيمارستان طبيب من بني الأحمر يسمى فرج الخزرجي ولذلك سمي بيمارستان فرج، فأصلح فيه وجعل الموسيقيين يعزفون أمام

المرضى. وبالنسبة للمساجد فقد انتشرت بفاس العديد من المساجد إلا أن أشهرها على الإطلاق هو جامع القرويين الذي أسس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي حيث كانت مساحته صغيرة ثم هدم وقام بتشيده علي بن يوسف المرابطي وزاد في مساحته زيادة كبيرة، وقام بزخرفته صناع أندلسيون، وقد بنى مئذنته الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر على نفقته الخاصة. وما زال مسجد القرويين يحتفظ بمنبره المصنوع من الخشب المحفور والمطعم. ويعد هذا المنبر ثاني المنابر المغربية، وقد زود هذا المسجد بثريا فخمة وحجرة للوضوء. أما صحن جامعة القرويين فمتحف فني خالد بهندسته المعمارية العربية المحضة وفنون النحت والتصوير على الخشب والفسيفساء والنقش المعدني البارز بأروع الصور والأشكال وصناعة الخزف في فاس نوعا ما صناعة الفخار كالجرار والأباريق والمزهريات وصناعة الخزف كالصحون والأطباق. ومن أجمل الآثار الباقية جامع الأندلسيين وهو من التحف الخالدة حيث تميز بسقف المصلى ، وهو أثر فني خالد بجمال نقوشه وفسيفساء نوافذه الزجاجية التي تجتمع في رسومها ألوان شتى تأسر العيون كما تميز بالنجفة النحاسية المدلاة من السقف وجمال تخريمها الذي لا يمكن تقليده في هذا العصر لأنه يحتاج إلى زمن طويل. وقد أعيد بناؤه في عهد محمد الناصر وشيده تشيدا عظيما. كما يوجد أيضا العديد من المساجد مثل مسجد الحمراء، ومسجد الرصيف وغيرها من المساجد المنتشرة في أنحاء المدينة وجميعها لا تقل روعة معمارها عن مسجد الأندلسيين. وكما وجدت فيها البنايات المقبية والحمامات التي صممت وفق التخطيطات البسيطة جدا للحمامات الأندلسية. وتحاط المدينة بسور كبير أعاد الموحدون بناءه وبهذا السور ثمانية أبواب ضخمة بواقع أربعة أبواب في كل جانب. وكانت الأبواب تفتح من الداخل فتفضي إلى الطرق والأزقة الضيقة التي تنتشر فيها الأسواق. ومن أشهر حرفها معاصر الزيتون والمدابغ وصنع الأواني الخزفية والمصنوعات الجلدية كالسروج والأعنة وصناعة الأسلحة كالسيوف والرماح والأسنة والأقواس والدروع والتروس وأمثالها، وصناعة السلال باليد والأنوال، وتخريم النحاس و الفضة ، والصاغة، وصناعة الحلويات. وكما ظلت فاس محتفظة بأسبقيتها بصناعة السجاد والنسيج والصباغة ودبغ الجلود على مر

العصور رغم أن الدار البيضاء فيما بعد انتزعت لواء الزعامة الاقتصادية منها .ويوجد في مدينة فاس واحد من أعرق وأقدم المؤسسات العلمية وهو جامع القرويين الذي أسسته السيدة فاطمة بنت محمد الفهري عام 245هـ / 859م بعد تأسيس المدينة بمدة (51) عاما . وقد بقي الجامع والجامعة العلمية الملحقة به مركزا للنشاط الفكري والثقافي والديني قرابة الألف سنة. وبعد أن وسعه أبو يوسف يعقوب المريني صار الجامع يستوعب (22) ألف مصل. كما صار يدخل إليه من (17) بابا منها بابان لدخول النساء، وكان هذا الجامع الفريد في بنائه وهندسته يضاء في عصوره الأولى ب (509) مصباح قائم فوق قواعد قد يزيد وزنها على (700) كيلو جراما .وتعتبر جامعة القرويين في العصر الحديث أقدم جامعة ثقافية في العالم حيث تخرج فيها معظم علماء الغرب وفيها تعلم جربرت دي لوفرينه الثاني الذي أصبح فيما بعد سلفستر الثاني. وفيها تعلم (الصفر العربي) في علم الحساب وهو الذي نشر ذلك في أوروبا . كما درس له في جامع القرويين أيضا ابن الشيخ الفيلسوف الرئيس موسى بن ميمون اليهودي القرطبي الذي كان من أعظم الأطباء في عصره والذي غادر الأندلس إلى المشرق وعين طبيبا لصلاح الدين الأيوبي ثم عين مدرسا بالقاهرة وفضلا عن هذا الجامع فإن فاس كانت تضم (785) مسجدا جميعها أو معظمها كانت مدارس بالضبط كمساجد البصرة والكوفة تدرس فيها علوم الدين وعلوم اللغة والتاريخ وغير ذلك من العلوم ولعل من أكبر مدارس فاس مدرسة السلطان أبو عنان المريني التي أسسها عام 756هـ/ 1355م وكان قد ألحق بها مسجدا للصلاة يتحلى بمنارة "مئذنة" لا مثيل لها في الجمال والأناقة.وتميزت فاس بمدارسها التي بنيت حول جامع القرويين وانتشرت في أنحاء المدينة خصوصا في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي على يد العديد من الأمراء، وقد زينت هذه المدارس بذوق فني رفيع ومتنوع وهي تشكل واحدة من أروع التشكيلات الزخرفية في مدينة فاس. ويأتي في مقدمة هذه المدارس مدرسة فاس، والمدرسة المصباحية التي أسسها أبو الحسن سنة 743هـ/ 1343م، والمدرسة التي أسسها أبو عنان وهي المدرسة الوحيدة المزودة بمنبر ومئذنة، وغيرها كثير من المدارس.أما أقدم مدارس فاس فهي مدرسة الصفارين التي أمر

بنائها أبو يوسف المريني عام 678هـ/ 1280م وزودها بمكتبة ثرية وقد نقلت فيما بعد إلى جامعة مسجد القرويين. وتعتبر مدرسة العطارين أصغر مدرسة في زمانها ولكنها كانت من حيث الهندسة المعمارية من أجملها وأبهاها وكانت تقع عند طرف سوق العطارين ومؤسسها هو السلطان أبو سيد . وكانت هذه المدارس تدرس فيها العلوم الابتدائية بدءا من القرآن والكتابة والقراءة إلى مبادئ الحساب وغيرها ثم يلتحقون بعدها بالجامعة وكانت مدة الدراسة في جامعة القرويين تستغرق بين خمسة أعوام و15 عاما وكان الطلاب يختارون بمحض إرادتهم أساتذتهم كل أستاذ حسب اختصاصه في مادة أو أكثر فيجلسون في حلقات حول الأستاذ الذي كان يستند بظهره إلى سارية من سواري المسجد .وكان كل من السلطان أبي الحسن والسلطان أبي عنان يهتم بتثقيف الناشئة والأساتذة ويرعى شئون المسلمين رعاية بالغة وقد أعطيا كل اهتمامهما إلى تدريس القرآن الكريم والحديث وعلوم اللغة.ولقد اشتهر من فاس جماعة من أهل العلم ونسبوا إليها منهم أبو عمرو عمران بن موسى الفاسي فقيه أهل القيروان في وقته. وأبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الشهير بابن البناء وهو أشهر رياضي في عصره، وأبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ الشهير بابن باجة وكان ممن نبغوا في علوم كثيرة منها اللغة العربية والطب وكان قد هاجر من الأندلس وتوفي بفاس.ومن العلماء الذين أقاموا بفاس ودرسوا بجامعتها ابن خلدون المؤرخ ومؤسس علم الاجتماع، ولسان الدين بن الخطيب، وابن عربي الحكيم وابن مرزوق.

ولاية يحي بن يحي بن محمد بن إدريس

لما توفي ( يحي بن محمد بن إدريس الأصغر) الذي بنى مسجد القرويين في أيامه ولي الأمر من بعده ابنه( يحي بن يحي بن محمد بن إدريس الأصغر) فاساء السيرة وكثر عيثه في الحرم ودخل على جارية من بنات اليهود في الحمام وكانت بارعة في الجمال فراودها عن نفسها فاستغاثت وبادر الناس إليها بالإنكار وثابت العامة عليه وتولى كبر ذلك ( عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي ) وكانت زوجة (يحي ) المذكور وهي (عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس ) صاحب الريف والسواحل أشارت عليه

بالاختفاء بـ ( عدوة الأندلس ) ريثما تسكن الفتنة فتوارى بها فمات من ليلته أسفا على ما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار .

## استيلاء بن سهل على فاس

بعد ( يحي بن يحي بن محمد بن ادريس ) استولى ( عبد الرحمن بن أبي سهل ) على فاس وقام بأمرها فكتبت ( عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس ) زوجة ( يحي بن يحي ) إلى أبيها ( علي بن عمر بن إدريس ) تعلمه بالخبر واستدعاه مع ذلك أهل الدولة من العرب والبربر والموالي فجمع حشمه وجيشه وجاء إلى ( فاس ) فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب ( محمد بن إدريس ) وصار بعد هذا تارة يكون في عقب ( عمر بن إدريس ) صاحب الريف وتارة يكون في عقب ( القاسم بن إدريس ) الزاهد على ما نذكره ( ولما ) دخول علي بن عمر مدينة فاس . بعد الإطاحة بـ ( عبد الرحمن بن سهل ) دخل ( علي بن عمر بن إدريس ) مدينة ( فاس ) واستقر بها بايعه الناس ودخلت الكافة في طاعته وخطب له على جميع منابر المغرب واستقام له الأمر إلى أن ثار عليه ( عبد الرزاق الفهري ) وكان من ( الخوارج الصفرية ) وأصله من ( وشقة ) بلد بالأندلس فقام بـ ( جبال مديونة ) من أعمال ( فاس ) على مسيرة يوم ونصف منها فتبعه خلق كثير من البربر من مديونة وغياثة وغيرهم فبنى قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقه باسم بلده قال ابن أبي زرع وهي باقية بتلك الناحية حتى الآن ثم زحف إلى قرية ( صفرون ) فدخلها وبايعه كافة البربر الصفرونية ثم زحف بهم إلى ( فاس ) فخرج إليه ( على بن عمر بن إدريس ) في عسكر ضخم فكانت بينهم حرب شديدة كان الظفر في آخرها لـ ( عبد الرزاق ) فانهزم ( علي بن عمر ) وقتل خلق كثير من جنده وفر بنفسه إلى بلاد ( أوربة ) فدخل ( عبد الرزاق ) مدينة ( فاس ) وملك ( عدوة الأندلس ) وخطب لها بها وامتنع منه أهل ( عدوة القرويين ) ( ولما ) فر ( علي بن عمر ) عن فاس واستولى ( عبد الرزاق الصفري ) على ( عدوة الأندلس ) بعث ( أهل فاس ) إلى ( يحي العدام بن القاسم بن إدريس ) فوصل إليهم فبايعوه وولوه على أنفسهم قال ( ويحي العدام ) هذا هو جد الأشراف الجوطيين بفاس فإنهم ( أولاد يحي الجوطي بن محمد بن يحي العدام ) وإنما قيل له الجوطي نسبة إلى جوطة بضم الجيم وبالطاء المهملة قرية كانت على ( نهر سبو ) بـ ( العدوة الجنوبية ) منه نزلها ( يحي بن محمد ) فنسب إليها وقبره معروف بها إلى الآن

ولما استقل (يحي العدام بن القاسم) بالأمر قاتل (عبد الرزاق) حتى أخرجه من (عدوة الأندلس) فدخلها وبايعه أهلها وجميع من نزل بها من أهل (الأندلس) الربضيين ربض (قرطبة) واستعمل (يحي العدام بن القاسم) عليهم (ثعلبة بن محارب بن عبد الله الأزدي) من ولد المهلب بن أبي صفرة وهو ربضي أيضا فلم يزل واليا على عدوة الأندلس إلى أن توفي فاستعمل (يحي العدام) مكانه ولده (محارب بن عبود بن ثعلبة) وخرج الأمي (ريحي العدام بن القاسم) إلى قتال الصفرية فكانت له معهم حروب ووقائع كثيرة ولم يزل أميرا على (فاس) وأعمالها إلى أن اغتاله (الربيع بن سليمان) سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

## الفصل الرابع
## في
## ذكر أحداث أيام الأمراء الأدارسة

كانت في أيام هؤلاء الأمراء الأدارسة أحداث نذكرها فيما يلي إحقاقا للحق حسب ما جاء في المدونات وهي:

(ففي) سنة ثلاث وخمسين ومائتين كان ببلاد العدوة والأندلس قحط شديد نضبت منه المياه واستمر إلى سنة ستين.

(وفي) سنة أربع وخمسين كسف القمر كله من أول الليل حتى أصبح ولم ينجل.

(وفي) سنة ستين ومائتين عم القحط والغلاء جميع بلاد الأندلس والمغرب وإفريقية ومصر والحجاز حتى رحل الناس عن مكة إلى الشام ولم يبق بها إلا نفر يسير مع سدنة الكعبة.

(ثم) كان بالمغرب والأندلس وباء عظيم مع غلاء في الأسعار وعدمت الأقوات فهلك خلق كثير (وفي) سنة ست وستين ومائتين كانت بالسماء حمرة شديدة من أول الليل إلى آخره لم يعهد قبلها مثلها وذلك ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة.

(وفي) سنة سبع وستين ومائتين في يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال منها كانت زلزلة عظيمة لم يسمع بمثلها تهدمت منها القصور وانحطت منها الصخور من الجبال وفر الناس من المنطقة إلى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقطت السقوف والحيطان وفرت الطيور عن أوكارها وماجت في

السماء زمانا حتى سكنت الزلزلة وعم هذه الرجفة جميع بلاد الأندلس سهلها وجبالها وجميع بلاد العدوة من تلمسان إلى طنجة ومن البحر الرومي إلى أقصى المغرب إلا أنها لم يمت فيها أحد لطفا من الله تعالى بخلقه.

(وفي) سنة ست وسبعين ومائتين طبقت الفتنة جميع آفاق الأندلس والمغرب وإفريقية.

(وفي) سنة خمس وثمانين ومائتين كانت المجاعة الشديدة التي عمت جميع بلاد الأندلس وبلاد العدوة حتى أكل الناس بعضهم بعضا ثم عقب ذلك وباء ومرض وموت كبير هلك فيه من الخلق ما لا يحصى فكان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة والأمر لله وحده.

## تولية يحي بن إدريس بن عمر بن إدريس

لما قتل (يحي العدام) في التاريخ المتقدم ولي الأمر من بعده (يحي بن إدريس بن عمر بن إدريس) فبايعه أهل عدوة (فاس) وخطب له بهما وامتد ملكه على جميع أعمال المغرب وخطب له على سائر منابره وكان (يحي) هذا (واسطة) عقد البيت الإدريسي أعلاهم قدرا وأبعدهم ذكرا وأكثرهم عدلا وأغزرهم فضلا وأوسعهم ملكا وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان بطلا شجاعا حازما ذا صلاح ودين وورع. قال ابن خلدون لم يبلغ أحد من الأدراسة مبلغه في الدولة والسلطان إلى أن طما على ملكه عباب (العبيديين) القائمين بـ (إفريقية) فأغرقه. (قلت) ولعل بهذا انقضى عهد مملكة الأدارسة.

## الفصل الخامس
## في
## ذكر فروع وأعقاب إدريس الأصغر

بعد هذه العجالة حول دولة الأدارسة ومراحل وقائعها نعود الآن إلى ذكر النسب فنقول: إن أولاد إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله

عليه وآله وسلم وهم كما سبق أن ذكرتهم ( إدريس . وجعفر . وعلي . وداود . وإبراهيم . وحمزة . وكثير وعيسى . وعمر . وأحمد . وعبدالله . وموسى . ويحي . والقاسم . وعمران . ومحمد وهو أكبرهم ) ولهم اعقاب كثيرة ومنها مايلي :

إدريس الثالث وجعفر وعلي وداود وإبراهيم وحمزة وكثير

( إدريس الثالث وجعفر وعلي وداود وإبراهيم وحمزة وكثير ) أبناء بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . ذريتهم لم أطلع على أنسابهم في حين أطلعت على عقب باقي إخوتهم وهم كما يلي مرتبا مختصرا .

عيسى بن ادريس الاصغر

عيسى بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا لهم اعقاب ومنهم ( المناليون وهم بفاس وتنمطيط . ومنهم اليعقوبيون وهم بمناطق كثيرة كفاس والديس والشلف ومستغانم وملويه واطاظ ومغراوه واولاد سيدي اعفيف والهجارس وسور الغزلان وبوسعاده وام عسكر واولاد علي بن الشرقي . ومنهم الشنويون . ومنهم العرهبيون بفجيج وبفاس . ومنهم الدباغيون بفاس ومراكش وسلا واولاد ميمون . ومنهم العمراويون بفاس . ومنهم البوزيديون ( أبناء سيدي بوزيد ) بن علي كما ساذكره في فصل اولادنايل . ومنهم اولاد يعقوب دفين جبل الديس .

عمر بن ادريس الاصغر

عمر ( المتوفي بفاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت (

رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . له اعقاب كثيرة بفاس وغماره وسلجماسه . ومنهم اولاد آمري . ومنهم الحمديون وهم بفاس . ومنهم القيثيون وهم بتفلالت وغماره وتادله ودكاله . ومنهم ابوالحسن الشاذلي الصوفي . والجصاريون والداوديون . ومنهم الهرغيون وهم بسوس الاقصا وبيت عبدالرحمن بن عيسى وابناء عامر واولاد ابراهيم الراشدي وبنو راشد بمعسكر وشرفاء غريس ولكن قالوا ان شرفاء غريس بعضهم من الأدارسة وبعضهم من بيت الامام جعفر الصادق . وشرفاء ام عسكر . ومنهم الامير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبدالقادر بن احمد بن المختار بن عبدالقادر بن عبدالقادر بن احمد المشهور بابن خده .

احمد بن ادريس الاصغر

احمد بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . انجب اولادا بهسكوره وفازاز وزواوه وغيرها والصحراء وتطوان ومدشر الكاف وفاس وفرنده وانقاد ووادي مكره وجبل العمور والعين الصفراء والسوقر وهلاصه وغريس وتلمسان والجعافره وجيجل والدرغاويون واولاد عبد النبي وبنو زروال واولاد بوشنوفه واولاد غراس الخيل واولاد خمليس واولاد مخروق الشاهد واولاد فتحا الخيش واولاد رضيع الحنشه واولاد سيدي محمد ابن احمد واولاد عايشه واولاد سيدي ابراهيم المغراوي واولاد اكثير واولاد ابراهيم بن العباس واشراف اليعقوبين واكسال وام راشد وبجال وجيجل واولاد بواشريط واولاد عامر واولاد سيدي الحاج عيسى مولى الاغواط وبيت عثمان بن عمر الموجودين بغريس .

عبدالله بن ادريس الاصغر

عبدالله بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا ومن عقبهم اولاد عمران واهل الفحص وبنو

شـداد وتنبلـوط واولاد النجـار واولاد التـبر والمنـصريون واولاد بـن تـسعدنت واولاد الغريـب والمـشامريون واولاد بوقـشابه والمغـاربون والـشغرشنبون والـسبعيون والمنجريون واولاد بـن معـزوز واولاد راشد بن احمد واولاد جلال واولاد خالد وبنو اعتيق وبنو اكسلال وبنو معزى وشـرفاء دار البقـره واولاد الاخـوة الـسبعه واشـراف غـزوان وابنـاء عبـد الوارث والاخمـاس واولاد الهـاشمي واولاد علي بن وارث واولاد بلخير وشرفاء سطيف واولاد المنصور واولاد الشرقي واولاد الغزواني واولاد يوسـف وشـرفاء بجايـه وبـاديس واولاد شـعيب وبنوعـامر واولاد بوحنـشه واولاد موسـى العنـبري واولاد حـم واولاد يغمـوس وبنـو يلـول واولاد قايـد واولاد الحـاج علـي واولاد وادفـل واولاد عبدالحليم وشرفاء من عين الصفراء وتلمسان وقبائل بني ورنيد وبني السنوس واولاد عبو بن احمد واولاد احمد وشـرفاء جبل بني بزناسـن والـشلاله ووطن بني خالد وصـفرو وجبل ازواوه وجبـال عمال وجرجره وبجايه واولاد بوعلي وشـرفاء الكاف الاخـضر وشـرفاء غـريس وفـرع من اولاد بن خده ويقال ان اولاد سيدي الناصر من هذا الفرع لكن قال حشلاف الصحيح انهم من فـروع الحـسين الشهيد كما ذكرته هناك

## موسى بن ادريس الاصغر

موسى بن إدريس الأصغر ( دفين فـاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهـون 177 هـ) بن عبـد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسـول الله ) صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم انجب اولادا ومنهم محمـد واحمـد وعبـد الرحمن ومـن فـروعهم اولاد بنوعنـان والـد باغيون والقـصاريون والتونسيون والرويـشيون واولاد جبـاره واولاد بـن ثابـت وشـرفاء مجاجه والشلف وبيت الحمياني وبيت سيدي علي بن البهلول وشرفاء غرناطه

## يحي بن ادريس الاصغر

يحي بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبـد الله الكامـل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالـب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنـا فاطمـة الزهـراء دفينـة البقيـع ) بنـت ( رسـول الله )

صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا ومنهم تفرعت فروعه ومن فروعه شرفاء حاحه المعروفون بالذكراويين وهم بفاس وكرف ومنهم فرقة ببني ملال ازاء وادالزنان .

القاسم بن ادريس الاصغر

القاسم بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا منهم ابوعبدالله ويحي ومن فروعهم الجوطيون والشبهيون والطاهريون والفرجيون والغالبيون والعمرانيون والطالبيون والكانونيون واولاد ابي العيش وبنو جرمون والداوديون واولاد الشدادي واولاد الشماع واولاد المصدر واولاد ابي سرغين والزجاريون والوكاليون .

عمران بن ادريس الاصغر بن ادريس الأكبر

عمران بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا ومنهم فروع المقارنه بوادي الذهب ومنهم البراكنه بالمديه وفاس ومراكش وحومة القصور والخطابيون بمستغانم والطواهرية والشلف ووادي مينه وغليزان واقليته ومجاهر ومالف وشافع وبواكمال والجبل الاخضر بلبيا ومنهم بيت السنوسي وبيت الداني وبيت القايد .

محمد بن ادريس الاصغر بن إدريس الأكبر

جدنا ( محمد ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت (

رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . لما توفي سنة ( 221 هـ ) انجب اولادا من بينهم ( علي واحمد وابراهيم وعبدالله والقاسم والمهدي ويحيى ) .

عبدالله بن محمد

عبدالله بن محمد بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . انجب اولادا منهم احمد .

أحمد بن عبد الله

احمد بن عبدالله بن محمد بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) ابن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم انحب اولادا منهم محمد ،

محمد بن أحمد

محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . انجب اولادا منهم علي حيدرة .

علي حيدرة بن محمد

علي حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا

فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم مزوار .

مزوار بن علي حيدرة

مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم سليمان سلام .

سليمان سلام بن مزوار

سليمان سلام بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . انجب اولادا منهم أبوعيسى ،

أبوعيسى بن سليمان سلام

أبو عيسى بن سليمان سلاَّم بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا منهم محمد حرمة ،

محمد حرمة بن أبي عيسى

محمد حرمة بن ابي عيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن احمد بن عبدالله بن محمد بن إدريس الأصغر ( فين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفي دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله

الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا منهم ( علي )

علي بن محمد حرمة

علي بن محمد حرمة بن ابي عيسى أبوعيسى بن سليمان سلام بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن احمد بن عبدالله محمد بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم أنجب أولادا منهم ( أبو بكر ) و ( غيره ) ( قلت ) وإلى علي بن محمد تنسب جميع الفرق الآتية الأعلون ومنهم : ( فرقة اولاد سيدي محمد الخيش بكاف النسوره وفرقة بجبل التيطري وبنو يونس واولاد رحمون واولاد موسى وبيت الغزواني ومنهم فرق بتطوان وبشفشاون وتازروت والشرفه القمريون واولاد الملهي بجرقط وبيت الطيار واهل منداس واهل مديونه واهل بقار واهل بطيوه وفجيج وتاسله وامسيريده واولاد الكبير واولاد احمد بن علي واولاد بن ضيف الله واولاد عبد الجليل واولاد يخلف واولاد اسعيد واولاد بوبكر واولاد عطيه واولاد عبد الله واولاد حمليش وبيت المجاوي واولاد بالتقى وفرقة ازواوه واشراف ذراع البستان وفرقة بمنداس واولاد سيدي رحمون وفرقة بالشلاله وبيت السنوسي والحموديون والشباريون والشنابل وبنو ميمون والعلاميون وبنوجرقط واولاد يحي بن عمران وبيت الكتاني وبيت الموهوب وبيت الدخيسي وبيت السملالي واولاد عيسى بن عبد الله والسكارته واولاد يعقوب واولاد سالم وفدوته واولاد بوسعديه والجراتنه وبيت الورتلاني وبيت الموهوب والودغريون فرقة فجيج واولاد درياش واولاد بويعلى واولاد مخلوف واولاد بن عزه واولاد بوعريش واولاد احمد بن علي واولاد مزيان واولاد الشماس واولاد عثمان واولاد اللحيان واولاد عبد القوي واولاد جبور واولاد افريح واولاد جرار واولاد بن زيان بن محرز واولاد ميمون واولاد بوبكر واولاد شقرون واولاد سليمان واولاد ابراهيم واولاد اعمر واولاد رحمون واولاد ابدير واولاد سيدي زيان بن محمد واولاد سيدي عيسى

بن عبد الملك واولاد سيدي علي حشلاف واولاد مالك واولاد محمد واولاد احمد وبيت الحميسي واولاد عنان واولاد عزوز وفرق بمازونه مثل القبايليه والزنائتيه والحمائسيه وغيرهم واولاد يزو واولاد يونس واولاد عزو واولاد الاخضر والدرقاويون والجماليون والسماسيون والخلفيون والحماميون واولاد محمد واولاد مخلوف بن خلف الله وفرقة في بني طلحه واولاد صالح في الارباع وبني رزيق واولاد الحساني واولاد سيدي عمر بن صالح واولاد بهلول واولاد علي بن سعيد واولاد عبد الله بن محمد )

## إختفاء الأنساب لفترة مّا

بعد ان تسلط الظالم بن عقبة على ءال البيت والادارسة منهم خصوصا كما سبق أن ذكرت تفرقوا وهجروا فاس موطن سلفهم وتغيرت انسابهم وبدلوا القابهم خوفا على انفسهم وحريمهم فضاع نسبهم وصار الشخص ينسب نفسه للبلد الذي يسكن به وهذا هو السبب الاقوى في تغيير الانساب فترى الشخص ينتسب للبلد دون نسبته الى اصله وقبيلته فااذا سكن المغرب اوالجزائر او تونس او مصر قال انا مغربي اوجزائري او تونسي او مصري الى ءاخره وكان يقلب عليه اسم تلك البلد ويتناسى نسبه وقبيلته واصله وبقي كثير من الاشراف لهذا السبب مختفين الى ان ظهرت الدولة الميرينية على ما قيل .

## تجديد ابوبكر بن علي بن محمد حرمه للأنساب

لما ظهرت ( الدولة الميرينية )على ما قيل كانت هي السبب في رجوع الاشراف لسالف مجدهم واصيل نسبهم وممن اشتهر منهم ءانذاك سيدي ( ابوبكر ) بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) وابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم .وكان سيدي (أبوبكر بن علي ) هذا قد أنجب سبعة اولاد وهم : ( مشيش .وعلي .ويونس .واحمد .والملهي .وميمون .وفتوح ) وفروع هؤلاء سيأتي تفصيلها فرعا فرعا . ( وبلاحظ ) هنا

ان من لم يذكر من الاشراف في هذه الفروع قد يكون من عقب ( الحسن السبط ) وقد يكون مندمجا في الاصول الاولى المذكورة أعلاه اذ الالقاب الحالية حديثة مستحدثة . وقد يكون من عقب ( الحسين الشهيد ) كالعبازيز وغيرهم وهؤلاء لهم تراجم خاصة تراجع في مضانها من هذا الكتاب وغيره .

## الكتاب التاسع عشر

ويتضمن الكتاب الفصول الآتية : الفصل الاول في ذكر النسب المشيشي . والفصل الثاني في ذكر الامام سيدي عبد السلام بن مشيش وذريته وأعقابهم .

## الفصل الأول

## في

## النسب المشيشي

---

### مشيش بن ابي بكر

سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) وابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم (عبد السلام ) و ( يملح ) و ( موسى ) قالوا وقد ترك هؤلاء فروعا يسمون المشيشيين كما قد أشرنا إليه في بحوث سابقة ولاحقة .

### المشيشيون

المشيشيون هم فروع ( عبد السلام . ويملح . وموسى) أبناء سيدي سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع )

بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . وفروعهم المذكورة في ناحيتنا هي كالتالي :

فروع يملح بن مشيش

يملح بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . ترك فروعا منها ( اولاد الريفي واولاد بن يعقوب واولاد عمرو واولاد بن سليمان واولاد اللحياني واولاد عيسى اليمليحي واولاد افيداح واولاد بن موسى اليمليحي واولاد حمدان واولاد الصغير وشرفاء القادسيه وشرفاء الزيانية ببشار وبني اسناسن والملالحة واولاد حوه بغليزان واولاد بن ملحه وشرفاء وزان ) الخ .

فروع موسى بن مشيش

موسى بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار ابن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هجري ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي بن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . ترك فروعا منهم ( اولاد شقرون واولاد كرمون واولاد الحوات واولاد عبد الله واولاد الحسين واهل المسيله واهل الوات الحراقيون والشفشاونيون واولاد الفلاق ) الخ

## الفصل الثاني

## في

## ذكر عبد السلام بن مشيش وأبنائه

ولي الله الصالح والحبر الناصح ذو الكرامات السنية والاشارات البهية والاوراد الصوفيه ابو الاولاد الصلحاء والاتقياء النجباء منشىء الصلاة المشيشية وغيرها من التاليف النورانية أحد الاقطاب الصوفية الاربعة في المغرب وتلميذ الغوث أبي مدين ومعلم الامام الشاذلي . هو الشيخ سيدي عبد السلام (المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان بن سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) ابن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر (دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هجري) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي بن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . ولد في القرن السادس وتوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وقيل بل توفي سنة خمس وعشرين وست مائة شهيدا بجبل العلم من جبال غمارة وقبره هناك مشهور من أعظم مزارات المغرب . وكان سبب شهادته أن محمدا بن أبي الطواجين الكتامي كان قد ثار بتلك البلاد وانتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة حسبما ذكر وتبعه على ضلالته طغاة غمارة والبربر فكان عدو الله يغص بمكان الشيخ رضي الله عنه لما أتاه الله من شرف التقوى والاستقامة المؤيد بشرف النسب الصميم والعنصر الكريم فسول له الشيطان أنه لا يتم أمر مخرقته في تلك الناحية إلا بقتل الشيخ فدس له جماعة من أتباعه وأشياعه فرصدوا الشيخ حتى نزل من خلوته في سحر من الأسحار إلى عين هنالك قي الجبل المذكور فتوضأ منها وولى راجعا إلى محل عبادته وارتقاب فجره فعدوا عليه وقتلوه ومن الشائع أنه القي عليهم ضباب كثيف أضلهم عن الطريق ودفعهم إلى شواهق تردوا منها في مهاوي سحيقة تمزقت فيها أشلاؤهم ولم يرجع منهم خبر . وهذه من كراماته رضي الله عنه . وقد انجب سيدي عبد السلام أولادا منهم (سيدي محمد فتحا لله) و (سيدي علي) و (سيدي عبد الصمد)

و ( سيدي أحمد المتوكل ) ولكل هؤلاء أعقاب مذكورة في مدونات التراجم والسير والأنساب تراجع في مضانها وسيأتي منها بعض التفصيل في هذا الكتاب .

الصلاة المشيشية

من مؤلفات سيدي عبد السلام بن مشيش ( الصلاة المعروفة ) التي لقنها لي والدي ثم بعده لقنها لي شيخي محمد بلقايد وهي على النحو التالي ( اللهم صل على من منه انشقت الاسرار . وانفلقت الانوار . وفيه ارتقت الحقائق . وتنزلت علوم ءادم فاعجز الخلائق . وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سا بق ولا لاحق . فرياض الملكوت بزهر جماله مونقه . وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقه . ولا شيء الاوهوبه منوط . اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط . صلاة تليق بك منك اليه . كما هو اهله . اللهم انه سرك الجامع الدال عليك . وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك . اللهم الحقني بنسبه . وحققني بحسبه . وعرفني اياه معرفة اسلم بها من موارد الجهل . واكرع بها من مواهب الفضل . واحملني على سبيله الى حضرتك . حملا محفوفا بنصرتك . واقذف بي على الباطل فادمغه . وزج بي في بحار الاحدية . وانشلني من اوحال التوحيد . واغرقني في عين بحر الوحدة . حتى لااری . ولااسمع . ولااجد . ولااحس الابها واجعل الحجاب الاعظم حيات روحي . وروحه سر حقيقتي . وحقيقته جامع عوالمي . بتحقيق الحق الاول . يااول . ياءاخر . ياظاهر . ياباطن . اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك سيدنا زكرياء عليه السلام . وانصرني بك لك . وايدني بك لك واجمع بيني وبينك . وحل بيني وبين غيرك . الله – الله – الله ان الذي فرضك عليك القرءان لرادك الى معاد . ربناءاتنا من لدنك رحمة . وهيئ لنا من امرنا رشدا ، ان الله وملائكته يصلون على النبي . يايها الذين ءا منوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبئ الامي وعلى ءاله وصحبه وسلم ) ( قلت ) وعلى ذكر الصلاة المشيشية وذكر الشيخ سيدي محمد بلقايد أدرج هنا خمرية الامام ابن الفارض لكثرة ما سمعتها بمجالس الهبارة ونصها كما في الديوان هو :

خمرية ابن الفارض

شَرِبْنا ، على ذكرِ الحَبيبِ ، مُدامـةً ، سَكِرْنا بها ، من قبلِ أن يُخلقَ الكَرمُ
لها البَدرُ كأسٌ ، وهيَ شمسٌ ، يُديرُها هِـلالٌ ، وكم يبـدو إذا مُزِجَـتْ نَجـمُ

وَلَولا شَذاها ما اهتَديتُ لحانها      وَلَولا سَناها ما تَصوَّرَها الوَهْمُ

ولَمْ يُبْقِ منها الدَّهْرُ غيرَ حُشاشَةٍ      كأنَّ خَفاها، في صُدورِ النُّهى كَتْمُ

فإنْ ذُكِرَتْ في الحَيِّ أصْبَحَ أهلُهُ      نَشاوى، ولا عارٌ علَيهِمْ ولا إثْمُ

ومن بينِ أحشائِي الدِّنانِ تصاعَدتْ      ولمْ يَبْقَ مِنْها، في الحَقيقَةِ، إلا اسمُ

وإنْ خَطَرَتْ يوماً على خاطرِ امرئٍ      أقامَتْ بهِ الأفْراحُ، وارتَحَلَ الهَمُّ

ولَو نَظَرَ النُّدمانُ خَتْمَ إنائِها      لأسْكَرَهُمْ مِن دونِها ذلكَ الخَتْمُ

ولو نَضَحوا منها ثَرى قَبْرِ مَيِّتٍ      لعادَتْ إليهِ الرُّوحُ، وانتَعَشَ الجِسْمُ

ولو طَرَحوا، في فَيْءِ حائِطِ كَرْمِها      عليلاً، وقد أشْفى، لفارَقَهُ السّقْمُ

ولو قرّبوا، من حانها، مُقْعَداً مَشى      وتَنْطِقُ مِن ذكرى مَذاقَتِها البُكْمُ

ولو عَبِقَت في الشَّرْقِ أنْفاسُ طيبِها      وفي الغَرْبِ مَزْكومٌ، لَعادَ لَهُ الشَّمُّ

ولو خُضِبَتْ، من كأسِها، كَفُّ لامسٍ      لَما ضَلَّ في لَيلٍ، وفي يَدِهِ النَّجم

ولو جُلِيَتْ، سِرّاً، على أكْمَهٍ غَداً      بَصيراً، ومن راووقِها تَسمَعُ الصّمّ

ولو أنّ رَكْباً يَمَّموا تُرْبَ أرْضِها      وفي الرَّكْبِ مَلْسوعٌ، لَما ضَرَّهُ السّمُّ

ولو رَسَمَ الرّاقي حُروفَ اسمِها، على      جَبينِ مُصابٍ جُنَّ، أبْرأهُ الرَّسْمُ

وفوقَ لِواءِ الجَيشِ لو رُقِمَ اسْمُها      لأسْكَرَ مَن تَحتَ اللِّوا ذلكَ الرَّقمُ

تُهَذِّبُ أخلاقَ النّدامى، فيَهْتَدي      بها لِطَريقِ العَزْمِ، مَن لا لَهُ عَزْمُ

ويَكْرُمُ مَنْ لم يَعرِفِ الجودَ كَفُّهُ      ويَحلُمُ، عندَ الغَيظِ، مَن لا لهُ حِلْمُ

ولو نالَ فَدْمُ القَومِ لَثْمَ فِدامِها      لأكْسَبَهُ مَعنى شَمائِلِها اللَّثْمُ

يَقولونَ لي: صِفْها، فأنتَ بِوَصْفِها      خَبيرٌ، أجَلْ! عِندي بأوصافِها عِلْمُ

صَفاءٌ، ولا ماءٌ، ولُطْفٌ، ولا هَوا      ونُورٌ، ولا نارٌ، ورُوحٌ، ولا جِسْمُ

تَقَدَّمَ كُلَّ الكائِناتِ حَديثُها      قَديماً، ولا شَكْلٌ هناكَ، ولا رَسْمُ

وقامَتْ بها الأشْياءُ، ثَمّ، لِحِكْمَةٍ      بها احْتَجَبَتْ عن كُلِّ مَنْ لا لهُ فَهْمُ

وهامَتْ بها روحي، بحيثُ تَمازَجا اتّـ      ـحاداً، ولا جِرْمٌ تَخَلَّلَهُ جِرْمُ

فَخَمْـــرٌ، ولا كَـــرْمٌ وآدَمُ لي أبٌ، وكَـــرْمٌ ولا خَمْـــرٌ، ولي أُمُّهـــا أُمٌّ
ولُطْـفُ الأوانـي، في الحقيقـة، تـابعٌ للُطـف المعـاني، والمعـاني بهـا تَنْمـو
وقـدْ وقـعَ التفريـقُ، والكُـل واحـدٌ فأرواحُنـا خَمْـرٌ، وأشْـباحُنا كَـرْمُ
ولا قَبْلَهـا قبـلٌ ولا بَعْـدَ بَعْـدَها وقَبليـةُ الأبعـاد، فهـيَ لهـا حَـتْمُ
وعَصْرُ المدى منْ قَبْله كان عصرها وعَهْـدُ أبينـا بَعْـدها، ولهـا اليُتْـمُ
محاسـنُ، تَهْـدي المـادحين لوَصْـفها فيَحْـسُنُ فيهـا منـهمُ النَّثـرُ والـنّظمُ
ويطْرَبُ مَـن لم يَـدرها، عنـدَ ذكرهَـا كمُـشْتاقِ نُعْـمٍ، كلّمـا ذُكـرَتْ نُعْـمُ
وقـالوا: شَـربتَ الإثْـمَ! كـلاّ، وإنّمـا شَـربتُ الّـتي، في تَرْكهـا، عنـدي الإثْـمُ
هَنيْئـاً لأهْـل الـدّيْرِ! كَمْ سَـكرُوا بها ومـا شـربوا منهـا، ولكـنّهُمْ هَمّـوا
وعنـديَ منـها نَـشْوةٌ، قبـلَ نَـشْأتي معـي أبَـداً تبقـى وإنْ بَلـيَ العَظْـمُ
عليكَ بهـا صـرْفاً، وإن شئْـتَ مَزْجَهـا فعـدلُكَ عـن ظَلْـمِ الحبيـبِ هـوَ الظُّلْـمُ
فـدونَكَها في الحـانِ، واسْـتَجْلها بـه على نَغَـمِ الألحـانِ، فهـيَ بهـا غُـنْمُ
فمـا سَـكَنَتْ والهـمّ، يومـاً، بمَوضـعٍ كـذلكَ لم يَـسكُنْ، مـعَ الـنّغَمِ، الغـمُّ
وفي سَـكْرَةٍ منْهـا، ولـوْ عُمْـرَ سـاعةٍ تـرى الـدّهْرَ عَبـداً طائعاً، ولكَ الحُكْمُ
فلا عيْشَ في الدُّنيا لمَنْ عاش صـاحياً ومَـنْ لمْ يَمُـتْ سُـكْراً بهـا فاتَـهُ الحَـزْمُ
على نفسه، فلْيَبْكِ مَن ضـاعَ عُمْـرُهُ ولـيسَ لـهُ فيهـا نـصيبٌ ولا سَـهْمُ

فروع أبناء عبد السلام بن مشيش

الشيوخ الأوفياء والصلحاء الأتقياء مصابيح الدجى وملجأ النجا موئل الخائفين. وموطن القاصدين (سيدي محمد فتح الله) و(سيدي علي ) و(سيدي عبد الصمد) و(سيدي أحمد المتوكل) ابناء القطب عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد

الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . لهم فروع كثيرة . وأنساب شهيرة. ومن بينها على الجملة ( اولاد عبدالوهاب ) و ( اولاد بن احليمة ) و ( اولاد الحميلي ) و ( اولادالخراز ) و ( اولادمروان ) و ( اولادالشريف ) و ( اولادقاسم ) و ( اولادالردام ) و ( اولادسيدي عيسى الشريف ) و ( اولاد بن يعقوب ) و ( اولادالحسين ) و ( اولادالجدي ) و ( اولاد مولاي ) و ( الراشدیون ) و( التوغيون ) و( اولادمولاي ) و ( البوعبدليون ) و(بيت سيدي بن واضح ) و( بيت المقوفل ) و ( اهل المرجه ) و ( بيت بن منه ) و ( بيت افغون ) و( بيت غلام الله ) و ( بيت عمار ) و ( بيت عطيه ) و ( بيت الخياطي ) و ( اولادالاكرد ) و ( بيت سيدي العربي ) و ( بيت الكبير) و( بيت الشيخ بن عده ) و( بيت الفكرون ) و ( بيت بن عتبه ) وبيت الجيلاني ) و( اولاد الخرشفي ) و ( البوازيد ) و ( اولاد سيدي نايل) و ( بيت الزهار ) وبيت الطيار ) و ( بيت تمار ) و ( الطواهرية ) وغيرهم كثير. وليحرر المقام. قال نهيم بن أساف

رأيتُ الناسَ نُســـــــبْتَهم سواءٌ إذا ما يــــــذكرُ النسبُ القديمُ
ولكنَّ المعائشَ فضــــــــــلتُهُمْ فذو المال القـــــــربُ والكريم

بيوتات شريفة في عدة مناطق

هناك بيوتات شريفه ذكرها النسابون ومن تلك البيوتات : بيت العصنوني المعروفة في قبائل بني مسلم . وبيت طاع الله المعروفة في ندرومه وبيت اكثير المعروفة في طيوه . وبيت يوسف المعروفة في جبل بني مادون . وبين مسلات المعروفة . وبيت مصباح المعروفة . وبيت بسناس المعروفه . وبيت حمزة المعروفة في جبل العمور . وبيت الدسولي المعروفة . وبيت السعيد المعروفة في السرسو . وبيت عبدالسلام المعروفة في مسراته . وبيت بهلول المعروفة في منداس . وبيت بوالليث المعروفه في قبائل البرانس . وبيت زين العابدين المعروفة في الشلف . وبيت السيد علي بن زمره المعروفة في بلدة تافنه . وبيت علي بن ايوب المعروفه في بلدة مكره . وبيت بوعمران المعروفة في وادي الشلف . وبيت سيدي اعمر المعروفه في مستغانم . وبيت اقناو المعروفة في ونوغه . وبيت غانم المعروفة . وبيت

الادغم المعروفة في واد يسر . وبيت والبوعنانيين المعروفة في واد يسر . وبيت ابراهيم المعروفه في واد مكره . وبيت العنابره المعروفة في الساحل . وبيت عبد الرحمن المعروفة بالسكندريه . وبيت بواالليل المعروفة في القبائل . وبيت سيدي خروف المعروفة في زموره وبني يعدل . وبيت بواجليل المعروفة . وبيت بن رقيه المعروفة في قرية ويزران . وبيت سيدي احمد المعروفة في جبل اندات . وبيت بن سالم المعروفة . وبيت بني يحي المعروفة . وبيت الشريف المعروفة في اتراره . وبيت بن عبد الرحمن المعروفة في مجانه . وبيت تمنقاش المعروفة بزواوه .

علي بن عبد السلام بن مشيش

علي بن عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم ( محمد )

محمد بن علي بن عبد السلام بن مشيش

( محمد بن علي بن عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم) انجب اولادا منهم ( عمر )

عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام

عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن

عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) و ابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم. أنجب اولادا منهم (عبد الكريم )

عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام

عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) و ابن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم (عبد الله)

عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام

عبدالله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط (دفين البقيع) بن مولانا علي ابن أبي طالب (دفين النجف بالعراق) وبن (مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع) بنت (رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم انجب اولادا منهم (عيسى

عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم

عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد (دفين فاس) بن إدريس الأصغر (دفين فاس) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل (دفين بغداد 144 هـ ) بن

الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . انجب اولادا منهم ( المسعود )

المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم

المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم ( احمد ) .

أحمد بن المسعود بن عبد الله بن عبد الكريم

أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . انجب اولادا منهم ( محمد ) .

محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى

محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر بن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس )

بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . أنجب اولادا منهم ( الشيخ سيدي عبد الله الخرشفي) ( قلت ) ولكل فرع من تلك الفروع فرق وعروش ومنهم ما يهمنا هنا وهو فرع ( سيدي عبد الله الخرشفي )وهو على النحو التالي

ابناء عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود

سيدي عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . هو من اعيان القرن التاسع الهجري ولد بمنطقة الغرب ثم انتقل إلى منطقة الخرشف بالجلفة ثم انتقل الى منطقة الحضنة وما جاورها . وانجب رحمه الله تعالى أولادا أتقياء وسادة نبلاء منهم السبعة المعروفون وهم ( الخليفه . وعبدالرحمن . والسكناوي وأحمد . ورابح . وسليمان . ومحمد نائل )

أولاد الخليفة بن عبد الله الخرشفي

الخليفة بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين

البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . سار إلى بلد القبائل فتبلبل لسان أولاده وتعلموا الزناتيه هناك وفي أرض ازواوه .

أولاد عبد الرحمن بن عبد الله الخرشفي

عبد الرحمن بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . سار إلى بلد القبائل فتبلبل لسان أولاده وتعلموا الزناتيه هناك ثم ذهب إلى جبل البابور نحو المشرق ونسبه متواجد بناحية جبال البابور وغيرها .

السكناوي بن عبد الله الخرشفي

السكناوي بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . ذهب إلى سبته بالمغرب وأعقب هناك وجاء من ذريته عمار الأعرج بن كتان بن السكناوي فنزل في جبل عُمال على شاطئ الوادي ونسبه متواجد هناك بناحية وادي يسر وغيرها

## أحمد بن عبد الله الخرشفي

أحمد بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . ذهب إلى الغرب ومن نسبه اولاد الأعلام وفرقة منهم في زموره وفرقة منهم في يسر وفرقة منهم في جبل افليسه

## رابح بن عبد الله الخرشفي

رابح بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . عقبه موجود بالغرب الجزائري ونواحي تيارت ومن أولاد رابح سيدي ( علي الجدارمي ) وهو بطاقين .

## سليمان بن عبد الله الخرشفي

سليمان بن عبد الله الخرشفي بن محمد بن أحمد بن المسعود بن عيسى بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي عبد السلام المتوفي سنة 623 هجرية بالعلم ) بن سيدي مشيش بن ابي بكر ابن علي بن محمد حرمه بن بوعيسى بن سليمان سلاّم بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن

عبد الله بن محمد ( دفين فاس ) بن إدريس الأصغر ( دفين فاس ) بن إدريس الأكبر ( دفين زرهون 177 هـ ) بن عبد الله الكامل ( دفين بغداد 144 هـ ) بن الحسن المثنى بن الحسَن السبط ( دفين البقيع ) بن مولانا علي ابن أبي طالب ( دفين النجف بالعراق ) و ابن ( مولاتنا فاطمة الزهراء دفينة البقيع ) بنت ( رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم . عقبه موجود بالحضنة .

( قلت ) وهناك من يقول إن رابح وسليمان من عمومة عبد الله الخرشفي وليسا أبناء له وليحرر المقام لكن ينبغي التنبه إلى أن هناك رابح آخر وهو من ذرية زكري بن نايل و ليسوا يعنون به هذا .

محمد نايل

( قلت ) وأما ( محمد نايل ) ومنطقته ونسبه فسأذكرهم بعدُ في الفصول الآتية ( أقول ) وهؤلاء جميعا وأعقابهم يطلق عليهم ( اولاد عبد الله الخرشفي ) والى الان لازال هذا النسب معهودا بارض الحضنة ويجب فقط المحافظة عليه وكما قال أبو تمام رحمه الله تعالى:

لاخيرَ في قربى بغير مودة ... ولربَّ منتفع بودّ أباعد
وإذا القرابة أُقبلت بمودةٍ ... فاشدُدْ لها كفَّ القبولِ بساعدِ

وكما قال معقل بن قيس :

وأعرضُ عما ساءَ قومي ثناؤهُ ... واستصلحُ الأدنى وإن كان ظالما
وأصفحُ عن ذنب ابن عمي تكرُّما ... وأبدي له بِشري إذا كان واجما

وقال إلياس فرحات :

الحبُّ يَذْهَبُ بالفوارق كلِّها ... ويجيبُ الشقراءَ والسمراءَ
ويجملُ الشوهاءَ حتى لا ترى ... عينُ المحب حبيبةً شوهاء

وقال محمد مهدي الجواهري :

يُزَهّدُ في المحامد طالبيها … يقيُّ أن عُقباها هَباءُ
فقَد تأتي الفظيعَ ولا عقابٌ … وقد تُسْدي الجميلَ ولا جزاءُ
وفي التاريخ أعقابٌ كُثَارٌ … مَضتْ هدرًا وطار بها الهواءُ
وأعمال مشرفة ذويها … تولاها فضيعَها الخفاءُ
وأخرى جَرَّ مغنمها دنيءٌ … فسَرَّتْهُ وصار بها يُساءُ
وإن أشرَّ ما يلقى أريبٌ … وأوجعُ ما يحيرُ به الدهاءُ
نفوسٌ هَدّها شرفٌ ونبلٌ … وأرهقها التمنعُ والإباءُ
وقد عاشَتْ إلى الأوباش تُعْزى … وماتتْ وهي معدمة خَلاء
وأخرى في المخازي راكساتٌ … كأصدق ما يكونُ الأدنياءُ
مَشَتْ في الناس رافعة رؤوسًا … تنصبها كما رفعَ اللواءُ
فلا الأرضونَ قد خُسفتْ بهذي … ولا هذي أغاثتها السماءُ

## فائدة في الحياء

قلت وأنا أكتب هذه الفصول المسترسلة خرجت علينا صحيفة دينامركية خبيثة تافهة وقد نشرت على إحدى صفحاتها البذيئة رسوما سيئة وهي في الحقيقة كناطح جبل لاتمس بشيئ غير إحساس المسلمين أما الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يضره شيئ من كلام العقلاء فكيف بهذيان المجانين والسكارى وعليه فقد حضرتني هنا كلمات في الحياء قرأتها في المستطرف أحب أن أدرجها للإفادة وهي : قالت السيدة عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها مكارم الأخلاق عشرة :صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الأمانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقري الضيف ورأسهن الحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحياء شعبة من الإيمان ) وقال عليه السلام (أن مما ادرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت ) وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن علي عن آبائه يرفعونه من لم يستح فهو كافر قال أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه إني لأدخل البيت المظلم

أغتسل فيه من الجنابة فأحني فيه صلبي حياء من ربي وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء وقال الخواص إن العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فارفعها منزلة الحياء لما أيقنوا إن الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأيناه أو رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصية الحياء منه ويقال القناعة دليل الأمانة والأمانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله.

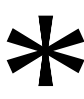
قال محمد بن عبد الله البغدادي:

إذا قلَّ ماءُ الوجه قلَّ حيــــاؤه  فلا خيرَ في وجه إذا قلَّ ماؤه
حَــياءَكِ فاحفَــظْهُ عليكَ فإنما  يدلُّ على وجهِ الكريمِ حــاؤه

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله عدد خلقك وزنة عرشك ومداد كلماتك يا رب

*

﴿ انتهى بحمدالله الجزء الثاني ويليه بإذنه تعالى الجزء الثالث وأوله ذكر معالم أولاد نايل ﴾



الفهرست



﴿ أعزائي القراء الأفاضل ﴾

هذا تعريف بالكتاب ومؤلفه

الكتاب بأجزائه الأربعة يسمى : ( التحقيق المتكامل ) ويتضمن جملة من المقدمات وعدة ملاحظات و ثمانية وعشرين كتابا كل كتاب يتضمن عدة فصول كل فصل يتضمن عدة أبواب . تتبع ذلك خاتمة حسنة . وتقاريظ مستحسنة وردت على المؤلف من مشايخ علماء وأساتذة حكماء وإطارات نبلاء . أفادوها بها تشجيعا له على البحث والمتابعة والاسترسال في الكتابات الهادفة . و تلك الموضوعات كلها ( مقدمات . وكتبا و فصولا . وأبوابا وتقاريظ ) ترد بإذن الله تعالى مفصلة ومنظمة بأسلوب سلس عذب . وبطريقة بديعة سهلة . تحتوي معلومات نسبية . ونصوصا تراثية معتمدة . واقتباسات مرونقة منقولة من مراجع موثوقة . ومن ذاكرات حافظة لا تكل ولا تنسى و الكمال المطلق لله الواحد الأحد . هذا وللإفادة والإستفادة بإمكان القارئ الكريم أن يتعرف على صُوَر بعض الشخصيات الواردة أثناء نصوص هذا الكتاب في المؤلفَ المسمى ( بُغية الوصال في معرفة صور بعض الرجال ) والكتابان من تأليف الفقير إلى الله تعالى : الميلود قويسم بن الهدار العُبيدلي الرقادي السعداوي النايلي الجلفاوي إمام عين الإبل ومعتمدها وعضو المجلس العلمي بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف حاليا .

وبعد : إخواني القراء النبلاء :

| | |
|---|---|
| هذه صورتي وهذا خيالي | هذه حالتي وهذا شعاري |
| أذكروني بها لأحظى بعفو | يا صحابي يا رفقتي يا دياري |
| إني عبدٌ ضعيفٌ والعمر فانٍ | وعساه الكريمُ يرضى اعتذاري |